

(الطبعة الأولى)

الجزء الأول
من التفسير النير للعالم
التزويل المدفوع عن وجوه محاسن
التأويل المسمى طبقات الغناء مصراع لمبيد
اكشف معنى قرآن مجيد لجامعة العالم التحرير
وعلم الفضل الشهير المتحلي بكرم الشيم ومهابة
الاعزاز العلامة الشيخ محمد نورى سيد علماء
الحجاز نفع الله تعالى بعلمه المسكين
وجعله اواباء من خلائق
أحبه القدر

بالطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ

﴿ما شاء الله﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء
ملكه فسبحان الله شارع الاحكام المميز بين الحلال والحرام أحسنه على ما نفع من غوامض العلوم
بأخراج الافهام والصلوات والسلام على سيدنا محمد الذي أزال بيانه كل إبهام وعلى آله وأصحابه أولى
المنابر والاحلام صلواته لا مدام ما دامت الأيام (أما بعد) فيقول أحقر الووري محمد نوري قد أمرني
بعض الاعزة عندي أن أكتب تفسير القرآن المجيد فترددت في ذلك لما ناظرته الاخوف من الدخول في
قوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي قوله صلى الله عليه وسلم من قال
في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فأجبتهم الى ذلك لا اقتداء بالسلف في تدوين العلم إبقاء على الخلق
وليس على فعل مريد وله كل زمان تجديد وليكون ذلك عوناً للقاصرين منسلي وأخذته من
الغشوات الالهية ومن مغامرات الغيب ومن السراج المنير ومن تنوير القياس ومن تفسير أبي السعود
(ومحيطه) مع الموافقة لتاريخه مزاج لبيد لكشف معنى قرآن مجيد وعلى الكريم الفتح اعتمادى
واليه تفويضى واستنادى والآن أشرع بحسن توفيقه وهو المعين لكل من لجأ به

(سورة الفاتحة مكية أو مدنية سبع آيات)

والسابعة صراط الذين الى آخرها ان كانت البسملة منها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب
عليهم الى آخرها وهي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم أحدها علم الاصول وقد جمعت الالهيات
في الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والنبوات في الذين أنعمت عليهم والدار الآخرة في مالك

يوم الدين وثانيها علم الفروع وأعظمه العبادات وهي مالية وبنيية وهما مقترنان إلى أمور المعاش من المعاملات والمناكحات ولا بد لها من الأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي وثالثها علم تحصيل الكليات وهي علم الاخلاق ومنه الاستقامة في الطريقة والى ذلك الإشارة بقوله وإياك نستعين وقد جمعت الشريعة كلها في الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والاخبار عن الأمم الخالية وقد جمعت السعداء من الأنبياء وغيرهم في الذين أنعمت عليهم والاشقياء من الكفار في غير المغضوب عليهم ولا الضالين (بسم الله الرحمن الرحيم) الباء بها الله والسين سناءة فلا شيء أعلى منه وإني ملكه وهو على كل شيء قدير والباء ابتداء اسمه باري بصير والسين ابتداء اسمه سميع والميم ابتداء اسمه مجيد ملوك والالف ابتداء اسمه الله واللام ابتداء اسمه لطيف والهاء ابتداء اسمه هادي والراء ابتداء اسمه رزاق والحاء ابتداء اسمه حلیم والنون ابتداء اسمه نافع ونور (الحمد لله) والشكر لله بعباده السوابغ على عبادته الذين هداهم الإيمان (رب العالمين) أي خالق الخلق ورازقهم ومحو لهم من حال إلى حال (الرحمن) أي العاطف على البار والفاجر بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم (الرحيم) أي الذي يستمر عليهم الذنوب في الدنيا ويرحمهم في الآخرة فدخلهم الجنة (مالئوم الذين) بآيات الالف عند اسم وانكسافي ويعقوب أي متصرف الأمر كله في يوم القيامة كما قال تعالى يوم لا تلك نفس لنفس شيئا وأمر بوشد الله وعند الباقي بحذف الالف والمعنى أي المتصرف في أمر القيامة بالأمر والنهي (إياك نعبد) أي لا نعبد أحدا سواك (وإياك نستعين) أي بك نستعين على عبادة فلا حول عن المعصية إلا بعونك ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيقك (اهدنا الصراط المستقيم) أي زنا هداية إلى دين الإسلام والمعنى أدنا مهيدين إليه (صراط الذين أنعمت عليهم) أي دين الذين مننت عليهم بالدين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (غير المغضوب) أي غير دين اليهود الذين غضبت (عليهم ولا الضالين) أي وغير دين النصارى الذين ضلوا عن الإسلام وبما المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون لأن الله تعالى ذكر المؤمنين في أول البقرة في أربع آيات ثم في ذكر الكفار في آيتين ثم قلت بذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية عيسى للقارى بعد فراقه من الفاتحة أن يقول آمين وهو اسم بمعنى فعل أمر وهو استجب

(سورة البقرة مدنية أو مكية مائتان وسبع وثمانون آية وكلما تأملت ثلاث

آلاف ومائة وحر وفها خمس وعشرون ألفا وخم مائة

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة المرسا حروف الهجاء في أوائل السور من التشابه الذي انفرد الله به علمه وهي سر القرآن فمن نؤمن بظاهرها ونفوض العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها والله تعالى اختص بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء والأنبياء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء اختصوا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضي الله عنه في كل كتاب سر ومسر الله في القرآن أوائل السور (ذلك الكتاب لا ريب فيه) أي هذا الكتاب الذي يقرؤه عليكم رسول محمد لا شئ في أنه من عندي وإن آمنتم به هديتكم وإن لم تؤمنوا به عذبكم (هدى للنفين) أي رحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما غاب عنهم من الجنة والنار والصراط والميزان والبعث والحساب وغير ذلك وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم

لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (ويقومون الصلاة) أى يقومون الصلاة الخمس بالشرط
والأركان والهيئات (وعمار زقناهم ينفقون) أى عما أعطيناهم من الأموال يتصدقون لطاعة الله
تعالى وهو أبو بكر الصديق وأصحابه (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) من القرآن (وما أنزل من
قبلك) على سائر الأنبياء من النور والافجيل والزبور وغيرهما من سائر الكتب السابقة على القرآن
(وبالآخرتهم يوقنون) أى وهم يصدقون بما فى الآخرة من البعث بعد الموت والحساب ونعيم الجنة وهو
عبد الله بن سلام وأصحابه (أولئك) أى أهل هذه العفة (على هدى) أى كرامة نزل (من ربهم
وأولئك هم المفلحون) أى الناجون من السخط والعذاب وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (إن
الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى الذين كفروا فى علم الله متساردين هم
انذارك يا أباهم بالقرآن وعدمه وهم لا يريدون أن يؤمنوا بما جئت به فلا تطمع يا مشرق الخلق فى إيمانهم
ثم ذكر الله سبب تركهم الإيمان بقوة تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أى طبع الله على
قلوبهم فلا يدخلها إيمان وعلى سمعهم فلا يسمعون ما يسمعون من الحق ووجد السمع لوحدة السمع
وهو الصوت (وعلى أبصارهم غشاوة) مبتدأ وخبر أى على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون
الحق (ولهم عذاب عظيم) أى شديد فى الآخرة وهم رؤساء اليهود الذين وصفهم الله بأنهم يكفون
الحق وهم يعلمون وهم كعب بن الأشرف وجعبي بن أخطب وجدى بن أخطب ويقال لهم مشركوا أهل مكة
عتبة وشيبة والوليد بن المغيرة وأبي جهل (ومن الناس من يقول آمنا) فى السر (بالله وباليوم
الآخر) أى بالبعث بعد الموت الذى فيه جزاء الأعمال (وما هم بمؤمنين) فى السر (يخادعون الله)
أى يكذبونه فى السر (والذين آمنوا) أبا بكر وسائر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وما يخدعون)
أى يكذبون (الأنفسهم) وهذه الجملة حال من ضمير يخادعون أى يفعلون ذلك والحال أنهم
ما يضررون بذلك لأنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم وقرأ أعاصم وابن عامر وحزرة والكسافى
وما يخدعون بفتح الياء وسكون الهمزة وفتح الدال وقرأ الباقر بنضم الياء وفتح الهمزة مع المد وكسر الدال
ولا خلاف فى قوله يخادعون الله فالجميع قرأ بضم الياء وفتح الهمزة بالالف بعد ها وكسر الدال وأما
الرسم فبغير ألف فى الموضعين (وما يشعرون) أن الله يطالع نبيه على كذبهم (فى قلوبهم مرض)
أى شك وظلمة (فزادهم الله مرضا) أى شك وظلمة بما أنزل من القرآن لأنه كلما أنزل آية كفروا بها
فازدادوا شكاً وخلافاً (ولهم عذاب أليم) أى وجميع فى الآخرة يخلص وجعه إلى قلوبهم (بما كانوا
يكذبون) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد أى بتشكيبهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقرأ الباقر بن تخفيف الدال أى بكذبهم فى قولهم آمنا فى السر وهم المنافقون عبد الله بن أبى وجدي بن قيس
ومعتب بن قشير (إذا قيل لهم) أى لهؤلاء المنافقين (لا تفسدوا فى الأرض) بتعويق الناس عن
دين محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا إنما نحن مصلحون) وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما فى قلوبهم من المرض قال الله تعالى ردا عليهم أبلغ فرد (ألا) أى بلى (أنهم هم المفسدون)
لما بالتعويق (ولم يكن لا يشعرون) أن الله تعالى يطالع نبيه على فسادهم (وإذا قيل لهم آمنوا) بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن أى إن المؤمنين نعوذ المنافقين من وجهين أحدهما التمسى عن الفساد
وهو التخلي عن الرذائل وثانيها الأمر بالإيمان وهو التحلى بالفضائل (كما آمن الناس) أى الكاملون
فى الإنسانية العاملون بقضية العقل كأصحاب النبي أو عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب

والمعنى آمنوا بآياتنا مقررنا بالاخلاص متعاضعين شوائب النفاق عما لا يلائمهم (قالوا) فيما بينهم
 لا بحضرة المسابن (أنؤمن) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كما آمن السفهاء) أى الجهال وانما
 سفهوا المؤمنين لتحقير شأنهم لأن أكثرهم فقراء وبعضهم ووال كصهيب وبلال أولهم المبالاة بمن
 آمن منهم إن فسر الناس بعبد الله بن سلام وأصحابه قال الله تعالى دأب عليهم أبلغ رد (ألا) أى إلى (أنهم هم
 السفهاء) أى الجهال الخرفي (ولكن لا يعلمون) أنهم سفهاء (وإذا دعوا) أى المنافقون (الذين
 آمنوا) أبابكر وأصحابه (قالوا آمنا) في السر كما يمانكم (وإذا خلوا) أى عادوا (إلى شياطينهم)
 أى أكثرهم الذين يقدر على الفساد في الأرض وهم خمسة نفر كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة
 وأبو بردة في بني أسلم وعبد المذاري جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن الأسود بالشام (قالوا)
 لهم لئلا يتوهموا فيهم المباشرة (انامعكم) أى على دينكم في السر (انما نحن) في اظهار
 الايمان عند المؤمنين (مستهزئون) هم من غير أن يخطر ببالنا الايمان حقيقة (الله يستهزئ بهم)
 أى الله يعاملهم معاملة المستهزئ في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فإنه تعالى أطلع الرسول على أسرارهم
 مع أنهم كانوا يبايعون في اخفاها عنه وأما في الآخرة فقال ابن عباس إذا دخل المؤمن الجنة والكافرون
 النار ففتح الله من الجنة بابا على الحليم في الموضع الذي هو ممكن المنافقين وإذا رأى المنافقون الباب مفتوحا
 خرجوا من الحليم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فإذا وصلوا إلى باب الجنة سد عليهم
 الباب وذلك قوله تعالى في اليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (ويعدهم في طغيانهم) أى يزيدهم
 في ضلالهم (يعمهمون) أى يترددون في الكفر وتركة التحسين (أولئك الذين اشتروا الضلالة
 بالهدى) أى أولئك الموصوفون بالصفات السابقة من قوله ومن الناس اختاروا الكفر على الايمان
 (فما ربح تجارتهم) أى فتم يربحوا في تجارتهم بل خسروا (وما كانوا مهتدين) إلى طرق التجارة فإن
 المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهو لا قد أضاعوه ما فرأى ما لهم العقل والصرف ورجحه الهدى
 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) أى صفة المنافقين في حال نفاقهم كصفة الذي أوقد نارا في ظلمة لكي
 يأمن بها على نفسه وأهله وماله (فلما أضأت ماحولته) أى فلما أضأت النار المكن الذي حول المستوقد
 فأبصر وأمن ما يخافه (ذهب الله بنورهم) أى أطفأ الله النور المقصود باليقاد في المستوقد في
 ظلمة وخوف (وتركهم) أى المستوقدين (في ظلمات) ظلمة الليل وظلمة تراكم الغمام فيه
 وظلمة انطفاء النار (لا يبصرون) ما حولهم فكذلك هؤلاء المنافقون آمنوا على أنفسهم وأولادهم
 وأموالهم بسبب اظهار كلمة الايمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب وهم في القبر وما بعده
 (صم) عن الحق فلا يسمعون ما يحق قبول (بكم) عن الخير فلا يسمعون قوله طابقا الواقع لما سبق أنهم
 مؤمنون ظاهرا (عمى) عن طريق الهدى فلا يرونه رؤية نافعة (فهم لا يرجعون) عن كفرهم
 وضلالهم (أو كصيب) أوصفة المنافقين كصفة أصحاب مطر نازل (من السماء) أى السحاب ليلا
 وهم في مفارقة (فيه) أى الصيب (ظلمات) ظلمة تسكنه بتتابع القطر وظلمة انطلال الغمامة مع ظلمة
 الليل (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب إذا أخذتها الريح فتصوت
 عند ذلك من الارتعاد (ورق) وهو ما يلعب من السحاب (يجعلون) أى أصحاب الصيب (أصابعهم
 في آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصيحة الشديدة من صوت الرعد كونه معاقبة نار (حذر
 الموت) من سماعها فكذلك هؤلاء المنافقون إذا نزل القرآن المشبه بالمطر في أن كلا سبب الحياة وفيه ذكر

الكفر المشبه بالظلمات وعدم الاهتداء وذكر الوعيد على الكفر المشبه بالزجاج وادعائه وذكر
الحجج البينة المشبهة بالبرق في ظهوره يسدون آذانهم من سمع القرآن حذرا لميل الى الايمان الذي هو
عزلة الموت عندهم فان ترك الدين موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدره فلا يقوته تعالى لان
الله اطلاق فوت المحيط يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء أي البرق (لهم مشوا فيه) أي في ضوء البرق
(واذا اظلم عليهم قاموا) أي بقوا في الظلمة وهذا غميل لازعاج ما في القرآن قلوبهم باختطاف البرق
بأبصارهم ولتصديقهم لما يحبونه من تحصيل الغنية وعصمة الدماء والاموال عيشهم في البرق ولو قوفهم
لما يكرهون من التكليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم بوقوفهم في الظلمة (ولو شاء الله) أن يذهب
بسمعهم وأبصارهم (لذهب بسمعهم) بتصفيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق كذلك لو شاء الله
لذهب بسمع المنافقين بزجر ما في القرآن وعيد ما فيه وأبصارهم بالبيان (ان الله على كل شيء) أي
ممكن من ذهاب السمع والبصر (قدير) قال الفخر الرازي وأضاء امامه عددي كلبان نور لهم مسلكا
أخذه وما غير متعدد يعني كلما مع لهم مشوا فيه بطرح نوره ويقويه قراءة ابن أبي عملة كلما اضاء (يا أيها
الناس) أي يا أهل مكة أو يا أيها اليهود (اعبدوا ربكم) أي وحدوه بالعبادة (الذي خلقكم)
نسما من النطفة (والذين من قبلكم) أي أنشأهم ولم يكنوا شيئا (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا
السخن والعذاب بعبادته ولعل للاطماع لكن الكبريم الرحيم اذا أطمع أجرى اطماعه مجرى وعده
المحتوم فلهذا السبب قيل لعل في كلام الله تعالى يعني كي (الذي جعل لكم الارض فراشا) أي
بساطا (والسما بناء) أي سقا من فوقا وعبر عنه بالبناء لاحكامه (وأزل من السماء ماء) وعن
خالدين معدان قال المطر ما يخرج من تحت العرش فينزل من السماء الى مياه حتى يجتمع في مياه الدنيا
فيجتمع في موضع فنجي السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء (فأخرج به من الفرات
رزقكم) أي أنبت الله بالمطر من ألوان الفرات ماء ما لكم ولما تخلق (فلا تجعلوا الله أندادا) أي
شركا في العبادة (وأنتم تعلمون) أن الانداد لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله أو يقال وأنتم تعلمون أنه
ليس في التوراة والانجيل جوار امتداد الانداد (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) محمد من القرآن
في انه من عند نفسه (فأوبسورة من مثله) أي من ما هو على صفة ما نزلنا في الفصاحة وحسن النظم
والاخبار بالغيوب (وادعوا شهداءكم من دون الله) أي ادعوا أكابركم من غيرته تعالى عن يوافقكم
في انكار أمر محمد ليعينوك على المعارضة واجتكموا الحكم وعليكم فيه ما يمكن ويتعذر وقد كان في العرب
أكابر يشهدون على المتنازعين في الفصاحة بأن أحدهما أعلا درجة من الآخر (ان كنتم صادقين)
في مقالكم ان محمد ايقول من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أي لم تأو بسورة من مثل المنزل (ولن
تفعلوا) أي لن تقدر وأن تحيوا بعثله (فاتقوا النار) والمعنى اذا ظهر عجزكم عن المعارضة مع عندكم
صدق محمد عليه السلام واذا مع ذلك فأتوا العناد واذا زعم العناد استوجبتم العقاب بالنار (التي
وقودها الناس) أي حطبها الكفار (والجماعة) المعبودة لهم قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم (أعدت) أي هيئت تلك النار (للكافرين) بما نزلناه وجعلت عذبا لهم (وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات) أي الطاعات (أن لهم جنات) أي بساكن ذات شجر ومساكن والمآورد
بالبشارة ما رسل الله صلى الله عليه وسلم واما كل أحد يقدر على البشارة وهذا أحسن كما قال صلى الله
عليه وسلم بشر المشائين الى المسجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة قول يا مرسى الله عليه وسلم بذلك

واحد ابينه وقرأ زيد بن علي وبشر بلفظ المبني للفعل عطفاً على أعدت (تجري من تحتها) أي من
تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أي أنهار النحر واللبن والعسل والماء وعن مسروق أنها الجنة
تجري في غير محدود (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) أي كل حين رزقوا وامتروا من الجنات من نوع
ثمرة (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي هذا مثل الذي أطعمنا في الجنة من قبل هذا الذي أحضر
الينا قال تعالى تصديقاً لتلك الدعوى (وأولاه مشابهاً) أي أنهم الملائكة والولدان برزق الجنة
متشابه بعضهم بعضاً في اللون ومختلف في الطعم (ولهم فيها) أي الجنات (أزواج) من الحور والآدميات
(مطهرة) من الحيض وجميع الأقدار ومن دنس الطبع وسوا الخلق (وهم فيها خالدون) أي دائمون
لا يموتون ولا يخرجون (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما) أي أن الله لا يترك أن يبين للخلق مثلاً أي
مثل كان (بعوضة فافوقها) في الذات كالذباب والعنكبوت وفي الغرض المقصود من التمثيل كنجاس
البعوضة وكيف يستحي الله من ذكر شيء واجتمع الخلق لائق كلهم على تخليقه ما قدر وأعاليه والمراد
بالبعوضة هنا الناموس وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله ستة أرجل وأربعة أجنحة
وذنب وخرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمال فيبلغ منه الغاية
حتى أن الجمل يموت من قرصته (فأما الذين آمنوا فاعلموا أنه) أي ضرب المثل (الحق) أي الثابت
(من ربهم) فلا يسوغ أنكاره لأنه ليس عشباً بل هو مشتمل على الأمراض والفوائد (وأما الذين
كفروا) من اليهود (فيعقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) غير نسيب من اسم الإشارة أي أي فائدة في
هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم (يضل به) أي هذا المثل عن الدين (كثيراً) من اليهود
(ويعرّب به كثيراً) من المؤمنين (وما يضل به إلا الفاسقين) أي الخارجين عن حد الإيمان (الذين
ينقضون عهد الله) هو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده وحدانيته وعلى وجوب صدق
رسوله (من بعد ميثاقه) أي تركيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قالته أمرهم أن يصلوا أحبلهم
بجبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار (ويفسدون في الأرض) بتعويق الناس
عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك) الموصوفون بنقض العهد وما بعده (هم الخامسون)
أي المقبوضون بذهاب حسنتهم التي عملوها وبذهاب نعم الجنة الذي وأطاعوا الله لوجوده (كيف
تكفرون بالله) الخال أنكم (كنتم أمواتاً) أجساماً لا حياة لها نطفة وعلقاً ومضغاً (فأحياكم)
بنفخ الروح فيكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالنشور (ثم إليه ترجعون)
بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم أن خير الخيرة أن تراقبتم والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب
(هو الذي خلقكم) أي لأجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجدكم وإصلاح الأبدان
(ما في الأرض جميعاً ثم استوى) أي قصد (إلى) خلق (السماء) أي ثم تعلقته أرادته تعلقاً حاداً
بترجيح وجود السماء على عدمها فعلقته القدرة بإيجادها (فسواءهن) أي لجعل السماء (سبع
سموات) والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين ثم خلق السموات السبع مبسوطة
في يومين ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في يومين عن ابن مسعود قال إن الله تعالى كلن عرشه على
الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماء
سماء ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فقهها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والثنين فجعل
الأرض على حوت والحوت في الماء على صفاة واصفاة على ظهر ملك والملك على العنبرة والعنبرة على

الرمح فتهرك الحوت فتزلات الارض فأرصى عليها الجبال فقربت فالجبال تغتر على الارض (والله بكل
 شيء عليم) فلا يمكن أن يكون ما قاله الارض وما فيها والسموات وما فيها من الجبابرة والغرائب الا اذا كان
 عالمها محيطا بجزئياتها او كليتها (واذا قال ذلك للملائكة) فاذ نصب يا ضمار اذ كرم وقيل زائدة وقيل بمعنى
 قد وجوز ان يتصب وقالوا أن تجعل أى قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى لهم انى جاعل فى الارض خليفة
 روى الصحاح عن ابن عباس انه تعالى انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا فى الارض محاربين مع
 ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله
 ابليس فى جنود من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوه من الارض وألحقوهم بجزائر البحر
 وهو لا يخرج من الجن انزلهم الله من السماء الى الارض ليطرد الجن الى الجزائر والجبال وسكنوا الارض
 تخفف الله عنهم العبادات وكان ابليس يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله الحجب
 وقال فى نفسه ما أعطانى الله هذا الملك الا لاني أكرم الملائكة عليه فقال تعالى له ولجنه (انى جاعل فى
 الارض خليفة) أى بدلا منكم ورافعكم الى فكره هو اذ لك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد به أم عليه
 السلام (قالوا) استكشافا عما خفى عليهم من الحكمة لا اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا فى بنى آدم
 على طريق الغيبة (أنجعل فيهما من يفسد فيها) بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية (وبسفل الدماء)
 بالظلم بمقتضى القوة الغضبية ففعلوا عن مقتضى القوة العقلية التي بها يحصل السكينة والفضل (ونحن
 نسبح) أى ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين (بمحمدك) على ما نعتت به عليهما من فنون
 النعم التي من حملتها توفيقا لهذه العبادات والتسبيح لاظهار صفات الجلال ومحمدتد كبر صفات الانعام
 (ونقدس لك) أى نصفيك بما يليق بك من العلو والعز وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نظهر نفوسنا
 عن الذنوب لاجلك أى فنحن أحق بالاستخلاق (قال) تعالى (انى أعلم ما لا تعلمون) من مصلحة استخلاق
 آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) أى أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع
 اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم (ثم عرضهم) أى ذوات الاشياء (على الملائكة) بأن
 صور الله الاشياء في قلوبهم فصارت كأنهم شاهدوها أو خلق الله تعالى معاني الاسماء انى علمها آدم
 حتى شاهدتها الملائكة (فقال) تعالى له تويمنا (أنبؤني باسماء هؤلاء) المسميات (ان كنتم
 صادقين) فى زعمكم أنكم أحق بالخلافة عن استخلفته (قالوا) اقرارا بانجز (سجداك) أى تبنا اليك
 من ذلك القول (لاعلم لنا الا ما علمتنا) أى وانما قالوا أنجعل فيهما من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك
 فكانهم قالوا انك أعلمتنا انهم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء فقلنا لك أنجعل فيهما من يفسد فيها
 وما هذه الاسماء فانك ما علمتنا كيف نعلمها (انك أنت العليم) الذى لا يخرج عن عمله
 شيء (الحكيم) أى المحكم لصنفته (قال) تعالى (يا آدم أنبئهم) أى اخبر الملائكة (باسماءهم)
 أى المسميات (فلمّا أنبأهم بأسمائهم) مفصلة وبين لهم أحوال كل من المسميات وخواصه وأحكامه
 المتعلقة بالمعاش والمعاد (قال) الله تعالى لهم موبخا (الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض)
 أى أعلم غيب ما يكون فيهما (وأعلم ما تبدون) أى تظهرون من قولكم أنجعل فيها الى آخره (وما كنتم
 تكتمون) أى من استبطن انكم أحق بالخلافة وروى الشعبي عن ابن عباس وابن مسعود أن المراد
 بقوله تعالى ما تبدون قولهم أنجعل فيهما من يفسد فيها ويقونه وما كنتم تكتمون ما أمر ابليس فى نفسه
 من الكبر ومن أن لا يسجد وقيل لما خلق الله تعالى آدم رب الملائكة خلقا عجيفا والواكف ما شاء فخلق

يخلق ربنا خلقا لا كئنا كرم عليه منه فهذا الذي كتموه (واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم) يسجدون تعظيم
 لآدم من غير وضع الجبهة على الأرض (فسجدوا إلا إبليس أبى) عن أمر الله (واستكبر) أى
 تعاطى عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى صار من الكافرين بأبائه عن أمر الله ويقال إن
 إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كقراؤه هذا السجود كان قبل دخول آدم الجنة وروى أن
 بنى آدم عشر الجن والجن وبني آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر
 حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل
 هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم السكك في مقابلة
 ملائكة الكرمى ترزق ليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السراشق الواحد من سرادقات العرش التى
 عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه مائة الف ذراع والسموات والأرضون وما فيها وما بينهما
 فانها كلها كروية شيا يبرأ وقد راص غير أو ما من مقدار موضع قدم ألا وفيه ملك ساجد أو راكم أو قائم لهم
 زجل بالتسبيح والتتدريس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالنظرة في البحر
 ولا يعلم عددهم إلا الله ثم مع هؤلاء ملائكة الألواح الذين هم أشياخ اسرافيل عليه السلام والملائكة التى
 هم جنود جبريل عليه السلام وكلهم مشغولون بعبادته تعالى لا يخصص أحدا منهم ولا مدة أعمارهم
 ولا كيفية عبادتهم إلا الله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) حواء (الجنة وكل منها) أكلا
 (رغدا) أى واستعنا لذيذا (حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتما منها (ولا تقربا هذه الشجرة) روى
 أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة فقال هى الشجرة
 المباركة السنبلة وعن مجاهد وقتادة هى التين وعن يزيد بن عبد الله هى الأترج وعن ابن عباس هى
 شجرة العلم عليهما من كل لون وفن (فتكونا من الظالمين) أى فتصير من الضارين لأنفسكما ويقال من الذين
 وضعوا أمر الله تعالى فى غير موضعه (فأزلهما الشيطان) أى أزلهما إبليس (عنهما) أى الجنة
 وقرأ حمزة بآلف بعد الزاى والباقيون بغير ألف وتشديد اللام (فأخرجهما عما كانا فيه) أى من الرغد
 (وقلنا) لآدم وحواء وإبليس (اهبطوا) انزلوا إلى الأرض فهبط آدم بسريته من أرض الهند على
 جبل يقال له نود وهبطت حواء بجدة وإبليس بالبلية من أعمال البصرة (بعضكم لبعض عدو) قال
 الله تعالى إن الشيطان لكاعد ومبين (ولكن فى الأرض مستقر) أى منزل (ومتاع) أى منفعة
 ومعاش (إلى حين) أى إلى وقت الموت (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى حفظ آدم من ربه كلمات لكي
 تكون سبيله ولا ولادة إلى التوبة وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءته عن الله تعالى ثلاث
 قال سعيد بن جبر عن ابن عباس أنها لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فأغفر لى
 انك أنت خير الغافرين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فأغفر لى انك أنت خير
 الراحمين لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فقب على انك أنت التواب الرحيم وقال
 مجاهد وقتادة هى ربنا خلقنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (فتاب عليه) أى
 رجى عليه بالرحمة وقبول التوبة (انه هو التواب) أى الرجاء على عبادته بالمغفرة (الرحيم) أى
 البالغ فى الرحمة لمن مات على التوبة (قلنا اهبطوا منها) أى الجنة (جميعا) أى فى زمان واحد وفى أزمنة
 متفرقة وفائدة تكرير الأمر بالهبوط أن آدم وحواء لما أتيا بالزينة أمر بالهبوط فتأبى بعد الأمر به ووقع
 فى قلبهما أن الأمر به لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة فلا يبقى الأمر به فأعاد الله الأمر به مرة ثانية ليعلما
 أن الأمر به باق بعد التوبة لأن الأمر به كان تحقيقا للوعدا المتقد فى قوله تعالى انى جاعل فى الأرض

خليفة وعلى هذا فالجمع لاثنتين فقط آدم وحواء ويحفل كونهما بالجمع لهما ولولا هسما قابيل وأقلميا بناء
 على القول بأنهم ما ولدوا في الجنة ولعل عدم ذكرهما كونهما تابعيين لأبويهما ما كان قابيل قد غضبه أبواه
 لقتله هابيل (وأما يا بنيكم) يا ذرية آدم (مبنى هدى) دلالة كدليل العقل والنقل وإن للشرطية أدغمت
 في ما الزائدة للتأكيد (فمن تباع هدى) بأن تأمل الأدلة بمجتها واسمها فتتبع المعارف منها (فلا خوف عليهم)
 فيما يستقبلهم من العذاب (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من الدنيا وبما قال فلا خوف عليهم إذا ذبح الموت
 ولا هم يحزنون إذا طبقت النار وزوال الخوف ينشعن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضي
 الوصول إلى كل اللذات والمرادات وهذا يدل على أن المكاتب الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر
 وعند البعث وعند حضور الموقف وعند تطاير الكتب وعند نصب الميزان وعند الصراط (والذين كفروا)
 برسلنا المرسل إليهم (وكنوا يا أيها الناس) المنزلة عليهم سواء كانوا من الأنس أو من الجن (أولئك أصحاب النار)
 أي أهل النار ولازموا حيث لا يفارقونها (هم فيها خالدون) أي دائمون لا يخرجون منها ولا يموتون
 فيها (يا بني إسرائيل) أي يا أولاد يعقوب وهذا خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من
 قولا يعقوب عليه السلام في أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)
 أي على آبائكم من الأنبياء من فرعون وقلق البحر وتظليل الغمام في التيه وانزال المن والسلوى فيه
 واعطاء الحجر الذي كان كراس الرجل يسقيهم ما شاؤوا من الماء متى أرادوا واعطاء عود من النور ليضيئ
 لهم بالليل وجعل رؤسهم لا تشعث وتياهم لا تبلى وجعلهم أنبياء وملوكا بعد أن كانوا عبيدا لا يقبض وانزال
 الكتب العظيمة التي ما أنزلها الله على أمة سواهم أي أفيوا بشكر تلك النعمة (وأوفوا بعهدي) أي
 أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي ومن الوفاء بالأمر بالإيمان بمحمد صلى الله
 عليه وسلم (أوف بعهدكم) أي أرض عنكم وأدخلكم الجنة (وإياي فارهبون) أي ما تأتون وتركون
 واعلم أن كل من كان خوفي في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس روي أنه ينادى مناد يوم
 القيامة وهزني وجلالي أني لا أجمع على عبيدي خوفين ولا آمنين من أمني في الدنيا خوفي يوم القيامة
 ومن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة (وأموا بما أنزلت) من القرآن (مصدقاً) أي موافقاً
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وبعض الشرائع (لما معكم) من التوراة (ولا تكونوا أول
 كافرين) أي بالقرآن من اليهود فإن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وفيها قرينة والنضير
 فكفروا به صلى الله عليه وسلم ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر ويقال ولا تكونوا أول من يجمع
 المعرفة لأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة (ولا تشروا بآياتي) أي بآياتي بصفة محمد (ثمنا
 قليلاً) أي عوضاً يسيراً وذلك لأن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأمثالهم ما
 كانوا يأخذون من سقلة اليهود الهدايا وعلموا أنهم لو اتبعوا محمد لا نقطعت عنهم تلك الهدايا فأصروا على
 الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك المقدار المحرور ذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة إلى الدين قليلة جداً ثم تلك الهدايا
 كانت في نهاية القلة بالنسبة إلى الدنيا (وإياي فاهتفون) أي تحافوني في شأن هذا النبي صلى الله عليه
 وسلم (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكفوا الحق) والباء للاستعانة والمعنى ولا تتخلطوا الحق بسبب
 الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك لأن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد كانت
 نصوصاً خفية يحتاج في معرفتها إلى الاستدلال ثم أنهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على
 التأملين فيها بسبب الفاه الشبهات (وأنتم تعلمون) ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم
 يوم القيامة وذلك لأن التبليس صار صاروا للخلق عن قبول الحق إلى يوم القيامة ووداعها لهم إلى الأبد

على الباطل الى يوم القيامة ثم ذكر الله لزوم الشرائع عليهم بعد الايمان (واقبلوا الصلاة) أى اتقوا
الصلوات الخمس (واتوا الزكاة) أى اعطوا زكاة أموالكم (واركعوا مع الراكعين) أى صلوا
الصلوات الخمس مع المصلين محمد وأصحابه في جماعتهم وخص الله الر كوع بالذكور تحريضا لليهود على
الايمان بصلاة المسلمين فإن اليهود لا ركوع في صلاتهم فكانت تعالى قال صلوا الصلاة ذات الر كوع
في جماعة (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) روى عن ابن عباس أنه قال ان أحبار المدينة اذا
جاءهم أحد في الخفية لاستعلام أمرهم صلى الله عليه وسلم قالوا هو صادق فيما يقول وأمره حق
فاتبعوه وهم كانوا لا يتبعونه لطعمهم في الهدايا والصلوات التي كانت تصل اليهم من أتباعهم ويقال ان
جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر
منكم ويدعوا الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا
به فكذبهم الله تعالى بذلك فقال (وأنتم تتلون الكتاب) أى التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه
وسلم (أفلا تعقلون) أى أنتم لا تعقلون ما فيه (واستعينوا) أيها اليهود على ترك ما تنحبون
من الدنيا وعلى الدخول فيما تستغله طباعكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم (بالصبر) أى
بحبس النفس عن اللذات (والصلاة) فإنها جامعة لأنواع العبادات (وانها) أى الصلاة (الكبيرة)
أى لشاقة (الاعلى الخاشعين) أى المائلين الى الطاعة (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) بالوت في
كل لحظة وذلك لان كل من كان منتظرا الموت في كل لحظة لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون الى
التوبة لان خوف الموت عما يقوى دواعي التوبة (وأنهم يريدون أن يخرجوا من أعمالهم
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) أى واذكروا انى
فضلت آباءكم على الموجودين في زمانهم لا على من مضى ولا على من يوجد بعدهم وأيضا معني تفضيلهم
على جميع العوالم ان الله تعالى بعث منهم رسلا كثيرة لم يعفهم من أمة غيرهم ففضلوا لهذا النوع من
التفضيل على سائر الأمم (واتقوا) أيها اليهود ان لم تؤمنوا (يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل) بالتأنيث على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وبالتذكير على قراءة الباقيين (منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل) أى فداء (ولاهم نصر) أى يمنعون من عذاب الله تعالى ومعنى الآية أن يوم اقامة
لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا مما أصابها بل يغفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه
النيابة أن طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه (واذنبيناكم) وقرئ أنجبيناكم
ونجيتكم فاذ في موضع نصب عطفا على نعمتي عطف تفصيل على مجمل وكذلك الظروف والآية في
الكلام المتعلق ببني اسرائيل وينقضي عند قوله تعالى سيقول السفهاء والخطاب للموجودين في زمن
نبيناذ كبر الهم عما أنعم الله على آباؤهم لان النجا لا ياسبب في وجود الابناء والمعنى ويا بني اسرائيل
اذكروا اذنجينا آباءكم (من آل فرعون) أى أتباعه وأهل دينه وهرفرعون أكثر من أربع مائة
سنة وهو الوليد بن مصعب بن ديان (يسومونكم سوء العذاب) أى يطلبون لكم أشد العذاب ثم بين
الله ذلك بقوله (يذبحون أبناءكم) صغارا وقسرى يذبحون بالتحفيف (ويستحيون نساءكم) أى
يتركونهن احياء صغارا ويقال يستخدمونهن كبارا وذلك ان فرعون رأى في منامه نارا أقبلت من بيت
القدس حتى أحاطت بسيوت مصر وأحرقت كل قبلى وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة
وسألهم عن ذلك فقالوا بولدي بني اسرائيل ولد يكون هلالا القبط وزوال ملكك على يده فأمر فرعون
بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل حتى قتل من أولادهم اثني عشر ألف صبي (وفي ذلكم بلاه من ربكم

عظيم) والبلاء ههنا هو المحنة ان أشير بلفظ ذلكم الى صنع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء من رجل
 البلاء على النعمة أحسن لانها هي التي صدرت من الله تعالى ولان موضع الحجّة على اليهود انعام الله
 تعالى على اسلافهم ثم ان كون استمعاة تساقم على الحياة مخدنة مع انه ترك للعذاب لما أن ذلك كان
 للاستعمال في الاعمال الشاقة وكان سبباً لانقطاع النسل ولفساد أمر معيشتهم (واذ فرقنا بكم
 البحر) أي واذا ذكرنا واذا قلنا بيبكم أي لأجل ان يتيسر لكم سلوككم (فأنجيناكم) من الغرق
 بانواجكم الى الساحل (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) النظام أمواج البحر فرعون وقومه
 وترون بعد ثلاثة أيام جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وفرعون معهم طافين روى انه تعالى أسر
 موسى عليه السلام أن يسرى بني إسرائيل وكلوا اثني عشر سبطاً كل سبط خمسون ألفاً لما خرج موسى
 بني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوه هم حتى يصحح الدين ثم اجتمع الى فرعون ألف ألف ومائتا
 ألف كل واحد منهم على فرس فتنبعوا موسى وقومه نهاراً وصادفوههم على شاطئ البحر فضرب موسى
 بعضاً لبحر فانشق البحر اثني عشر جبلاً في كل واحد منها طريق فكان فيه وحل فهبت الصبا لحق البحر
 حتى صار طريقاً يسافراً أخذ كل سبط منهم طريقاً فدخلوا فيه فقالوا لموسى ان بعضنا لا يرى صاحبه
 فضرب موسى عصاه على البحر فصارت بين الطرق منافذ وكوى فرأى بعضهم بعضاً فلما وصل فرعون شاطئ
 البحر رأى ابليس واقفاً فنهأ على الدخول فجا جبريل على حجره فتقدم فرعون وهو على الخيل فتبعها فرس
 فرعون فلما دخل فرعون البحر صاح ميكائيل بهم من خلفهم وهو على فرس فقال األقوا آخركم بأولكم
 فلما دخلوا البحر ولم يبق واحد منهم انظم البحر عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ
 وهو بحر القلزم طرف من بحر فارس وقيل كان ذلك اليوم يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك
 اليوم شكر الله تعالى (واذ واعدنا موسى) قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير ألف في هذه السورة وفي الاعراف
 وفيه وقرأه الباقر بالالف في المواضع الثلاثة (أربعين ليلة) باعطاء الكتاب (ثم اتخذتم الجبل)
 أي عبدتم الجبل المعنى هموت (من بعده) أي بعد انطلاقة الى الجبل (وأنتم ظالمون) أي ضارون
 لانفسكم وقيل وعد موسى عليه السلام بني إسرائيل وهربصر ان أهلك الله عدوهم أناهم بكتاب
 من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره أن يجيء
 الى الطور ويصوم فيه ذا القعدة وعشر ذي الحجة فذهب اليه واستخلف هرون على بني إسرائيل ومكث في
 الطور أربعين ليلة وأتركت عليه التوراة في ألواح من زبرجد فلما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقي مع بني
 إسرائيل الثياب والحلي الذي استعاره من القبط لعمل عرس قال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي
 لانحل لكم فاحرقوها لخمعوا ناراً وأحرقوها وكان موسى السامري في مسيرهم مع موسى عليه السلام في
 البحر نظر الى حافرة جبريل عليه السلام حين تقدم على فرعون في دخول البحر فقبض قبضة من تراب
 حافرة تلك الدابة ثم ان السامري أخذ ما كان معه من الذهب والفضة وصور منه عجلاً في ثلاثة أيام مرصعاً
 بالجواهر كأحسن ما يكون وألقى فيه ذلك التراب فخرج منه صوت ومشي فقال للقوم هذا الهكم والله موسى
 فتركه ههنا وخرج يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخلقوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
 عشرون يوماً لم يرجع موسى عليه السلام وقعوا في الفتنة فعبدوا كلهم الجبل الا هرون مع اثني عشر
 ألف رجل وكان موسى السامري رجلاً صانعاً من جماعة يقال لها سامرة وكان منافقاً يظهر الاسلام
 وكان من بني إسرائيل من قوم يعبدون البقر (ثم عفونا عنكم) أي نحونا ذنوبكم حين تبتم (من بعد

ذلك) أي من بعد عبادتكم الجبل (عليكم تشكرون) أي لكي تشكروا نعمة عفوئ وتستقروا بعد ذلك على طاعتي (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان) أي واذا كروا إذا عطينا موسى التوراة وبينافيهما الحلال والحرام والأمر والنهي وغير ذلك (عليكم تهتدون) لكي تهتدوا بتدبر الكتاب من الضلال (واذا قال موسى لقومه) الذين عبدوا الجبل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم) أي انكم نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالاقامة على عهد موسى عليه السلام (بأنخذكم الجبل) أي بعبادتكم الجبل فقالوا لموسى فاذنا أمرنا فقال لهم (فتوبوا إلى بارئكم) أي إلى خالقكم ولو أنظروا ثم التوبة بالبدن دون القلب فأنتم ما تبتتم إلى الله وإنما تبتتم إلى الناس قالوا كيف نتوب فقال لهم (فاقتلوا أنفسكم) أي سلوا أنفسكم بالقتل وارضوا به فأجابوا فأخذ عليهم الموائيق ليصبروا على القتل فأصبحوا مجتمعين فكل قبيلة على حدودها ثمانين ألفا الذين لم يعبدوا الجبل البتة وبأيديهم السيوف فقال الثابثون ان هؤلاء اخوانكم قد أتواكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه أرمط طرفه إليهم أو اتقاهم بيد أو رجل فيقولون آمين فجعلوا يقتلون من الصبح إلى المساء وقام موسى وهرون عليهم السلام يدعوان الله تعالى ويقولان البقية البقية يا الهنا فأوحى الله إليهما اني قد غفرت لمن قتل وتبت على من بقي وكان القتلى سبعين ألفا (ذلكم) أي القتل في التوبة (خير لكم عند بارئكم) لما فيه طهارة عن الشرك (فتاب عليكم) أي قبل توبة من قتل منكم وغفر لمن لم يقتل من بقية الجورين وعفا عنهم من غير قتل (انه هو التواب) أي المتجاوزان تاب (الرحيم) على من مات على التوبة (واذ قلتم يا موسى ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة) وذلك لما رجع موسى عليه السلام من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة الجبل حرق الجبل وألقاهم في البحر اختار من قومه سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فأجابته الله ولم اذنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم النظر إليه ومع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول له اقبل كذا ولا تفعل كذا فقام أتم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لا نصدق لك بأن ما نسمة مع كلام الله حتى نرى الله معاينة فأخرجهم ناز من السماء وما و أحياه و أقام موسى رافعا يديه إلى السماء يدعو ويقول يا الهى اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فأرجع إليهم وليس معي منهم واحد فلما الذين يقولون فلم يزل موسى مستغلا بالدعاء حتى ردا الله أرواحهم وبطلب توبة بني اسرائيل من عبادة الجبل فقال لا أقبل إلا أن يقتلوا أنفسهم (وأنتم تنظرون) إلى النار الواقعة من السماء (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أي ثم أحييناكم بعد حرقكم بالنار وبعد موتكم يوما وليلة وذلك لاظهار نار القدرة وليستوفوا بقية آجالهم وارزاقهم ولو ما و ابان قضاء آجالهم لم يحيوا إلى يوم القيامة (عليكم تشكرون) أي لكي تشكروا أحيائي (وظلنا عليكم الغمام) أي جعلنا المحجب الرقيق يظلمكم من حر الشمس أي وكان يسير يسيرهم وكانوا يسرون لئلا يراوا ينزل عليهم بالليل عمود من نور يسرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وذلك في التيه وهو راد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراعصم مكنوا فيه أربعين سنة متعيرين لا يمتدون إلى الخروج منه وسبب ذلك تخافتهم أمر الله تعالى بقتال الجبار الذين كانوا بالشام حيث امتنعوا من القتال (وأترلنا) في التيه (عليكم المن)

وهو شئ كالجمع كان يقع على الامصار طعمه كالشهد وكان يقع على اختيارهم من القجر الى طلوع
الشمس لكل انسان صاع (والسوى) فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه ليوم واحد واذا كان
يوم الجمعة يأخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت والسوى وهو طائر ليس له
ذنب ولا يطير الا قليلا ويموت اذا جمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد فيلهمه الله ان يسكن جزر
البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر ويتشرف في الارض
وخامته ان كل لحمه يلين القلوب القاسية (كأوا) أي وقتلناهم كأوا (من طيبات ما رزقناكم) أي من
مستلذات ما رزقناكم ولا تدخر والتدخر ادخر واقطع الله ذلك عنهم ودودما ادخروه (وما ظله ونا)
أي وما نقصونا بما ادخروا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يضررون لنقص أنفسهم خطيئهم
النعم (واذ قلنا) لهم بعد خروجهم من التيه على لسان موسى أوعلى لسان يوشع (ادخلوا هذه
القرية) كروى ان موسى عليه السلام سار بعد انقضاء الاربعين سنة عن بقي من بني اسرائيل ففتح ارضها بفتح
الهمزة وكسر الراء قرية الجبارين وهي بين القديسي وحووران وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض فيها وقيل انه
قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وان الله تعالى أمره بقتال الجبارة فسارهم يوشع
وقتل الجبارة وصار الشام كله لبني اسرائيل (فكلوا منها) أي تلك القرية (حيث تشتم رغدا) أي
موسعا عليكم (وادخلوا الباب) أي باب القرية أي من أي باب كان من أبوابها السبعة أو من باب
يسمى باب الحطة أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه
السلام (مجيذا) أي متحنيين متواذعين كلزكم (وقولوا حطة) أي ان القوم أمر وابلان يدخلوا
الباب على وجه الخضوع وأن يذكر وبالسيئات التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ذم القلب
وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وقرأ ابن عباس بالانصب والمعنى حط عن ذنوبنا حطة (نفقر
لكم خطايكم) وقرأنا نفع بالتذكير وابن عباس بالتأنيث على البناء للمجهول والباقيون بالنون المفتوحة
(وستزيد المحسنين) بالطاعة في حسناتهم (فبذل الذين ظلموا) أنفسهم (قولا غير الذي قيل لهم)
أي أمرهم أي قدخلوا الباب ذاهبين عن أدبارهم قائلين حطت على شعيرة استخفوا بأمر الله تعالى
(فأمرنا على الذين ظلموا) أي غير والامر (برحما) أي طاعونا مقدرا (من السماء) بما كانوا يفسقون
أي بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة روى أنهم دخلوا بالطاعة في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا
فهذا الزمان غير الذي حل بهم في التيه (واذكروا) (إذا استيق موسى لقومه) في التيه (فقلنا اضرب
بعصاك الحجر) وكانت العصا من أس الخنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان
في الظلمة تنورا حلها آدم مع من الخنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى وروى أن
ذلك الحجر جبرطوري حمله معه وكل من يعاله أربعة جوارب وكل من ذراع في ذراع سبع من كل وجه ثلاثة
أعين لكل سبط عن تسيل في جدول الى ذلك السبط وكانوا ستمائة ألف وسبعة الممكروا تسع مائة
وقيل كان حجرا أعطاه الله عليه اثنا عشر ثديا كئدي المرات يخرج من كل ثدي نهر اذا ضرب عصاه
عليه (فانفجرت منه اثنا عشر عينا) أي نهر (قد علم كل أناس) أي سبط (مشرهم) أي
موضع شرهم من نهرهم روى أنه كان لكل سبط عين من اثني عشرة عينا لا يشرك فيها غيره وقتلناهم
(كلوا) من المن والسوى (واشربوا) من الانهار كلها (من رزق الله) أي كلوا واشربوا من رزق
الله الذي يأتيكم بلا تعب (ولا تشعوا في الارض مفسدين) أي لا تتعدوا في الفساد في الارض في حالة

افساد كروية قال لا تمشوا في الارض على خلاف امر موسى (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) أي على أكل طعام واحد وهو المن والسلوى (فلا ع لنا) أي أسأل لاجلنا (ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها) أي من أطيبه التي تؤكل كالسكرس والكراث والنعناع (وقناتم ما قومها) أي ثومها كما هو مروي عن ابن عباس ومجاهد وهو اختيار الكسائي لأن النوم بانه في حرف عبد الله بن مسعود (وعدها وبصلها قال) أي موسى (أستبدلون الذي هو أدنى) أي أخس وهو الثوم والبصل (بالذي هو خير) أي أشرف وهو المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة إلى السعي (اهبطوا مصر) أي أخرجوا من هذا المكان إلى المكان الذي خرجتم منه (فإن لكم) هناك (ما سألتهم وضربت عليهم الذلة) أي جعلت على فروع بنى امرائيل الذلة بالجزية (والمسكنة) أي رى الفقر (وبأذا بغضب) أي استحقوا الغضب أي للعنة (من الله ذلك) أي الذلة والمسكنة والعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بسبب أنهم كانوا يجحدون على الاستمرار بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وآية الرحم التي في التوراة وبالأنجيل (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي ظلموا روى أن اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار ولم يغتموا حتى قاموا في آخر النهار يتسوقون مصالحهم وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء (ذلك) الغضب (بما عصوا وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون الحد يقتل الانبياء واستحلال المعاصي وهذا الذل الذي أصابهم هو بسبب قتلهم عيسى في زعمهم وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة عدة بعض العلماء من باب المهزات لأنه على الله عليه وسلم أخبر عن ضرب الذلة والمسكنة عليهم وقد وقع الامر كذلك فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون مجزا وهذا الكلام إلى قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معترض في خلال القصص المتعلقة بحكاية أحوال بنى امرائيل الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لأن قتل الانبياء إنما كان من فروعهم وذريتهم (ان الذين آمنوا والذين هادوا) أي الذين تهودوا (والنصارى) أي الذين تنصروا (والصابئين) أي الخارجين من دين إلى دين وهم قوم من النصاري يحلقون وسط رؤسهم ويرقون الزبور ويعبدون الملائكة يقولون صلات قلوبنا أي رجعت قلوبنا إلى الله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فيه لينهم وبين زعمهم (فلهم أجرهم عند ربهم) بأن يدخلهم الجنة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تقويت الثواب والمعنى ان الذين آمنوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في زمن الفجرة بعيسى عليه السلام مثل قس ابن ساعدة وبجيرة قال اهاب وحبيب البخاري وزيد بن عمرو بن ذئيل وورقة بن نوفل ومسلمان الغساري وأبي ذر الغفاري ووفد النجاشي والذين كانوا على الدين الباطل الذي إليه يهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم ببعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر ومحمد فلهم أجرهم عند ربهم والمعنى ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون واليهود والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهذا قول سفيان الثوري (واذا أخذنا منكم) أي اقراركم بقبول التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤوسكم الجبل مقدرا إقامة كالظلة وكان فرمخا في فرمخ حتى أعطيت الميثاق وقلنا (خذوا ما آتيناكم) أي اعمدوا بما أعطيناكم من الكتاب (بقوة) أي بجهد (واذكروا ما فيه) من الثواب والعقاب واحفظوا ما فيه من الحلال والحرام (لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المعاصي (ثم توليتم) أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) أي رفع الطور وإتياء التوراة (قلولا فضل الله عليكم) بتأخير العذاب (ورحمته) بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليكم (لكنتم من

الخامس (أى أمرهم من المغبونين بالعقوبة وبالانهمك في المعاصي) (واقدم علمت الذين اعتدوا منكم
 في السبت) أى وبالله لقد عرفتم عقوبة الذين تجاوزوا الحد منكم يوم السبت في زمن داود عليه السلام
 روى أنهم أمروا بأن يجمعوا يوم السبت للعبادة وتركوا الصيد وهؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه
 السلام وكانوا يسكنون بأيلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجمع إليه الحيتان
 من كل أرض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرة ما وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة ففروا
 حينما عند البحر وقرعوا إليها الحداد فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس
 في الحياض هو اعتداؤهم ثم أنهم أخذوا السمك وهم خائفون من العقوبة فلما طال الزمان استحسن الأبناء
 بسنة الآباء فشى اليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد يوم السبت ونهوههم فلم ينتهوا وقالوا
 نحن في هذا العمل منذ أزمان فماذا الله به الاخير اقصي لهم لا تغرروا فغريهم وانزل بهم العذاب فأصبح القوم
 قردة خاسئين فكانوا كذلك ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتوالدوا ثم هلكوا وذلك قوله تعالى (فلما
 لم يمسكوا) أى صبروا (قردة خاسئين) أى ذليلين مبعدين عن الرحمة والشرف (فلما علمناها) أى
 المسخفة أو القردة أو قرية أصحاب السبت أو هذه الأمة (نكالا لما ينهوا عما خلفها) أى عقوبة رادعة
 للام التي في زمانها وبعد هالي يوم القيامة أو لما قرب من تلك القرية وما تبعها عنها وأعوذ بالله لا جل ما تقدم
 على هذه الامم من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للنتقين) أى لكل متقى مع تلك الواقعة فإنه يخاف
 ان فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم والمراد بقوله تعالى كونوا مرة التذكير وانهم صاروا
 كذلك كما أراد الله بهم (واذ قال موسى لقومه) أى واذا ذكرنا وقت قول موسى عليه السلام لا حولكم
 (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) روى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلا فقيرا في بني اسرائيل
 قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه لى يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكاذ ذلك الى موسى عليه السلام
 فأجابه موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله
 يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا من ذلك ثم شددوا على انفسهم بالاستغفار حالاً بعد حال واستصوا في طلب
 الوصف فلما تبينت البقرة لم يجدوها ذلك النعت الا عند انسان معين ولم يبعها الا بأضعاف ثمنها فاشتروها
 فذبحوها وأمرهم موسى أن يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القاتل ففعلوا فصاروا مقتول حيا وعين لهم قاتله
 وهو الذي ابتهد بالشكابة فقتلوه قودا (قالوا اتخذاها زوا) أى اتستهزى بنا يا موسى فان سؤالا عن
 أمر القاتل وأنت تأمرنا بدمج بقرة وانما قالوا ذلك لانهم لم يعلموا أن الحكمة هي حياة القاتل بضر به ببعض
 البقرة واخباره بقاتله (قال) أى موسى (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) أى المستهزئين
 بالمؤمنين لأن الهزء في أثناء تبليغ أمر الله تعالى جهل فلما علموا أن الأمر بالذبح حق (قالوا ادع لنا)
 أى لاجلنا (ربك يمين لنا ما هي) أى ما سنأخذها الصغيرة أو كبيرة (قال انه) أى الله تعالى (يقول انها
 بقرة لا فارض) أى كبيرة في السن (ولا بكر) أى صغيرة (عوان بين ذلك) أى وسط بين المسنة
 والفتية (فأعلموا ما تؤمرون) به من ذبحها (قالوا ادع لنا ربك يمين لنا ما وئدنا قال انه) تعالى
 (يقول انها بقرة صفراء فاقم لونها) أى صاف لونها (تسر الناظرين) اليها بسبب حسناتها وتجهيزهم من
 شدة صفرتها لغرائبها وخر وجهها عن المعتاد (قالوا ادع لنا ربك يمين لنا ما هي) أعاملة هي أم لا (ان
 البقر تشابه علينا واننا لنشا الله لهن دون) الى وصفها أو انى القاتل (قال انه) تعالى (يقول انها
 بقرة لاذنول) أى غيرة مدللة (تثير الارض) أى تقلبها للزراعة (ولا تسقى الحرث) أى الزرع

(مسألة) من كل عيب (لاشبهة فيها) أي لا خلط في لونها قال مجاهد لا يبيض فيها ولا سواد (قالوا
الآن جئت بالحق) أي نطفت بالبيان المحقق فتشوا عليها فوجدوها عند الفتى البار لا معه فاشتروها
بجلدها (فذهبوا وما كادوا يفقهون) أي ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ويقال وما
كادوا أن يذهبوها لاجل غلاظتها أو لظهور الفضيضة في ظهورها قال روى أنه كان في بني إسرائيل شيخ
صالح له ابن مفل وله عجلة فأتى بها إلى الغيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر فكانت
من أحسن البقر وأسمها قلما أكبر الابن كان باراً والدته فكان يسمى الليل أو لا ياصلي ثلثاً وينام ثلثاً
ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فلما أصبح احتطب على ظهوره فيبيع الحطب في السوق ثم يتصدق بثلثه
ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه ثم أمرته أمه أن تأخذ تلك العجلة من الغيضة فلما أخذها
قالت له أمه ائذ فقير يشق عليك الاحتطاب بالانهار والقيام بالليل فبيع هذه البقرة فقال بكم أبيعها
قالت بثلاثة دنائير ولا تبس غير شورتى وكان عن البقرة اذ ذاك ثلاثة دنائير فانطلق بها إلى السوق فبعث
الله ملكاً ليختبر الفتى كيف يربى والدته فقال الملك له بكم تبس هذه البقرة فقال بثلاثة دنائير بشرط رضى
والدنى فقال الملك لك ستة دنائير ولا تستأذن أمك فقال الفتى لو أعطيتنى وزها ذهباً لم آخذها إلا رضى
أمى فردها إلى أمه وأخبرها بالذي من فقالت ارجع فبيعها بسنة دنائير على رضائى فانطلق بها إلى السوق وأتى
الملك فقال استأذنت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أتفصها عن ستة دنائير على أن استأذنها فقال الملك
انى أعطيتك اثني عشر ديناراً على أن لا تستأذنها فأتى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت ان
الذى يأتلك ملك في صورة آدمى ليختبرك فإذا أتاك فقل له أنا امرأتى أن تبس هذه البقرة أم لا ففعل فقال
الملك له اذهب إلى أمك وقل لها المسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشترىها منك ليقبل يقتل في بني
إسرائيل فلا تبسها إلا بمل مسكها ذهباً دنائير فأمسكها وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة
يعينهم كفاة للفتى على ربها والدته فضلاً من الله تعالى (واذ قتلتم نفساً) اسمها عاميل وقيل نكار
(فأدارأتم فيها) أي تخاصمتم في شأنها (والله يخرج) أي يظهر (ما كنتم تسكنون) من قتلها
وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فأدارأتم قوله (فقلنا اضربوه) أي القتل
(ببعضها) أي بعض من أعضاء البقرة قيل بذنبها وقيل بلسانها وقيل بفمها لا يمين ففعلوا ذلك فقام
القتيل حياً بأذن الله تعالى وأودجه تشعب دماً وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فقتل فأتته طهرم
الميراث وفي الحديث ما ورت قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أي كما أحياء الله عاميل في الدنيا
(يحسب الله الموت) في الآخرة من غير احتياج إلى آلة (ويرىكم آياته) أي يجعلكم مبشرين بدلائل
قدرته وأحيائه للآيات (العلكم تتقون) أي لكي تعلموا أن من قدر على أحياء نفس واحدة قدر على
أحياء نفوس كثيرة فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ثم قست قلوبكم) أي اليهود فلم تقبل الحق (من
بعد ذلك) أي أحياء عاميل وأخباره بقاتله أو من بعد الامور التي جرت على أجدادكم (فهى كالخجارة)
في الصلابة (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة ما يتفجر منه انهار) قال الحكماء ان الانهار
انما تنشأ عن ابخرة تجتمع في باطن الأرض فان كان ظاهراً الأرض رخواً انشقت تلك الابخرة وانفصلت
وان كان ظاهراً الأرض جبراً اجتمعت تلك الابخرة حتى تكثر كثرة عظيمة فنشق الأرض وتسيل تلك
المياه أنهاراً (وان منها ما يشقى فيخرج منه ماء) أي العيون الصغار التي هي دون الانهار (وان
منها ما يهبط) أي يتسرح من أعلى الجبل إلى أسفله (من خشية الله) أي من انقياد أمر الله

قلوبكم أيها اليهود لا تهزركم من خوف الله واللام في الملام لا تبدأ دخلت على أمم إن وهو ما يعني الذي
والغصير منه ويشقق ويهبط يعود عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي إن الله يحافظ لأعمال
القاسية قلوبهم حتى يجازيهم في الآخرة وقرأ ابن كثير بأنباء على الغيبة (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
وقرآن فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) أي أفتطمعون أيها
النبي والمؤمنون أن يؤمن هؤلاء اليهود بدعواستكم ويستحييواكم والحال إن طائفة منهم وهم أحبارهم
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يغيرونه من بعد المعنى الذي فهموه به ولهم وهم يعلمون أنهم مفترون
وذلك كنعت محمد صلى الله عليه وسلم فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة أكل العين ربقة جعد
الشعر حسن الوجه كتبوا بطواطيل أزرق العين سبط الشعر وقال ابن عباس والمعنى أقر جو
يا أشرف الخلق أن تؤمن بك اليهود والحال إن أسلافهم وهم السبعون المختارون للبيات الذين كانوا مع
موسى يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يغيرونه من بعد ما علوه يقينا وهم يعلمون أنهم يغيرونه وذلك أنهم
قالوا سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم أن لا تفعلوا
فلا بأس (واذ القوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي إن منافي أهل الكتاب كانوا إذا قوا أصحاب سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وإن قوله حق ونجد بعتقه
في كتابنا (واذا خلا بعضهم) أي رجع الساکتون الذين لم ينافقوا (إلى بعض) آخر منهم وهو
منافقهم (قالوا) أي الساکتون مومنين للمنافقين (أنتخذونهم) أي المؤمنین (بما فتح الله
عليكم) أي بما بين الله لكم في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ليحاجوكم به عند ربكم)
أي ليقيموا الحق عليكم بما أنزل ربكم في كتابه في ترك اتباع محمد مع إقراركم بصدقه وقوله تعالى ليحاجوكم
متعلق بالتحديث والمراد بهذا تشديد التوبيخ فإن التحديث بذلك لاجل هذا الفرض مما لا يكاد يصدر عن
العاقل أي أنتخذونهم بذلك ليحاجوكم بكم بكتاب الله وحكمه ويقال عند الله كذا معناه في كتابه وحكمه
(أفلا تعقلون) إن ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولايهون) أي اللادعون أو المنافقون أو كلاهما (أن
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي أسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار
غيره فيعروا عن ذلك (ومنهم) أي اليهود (أميون) أي جهلة (لا يعلمون الكتاب) أي
لا يعرفونه بقراءة ولا كتابة وطريقة تفهم التقليد (الأماني) أي الأمام عليهم من أمانتهم في أن الله
لا يؤاخذهم بخطاياهم وإن آياهم الأنبياء يسمعون لهم وما تحملهم أحبارهم على غنى قلوبهم من أن
النار لا تمسهم إلا أياما معدودة ومن أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا وقالوا كثر من لا يقدر ما يتلى
عليهم فيسمعونه أو لا يقرؤون قراءة عن معرفة المعنى (وانهم لا ينظنون) أي ما هم يعرفون
الكتاب إلا بأن يذكرهم تأريلا فظنوه (قويل) أي عذاب ألم أو حصيل صيد أهل جهنم أو شدة الشر
(الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا) في الكتاب الذي جاء (من عند الله ليشتروا به)
أي ليأخذوا لأنفسهم عقابا للكتاب المحرف (غنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا وهم اليهود وغيرهم
صفة النبي في التوراة رؤية الرجم وغيره فغير وآية الرجم بالجلد والتخميم أي تسويد الوجه (قويل
لهم) أي فشد العذاب لهم (عما كتب بأيديهم) أي فيما غيرت أيديهم (وويل لهم عما يكتبون)
أي يصيدون من الحرام والزسوة (وقالوا) أي اليهود (إن تمسنا النار إلا أياما معدودة) أي قليلة
قال مجاهد إن اليهود كانت تقول عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فأنه تعالى يعذبهم مكان ألف سنة يوما

فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة ايام وحكى الاصمعي عن بعض اليهود انهم عبدوا الجبل سبعة ايام فكانوا يقولون ان الله تعالى يعذبنا سبعة ايام وذلك كما اخرج الطبراني وغيره بسند حسن عن ابن عباس واخرج ابن ابي حاتم وابن جرير عن طريق ضعيفة عنه انها اربعين يوما (قل) لهم يا اشرق الخلق (اتخذتم عند الله عهدا) اى خيرا فان خبره تعالى او كذب من اليهود المؤكدة من بالقسم والنذر (فلن يخلف الله عهدا) اى وان الله تعالى منزه عن الكذب في وعده ووعيده لان الكذب صفة نقص والنقص على الله محال (أم تقولون) مفسرين (على الله ما لا تعلمون) وقوعه اى أم لم تتخذوا من الله عهدا بل تقولون عليه تعالى (بلى) تحسبكم النار أبدا (من كسب سيئة) اى كفرا (وأحاطت به خطيئته) اى كبريته بأن مات على الكفر (فأرسلك) اى أهل هذه الصفة (أصحاب النار) اى ملازموها فى الآخرة (هم فيها خالدون) اى لا يخرجون منها أما أصحاب الكفار غير الكافرين فإنا نقطع بأنه تعالى يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ولكن لا تتوقف فى حق كل أحد على التعبد انه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بأنه تعالى اذا عذب أحدا منهم مدة فإنه لا يعذبه أبدا بل يقطع عذابه وهذا قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وقرأنا نوع خطيئته بالجمع والمراد بالخطيئات أنواع الكفر المحددة فى كل وقت (والذين آمنوا) بحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا يعوتون فيها ولا يخرجون منها (واذا أخذنا) فى التوراة (ميثاق بنى اسرائيل) الذين كانوا فى زمن موسى (لا تعبدون الا الله) اى لا تشكرون به شيئا قرأ ابن كثير وحزمة والكسائى بالياء على الغيبة وقرأ عبد الله وابى لا تعبدوا بصريح النهى وهذه قراءة مشاذة (وبأولادهم احسانا) وهو متعلق بمحذوف اى وتحسنون أو أحسنوا بالبر بهم ما وان كانا كافرين بأن لا يؤذيهم ما البتة ويوصل اليهم من المنافع قدر ما يحتاجان اليه فيدخل فيه دعوتهم الى الايمان ان كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق ان كانا فاسقين (وذى القربى) اى أحسنوا بالاقارب بصلة الرحم (واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا) وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء والسين وقرى قراءة مشاذة حسنا بضمين وحسن كبرى والنقل الحسن هو الذى يحصل انتفاعهم به (وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة) والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض عليهم فى ملتهم فقبلتم ذلك الميثاق المذكور (ثم توليتم) اى أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (الا قليلا منكم) اى آباءكم وهومن أقام اليهودية على طريقها قبل التسخير يقال الا قليلا منكم وهم من أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأنتم معرضون) عن الطاعة كما بآئكم (واذا أخذنا ميثاقكم) اى واذكروا يا أيها اليهود المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم وقت أن أخذنا الميثاق على آباءكم فى التوراة (لا تسفكون دماءكم) اى لا يقتل بعضكم بعضا (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) اى لا تخرج بعضكم بعضا من منازلكم يا بنى قريظة والنضير (ثم أقررتكم) بوجوب المحافظة على الميثاق (وأنتم تشكرون) اى تعلمون ذلك (ثم أنتم هؤلاء) اى هؤلاء الحاضرون بعد ذلك (تقتلون أنفسكم) اى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) اى من منازلهم ذلك الفريق (نظاهرون عليهم) قراء أعاصم وحزمة والكسائى بخفيف الظاهر والمباقون بالتشديد اى يتعادون لبعضكم بعضا (بالاتم) اى المعصية (والعدوان) اى التجاوز فى الظلم (وان يأتوكم أسارى) اى أسارى أهل دينكم (تغادوهم) بالمال أو غيره اى وان يجمع ذلك الفريق الذى تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه أسيرا فى يد حلفائكم تغدوه قرأ حمزة أسرى به فتح

الحمزة وسكون السين مع الامة وقرأناهم والكسائي تغادوهم بضم التاء ورفع الفاء والباقون بفتح التاء
 وسكون الفاء (وهو) أي الشأن (محرم عليكم انراجهم) قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني
 اسرائيل في التوراة الميثاق ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيام عبد اقامة
 وجدته ومن بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكان قريظة والنضير أخوين كلاوس والخزرج
 فافترقوا فكانت قريظة خلفاء الاوس والنضير خلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة
 فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا اخرجوا ديارهم وأخرجوهم منها ثم اذا امر رجل من
 الفريقين فدوهم كالأوس واحد من النضير ودفع في يد الاوس اقتدته قريظة منهم بالمال وهكذا يقال في
 عكس ذلك فعبرتهم العرب وقالت كيف تغادونهم ثم تغدوهم فية ولون أمرنا ان نفديهم وحرم علينا
 قتالهم ولاكن نستحي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى بقوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أي تفعلون
 بعض الواجبات وهو الفداء (وتكفرون ببعض) أي فتم تركوا المحرم وهو القتال والاخراج والمعاونة
 (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخرى) أي ذم عظيم وتحقير بالغ (في الحياة الدنيا) فكان خزي
 قريظة القتل والسبي وقد قتل صلى الله عليه وسلم منهم سبعمائة في يوم واحد وخزي بني النضير الاجلاء
 الى ازرعات واربعاء وقيل هو ضرب الجزية على النضير في الشام وعلى من بقي من قريظة الذين سكنوا
 خيبر (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) أي عذاب جهنم لما ان معصيتهم أشد المعاصي (وما الله
 بغافل عما تعملون) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بن شاه الخطاب في يعملون رأيا في ردون فالسبعة بالفتحة
 فقط وأما بنو الخطاب فشاذة وهذه الجملة زجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة (أولئك
 الذين اشتروا الحياة الدنيا) أي استبدلوها (بالآخرة) بأن اخذوا والكفر على الايمان (فلا يخفف
 عنهم العذاب) لا بالانقطاع ولا بالقلعة في كل وقت أو في بعض الاوقات (ولا هم ينصرون) فلا يدفع
 أحد هذا العذاب عنهم (ولقد آتينا) أي أعطينا (موسى الكتاب) أي التوراة (وقفينا من بعده
 بالرسول) أي أتبعناهم اياه مرتين وهم يوشع وشمويل وشمعون ودود وسليمان وشعيا وأرميا
 وعزير وحزقييل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وجميع الانبياء بين موسى وعيسى
 على ثمانية مائة سنة قبلهم سبعون الفارقيل أربعة آلاف ومدة ما بينهما ألف وتسعمائة سنة وخمسة
 وعشرون سنة (وآتيناهم من مريم البينات) أي المعجزات كاحياء الموتى وابراهيم الاكبر سواه كان
 كهم خلقا أو طاريا أو ابراهيم الارض وكالاخبار بالمغيبات وكالانجيل ثم عيسى بالسر يانية أيسروع
 ومعناه المبارة ومريم السر يانية بمعنى الخادم وفي كتاب اسان العرب هي المرأة التي تكره مخالطة
 الرجال (وايدناه) قرأه ابن كثير بعد الله مرة وتخفيف الياء أي قويناه (روح القدس) وهو
 جبريل وهو الذي بشر مريم بولادته ارميا ولد عيسى عليه السلام من فطة جبريل وهو الذي ربه في
 جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (أفكلما جاءكم) أي ما عشرين
 اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم) أي بما لا يوافق قلوبكم من الحق (استكبرتم) أي تعظمتم عن
 الايمان به والاتباع له (ففرقنا كذبكم وفرقا بينكم) أي كذبت طائفة محمد صلى الله عليه وسلم
 وعيسى عليه السلام وقتلتم فريقا يحيى وزكريا (وقاروا) أي اليهود (قلوبنا غاف) أي مغشاة
 بأغشية من قولك يا محمد أي قلوبنا أو عيسى اسكن علم وهي لانبي علمه وكلامك (بل لعنهم الله بكفرهم)
 أي ليس عدم قبولهم للحق الخلل في قلوبهم ولكن الله أي بعدهم عن رحمته بسبب كفرهم فأبطل

استعدادهم عن القبول (فقليل ما يؤمنون) أي لا يؤمنون إلا بقليل مما كلفوا به لأنهم كانوا يؤمنون بالله
 إلا أنهم كانوا يكفرون بالرسول وقال قتادة والاصم وأبو مسلم أي لا يؤمن منهم إلا القليل وذلك نظير قوله
 تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (ولما جاءهم) أي اليهود المعاصرين له صلى
 الله عليه وسلم (كتاب من عند الله) وهو القرآن (مصدق لما معهم) أي موافق لسكاجهم التوراة
 بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه (وكانوا) أي اليهود (من قبل) أي من قبل بعث
 محمد وزول القرآن (يستفتحون) أي يسألون الفصح أي النصر (على الذين كفروا) أي مشركي العرب
 أسد وخطفان ومزينة وجهينة وهم عدوهم يقولون إذا دعاهم عدو الله أقبح علينا وانصرنا بالنبي الأمي
 (فلما جاءهم ما عرفوا) من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة وقال
 ابن عباس وقتادة والسدي نزلت هذه الآية في شأن بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس
 والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يقولون لمخالفتهم عند القتال هذا في قد قرب زمانه
 ينصرنا عليهم (فلعنة الله على الكافرين) أي ابعاد الله من خيراته الآخرة عليهم (بما اشتروا
 به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) أي بئس الشيء شيئا اشتروا به أنفسهم كفرهم بالقرآن المصدق
 والتوراة أي إن هؤلاء اليهود لما اعتقدوا أنهم بما فعلوه خلصوا أنفسهم من العقاب وأوصلوها إلى
 الثواب فقد اشتروا أنفسهم به في زعمهم وقال لا كثرون الا اشتراء ههنا يعني البيعة لأن المذموم لا يكون
 إلا لما كان حاصلهم لا لما كان ذائلنا عنهم والمعنى باعوا أنفسهم بكفرهم لأن الذين حصلوا على منافع
 أنفسهم هو الكفر فصاروا بائعين أنفسهم بذلك لكن لما كان الغرض بالبيع والشراء ابدال ملك بملك
 صلح أن يوصف كل واحد من المتبادلين بأنه بائع ومشتري لوقوع هذا المعنى من كل واحد منهما (بغيا أن
 ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) أي حسدا على أن ينزل الله النبوة بغضه على محمد وطلبها
 ليس لهم أي فاتهم ظنوا أن هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب
 حطهم ذلك على الحسد وقد أجاز العلماء أن يكون بغيا مفعولا له ناصبه إن يكفروا وأن ينزل الله مفعولا له
 وناصبه بغيا (فما زل يغضب على غضب) أي فاستحقة والعنة بعد لعنة لا موصدت عنهم) وللشكافرين
 عذاب مهين) أي يمانون بالعذاب الشديد بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه (وإذا قيل لهم)
 أي وإذا قال المؤمنون لليهود الموجودين في زمن نبينا (آمنوا بما أنزل الله) أي بكل ما أنزل الله من
 الكتب الإلهية جميعا (قالوا) في جواب هذا القيل (نؤمن بما أنزل علينا) أي بما أنزل على
 أنبيائنا من التوراة وكتب سائر الأنبياء الذين أتوا به من بعدهم وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما رواهها أنزل على
 ورأه) فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم يكفرون بآبائهم وهو الانجيل والقرآن (وهو) أي ما رواهها أنزل على
 نبيهم من الانجيل والقرآن (الحق مصدق لما معهم) أي موافقا بالتوحيد لسكاجهم (قل) لهم
 يا أشرف المخلوق الراموا بيالكفرهم بالتوراة التي ادعوا الإيمان بها (فلم تقتلون أنبياء الله
 من قبل أن كنتم مؤمنين) والمعنى أن كنتم مؤمنين بالتوراة كما زعمتم فلا شيء كنتم تقتلون أنبياء
 الله من قبل لأن في التوراة تحريم القتل وذلك لأن التوراة أدلت على أن الهجرة تدل على الصدق ودلت
 على أن من كان صادقا في ادعاء النبوة فإن قتله كفر وإذا كان الأمر كذلك كان السعي في قتل ذكر يا
 ويحيى وعيسى كفرًا لم سمعتم في ذلك أن صدقتم في ادعائكم كونكم مؤمنين بالتوراة والمعنى أنهم لو
 آمنوا بالتوراة لما قتلوا الأنبياء فآل أمرهم إلى كفرهم بجميع ما أنزل الله تعالى لا ببعض كما ادعوا فإن قيل

قوله تعالى آمنوا واطيعوا لأمور المؤمنين وقوله فلم تقبلوا - كناية عن أسلافهم فكيف وجه الجميع بينهما قلنا معناه إنكم بهذا التأكيد للأنجيل والقرآن خرجتم من الإيمان بما آمنتم كمن خرج أسلافكم يقتل بعض الأنبياء عن الإيمان بالباقيين (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أي بالآيات التسع وهم العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفاق البحر (ثم اتخذتم الجبل) أي عبدتم الجبل (من بعده) أي من بعد انطلاقه إلى الجبل (وأنتم ظالمون) أي كافرون بعبادته (وإذا أخذنا منكم) أي لقراركم (ورفعنا فوقكم الطور) أي رفعنا فوق رؤسكم الجبل حين امتنعتم من قبول التوراة وقتلنا (أخذوا ما آتيناكم بقوة) أي حملوا بما أعطيناكم من الكتاب بجهد (واسمعوا) أي اطيعوا ما تؤمرون (قالوا سمعنا) قولك يا ذا أننا (وعصينا) أمرنا بقلوبنا وغيرها (وأمرنا بقلوبهم) أي الجبل بكفرهم (أي وأدخلوا في قلوبهم حب عبادة الجبل بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك (قل) لهم يا أشرف الخلق (بشمايا أمركم به إيمانكم) بما أنزل عليكم من التوراة قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم الجبل (إن كنتم مؤمنين) بالتوراة كما رعتهم فإن يجوز فيها الوجهان من كونها نافذة وشرطية وجوابا لمحذوف تقديره فبشمايا أمركم (قل إن كانت لكم الدار الآخرة) أي نعیم الدار الآخرة (عند الله) وهو الجنة (خاصة من دون الناس) أي خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق بأن صرح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (فقتلوا الموت) كأن تقولوا ليتنا نموت (إن كنتم صادقين) في مقالتهم لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليهودي من سرعة الوصول إلى النعيم (وإن يقتلوه) أي إن يسألوا الموت (أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وكحرف التوراة (والله عليم بالظالمين) أي الكافرين فبما جازيهم (وتجذبهم) أي والله لتجذبهم اليه ويأخذهم (أحرص الناس على حياة) أي بقائه في الدنيا (ومن الذين أشركوا) أي وأحرص من مشركي العرب المنكرين للبعث إلههم بأن يصيرهم النار دون المشركين لأنكارهم له (يود) أي يتمنى (أحدهم لو يعمر ألف سنة) والمراد بالف سنة التكثير لا خصوص هذا العدد وليس المراد بها قول الأعاجم عش ألف سنة لو مصدرية وهي مع صلاتها في تأويل مصدر مفعول يود (وما هو بمنزلة من العذاب أن يعمر) فاعل لمزح أي وما أحدهم عن بعده من النار تعمره ألف سنة (والله بصير بما يعملون) فبما جازيهم به قرأ السبعة بالياء التحمية ويعقوب من العشرة بالفوقية روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن مسعود يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم الذي يحيى في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الولد أمن الرجل يكون أم من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت فبال رجل يشبه أمه دون أخواله يشبه أخواله دون أمه فقال أيها أغلب ماؤه ما صاحبه كان الشبه له قال صدقت أخبرني أي الطعام حرم أمرائيل على نفسه وفي التوراة أن النبي الأحمى يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن أمرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فسأله نذرا أن يعافى الله من سقمه ليحرم من على نفسه أحب الطعام والشراب وهو لحسان الأبل واللبان فقالوا نعم فقال له بقيت خصلة واحدة إن قلتها فأسنت بك أي ملك يأتيل بماتة قول عن الله قال جبريل قال إن ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا

مكائيل يأتي بالبشر والرخاف لو كان هو الذي يأتيك آمنا بل فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (قل من كان عدوا لجبريل فإنه) أي جبريل (نزله) أي القرآن (على قلبك بأذن الله) أي بأمره وخص القلب بالذكر لأنه خزنة الحفظ وبيت الرب (مصدق لما بين يديه) أي لما قبل القرآن من الكتب الإلهية لأن الشرائع التي تشتمل عليها سائر الكتب كانت مقدرة بالأوقات ومنتهية في هذا الوقت فإن أنسخ بيان انتهائهم مدة العبادة وحيث قد لا يكون بين القرآن وسائر الكتب اختلاف في الشرائع (وهدي) أي بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (وبشرى) أي بيان ثواب تلك الأعمال (للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل ومكائيل فإن الله عدو للكافرين) وخص الله جبريل بالذكور داعي اليهود في دعوى عدائه وضم إليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد كما أن جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح ويقدم جبريل لشرفه لأن العلم أشرف من الأغذية وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لأن عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتمزييل الملائكة وتمزييلهم لها بأمر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وجبريل قرأ حمزواً والكسائي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة وقرأه بحجة كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقيون بكسر الجيم والراء من غير همزة بعد الراء إلا أن ابن كثير فتح الجيم وميكائيل قرأ أبو عمرو وحفص ميكال بغير همزة ولا ياء بين الألف واللام وقرأ نافع همزة بعد الألف ولا ياء بعد الهمزة والباقيون همزة بعد الألف وياه قال ابن عباس إن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعضه فلما بعث من العرب كفروا به ومجدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نكفركم فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولقد أنزلنا إليك) يا أشرف الخلق (آيات بينات) أي آيات القرآن الذي لا يأتي بشك له الجن والإنس (وما يكفر بها إلا الفاسقون) وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم بالخارجون عن دينهم قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم من العهد في محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد إلي في محمد عهداً فأنزل الله هذه الآية (أو كما عهدوا عهداً نبذه فريق منهم) أي أكفروا بالآيات وكلماء عهدوا الله عهداً كفولهم قبل مبعضه صلى الله عليه وسلم لئن خرج النبي لئؤمنن به ونخرجن المشركين من ديارهم وكما كونه عهدوا الله على أن لا يعينوا عليه صلى الله عليه وسلم أحد من المشركين ثم أعانوا عليه قريشا ومال الحنظلي بنده فريق منهم (بل أكرههم لا يؤمنون) أي لا يصدقون بل أبا الحسد هم وقيل لا يصدقون بكتابهم لأنهم كانوا في قومهم كالمناققين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون لهم الإيمان بكتابهم ورسولهم ثم لا يعلمون بمقتضاه (ولما جاءهم رسول من عند الله) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) من التوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي أعطوه وتكفوا به (كتاب الله وراهم وظهورهم كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب الله أي فكفروا وعنادوا والكتاب مفعول ثان لا تواتوا كتاب الله مفعول نبذ وقال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاضعوه بالتوراة فانفتحت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة موافقة القرآن لما أخذوا بكتاب آصف ومعه هاروت وماروت فلم يوافق القرآن (واتبعوا) أي اليهود وهو معطوف على نبذ ما تملوا أي تكذب الشياطين

على ملك سليمان من السحر وكانت الشياطين دفنته تحت كرسيه لما تزعم ملكه فلم يشعر بذلك
 سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس اغسلواكم سليمان بهذا قتلوه وأقبلوا على تعمله ورفضوا
 كتب أنبيائهم وفشت الملامة على سليمان فلم تزل هذه حائهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
 وسلم وأنزل الله عليه براءة سليمان ومدة تزعم ملكه أربعون يوما وسبب ذلك أن إحدى زوجاته عبدت
 صنما أربعين يوما وهو لا يشعر بها فعاتبه الله تعالى بنزع ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان في خاتمه
 وهو من الجنة وكان إذا دخل الخلافة نزعوه ووضعوه عند زوجته تسمى الأمانة ففعل ذلك وما لحقها جنى
 اسمه مخفورة وتصور بصورة سليمان ودخل على الأمانة وقال اعطيني خاتمي فدفعت له فسخرت له الجن
 والانس والطير والرجل وجلس على كرمي سليمان فلما سلط سليمان الأمانة وطالب الخاتم فرأت صورته غير
 الصورة التي تعرفها منه فقالت له ما أنت سليمان وهو قد أخذ الخاتم فلما تم الأربعون طارا الجن من فوق
 الأكرمي ومر على البحر وألقى الخاتم فيه فارتفعت به كهة فوقعت في يد سليمان فأخذه من بطنه وألبسه ورجع
 له الملك فأمر الجن بإحضار مخفورة أتوا به فحبسه في مخفورة وسد عليه بالزصاص والحديد يدور ما هاق في قعر البحر
 (وما كفر سليمان) أي ما كتب سليمان السحر وما عمل به لأن العمل بالسحر كفر في شريعته وأما في شرعنا
 فإن اعتقد دفاعه حل استعماه كفر والأفلا وأما تعلمه فإن كان له عمل به حرام أوليت وقاه فباح أولا
 ولا تفكره (ولكن الشياطين كفروا) أي كتبوا واستعملوا السحر وقروا لكن ابن عامر وحزرة والسكافي
 بتخفيف النون من الكسر ورفع الشياطين (يعلمون) أي الشياطين (الناس السحر) ويقصدون به
 اضلالهم (وما أنزل على الملوك) عطف على السحراى ويعلمونهم ما ألهمهم من السحر وقيل عطف
 على ما تناولوا واختار أبو مسلم أن ما في محل جر عطف على ملك سليمان بذلك أن الملوك أنزل الله عليهم السحر
 امتحانهم الله للناس هل يتعلمونه أولا كما امتحن قوم طائوت بالشرب من النهر وقيل اغنا أنزل الله عليه
 لتفريق بينه وبين المهجرة لتلايفت به الناس لأن السحرة كثروا في ذلك الزمن واستنبطوا أبوابا غريبة
 من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملوك ليحلبا الناس أبواب السحر حتى يتحكموا
 من معارضة أولئك الكذابين وأظهر أمرهم على الناس (ببابل) وهو بلد في سواد العراق (هاروت
 وماروت) عطف بيان للملكين لأنهم ما ملكان زل من السماء كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وقيل
 ما أنزل نبي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كأنه تعالى قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملوك
 سحر لأن السحرة كانوا يستدعون السحراى سليمان يزعموا أنه لما أنزل على الملوك ببابل هاروت
 وماروت فكذبهم الله تعالى على ذلك وقيل إن الملوك هما جبريل وميكائيل أخرجه البخاري في تاريخه
 وابن المنذر عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن عطية وحيث يذكرون هاروت وماروت مرفوعا بدل من
 الشياطين بدل البعض كما هو قراءة الزهري وعلى هذا كما قاله الحسن والضحاك فهم ما علقان من بابل
 سليمان السحر وقرأ الحسن على الملوك بكسر الهمزة فماد داود وسليمان كما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد
 الرحمن بن ابري وقيل كانا رجلين صالحين من الملوكة (وما علمان من أحد) أي وما يعلم الملوك أحدا
 السحر (حتى يقولوا) أولا (انما نحن فتنه) أي امتحان من الله تعالى للناس (فلا تكفر) أي فلا تتعلم
 ولا تعمل به أي لا يصغى للمهر لا حد إلى أن يقولوا لا بد من هذه فيقولوا لا هذا الذي نصغى لك وإن كان
 انغرض منه أن يغير به الفرق بين السحر والمهجرة ولو كانته يكتفى أن تتوصل به إلى الفاسد والمعاصي فأياك
 بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به إلى شيء من الأعراض العاجلة (فيعلمون) أي

الاحد والمراد به السحرة منهم ما أى الملكين أو السحر والمزول على الملكين أو الفتنه والسحر (ما يفرقون
 به بين المرء وزوجه) اما بان يعتقد ان ذلك السحر مؤثر في هذا التفريق فيصير كافرا واذا صار كافرا بان
 منه امر أنه فيحصل تفرق بينهما واما بالقويه والحيل فيمبغض كل منهما في الآخر (وما هم) أى السحرة أو
 اليهود أو الشياطين (بضارين به) أى باستعمال السحر (من أحد الايات الله) أى بإيجاد الله وازادته
 وعلمه (ويتعلمون) أى الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض (ما يضرهم) في الآخرة (ولا
 ينفعهم) في الدنيا ولا في الآخرة وهو السحر (ولم يدعوا) أى اليهود (لمن اشتروا) أى استبدلوا ما تملكون
 الشياطين (ماله في الآخرة) أى في الجنة (من خلاق) أى نصيب أو ماله في الدارين خلاص أى ان اليهود
 لما نبذوا كتاب الله وراوا ظهورهم وراقبلوا على التمسك بما تملكون الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر
 بكتاب الله (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى وباللّه لبئس شيئا باعوا به حظ أنفسهم في الآخرة الكفر أو تعلم
 السحر (لو كانوا يعلمون) فبحم على اليقين (ولو أنهم) أى اليهود (آمنوا) بمحمد المشار إليه في
 قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل إليه من الآيات المذكورة بقوله تعالى ولقد
 أنزلنا آيات بينات أو بما توراها التي أريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله
 وراوا ظهورهم (واتقوا) بأن تابوا من اليهودية واستعمال السحر (لثوبه من عند الله خير) أى
 لشيء من ثواب الله خير لهم (لو كانوا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا) للنبي صلى الله
 عليه وسلم (راعنا) وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه عليهم شيئا من العلم
 راعنا يا رسول الله أى تأن بنا حتى نفهم كلامه واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسألون بها فيما بينهم فلما
 سمعوا المؤمنين يقولون راعنا خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعنون بها تلك المسبة ويضحكون
 فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
 بيده لئن سمعنا من أحد منكم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرب بن عتقه قالوا أو لستم تقولونها
 فنهى المؤمنين عنها وأمر بالبغظة أخرى لئلا يجد اليهود ذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وذلك قوله تعالى (وقولوا انظروا) أى انظروا لنا والله صود منه ان المعلم اذا نظر إلى المتعلم كان آتيا به
 للكلام على نعت الافهام أقوى وقيل لانهم علينا فانه ابن زيد (واجمعوا) أى أجمعوا اصحاب ما يقوله
 النبي صلى الله عليه وسلم بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا يحتاجون إلى الاستعادة (والكافرين)
 أى اليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) هو النار (ما يؤذون الذين كفروا من
 أهل الكتاب) وهم اليهود (ولا المشركين) من العرب (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أى ما يحب
 اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ومشركوا العرب أبو جهل وأصحابه ان ينزل عليكم وحى من ربكم لانهم
 يحسدونكم به (والله يختص برحمته) أى بوجه (من يشاء) أى من كان أهلا لذلك وهو محمد صلى الله عليه
 وسلم (والله ذو الفضل العظيم) بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم من غير علة ولما قال الكفار ان محمدا
 يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه وما يقوله الامن تلقاه نفسه نزل قوله تعالى (ما ننسخ من
 آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قرأ ابن عامر نسخ بضم النون الاولى وكسر السين وقرأ ابن كثير
 وأبو عمر ونسأ بفتح النون الاولى والسين وجمزة سا كنة بعد السين أى ما تبدل آية ما بأن تبدل حكمها
 فقط أو تلاوتها فقط أو تبدلها معا أو نتر كهما كما كان فلان تبدلها ذات بالنفع من المنسوخ وأخف في
 العمل بها أو نأت بفتحها في الثواب والنفع والعمل أو يقال ما منع من آية قد عمل بها أو نوتر نسخها فلا نرفع

تلاوتهم ساولا نزل حكمها ثبات بما هو أنفع للعباد في السهولة كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة من
الاعداء بوجوب مصابرة لاثنتين أو في كثرة الاجر كنسخ التخيير بين الصوم والتقية بتعيين الصوم أو ثبات
عليها في التكليف والثواب كنسخ وجوب استقبال محبرة بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فهما
متساويان في الاجر (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) وهذا تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره على
قدرته تعالى على تصريف المكلف تحت مشيئته وحكمه وحكمته وأنه لا دافع لما أراد ولا مانع لما اختار
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) وهذا هو التنبيه على أنه تعالى إنما أحسن منه التكليف لمحض
كونه مالم يخلق مستويا عليهم لاثواب يحصل ولا لعقاب يندفع (وما لكم) يا معشر اليهود (من دون
الله) أي غيره (من ولي) أي قريب ينفعكم (ولا نصير) يمنع عنكم عذابه وقرق بين الولي
والنصير بأن الولي قد يهجر عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور ولما قالت اليهود يا محمد
اثنتا بكتاب من السماء جملة كما أتى مومسي بالتوراة نزل قوله تعالى (أم تريدون) أي أن تريدون (أن
تسألوا رسولكم) أي الرسول الذي جاءكم (كما سأل موسى) أي سأل بنوا اسرائيل رؤسهم الرب
وغير ذلك (من قبل) أي من قبل هذا الرسول (ومن يبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)
أي ومن يهتزل الكفر على الإيمان أي بأن يأخذ الكفر بدل الإيمان فقد أخطأ الطريق المستوي أي
الحق (وذكر من أهل الكتاب) أي من أجبار اليهود كعب بن الأشرف رجعي بن أخطب وأبو ياسر
ابن أخطب (لو ردوكم) يا معارو يا حذيفة ويا معاذ بن جبل (من بعد إيمانكم) بمحمد
والقرآن (كفاراً) أي غنى كثير من اليهود أن يصيروكم من بعد إيمانكم مرتدين روى أن
فخاص بن عاذر روى زيد بن قيس ونفر من اليهود قالوا لحذيفة وعمار بن ياسر بعد ربيعة أحد ألم ترا
ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم
سيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا أمر شديداً قال فاني قد شاهدت الله تعالى أني لا أكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود ما هذا قد صابا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً بالقرآن
أماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين أخواناً ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فقال أصبتما
خير وأفهمتما فنزلت هذه الآية (حسد من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) في كتابهم أن
محمد هو الحق وقالت صغيفة بنت حبي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبي وعجمي من عندك فقال أبي لعجمي
ما تقول فيه قال أقول أنه النبي الذي بشره موسى عليه السلام قال فأتري قال أرى معادته أيام الحياة
فهذا حكم الحسد (فأعفوا) أي أتركوهم فلا تؤاخذوهم (واصفحوا) أي أعرضوا عنهم فلا تؤاخذوهم
(حتى يأتي الله بأمره) فيهم أي يقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وأذلالهم بضرب الجزية
عليهم أو بآذنه في القتال (إن الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم من القتل والجلد
(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الواجبين عليكم ولما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود
أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم فقال أقيموا الصلاة (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أي عمل صالح أي أي
شيء من التطوعات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أي تجدوا ثوابه عند الله (إن
الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عند الله عمل (وقاؤا) عطف على ود (لن يدخل الجنة الا من كان هودا
أو نصارى) أي قالت يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت نصارى
نحرون لن يدخل الجنة الا نصارى ولا دين الا دين النصرانية وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهودياً أو

نصرانياً أى قالوا ذلك لما تناظر وابين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (تلك) أى الامانى الباطلة وهى
 امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يروا المؤمنين كفاراً وامنيتهم ان لا يدخل الجنة
 غيرهم (أمانيتهم) أى مخفياتهم على الله ما ليس فى كتابهم (قل) يا أشرف الخلق (ها أنا
 برهانكم) أى أحضر واجتنبكم من كتابكم (ان كنتم صادقين) فى مقالكم (بلى) يدخل
 الجنة غيرهم (من أسلم وجهه) أى من أخلص نفسه (لله) لا يشرك به شيئاً (وهو محسن) فى جميع
 أعماله (فله أجره) الذى وعد له على عمله (عند رب) أى فى الجنة (ولا خوف عليهم) فى الدارين من
 لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من قوائى مطلوب ولما قدم نصارى نجران على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتخاصموا فى الدين حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود ما أنتم على شئ
 من الدين وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شئ من الدين أنزل الله تعالى هذه الآية (وقالت اليهود)
 أى يهود المدينة (ليست النصارى على شئ) أى أمرى معتد به من الدين قاله رافع بن حرملة فكفر
 بعيسى والأنجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) قاله رجل من أهل نجران فكفر بعيسى
 والتوراة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس (وهم) أى الفريقان (يتلون الكتاب) المنزل عليهم ويقولون
 ما ليس فيه وكان حق كل منهم أن يقر بحقيقة دين خصمه بحسب ما ينطق به كتابه فان فى كتاب اليهود
 تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعته (قال الذين
 لا يعلمون) كتاب الله قال السدى هم العرب وقال عطاءهم أعم كانت قبل اليهود والنصارى كما أخرجهما
 ابن جرير (مثل قولهم) بدل من كذلك بيان للسكاف أى لاهل كل دين أنهم ليسوا على شئ يصح (قالت)
 يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه من الدين (يختلفون) فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذى
 استحقه وقال الحسن أى فأنه يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار (ومن أظلم) أى لا أحد أظلم (من منع مساجد
 الله أن يذكر فيها اسمه) بالصلاة والتسبيح (وسعى) أى عمل (فى خرابها) بالهدم أو التعطيل
 بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الساعون فى خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) أى
 ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا المساجد الا بخشية وخضوع وقيل معنى هذه الجملة النهى عن تمكين الكفار
 من الدخول فى المسجد واختلاف الأئمة فى ذلك فجوزة أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وفرق الشافعى
 بين المسجد الحرام وغيره وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنهم قرئش كقيل ان هذه الآية نزلت فى
 شأن مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بركة وألجؤوه الى الهجرة
 فصاروا مانعين له ولا صحابه ان يذكروا الله فى المسجد الحرام وقد كان الصديق رضى الله عنه بنى مسجداً
 عند داره فنعى وكان من يؤذيه ولدان قرئش ونسأؤهم وقيل ان أبا بكر رضى الله عنه كان له موضع صلاة
 فخر به قرئش لما هاجر ومن طريق العنوى عن ابن عباس أنهم النصارى كما نقل عن ابن عباس ان
 طيمطيوس ابن اسبيانوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزروا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا
 ذرارهم وأحرقوا التوراة وخرى بابيت المقدس وقذفوا فيه الحيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل بيت
 المقدس خراباً حتى بناه المسلمون فى زمن عمر رضى الله عنه ومعنى هذه الآية حيث نزلوا أحد أظلم فى كفره من
 خرب بيت المقدس لئلا يذكر فيه اسمه بالتوحيد والاذان وعمل فى خرابه من القاء الحيف فيه أولئك
 أى أهل الروم ما كان لهم أمن فى دخوله المستخفين من المؤمنين مخافة القتل وهذا الحكم عام لكل من
 فعل ذلك فى أى مسجد كان (لهم فى الدنيا عذابي) أى هو ان بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم

(ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار (ولله المشرق والمغرب) أي له تعالى كل الأرض فان
منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو المسجد الأقصى فقد جعلت لكم الأرض كلها مسجدا (فأينما ولوا)
وجوعكم في الصلاة بأمره (فتم) أي هناك (وجه الله) أي قبلته كما قاله مجاهد وقرئ بفتح التاء
واللام أي قائمه اتوجهوا إلى القبلة فتم مرضاة الله (إن الله واسع) برحمته يريد التوسعة على عباده
(عليهم) بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها أي إن الله تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت
القدس إلى الكعبة فبين تعالى أن المشرق والمغرب جميع الجهات ملوكة له تعالى قائمه بأمره كم الله
بإستقباله فهو القبلة لأن القبلة ليست قبلته لذاته بل إن الله تعالى جعلها قبلته فان جعل الكعبة قبلته
فلاتشكر واذللك لأنه تعالى يدبر عباده كيف يريد وقال ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكروا
اليهود ذلك فنزلت هذه الآية رداعليهم وقال أبو مسلم إن اليهود أغما استقبال بيت المقدس لأنهم اعتقدوا
أن الله تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى أغما استقبال المشرق لأن عيسى عليه السلام ولد هناك
فرد الله عليهم هذه الآية (وقالوا اتخذ الله) أي صنع (ولدا) وقرأ ابن عامر قالوا بغير وار قبل العاف أي
قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله فقال
الله تعالى رداعليهم (سبحانه) وهي كلمة تنزيه ينزه الله تعالى بها نفسه عما قالوه (بل له ما في السموات
والأرض) والمملكة تنافي الولدية أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها
عزير والمسيح والملائكة (كل له قانتون) أي كل ما في السموات والأرض مطيعون له لا يستعصى
شيء منهم على تكوينه ومشيئته فالطاعة هنا طاعة الإرادة لا طاعة العباداة (بديع السموات والأرض)
أي موجد هبلا مثال (واذا قضى أمرا) أي إذا أراد إيجاد شيء (فأغما يقول له كن فيكون) أي
أحدث فيحدث وقوله كن تنزيل لسهولة حصول المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصور بر لسرعة
حدوثها من غير توقف كطاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع ولا يكون من المأمور إلا بأمره وقرأ ابن
عامر كن فيكون بالنصب في كل القرآن إلا في موضعين في أول آل عمران في قوله تعالى كن فيكون
الحق من ربك وفي الأنعام في قوله تعالى كن فيكون الحق فإنه رفعه عما قرأ الكسائي بالنصب في النحل
ويس وبالرفع في سائر القرآن والباقيون بالرفع في كل القرآن أما بالنصب فعلى جواب الأمر وأما
الرفع فإما على أنه خبر بمشيئة المحذوف أي فهو يكون أو معطوف على يقول أو معطوف على كن من
حيث المعنى كما هو قول الفارسي (وقال انذري ليعلمون) للنبي صلى الله عليه وسلم وهم اليهود منهم رافع بن
حرملة كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أو النصارى كما قاله مجاهد وصفهم بعدم العلم لعدم علمهم
بالتوحيد والنبوة كما ينبغي أو هم كفار العرب كما أخرج عن قتادة (لولا يكلمنا الله) أي هلا يكلمنا
الله مشافهة من غير واسطة بالأمر والنهي كما يكلم الملائكة أو موسى وهـ لا ينص على نبوته وهذا
منهم استعجاب (أو تأتينا آية) أي فإن كان الله تعالى لا يفعل ذلك فم لا يحصل بآية ومجزة تأتينا وهذا
منهم إنكار في كون القرآن آية ومجزة لأنهم لو أقر وأبكونه معجزة لاستحال إن ية ولو ادلك ثم أجاب الله
تعالى عن هذه الشبهة بقوله (كذلك) أي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد (قال الذين
من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية لا نبيا ثم (مثل قواهم) في التشديد وطلب الآيات فقالوا
أرنا الله جهرة وقالوا لنصبر على طعام واحد وقالوا اجعل لنا الها وقلوا هل يستطیع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء (تساهت قلوبهم) أي توافق قلوبهم مع آبائهم واستوت قلوبهم في الكفر

والعناد (قد بينا الآيات) أي زلنا بينة (لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين وحاصل هذا الجواب من الله تعالى أنا قد أيدنا قول محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وبيننا صحة قوله بالآيات وهي القرآن وسائر المعجزات فكان طلب هذه الزوايد من باب التعمق وإذا كان كذلك لم يجبه اجابته (أنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي أنا أرسلناك ملتبسا بالقرآن والدين تشكون مبشرا لمن اتبعك واهتدى بهديك ومنذر لمن كفر بك وضل عن دينك أو المعنى أنا أرسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) قرأ الجمهور برفع التاء واللام على الخبر أي ولست بمسؤول عنهم ما لهم لم يؤمنوا بما أنزل عليك بعدما بلغت ما أرسلت به وقرأ نافع بالجزم وفتح التاء على النهي أي لا تسأل عن حال كفار أهل الكتاب التي تكون لهم في القيامة ولا يملك في هذه الدار الاطلاع عليها وذلك لأعلام نكال شدة عقوبة الكفار فلا يستطيع السامع أن يسمع خبرها (ولن نرضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) أي لن نرضى عنك يهود المدينة ولو خلدت لهم وشأنهم (حتى تتبع) دينهم وعبادتهم ولن نرضى عنك نصارى نجران ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم وقبلتهم (قل إن هدى الله هو الهدى) أي قل لهم يا أشترق الخلق رد القول لهم الكائن نرضى عنك حتى تتبع ديننا إن دين الله هو الإسلام وإن قبله الله هي الكعبة (وائن اتبعتم) على سبيل التقدير أو المراد من هذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم (أنهوا هم) أي أقوالهم التي هي أهواء النفس وهو المعبر عنها أولا بقوله تعالى ملتهم اذ هم الذين ينتسبون اليها أما الشريعة الحقيقة من الله فقد غيروها تغييرا أي والله إن اتبع ملتهم وقبلتهم (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم صحة في أن دين الله هو الإسلام وقبله الله هي الكعبة (مالك من الله) أي من عذاب الله (من ولى) أي قريب نفعل (ولانصير) ينعك منه (الذين آتيناهم الكتاب) عبد الله بن سلام وأصحابه وبحر الزاهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه (يتلون حتى تلاوته) أي يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدبرون في معانيه ويخضعون عند تلاوته ويدينون أمره ونهيهم لمن سألهم (أولئك يؤمنون به) أي بكتابهم وبعثاتهم ويتوقفون فيما أشكل عليهم منه ويفوضونه إلى الله تعالى ويعملون بحكمه (ومن يكفر به) أي بالكتاب المأثوق بأن يغيره (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الكفر بالإيمان (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ومن جملة النعمة التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الإيمان بجميع ما فيها ومن لازم الإيمان بها الإيمان بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نعت النبي من جملة ما فيها (وأنى فضلتكم) بالإسلام (على العالمين) أي الموجودين في زمانكم (واتقوا يوما) أي اخشوا عذاب يوم (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) من عذاب الله (ولا يقبل منها عدل) أي فداء (ولا تنفعها شفاعا ولا هم ينصرون) أي يمنعون ما يريد الله بهم ثم ذكر الله تعالى قصة إبراهيم توبيا لاهل الملل المخالفين وذلك لأن إبراهيم يعترف بفضل جميع الطوائف قديما وحديثا فاشركون كانوا متشرفين بأنهم من أولاده ومن سلكني حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متشرفين بأنهم من أولاده فلكي الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وأمره أن يوجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم وانقياد شرعه لأن ما أوجبه الله تعالى على إبراهيم جاء به محمد كفعال الحج واستقبال الكعبة وفي ذلك حجة عليهم فقال تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) أي بأوامر ونواه قيل قال ابن عباس وقتادة هي

مناسك الحج كالأحرام والطوائف والسعي والرمي وقال ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالمحضة والاستنشاق والسواك
وقص الشارب وفرق الرأس أي فرق شعره إلى الجانب الأيمن والجانب الأيسر وأما التي في البدن فالتحтан
وخلق العانة ونتف الأبط وتقليم الأظفار والاستحباب بالماء وقرأ ابن عباس وابو حنيفة إبراهيم ربه رفع
إبراهيم ونصب ربه والمعنى إن إبراهيم دعا ربه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يحيبه الله تعالى اليهن
أم لا (فأتى) أي قام بها حق القيام وأداها أحسن التأدية من غير تفريط (قال) تعالى له (إني جاعلك
لناس اماماً) أي قدوة في الدين إلى يوم القيامة والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله
مستقلاً بالشرع وأن يكون نبياً إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه في الجملة (قال)
أي إبراهيم (ومن ذريتي) أي واجعل من بعض أولادي أئمة يتقدي بهم في الدين (قال) الله (لأبناك
عهدي الظالمين) أي لا يصيب عهدي بالامامة والنسوة الكافرين وكل عاص فإنه ظالم لنفسه وقرأ قتادة
والاعشى وابو رجاء الظالمون رفعاً بالقافية وعهدي مفعول به وفي هذا دليل على عصمة الأنبياء عليهم
السلام من الكفار مطماناً (وإذا جعلنا البيت) أي جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعاً لهم فاتهم
يشوبون إليه كل عام بأعيانهم أو بأمثالهم كما قاله الحسن أو المراد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يقضي العود
إليه كما قاله ابن عباس ومجاهد والمعنى جعلنا السكبة موضع ثواب يشاؤون بحججه واعتمازه (وأما) أي
موضع أمن لمن يسكنه ويحيا إليه من الأعداء والخسف والسحق أو أماناً من عذاب الآخرة من حيث
إن الحج يجب ما قبله وحمل بعضهم هذه السكبة على الأمر على سبيل التأويل والمعنى إن الله تعالى أمر
الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع آمناً من الغارة والقتل فكان البيت محترماً بحكم الله تعالى (واتخذوا من
مقام إبراهيم مصلی) روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان بيني البيت
وأما عيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف
إبراهيم عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم عليه السلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحزرة وعاصم
والسكاني واتخذوا بكسر الحاء على صيغة الأمر قال قتادة والسدي أمر وأن يصلوا عنده وعلى هذا
فهذه الجملة كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فكانه تعالى قال وإذا جعلنا البيت
مثابة للناس وأماناً اتخذوا أنتم يا أمة محمد من مقام إبراهيم مصلی والتقدير أن المأثرة فناءه وصفناه بكونه
مثابة للناس وأماناً فاتخذوه قبلة لأنفسكم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الحاء على صيغة الماضي فهو
أخبار عن ولد إبراهيم أنهم اتخذوا من مقامه مصلی (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أي أمرناهما (أن طهرا
بيتي) أي بأن أسما على التقوى وقيل معناه عرف الناس أن بيتي طهرا لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا فيه
(للطائفين والعاكفين والركع السجود) جمع راعى وساجد والمراد بالطائفين من يقصد البيت طاجراً ومعتقراً
فيطوف به وبالعاكفين من يقيم هناك ويجاور بالركع السجود من يصلي هناك قال عطاء فإذا كان
الشخص طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان عاكفاً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الركع
السجود ثم إذا فسرنا الطائفين بالغرباء لم نجد ذلك الآية على أن الطواف بالغرباء أفضل من الصلاة روى
عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لأهل الأمان أفضل والصلاة لأهل مكة أفضل (وإذا قال
إبراهيم رب اجعل هذا) الحرم (بلداً آمناً) أي كثير الخصب فإن الدنيا إذا طلبت لمتقوى بها على
الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين فإذا كان البلد آمناً حصل فيه الخصب تفرغ أهله لطاعة الله

تعالى وأيضاً ان الحصب عما يدعو الانسان الى تلك البلدة فهو سبب اتصاله في الطاعة (وارزق أهله)
 أى الحرم (من الثمرات) وقد حصل في مكة القواكه الربعية والصفية والخريفية في يوم واحد وروى
 أن الطائف كانت من مدائن الشام في أروى فلما دها ابراهيم هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل عليه
 السلام حتى قطعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الآخر فثم أكثر ثمرات
 مكة (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البعض خصصهم سيدنا ابراهيم بالدعاء مراعاة
 لحسن الادب وفي ذلك ترغيب لقومه في الايمان (قال) تعالى (ومن كفر) أى أرزقه (فأمتعه)
 بالرزق (قليلاً) أى مدة عمره وقرأ ابن عباس بسكون الميم (تم أضطره) أى ألجأه في الآخرة
 الى عذاب النار وبئس المصير) هى النار (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)
 أى راذير رفع ابراهيم واسماعيل الجدران التى هى من البيت أى التى هى بعضه المستقر من الارض
 قيل بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل طور سيناء و طور زينا و لبنان والجودي وأسس من حراء
 وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته
 الخيض في الجاهلية اسود يقولان (ربنا تقبل منا) بناء نابتك (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم)
 بنياتنا في جميع أعمالنا (ربنا واجعلنا مسلمين) أى مخلصين (لك) بالتوحيد والعبادة لا نعبد الا اياك
 (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أى واجعل بعض أولادنا جماعة مختصة لك (وأرنا ما نكسنا) أى علمنا
 نحن حجنا (وتب علينا) أى تجاوز عنافة صيرنا والعبد وان اجتهد في طاعة ربه فانه لا ينفك عن
 التقصير من بعض الوجوه اما على سبيل السهو أو على سبيل ترك الأولى فكان هذا الداء لاجل ذلك
 (انك أنت التواب) أى المتجاوز لمن تاب (الرحيم) به (ربنا وابعث فيهم) أى في ذريتنا (رسولاً
 منهم) أى من أنفسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنادعوة أبي ابراهيم أخرجه أحد من حديث
 العرباض بن سارية وغيره (يتلوا عليهم آياتك) أى يذكرهم بالآيات ويدعوهم اليها ويحملهم على
 الايمان بها (ويعلمهم الكتاب) أى يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه
 (والحكمة) قال الشافعي رضى الله عنه الحكمة سنة رسول صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة
 (ويركبهم) أى يطهرهم من شركهم (انك أنت العزيز) أى القادر الذى لا يقبل (الحكيم)
 أى العالم الذى لا يجهل شيئاً ههنا سؤال ما الحكمة في ذكر ابراهيم مع محمد في باب الصلاة حيث يقال اللهم
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم لجوابه أن ابراهيم دعا لمحمد بهذه الدعوة
 فأجربى الله ذكر ابراهيم على ألسنة أمة محمد الى يوم القيامة أداء عن حق واجب على محمد لا ابراهيم والجواب
 الثاني أن ابراهيم سأل ربه بقوله واجعل لى اسان صدق في الآخرين أى أبق لى ثناء محسناتى أمة محمد صلى
 الله عليه وسلم فأجاب الله تعالى فقرن بين ذكرهما بقائه للثناء الحسن على ابراهيم في أمة محمد صلى الله
 عليه وسلم والجواب الثالث أن ابراهيم كان أباً للملة ومحمد كان أباً للرحمة وفي قراءة ابن مسعود النبي أرى
 بالؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لم اغتالكم مثل الموالدأى في الرأفة وازحة فلما
 وجب لكل واحد منهم ما حق الابوة من وجه قرن بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة والجواب الرابع أن
 ابراهيم كان منادى الشريعة في الحج ومحمد كان منادى الايمان لجمع الله تعالى بينهم فى الذ كر الجميل
 (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) أى لا يكره أحد ملة ابراهيم الا من جهل نفسه وخسر نفسه
 كما قاله الحسن أى فلم يفكر فى نفسه فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنعة على وحدانية الله وعلى حكمة

ثم يستدل بذلك على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واقعدا صطفينا في الدنيا) أي اخترناه في الدنيا
للمرسلة من دون سائر الخليفة وعرفناه الملة التي هي جامعة للوحدة والعدل والشرائع (وانه في الآخر قلن
الصالحين) أي مع آياته المرسلين في الجنة (اذ قال له ربه) عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس
واطلاعه أمارات الحدوث فيها وذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك حين خرج من السرب (أسلم) أي
فرد في عقالتك وقل لا اله الا الله (قال أسلمت لرب العالمين) ويقال قال له ربه حين دعا قومه الى التوحيد
أسلم أي أخلص دينك بحمك لله قال أسلمت أي أخلصت ديني وعلمي لله رب العالمين ويقال قال له ربه
حين ألقى في النار أسلم نفسك الى قال أسلمت نفسي لله رب العالمين أي فوضت أمري اليه وقد حقق ذلك
حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار (وروى) وقرأنا من ابن عامر وأوصى به مرة
مفتوحة قبل وأوصاكنه (١٤) أي باتباع الملة (ابراهيم بنه) وكانوا ثمانية اسماعيل وهو أول
أولاده وأمه هاجر القبطية وامه محق وامه سارة والبقية وهم مدن ومدين وبعشان وزمران واشبق وشوح
امهم قهطوراء الكنعانية تزوجها ابراهيم بعد وفاة سارة (وبعقوب) والاشهر انه معطوف على ابراهيم
ويجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر والمعنى أن يعقوب وصى كوصية ابراهيم وقرئ بالذنب عطف على بنه
والمعنى وصى بها ابراهيم بنه وناقضه يعقوب (يا بني) هو على اضعاف القول عند البصريين ومتعلق
بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول (ان الله اعطاني) أي اختار (لكم الدين) أي دين الاسلام
الذي هو صفة الأديان (فلا تعون الا وانتم مسلمون) أي فأنتم واعى الاسلام حتى تقوموا مسلمين مخلصين
له تعالى بالنوحيد والعبادة تروى أن اليهود قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تعلم أن يعقوب
أوصى بنه باليهودية يوم مات فنزلت هذه الآية (أم كنتم شهداء) أي أكنتم بامعشر اليهود حضراء
(اذ حضر يعقوب الموت) بماذا أوصى بنه باليهودية أو الاسلام أي حضره أسباب الموت (اذ قال
لينبسي ما تعبدون من بعدى) أي أي شيء تعبدونه بعد موتي (قالوا نعبد الهك وانه آباءك ابراهيم
واسماعيل واسحق الها واحد ونحن له مسلمون) أي مقرون بالعبادة والتوحيد (تلك) أي ابراهيم
وبعقوب وبنوهم (أمة) أي جماعة (قد خلعت) أي مضت بالموت (لها) أي لتلك الأمة (ما كسبت)
من الخير أي جزاؤه (ولكم) أي بامعشر اليهود (ما كسبت) أي جزاؤه ما كسبتموه من العمل (ولا تسألون)
يوم القيامة (عما كانوا يعملون) كما لا يسألون عن عملكم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا صغية
حمة محمد يا فاطمة بنت محمد أتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسائكم فاني لأغني عنكم من الله شيئا وقال
ومن ابطنه عمله لم يسرع عمله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أي قالت يهود المدينة للمؤمنين كونوا
هودا أي اتبعوا اليهودية وقالت نصارى فخران للمؤمنين كونوا نصارى أي اتبعوا النصرانية (تهدتوا)
من الضلالة (قل بل ملة ابراهيم) أي قل يا مشرك الخلق بل اتبعوا ملة ابراهيم أي بل تكون أهل ملة
ابراهيم (حنيفا) أي مستقيما مخالفا لليهود والنصارى منحرفا عنهم (وما كان من المشركين) أي
ما كان ابراهيم على دينهم وهذا اعلام بطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اثرهم بهم بقوله عزيز بن
نعمان المسيحي بن الله (قولوا) أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك (آمن بالله وما
أنزل البنا) وهو القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف العشرة (واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط) وهم بنو يعقوب وكانوا اثني عشر رجلا وهم يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون
ولاوي ودان ونفتالي وجاد وريبلون ويشجرون دان والصحف انما أنزلت على ابراهيم لكن لما كانوا متعبدين

بتلك الصحف كانوا داخلين تحت أحكامها فكذلك نزل اليهم ايضا كما ان القرآن منزل الينا (وما أوتي
 موسى) من التوراة (وعيسى) من الانجيل (وما أوتي النبيون من ربهم) من كتبهم والهجرات
 (لا تفرق بين أحد منهم) كذاب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بجميعهم (ونحن
 له) أي الله (مسلون) أي مخلصون (فإن آمنوا) أي اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به فقد اعتدوا)
 أي فإن آمنوا بالتوراة من غير تصحيح وتفسير كما أنكم آمنتم بالقرآن من غير تصحيح وتفسير فقد
 اعتدوا لانهم يتوصلون بذلك الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به
 صرتم مؤمنين فقد اعتدوا من الضلالة بدين محمد وإبراهيم (وإن قولوا) أي أعرضوا عن الايمان بالنبيين
 وكتبهم (فإنهم في شقاق) أي فإنهم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق (فسيكفيكم الله)
 أي سيكفي الله شقاقهم وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وضرب
 الجزية عليهم (وهو السميع العليم) فيدرك ما يقولون وما يضررون وقادر على عقوبتهم (صبغة الله)
 أي اطلبوا صبغة الله وهي دين الاسلام عبر بهما عن الذين لكونه تطهير للمؤمنين من أوضاع الكفر وحلية
 تزيينهم بما ناره الجميلة ومنداخل في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك كقيل انما معنى
 دين الله بصبغة الله لان اليهود تصبغ ولادها يهود والنصارى تصبغ أولادها نصارى يعني انهم
 يلتقونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون في قلوبهم فقال تعالى صبغة الله أي اتبعوا دين الله (ومن أحسن
 من الله صبغة) أي لا صبغة أحسن من صبغة تعالى لانه تعالى يصبغ عباده بالايمان ويظهرهم به من
 أوساخ الكفر (ونحن له) أي الله الذي أعطانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكر الحاصل لثمرته
 (قل أنتم خير ناس في الله) أي في شأن الله أن اصطفى رسوله من العرب لامنكم وتقولون لو أنزل الله على
 أحد لا نزل عليكم وترى فيكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) فإنه أعلم بتدبير خلقه وبعين يصلح
 للرسالة وعن لا يهمل لها فلا تعترضوا على ربكم فإن العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تقوى
 الأمر بالصليحة له (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لا يرجع اليان من أفعالكم ضرر وانما امرادنا نصكم
 وإرشادكم (ونحن له مخلصون) في العبودية ولستم كذلك فكن أولى بالاصطفاء (أم تقولون) قرأ
 ابن عامر وحزرة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المخاطبة فأم يحتمل أن تكون متصلة بمعادلة
 للهمزة والتقدير بأي المحبتين تتعلقون في أمرنا بالانوحيد أم بالتباع دين الانبياء وإن تكون منقطعة
 مقدرة بيل والهمزة دالة على الانتقال من التوبيخ على الحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم
 السلام وقرأه الباقر بالياء على صبغة الغيبة فأم منقطعة غير داخل تحت الأمر واردة من الله تعالى توبيخا
 لهم لا من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهمج الالتفات (إن إبراهيم وإسماعيل وإسماعيل
 ويعقوب والأسباط) أي أولاد يعقوب (كانوا) قبل نزول التوراة والانجيل (هودا أو نصارى قل) يا أشرف
 الخلق لهم (أأنتم أعلم) أي دينهم (أم الله) فإن الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والانجيل وفي
 القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مسلمين مبرئين من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم)
 أي لا أحد أظلم (من كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهو شهادته تعالى لإبراهيم
 عليه السلام بدين الاسلام والبراءة من اليهودية والنصرانية وهم اليهود (وما الله بفاعل عما تعلمون)
 أي تسكتون من الشهادة (ذلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
 يعملون) هذا تكرير ليكون وعظا لليهود وجرأهم حتى لا يتسكوا على فضل آباءه فكل واحد يؤخذ

بعملة (سيعول السفهاء) أي الجهال الذين خفت أحلامهم (من الناس) وهم اليهود كما قاله ابن عباس ومجاهد لا نكر النسخ وكرامة التوجه إلى الكعبة والفائل منهم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن حزمة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق وقيل هم المتأفقون كما قاله السدي لمجرد الاستعزاء والطعن وقيل هم مشركوا العرب كما قاله ابن عباس والبراء بن عازب والحسن والأصم الطعني في الدين (ما ولاهم) أي أي شيء صرف المؤمنين (عن قبلتهم التي كانوا عليها) وهي بيت المقدس (قيل) لهم يا أشرف الخلق (لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها ملكا والخلق عبيده لا يختص به مكان وإنما العبرة بامتثال أمره لا بخصوص المكان (يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) أي موصل إلى سعادة الدارين وقد هداها إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة تارة أخرى (وكذلك) أي كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبل (جعلناكم) بآمة محمد (أمة وسطا) أي خيارا عدولا مدوحين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن أرسلهم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي يشهد بعد التكميم روى أن الامم يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيقولون أمة محمد يشهدون لنا فيؤتي بآمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم الماضية من أين عرفتم وأنتم بعدنا فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتي محمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمة فيزكهم ويشهد بعد التكميم وقيل معنى قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أنه صلى الله عليه وسلم إذا دعي على أمة أنه بلغهم تقبل منه هذه الدعوى ولا يطالب بشهادة فسميت دعواه شهادة من حيث قبولها وعدم توقفها على شيء آخر (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أي وما صيرنا تلك القبلة الآن الجهة التي كنت عليها أولا وهي الكعبة إلا لنعلمهم معاملة من يخونهم ونعلم حيث نهدم يتبع الرسول في التوجه إلى ما أمر به من يرتد عن دين الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى الكعبة فلما هاجر أمر بالصلاة إلى خرفة بيت المقدس تألفا لليهود فصلى اليها سبعة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة وارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا رجع محمد إلى دين آباءه (وان) هي الخفة من الثقل أي وانها (كانت) أي التولية إلى الكعبة (الكعبة) أي شاقة على الناس (الاعلى الذين هدى الله) منهم وهم الثابتون على الايمان (وما كان الله ليضيق ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان بل أعداكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المتسوخة ولا تسلك اليها أي فان الله لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلاة (ان الله بالناس) أي بالمؤمنين (لرؤوف رحيم) فلا يدع صلاتهم إلى بيت المقدس (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فقد للتكميم رأى كثير انرى تصرف نظرك في جهة السماء انتظارا للوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبل ابراهيم ابيه وأدعى العرب إلى الايمان لانها فخر لهم ولتحالف اليهود فكان يتنظر نزول جبريل بالوحى بالنحو بل (فلنولينك قبلة ترضاها) أي فلنحولك في الصلاة إلى قبلة تحبها لا غرض الا في صحة التي أصررتنا في قلبي (قول وجهك شطر المسجد الحرام) أي فأصرف وجهك بذلك لتلقا الكعبة أي استقبل عينها بصدرك في الصلاة وان كنت بعيدا عنها والمراد بالمسجد الحرام هنا الكعبة كما هو في أكثر الروايات وقال آخرون المراد بالمسجد الحرام جميع المسجد الحرام وقال آخرون والمراد به الحرم كله روى عن ابن عباس أنه قال ان بيت الله لاهل المسجد والمسجد

قبله لاهل الحرم والحرم قبله لاهل المشرق والمغرب وهذا قول مالك (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)
 أى فى أى موضع كنتم يا أئمة محمد بن بر أو بجر مشرق أو مغرب فأصروا وأوجوهكم تلقاء المسجد الحرام
 لذى هو بمعنى الكعبة (وان الذين أتوا الكتاب) هم أباة اليهود وعلماء النصارى (ليؤمنوا أنه)
 أى التوراة الى الكعبة (الحق من ربهم) لمعاينةهم لما هو مستور فى كتبهم من أنه صلى الله عليه وسلم يصلى
 الى القبلة ولو كان يكتمونه (وما الله بغافل عما يعملون) قرأه ابن عامر وحزقوا الكسافى بالثناء اما خطاب
 للمسلمين أى وما الله بساه عما تعلمون أيها المسلمون من امتثال أمر القبلة واما خطاب لاهل الكتاب أى
 وما الله بغافل عما تكتمون يا أهل الكتاب خبر الرسول وخبر القبله لذكروا الباقيات بالياء على أنه راجع
 لهؤلاء (واستأن اثبت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلنا) أى والله لئن جئت الذين أعطوا
 الكتاب اليهود والنصارى بكل حجة قطعية دالة على صدق فى ان تحولك بأمر من الله ماصلوا الى قبلتك
 وما دخلوا فى دينك (وما أنت بتابع قبلتهم) أى اليهود والنصارى وهذا بيان أن هذه القبلة لا تصير
 منسوخة وحسب اطماع أهل الكتاب وقرئ بتابع قبلتهم بالإضافة (وبما نضمنه بتابع قبله بعض)
 فليهود بيت المقدس وللنصارى المشرق (ولئن اتبعتم أهواءهم) أى الامور التى يحبونها منكم (من)
 بعد ما جألكم من العلم) أى الوصى فى أمر القبلة بأنك لا تعود الى قبلتهم (انك اذا) أى انك لو فعلت
 ذلك على سبيل تقدير المستحيل وقوعه (لن الظالمين) لانفسهم (الذين آتيناهم الكتاب) أى
 أعطيناهم علم التوراة (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جليلة يميزون بينه وبين
 غيره (كمن يعرفون أبناءهم) لا تشبه عليهم أبناءهم وأبناء غيرهم قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 لعبد الله بن سلام رضى الله عنه كيف هذه المعرفة المذكورة فى هذه الآية فقال عبد الله يا عمر اقد عرفته
 حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بعمد أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول
 الله حقاً وقد نعمة الله تعالى فى كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء قبل عمر رأسه وقال الله يا أبا سلام
 فقد صدقت (وان فرقا منهم) أى من أهل الكتاب (ليكتمون الحق) أى أمر محمد صلى الله عليه
 وسلم (وهم يعلمون) أن صفة محمد مكتوبة فى التوراة وان نجس وان كتمان الحق معصية (الحق من
 ربك) مبتدأ وخبر أى الحق الذى أنت عليه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ربك ويحتمل
 أن الحق خبر مبتدأ محذوف أى ما كتبه هو الحق وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك بالنصب على
 انه بدل من الاول أو مفعول ليهأون (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى أن علماء أهل الكتاب
 علموا حقيقة نبوتك وشريعتك (ولكل وجهة) قال بعضهم أى لكل قوم من المسلمين جهة من الكعبة
 يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية وقال آخرون ولكل واحد من الرسل وأصحاب
 الشرائع جهة قبله قبله المقربين العرش وقبله الر وحائمين الكرمى وقبله السكر وبين البيت المعمور
 وقبله الأنبياء الذين قبلك حتى عيسى عليه السلام بيت المقدس وقبله الكعبة وهى قبله إبراهيم (هو)
 أى الله (مواليها) أى أمر بأن يستقبلها وفى قراءة عبد الله بن عامر الخفى هو مولاها وهى قراءة ابن عباس
 وأبى جعفر محمد بن على الباقر والمعنى هو أى لكل قوم مولى تلك الجهة وقرئ ولكل وجهة بالإضافة
 (فأسبغوا الخيرات) أى فبادروا يا أئمة محمد الى الطاعات وقبول أوامرها (أنفمات كونوا) أى فى أى
 موضع تكونوا من بر أو بحر (بأن يكلم الله جميعاً) أى يجمعكم الله يوم القيامة فيجزيكم على الخيرات
 (ان الله على كل شئ قدير) من جمعكم وغيره (ومن حيث خرجت) أى من أى مكان خرجت اليه

للسفر (فول وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام وأنه) أي هذا الأمر (للحق) أي الثابت الموافق
 للحكمة (من ربك وما الله بغافل عما تعملون) قرأه أبو عمر وبالياء على القيسية وهو راجع للكفار أي
 من انكار أمر القبلة والباقون بالناء على الخطاب (ومن حيث خرجت) في أسفارك ومغازيك من
 المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك) في الصلاة (شطر المسجد الحرام) أي تلقاه (وحيث ما كنتم)
 من أقطار الأرض مقبين أو مسافرين في بر أو بحر (فولوا وجوهكم) في الصلاة من محالككم (شطره)
 أي المسجد الحرام وكر الله تعالى أمر التولي لشطر المسجد الحرام ثلاث مرات تأكيداً لأمر القبلة لأن
 التسبيح من مظان الفتنة والشبهة مع أنه تعالى علق بكل آية قائدة أمامي الآية الأولى فيبين أن أهل الكتاب
 يعلمون أن أمر نبوة محمد وأمر هذه القبلة حق لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل وأما الآية الثانية
 فيبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق وشهادة الله بكونه حقا ما غيرة أعلم أهل الكتاب بكونه حقا وأما الآية
 الثالثة فيبين أنه تعالى قطع حجة اليهود والمشركون وذلك قوله تعالى (لئلا يكون للناس) أي اليهود
 والمشركون (عليكم حجة) أي محادلة في التولي والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن
 محمد ابجد دينة أو يتبع قبلتنا وذلك مدفوع بأن المنعوت في التوراة قبلته صلى الله عليه وسلم الكعبة
 وتدفع احتجاج المشركون بأنه صلى الله عليه وسلم يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (الذين ظلموا منكم)
 أي الالمعادين منهم فأنهم يقولون ما تحول إلى الكعبة الاميل إلى دين قومهم وجبال بلده (فلا تخشوهم)
 أي فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم فأنهم لا يضرورنكم (واخشوني) أي احذروا عقابي فلا تخافوا
 أمرى (ولا تهنئوا عليكم) بالقبلة كما أتممت عليكم بالدين (واعلمكم ثم تدون) إلى الحق (كما أرسلنا
 فيكم رسولا منكم) أي من نسبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما يتعلق بقبلة أي ولا تهنئوا
 عليكم في أمر القبلة كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول وإمامة تعلق بعبادة أي كما ذكرتمكم
 بالارسل فاذكروني (يتلوا عليكم آياتنا) أي يقرأ عليكم القرآن بالأمر والنهي (ويرذككم) أي
 يظهركم من الذنوب بالتوحيد والصدقة (ويعلمكم الكتاب) أي معاني القرآن (والحكمة) أي
 السنة (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي يعلمكم أخبار الأمم الماضية وقصص الأنبياء وأخبار
 الحوادث المستقبلية (فاذكروني) باللسان والقلب والجوارح فالصلاة مشتملة على الثلاثة فالاول
 كالسبح والتكبير والثاني كالخشوع وتدبر القراءة والثالث كالركوع والسجود (اذكركم)
 بالاحسان والرحمة والنعمة في الدنيا والآخرة (واشكروا لي) نعمتي بانطاعة (ولا تكفروا) أي لا تتركوا
 شكرها (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) على تجميع الذنوب (بالصبر) على أداء فرائض الله وترك المعاصي
 وعلى المرازي (والصلاة) أي بكمرة صلاة التطوع في الليل والنهار (إن الله مع الصابرين) بالنصر
 (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) كسائر الأموات (بل أحياء) أي بل هم كأحياء أهل الجنة
 في الجنة يزقون من الخف (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وحالهم قال ابن عباس نزلت الآية في قتلى بدر
 وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا ستم من المهاجرين وغمانية من الأنصار والمهاجرون عبيدة بن الحرث
 ابن عبد المطلب وعمر بن أبي وقاص وذو الشمالين وعمر بن نفيلة وعامر بن بكر ومهجع بن عبد الله
 ولا نصار سعيد بن خيفة وقيس بن عبد المذزر وزيد بن الحرث وتميم بن الهمام ورافع بن المعلى وحاتمة بن
 سراق ومعوذ بن عفراء وعوف بن عفراء وكان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنهس الله تعالى أن
 يقال فيهم أنهم ماتوا وقال آخرون إن الكفار والمنافقين قالوا إن الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاهم

من غير فائدة فنزلت تلك الآية (ولنبأونكم) أي والله لنصيبكم إصابة من يحتسب أحوالكم أتصبرون
على البلاء وتسلمون القضاء أم لا (بنبي) أي بقليل (من الخوف) من العدو (والجوع) في حلق السنين
(ونقص من الأموال) بالهلاك (والأنفس) بالقتل والموت (والأثرات) بالجوائح قال الشافعي
رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكاة والصدقات
والنقص من الأنفس الأمراض ومن أضرمت موت الأولاد (وبشر النصابرين) الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أول كل من يتأني منه البشارة (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا) باللسان والقلب معا
(إنا لله) أي نحن عبدا لله (وانا إليه راجعون) بعد الموت قال أبو بكر الأرقاء إنا لله أقرارا بالملك له
تعالى وانا إليه راجعون أقرارا على أنفسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات) أي مغفرة (من ربهم ورحمة)
أي لطف (وأولئك هم المتهجدون) للاسترجاع حيث سلموا القضاء الله تعالى (إن الصفا والمروة من
شعائر الله) أي من علامات مواضع العمدات لله بالج والعمره (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه
أن يطوف بهما) أي فلا تنح عليه في أن يسعى بينهما سبعا قال ابن عباس كان على الصفا صم اسمه
اساف وعلى المروة صم آخر اسمه نائلة وكان أهل الجاهلية يطوفون بهما ويقيمون بهما فلما جاء
الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لاجل العففين فأذن الله تعالى فيه وأخبر أنه من شعائر الله لا من
شعائر الجاهلية (ومن تطوع خيرا) أي زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمره حتى طاف بالصفا
والمروة تطوعا (فإن الله شاكر) أي يجازي على الطاعة (علم) أي يعلم قدر الجزاء فلا يحس المحقق
حقه (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) هي كل ما أنزل الله على الأنبياء (والهدي) أي
ما يهدي في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والإيمان به من الدلائل العقلية والقلبية (من بعد ما بيناه
للناس) أي ابني إسرائيل (في الكتاب) أي التوراة (أولئك لعنهم الله) أي يبعدهم من رحمته
(ويأثمهم اللاعنون) أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون اللهم العنهم وهو لا مداد أب الأرض كذا قال
بجاهد أخرجه سعيد بن منصور وغيره وقال قتادة والربيع هم الملائكة والمؤمنون أخرجه ابن جرير (ألا
الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا (وأصلحوا) بالعزم على عدم العود (وبينوا) ما كتبوا (فأولئك
أتوب عليهم) أي أقبل توبتهم (وانا لتواب) أي القابل لتوبة من تاب (الرحيم) أي المبالغ في
نشر الرحمة مات على التوبة (إن الذين كفروا) بالكتمان وغيره (ومناوهم كفارا) بالله
ورسوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حتى أهل دينهم فانهم يوم القيامة يلعن
بعضهم بعضا (خالدين فيها) أي اللعنة (لا يخفف عنهم العذاب) طرفه عين (ولا هم ينظرون) أي
يوجدون من العذاب فإذا استعملوا الأيعهون وإذا استغاثوا لا يغاثون (والهكم) أي المستحق منكم
العبادة (إله واحد) أي فرد في الألوية (إله الأهل) أي لا معبود لنا من جود إلا إله الواحد (الرحمن
الرحيم) خبر أن آخران للبتدا فلرحمن المبالغ في النعمة والرحيم كثير النعمة (إن في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء
من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والأرض آيات لقوم يعقلون) اعلم أنه تعالى لما حكى بالوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل
التي يمكن أن يستدل بها على وجوده تعالى وعلى برأيه من الأداد النوع الأول السموات والأرض والآيات
في السماء هي ممكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآيات في

الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والآنهار والاشجار
 وأنهار النوع الثاني الليل والآنهار والآيات فيها ما تعاقبها بالجي والذهب واختلافها في الطول
 والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانتظام أحوال العباد في معاشهم بالراحة في الليل والسعي
 في الكسب في النهار النوع الثالث السفن والآيات فيها جريانها على وجه الماء وهي موقرة بالانقلاب
 والرحال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لرحل السفن مع قوة سلطان الماء وهيجان
 البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع ركوب السفن والعمل عليها في التجارة والآيات في ذلك
 أن الله تعالى لو لم يبق قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهم وأيضا فإن الله تعالى
 خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين فصار ذلك سبيبا يدعوهم الى انقضاء الاخطار في الاسفار من ركوب
 السفن وخوف البحر وغير ذلك فالخامل ينتفع لانه يرجو المحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع
 الخامس نزول المطر من السماء والآيات في ذلك ان الله جعل الماء سببا للحياة لجميع الموجودات من
 حيوان ونبات وانه ينزله عند الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء وينزله بمكان دون مكان النوع
 السادس انتشار كل دابة في الأرض والآيات في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم
 مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنه والطباع والخلق والوصاف الى غير
 ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان (النوع السابع) الريح والآيات فيه انه جسم لطيف
 لا يمسك ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقطع الشجر واليعثر ويحرب البنيان وهو مع ذلك حياة
 الوجود فلو أرسل طرفة عين لمات كل ذي روح وأنت ما على وجه الأرض (النوع الثامن) السحاب
 والآيات في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى
 معلقا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسندة قال القاضي زكريا ان السحاب من شجرة
 مثمرة في الجنة والمطر من بحر تحت العرش (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أي ومن الكفار
 من يعبد من غير الله أو نانا (يحبونهم) حبا كأننا (كحب الله) أي كحبهم لله تعالى أي يسوون بينه
 تعالى وبين الاصنام في الطاعة والقهر العظيم أو يحبون عبادتهم أصنامهم كحب المؤمنين الله تعالى بالعبادة
 (والذين آمنوا أشد حبا لله) من الكفار لا أصنامهم فان المؤمنين لا يضرعون الا الى الله تعالى بخلاف
 المشركين فانهم يعدلون الى الله عند الحاجة وعند زوال الحاجة يرجعون الى الاصنام (ولو يرى الذين
 ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) قر الجهور ولو يرى بالياء المنقوطة
 من تحت مع فتح الهمزة من أن عند القراء السبعة والمثنى ولو يعلم الذين شركوا بالله شدة عذاب الله
 وقوته لما اتخذوا من دونه أندادا وعلى قراء بعض القراء غير السبع بكسر الهمزة من ان كان التقدير ولو
 يعلم الذين ظلموا بعبادة الاصنام عجزها حال مشاهدتها عذاب الله لقالوا ان القوة لله وقرأنا مع وابن عامر
 ترى بالناء المنقوطة من فوق مع فتح الهمزة على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو اكل أحد عن يصلح
 للخطاب والمعنى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ترى أن القوة لله جميعا ولو كسرت الهمزة كان المعنى
 ولو ترى الذين أشركوا اذ يرون العذاب لقلت ان القوة لله جميعا وقرأ ابن عامر يرون بضم الياء (اذ تبرا
 الذين اتبعوا) أي القادة وهم الرؤسا من مشركي الانس (من الذين اتبعوا) أي السفلة (ورأوا
 العذاب) أي وقدر أي القادة والسفلة العذاب في الآخرة (وتقطعت بهم الأسباب) أي تقطعت عنهم
 المواصلات والارحام والاعمال والعهود والالفة بينهم أي أنكر القادة اضلال السفلة يوم القيامة حين

يجمعهم الله (وقال الذين اتبعوا) أي السفلة (نؤمن لنا كرامة) أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا (فنتبرأ منهم)
 أي القادة هناك (كما نبرأ منكم) اليوم (كذلك) أي كما أراهم الله مدة عذابه (يرحمهم الله أجمعين)
 حسرات) أي ندامات شديدة (عليهم) أي عني تغريبطهم (وما هم) أي القادة والسفلة (بخارجين
 من النار) بعد دخولها (يا أيها الناس) قال ابن عباس نزلت الآية في الذين حرموا على أنفسهم
 السوائب والوصائل وأنجأهم وهم قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدح (كلوا مما في
 الأرض) أي من الحرث والانتعام (حلالا طيبا) أي مباحا بأن لا يكون متعلقا به حق الغير (ولا
 تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقصدوا طرق وساوس الشيطان في تحريم الحرث والانتعام (أنه لكم
 عدو مبين) أي ظاهر العدو عند ذوى البصيرة (اغياكم بالسوء) أي القبيح من الذنوب التي
 لاحد فيها (والنحشاء) أي المعاصي التي فيها حد (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) أي ربأن تقولوا
 على الله مالا تعلمون أن الله تعالى حرم هذا وذلك (واذا قيل لهم) أي لشركي العرب (اتبعوا ما أنزل
 الله) من التوحيد وتحليل الطيبات (قلوا) لا تتبعه (بل تتبع ما ألقىنا عليه آباءنا) أي ما وجدناهم
 عليه من عبادة الأصنام وتحريم الطيبات ونحو ذلك قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) أي أتبعوهم
 وإن كان آباؤهم (لا يعقلون شيئا) من الدين (ولا يمتدون) إلى الحق (ومثل الذين كفروا كمثل
 الذي يذوق عذابا لا يسمع إلا دعاءه ونداءه) أي يصفه الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليدهم ليسم كصفة
 الراعي الذي يصوت على ماله يسمع من البهاائم فأنما الانتعام الأصوات الراعي من غير فهم لكلامه أصلا فكما
 أن الكلام مع البهاائم عبث عديم الفائدة فكذلك التقليد يقال مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم
 للأوثان كمثل الراعي الذي يتكلم مع البهاائم فكما يحكم على الراعي بقلة العقل فكذلك هؤلاء (صم) لأنهم
 لم يسمعوا الحق (بكم) لأنهم لم يستجيبوا لما دعوا إليه (عوى) لأنهم أعرضوا عن الدلائل (فهم
 لا يعقلون) أي لا يفقهون أمر الله ودعوة نبي صلى الله عليه وسلم كما لا تفهم البهاائم كلام الراعي
 (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي كلوا من حلال ما أعطيناكم من الحرث
 والانتعام (واشكروا لله) على ما رزقكم الطيبات (إن كنتم آباء تعبدون) أي إن صبح أنفسكم
 تخصونه بالعبادة وتقررون أنه تعالى هو المذموم لا غير فإن الشكر رأس العبادات (انما حرم عليكم الميتة)
 أي أكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة أما اللحم والجراد فهم ما خارجان عنها باستثناء
 الشرع تخرج الطحال من اللحم (والدم يلحم الحنظل) أي جميع أجزائه وانما خص اللحم لأنه
 القصد بالأكلة (وما أهل به لغير الله) فاصول وبه نائب الفاعل والباء بمعنى في مع حذف مضاف
 والمعنى وما صبح في ذبحه لغير الله والكفار يرفعون الصوت لألهتهم عند الذبح وقال الربيع ابن أنس
 وابن زيد والمعنى وما ذكركم عليه غير الله وعلى هذا فغير الله نائب الفاعل واللام صلة قال العلماء لو أن
 مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدا وذبحته ذبيحة مرتد (فإن انظر) أي
 أخرج إلى أكل ما ذكر بأن أصله جوع شديد ولم يجد حلالا يسد به الرمق أو أكره على تناول ذلك
 (غير باغ) أي غير طالب للذة (ولأعد) أي متجاوز سد الجوعة كما نقل عن الحسن وقتادة والربيع
 ومجاهد وابن زيد وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد على المسلمين بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للمعاصي
 بالسفر وهو ظاهر مذهب السافعي وقول أحمد رحمه الله (فلا تأثم عليه) في أكل ما ذكر (إن الله
 غفور) إن أكل في حال الاضطرار (رحيم) حيث أباح في تناول قدر الحاجة (إن الذين يكفون

ما أنزل الله من الكتاب) المنفل على الأحكام من المحللات والمحرمات وعلى نعم محمد صلى الله عليه وسلم
(ويشترون به) أى بالسكنان (غنائم ليل) أى عوضا حقيرا (أو ثلث ما يأتى) أى ما يأتى في بطونهم (الأنار)
أى الإلهام الذى هو سبب النار يوم القيامة (ولا يكتمه الله) بكلام طيب (يوم القيامة) أى لا يكتفون
أى لا يظهرونهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) يحلص الله لى قلوبهم (أو ثلث الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة) أى أولئك الكفار اختاروا ما يحببه النار على ما يحببه الجنة (فما
أسبرهم على النار) أى فما أحرأهم على النار (ذلك بأن الله أنزل الكتاب بالحق) أى ذلك الوعيد
معلوم لهم بسبب أن الله أنزل الكتاب بالصدق أو ذلك العذاب بسبب أن الله أنزل الكتاب ببيان الحق وهم
قد حرفوا وتأوؤوا (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها
(الفرى شقاق بعيد) أى فى خلاف بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا وجوهكم) فى الصلاة (قبل المشرق)
أى جهة الكعبة (والمغرب) أى جهة بيت المقدس وقرأ خفض وحرزة بنصب البر على أنه خبر مقدم
(واكن البر) ولكن الشخص البر (من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى
المال على حبه) أى مع حب المال وهو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر (ذرى
القربى) أى القرابة (واليتامى) أى المحايىج منهم (والمساكين وابن السبيل) أى ما ر
الطريق (والسائلين) أى الذين الجائهم الحاجة إلى السؤال (وفى الرقاب) أى فى المكتنين وقيل
فى اشتراء الرقاب لاعتناقها (وأقام الصلاة) المفروضة منها (وآتى الزكاة) أى المفروضة (والموفون
بعهودهم) عطف على من آمن (إذا عاهدوا) فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس (والصابرين)
مفعول لفعل محذوف كذا كر (فى البأساء) أى الخوف والبلاء والشدة (والغراء) أى الأمراض
والأوجاع والجوع (وحيز البأس) أى وقت شدة القتال فى سبيل الله (أو ثلث الذين صدقوا) فى
الدين وطلب البر (أو ثلث هم المتقون) عن الكفر **تنبيه** قوله ليس البر هو اسم جامع لكل
طاعة ثم قوله ولكن البر هو اسم فاعل والأصل بر ربك كسر الراء الأولى فلما أريد الادغام نقلت كسرة الراء
إلى الباء بعد سلب حركتها وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل الذى هو البار كما هو القراءاة الشاذة واختلف فى
المخاطب بهذه الآية فقال بعضهم المراد مخاطبة اليهود لما شدوا فى الثبات على التوجه جهة بيت المقدس
فقال تعالى ليس البر هذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله وقال بعضهم بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا
أنهم قد نالوا البغية بالتوجه إلى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخطبوا بهذا الكلام وقال بعضهم
بل هو خطاب لكل وقل الله تعالى إن صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب بل البر لا يحصل
إلا عند مجموع أمور أحدها الإيمان بالله فأهل الكتاب أدخلوا بذلك فأن اليهود قالوا بالتجسيم ووصفوا الله
تعالى بالجنل وقالوا عزيز بن الله وأن النصرارى قالوا المسيح بن الله وثانيها الإيمان باليوم الآخر فاليهود
أدخلوا بهذا الإيمان حيث قالوا نحن نؤمن بالله واليوم الآخر والنصارى أنكروا المعاد الجسهانى
وثالثها الإيمان بالملائكة فاليهود أدخلوا بذلك حيث أظهروا أعداء جبريل عليه السلام ورابعها
الإيمان بكتب الله فاليهود والنصارى قد أدخلوا بذلك حيث لم يقبلوا القرآن وخامسها الإيمان بالنبيين
واليهود أدخلوا بذلك حيث قتلوا الأنبياء وطعنوا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وسادسها بذل الأموال
على رفق أمر الله تعالى واليهود أدخلوا بذلك لأنهم يلقون الشهادة لطلب المال القليل وسابعها إقامة
الصلوات وإزكوات فاليهود كانوا يعنعون الناس منها وثامنها الوفاء بالعهد واليهود نقضوا العهد (بأيها

الذين آمنوا كتب عليكم القصاص (أي فرض عليكم المماثلة وصفة وفعل) (في القتل) أي بسبب قتل
القتلى عند مطالبة الولي بالقصاص (الحرب بالحرب) أي الحر يقتل الحر لا يقتل العبد (والعبد بالعبد)
وبالحرم من باب أولى (والأنتى بالانتى) وبينت الأحاديث أنه يقتل أحد أنواعين المذكورين الانتى بالآخر
ويعتبر أن لا يفصل القاتل القاتل بالدين والاصلية والحرية (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف
وأداء له باحسان) أي فمن سهل له من أولياء الدم من أخيه الذي هو القاتل شيء من المال فعلى ولي الدم
مطالبة ذلك المال من ذلك القاتل من غير تشديد بالمطالبة وقول القاتل أداء الدية إلى ولي الدم من غير
مطالبة وبخس بل على بشر وظلقة وقول جميل ومعنى هذه الآية أن الله تعالى حث الأولياء إذا دعوا إلى
الصالح من الدم على الدية كلها وبعضها إن يرضوا به ويعفوا عن القود (ذلك) أي الحكم من جواز
القصاص والعفو عنه على الدية (تخفيف) في حكمكم (من ربكم ورحمة) للقاتل من القتل لأن
العفو وأخذ الدية محرمان على اليهود بل فرض عليهم القصاص وحده والقصاص والدية محرمان على
النصارى بل فرض عليهم العفو على الإطلاق وفي ذلك تضيق على كل من الوارث والقاتل
وهذه الآية مخيرة بين الثلاث القصاص والدية والعفو ويسير عليهم (فمن اعتدى) أي جاوز الحد
(بعد ذلك) أي بعد بيان كيفية القصاص والدية (فله عذاب أليم) أي شديد الألم في الآخرة (ولكم
في القصاص حياة) أي ولكم في مشروعية القصاص حياة لأن من أراد قتل الشخص إذا علم القصاص
ارتدع عن القتل فيسبب حياة لنفسه ولأن الجماعة يقاتلون بالواحد فتنتشر الفتنة بينهم فإذا اقتصر
من القاتل سلم الباقيون فيكون ذلك سببا لحياتهم (يا أولى الألباب) أي ذوى العقول الخالية من الهوى
(لعلكم تتقون) أي لكي تتقوا المسألة في أمره وترك المحافظة عليه (كتب عليكم إذا حضر أحدكم
الموت أن تتركوا خير الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) أي فرض عليكم الوصية للوالدين والأولاد كما
قاله عبد الرحمن بن زيد أو الرحم غير الوالدين كما قاله ابن عباس ومجاهد بالعدل بحسب استحقاقهم فلا
يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث إذا ظهرت على أحدكم أمارات الموت كالمرض المخوف أن ترك ما لا قال
الأصم أنهم كانوا يوصون بالابعدين طلبا للغير والشرف ويتركون الأقارب في الفقر والمسكنة فأوجب
الله تعالى في أول الإسلام الوصية لهؤلاء ممنعاً للقوم عما كانوا يعتادوه (حقا على المتقين) أي حق
ذلك حقا على الموحدين (أن يتركوا) أي الوصية من وصي وشاهد ما بانسكار الوصية من أصلها أو بالنقص
فيها أو بتبديل صفاتها أو غير ذلك (بعد ما جمعه) أي بعد علم الوصية (فلا تأثموا) أي التبديل (على
الذين يبدلون) أي الوصية لأعلى الميت لأنهم كانوا يخالفوا حكم الشرع (إن الله مجيب) لوصية الميت
(عليهم) بالمبدل فيجازي الميت بالخير والمبدل بالشرا (فمن خاف من موص) قرأه شعبه وحمزة
والكسائي بفتح الوار وتشديد الصاد أي من عظم من ميت (جنفا) أي ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية
(أو تأثموا) أي عمد في الميل في الوصية (فأصلح بينهم) أي فعل ما فيه الإصلاح بين الوصي والموصي
لهم برده إلى الثلث والعدل (فلا تأثموا عليه) أي على من علم ذلك في هذا الموضع وإن كان فيه تبديل لانه
تبديل باطل بحق بخلاف الأول (إن الله غفور) للميت إن جاز وأخطأ ولو وصي (رحيم) للوصي
حيث رخص عليه الرد إلى الثلث والعدل ومعنى الآية أن الميت إذا أخطأ في وصيته أو جاز فيها منه ما فلا تأثم
على من علم ذلك أن يغيره ويرده إلى الإصلاح بعده وانه هذا قول ابن عباس وقتادة والربيع (يا أيها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

والأهم من لدن آدم عليه السلام (اعلمكم تتقون) أي تتقون الله بصومكم وترككم الشهوات فالرغبة في المطعم والمنكوح أشد من الرغبة في غيرهما والاتقاء عنهما أشق فإذا سهل عليكم اتقاء الله بتركهما كن اتقاء الله بترك غيرهما أسهل وأخف أو المعنى لعلكم تتقون ترك المحافظة على الصوم بسبب عظم درجاته (أي أيام معدودات) أي في أيام قدرات بعد معلوم ثلاثين يوما وهي رمضان (فمن كان منكم مريضا) مرضا يضره الصوم ولو في أثناء اليوم (أو على سفر) أي مستقرا على سفر قصر (فعدة من أيام أخر) أي عليه أن أفطر صوم عدة أيام المرض والسفر أي بقدر ما أفطر من رمضان ولو مفرا وعن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال إن الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه إن شئت فواتر وإن شئت ففرق وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم على أيام من رمضان أفيجزني أن أقضيها مفترقة فقال له أرايت لو كان عليك دين فقضيته الدرهم والدرهمين أما كان يجزئك قول نعم قال فإله أحق أن يعفو ويصفح وعن عائشة أن حمزة الأسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل أصوم على السفر فقال صلى الله عليه وسلم صم إن شئت وأفطر إن شئت وروى الثاني أن عطاء قال لأن عباس أقصر إلى عرفة فقال لا فقال إلى من الظهور إن فقال لا ولكن أقصر إلى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه) أي وعلى المطيعين للصيام أن أفطروا (فدية طعام مسكين) أي قدر ما يأكله في يوم وهو ممن غالب قوت بلده وقرأ نافع وابن عامر بإضافة فدية وجمع ما كين قال ابن جرير وسلمة بن الأكوع وغيرهما إن هذه الآية منسوخة وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام مخيرين بين الصيام والفدية وإنما خيرهم الله تعالى بينهما لأنهم كانوا لم يتعودوا الصيام فاشتد عليهم فرخص الله لهم في الإفطار وقيل إن هذه الآية نزلت في حق الشيخ الحرم والمعنى وعلى الذين يقدرون على الصوم مع المشقة فدية (فمن تطوع خيرا) كأن زاد في الفدية على القدر الواجب أو صام مع إخراج الفدية (فهو) التطوع (خير له) بالثواب (وأن تصوموا) أي المرخصون لكم في الإفطار من المرضى والمسافرين والذين يقدرون على الصوم مع المشقة (خبركم أن كنتم تعلمون) ما في الصوم من الفضيلة ومن المعاني المورثة للتقوى وراءة الذمة فإن العبادة كلما كانت أشق كانت أكثر ثوابا (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي إن جبريل نزل بالقرآن جملة واحدة في ليلة القدر وكانت ليلة أربع وعشرين من رمضان من الألواح المحفوظة إلى السماء الذي ساقه لأه جبريل على السفرة فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نزل جبريل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء في ثلاث وعشرين سنة مدة النبوة بحسب الحاجة يوما بيوم آية وآيتين وثلاثا وسورة (هدى للناس) أي بيانا للناس من الضلالة (وبيئات من الهدى) أي وأوضحات من أمر الدين فالهدى الأول محمول على أصول الدين والهدى الثاني على فروع الدين (والفرقان) أي من الفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي من شهد منكم أول الشهر في الحضر فليصمه كل الشهر وشهود الشهر إما بالروية وإما بالسمع فإذا رأى إنسان هلال رمضان وقد انفرد بذلك روية ورد الإمام شهادته لزمه أن يصوم لأنه قد حصل شهود الشهر في حقه فوجب عليه الصوم وإذا شهد عدلان على روية الهلال حكم به في الصوم والفطر جميعا وإذا شهد عدل واحد على روية هلال شوال لا يحكم به أما إذا شهد على هلال رمضان فيحكم به احتياطا لأمر الصوم أي يقبل قول الواحد في إثبات العبادة ولا يقبل في الخروج منها إلا قول اثنين لكي يصوموا ولا يفطروا احتياطا (ومن كان

مريضاً) في شهر رمضان وإن كان مقيماً (أو على سفر) أي متلبساً بالسفر وقت طلوع الفجر وإن
 كان صحيحاً (فعدة) أي فلبية عدة (من أيام آخر) أي فليصوم منها بقدر ما أنظر (يريد الله بكم
 اليسر) أي رخصة الإفطار في السفر (ولا يريد بكم العسر) أي لم يرد أن يوجبكم العسر في الصوم
 في السفر (ولتكموا العدة) أي لكي تصوموا في الحضر عدة ما أفطرت في السفر وقرأ أبو بكر عن
 عاصم بن قح السكفي وتشديد الميم (ولتكبروا لله) عند انقضاء الصوم (على ما هذاكم) إلى هذه
 الطاعة قال ابن عباس حق على المسلمين إذا ردوا لعل شوال أن يكبروا وقال الشافعي وأحب اظهار
 التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وإسحاق وأبو يوسف ومحمد (ولعلمكم تشكرون) الله على
 رخصته قال الفرأفونه تعالى ولتكموا العدة عدة للأمر بعراة العدة وقوله تعالى ولتكبروا الله على
 ما علمكم الله من كيفية انقضاء وقوله تعالى ولعلمكم تشكرون عدة التسهيل (وإذا سألت عبادي عني)
 أي عن قرب وبعدى (فاني قريب) أي فقل لهم يا أشرف الخلق أني قريب منهم بالعلم والاجابة (أجيب
 دعوة الداع إذا دعان) قيل المراد من الدعاء التوبة عن الذنوب لان التائب يدعو الله تعالى عند التوبة
 واجابة الدعاء هو قبول التوبة وقيل المراد من الدعاء العبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وهذا
 يدل على ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
 جهنم داخرين وقرأ أبو عمرو وقانون عن نافع الداعي إذا دعاني بانهات الياء فيهما في الرسل والساكنون
 بمذقوا على أوصل في الأولى وعلى التحفيف في الثانية (فليست تحيى والى) أي فليمة قادر والى وليمة لموالى
 (وليؤمنوا بى) وهذا الترتيب يدل على ان العبادة لا يصل الى نور الايمان وقوته الا بتقدم الطاعات
 والعبادات (لعلهم يرشدون) أي يهتدون لمصالح دينهم ودنياهم اذا استجابوا الى وأمنوا بى وسبب
 نزول هذه الآية قيل ان أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرب ربنا فندعوه سرا ثم بعد
 فندعوه جهرا فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى عن قتادة وغيره ان الصحابة قالوا كيف ندعوك ربنا
 يا نبي الله أي بالمشاجاة أو بالنداء فأنزل الله هذه الآية وقال عطاء وغيره انهم سألو اني أي ساعة
 ندعوا الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أين
 ربنا وقال ابن عباس ان يهود أهل المدينة قالوا يا محمد كيف يسمعون بك دعاء فأنزلت هذه الآية
 (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) أي الجماعة مع نسائكم قال المفسرون كان في أول
 شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اذا أفطر الصائم حل له الاكل والشرب والنوقاع بشرط أن لا ينام ولا يصلي
 العشاء الاخرة فاذا فعل أحدهما بأن نام أو صلى العشاء حرم عليه هذه الاشياء الى الثانية القابلة فواقع
 عمر بن الخطاب أهل بيته بد صلاة العشاء فلما اغتسل أخذ بيكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
 واعتذر اليه فنام رجال واعتفروا بالجماع بعد العشاء فنزلت هذه الآية تامحة لتلك الشريعة (هن
 لباس لكم بأنتم لباس هن) هذا ميم لسبب احلال الوقاع وهو صفة اجتنابهن وستر أحدهما
 الآخر عن الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) أي تظلمونهن لانكم تسرون بالاعتصية
 في الجماع بعد صلاة العشاء والاكل بعد النوم (فتاب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم)
 أي محاذبوكم ولم يعاقبكم في الحيانة (فالآن) أي حين أحل الله لكم (ياشروهن) أي
 جامعوهن (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي اطلبوا ما وضع الله لكم بالنكاح من التناسل وقوله
 العفة أي لا تبشر والقضاء الشهوة وحدها وقيل هذا نهي عن الهل قال الشافعي لا يعزل الرجل

عن الحرمة إلا باذنهم ولا بأس أن يعزل عن الأمة وقيدل معنى ذلك ابتغوا هذه المباشرة من الزوجة والمملوكة
فإن ذلك هو الذي كتب الله لكم أي قسم الله لكم (وكلوا واشربوا) من حين يدخل الليل (حتى
يتبين لكم المحيط الأبيض من المحيط الأسود) أي حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل
حال كون المحيط الأبيض بعضا (من الفجر) الصادق ومعنى الصبح الصادق لحرا لأنه يتفجر منه النور
(ثم أنموا الصيام إلى الليل) أي إلى دخوله بغروب الشمس زالت هذه الآية في شأن حرمة من مالك بن
عدي وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله فقال هل عندك طعام فقالت
لا وأخذت قصنع له طعاما فأخذ النوم من انتعاف فأنقذه فذكره أن يأكل خوفا من الله فأصبح صائما
بجهود في عمله فلم يتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفلق ألقى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع
فأنزل الله هذه الآية (ولا تبشروهن) أي لا تنبأوهن ليلا ونهارا (وأنتم عاكفون) أي ما كنون
(في المساجد) بنسبة الاعتكاف للتقرب إلى الله تعالى (تلك) أي المباشرة (حدود الله) أي
معصية الله (فلا تقرنوها) أي فلا تقرنوا المعصية وأمر كوام مباشرة النساء ليلا ونهارا حتى تفرغوا من
الاعتكاف (كذلك) أي هكذا (بين الله آياته) أي أمره ونهيته (للناس) أو المعنى كلما بين الله ما أمركم به
ونهاكم عنه كذلك بين سائر أدلته على دينه (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا معصية الله زلت هذه
الآية في حق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب وعمار بن ياسر وغيرهما
فكانوا معتكفين في المسجد فيأتون إلى أهاليهم إذا احتاجوا ويصامعون نساءهم ويتسللون
فسرجعون إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي لا يأخذ
بعضكم مال بعض بالطريق الحرام شرعا (وتدلوهم إلى المحكام لتأكلوا من أموال الناس بالأنثم)
أي ولا تدخلوا بالأموال إلى المحكام لتأخذوا حيلة من أموال الناس متلبسين بالأنثم أي بالخلف الكاذب
(وأنتم تعاونون) أنكم مبطلون فلا أقدم على التبعييم العلم بجهه أفع وصاحبه بالتوبيخ أحق روى أن
عبدان بن الأسود الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يحلف امرؤ القيس فوهم بالخلف فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا فليلا الآية فارتدع عن اليمين وأقر بالحق وسلم إلى عبدان فنزلت
هذه الآية وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
عالم بالخصومة وجاهل بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالم فقال من قضى عليه يا رسول الله
والذي لا إله إلا هو أني محق فقال إن شئت أعادته فعادته فقضى للعالم فقال المقضي عايسه مثل ما قال أولانثم
عادته بالأنثم قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بخصومته فأغنا اقتطع قطعة من النار
فقال العالم المنقضي له يا رسول الله إن الحق حقه فقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع بخصومته وجعله حق
غيره فليتبوأ مقعده من النار ومعنى اقتطع أي أخذ وسأل معاذ بن جبل وتعليقه بن غنم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود
دقيقا كبدأ ولا يكون على حالة واحدة كالثمر فنزل قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة) أي عن فائدة
اختلاف الأهلة بزيادة والنقصان لماذا (قل) يا أشرف الخلق (هي مواقيت للناس والحج) أي هي
علامات لأغراض الناس الدينية والدنيوية وللحج كعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وصيامهم
وافطارهم وقضاء دينهم وأوقات زرعهم ومناجرهم ودخول وقت الحج وخروجه ثم نزل في شأن نفر من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كأنه خراطة كانوا يدخلون بيوتهم في الأحرام من خلفها أو من سطعها
كأفعلوا في الجاهلية قوله تعالى (وليس البربان نأوا البيوت من ظهورها) في الأحرام (ولكن البرمن
ننقى) محارمه تعالى كالصيدرتوكل على الله تعالى في جميع أمورهم (وأقوا البيوت) أي ادخلوها
(من أبوابها) في الأحرام كغيره (واتقوا الله) في تغيير الأحكام أو في جميع أموركم (لعلكم تفلحون)
لكي تغفروا بالخير في الدين والدنيا أوليكمي فنجوا من السخط والعذاب (وقاتلوا) أي جاهدوا (في
سبيل الله) أي في طاعته وطلب رضوانه في الحبل والحرم (الذين يقاتلونكم) أي يمدؤنكم بالقتال
من الكفار (ولا تعتدوا) عليهم بإبداء القتال في الحرم (إن الله لا يحب المعتدين) أي لا يريد الخير
للمعتدين (واقتلوهم) إن بدؤكم (حيث تقفتموه) أي وجدتموهم في الحبل والحرم
(وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي من مكة (والفتنة أشد من القتل) أي والفتنة التي يفتن
بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تبعها وبقاء ألم النفس بها وقيل وشركهم بالله
وعبادته أو ثبات في الحرم وصددهم لكم عنه أثر من قتلكم إياهم فيه (ولا تقتلوه عند المسجد الحرام)
أي لا تمدؤهم بالقتل في الحرم (حتى يقاتلوكم فيه) أي الحرم بالابتداء (فإن قاتلوكم) فيه
بالابتداء (فقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتلهم فيه لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب قرأ
حرمة والكسائي ولا تقتلوه حتى يقتلوكم فلو قتلوكم كله بغير ألف (كذلك) أي مثل هذا الجزاء
الواقع منكم بالقتل والإخراج (جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل ما فعلوا (فإن انتهوا) عن الكفر
(فإن الله غفور) لهم ما قد سلف (رحيم) بهم (وقاتلوهم) بالابتداء منهم في الحبل والحرم (حتى
لا تكون فتنة) أي كي لا توجد فتنة عن دينكم أي وقد كانت فتنتهم أنهم كانوا يؤذون أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم رافطوا على ذلك إلا إذا حتى ذهبوا إلى المدينة وكان
غرضهم من إثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفارا فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قاتلوهم
حتى تغلوا عليهم فلا يقتلوكم عن دينكم فلا تغفوا في الشرك (ويكون الدين) أي وكى يوجد الإسلام
والعبادة (لله) وحده لا يعبدون في الحرم سواء (فإن انتهوا) عن قتالكم في الحرم (فلا عدوان)
أي فلا سبيل لكم بالقتل (إلا على الظالمين) أي المبتدئين بالقتل أو المعنى فإن انتهوا عن الأمر الذي
يوجب قتالهم وهو ما كثروهم أو قتالهم فلا قتال إلا على الذين لا ينتهون عن الكفر فإنهم باصرارهم على
كفرهم ظالمون لأنفسهم (الشهور الحرم) الذي دخلت يا محمد فيه لقضاء العمرة وهو ذو القعدة من
السنة السابعة مقابل (بالشهر الحرم) الذي صدوكم عن دخول مكة وهو ذو القعدة من السنة السادسة
أي من استحل دمكم من المشركين في الشهور الحرم فاستحلوه فيه (والحرمان) أي الشهر الحرم والبلد
الحرم وحرمة الأحرام (قصاص) أي يحسرى فيها بدل (فمن اعتدى عليكم) بالقتال في الحرم
أو الأحرام أو الشهور الحرم (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أي جازوه بمثل ما اعتدى عليكم به
(واتقوا الله) أي اخشوه بالابتداء (واعلموا أن الله مع المتقين) بالضرورة والحفظ (واتقوا في سبيل
الله) أي في طاعة الله لقضاء العمرة (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أي ولا تلقوا أنفسكم إلى الهلاك
جميع النفقة في سبيل الله أو بالأعراف في النفقة أو بتضييع وجه المعاش (وأحسنوا) في الاتفاق على
من نظرهم مؤثمة بأن يكون ذلك الاتفاق وسطا فلا تسرفوا ولا تقروا ويقال وأحسنوا الظن في الله (إن
الله يحب المحسنين) أي يريدهم الخير ويشبههم زلت الآيات من قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله إلى

ههنا في حق الحرم مع النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء العمرة بعد عام الحديبية لأنهم خافوا أن يقاتلهم
الكفار في الحرم والأحرام والشهر الحرام وكرهوا ذلك لأن القتال في ذلك الوقت كان محرماً في تلك
الأحوال الثلاثة (وأتموا الحج والعمرة) أي أفعوا الحج والعمرة على نعت التمام بأركانها وشروطها
بأن تخلصهما للعبادة ولا تخلطهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية (فإن أحصرتم) أي منعت
عن إتمامهما بعدوا (فما استيسر من الهدى) أي فعليكم إذا أردتم التحلل ما تيسر من الهدى من بدنة
أو بقرة أو شاة ترك الحرم وأذبحوها حيث أحصرتم في حل أو حرم (ولا تحلقوا رؤسكم) حتى يبلغ الهدى
محله أي وقت مجيئه ذبحه وهو مكان الأحصاء عند الشافعي لكن يندب إرساله إلى الحرم خروجاً من
خلاف أبي حنيفة فإذا ذبحتم فاحلقوا ويجب نية التحلل عند الذبح والحلق ومن ما يحصل الخروج من
النسك قال الشافعي كل ما رجع على الحرم في ماله لا يجزئ إلا في الحرم لمساكين أهله إلا في نوعين
أحدهما من ساق هديا فغضب في طريقه فذبحه وبغض بينه وبين المساكين ومأنيه مادم المحصر بالعدو
فانه يذبح حيث حبس لأن هذا الدم انما وجب لازالة الخوف وزوال الخوف انما يحصل اذا قد رعبه
حيث أحصر (فإن كان منكم من يضاً) في بدنة محتاجة إلى المداواة واستعمال الطيب واللباس (أو) كان
(به أذى من رأسه) أي في ألم رأسه بسبب القمل والصبيان أو بسبب الصداع أو كان عنده خوف من
حدوث مرض أو ألم واحتاج إلى الحلق أجمع له ذلك بشرط بدل القدية كما قال تعالى (فقدية) أي فعلية
قدية (من صيام) في ثلاثة أيام (أو صدقة) بثلاثة أصع من غالب قوت مكة على ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع (أو نسك) أي ذبح شاة (إذا أمنتم) من العدو (فإن تمتع بالعمرة إلى الحج)
أي فن تذاً بظهورات الأحرام كطيب اللباس والنساء بسبب اتيسانه بالعمرة إلى الأحرام بالحج
(فما استيسر من الهدى) أي فعلية ما تيسر من الدم للجهيران بصفة شروط الأول أن يقدم العمرة على الحج
الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يجمع في هذه السنة الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد
الحرام الخامس أن يحرم بالحج من خوف مكة بعد الفراغ من العمرة وقت وجوب هذا الدم بعدما أحرم بالحج
ويستحب أن يذبح يوم النحر ويحوز تقديم الذبح على الأحرام بالحج بعد الفراغ من العمرة لأن دم التمتع عندنا
دم جهيران كسائر دماء الجبرانات وعند أبي حنيفة عود نسك كدم الأضحية فيختص بيوم النحر فلا يجوز
عنده الذبح قبله (فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج) أي فن لم يجد الهدى لفقده أو فقد ثمنه فعليه صيام
ثلاثة أيام في حال اشتغاله بأحرام الحج أي في أيام الاشتغال بأعمال الحج بعد الأحرام وقبل التحلل
(وسبعة إذا رجعت) إلى أهليكم ووطنكم مكة أو غيرهما وقرأ ابن أبي عمير سبعة بالنصب عطفاً على محل
ثلاثة أيام (تلك عنبرة كاملة) في البدل عن الهدى فائمه مقامه (ذلك) أي يوم الهدى وبدله على
التمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي
ومن كان مسكنه وراء الديقات عند أبي حنيفة وأهل الحل عند طائوس وغير أهل مكة عند مالك
(واتقوا الله) فيما فرض عليكم (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن تهانون بحدوده (الحج أشهر
معلومات) أي أشهر الحج معروفات بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة إلى طالع
الحزب يوم النحر عند الشافعي (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي فمن أوجب
الحج على نفسه بالأحرام فيهن فلا جماع ولا خروج عن حدود الشرع بإرتكاب المحظورات ولا خصام مع
الخدم والرفقة وغيرهما في أيام الحج وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين ولا جدال

بالنصب والباقون قرأوا السكك والنصب والمعنى على هذا ألا يكون رقت ولا فسوق ولا خلاف في الحج وذلك
 أن قرئنا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وترفع الخلاف بأن أمرنا بأن يقفوا بعرفات
 كسائر العرب واستدل على أن المنهى عنه هو الرقت والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من
 حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته أمه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يذ كر الجدال (وما تفعلوا من
 خير) كصدقة وكرتكت المنهى (يعلمه الله) أي يقبله ويحيزي به خير جزاء (وتزودوا فإن خير الزاد
 التقوى) أي تزودوا من التقوى لمعادكم فإنها خير زاد وهي فعل الواجبات وترك المحظورات وبما
 وتزودوا ما تعيشون به لسفركم في الدنيا فإن خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن
 الظلم (وايقنوا يا أولي الألباب) أي ذوي العقول (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أي
 ليس عليكم حرج في أن تطلبوا رزقا من ربكم بالتجارة في الحج (فإذا أنقضتم) أي رجعتكم (من عرفات
 فاذا كروا الله) بالنسبة والتسبيح والتحميد والتهليل (عند المشعر الحرام) وهو جبل يقف عليه
 الإمام ومعه قزح وهو آخر حد المزدلفة وقال بعضهم المشعر الحرام هو المزدلفة لأن الذكرا المأمور به عنده
 يحصل عقب الإفاضة من عرفات وماذا إلا بالبيت بالمزدلفة (واذكروا) أي الله (كل هذاكم) أي
 لأجل هدايته أياكم لعالم دينه (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) أي وإن كنتم كنتم من قبل الهدى لمن
 الضالين بالاعيان والطاعة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي ثم أرجعوا من المزدلفة إلى منى
 قبل طلوع الشمس للرعى والنحر كرجوعهم منها إبراهيم واسماعيل في ذلك الوقت على ما جاء به الرسول صلى الله
 عليه وسلم وكان العرب الذين وقفوا بالمزدلفة يرجعون إلى منى بعد طلوع الشمس وهذا كما اختاره الفقهاء
 (واستغفروا الله) باللسان مع التوبة بالقلب وهو أن يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم على
 أن لا يقصر فيما بعد ويقصد بذلك تحصيل مرضاة الله تعالى (إن الله غفور) لذنوب المستغفر (رحيم)
 أي منعم عليه (فإذا أنقضتم مناسككم فاذا كروا الله كذا كركم أباهم) وكان العرب بعد الفراغ من
 الحج يقفون بين المسجد والجبل فيبايعون في الشفاء على آبائهم في ذكركم مناقبهم وفضائلهم فقال الله
 تعالى هذه الآية فالمعنى فإذا فرغتم من عبادتكم المتعلقة بالحج كأن رميتم بحرة العقبة وطفتم واستقررتكم على
 ما كنتم عليه من الشفاء على الله وذكركم نعمائه كما كنتم جاهدكم في الشفاء على آبائكم في الجاهلية (أو أشد
 ذكرا) أي بل أكثر ذكرا من ذكركم آبائكم لأن صفات الكمال لله تعالى غير متناهية (لن الناس) أي
 المشركين أو المؤمنين (من يقول) في الموقف (ربنا آتسأ) أي اعطنا (في الدنيا) ابلا وبقرة وغنما وعبدا
 أو أمانا وما لا (ومانه في الآخرة من خلاف) أي من نصيب في الجنة بحجة (ومنهم من يقول ربنا آتسأ في الدنيا
 حسنة) أي علما وعبادة وخدمة من الذنوب وشهادة ورفعة وخدمة وكفاة وتوفيقا لخير (وفي الآخرة حسنة)
 أي الجنة ونعيمها (وقنا عذاب النار) أي أرفع عنا العذاب (أولئك) أي أهل هذه الصفة (لهم نصيب)
 أي حظ وافر في الجنة (عما كسبوا) أي من جهنم (والله سريع الحساب) أي سريع القبول
 لدعاء عباده والاجابة لهم وعالم بحجة سؤالات السائلين (واذكروا الله) أي بالتكبير والتهليل والتحميد
 (في أيام معدودات) أي في أيام التشريق الثلاثة (فمن جهل) برجوعه إلى أهله (في يومين) بعد يوم
 النحر (فلا تأثم عليه) بتجليله (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث حتى رمى فيه قبل الزوال أو بعده
 (فلا تأثم عليه) بتأخره فهم مخبرون في ذلك (لمن اتقى) أي ومن اتقى الله في حجه لانه المستضعف
 بحجه دون من سواه (واقتوا الله) أي احذروا الإخلال بما ذكر من الأحكام (واعلموا أنكم إليه)

تخشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد البعث (ومن الناس من يجعل قوله في الحياة الدنيا) أي ومن الناس من يعظم في قلبك كلامه عندما يتكلم لطلب مصالح الدنيا وهو الأخنس بن شريق الثقفي واسمه أبي كان منافقا حسن العلانية خبيث الباطن (ويشهد الله على ما في قلبه) فإن الأخنس هذا أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام ويخلف بالله أنه يحبه ويتابعه في السر ويحتل أنه يقول خالته يشهد بأن الأمر كما قلت فهذا الاستشهاد بالله وليس بين رقرأين محيص يشهد الله بفتح الياء والحاء والمعنى يعلم الله من قلبه خلاف ما أظهره (وهو الخصام) قال قتادة شديدا القسوة في معصية الله جسد الباطل عالم الإنسان باعل العمل وقال السدي أعوج الخصام (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها) أي وإذا انصرف من عندك اجتهد في إيقاع القتال بأن وقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلمهم ويؤدي إلى أنه يتبرأ بعضهم من بعض فينقطع الأرحام ويسفل الدماء (وبذلك الحرت) أي الزرع بالاحراق (والنمل) أي الحيوان بالقتل فإن الأخنس لما انصرف من بدر مررت بذي زهر وكان بينه وبين ثديف خصومة فبقيتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم (والله لا يحب الفساد) أي لا يرضى به (وإذا قيل له) أي لذلك الناس (اتق الله) في فعلك (أخذته العزة بالأنم) أي لزمه التكبر الحاصل بالانتم الذي في قلبه فإن التكبر اغما حصل بسبب ما في قلبه من الكفر والجهل وعدم النظر في الدلائل (لحسبه جهنم) أي كافيه جهنم جزاء له وعذابا (ولبس الهاد) أي لبس المستقرهي (ومن الناس من يشري) أي يشتري (نفسه) بماله (ابتغضه مرضاة الله) روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جده كان وفي عمار بن يامرو وفي حمية أمه وفي يامر أبيه وفي بلال مولى أبي بكر وفي خباب بن الارت وفي أبي ذر وفي عابس مولى حويطب أخذهم المشركون فعذبوهم فلما صهيب فقال لأهل مكة أتني شيخ كبير ولى مال ومتاع وأنا أعطيك مالى ومتاعى واشترى منكم ديني فرضوا منه بذلك وخلوا سبيله فأنصرف إلى المدينة فنزلت هذه الآية وعند دخول صهيب المدينة لقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال رجع يعل يا أبا يحيى فقال وما ذاك فقال أنزل الله فيك قرأنا في رآه عليه هذه الآية وأما خباب بن الارت وأبو ذر فقد قرأوا آية المدينة وأمامية فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل يامر وأما الباقيون فأعطوا بسبب العذاب بعض ما أراد المشركون فتركوا (وانتهر رؤف بالعباد) الذين قد لواش مكة أبي عمار وأمه وغيرهما لأنه تعالى أرشدهم لما فيه مرضاه (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت هذه الآية في شأن طائفة من مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أقاموا بهداه على تعظيم شرائع موسى فغضبوا السبوت وكرهوا الحوم الأبل والباشا وكافوا يقولون ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة فنحن نتركها احتياطا فذكر الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة ولا يمتكروا بشي من أحكام التوراة اعتقادا وعملا به لأنها صارت منسوخة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تتبعوا طرق ترزين الشيطان بتفريق الأحكام بالعمل ببعضها الموافق لشرعية موسى وعدم العمل بالبعض الآخر المخالف لها (إله لكم عدد ومبين) أي ظاهر العداوة (فإن زلتم) أي إن انصرفتم عن الطريق الذي أمرتم به (من بعد ما جاءكم البينات) أي الدلائل العقلية والنقلية كالهجرة الدائمة على الصدق كالبيان الحاصل بالقرآن والسنة (فاعلموا أن الله عزيز) أي قوى بالشدة فمن لا يتابع رسوله فلا يتبعه مانع عنكم ولا يقوته ما يريد منكم (حكيم) أي طالعواقب الأمور (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أي ما ينظر أهل

مكة إلا أن يأتيهم -م الله بلا مكيف يوم القيامة والملائكة في ظلل من الغمام فقوله في ظلل من الغمام
والملائكة مقدم وخرقنزل الغمام علامة لظهور أشد الأحوال في القيامة قال تعالى ويوم تشقق السماء
بأنهم ونزل الملائكة تنزيلا (وقضى الأمر) أي تم فصل القضاء بين الخلائق وأخذ الحقوق لأربابها
وانزال كل أحد من المكلفين منزلته في الجنة والنار (والى الله ترجع الأمور) أي إن الله تعالى ملك
عباده في الدنيا كثير من أمور خلقه فإذ صاروا إلى الآخرة فلا مال لهم في العباد سواء كما قال تعالى
والأمر يومئذ لله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ترجع بالبناء للمجهول على معنى ترد وقرأ ابن عامر
وحزرة والكسائي ترجع بالبناء للفاعل أي تصير كقوله تعالى ألا إلى الله تصير الأمور قال نحر الذين نجد
الوازي والأوضح عندي أن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة انما نزلت في حق اليهود
والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم أكلوا طاعتكم في الإيمان بأن تؤمنوا بجميع أنبياء الله وكتبه
فادخلوا بإيمانكم مع محمد صلى الله عليه وسلم بكتابه في الإسلام عن الغمام ولا تتبعوا الشبهات التي
تمسكون بها في بقايا الشريعة وعلى هذا التقدير قوله تعالى فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات
فاعلموا أن الله عز ربكم يكون خطابا مع اليهود وحيتثذكون قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة حكاية عن اليهود والمعنى أنهم لا يميلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة ألا ترى أنهم لو أجمع موسى مثل ذلك فقالوا لنؤمن لك حتى نرى الله جهرت وإذا كان
هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه
وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب وكانوا يقولون إن الله تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في
ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام
حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه فلا يحتاج حينئذ إلى التأويل ولا إلى حمل اللفظ على المجاز
وإن كان الله تعالى بعد ذلك ما يجري مجرى التهديد بقوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور (سل بني إسرائيل)
قل يا أشرف الخلق لأولاد يعقوب الحاضرين منهم قريشا (كم آتيناهم من آية بينة) أي هجرات موسى
عليه السلام كغلق البحر وظل الغمام وانزال المن والسلوى ونطق الجبل وتسليم الله تعالى لموسى
عليه السلام من الصحاب ونزال التوراة عليهم فبدوا مقتضاها وهو الإيمان بها بالكفر فاستوجبوا
العقاب من الله تعالى فأنكم لو زلتم عن آيات الله تعالى لوقعتم في العذاب كما يقع لاسلافكم أو المعنى
سل يا أشرف الخلق هؤلاء الحاضرين من بني إسرائيل تنبيههم على ضلالتهم كم آتيناهم من حجة بينة
لمحمد صلى الله عليه وسلم يعلم بها صدقه ووحدة شريعته وكفروا بها (ومن يبدل نجمة الله من بعد ما جاءته)
أي ومن يغير آيات الله الباهرة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكفر من بعد ما عرفها أو المعنى ومن
يغير دين الله وكتابه بالكفر من بعد ما جاءه بحججه (فإن الله شديد العقاب) لمن كفر به (زين للذين
كفروا الحياة الدنيا) أي حسن ما في الحياة الدنيا من سعة المعيشة لكفار مكة أي جهل ورؤساء قريش
(ويستخفون من الذين آمنوا) أي يستخفون على فقراء المؤمنين كعبد الله بن مسعود وعمار وخباب
وسالم مولى أبي حذيفة وعامر بن نهر وأبي عبيدة بن الجراح وسلمان وبلال وصهيب بضيق المعيشة
(والذين آمنوا) عن الدنيا الساغلة عن الله تعالى (فوقهم يوم القيامة) لأن المؤمنين في عليين والكافرين
في محبين ولأنهم في أوج الكرامة وهم في حضيض المذلة ولأن مخزية المؤمنين بالكفر يوم القيامة فوق
مخزية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا (والله يرزق من يشاء) في الدنيا من كافروهم ومن (بغير حساب)

أي يغرق كلف من الرزوق ومن حيث لا يحتسب وقد أغنى الله المؤمنين عما أفاض عليهم من أموال صناديد
 قريش ورؤساء اليهود حتى ملأوا كنوز كسرى وقبصر (كان الناس أمة واحدة) قائمة على الحق
 ثم اختلفوا بسبب الحسد والتمازج في طاب الدنيا فافان الناس وهو آدم وأولاده من الذكور والإناث كانوا
 أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك (فبعث الله النبيين مبشرين) الجنة إن آمن بالله (ومنذرين)
 بالنار لمن لم يؤمن بالله (وأترانا بهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) أي ليحكم
 الكتاب في الحق الذي اختلف الناس في ذلك الحق فالكتاب ما حكم والمختلف فيه وهو الحق محكوم عليه
 (وما اختلف فيه) أي الحق (الذين أوتوه) أي أعطوا الكتاب مع أن المقصود من أنزال الكتاب
 أن لا يختلفوا وإن رفعوا المنازعة في الدين (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل العقلية التي نص بها
 الله تعالى على إثبات الأصول التي لا يمكن القول بالنسوة إلا بعد ثبوتها (بغيا بينهم) أي حسد منهم أي
 أن الدلائل امامية واما عقلية أما السمعية فقد حصلت بإتيان الكتاب وأما العقلية فقد حصلت بالبينات
 المتقدمة على إتيان الكتاب فبعد ذلك لم يبق في العذر عن الحق علة فلو حصل العذر لم يكن ذلك
 لاجتماع الحسد والحرص على طاب الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا إلى ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) أي
 فهدى الله الذين آمنوا بالحق الذي اختلف فيه من اختلف بعلمه وبارادته وكرامته قال ابن زيد اختلفوا في
 القبلة فصلى اليهود إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق فهدانا الله للكمجة واختلفوا في الصيام فهدانا
 الله لشهر رمضان واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فقلنا إنه
 كان حنيفا سائما واختلفوا في عيسى فاليهود وفرطوا حيث أنكروا نبوته ورسالته والنصارى فرطوا
 حيث جعلوه الها وقلنا قولا عدلا وهو أنه عبد الله ورسوله (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
 أي طريق حق لا يضل سالكه ويقال والله يثبت من يشاء على دين قائم برضيه (أم حسبتم أن تدخلوا
 الجنة وما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزرأوا حتى يقول الرسول والذين
 آمنوا معه متى نصر الله) قال ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضرر عليهم
 لأنهم خرجوا بلا مال وزرأوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وقال قتادة والسدى نزلت في غزوة الخندق
 حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لهباب
 محمد صلى الله عليه وسلم إلى متى تقتلون أنفسكم زرأون الباطل ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكم الأمر
 والقتل ومعنى الآية أظنتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان وتصدقوا برسول دون أن
 تعبدوا الله بكل ما كلفكم به وابتلاكم بالصبر عليه ودون أن ينالكم أذى الكفار والفقر ومقاساة الأهوال
 في مجاهدة العدو كما كان كذلك من قبلكم من المؤمنين وهو المراد من قوله تعالى وما يأتكم مثل الذين خلوا
 من قبلكم أي والحال لم يأتكم شبه محنة المؤمنين الذين مضوا من قبلكم ثم بين الله ذلك الشبه مستهم
 البأساء والضراء فالبأساء تضيق جهات الحير والمنفعة والضراء انفتاح جهات الشر والآفات والألم
 ومعنى زرأوا أي حركوا بأنواع البلايا والزرأوا بمعنى حتى يقول الرسول لأن الرسل عليهم السلام يكونون
 في غاية الشدة والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء فإذا لم يبق لهم صبر حتى فجأوا كان ذلك هو الغاية
 العنصرية في الشدة فلما بلغت بهم الشدة إلى هذه الدرجة العظيمة قبل لهم (ألا إن نصر الله قريب) أجابة لهم
 من الله أرى من قوم منهم والاحسن أن يقال فالذين آمنوا فأتوا متى نصر الله ثم رسولهم قال ألا إن نصر الله

قريش روى الكلبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا غمرا وهو الذي
 قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا تنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية (يسألونك
 ماذا ينفقون) أي أي شيء تصرف المال (قل ما أنفقتم من خير) أي مال (فلأولادهم والأقربين
 واليتامى) أي المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) فالانفاق على الأولاد واليتامى واجب عند عجزهما
 عن الكسب والملك والانفاق على الأقربين وهم الأولاد وأولاد الأولاد قد يلزم عند فقده الملك حبس
 الواجب فيما ذكر قدر الكفاية وقد يكون على صلة الرحم والانفاق على اليتامى والمساكين والمساكين في
 السبيل إمام من جهة الزكاة أو من جهة صدقة التطوع فالمراد بهذه الآية من أحب التقرب إلى الله تعالى في
 باب النفقة فالأولى أن ينفق في هذه الجهات فيقدم الأولى فالأولى في صدقة التطوع (وما تفعلوا من خير)
 أي من سائر وجوه البر والطاعة (فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه ويوفي ثوابه (كتب عليكم القتال)
 أي فرض عليكم قتال الكفرة في أوقات النفي العام مع النبي صلى الله عليه وسلم (وهو كره لكم) أي
 والحال أن القتال مكره لكم طبعاً للشقة على النفس (وعسى أن تسكروا شيئاً) كالجهاد في سبيل الله
 (وهو خير لكم) لما تصيبون الشهادة والغنيمة والأجر (وعسى أن تحبوا شيئاً) كالجلوس عن الجهاد
 (وهو شر لكم) لأنكم لا تصيبون الشهادة ولا الغنيمة ولا الأجر (والله يعلم) أن الجهاد خير لكم فذلك
 يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولذلك تسكروا ما عني والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونها
 فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتنعوا بأمره تعالى نزلت تلك الآية في حق سعد بن أبي وقاص والمنذر بن
 الأسود أصحابهما (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) روى أكثر المفسرين عن ابن عباس أنه قال
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشورين
 وبعد سبعة عشر شهراً من مجيئه المدينة في ثمانية رهط وكتب له كتاباً وعهد أودعه إليه وأمره أن
 يفتحه بعد نزله في يقرأه على أصحابه ويعمل بما فيه فإذا فيه أما بعد فسر على بركة الله تعالى عن أبيه
 حتى تنزل بطن نخيل فترصد بها غير قریش لعنك أن تأتينا منه بخير فقال عبد الله معاً وطاعة لأمره
 فقال لأصحابه من أحب منكم الله هادة فإني طاق معي فإني ماض لأمره ومن أحب التخلف فليختلف
 ففرض حتى بلغ بطن نخيل بين مكة والطائف فمر عليهم عمر وبن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فمأزوا
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأدهموا بذلك أنهم قوم عمار ثم أتى واقبين
 عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش ورمى عمر وبن الحضرمي فقتله وأسر الاثنين
 وساقوا العير بجافيه من تجارة الطائف حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحت قریش
 وقالوا قد استحل محمد الشهر الحرام شهر يأمن فيه الحائف فيسفل فيه الدماء والمساكين أيضاً قد نجسوا
 من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وقال عبد الله بن جحش يا رسول
 الله أنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمة منا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أي رجب أصبناه أم في جهادى فوقفت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الغنيمة وعلى هذا التقدير فالأظهر أن هذا السؤال انما صدر عن المسلمين (قل) في جوابهم (قتال فيه)
 أي الشهر الحرام وهو رجب (كبير) أي عظيم وزرأ وقد تم الكلام ههنا والوقف ههنا تام
 (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه) أي ولكن منع الناس
 عن دين الله وطاعتهم وكفر بآله ومنع الناس عن مكة وأخرج أهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

من مكة أعظم وزر عند الله من قتل عمرو بن الحضرمي في رجب خطا مع أنه يجوز أن يكون ذلك القتل واقعا في جملة أي الآخرة (والفتنة) أي ما فعلوا الفتنة عن دين المسلمين تارة بإقامة الشبهة في قلوبهم وتارة بالتعذيب كقطعهم ببسال وصليبهم وعما رين يأمر (أكبر من القتل) أي أقطع من قتل عمرو بن الحضرمي روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة إذا عبركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فسيروهم بالكفر وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنع المؤمنين عن البيت الحرام (ولا يزالون) أي أهل مكة الكفرة (يقاؤنكم) أيها المؤمنون (حتى يروذك عن دينكم) أي كي يروذك عن دينكم الحق الذي دينهم الباطل (أن استطاعوا) وهذا استبعاد لاستطاعتهم وإشارة إلى ثبات المسلمين في دينهم (ومن يردكم عن دينهم) أي من يردكم عن دينهم فيتموه وهو كافر (بأن لم يرجع إلى الإسلام) (فأولئك) المصرون على الارتداد إلى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي عملوها في طاعة الإسلام (في الدنيا والآخرة) محبوبت الأعمال في الدنيا فهو أنه يقتل عند الظفر به ويقاوتل إلى أن ينظر به ولا يستحق من المؤمنين نصرا ولا نكاحا حسنا تبين زوجه منه ولا يستحق الميراث من كل أحد وحبوط أعمالهم في الآخرة أن الردة تبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السابقة أما لو رجع المرتد إلى الإسلام عادت إليه أعماله الصالحة مجردة عن الثواب فلا يكافأ بها وهذا هو المعتمد في مذهب الشافعي (وأولئك أصحاب النار) أي ملازموها (هم فيها خالدون) أي مقيمون لا يخرجون ولا يموتون (وروى) أن عبد الله بن جحش قال يا رسول الله هب الله لا عقاب علينا فيما فعلنا فهل نطعم منه أجرا وثوابا فنزلت هذه الآية (إن الذين آمنوا) بالله ورسوله (والذين هاجروا) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم من مكة إلى المدينة (وجاهدوا) أي بذلوا جهدهم في قتل العدو كقتل عمرو بن الحضرمي الكافر (في سبيل الله) أي لأعلاء دين الله (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطعمون في ثواب الله أو ينالون جنة الله (وانته غفور رحيم) فيحقق لهم درجاتهم إذا ماتوا على الإيمان والعمل الصالح (يسألونك عن الخمر والميسر) أي عن تناولهما (قل فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) أي عظيم بعد التحريم لما يحصل بسببه من الخسارة والمساومة وقول الفحش وإتلاف الأموال ولأن الخمر مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والهدى وقرحة أحرز الكسائي كثير بالنساء الملتئة (ومنافع للناس) قيل التحريم التجارة فيها وبالذرة والفرح برصفية اللون وحمل البضيل على الكرم وزوال الهم وهمم الطعام وقوية البناء وتوسيع الجباب في شرب الخمر وإصابة الناس بلا كد في القمار أي المغالبة بأخذ المال في أنواع اللعب (واغصهما) بعد التحريم (أكبر من نفعهما) قيل التحريم وقرب أقرب من نفعهما قال المفسر ونزلت في الخمر أربع آيات نزل بمكة قوله تعالى ومن غرات الخبيل والاعصاب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم ثم إن عمرو ومعاذ أو قرامن الصحابة منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وبعض الأنصار قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فإنها مذهبنا للعقل مسلبة للسأل فنزل فيها قوله تعالى قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشر بها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن موف ناسا منهم فشر بواو سكر واقام بعضهم يصلي أماما فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون بخذف لا تغربوا الصلاة وأنتم سكارى فقد من شربها ثم اجتمع قوم من الأنصار وفيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وواتناشدوا الأشعار حتى أشد سعد شعره فيه هجاء للأنصار فضربه أنصار إلى يبعير فشهجه شهجة موضحة فنه كالأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين

لنا في الحمر بما نأشأ فيأقترل انما الحمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهي بنا رب (ويسألونك
ماذا ينفعون) أي أي قدر ينفعونه نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الجوح سأل النبي صلى الله عليه وسلم
ماذا تنصق من أموالنا وقيل السائل معاذ بن جبل وعليه وقال الرازي كان الناس لما رأوا الله ورسوله
يحضن على الاتفاق ويدلان على عظيم ثوابه سألوا عن مقدار ما كانوا به هل هو كل المال أو بعضه فأعلمهم
الله تعالى أن العفو أي الفاضل عن الكفاية مقبول (قل العفو) أي ما بهل عا يكون فاضلا عن حاجة
الإنسان في نفسه وعياله ومن تلزمه مؤنتهم (كذلك) أي كبين الله لكم قدر المنفق وحكم الحمر والميسر
بأن فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة (يدين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية
(علكم تتفكرون في الدنيا) أنها فانية (والآخرة) أنها باقية فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم
أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا (ويسألونك عن اليتامى) كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الالتفاف
بأموال اليتامى وربعاً تزوجوا باليتيم طمعاً في مالها ثم إن الله تعالى أنزل قوله إن الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وقوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن فعند ذلك
ترك القوم مخالطة اليتامى والمقاربة من أموالهم والقيام بأموالهم فأختلت مصالح اليتامى وساءت
معيتهم فقتل ذلك على الناس فقال عبد الله بن رواحة وقيل ثابت بن رفاعه الانصارى يا رسول الله
مال كلنا منازل تسكنها اليتامى ولا كلنا يجد طعاماً ومرايا يرددهم اليتيم فهل يجوز مخالطة اليتامى
بالطعام والشراب والمساكن أم لا فنزلت هذه الآية (قل اصلاح لهم خير) أي قبل يا أمرف الخلق
اصلاح أموالهم من غير أخذ أجرة خبركم من ترك مخالطتهم وأعظم أجر لكم (وان تخالطوهم
فأخوأنكم) أي وان تخالطوهم بما لا ينفعهم فساد أموالهم فذلك جائز لانهم اخوانكم في الدين (والله
يعلم المقدس من المصلح) أي يعرف المنسدا لأموالهم بالمخالطة من المصلح لها وقيل يعلم ضهارهم أراد
الافساد والطمع في أموالهم بالنسكاح عن أراد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لكفكم ما يستند
عليكم أو اضيق الامر عليكم في مخالطتهم (إن الله عزيز) أي غالب على أمره قوى بالنقمة لمفسد
مال اليتيم (حكيم) يحكم بما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على أساس طاعة البشر (ولا
تسكعوا المشركات حتى يؤمن) أي ولا تزوجوا المشركات بالله الى أن يؤمن بالله بأن يقررن بالشهادة
ويؤمنن أحكام الاسلام هذامة صورية على غير الكايبان لما روى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجن نساء نادر روى عبد الرحمن بن عوف
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المجوس سئوا بهم سنة أهل الكتاب غيرنا لكي نسأهم ولا آكل
ذبايحهم وسبب نزول هذه الآية ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فعند قدومه جاءته امرأة مشركة اسمها عناق فالتقت الحساوة فقال
ويحك إن الاسلام حال بيني وبينك فقالت هل لك أن تزوجني فقال نعم ثم وعداها أن يأذن الرسول صلى
الله عليه وسلم فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه ما جرى في أمر عناق وسأله هل يحل له
التزوج بها أنزل الله تعالى هذه الآية (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أي لنسكاح أمة
مؤمنة خير من نسكاح مشركة ولو أعجبتكم تلك المشركة بحسنها أو بجمالها أو بحسبها أو بنسبها قال
السدي نزلت هذه الآية في حق عبد الله بن رواحة كان له أمة فأعتقها وتزوج بها فطمع عليه ناس
من المسلمين وقالوا أنتسكح أمة وعرضوا عليه حره مشركة فأنزل الله تعالى تلك الآية (ولا تسكعوا المشركين

حتى يؤمنوا) أي ولا تزوجوا الكفار ولو كانوا أهل كتاب المؤمنين حتى يؤمنوا (ولعبد من خيره
 من مشرك) أي تزوجكم لعبد من خيره من تزوجكم لمشرك (ولو أنجبكم) ذلك المشرك لماله وجماله
 وقوته وحريته (أو لثبلك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) أي إلى ما يؤدي إلى النار فإن
 الزوجة مظنة المحبة وذلك يوجب الموافقة في الأغراض وربما يؤدي ذلك إلى انتقال الدين بسبب موافقة
 المحبوب (والله يدعو إلى الجنة والمغفرة) بتبيين هذه الأحكام من الإباحة والتحريم فإن من تمسك بها
 استحق الجنة والمغفرة (بإذنه) أي بتيسيره تعالى وتوفيقه للعامل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقسراً
 الحسن والمغفرة بإذنه بالرفع أي بالمغفرة حاصلة بتيسير الله تعالى (وبين آياته) أي أمره ونهيه في
 التزوج والتزويج (لأنهم يعلمون بتذكرون) قطع المنهن عنه وحسن المدعوى إليه (ويستألفونك عن الحيض)
 أي الحيض والسائل عن ذلك ثابت الدحداح الانصاري وقيل عباد بن بشر وأسيدين الحضير لأن أهل
 الجاهلية كانوا إذا حضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فسرش ولم يساكنوها في بيت
 كفعل اليهود والمجوس وأما الانصاري كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض (قل) يا أشرف المخلوق (هو)
 أي الحيض (أذى) أي قدر الأثر المشكوك فيه واللون الفاسد والحدة القوية التي فيه كما قال صلى الله
 عليه وسلم دم الحيض هو الأسود المحتم أي المحترق من شدة حرارته (فاعتزوا بالنساء في الحيض) أي
 في موضع الحيض (ولا تقربوهن) أي لا تجامعوهن (حتى يطهرن) وهذا تأكيد لحكم الاعتزال
 قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص وبعث قوب الحضري حتى يطهرن بسكون الطاء وضم
 الحاء بمعنى حتى يزول عنهن الدم وقرأ شعبه وحزرة والكسائي بتشديد الطاء والهاء بمعنى يغتسلن (إذا
 تطهرن) أي اغتسلن أو تيممن عند تعذر استعمان الماء (فأوهن من حيث أمركم الله) أي جامعوهن في
 موضع أمركم الله به وهو القبل وقال الأصم والزجاج أي فأوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن
 لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات بالنسبة وفهم من هذا الشرط أنه يشترط بعد انقطاع الحيض
 الاغتسال لانه قد صار المجموع غايته ذلك بمنزلة قولك لا تكلم فلان حتى يدخل الدار فإذا طابت نفسه بعد
 الدخول فكلمه فانه يجب أن يتعلق بإباحة كلامه بالامر من جميعاً وانفق مالك والأوزاعي والثوري
 والمشافعي أنه إذا انقطع حيض المرأة لا يحل للزوج مجامعتها إلا بعد أن تغتسل من الحيض والمشهور عن
 أبي حنيفة أنها إن رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقربها زوجها وإن رأت عشرة أيام جاز أن يقربها قبل
 الاغتسال (إن الله يحب المتواضعين) بالنسبة على ما مضى من الذنب والترك في الحاضر والعزم على أن
 لا يفعل مثله في المستقبل (ويحب الله المتطهرين) أي المتزهدين عن المعاصي من أتيان النساء في زمان
 الحيض والأتیان في الأبدان وقيل يحب المستعجمين بالماء (نسأؤكم حوث لكم) أي قسروا نساءكم
 من دعة لا ولادكم (فأنا حوثكم) أي منزعكم (أني شئتم) أي من أي جملة شئتم أي فالمراد من
 هذه الآية أن الرجل مخير بين أن يأتي زوجته من قبلها في قبلها وبين أن يأتيها من دبرها في قبلها لأن
 سبب نزول هذه الآية ياروي أن اليهود قالوا من جامع امرأته في قبلها من دبرها كان ولدها أحول مجنبلاً
 وزعموا أن ذلك في التوراة قد كرمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب اليهود (وقدموا
 لأنفسكم) من الأعمال الصالحة كالسجدة عند الجماع وطلب الولد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال من قال بسم الله عند الجماع فأناؤه ولده له حسنة بعد أن قال ذلك الولد وعد عقبه إلى يوم القيامة
 أي يقدم ما يدخل لكم من الثواب ولأنه كونوا في قيسد قضاء الشهوة (واقتوا الله) في أدبوا النساء

وجماعتهم في الحيض (واعلموا أنكم ملاقوه) أي الله بالبعث فتزودوا ما تنتفعون به فإنه تعالى يجزيكم
 بأعمالكم (وبشر المؤمنين) خاصة بالنواب والكرامة (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبتروا
 وتتقوا ونصلوا بين الناس) أي ولا تجعلوا ذكر الله ما تعاسب إيمانكم من أن تبتروا وتتقوا وتصلوا
 بين الناس قال ابن عباس أرجعوا إلى ما هو خير لكم وكفروا بيمينكم زلت هذه الآية في شأن عبد الله بن
 وراحته فإنه حلف بالله أن لا يحسن إلى اخته وختنته أي زوج اخته بشير بن النعمان ولا يكلمهم سوا ولا
 يصلح بينهم ما فكان إذا قيل له في الصلح قول قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي أن لا أبرق يميني (والله
 عليم) أي يمينكم بترك الأحسان (عليم) بنياتكم وبكفارة اليمين (لا يؤاخذكم الله باللغو في
 أيمانكم) قال الشافعي رضي الله عنه إن اللغو قول العرب لا والله وبلى والله في الشراء والبيع وغير ذلك
 من ما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر به الهم الخلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
 الحرام ألف مرة لا تذكر ذلك ولا له قال لا والله ألف مرة وقال أبو حنيفة إن اللغو هو أن يحلف على شيء
 يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن فالشافعي لا يوجب الكفارة في المسئلة الأولى ويوجبها في الثانية وأبو
 حنيفة يحكم بالضد من ذلك (ولكن يؤاخذكم عما كسبت قلوبكم) أي قصده من الإيمان بمجدد وربط به
 لحنته فإذا حلف على شيء بالجسد في أنه كان حاصلا ثم ظهر أنه لم يحصل فقد قصد بذلك اليمين تصديق قول
 نفسه وربط قلبه بذلك فلم يكن ذلك لغوا بل كان حاصلا بكسب القلب (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم
 باللغو مع كونه ناشئا من عدم الاحتياط (عليم) حيث لم يجعل بأؤاخذة على عين الجدة (الذين يؤثرون
 نسائهم تربص أربعة أشهر) أي للذين يحلفون أن لا يجامعوهم مطلقا أو مدة تزيد على أربعة أشهر
 انظار أربعة أشهر (فإن فاقوا) أي رجعوا عن اليمين بالخلف بأن جامعوها قبل أربعة أشهر (فإن الله
 غفور) ليمينهم أن تابوا بفعل الكفارة (رحيم) حيث يبرئ كفارتهم (وإن عزموا الطلاق) أي إن
 حققوا الطلاق وبروا بيمينهم (فإن الله سميع) ليمينهم (عليم) بعزمهم فليس لهم بعد التبرص
 الألفيته أو الطلاق فإن بر المولى بيمينه وترك مجامعة امرأته حتى تجاوز أربعة أشهر بانت منه امرأته
 بتطبيق واحدة وإن جامعا قبل ذلك فعليه كفارة اليمين كما قاله ابن عباس (والمطلقات) أي ذوات
 الأقراء من الحرث المدخول بهن (يتربصن بأنفسهن) في العدة (ثلاثة قروء) فلا تتوقف العدة على
 ضرب قاض (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن) من الحمل والحيض معا وذلك لأن المرأة
 لها أغراض كثيرة في كتمانها فإذا كتمت الحمل قصرت عدة عدتها فترجى بسرعة وربما كرهت
 مراجعة الزوج وأحببت الزوج آخر وأحببت أن يلحق ولدها بالزوج الثاني فلهذه الأغراض
 تكتم الحمل وإذا كتمت الحيض فقد تحب تطويل عدتها لكي تراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير
 عدتها لتبطل رجعتة ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات (إن كن يؤمن بالله
 واليوم الآخر) فلا يجترئن على ذلك التكتان وهذا الشرط للتعليل حتى لو لم يكن مؤمنات كان عليهن
 العدة أيضا (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) أي أزواج المطلقات أحق برجعتهن في مدة ذلك
 التربص (إن أرادوا) أي البعولة بالرجعة (اصلاحا) والسبب في هذه الآية أن في الجاهلية كانوا
 يرجعون المطلقات ويريدون بذلك الإضرار بهن ليطلقوهن بعد الرجعة حتى تحتاج المرأة إلى أن تعتد
 عدة حادثة فنحو ذلك (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذي) لهن (عليهن) من الحقوق
 (بالمعروف) شرعا في حسن المعاشرة (والرجال غلبن درجة) أي فضيلة في الحق لأن حقوقهم عليهن

في أنفسهن وحقوقهن عليهن في المهر والنفقة (والله عزير) يقدر على الانتقام عن مخالف أحكامه
 (حكيم) فيما حكم بين الزوجين (الطلاق مرتان فإمسأله معروف أو تسريح إحسان) أي ذلك الطلاق
 الذي حكم الله بثبوت الرجعة للزوج هو أن وجد مرتان فأوجب بعدها تن المراتن إمسأله معروف
 أي رجعة بحسن عشرة ولطف معاملة لا على قصد اضراء أو تسريح أي إرسال بترك المراجعة حتى تنقضي
 العدة وتحصل البيونة بإحسان أي بغير ذكر سوء بعد المرافقة بأداء جميع حقوقها المالية وهذه الآية
 متناولة للجميع الأحوال لأن الزوج بعد الطلقة الثانية إما أن يراجعها وهو المراد بقوله تعالى فإمسأله معروف
 أو يتركها حتى تبين بانقضاء العدة وهو المراد بقوله تعالى أو تسريح بإحسان أو يطلقها نالته وهو المراد
 بقوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد فكانت الآية مشتملة على بيان كل الأقسام ولوجعلنا التسريح
 طلقة نالته لكان قوله تعالى فإن طلقها طلقة رابعة فإنه غير جائز وسبب نزول هذه الآية أن امرأة فسكت
 إلى عائشة رضي الله عنها بأن زوجها يطلقها ويراجعها كثيرا (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن
 شيئا) أي ومن جملة الأحسان أنه إذا أطلقها لا يأخذ منها شيئا من الذي أعطاه من المهر والنفقة وسائر
 ما تنفصل به عليها إلا ما استمتع بها في مقابلة ما أعطاه (الأن يخاف أن لا يقيمها حدود الله) أي أن لا يراجعها
 بموجب أحكام الزوجة وقرأ حزة بخاء بضم الياء (فان خفتم أن لا يقيمها حدود الله فلا جناح عليهما
 فيما اقصدت به) أي فلا حرج على الزوج في أخذ ما اقتدت الزوجة به نفسها من المال ليطلقها ولا
 عليها في إعطائه إياه بطيبة نفسها زالت هذه الآية في شأن نابت بن قيس بن شماس وفي شأن جميلة بنت
 عبد الله بن أبي شترت نفسها من زوجها بعهرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نابت خذ منها
 ما أعطيتك داخل سبيلها ففعل فكان ذلك أول خلع في الإسلام وفي سنة أبي داود أن المرأة كانت حفصة
 بنت سهل الانصارية تهتبه يجوز أن يكون أول الآية وهو قوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا خطايا
 بالزواج وآخرها وهو قوله تعالى فان خفتم خطايا باللائمة والحكماء وذلك غير غريب في القرآن ويجوز
 أن يكون الخطاب كله لللائمة والحكماء لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والعطاء عند الترافع اليهم فكانهم
 هم الآخذون والمؤتون ثم الخوف المذكور في هذه الآية يمكن حمله على الخوف المعروف وهو الاشتغال بما
 يكره وقوعه ويمكن حمله على الظن كما قرئ قراءة شاذة إلا أن يظنوا الخوف إما أن يكون من قبل المرأة فقط
 أو من قبل الزوج فقط أو من قبلهما معا ولا يحصل الخوف من قبل واحد منهما فإن كان الخوف من قبل
 المرأة بأن تكون نائزة بمغضة للزوج فيحل له أخذ المال منها وإن كان من قبل الزوج فقط بأن يسرها
 ويؤذيها حتى تلزم الغداء فهذا المال حرام كما كان الخوف حراما من قبلهما معا فذلك المال حرام أيضا
 وإن يحصل الخوف من قبل واحد منهما فقال أكثر المجتهدين إن هذا الخلع جائز والمال المأخوذ حلال
 وقال قوم أنه حرام (تلك) أي ما تقدم ذكره من أحكام الطلاق والرجعة والخلع (حدود الله) أي أحكام
 الله بين المرأة والزوج (فلا تعدوها) أي فلا تتجاوزوا عنها (ومن يتعد حدود الله) أي ومن
 يتجاوز أحكام الله إلى ما نهى الله عنه (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لأنفسهم بتعريضها
 لخط الله تعالى وعقابه (فإن طلقها) بعد الطلقة تبين (فلا تحل له من بعد) أي من بعد انطليقة
 الثالثة (حتى تسلم زواج غيره) أي المطلق مذهب جمهور المجتهدين أن المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج
 إلا بخمس شرائط تعتمد وتعد للثاني ويوطؤها ثم يطلقها ثم تعتمد منه وقال سعيد بن جبير وسعيد
 ابن المسيب تحل بمجرد العقد روى أن عمة بنت عبد الرحمن القرظي كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتبة

القرطبي فطلقها ثلاثاً فترجعت بعبد الرحمن بن الزبير القرطبي ففتح الزاوي وكسر الباء فأتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت تحت رقعة فطلقتني فبعت طلاقاً فترجعت بعبد الرحمن بن الزبير وانما هو مثل هدية النوب وأنه أراد أن يطلقني قبل أن يمسي فأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتردين أن ترجعي إلى رقعة لا حتى تدوق عسيلته ويدوق عسيلتك والعسيلة نجاز عن قليل الجماع أذيك في قليل انتشار وفي قصة عبد الرحمن بن الزبير نزل قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره والحكمة في التحليل الردع عن المراجعة إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً (وإن طلقها) أي طلق الزوج الثاني المطلقة ثلاثاً (فلا جناح عليهما) أي المرأة والزواج الأول (أن يتراجعا) بنكاح جديد ومهر (إن ظنا أن يفيما حدود الله) أي أحكام الله فيما بين المرأة والزواج (وتلك) أي الأحكام (حدود الله) أي فرائض الله (بينهم القوم يعلون) أنه من الله ويصدقون بذلك (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن ولم تنقض (فأمسكوهن بمعروف) أي فراجعوهن بغير ضرر بل بحسن المحبة والمعاشرة (أو امرؤهن بعرف) أي أو خلوهن حتى ينقض أجلهن بغير تطويل (ولا تمسكوهن ضرراً) أي لا تراجعوهن بسوء العشرة رخصتكم النفقة (لتعتدوا) أي لتظلموهن بالالجاء إلى الأقدار ولتظلموا عليهن العدة نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يدعي ثابته بن يسار طلاق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها تراجعها ثم طلقها بقصد مضارتها حتى تبقى في العدة تسعة أشهر أو أكثر (ومن يفعل ذلك) أي الأمسالة المؤدى إلى الظلم (فقد ظلم نفسه) أي أضرب نفسه بعريضة العذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله) أي أمر الله ونهيه (هزوا) بأن تعرضوا عنها (وإذا كررنا عمة الله عليكم) حيث هذا لكم إلى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية أي فاشكروها واحفظوها (وما أنزل الله عليكم من الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي السنة (يعظكم به) أي يأمركم وينهاكم بما أنزل عليكم (واتقوا الله) في أوامره كلها ولا تخالفوه في نواهيها (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتذرون (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) والمحطاب المثلل لأزواج والمعنى حينئذ (وإذا طلقتم النساء فانقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن من يريدون أن يتزوجوهن فإن الأزواج قد يعضلونهن بطلاقهم ثم أن يتزوجن ضلماً وأما لا وإياهم فتسببه الطلاق إليهم باعتبار تسببهم فيه كما يقع كثيراً أن الولي يطلب من الزوج طلاقها والمعنى حينئذ وإذا خلصتم النساء من أزواجهن بتوليةهن فانقضت عدتهن فلا تمنعهن من أن ينكحن الرجال الذين كانوا أزواجهن روى أن معقل ابن يسار زوج أخته جميلة عبد الله بن عاصم فطلقها وتركتها حتى انقضت عدتها ثم لم يجأ يخطبها لنفسه ورضيت المرأة بذلك فقال لها معقل إنه طلقك ثم تريد من مراجعته وجهي من وجهك حرام إن راجعته فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل وتلا عليه هذه الآية فقال معقل رغم أنفي لا امرؤ لي اللهم رضىت ويسميت لامرأتي ثم أنشد أخته زوجها الأول عبد الله بن عاصم (إذا راضوا بينهم) أي بأن يرضى كل واحد منهما ما لم يرضه في هذا لعقد صاحبه (بالعروف) أي بالجمل عند الشرع المستحسن عند الناس (ذلك) أي تفصيل الأحكام (بوعظيه) أي بأمره (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) لأنه المتعظ (ذلكم) أي العمل بالوعظ (أزكى لكم) أي أصح وأتق لکم (وأطوب) للغلوب من العداوة والتمسكة بسبب المحبة بينهما (والله يعلم) ما فيه صلاح أموركم (وأنتم لاتعلمون) ذلك فقد عواراً بكم

(والوالدات) ولو مطلقات (رضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) من الأبوين
 وليس فيما دون ذلك حد وانما هو على مقدار ما لا يحل المولى وما يعيش به (وعلى المولود له) أى على
 الأب (رزقهن) أى نفقتهن (وكسوتهن) لأجل الرضاع إذا كن مطلقات من الأب طلاقاً باتساقاً
 لعدم بقاء علة النكاح الموجبة لذلك ولو لم ترضعهن الوالدات لم يجب فإن كن زوجات أو رجعات قال رزق
 والسكوة لحق الزوجية ولهن أجره الرضاع ان امتنعن منه وطلبن ما ذكر (بالمعروف) أى بغير
 امراف وتقدير (لا تكاف نفس) بالنفقة على الرضاع (الأوسعها) أى الأب قدر ما أعطاه الله من
 المال (لا تضار والدة بولدها) أى بأخذ ولدها منها بعد ما رضيت بما أعطى غيرها على الرضاع مع شدة
 محبتها له (ولا مولود له) أى لا يضار أب (بولده) بطرح أولاده عليه بعد ما عرف أمه ولا يقبل ثدي غيرها مع
 أن الأب لا يمنع عليها من الرزق والسكوة (وعلى الواث مثل ذلك) أى على الصبي نفسه الذى هو
 وارث أبيه المتوفى مثل ما على الأب من النفقة والسكوة فإنه ان كان له مال وجب أجر الرضاعة فى ماله وان
 لم يكن له مال أجبرت أمه على الرضاعة ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان وهو قول مالك والشافعى وقيل
 المراد من الوارث الباقي من الأبوين أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم متعباً بأبىهما معانوا وبصارنا
 واجعلهما الوارث منا (فإن أراد) أى الوالدان (فصلاً) أى فطام الصبي عن اللبن قبل تمام
 الحولين (عن رض) أى باتفاق (منهما) لأم من أحدهما فقط (وتشاور) أى تدقيق النظر
 فيما يصلح الولد (فلا جناح عليهما) فى ذلك وكلما يجوز النقص عن الحولين عند اتفاق الأبوين عليه
 كذلك تجوز الزيادة عليهما باتفاقهما (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى ان أردتم ان تطلبوا
 مرضعاً لأولادكم (فلا جناح عليكم) فى الاسترضاع (إذا سألتم) الى المرضع (ما آتيتكم) أى
 ما آتيتوهن إياه أى ما أردتم إتيانه لمن من الأجرة وقرأ ابن كثير وحده ما آتيتكم مقصورة الآف أى ما آتيتكم
 به أى ما أردتم إتيانه (بالمعروف) أى بالمواظقة وليس نسليم الأجرة شرط الصحة الإجارة بل لتسكون
 المرضعة طيبة النفس راضية فيصير ذلك سبباً للصالح حال الصبي والاحتياط فى مصالحه (واتقوا الله) فى
 الضرار والمخالفة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون
 أزواجاً تربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أى والذين يقبض أزواجهم من رجالكم ويتركون
 أزواجاً ينتظرن بعدهم بأنفسهن فى العدة أربعة أشهر وعشرة أيام وهذه العدة سببها الوفاة عند
 الأكثرين لا العلم بالوفاة كما قال به بعضهم فلوا انقضت المدة أو أكثرها لم يبلغ المرأة خبر وفاته زوجها وجب
 أن تعتد بما انقضى والدليل على ذلك أن الصغيرة التى لا علم لها بكفى فى انقضاء عدتها انقضاء هذه المدة
 (فإذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت فى تركهن (فيمافعلن
 فى أنفسهن) من التزين وغيره من كل ما حرم عليهن فى زمن العدة لأجل وجوب الاحداد عليهن
 (بالمعروف) أى بما يحسن عقلاً وشرعاً وقيل المخاطب به ذا الخطاب بجميع المسلمين وذلك لأنهن ان
 تزوجن فى مدة العدة وجب على كل واحد منهن عن ذلك أن قد رعى المنع فان عجز وجب عليه أن
 يستعين بالسلطان (واتقوا ما تعملون) من الخمر والنمر (خبر) فيجازيكم عليه (ولا جناح عليكم
 فيما عرستم به من خطبة النساء أو كنتم فى أنفسكم) أى ولا حرج عليكم فيما طلبتم النكاح من
 النساء المعتدات لاوة والطلاق الثلاث بطريق التعريض وهو ذكر كلام محتمل مؤكده لالة الحال
 على المقصود كأن يقول ان جمع الله بيننا بالحلل يحجبني ذلك أو فيما أضمرت فى قلوبكم من قصد نكاحهن

(علم الله أنكم ستذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا) أي انما أباح لكم
 التعريض لعله بأنكم لا تصبرون على ان تكون عنهن لأن شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح
 لا تكاد يتلوه ذلك المشتبه من العزم والتقي وبأنه لا بد من كونكم ستذكروهن بالمطبة فإذا كروهن
 وإن كان لا تواعدون بذكر الجماع وهو كما قال ابن عباس بأن لا يصف الحاطب نفسه لها بكثرة الجماع كأن
 يقول لها آتيلك الاربعة والخمسة إلا أن تسارروهن بالقول غير المنكر شرعا كأن يعدها الحاطب في
 السر بالاحسان اليها والاهتمام بشأنها والتكفل بعصاها حتى يصير ذلك هذه الاشياء الجميلة ومؤكدا
 لذلك التعريض (ولا تمزوا) أي لا تتحققوا (عقد النكاح حتى يبلر الكتاب أبجله) أي حتى تبلغ العدة
 المفروضة آخرها وصارت منقضية (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما ينتم عنه (فاحذروه)
 بالاجتناب عن العزم على ذلك (واعلموا أن الله غفور) لمن يقطع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم)
 لا يعاجلهكم بالعقوبة عن ذنوبكم (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تعرضوا لهن فريضة)
 وقرأ حمزة والكسائي عماسوهن بضم الناء وبالالف بعد الميم أي لا تثقل عليكم بلزوم المهر ان طلقتم
 النساء ما لم تصامعهن أو ما لم يبدوا لهن مهر (ومتعهوهن على الموسع قدره وعلى المقتر
 قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين) أي اعطوهن متعة الطلاق بحرا لا يحاش الطلاق على الغني
 قدر ماله وامكانه وعلى ضيق الرزق قدر ماله وطاقته تنمي بما بالوجه الذي تستحقه الشريعة والمروءة وجبا
 على المؤمنين الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى طاعة الله تعالى لان المتعة بدل المهر نزلت هذه الآية
 في شأن رجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يسمها فقال له النبي صلى الله
 عليه وسلم أمتعها قال لم يكن عندي شيء قال فامتعها بقلنسوتك (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي
 تصامعهن (وقد فرضتم لهن فريضة) أي وقد بينتم مهرهن (فنصف ما فرضتم) أي فنصف ما بينتم
 ساقط (الا أن يعفون) أي الا أن تسهل الزوجات بأمرهن حقا فيسقط كل المهر (أو يعفو الذي بيده
 عقد النكاح) أي أو يسهل الزوج بيعت كل الصداق فيثبت السكك لهما (وأن تعفوا أقرب للتقوى)
 أي عفوا بعضكم أيما الزجال والنساء أقرب للالفه وطيب النفس من عدم العفو الذي فيه التخصيف
 (ولا تنسوا الفضل بينكم) أي ولا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض بأن يسهل الزوج المهر اليها
 بالكلية أو تترك المرأة المهر بالكلية (ان الله يعلمون) من الفضل والاحسان (بصير) لا يضيع
 فضلكم واحسانكم بل يجازيكم عليه (حافظوا على الصلوات) الخمس بأدائها في أوقاتها كاملة
 الأركان والشروط وهذه المحافظة تكون بين العبد والرب كأنه قيل له احفظ الصلاة ليحفظك الاله الذي
 أمرك بالصلاة وتكون بين المصلي والصلاة فكأنه قيل احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة (والصلاة
 الوسطى) أي الغزلى قيل هي صلاة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وجابر وأبي أمامة الباهلي
 وهم من أصحابه وطاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهم من التابعين وهو مذهب الشافعي فإن وطأ يقع في
 الظلام فأشبهت صلاة الليل وآخرها يقع في الضوء فأشبهت صلاة النهار ولأنها منفردة في وقت واحد
 لا تجمع بين غيرها ولأنها شهودة لأنها تؤدي بحضرة ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل هي صلاة
 العصر وهو مروى عن علي وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة فأنها متوسطة بين صلاة شفع وصلاة
 وتر ولأن وقت صلاة العصر أخفى الاوقات فلا يظهر دخول وقتها الا بنظر دقيق وتأمل عظيم في حال الظل
 فلما كانت معرفته أشق كانت الفضيلة فيها أكثر وقال بعض الفقهاء العصر وسط ولكن ليس هي

الذكر في القرآن فهنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر أحدهما ثبت بالقرآن والآخر بالسنة كما
 أن الحرم حرمان حرم مكة بالقرآن وحرم المدينة بالسنة واختار جمع من العلماء أن إحدى الصلوات
 الخمس لا بعينها فإيهما الله تعالى شريفاً ليعبد في المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر
 رمضان وأخفى ساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الأعظم في جميع الأسماء ليحفظوا على
 جميعها وأخفى وقت الموت في الأوقات ليكون المكلف خائفاً من الموت في كل الأوقات فيكون آتياً
 بالتوبة في كل الأوقات (وقوموا لله) في الصلاة (فانتبهن) أي إذا كرين داعين مواظبين على خدمة الله
 تعالى (فإن خفتن فرجالاً أو ركبانا) أي فإن خفتن من عدو وغيره فصلوا ماشية على أرجلكم بالإيماء
 في الركوع وال سجود أو راكبين على الدواب حينما توجهن والخوف الذي يفيد هذه الرخصة إما أن يكون
 في القتال أو في غير القتال فالخوف في القتال إما أن يكون في قتال واجب أو مباح فالقتال الواجب هو
 كما قتال مع الكفار وهو الأصل في صلاة الخوف ولتحقق به قتال أهل البغي وكما إذا قصد الكافر نفسه
 فإنه يجب الدفع عنه لئلا يكون اختلاصاً بحق الإسلام وقد جوز الشافعي أداء الصلاة حال المسايعة والقتال
 المباح هو أن يدفع الإنسان عن نفسه وعن كل حيوان محترم فيجوز في ذلك هذه الصلاة أما إذا قصد
 إنسان بأخذ المال فالأصح أنه تجوز هذه الصلاة وله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد
 فالدفع عن المال كالدفع عن النفس وقيل لا تجوز لأن حرمة الروح أعظم والخوف الحاصل في غير القتال
 كالهارب من الحرق والغرق والسبي والمطالب بالدين إذا كان معسراً خائفاً من الحبس عاجزاً عن بيعة
 الأعداء فليهم أن يصلوا هذه الصلاة (فإذا أمنت) بزوال الخوف الذي هو سبب الرخصة (فإذا كروا
 الله) أي فافعلوا الصلاة (كم علمكم) بقوة تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله
 فانتبهن لأن سبب الرخصة إذا زال عاد الوجوب فيه والصلاة قد تسمى ذكرًا كما في قوله تعالى فاسعوا
 أو ذكرا لله (ما لم تكونوا تعلمون) قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يقول له لم يكن أن جعلت ما الأولى
 مصدرية أما إن جعلت موصولة فما هذا بدل من الأولى أو من العالم المحذوف والذين يتوفون منكم
 ويذرون أزواجاً صبية لا زواجهن متاعاً إلى الحول غير انجراح) أي والذين يقربون من الوفاة من
 رجالكم ويتركون أزواجاً عليهم أن يوصوا وصية لزوجاتهم في أمهاتهن بثلاثة أشياء النفقة والكسوة
 والسكنى إلى تمام الحول من موتهم غير مخراجات من مسكنهن وقرأ ابن كثير ونافع والكلبي
 وأبو بكر عن عاصم وصية بالرفع أي عليهم وصية أو المعنى والذين يقبضون من رجالكم ويتركون
 أزواجاً بعد الموت وصية من الله لا زواجهم فوصية مبتدأ ولا زواجهم خبر أي أمره وتكليفه لمن
 (فإن خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن قبل الحول (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت
 (فيمافعلن في أنفسهن من معروف) أي غير منكر في الشرع أي فلا جناح على ورثة الميت
 في قطع النفقة والكسوة عنهم إذا خرجن من بيت الزوجين بما فعلن في أنفسهن من معروف من
 التزين ومن الأقدام على النكاح أو المعنى لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها
 حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليهن الذي فعلن في أنفسهن من معروف من تزين وتشوف للزوج
 (والله عزير) أي غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعي في أحكامه مصالح عبادهم واحتياط
 بهم والمفسرين أن هذه الآية منسوخة قالوا كان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل لم يكن
 لامرأته من ميراثه شيء إلا النفقة والسكنى سنة ولكنها كانت مخيرة بين أن تعتد في بيت الزوج وأن تخرج

منه قبل الحول لكن متى خرجت سقطت نفقة فقوله الوصية صارت مفسرة بالنفقة والكسوة والسكنى
الى الحول فثبت ان هذه الآية توجب أمرين النفقة والسكنى من مال الزوج سنة والاعتداد سنة لان
وجوب السكنى والنفقة من مال الميت سنة توجب المنع من التزوج بزوجة أخرى في هذه السنة ثم ان الله
تعالى نسخ هذين الحكمين وقد دل القرآن على ثبوت الميراث لها بتعيين الربع أو الثمن ودلت السنة على
انه لا وصية لوارث فصار مجموع القرآن والسنة ناسخا للوصية للزوجة بالنفقة والسكنى في الحول وجوب
العدة في الحول منسوخ بقوله تعالى يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وللطلقات متاع) أى
متعة (بالمعروف) أى بقدر حال الزوجين وما يليق بهما (حقا على المتقين) قال الشافعى رحمه الله
لكل مطلقة متعة الا المطلقة التي فرض لها مهر ولم يوجد في حقها الميسر روى أنه لما نزل قوله تعالى
ومتعوهن الى قوله تعالى حقا على المتقين ان أردت فطعت وان لم أرد لم افعل فقال
تعالى وللطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين أى على كل من كان متقيا عن الكفر (كذلك) أى
مثل ذلك اليان الواضح (يبين الله لكم آياته) هذا وعد من الله تعالى بانه سيدين لعباده من الاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا (لعلكم تعقلون) أى لكي تفقهوا ما فيها وتعملوا بها وجبها ثم ذكر
خبر غزاة بني اسرائيل فقال (ألم تر الى الذي خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم أحياهم) أى ألم يصلوا الى الذين خرجوا من منازلهم لم يقتل عدوهم وهم ثمانية آلاف أو أربعة
آلاف أو أربعون ألفا كل ذلك عن ابن عباس على اختلاف الروايات فجنوا عن القتال مخافة القتل فأما هم
الله مكانهم ثم أحياهم بعد ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمر
عسكره بالقتال فخافوا القتال وقالوا للملك ان الأرض اتقى نذهب اليها فيها الوباء فنحن لانذهب اليها
حتى يزول ذلك الوباء فأما هم الله تعالى بأمرهم وبقوا ثمانية أيام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل
موتهم فخرجوا لدفنهم فجزوا من كثرتهم فحفظوا وعليهم حظ فأحياهم الله بعد الثمانية بقي فيهم
شيء من ذلك الثمن وبقي ذلك في أولادهم الى هذا اليوم (ان الله لذو فضل على الناس) أى على أولئك
القوم بسبب انه أحياهم ومكنهم من التوبة وعلى العرب الذين أنكروا المعاد الذين عسكروا يقول اليهود في
كثير من الامور فيرجعون من الانكار الى الاقرار بالبعث بسبب اخبار اليهود لهم بهذه الواقعة
(ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضله تعالى كما ينسب في أمالك كثر في لم يشكروا وأما المؤمنون
فلم يبلغوا غاية شكره وهذه القصة تدل على أن الحذر من الموت لا يفيد هذه القصة تشجيع الانسان على
الاقدام على طاعة الله تعالى كيف كان وتزيل عن قلبه الخوف من الموت فكان ذكر هذه القصة فضلا
واحسانا من الله تعالى على عبده لان ذكر هذه القصة سبب لبعد العبد عن المعصية وقربه من الطاعة ثم
قال الله لهم بعدما أحياهم (وقاتلوا في سبيل الله) أى في طاعة الله مع عدوكم وسميت العبادات سبيلا
الى الله تعالى من حيث ان الانسان يسلكها ويتوصل الى الله بها يوم تقوم أن الجهاد تقوية للدين فكان
طاعة فلاش أن المجاهد مقاتل في سبيل الله (واعلموا أن الله معكم) لكلامكم في ترغيب الغير في
الجهاد وفي تنفير الغير عنه (علم) بنافى صدوركم من البواعث والأغراض وان ذلك الجهاد لغرض
الدين أو لغرض الدنيا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) قرأ أبو عمرو
ونافع وحزرة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ عاصم فيضاعفه بالالف والنصب وقرأ ابن كثير
فيضاعفه بالتشديد والرفع بلا ألف وقرأ ابن عامر فيضاعفه بالتشديد والنصب والمعنى من ذا الذي يعامل الله

بأنفاق ما في طاعته سواء كان الانفاق واجبا أو متطوعا به معاملة جامعة للخلال الذي لا يستلظ بالحرام
والغلوصل للخالص من المن والاذى ولنية التقرب الى الله تعالى لا ليا رغبة فيضا عاف الله جزاءه في
الدينا والآخرة ضعافا كثيرة لا يعلمها الا الله تعالى وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن
عنده ما يتصدق به فليعلن اليهود فإنه له صدقة ويرى أنه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود ان الله فقير
ونحن أغنياء فهو يطلب منا القرض (والله يقبض ويبسط) أي يقبض الرزق عن يشاء ولو أمسكه عن
الانفاق ويبسطه على من يشاء ولو أنفق منه كثيرا والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدم على
هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يدم على هذه الطاعة (والله ترجعون) فلا مدبر ولا حاكم سواء قال
ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن أبي الدحداح رجل من الانصار قال يا رسول الله ان لي حديقتين فان
تصدقت بأحداهما قول لي مثلاها في الجنة قال نعم قال رأيت الدحداح معي قال نعم قال والصبيبة معي قال نعم
فتصدق بأفضل حديقتيه وكانت تسمى الجنة تسمى أبو الدحداح أو أهلها وكانوا في الحديقة
التي تصدق بها فقال على باب الحديقة وذكر ذلك لامرأته فقالت أم الدحداح بارك الله لك في ما اشتريت
لخرجوا منها وسالوا افكان صلى الله عليه وسلم يقول كم من نخلة راح تدلى عروقها في الجنة لا بي
الدحداح (ألم ترالى الملامن بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا للنبي لهم ابعث لنا ملكا) أي ألم تخبر
يا أشرف الخلق عن قصة الرؤساء من بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى حين قالوا للنبيهم شهابيل كما قاله
وهو بن منبه أو سمعون أو يوشع بن نون كما قاله قتادة أو حزقييل كما حكاها الكرماني أو اسمعيل بن حلقا
وامم أمه حسنة كما قاله مجاهد وسبب سؤال بنى اسرائيل نبيهم ذلك أنه لما مات موسى وعظمت
الخطايا بسط الله عليهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وغلبوا على
كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذرارهم وأمر وأمن أبناء ملوكهم أربع مائة وأربعين غلاما وضربوا
عليهم الجزية وأخذوا ثورتهم ولم يكن لهم حينئذ نبي يذبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلك كوا فلم يبق
منهم الا امرأته حبلى فلبسوها في بيت فولدت غلاما فلما كبر كلفه شيخ من علمائهم في بيت المقدس فلما
بلغ الغلام أتمام جبريل فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعث فيهم نبيا فلما أتاهم
كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة فان كنت صادقا فبين لنا ملك الجيوش (انقائل) بأمرهم مع عدونا
(في سبيل الله) أي في طاعة الله وانما كان صلاح أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وبطاعة
الملوك أنبياءهم فكل الملك هو الذي يسير بالجوع والنبي هو الذي يقيم أمرهم وينسب عليه يرشده
(قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا) أي قال نبيهم هل قاربتم أن لا تقاتلوا وعدوكم
ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا) أي أي شئ ثبت لنا في ترك القتال الذي في طاعة الله والحال انه قد أبعد بعضنا من
المنازل والاولاد والقانون لنبيهم عازا كركنا في ديارهم فسال الله تعالى ذلك النبي فأرجب عليهم
القتال وعينه لهم ملكا ليقاتلهم (فلما كتب) أي أوجب (عليهم القتال تولوا) أي أعرضوا عن
قتال عدوهم لما شاهدوا كثرة العدو وشوكتهم (الا قليلا منهم) فلا ثمانية وثلاثة عشر على عدد أهل
بدر (والله عليم بالظالمين) أي هو العليم بظلم نفسه حين خالف دبه ولم يرف بما قيل من ربه (وقال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم) أي لأجل سؤالكم (طالوت ملكا) أي لما سأل الله تعالى أن يبين
لهم ما لكان أرسل الله له عصا قرأ فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبك الذي يكون ملكا هو من يكون

طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليه رجل فانتشر الدهن في القرن فهدم ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم وانه طالت فدخل عليه رجل فانتشر الدهن في القرن فقام شمويل فقااسه بالعصا فكان على طولها وقال له قرب رأسك فقربه فدهنه النبي بهن القدس وقال له أنت ملائكة بني اسرائيل الذي أمرني الله أن أملاكك عليهم فقال طالت أما علمت أن سبطي أدنى من سبط ملوك بني اسرائيل قال بنى فقال شمويل الله يؤتي ملكه من يشاء كما قال الله تعالى (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) أى قالوا من أين يكون له الملك علينا والحال نحن أولو بالملك منه وليس له سعة المال فينفق على الجيش وانما قالوا ذلك لأنه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبط وسبط ملكه فكان سبط النبط وسبط لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهرون عليهم السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه داود سليمان عليهما السلام ولم يكن طالت من أحدهما وانما كان من سبط يهوذا بن يعقوب لما قال لهم نبيهم ذلك أنكم روا وقالوا هو دباغ أوراغ أو سقاء يستقى الماء على حماره وانما تزع المالك والنبي وقته منهم لانهم علوا ذنبا عظيما كانوا يسكبون النساء على ظهر الطريق جهارا فغضب الله عليهم فخرج ذلك منهم وكانوا يسمون سبط الانثى (قال) أى نبيهم (ان الله اصطفاه) أى اختاره بالملك (عليكم وزاده بطة) أى سعة (في العلم) أى علم الحرب وعلم الديانات حتى قيل انه نبي أوحى اليه (والجسم) بالقوة على مبارزة العدو وبالجمال وبطول القامة فانه أطول من غيره برأسه ومنكبيه فكان أعلم بني اسرائيل يومئذ وأجلهم وأتمهم خلقا (وانه يؤتي ملكه من يشاء) في الدنيا (والله واسم) بالعطية (عليهم) أى يملأهم (وقال لهم نبيهم) لما قالوا ليس ملكه من الله بل أنت ملكته علينا ان آية ملكه (أى ان علامة صحة ملكه من الله (أن يأتيكم التابوت) أى الصندوق الذي أخذ منكم وهو صندوق التوراة وكانوا يعرفونه وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام أسقطه على بني اسرائيل ليعصوا وفسدوا فطلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالت قال نبي ذلك القوم ان آية ملك طالت أن يأتيكم التابوت من السماء الى الأرض والملائكة يحفظونه فأتاهم والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالت (فيه سكينه من ربكم) أى كان في التابوت بشارات من كتب الله تعالى انزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عليهم السلام بأن الله ينصر طالت وجنوده ويرزىل عنهم الخوف من العدو (وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون) وهي رصاص الألواح وعصا موسى وثيابه ونعلاه وشئ من التوراة وورده هرون وعياله (تحمله الملائكة) أى تسوقه الملائكة اليكم (ان في ذلك) أى في رد التابوت اليكم (آية لكم) أى علامة لكم دالة على ان ملكه من الله (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بتقليدكم عليكم أو المعنى ان في هذه الآية من نقل القصة مجزأة باهرة دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بهذه التفاصيل من غير سماع من البشر ان كنتم ممن يؤمن بدلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة والرسالة فلما رد اليهم التابوت قبلوا وخرجوا معه وهم ثمانون ألفا من الشيبان الغارغين من جميع الاشغال (فلما فصل طالت) أى خرج من بيت المقدس (بالجنود) أى بالجيش التي اختارها وكان الوقت قيظا وسلك بهم في أرض قفرة فأصابهم حر وعطش شديد فطلبوا منه الماء (قال ان الله مبتليكم بنهر) أى يختبركم بنهر جار يظهركم منكم المطيع والعاصي وهو بين الاردن وفلسطين أى وانقصوهم من هذا الابتلاء أن يميز الصديق عن الزنديق والموافق عن المخالف (فمن شرب منه) أى

من ماء النهر (فليس مني) أي من أتباعي المؤمنين فلا يكون مأذونا في هذا القتال (ومن لم يطعمه) أي من لم يذقه (فإنه مني الأمن) لشرف غرفة بيده (فإنه مني) ويكون أهلا لهذا القتال قرأ ابن كثير ونامع وأوسعرو غرفة بفتح الغين وكذلك يعقوب وخلف وقرأ عاصم وابن عامر وحذرة والكسائي بالضم فالغرفة بالهم الشيء القليل الذي يحصل في الكف والغرفة بالفتح الفعل وهو الاغتراف مرة واحدة فكانت تكفيهم هذه الغرفة لشربهم ودواهم وحملهم (فشرى بوائمه) أي قدامه وصلوا إلى النهر وقفوا فيه وشرى بوائمه بالكرع بالغم كيف شارا (الأقليات منهم) ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فلم يشربوا الأقليات وهو الغرقة روى أن من اغترق غرفة كما أمر الله قوى قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالما وكفنه تلك الغرفة الواحدة لشربه ردوا به وخدمه وحمله مع نفسه اما لأنه كان مأذونا في أخذ ذلك المقدار واما لأن الله تعالى يجعل البركة في ذلك الماء حتى يكفي لكل هؤلاء وذلك بمنزلة النبي ذلك الزمان وأما الذين شرى بوائمه وخالفوا أمر الله تعالى فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وابتغوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو (فما جاوزه) أي النهر (هو) أي طالوت (والذين آمنوا معه) وهم أولئك القليل (قالوا) أي بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بجواربتهم وكلوا مائة ألف رجل شاكي السلاح (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) أي ملاقوا ثواب الله بسبب طاعة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) أي كم من جماعة قليلة من المؤمنين هزمت جماعة كثيرة من الكافرين بنصر الله (والله مع الصابرين) أي معين الصابرين في الحرب بالنصر ويحتمل أن يقال المؤمنين الذين عبروا النهر كانوا قريتين بعضهم من يهيب الحياة ويكره الموت ويخاف ويحجز عنهم منهم من كان شجاعا قوى القلب لا يبالي بالموت في طاعة الله تعالى فالأول هم الذين قالوا لا طاقة لنا اليوم والثاني هم الذين أجابوا بولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ويحتمل أن يقال القسم الأول من المؤمنين لما شاهدوا فئة عسكرهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجواربت وجنوده فلا بد أن نوطن على القتل لأنه لا سبيل إلى الفرار من أمر الله والقسم الثاني قاروا لأنفسهم أن نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الأولين الترسيع في الشهادة والفوز بالجنة وغرض الفريق الثاني الترسيع في طلب الفتح والنصرة (ولما برزوا) أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصافوا (الجالوت) اسم ملأ من أولئك الكهاتيين بالشام (وجنوده قالوا) جميعا منضرين إلى الله تعالى مستعينين به تعالى (ربنا أفرغ علينا صبرا) على مساعدة الخواف والأمور الهائلة (وإنه أقدمنا) في مداحض القتال بكل القوة عند المعركة وعدم التزلزل وقت المقاومة (وانصروا على القوم الكافرين) بقتلهم وهزمهم (فوزهم باذن الله) أي كسروهم بنصرة الله أجابته لهم (وقتل داود جالوت) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن داود عليه السلام كان راعيا وله سبعة أخوة مع طالوت فلما أبطل أخيرا أخوته على أيهم أيا أرسل ابنه داود إليهم ليأتيه بخيرهم فأتاهم وهم في المصاف وبادر جالوت الجبار وهو من قوم عاد إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال يا بني إسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لا أخوته أما فيكم من يخرج إلى هذا الألف فكنوا فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها أخوته فربه طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الألف فقال طالوت أذل الله ابني وأعطيته نصف ملكي فقال داود فأتناخرج إليه وكان عادته أن يقاتل بالعلاج الذئب والاسد في الرعي وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود بأن يخرج إلى جالوت مر بثلاثة أحجار فقلن يا داود خذنا معك نغينا مائة

جالوت فلهما خرج الى جالوت الكافر رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده ثلاثين رجلا فهزم الله تعالى جنود جالوت وخرج جالوت قتيلا فاخذه داود بجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل وانهضوا الى البسلام فأتى داود الى طالوت وقال انجزني ما وعدتني فزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك كل واحد معه كذلك أربعين سنة فأتى بنو اسرائيل يداروا أعطوه فخرأش طالوت واستقل داود بالملك سبع سنين ثم انتقل الى رحمة الله تعالى كما قال تعالى (وأتاه الله الملك) أي الكامل سبع سنين بعد موت طالوت أي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها (والحكمة) أي النبوة بعد موت شمويل وكان موته قبل موت طالوت ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة لاحد قبله الا له بل كان الملك في سبيط والنبوة في سبيط آخر ومع ذلك جمع الله تعالى له ولايته سليمان بين الملك والنبوة (وعلمهما يشاء) كصناعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده ويمنحه وقهم كلام الطير والنمل وكيفية القضاء وما يتعلق بالصالح الذي به معرفة الاحسان الطيبة ولم يعط الله تعالى احدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تنبوا لحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير ويركد الماء والجاري ويسكن الريح (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) بأهلها قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد واثبتوا لادوقيل المعنى ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والعجبار لفسدت الارض عن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (ولكن الله ذو فضل على العالمين) كافة بسبب ذلك الدفع (تلك) أي القصص بأخبار الامم الماضية (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى (تتلوها عليكم) أي بواسطة جبريل (بالحق) أي ملتزمة باليقين الذي لا ينك فيه أحد من أهل الكتاب لما يجدونها وافقة لما في كتبهم (وانك لمن المرسلين) الى الجن والانس كافة بشهادة اخبارك عن الامم الماضية من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع على أحد بخبرك بذلك (تلك الرسل) أي جماعة الرسل (فضلنا بعضهم على بعض) في مراتب الكمال بأن خصصناه بمنفعة ليست لغيره (منهم من كلم الله) بلا واسطة وهو موسى حيث كلمه ليلة الحيرة وهي تحيره في معرفة طريقه من مسير من مدين الى مصر وفي الطور وبمجد حيث كلمه ليلة المعراج (ورفع بعضهم درجات) أي فضائل وهو ابراهيم لانه تعالى اتخذ خليفا لا وليا من بعده فلهذا هذه الفضيلة واندرى فانه تعالى رفعه مكانا عليا وادفاه تعالى جميع له الملك والنبوة ولم يحصل هذا لغيره وسليمان فانه تعالى منحه له الجن والطير والريح ولم يكن هذا خاصا لآبيه داود عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى خصه بأنه مبعوث الى الجن والانس وبأن شرعه ناسخ لكل الشرائع (وأتينا عيسى بن مريم بالبينات) أي البينات من احياء الموتى وابرأ الكفرة والابرص والاخبار بالغيبيات (وأيدناه بروح القدس) أي أعناه بجبريل في أول أمره وفي وسطه وفي آخره وهو نفع جبريل في عيسى وتعليمه العلوم وحفظه من الاعداء واعانتة ورفعته الى السماء حين أرادت اليه ودخلته (ولوشاء الله ما قتلت الذين من بعدهم من بعد جاءتهم البينات) أي الذين جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق (ولكن اختلفوا) في الدين (فهم من آمن) بما جاء به أولئك الرسل من كل كتاب وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك فان اختلفوا في الدين يدعوهم الى المقاتلة (ولوشاء الله ما اقتتلوا) وهذا

الشكر بل ليس للتأكيدي بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئة تعالى اهدم اقتتلهم
 بل الله تعالى مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتلهم ما اقتتلوا (ولكن الله يفعل ما يريد) فيوفق
 من يشاء ويخذل من يشاء لا اعتراض عليه في فعله (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) أي تصدقوا
 بشئ مما أعطيناكم من الاموال في طاعة الله (من قبل أن يأتي يوم لا بيع) أي فداء (فيه ولا خلة) أي
 مودة (ولا شفاعة) للكافرين وقراءين كثيرين وعسروا بالفتح في بيع وخلة وشفاعة والباقون جميعا
 بالرفع (والكافرون هم الظالمون) حيث تركوا تقديم الخبرات اليوم حاجتهم وأنتم أيها الحاضرون لا تغتدوا
 بهم ولكن قدموا لانفسكم ما تجعلونه يوم القيامة فدية لانفسكم من عذاب الله تعالى وقيل المعنى
 والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب (الله لا اله) أي لا معبود بحق ووجود
 (الاهوالى) أي انما بقى الذي لا سبيل عليه للآلوت والغناء (القيوم) أي دائم القيام بتدبير الخلق
 وحفظه في الاجداد والازراق (لا تأخذ سنة) أي نعاس (ولا نوم) تقيل فيشغله عن تدبيره وأمره
 أي لا يأخذ نعاس فضلا عن أن يأخذ نوم (له ما في السموات وما في الارض) وهذا رد على المشركين
 العابدين لبعض الكواكب التي في السماء وللانصنام التي في الارض أي فلا تصلح أن تكون معبودة لانها
 مخلوقة لله مخلوقة له (من ذا الذي يشفع عنده الا بآذنه) أي لا يشفع عنده أحد من أهل السموات
 والارض يوم القيامة الا بامره وهذا رد على المشركين حيث زعموا ان الانصنام تشفع لهم فانه تعالى لا يأذن
 في الشفاعة لغير المطيعين (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو ما فعلوه من خير
 وشر وما يفعلونه بعد ذلك (ولا يحيطون بشئ من علمه) أي يقليل من معلوماته (الاجمعا) أن
 يعلمه أي ان أحد لا يحيط بمعلومات الله تعالى الا ما شاء هو أن يعلمهم أو المعنى انهم لا يعلمون الغيب الا عند
 اطلاع الله ببعض أنبيائه على بعض الغيب (وسع كرسيه السموات والارض) فالكرسي جسم عظيم
 تحت العرش وفوق السماء السابعة وهو أوسع من السموات والارض (ولا يؤوده حفظهما) أي لا ينقل
 عليه تعالى حفظ السموات والارض بغير الملائكة (وهو العلى) أي المتعالى بذاته عن الاشياء والانظار
 (العظيم) أي الذي يستحق كل ما سواه بالنسبة اليه فهو تعالى أعلى وأعظم من كل شئ * روى
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين
 يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي أنه قال سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول
 من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت أي فاذا مات دخل
 الجنة ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجار جهده
 والابيات التي حوله (لا اكراه في الدين) أي لا اكراه على الدخول في دين الله (قد تمين الرشد من الغي)
 أي قد تم الحق من الباطل والايان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الدلائل وروى انه كن لابي
 الحصين الانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تمعرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما
 المدينة فلزمهما أبوهما وهو ما قول والله لا أدعكما حتى تسلموا وإياي اختمعوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فنزلت هذه الآية فغلب سبيلهما ثم نزل في شأن من ذر بن ساوى التميمي قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت)
 أي بالشيطان وبكل ما عبد من دون الله (ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) أي
 فقد تمسك بالنعمة المحكمة لا انقطاع لها أي فقد أخذ بالنعمة لا انقطاع لها صاحبها عن نعيم الجنة ولا زوال
 عن الجنة ولا هلاك بالبقاء في النار (والله سميع) أقول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر

(علم) بما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث أو يقال والله
مميع علم له عائلك يا محمد بمصر على اسلام أهل الكتاب وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يحسب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله تعالى ذلك مراوعلانية
(الله ولي الذين آمنوا) أي الله ناصر الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه (يخرجهم) بلطفه
وتوفيقه (من الظلمات) أي الكفر (إلى النور) أي الإيمان (والذين كفروا) كالكافرين
الاشرف وأصحابه (أولياؤهم الطاغوت) أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق (يخرجونهم)
بالوساوس وغيره من طرق الاضلال (من النور) الغطرى أي الذي جعل عليه الناس كافة أو من
نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم (إلى الظلمات) أي ظلمات الكفر
والأنهم ما في الضلال (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ما كثون أبدا (ألم تر) أي ألم
تنظر (إلى) هذا الطاغوت كيف تصدى لاضلال الناس وأخرجهم من النور إلى الظلمات (الذي
حاج إبراهيم في ربه) أي إلى قصة الذي خاصم إبراهيم في دين رب إبراهيم وهو غر وذن كنعان (أن
أتاه الله الملك) أي فطغي وأدعى الربوبية فحاج لأن أعطاه الله الملك (أد قال إبراهيم رب الذي يحيي
ويميت) أي يخلق الحياة والموت في الأجساد وقرأ حزقيال بسكون الياء وهذه الحاجة مع إبراهيم بعد
القائه في النار وخر وجهه منها لما وذلك ان الناس لم يطواعلى عهد غر وذن وكان الناس يتركون من عنده
فكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام سألته من ربك فان قال أنت باع منه الطعام أتاه إبراهيم فقال له
من ربك فقال له ذلك (قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم) له ائتني ببيان ذلك فدعا غر وذن جلين من
البحر فقتل واحدا وترك واحدا قال هذا بيان ذلك قال إبراهيم (فان الله يأتي بالشهس من المشرق)
في كل يوم (فأت بهما من المغرب) ولو يوما واحدا ان كنت صادقا فيما تدعيه من الربوبية (فهت الذي
كفر) أي سكت بغير حجة أي فيبقى مغلوبا لا يجد للجنة مقالا ولا للسهلة جوابا (والله لا يهدي القوم
الظالمين) بالكفر إلى طريق الجنة (أو كالذي) أي أرايت مثل الذي (مر على قسرية) هي بيت
المقدس كما أخرجه ابن جرير عن وهب عن قتادة والضحك وعكرمة والربيع أو القرية التي أعطاها الله فيها
الذين خرجوا من ديارهم وهم أتوف حذر الموت كما نقل عن ابن زيد أي قدرايت الذي مر على قرية كيف
هداه الله وأخرجهم من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والمارة عزير بن مروح كما روى عن علي بن أبي
طالب وعن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سدة وفها بأن
سقطت السقوف أولانم الابنية (قال أفي يحيي هذه الله بعد موتها) أي كيف يحيي الله أهل هذه
القرية بعد موتهم تهيأ من قدرة الله تعالى على أحيائها (فأما الله) مكانه فكان ميتا (مائة عام ثم
بعثه) أي أحياء في آخر النهار (قال) تعالى له (كم لبثت) أي مكنت هنا يا عزير بعد الموت والعائل
هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك القول من قبله تعالى (قال لبثت يوما) ثم نظر إلى الشمس وقد بقي منها
شيء فقال (أو بعض يوم قال) أي الله له أو الملك (بل لبثت) ميتا (مائة عام فانظر إلى طعامك) أي التين
والعنب (وشرا بك) أي العصير (لم يتسنه) أي لم يتغير ولم ينصب في هذه المدة المتطاوله فكان
التين والعنب كأنه قد سقط من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته واللين قد حلب من
ساعته (وانظر إلى حمارك) كيف تقطعت أوصاله وكيف تلوح عظامه بيضاء فعلن ذلك الأحياء
لتعابن ما استبعدته من الأحياء بعد هزطويل (وانجعلك آية للناس) أي لكي نجعلك علامة للناس

في احياء الموتى انهم يحيون على ما يموتون لانه مات شابا وبعث شابا وبعث للناس لانه كان ابن اربعين سنة
 وابنه ابن مائة وعشرين سنة (وانظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف تفسرها) قرأنا دفع وابن
 كثير وأبو عمر وبالرأى أى كيف نحييها ونخلعها وقصر حجرة والكسافي تفسرها بالرأى المعقولة أى كيف
 نرفع بعضها على بعض (ثم تكسوها الحيا) أى تبيت عليها العصب والعروق واللحم والجلد والشعر
 وتجعل فيه الروح بعد ذلك (فلمائين له) وقوع ما كان يستبعد وقوعه (قال أعلم أن الله على كل شيء)
 من الحياة والموت (قدير) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى سبب نزول هذه الآية قال ان
 يختصر البابل غزائى اسرائيل وهو فى ستمائة ألف راية قسبى من بنى اسرائيل الكثير ومنهم عزيز وكان
 من علمائهم لحاء بهم الى بابل فدخل عزيز تلك القرية التى انهدمت حيطانها ونزل تحت شجرة وهو على
 حمار فربط حماره وطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا فذهب من ذلك وقال أنى يحيى هذه الله بعد موتهم اذ ذلك
 على سبيل الاستبعاد بحسب العادة لا على سبيل الشك فى قدرة الله وكانت الاشجار مزمرة فتناول من
 الفاكهة التين والعنب وشرب من عصير العنب وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل الى العصر فى ريق ونام
 فأما الله تعالى فى منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عن موته أيضا الانس والسباع والطيور ثم أحياء الله
 تعالى بعد مائة ونودى من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت فقال يوما فأبصر من الشمس بقية فقال أو بعض
 يوم فقال الله تعالى بل لمثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير طعمها
 فنظر فاذا التين والعنب كما شاهداهم ثم قال تعالى وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح وقد
 تفرقت أوصاله ومع صوتاتها العظام البالية انى جاء على فيلر وحافانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض
 ثم التصق كل عضو بما يليق به الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب والعروق ثم أنبت طراة اللحم
 عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينطق لغير عزيز ساجدا
 وقال أعلم أن الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس لما روى انه لما مضى من وقت موته سبعون
 سنة سلط الله ملكا من ملوك فارس فسار بجنوده حتى أتى بيت المقدس فعمروه وصاروا حسن عما كان ورد
 الله تعالى من بقى من بنى اسرائيل الى بيت المقدس وفواحيه فعمروه وها ثلاثين سنة وكثروا كالحسن
 ما كانوا وأعمى الله العميون عن العزيز هذه المدة فلم يره أحد فلما مضت المائة أحياء الله تعالى منه عينييه
 وسائر جسده ميت ثم أحياء الله تعالى جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره كما سبق فلما دخل بيت المقدس
 قال القوم حدثنا آباءنا أن عزيز بن مر وحافان بن مرخيامات ببابل وقد كان يختصر قتل فى بيت
 المقدس أربعين ألفا هم قرأ التوراة وكان فيهم عزيز والقوم ما عرفوا انه بقصر التوراة فلما أتاهم
 بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملأها عليهم عن ظهر قلبه لم يخسر منها حرفا وكانت التوراة قد دفت
 فى موضع فأنخرجت وعورض بها أملاها فى حزن فعند ذلك قالوا عزيز ابن الله (و) ألم تر
 (اذ قال ابراهيم) هذا دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور (رب
 أرنى كيف يحيى الموتى) قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء بن رحيمة رأى جيفة مطروحة فى
 شط النهر فاذا به البحر كل منها دواب البحر واذا به البحر جابت السباع فأكلت واذا ذهبت
 السباع جابت الطيور فأكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرنى كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون
 السباع والطيور ودواب البحر (قال) تعالى (أولم تؤمن) أى أتسأل ولم تؤمن بقدرى على احياء
 (قال بلى) أنا مؤمن بذلك (ولكن ليطمئن قلبي) أى ولكن سألت ما سألت لتسكن حرارة قلبي وأعلم

بأن خليفته مستجاب الدعوة والمطلوب من السؤال أن يصير العلم بالاستدلال ضرورياً (قال نخذ أربعة
 من الطير) أشعثا ورزاويديكا وطارسا وزاوا وهو فرخ النعام كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس من
 طريق الضحاك أو طواسا وديكا وحماسة وغرغرا وهو الكركي كما أخرجه عنه من طريق حنش
 (قصرهن) قرأه حمزة بكسر الصاد والمباقون بضمها وتخفيف الراء أي قطعهن وأبلهن (اليلك) فقطع
 إبراهيم أعضاءها ولحمها ورشها ودمها وخالط بعضها بيهضها بيهض (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ)
 أي ثم ضع على كل جبل من أربعة أجبل منهن جزأهن أي غلى حسب الطيور الاربعة وعلى حسب
 الجهات الاربعة أيضا (ثم ادعهن) بأسمائهن أي قل لهن تعالين يا وزاويديكا ويا طارس ويا رزال باذن
 الله تعالى (وأتينك سعييا) أي مشيا مريعا ولم تأت طائفة لم يتحقق أن أرجلها سليمة في هذه الحالة
 (واعلم أن الله عزيز) أي غالب على جميع المملكات (حكيم) أي عليم بعواقب الأمور وفهايات الاشياء
 روى أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذبجها وتنفير شواربها طيعها جزأها وخالط دماؤها ولحمها وأن يحسك
 رؤسها بيهضها ثم أمر بأن يجعل أجزائها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين
 باذن الله تعالى ثم أخذ كل جزء يطير إلى الآخر حتى تكاملت الجثث ثم أقبلت كل جثة إلى رأسها سعييا
 على أرجلها وانضم كل رأس إلى جثته وصار الكل احيا باذن الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في
 سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سبائل) أي صفة صدقات الذين ينفقون أموالهم في دين الله كصفة
 حبة أخرجت سبع سنابل أو المعنى مثل الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخسرات من الواجب والنفل
 كمثل زارع حبة أخرجت سافا تشعب منه سبع شعب في كل واحدة منها سنبله (في كل سنبله مائة حبة)
 كما يشاهد ذلك في النرة والدخن بل فيهما أكثر من ذلك (والله يضاعف) فوق ذلك (لمن يشاء) على
 حسب حال المنفق من الخلاصة وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب (والله راسع)
 أي لا يضيق عليه ما يفضل به من التضعيف (عظيم) بنية المنفق وعن يستحق المضاعفة (الذين ينفقون
 أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا وما نالوا أذى) والمن هو الاعتداد بالنعمة واستعظامها على
 المنفق عليه والاذى بأن يؤدي المنفق عليه بالقول أو العمل أو في وجهه أو الدعاء عليه وقيل المراد هو المن
 على الله وهو الحب والاذى لصاحب النفقة (لهم أجرهم) أي ثواب انفاقهم (عند ربهم) في الجنة
 (ولا خوف عليهم) أي فلا يخافون فقد أجورهم ولا يخافون العذاب البتة (ولا هم يحزنون) على
 ما خلفوا من خلفهم نزلت هذه الآية في حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عفات فجوز جيش
 العسرة في غزوة تبوك بألف بعير باقتناها وأتى دينار فر فر رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول
 يا رب عثمان رضيت عنه فأرض عنه وأما عبد الرحمن بن عوف فإنه تصدق بنصف مائة أربعة آلاف دينار
 وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت انفسى وعيا إلى أربعة آلاف وأخرجت أربعة آلاف لربى
 عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين
 يعينون الجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم ولم يحظر بها لهم شيء من المن والاذى
 (قول معروف) أي كلام جميل يرد به السائل من غير اعطاء شيء (وهو غفرة) من السؤل عن بذاة
 لسان الفقير (خير) للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر التعبير بالسؤال
 (والله غني) عن صدقة العباد وإنما أمركم بالانفاق عليكم عليها (حليم) إذ لم يجهل بالعقوبة على من
 يز ويؤدي بصدقته (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) أي أجزأ صدقاتكم (بالمن والاذى)

قال ابن عباس أي بالمر على الله معناه العجب بسبب صدقتكم وبالأذى للسائل وقال الساقون بالمر على
 الفقير وبالأذى للفقير (كالذي) أي كأبطال آخر نفقة الذي (ينفق ماله رثاء الناس) أي سمعة الناس
 ولطلب المدح والشهرة (و) كالذي (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) وهو المنافق فإن المنافق والمرائي يأتيان
 بالصدقة لالوجه الله تعالى ومن يقرن الصدقة بالمر والأذى فقد أتى بتلك الصدقة لالوجه الله أيضا إذ لو كان
 غرضه من تلك الصدقة مرضاة الله تعالى للمامن على الفقير ولا آذاه في المقصود من الإبطال الاتيان بالانفاق
 باطلا لأن المقصود الاتيان به صحيحا ثم اجتنابه بسبب المر والأذى والوجه كما قال بعضهم أذافعل ذلك
 فله أجر الصدقة ولكن ذهبت مضاعفته وعليه الوزر بان (مثله) أي خاتمة المرائي في الانفاق (كمثل
 صفوان) وقيل الضمير ما تدعى المنافق فيكون المعنى ان الله تعالى يشبه المان والمؤذى بالمنافق ثم شبه
 المنافق بالجر الكبير الملس (عليه تراب) أي شئ من التراب (فأصابه وابل) أي مطر شديد
 (فتركه صلدا) أي جعل المطر ذلك الجر أملس نقيما من التراب (لا يقدر على شئ مما كسبوا) أي
 لا يقدر على ثواب شئ في الآخرة مما أنفقوا في الدنيا رثاء أو المعنى لا يجسد المان والمؤذى ثواب صدقته
 كما لا يوجد على الصفوان التراب بعد ما أصابه المطر الشديد (والله لا يهدي القوم الكافرين) إلى الخير
 والرشاد وفي هذه الآية تعريض بأن كاذبا من الريا والمؤمن والأذى على الانفاق من خصائص الكفار فلا بد
 للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبتيما من أنفسهم كمثل جنة
 ربوة أصابها وابل) أي مثل أموال الذين ينفقون أموالهم طلب رضا الله تعالى ويقينان قلوبهم بالثواب
 من الله تعالى وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا كمثل بستان في مكان مرتفع مستو
 أصابه مطر شديد كثير (فأنت أكلها ضعفين) أي فأخرجت ثمرها مضاعفا مثل ما نثر غير هابسبب
 الوابل متحمل من الربيع في سنة ما يحمل غير هافي سنتين (فإن لم يصبا وابل فطل) أي رش مثل الرذاذ
 يكفيها الجودتها ولطافة هوائها والمعنى أن نفقات هؤلاء أكرام عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت
 تنفقت باعتبار ما يعارضها من الأحوال (والله بما تعملون) عملا ظاهرا أو قلبيا (بصير) لا يخفى عليه
 شئ منه (أبوء أحدكم) أي أحب حباشديدا أو يقيني (أن تكون له جنة) أي بستان (من نخيل
 وأعناب تجري من تحتها) أي تطرد (الأنهار) من تحت شجرة تلك الجنة ومساكنها (له فيها من كل الثمرات)
 أي لذلك الأحسد حال كونه في الجنة رزق من كل الثمرات (وأصابه الكبرولة ذرية ضعفاء) أي وقد
 أصابه كبر السن فلا يقدر على الكسب والحال أنه أولاد أصغار لا يقدر على الكسب (فأصابها) أي
 الجنة (اعصار) أي ريح ترتفع إلى السماء كأنها عمود (فيه نار فأحترقت) أي تلك الجنة والمقصود
 من هذا المثل بيان أنه يحصل في قلب هذا الإنسان من الغم والحسرة والخيرة ما لا يعلمه إلا الله فكذلك من أتى
 بالأعمال الحسنة إلا أنه لا يقصد بها وجه الله بل يقرن بها أمور أخرجهما عن كونها موجهة للثواب حين
 يقدم يوم القيامة وهو حيث تد في غاية الحاجة ونهاية العجز عن اكتساب عظمته وحسنة وتناهت حيرته
 (كذلك) أي مثل هذا البيان في أثر النفقة المقبولة وغيرها (يبين الله لكم الآيات) أي الدلائل في
 سائر أمور الدين (لعلكم تتفكرون) أي لكي تتفكروا في أمثال القرآن (يا أيها الذين آمنوا)
 أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي زكوا من جياذ ما جمعتم من الذهب والفضة وعروض التجارة والمواشي
 (وعما أخرجناكم من الأرض) من الحبوب والثمار والمعادن (ولا تيمموا الخبيث) أي ولا تقصدوا
 الردي من أموالكم (منه تنفقون ولستم بأخذيه) فقولوا منه استفهام على سبيل الإنكار وهو متعلق

بالفعل بعده والمعنى أمن الحديث تنفقون في الزكاة والحال انكم لمستم قابلي الحديث اذا كان انكم حق
على صاحبكم (الا أن تمضوا فيه) أي الألبان تساهلوا في الحديث وتروا بعض حقتكم كذلك لا يقبل الله
الردى منكم (واعلموا أن الله غني) عن انفاقكم وانما يأمركم به لشفقتكم (حميد) أي مستحق الحمد
على نعمة العظام وقيل حامد بقبول الجيد والابانة عليه (الشیطان يعدكم الفقر) أي ابليس يخوفكم
بالفقر عند الصدقة ويقول لكم امسكوا أموالكم فانكم اذا تصدقتم صرتم فقراء والمعنى النفس الامارة
بالسو وتوسوس انكم بالفقر (ويأمركم بالفحشاء) أي بالهزل ومنع الزكاة الصدقة (والله يعدكم) بسبب
الانفاق (مغفرة منه) عز وجل (وفضلاً) أي خلفاً في الدنيا وثواباً في الآخرة (والله واسع) بالمغفرة للذنوب
وبإغنائكم والخلاف ما تنفقونه (علم) بنياتكم وصدقاتكم (يؤتي الحكمة من يشاء) فالحكمة هي العلم
النافع وفعل الصواب فبذل في حد الحكمة هي التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية كقوله صلى الله
عليه وسلم تخلعوا بأخلاق الله تعالى (ومن يؤت الحكمة) أي أصابة القول والفعل والرائي (فقد أوتي
خيراً كثيراً) أي أعطى خيراً الدارين (وما يذكر) أي ما يتفكر في الحكمة (الأولوالالباب) أي
الأصحاب العقول السليمة من الزكون إلى متابعة الهوى (وما أنفقتم من نفقة) أي أي نفقة كانت في
حق أو باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم من نذر) أي أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط
أو غير شرط متعلق بالمال أو بالأفعال كالصيام (فإن الله يعلّمه) أي ما أنفقتموه فيحازيكم عليه (وما
للاظالمين) بالانفاق والنسذ في المعاصي أو جمع الزكاة وعدم الوفاء بالنذر أو بالانفاق بالحديث أو
بالزياه والمن والاذى (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من عقاب الله (أن تبدوا الصدقات
فنعما هي) أي أن تظهروا الصدقات فنعماً شيئاً أظهارها بعد أن لم يكن رياء ومجعة (وأن تحفوها وتوتوها
الفقر فهو خير لكم) أي أفضل من إيدائهم وإيتائها لاغنياً روى انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة
السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعة أضعاف وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة
وعشرين ضعفاً (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكفر
بالتون ورفع الراء وقرأ نافع وحزرة والكسائي بالنون والجرم أي ونكفر عنكم سيئاتكم من ذنوبكم بقدر
صدقاتكم وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم يكفر بالياء والرفع والمعنى يكفر الله أو يكفر الاخفاء وقرئ
قرأه شاذة تكفر بالياء وبالرفع والجرم والفعل راجع للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب
بأضمار أن (والله بما تعلمون) من الصدقة في السر والعلانية (خير) لا يخفى عليه شيء منه (ليس عليكم
هراهم) أي ليس عليكم هدى من خالف حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الاسلام فتصدق
عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته إلى الدخول في
الاسلام روى أن نائلة أم أسماء بنت أبي بكر وجدت اوهما مشركتان جاءتا أسماء تسألانها شيئا فقالت
لا أعطيكما حتى تستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما استأمتا على ديني فسألت عن الصدقة على
الكفار فقالت هل يجوز لنا يا رسول الله أن نتصدق على ذوي قرابتنا من غير أهل ديننا فأمرنا الله هذه
الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصدق عليهما (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أي وكل
نفقة تنفقونها من نفقات الخير ولو على كافر فإنما هو يحصل لأنفسكم ثوابه فلا يضركم كفرهم (وما تنفقون
إلا ابتغاء وجه الله) أي ولستم في صدقاتكم على أفعالكم من المشركين تعصدون الأوجه الله فقد علم الله

هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم تبتغون بذلك وجه الله في صلة رحم وسد خلة مضطروا ليس عليكم
 اهتداؤهم حتى ينعمكم ذلك من الانفاق عليهم (وما تنفقوا من خير) أى من مال على الفقراء (يوفى
 لكم) أى يوفى اليكم ثواب ذلك فى الآخرة (وانتم لا تظلمون) أى لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا
 (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض) أى ذلك الانفاق المحتوث عليه
 للفقراء الذين حبسوا أنفسهم ووقفوها على الجهاد لان الجهاد كان واجبا فى ذلك الزمان نزلت هذه الآية
 فى حق فقراء المهاجرين من مكرش وكانوا نحو أربع مائة وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم مسكن ولا عشار
 بالمدينة وكانوا ملازمين المسجد ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة لا يستطيعون سفرا
 فى الأرض ثم عدم الاستطاعة للسير االة شغلهم بصلاح الدين وبأمر الجهاد فذلك يمنعهم من الاشتغال
 بالكسب والتجارة واما خوفهم من الأعداء كما قاله قتادة وابن زيد لان الكفار كانوا مجتمعين حول المدينة
 وكانوا متي وجدوهم قتلوهم فذلك يمنعهم من السفر واما مرضهم بالجروح كما قاله سعيد بن المسيب ولجزمهم
 لفقرهم كما قاله ابن عباس وذلك يمنعهم من السفر فحث الله عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهاهم به
 اذا أمسى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أى يظنهم من لم يجتبر أمرهم أغنياء لاظهارهم
 التجميل وتركهم المسئلة (تعرفهم) أيها المخاطب (بسميهم) أى بعلامتهم من الهيبة ووقع فى قلوب
 الخلق وأثار الحشوع فى الصلاة فكل من رآهم تواضع لهم روى أنهم كانوا يوقمون الليل لله سبحانه
 ويحتطبون بالنهار للتعفف (لا يسألون الناس الخافا) أى لا يسألونهم أصلا فلا يقع منهم الخاف أى
 كثرة التلطف وملازمة السؤال أى أنهم سكتوا عن السؤال لئلا يضعون الى ذلك السكوت من رثاة
 الحال واظهار الانكسار ما يقوم مقام السؤال على سبيل الخاف بل يزينون انفسهم عند الناس
 ويتجملون بهذا الخلق ويجعلون فقرهم وحاجتهم بحيث لا يطع عليه الا الخالق والمراد بقوله تعالى
 لا يسألون الناس الخافا التنبية على سوء طريقة من يسأل الناس الخافا عن ابن مسعود رضى الله عنه ان
 الله يحب العفيف المتعفف ويبغض الفاحش الذى السأل المخف الذى ان أعطى كثيرا أقرط فى
 المدح وان أعطى قليلا أقرط فى الذم (وما تنفقوا من خير) أى من مال (فان الله به عليم) فيجازيكم
 على ذلك أحسن جزاء وهذا يجري مجرى ما اذا قال السلطان العظيم لعبده الذى استحسن خدمته ما يكافئك
 بأن يكون على شاهد بكيفية طاعتك وحسن خدمتك فان هذا أعظم وقعاهما اذا قال له ان أجرك واصل
 اليك (الذين ينفقون أموالهم) فى الصدقة (بالليل والنهار سرا وعلانية قلهم أجرهم عند ربهم) فى
 الجنة (ولا خوف عليهم) بالدوام (ولا هم يحزنون) اذا حزن غيرهم * قيل لما نزل قوله تعالى
 للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف الى أصحاب الصفة بذنائب وبعث على
 رضى الله بوسق من تمر لياقتزات هذه الآية وقال ابن عباس ان عليا رضى الله عنه ما علك غير أربعة
 دراهم فتصدق بدرهم ليلوا بدرهم نهارا ويدرهم سرا ويدرهم علانية فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على
 هذا فقال أن أستوجب ما وعدنى ربى فقال لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى شأن أبي بكر
 الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر
 وعشرة فى العلانية وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب ان نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان
 وقال الاوزاعي نزلت فى الذين يبطون الخيل للجهاد وينفقون عليها (الذين يأكلون الربا) أى يأخذونه
 استخلا لا (لا يقومون) من قبورهم اذا بعثوا (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أى

الاقسام اقسام الذي يتخذه الشيطان من اصابة الشيطان بالجنون في الدنيا أي أن كل الربا يبعث يوم
 القيامة مجنوناً وذلك كعلامة المحصورة بآكل الربا في معرفة أهل الموقف بتلك العلامة أنه آكل الربا
 الدنيا على هذا معنى الآية أنهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بالجنون (ذلك) أي كون التخيل
 علامة آكل الربا في الآخرة (بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) أي انما الزيادة في البيع كزيادة في الربا
 أي لك العذاب بسبب انهم نظمو الربا والبيع في سلك واحد لا فضاء ما إلى الرجح فاستحلوه استحلالة وقالوا
 يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصل الحل وقاسوا به
 البيع مع وضوح الفرق بينهما فإن أحد الدرهمين في الأول ضائع حقاً في الثاني منجبر بحسب الحاجة إلى
 السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) أي أحل الله لكم الربا في التجارة بالبيع
 والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل (فإن جاءه وعظته) أي زجر وتحذير
 عن الربا (من ربه فاتمى) أي امتنع عن أخذه (فله ما سئف) قال السدي أي له ما أكل من الربا
 وليس عليه رد ما سئف فأما ما لم يقض بعد انتهى فلا يجوز له أخذه وانما له رأس ماله فقط (وأمره إلى الله)
 أي يجازيه على انتهائه عن أخذه إن كان عن قول الموعظة وصدق النية (ومن عاد) أي تحليل الربا
 بعد التحريم (فأولئك أصحاب النار) أي لازموها (هم فيها خالدون) أي ما كانوا أبداً (يحقق الله
 الربا) أي يهلك المال الذي دخل فيه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس إن الله تعالى لا يقبل منه صدقة
 ولا جهاد ولا تجار لا صدقة رحم (ويرى الصدقات) أي يبارك في المال الذي أخرجه منه في الدنيا
 والآخرة وفي الحديث إن الملك يغادي كل يوم اللهم يسر لكل منفق خلفاً والمسلم تلتفا (والله لا يصب كل
 كفار) أي جاحد بتحريم الربا (أثم) أي غاجر بأخذه مع اعتقاده التحريم (إن الذين آمنوا) بالله
 ورسوله وكتبه وتحريم الربا (وعملوا الصالحات) أي فيما بينهم وبين دينهم وتركوا الربا (وأقاموا
 الصلاة) أي أتموا الصلوات الخمس بما يجب فيها (وآتوا الزكاة) أي أعطوا زكاة أموالهم (لهم أجرهم
 عند ربهم) في الجنة (ولا خوف عليهم) من مكروهات (ولا هم يحزنون) على محبوبات (يا أيها
 الذين آمنوا اتقوا الله) أي قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أي اتركوا طلب ما بقى من الربا
 على رؤس أموالكم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بقلوبكم في تحريم الربا (فإن لم تغفوا) ما أمرتم
 به بأن لم تتركوا الربا (فأذنبوا بحرب من الله ورسوله) أي فاستعدوا العذاب من الله في الآخرة بالنار
 والعذاب من رسوله في الدنيا بالسيف (وإن كنتم) من معاملة الربا (فلكم رؤس أموالكم) أي
 أصوله دون الزيادة (لا تظلمون) الغريم بطلب الزيادة على رأس المال (ولا تظلمون) أي بتقصان
 رأس المال وبالمطل (وإن كان ذريرة فتنظرة إلى ميسرة) أي وإن وقع غريم من غرمائكم ذو حالة
 يتعسر فيها وجود المال فيجب عليكم إمهاله إلى وقت يسار وسعة (وإن تصدقوا خير لكم) أي تصدقكم
 على العسر برؤس أموالكم خير لكم من الأخذ والتأخير لانه حصل لكم الشفاء الجميل في الدنيا
 والثواب الجزيل في الآخرة (إن كنتم تعلمون) فضل التصديق على الانظار والقبض (واتقوا يوماً
 ترجعون فيه إلى الله) أي إلى حساب أعمالكم وهو يوم القيامة (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي ثم
 توفى كل نفس برة وفجرة جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) بنقص حسنة أو زيادة سيئة
 (يا أيها الذين آمنوا) بالله والرسول (إذا نذرتن بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) أي إذا نذرتن بعضكم
 بعضاً عاملاً نسيئتهم عطياً أو أخذاً إلى وقت معلوم بالأيام أو الأشهر ونحوها مما عابر فزع الجوهالة لا بالحصار

وضوء على الأبرار فها كتبوا الذين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والا كثرون على أن هذه الكتابة أمر
 استحباب فإن زاد فلا بأس وهو أمر لم يترجع فأنه إلى منافع الخلق في دنياهم فلا يناب عليه
 المكاتب إلا أن قصد الامتثال قال المفسرون المراد بالمدينة السلم فأنه تعالى لما منع الزباني الآية
 المقدمة أذن في السلم في جميع هذه الآية مع أن جميع المذاهب المطبوعة من الزباني حاصله في السلم
 ولهذا قال بعض العلماء لآئدة ولا منفعة وصل إليها بالطريق الحرام الأوضع الله تعالى لتحصيل
 مثل تلك الآئدة طريقا حلالا وسيله لا مشروعا ولا فرض غير الدين لأن القرض أن يقرض الإنسان
 دراهم أو دينار أو حيا أو عمرا أو ما أشبه ذلك ويسترد مثله ولا يجوز زفيمه لأجل والدين يجوز زفيمه ذلك فذكر
 لأجل في القرض أن كان لغرض القرض أفدته والآفلا يفدده ولا يجب الوفاء به لكه يستحب قال ابن
 عباس أن هذه الآية نزلت في السلف لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسافون في القم
 السنتين والثلاث فقال صلى الله عليه وسلم من أسلف فليسأف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل
 معلوم وقال أكثر المفسرين أن البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بعبادة
 البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فلا يكون داخل تحت هذه الآية ربيع العين بالدين وهو ما إذا باع
 شيئا بفن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المعنى بالسلم وكله ما داخل تحت هذه الآية (وليكتب)
 كتاب الدين (بينكم) أي بين الدائن والمدين (كتاب بالعدل) أي بحيث لا يزي في المال والأجل ولا
 ينقص في ذلك (ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب) أي ولا يجتمع أحد من أن يكتب كتاب
 الدين بين الدائن والمدين على طريقة ما علمه الله كتابة الوثائق فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله أيها
 (ولاملل الذي عليه الحق) أي راين المدين على الكاتب ما عليه من الدين لأنه المشهود عليه فلا بد
 أن يكون هو القم (وليتق الله ربه ولا يجنس منه شيئا) أي ولا يخش المدين ربه بأن يقر بمبلغ المال الذي
 عليه ولا ينقص ما عليه من الدين شيئا في الغاء الالفاظ على الكاتب (فان كان الذي عليه الحق سفيها
 أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يعل هو فليملل وليه) أي فان كان المدين ناقص العقل مبدرا أو عاجزا عن
 مسمع الالفاظ للكاتب لصغر أو كبره وضعف للعقل أو لا يحسن الامعاء بنفسه على الكاتب لخرس أو
 جهل باللغة أو بما عليه فليقر على الكاتب رلى كل واحد من هؤلاء الثلاثة والمراد بالولي هو الولي لغة وهو
 من له ولاية عليه بأي طريق كان كوصي وقم ومترجم (بإمدل) أي بالصدق من غير زيادة ونقص
 (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) أي وأشهدوا على الدين شاهدين من الرجال البالغين
 الأحرار المسلمين وعند شريح بن سيارين وأحمد بن حنبل شهادة العبد وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار
 بعضهم على بعض (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين لم يقصد
 اشهادهما فرجل وامرأتان (عن ترشون) لديه وعدالته (من الشهداء) يشهدون وهذا
 تفسير للغير (أن تفضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى) قرأ حمزة أن تفضل بكسر الهمزة وكسر الراء
 والتشديد وقرأناهم وعاهم والكسائي فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف
 والنصب أما سائر القراء فقرأوا بنصب أن على حذف لام التعليل أي راغا اشترط التعدد في النساء
 لأجل أن تنسى إحدى المرأتين الشهادة لنقص عقلهن فتذكر أحداهما الذي ذكره للشهادة المرأة الأخرى
 المناسبة لها (ولا ياب الشهاد إذا مادعوا) أي ولا يجتمع الشهاد إذا دعوا إلى تحمل الشهادة وأدائها
 عند الحكم فيصير الامتناع عليهم لأن تحمل الشهادة فرض كفاية مطلعا والأداه كذلك ان زاد

المتحملون على من يثبت بهم الحق والافرض عين (ولا تسأوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله)
 أي ولا تعلموا أن تكتبوا الدين لكثرة وقوع المداينة على أي حال كان الدين قليلا أو كبيرا وعلى أي
 حال كان الكتاب مختصرا أو مشبعا حال كون الدين مستقرا في ذمة المدين إلى وقت حوله الذي أقرب
 المدينون أي فكتبوا الدين بصفة أجله ولا تهملوا الاجل في الكتابة وقوله تعالى ولا تسأوا ما عطف
 على قوله تعالى فكتبوه (ذلكم) أي الكتابة للدين (أفسط عند الله) أي أعدل في حكم الله
 وأقوم للشهادة) أي آية للشاهد بالشهادة إذا نسى (وأدنى أن لا ترتابوا) أي وأقرب إلى انتفاء
 شككم في قدر الدين وأجله (الآن تكون تجارة حاضرة تدير ونهايته لكم) قرأها هم تجارة بالنصب
 على أنه خبر تكون والباقيون بالرفع على أنه اسم تكون والخبر تدير ونهاها لا الاستثناء متصل راجع
 إلى قوله تعالى إذا تدابرتهم دين إلى أجل مسمى فكتبوه والتقدير إذا تدابرتهم دين إلى أجل مسمى فكتبوه
 الآن يكون الاجل قريبا وهو المراد من التجارة الحاضرة وما استثناء منقطع فالتقدير لكنه إذا كانت
 تجارتكم ومداينتكم تجارة حالة تعاطونها يا أيديكم أو التفسير لكان إذا كانت تجارة حاضرة مقبوضة
 بينكم ولا أجل فيها (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي ليس عليكم مضرة في ترك الكتابة
 في المداينة الحاضرة كان باع ثوبا بدينار في الذمة بشرط أن يؤدي الدرهم في هذه الساعة أي لا بأس بعدم
 الكتابة في ذلك لا بعده عن التنازع والنسيان (وأشهدوا إذا تباعدتم) بالاجل (ولا يضار كاتب)
 بالكتابة (ولا شهيد) بالشهادة وهذا امامبني للفاعل فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن اضرار من له
 الحق وهو قول أكثر المفسر والحسن وطائفة وقنادة ويدل على ذلك قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضار
 بالاظهار والكسر واختار الزجاج هذا القول لقوله تعالى وإن فعلوا فانه فسوق بكم وذلك لان اسم الفسق
 عن يحرف الكتابة وعن يمنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكتابة ولانه تعالى قال فيمن يمنع عن
 الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والاثم والفاسق متقاربان وامامبني للفعول فيكون نهيا لصاحب الحق
 عن اضرار الكاتب والشهيد كان يكلفه ما لا يليق في الكتابة والشهادة ولا يعطى الكاتب جعله ولا
 الشهيد مؤنة مجيئة حيث كان فان لم يطلب الجعل ولا يكلفان الكتابة والشهادة بحاجتنا وهو قول ابن
 مسعود وعطاء وجاهد ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ولا يضار بالاظهار والفتح وهذا لو كان نهيا
 للكاتب والشهيد لقيس وإن تفعل فانه فسوق بكم ولان دلالة الكلام من أول الآيات اغاها في
 المكتوبة والمثبوتة وإذا كان هذا النهي متوجها للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن اضرارهم
 (وإن تفعلوا) ما نهيتهم عنه من الضرر (فانه فسوق بكم) أي فإن فعلكم ذلك معصية منكم وخروج
 عن طاعة الله (واتقوا الله) فيما حذر منه وهو هنا المضارة أو المعنى اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه
 (ويعلمكم الله) ما يكون ارشادا واحتياطا في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا في أمر الدين
 (والله بكل شيء) من مصالح الدنيا والآخرة (عليم) فلا يخفى عليه حالكم (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا
 كتابا فلهان مقبوضة) قرأ ابن كثير وأبو عمر وفره بنهم الزا والهاء أو سكونه والباقيون فرهان
 بكسر الزا وقطع الهمزة مع الدو على معنى في أو بمعنى إلى أي وإن كنتم مسافرين أرمتوجهين إلى السفر ولم
 تجدوا كتابا أو آلة الكتابة في المداينة فرهان مقبوضة بدل من الشاهدين أو يقال في الوثيقة
 رهان مقبوضة (فإن آمن بعضكم) أي الدائن (بعضا) أي المدين بالدين بالارهن لحسن ظنه به
 (فلا الذي اتهم) بالدين (أمانته) أي حق صائبه (وليتق الله ربه) أي وليخش المدين ربه

في أداء الدين عند حلول الاجل من غير عا طلة ولا انكار بل بما مل النان معاملة حسنة كما أحسن
 نفسه فيه (ولا تنكروا الشهادة) عند الحكم بانكار العلم بتلك الواقعة أو بالامتناع من أداء
 الشهادة عند الحاجة الى اقامتها (ومن يكتمها) أي الشهادة (فإنه آثم قلبه) أي فاجر قلبه
 (والله عا تهم لون) من كتمان الشهادة واقامتها ومن الحيانة في الامانة وعدمها (عليه) فيجازيكم على
 ذلك ان خير الخيرون شر افشر (منه ما في السموات وما في الارض) ملكوكم ملكا من الخلق والجنائ
 بأمر عباده بما يشاء (وان تبدوا ما في أنفسكم) من العزم على السوء بان تظهره للناس بالقول
 أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتفوه منهم (بحاسبكم به الله) يوم القيامة فان الخواطر الحاصلة في القلب
 على قسمين ما وطن الانسان نفسه عليه ويعزم على ادخاله في الوجود وما لا يكون كذلك بل تكون أمورا
 خاطرة بالبال مع ان الانسان يكرهها ولكنه لا يمكن دفعها عن النفس فالقسم الاول يكون مؤاخذا به
 والثاني لا يكون مؤاخذا به (فيغفر) بفضل (من يشاء) مغفرته (ويعذب) بعذبه (من يشاء)
 تعذيبه وقديره فمران يشاء الذنب العظيم وقديره مذب من يشاء على الذنب الحقير لا يثبت عليه فعل قرأ عصم
 وابن عامر فيغفرو ويعذب بالرفع والبقاءون بالجزم (والله على كل شيء) من المغفرة والعذاب (قدير
 آمّن الرسول) أي صدق محمد صلى الله عليه وسلم (بما أنزل اليه من ربه) أي من القرآن قال الزجاج
 لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج وذكر الطلاق والايلاء والحض
 والجهاد وقصص الانبياء ختم السورة بذكر صديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك
 انهم (والمؤمنون كل) أي كل واحد منهم (آمن بالله) أي بوجوده وبصفاته وبأفعاله وبأحكامه
 وبإماماته (وملائكته) أي بوجودها وبأنهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم وانهم
 وسائط بين الله وبين البشر وان كتب الله المنزلة انما وصلت الى الانبياء بواسطة الملائكة (وكتبه)
 وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وفتح التاء مع المد بأن يعلم أن هذه الكتب رضى من الله تعالى الى رسله
 وانها ليست من باب الكهانة ولا من باب السحر ولا من باب القاء الشياطين والآراء الخبيثة وبأن يعلم
 ان الوحي بهذه الكتب فأنه تعالى لم يمكن أحدا من الشياطين من القاء شيء من ذلك الا أنهم في أثناء هذا
 الوحي الطاهر وبأن يعلم أن هذا القرآن لم يغير ولم يحرف فن قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء
 فعله عثمان رضي الله عنه فقد أخرج القرآن عن كونه نسخة وهو قول فاسد وبأن يعلم أن القرآن مشتمل
 على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه (ورسله) بأن يعلم كونهم معصومين من الذنوب
 وبأن يعلم أن النبي أفضل من ليس بنبي وان الرسل أفضل من الملائكة وأن يعلم أن بعضهم أفضل
 من البعض (لا تفرق بين أحد من رسله) أي يقول المؤمنون لا تكفروا بأحد من رسل بل تؤمن بجمعة
 رسالة كل واحد منهم (وقالوا) أيضا (معنا) قول ربنا (وأطعنا) أمر ربنا (غفرانك) أي
 نسألك غفرانك من ذنوبنا (ربنا اريد المصير) أي المرجع بعد الموت (لا يكلف الله نفسا) من
 الطاعة (الأوسعها) أي طاقتها (لها ما كسبت) أي ثوابه من الخير (وعليه ما اكتسبت) أي
 وزره من الشر فان قلنا ان هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم انهم لما قالوا معنا وأطعنا انكاسهم قالوا
 كيف لانهم ولا نطيعه وأنه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاعتنا اذا كان هو تعالى بحكم الرحمة
 الالهية لا يطالبنا الا بالشي السهل الخفيف فكذلك نحن بحكم العبودية واجب أن نكون ساءعين مطيعين
 وان قلنا أن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم انهم لما قالوا معنا وأطعنا ثم قالوا بعد غفرانك ربنا

دل ذلك على ان قولهم غفرانك طلب المغفرة عما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل العذر فما
كان قولهم غفرانك طلبا للمغفرة من ذلك التقصير فلا شك في ان الله تعالى خفف عنهم ذلك وقال لا يكلف
الله نفسا الا وسعها والمعنى انكم اذا صمتم واطعتم ولم تهملوا التقصير فاقوم منكم نوع تقصير على سبيل
السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالجملة فهذا الجأبة لهم من
الله في دعائهم بقولهم غفرانك ربنا اهـ (ربنا لا تؤاخذنا) أي باربنا لا تعاقبنا (ان نسينا) طاعتك
(أو أخطأنا) في أمرك (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أي تكليفا بالامور الشاقة (كما حدثه على
الذين من قبلنا) من بني اسرائيل أي لا تشدد علينا في التكليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال
المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليله وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة
ومن أصاب ثوبه نجاسة أمره بقطعها وكانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة في الدنيا وكانوا اذا أتوا بخطيئة
حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم (ربنا ولا تحم لنا مالنا طاقة) أي قوة (لنا) من
البلاء والعقوبة أي ولا تحمل علينا أيضا ما لا راحة لنا فيه من الاستكراه (واعف عنا) أي امح آثار
ذنوبنا (واغفر لنا) أي استر عيوبنا ولا تضعنا بين عبادك (وارحنا) أي تعطف بنا وتفضل علينا
(أنت مولانا) أي أنت سيدنا وناصرنا ونحن عبيدك وقال واعف عنا من المسخ كما مسخت قوم عيسى
واغفر لنا من الحسف كما حسفت بقارون وارحنا من القذف كما قذفت قوم لوط فساد عوام هذا الدعاء رفع
الله عنهم ذنوب حديث النفس والنسيان والخطأ والاستكراه وعفى عنهم من الحسف والمسخ والقذف
(فانصرنا على القوم الكافرين) أي انصرنا عليهم في محاربتنا معهم وفي مناظرتنا بالحق معهم وفي اعلاء
دولة الاسلام على دولتهم وولاهم الله تعالى المتقين في أول السورة بين في آخر السورة انهم أمة محمد صلى
الله عليه وسلم فقال والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وهذا هو
المراد بقوله تعالى هناك الذين يؤمنون بالغيب ثم قال ههنا وقالوا اعفنا وأطعنا وهو المراد بقوله تعالى هناك
ويقومون الصلاة وعما رزقناهم ينفقون ثم قال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير وهو المراد بقوله تعالى
ههنا وبالآخر هم يوقنون ثم حكى الله تعالى عنهم ههنا كيفية نصرهم الى ربهم في قولهم ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة وهو المراد بقوله تعالى ثم أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها

سورة آل عمران مدنية آياتها مائتان وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة
وستون وحر وفها أربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمسون وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي) أي الذي لا يموت ولا يزول (القيوم) أي القائم بذاته
والقائم بتدبير خلقه قال الكلبي والربيع بن أنس ومحمد بن اسحق نزلت هذه الآيات في شأن وفد
نصارى نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المسجد حين صلى العصر
عليهم نياح الجبرات وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أميرهم
واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم واسمه لايهم والثالث خبرهم يقال له أبو حارثة بن علقمة فقام
الايهم وعبد المسيح فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما فالأقد أسلمنا بذلك قل كذبتما عنكما من
الاسلام ثلاثة أشياء اثباتك الله ولدا وعبادتكم كما تصيب وأكلكم الخنزير قالوا ان لم يكن عيسى ولدا لله

فمن أنبأه ربه على الله عليه وسلم في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألسنتم تعلمون أنه لا يكون
 ولداً وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألسنتم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وإن عيسى يأتي عليه القناء قالوا بلى
 قال ألسنتم تعلمون أن ربنا قديم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل علم عيسى من ذلك شيئاً قالوا
 لا قال ألسنتم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
 إلا ما علمه الله قالوا لا قال فإن ربنا صوره عيسى في الرحم كيف يشاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألسنتم
 تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحديث قالوا بلى قال ألسنتم تعلمون أن عيسى
 حملته أمه كتحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا
 بلى قال وكيف يكون هذا كلهم فسيكنوا فأنزل الله تعالى من ابتداء السورة إلى آية المباهلة ثم بينا لما
 احتج به النبي عليهم (نزل عليهم الكتاب) أي القرآن وقرئ قراءة شاذة بتخفيف نزل ورفع الكتاب
 (بالحق) أي بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره وفي وعده ووعيده أو بالجميع المحقة أنه من عند الله
 تعالى أو بالقول الفصل وليس بالمرسل ولا بالمعاني الفاسدة المتناقضة (مصدقاً لما بين يديه) أي لما تقدمه
 من الكتب السالفة في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عما لا يليق بشأنه تعالى وفي الأمر
 بالعدل والاحسان وفي أنباء الأنبياء والأهم الخاتمة وفي بعض الشرائع (وأُنزل التوراة) بحلة على موسى
 ابن عمران (والإنجيل) بحلة على عيسى بن مريم (من قبل) أي من قبل تنزيل القرآن (هدى
 للناس) أي حال كونهم ما هاديين من الضلالة وأنزل هذه الكتب الثلاثة لهداية الناس (وأُنزل
 الفرقان) قيل المراد به الزبور فإنه مشتمل على المواعظ الداعية إلى الخير الزاجرة عن الشر الفارقة بين الحق
 والباطل ثم الخليل عند الفجر الزاوي أن المراد من الفرقان هو المعجزات التي قرن بها الله تعالى بأزوال هذه
 الكتب الثلاثة لأنه لما أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق دعوى الرسل حصلت الفارقة بين دعوى
 الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان (إن الذين كفروا بآيات الله) أي القرآن وغيره
 كوفد بني نجران ونحوهم بأن كذبوا بآيات المنطقة بالتوحيد والتنزيه المبشرة بنزول القرآن ومبعث
 النبي صلى الله عليه وسلم (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم بها (والله عزيز) أي غالب لا يغلب
 (ذراته) أي عقوبة عظيمة فالعزير إشارة إلى القدرة التامة على العقاب وذو الانتقام إشارة إلى كونه
 فاعلاً للعقاب فالأول صفة الذات والثاني صفة الفعل (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء)
 هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) فصيلاً أو طويلاً أحسن أو قبيحاً ذكر أو أنثى سعيداً أو شقيماً
 وهذه الآية الواردة في الرد على النصارى بذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى بأمرين بالعلم والقدرة
 فإن عيسى كان يخبر عن الغيوب فيقول لهذا أنت أكلت في دارك كذا وصنعت في دارك كذا وكان
 يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ثم إنه تعالى
 استدلل على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التمثيل بقوله تعالى الحي أقموا له آية يجب أن يكون حياً
 قيوماً وعيسى لم يكن كذلك فيلزم القطع بأنه لم يكن الها ولما قالوا إن عيسى أخبر عن الغيوب فوجب أن
 يكون الها فرد الله عليهم بمقوله إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والمعنى لا يلزم من كونه
 عالماً ببعض الغيبات أن يكون الها لا احتمال أنه علم ذلك به علم الله تعالى لذلك ولما قالوا إن عيسى
 كان يحيي الموتى فوجب أن يكون الها فرد الله عليهم بمقوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء والمعنى
 إن حصول الأحياء على وفق قوله عليه السلام في بعض الصور لا يدل على كونه الها لا احتمال أن الله تعالى

أكرمه بذلك الأحياء اظهار المجزئه وكرامته ولما قالوا يا أيها المسمون أنتم توافقوننا على أن عيسى لم
يكن له أب من البشر فوجب أن يكون ابنا لله فأجاب الله تعالى عن ذلك أيضا بقوله تعالى هو الذي يصوركم
في الأرحام كيف يشاء فإن هذا التصور لما كان من الله تعالى فإن شاء صورته من نطفة الأب وإن شاء
صوره ابتداء من غير أب ولما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تقول ان عيسى روح الله وكلته
فهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله عن ذلك بأن هذا اللفظ من باب التشابهات فوجب رده الى التأويل
وذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
فظهر بذلك المراد وآن قوله تعالى الخ القيوم إشارة الى أن عيسى ليس بالاله ولا ابن الاله وأما قوله
تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم وقوته تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام
جواب عن تمسكهم بقدرته عيسى على الأحياء ونحوه لانه لو قدر على الأحياء لقدر على الامانة ولو قدر على
الامانة لأمان اليهود الذين قتلوه على زعم النصارى فثبت أن حصول الأحياء في بعض الصور لا يدل على
كونه الها وهو جواب أيضا عن تمسكهم بأن من لم يكن له أب من البشر وجب أن يكون ابنا لله فكأنه
تعالى يقول كيف يكون عيسى ولدا لله وقد صورته في الرحم والمصور لا يكون أبالمصور وأما قوله تعالى
هو الذي أنزل عليك الكتاب الى آخر الآيات فهو جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن أن عيسى روح
الله وكلته ثم انه تعالى لما أجاب عن شبهتهم أعاد كلمة التوحيد ذكر السائر النصارى عن قولهم بالتثليث
فقال (لانه الا هو العزيز الحكيم) فالعزير إشارة الى كمال القدرة والحكيم إشارة الى كمال العلم وهذا
تثبيت لما تقدم من أن علم عيسى ببعض الغيوب وقدرته على الأحياء في بعض الصور لا يكفي في كونه
الها فإن الاله لا يدوان يكون كامل القدرة وهو العزيز وكامل العلم وهو الحكيم (هو الذي أنزل عليك
الكتاب) أي القرآن (منه آيات محكمات) أي محكمات العبارة محفوظة من الاحتمال قطعية الدلالة
على المعنى المراد (هن أم الكتاب) أي أصل في الكتاب وعمدة ترد إليها آيات متشابهات ومثال
التشابه قوله تعالى وإذا أردنا أن نميت قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فظاھر هذا
الكلام أنهم يؤمرون بأن يفسقوا والمحكم قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء راد على الكفار فيما
حكى عنهم وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آياها ونارا الله أمرنا بها والآية المتشابهة قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم والآية المحكمات قوله تعالى وما كان ربك نسيا (وأخر متشابهات) أي وآيات أخر محتملات لمعان
متشابهة لا يتضح مقصودها لاجمال أو مخالفة ظاهرة لا بنظر دقيق وتأمل أتيق (فأما الذين في قلوبهم
زيف) أي ميل عن الحق الى الأهواء الباطلة (فيمتعون ما تشابه منه) أي فيمتعون بظواهر التشابه
من الكتاب (ابتغاء الفتنة) أي طلب الفتنة في الدين وهي الضلال عنه فانهم متى أوقعوا ذلك
المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض وذلك يفضي الى المخرج والتقاتل (وابتغاء تأويله)
أي وطلب تأويل التشابه على ما ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان والمنصف يحمل الأمر في الآيات
على أقسام ثلاثة أحدها ما يتأكد ظاهرا بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وما نبينا الذي قامت
الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى غير ظاهرها وثالثها
الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فيكون من حقه التوقف فيه ويكون ذلك متشابهها
بمعنى ان الأمر اشتبه فيه ولم يقرر أحد الجانبين عن الآخر الا ان الظن الرابع حاصل في إجماعهم على
ظواهرها (وما يعلم تأويله الا الله) أي وما يعلم تأويل المتشابه حقيقة الا الله وحده ونقل عن ابن

عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير لا يمكن لاحد جهله وتفسير
تعرّفه العرب بالسنتها وتفسير يعرفه العلماء وتفسير لا يدركه الا الله تعالى (والراحمون في العلم يقولون
آمناء) أي بالسكاب (كل) أي كل واحد من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) والراحمون في العلم
هو الذي عرف ذات الله وصفاته بالدلائل اليقينية القطعية وعرف أن القرآن كلام الله تعالى بالدلائل
اليقينية وعرف أنه تعالى لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا رأى شيئاً متشابهاً بادل الدليل القطعي على أن
الظاهر ليس مراد الله تعالى علم حينئذ قطعان مراد الله شيء آخر سوى ما دل عليه ظاهره ثم فوض تعيين
ذلك المراد إلى الله تعالى وقطع بأن ذلك المعنى على أي شيء كان فهو الحق والصواب لانه علم أن ذلك
المتشابه لا بد وأن يكون له معنى صحيح عند الله تعالى (وما يذكر الا أولوا الابواب) أي وما يتعظ بما في
القرآن الا ذو العقول الكاملة الخالصة عن الركون الى الاوهام الزائفة وهذا مدح الراحمين بجودة الذهن
وحسن النظر وهذه الآية دالة على علو شأن المتكلمين الذين يبحثون عن الدلائل العقلية ويتوسلون بها
الى معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ولا يفسرون القرآن الا بما يطابق دلائل العقول ويتوافق اللغة
والاعراب ومن تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحراً في علم الاصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية
البعد عن الله تعالى ولما آمن الراحمون في العلم بكل ما أنزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات
تضرعوا الى الله تعالى بقولهم (ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذهيتنا) أي لاتعمل قلوبنا عن دينك بعد
اذهيتنا دينك أو يقال ياربنا لاتجعل قلوبنا مائلة الى الباطل بعد أن تجعلها مائلة الى الحق (وهب لنا
من لدنك رحمة) أي نور لايمان والتوحيد والمعرفة في انقلاب ربنا بالطاعة والعبودية والخدمة في
الاعضاء وسهولة أسباب المعيشة من الامن والصحّة والكفاية في الدنيا وسهولة تسكران الموت عند الموت
وسهولة السؤال والظلمة في القبر وغفران السيئات وترجيح الحسنات في القيامة (انك انت الوهاب)
لكل مطلوب فان هذا الذي طلبته منك في هذا الدعاء عظيم بالنسبة الى ذلك كنهه غير بالنسبة الى كمال
كرمك وغاية جودك ورحمتك وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب والا بصهار ثبت قلبي على
دينك (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أي ياربنا انك تجمع الناس للجزاء في يوم لا شك في
وقوعه لانه انما فيه أحسن الجزاء (ان الله لا يخلف الميعاد) أي الوعد وهذا من بقية كلام الراحمين في
العلم وذلك لانهم لما طلبوا من ربهم أن يصونهم عن الزيف وأن يخصهم بالهداية وأنواع الرحمة فكأنهم
قالوا ليس غرضنا من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقرضة وانما غرضنا الاعظم منه ما يتعلق
بالآخرة فانا نعلم انك يا الله ناجم الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك بالجزاء والحساب والامتحان
والصراط والجنة والنار لا يكون خلاف فن راغ قلبه بقي هناك في العذاب أبداً لا يادومن أعطيته الهداية
والرحمة بقي هناك في السعادة والكرامة أبداً لا يباد (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم
ولا أولادهم) أي ان الذين كفروا ككعب بن الاشرف وأصحابه وأبي جهل وأصحابه لن تنفعهم كثرة
أموالهم وكثرة أولادهم (من الله) أي من عذاب الله أو عند الله (شيئاً) وقيل ان المراد بهم هؤلاء وفد
خبرنا وذلك لأن أباحارث بن عتبة قال لآخيه كرزاني لا أعلم أن محمداً رسول الله حقاً هو النبي الذي كنا
نتمنّاه ولكنني ان أظهرت أيماناً بمحمد أخذتموا لوك الروم مني ما أعطوني من المال الكثير والجاه فأن الله
تعالى بين ان أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة نعم ان اللفظ عام وخصوص
السبب لا يمنع عموم اللفظ (وأولئك) المتصفون بالكفر (هم وقود النار) أي حطب النار الذي

تسحر به (كذاب آل فرعون) أي شأن هؤلاء في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم كشأن آل فرعون في التكذيب بموسى (والذين من قبلهم) أي من مكذبي الرسل كقوم عود وقوم صالح (كذبوا بآياتنا) وهي المعجزات ومضى كذبوا ما فعد كذبوا بالأنبياء بلا شك (فأخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم الله بتكذيبهم المعجزات الدالة على صدق الرسل وإنما استعمل الأخذ العقاب لأن من ينزل به العقاب يصير كالمأسور المأخوذ الذي لا يقدر على التخلص (والله شديد العقاب) وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا قريشا في بدر ورجع إلى المدينة وجد يهود بني قينقاع في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا يوم بدر فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك إن قتلنا قريشا من قريش أنما لا يعرفون القتال لو قتلنا العرف فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل للذين كفروا) هم يهود بني قينقاع (ستغلبون) عن قريب في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده بقتل بني قريظة فقد قتل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ست مائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفرة وزمهم فيها وأجلاه بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على أهلها وبالامر على بعض كل (وتحشرون) في الآخرة (إلى جهنم) دلت الآية على حصول المعصية في يوم القيامة والنشر والحشر وعلى أن مرد الكافرين النار (وبشس المهاد) أي الفراش جهنم وقرأ حمزة والكسائي بالغيبة في الفعلين أي بلغهم أنهم سيغلبون وتحشرون والباقون بالخطاب أي قل لهم في خطابك أيهم ستغلبون وتحشرون والفرق بينهما أنه على الخطاب يكون الأخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الغيبة يكون بلغظة (قد كان لكم) أيها اليهود (آية) أي علامة لنسوة محمد صلى الله عليه وسلم (في فئتين) أي فريقين (التقما) بالقتال يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا اثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا بين كل أربعة منهم يغير ومعه من الدروع ستة ومن السيوف ثمانية ومن الخيل فرسان للمعددين عمرو بن عبد مناف وأبي جهل وقادوا مائة فرس أخرى كفرة بالله وآل رسول وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وقادوا مائة فرس وكانت معهم من الابل سبع مائة وأهل الخيل كلهم كانوا دارعين وكان في الرجال دروع سوى ذلك (برؤسهم مثلهم رأي العين) أي يرى المشركون المؤمنين مثل عدد المشركين قريشا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ست مائة وثلاثة عشر زوايا ظاهر أعيان الباعين في ذلك أنه تعالى كثر المسلمين في عين المشركين مع قتلهم ليهانهم في حتر زوايا قتلهم قال ابن عباس يرون أنفسهم مثلي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عباس عن عاصم من السبعة ويعقوب بن وهب بالخطاب والمعنى ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة والشوكة ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قتلهم جدا فيكون هذا أبلغ في إكرام المؤمنين وعناية الله بهم (والله يؤيد) أي يقوى (بنصره من يشاء) ولو بدت الأسباب العادية (إن في ذلك) أي في نصر الله لمحمد يوم بدر ويقال أي في رؤية القليل كثيرا غلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح (لعبرة) أي لعظة عظيمة (لاولى الأبصار) أي لذوى العقول ووجه نظم هذه الآية أن الآية المقدمة وهي قوله تعالى ستغلبون نزلت في شأن اليهود وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى الإسلام أظهروا التمرد وقالوا لسنأ مثل قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا والله تعالى قال لهم أنكم وإن كنتم أقوى وأرباب

العدة والعدة فانكم ستقبلون ثم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك القول فقال قد كان
 لكم آية في فتنين التفتنا ثم قيل رويانا ان ابا حنيفة بن علقمة النصراني اعترف لاختيه بأنه يعرف
 صدق محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا انه لا يعترف بذلك خوفا من أن يأخذ منه ماله اذ روم المال والجاه
 وبأبصاره بئانه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهر وامن أنفسهم القوة
 والشدوة والاستظهار بالمال والسلاح فبين الله تعالى ان هذه الاشياء وغيرها من متاع الدنيا زائلة وان
 الآخرة خير وأبقى فقال (زين للناس حب الشهوات) أي الاشياء المشتهيات (من النساء) وانما
 قدمهن على الكل لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم (والبنين) ولما كان حب الولد الذي ذكر
 أكثر من حب الانثى خصه الله تعالى بالذكر ووجه التمتع بهم من حيث السرور بهم وغير ذلك (والقناطير
 المنظرة من الذهب والفضة) والقنطار بلسان الروم مل مسلك ثور من ذهب أو فضة والقنطار واحد
 والقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة ومعنى القناطير المقنطرة أي الاموال المجموعة أو الاموال المضروبة
 المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وانما كانا محجوبين لانهما جاعلان من جميع الاشياء فاليكهما كالملك
 لجميع الاشياء (والخيل المسومة) أي المظهمة الحسان بأن تكون غرا محجلة (والانعام) وهي
 الابل والبقر والغنم (والحرث) أي المزرع (ذلك) أي جميع ما سبق (متاع الحياة الدنيا)
 أي منفعة للناس في الدنيا ثم تفنى (والله عنده حسن الحساب) أي المرجع في الآخرة وهو الجنة (قل)
 يا أشرف الخلق للكفار أو الناس عامة وهو أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أحل أو لا في قوله
 تعالى والله عنده حسن الحساب (أو نبشكم بخير من ذلكم) أي زينة الدنيا (الذين اتقوا) أي تبتلوا
 الى الله تعالى وأعرضوا عما سواه فلا تشغلهم الزينة عن طاعة الله تعالى (عند درهم جنان تجري من
 تحتها الأنهار) أي عند درهم بساكنة تطرد من تحت شجر هار مساكنتها أنهار الخمر والعسل واللبن والماء
 (خالدين فيها) أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وأزواج مطهرة) أي مهذبة من الخبيث
 والنفاس والبصاق والمي وتشويه الخلقة وسوء العشرة والاخلاق الذميمة (ورضوان من الله) ورضائهم
 أكبر عما هم فيه من النعيم (والله بصير بالعباد) أي بأحوال الذين اتقوا ثم وصفهم بقوله (الذين
 يقولون) في الدنيا (ربنا آتنا) بل وبرسواك (فأعز لنا دنوبنا) أي استرها وتجاوز عنا
 (وقم عذاب النار) أي ارفع عنا ذلك (الصابرين) على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى
 المرأى (والصادقين) في أيمانهم وأقوالهم ونياتهم (والقاتنين) أي المواطنين على العبادات
 (والمتقين) أموالهم في سبيل الله (المستغفرين بالامحار) أي في أواخر الليل بأي صيغة كانت
 وقيل أي الصائين التطوع فيه أو أعظم الطاعات قدرا أمران أحدهما الخدمة بالمال واليه الإشارة بقوله
 صلى الله عليه وسلم الشفقة على خلق الله والإشارة بقوله تعالى هنا والمتقين وثانيهما الخدمة بالنفس واليه
 الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم التظيم لأمر الله والإشارة بقوله تعالى هنا والمستغفرين بالامحار
 (شهد الله) أي بين الخلقة بالدلائل المعجزة والآيات العقلية (أنه لا اله) أي لا مستحق للعبودية
 موجود (الا هو والملائكة وأرسلوا العلم) وهم الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل الداطعة لان الشهادة
 انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مفرودا بالعلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس
 فأشهد وهذا يدل على أن الدرجة العالية والمرتبة السريفة ليست الا لعلماء الاصول فشهادة الله تعالى على
 توحيد هو أنه خلق الدلائل الدالة على توحيد وشهادة الملائكة وأولى العلم هي أقرارهم بتوحيد تعالى

(فأما بالقسط) أي مقبلا للعدل في جميع أموره وهذا بيان لمكانه تعالى في أفعاله بعد بيان مكانه في ذاته
(لا اله الا هو العزيز الحكيم) فالعزة في الملكة تلائم الوحدة اذية والحكمة في الصنع تلائم الغيايم بالقسط قال
الكلبي قدم حبران من أحبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فمأذله أنت محمد قال نعم قال له وأنت
أحمد قال أنا محمد وأحمد قال فأنا نأناك عن شيء فان أخبرتني به آمناك وصدقناك فقال لهم ماسلا قالا
أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم الرجلان وفي المدارك من
قرأها عند منامه وقال بعدها أشهد بعاشد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عنده وديعة يقول الله
يوم القيامة ان اعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبادى الجنة (ان الذين عند الله
لا سلام) فلا دين مرضى الله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة
التي عليها الرسل عليهم السلام نزلت هذه الآية لما ادعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت
النصارى انه لا دين أفضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك وقال ان الذين عند الله الاسلام وقرأ
الكسائي بفتح همزة ان وهو ما يدل من أنه يدل كل من كل ان فسر الاسلام بالتوحيد نفسه أى بالايان
بكونه تعالى واحدا أو يدل كل من بعض ان فسر الاسلام بالشريعة فانها تشتمل على التوحيد والعدل
ونحوهما أو معطوف على أنه محذوف حرف العطف أو مبنى على ان شهدوا واقع على ان الذين اما باجرا
انه على التعليل والتقدير شهد الله لاجل أنه لا اله الا هو ان الذين الآية أو باجرا انه على قراءة ابن عباس
وهو بكسره على جعل جملة انه اعتراضا وعلى ايقاع شهد على ان الذين من باب تقديم وتأخير والتقدير
شهد الله ان الذين عند الله الاسلام وشهد بذلك الملائكة والنبيون والمؤمنون أو باجرا شهد بجرى
قال مع جعل ان الذين مع مولا للحكيم باسقاط الجار أى الحكيم بأن الذين أما يجعله يدل اشتغال من أنه
فتمتنع بذلك التفسير لانه صار يدل أشتمل من المبدل منه ولان شرط بدل الاشتغال أن يكون المخاطب
منتظرا للبدل عند سماع المبدل منه وهذا ليس كذلك ولا سيما ان هنا فصلا بين البدل والمبدل منه
بأجنى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أى اعطوا التوراة والانجيل من اليهود والنصارى في
دين الاسلام وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون
ونحن أهل الكتاب (الامن بعد ما جاءهم العلم) أى الدلائل التي لو نظر واقعها لحصل لهم العلم (بغيا
بينهم) أى لاجل الحسد المكائن بينهم وطلب الرياسة للشبهة وخفاء في الامر (ومن يكفر بآيات الله)
الناطقة بأن الذين عند الله هو الاسلام بأن له يعمل بمقتضاها (فان الله سريع الحساب) أى فان الله
يجازيه على كفره عن قريب فانه يأتي حسابه عن قريب (فان حاجوك) أى خاصمك اليهود والنصارى
في ان الذين عند الله الاسلام بعد قيام الحجج عليهم (فقل أسألت وجهي) أى أخلصت نفسي أو على
الله) لا أشرك به في ذلك غيره (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسألت أى وأسلم من اتبعن أو مفعول
معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى (والاميين) أى الذين لا كتاب لهم وهم
مشركوا العرب (الأسلم) أى فهل أسلمتم بعد أن أناكم من الديانات ما يوجب الاسلام أم أنتم على
الكفر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا ألسنا نقول صلى الله
عليه وسلم لليهود أنشهدون ان عيسى كلمة الله وعبدوه ورسوله فأنالوا معاذ الله وقال صلى الله عليه وسلم
لنصارى أنشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا (فان أسألو) كما
أسأتم (فقد اهتدوا) للفوز بالنجاة في الآخرة (وان تولوا) عن الاسلام والاتباع لدينكم لم يضر ذلك

شيئا (فانما عليك البلاغ) أي ابلاغ الأدلة واطهار الحجّة فاذا بلغت ما جاء بك عن الله فقد أدبت
 ما عليك زاييس عليك قبولهم (وانته بصبر بالعباد) أي عالم بين يؤمن ويمن لا يؤمن فيجازي كلا منهم
 بهله (ان الذين يكفرون بآيات الله) أي بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ويقتلون النبيين بغير
 حق) أي بلا جرم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيشترهم بعذاب آليم) أي فاعلمهم
 بعذاب وجيع يخلص ووجهه الى قلوبهم روى عن أبي عبيدة بن الجراح انه قال قلت يا رسول الله أي
 الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبي أو رجلا أمرا معروف ونسي عن منكر ثم قرأ هذه الآية
 ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو امراة ثلثا وثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل
 واثنا عشر رجلا من عباد بني امراة ثلث فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا
 من آخر النهار في ذلك اليوم قال الحسن هذه الآية تدل على ان القائم بالامر بالمعروف والنهي عن
 المنكر عند الخوف تلي منزلته في العظم منزلة الانبياء وروى أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال أي الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (أو لئلا
 المتصفون بالصفت القبيحة) (الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت محاسن أعمالهم في
 الدارين أما بطلانها في الدنيا فبإدخال المدح بالذم والشتم باللعن وبما ينزل بهم من القتل والسبي وأخذ
 المال منهم غنيمة والاسترقاق ثم إلى غير ذلك من الذل الظاهر فيهم وأما بطلانها في الآخرة فبإزالة الثواب
 إلى العقاب (ومالهم من ناصرين) من عذاب الله في إحدى الدارين (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من
 الكتاب) أي حظا من علم التوراة وهم العلماء منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد كما أخرجه بن جرير
 وابن أبي حاتم عن ابن عباس (يدعون إلى كتاب الله) أي التوراة (ليحكم) أي كتاب الله (بينهم)
 وقرئ ليحكم على البناء للفعول (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض طائفة منهم بنو قريظة والنضير
 من أهل خيبر عن الحكم (وهم معرضون) أي مكذبون بذلك روى عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من
 اليهود زنيا في خيبر وكما ذوى شرف وكان في كتابهم الرجم فمكرهوا رجمه الشرف فما فيه من رجوعوا في
 أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجا أن يكون عده رخصة في ترك الرجم لحكم عليهما بالرجم
 فقال له النعمان بن أوفى وعدى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فنأعماك بالتوراة قالوا عبد الله بن صوريا الغدكي فأؤا
 به وأحضروا التوراة فقال له اقرأها أتي على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام قد جاوز موضعهما يا رسول الله فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى
 اليهود ان الحصن والمحكمة اذ زنيا وقامت عليهما البينة فزجما وان كانت حبلى تقر بص حتى تض ما في
 بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فزجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا
 فأنزل الله تعالى هذه الآية (ذلك) أي التولي والاعراض (بأنهم قالوا لنعمسنا النار) أي لن
 نصيبنا في الآخرة (الا يا ماعدون) أي سبعة أيام (وغيرهم في دينهم) أي في نباتهم على دينهم
 اليهودية (ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما أشبهه (فكيف) صنعهم (اذا جمعناهم ليوم لا ريب
 فيه) أي في يوم لا شك في مجيئه (ورفعت كل نفس) برهة فاجرة (ما كسبت) أي جزاء ما عملت من
 ثواب أو عقاب (وهم لا يظنون) فلا ينقص احد من ثواب الطاعات ولا يراعى على عقاب السيئات (قل
 ان الله مالك الملك) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال

المنافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول واليهود هيهات هيهات من أين لمحرم ملك فارس والروم أولم يكف
 محمد مكة والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فنزلت هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب
 الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق حفرة
 كالنيل العظيم لم تعمل فيها المعاويل فوجهوا مسلماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره فذهب إليه لحاء
 رسول الله وأخذ المعول من سلمان فلما ضربها ضربته صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لايتها أي المدينة
 كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فذكره كبر المسمون وقال صلى الله عليه وسلم أضواء لي منها قصور الحيرة
 كأنها أنبياء الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضواء لي منها القصور المحرمة من أرض الروم ثم ضرب الثالثة
 فقال أضواء لي منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة على كل شيء فأبشروا فقال المنافقون
 ألا نجعون من نبيكم بعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من ثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها ترفع
 أسكن وأنتم أغما تحفرون الخندق من الخوف فنزلت هذه الآية وروى أنها نزلت في شأن قريش لقولهم
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم كسرى ينام على فرش الديباج فإن كنت نبياً فأين ملكك (توفي الملك)
 أي تعطى الملك في الدنيا (من تشاء) من خلقت (وتزعم الملك من تشاء) منهم أبا المات وأزالة العقل
 أو إزالة القوى والحواس أو بورد التلف على الأموال أو بسلب الملك (وتعزم تشاء) بالإيمان والحق
 وبالأموال الكثيرة من الناطق والصامت وبألاء الهيبة في قلوب الخلق (وتدل من تشاء) بالكفر
 والباطل (بيد الخير) أي بقدرتك العز والذل والغنيمة والنصرة (اذل على كل شيء) من ذلك (قدير
 توجع الليل) أي تدخل بعض الليل (في النهار) فيكون النهار أطول من الليل (وتوجع النهار في الليل)
 أي تدخل بعض النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار (وتخرج الحي من الميت) أي تخرج
 النعمة من النطفة والدجاجة من البيضة والسنبلة من الحبة والطيب من الخبيث كالتوبة من الذنب
 والمؤمن من الكافر كسيدنا عكرمة من أبي جهل فالسلم حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد (وتخرج الميت من
 الحي) أي تخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطير والحب اليابس من النبات الحي والخبيث من
 الطيب كالحب من العباد والكافر من المؤمن ككنعان من سيدنا نوح عليه السلام (وترزق من تشاء
 بغير حساب) أي بلا تمكافؤ لا ضيق قال أبو العباس المغربي ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة
 أوجه بمعنى الثب قال تعالى رزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى اغشاق الصابرون
 أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فأم من أو أمسك بغير حساب (لا يتخذ المؤمنون
 الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا وال المؤمنون الكافرين لا استقلال ولا اشتراك مع المؤمنين
 وأما الجائر لهم قصر الموالاة والمحبة على المؤمنين بأن يوالى بعضهم بعضاً فقط واعلم أن كون المؤمن موالياً
 للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضياً بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع لأن الرضا بالكفر كفر
 وثانيها المعاصرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع * وثالثها أن يكون الكفار والمعونة
 والنصرة أما بسبب القرابة أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي عنه
 لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجر إلى استحسان طريقته والرضا به وذلك يخبر عنه عن الإسلام فهذا هو الذي
 هدد الله فيه بقوله (ومن يفعل ذلك) أي الموالاة مع الكافرين بالاستقلال أو بالاشتراك مع المؤمنين
 (قليل من الموالى) (من الله في شيء) أي ليس من ولاية الله في شيء يطلق عليه اسم الولاية (الأن تتقوا
 منهم تقاة) أي لا تتخذوا الكافرين أولياء ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال اتفاقكم من جهتهم

انقياء والمعنى ان الله نهي المؤمنين عن مداينة الكفار الا ان يكون الكفار غاليين أو يكون المؤمن في قوم
كفار فيداهنهم بلسانه مطمئن اقلبه بالايمان دفعاعن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير
ذلك من المحرمات ومن غير أن يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع
حجة النية روى عن الحسن أنه قال التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة لان دفع الضرر عن النفس
واجب بقدر الامكان قال الحسن أخذ مسيلة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم نعم فقال أفتشهد أني رسول الله قال نعم فتركه ودعا
الأخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أني رسول الله فقال اني أصم فلا ناقة - دمه وقتله
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما هذا المقتول فضي على يقينه وصدقه فهنيئله وأما الآخر
فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة في التقية عن دم الحرام وفرج
الحرام ومال الحرام وشرب الخمر وشهادة الزور والشرك بالله (والى الله المصير) أي المرجع
فاحذروه ولا تتعرضوا للخطية بخالفة أحكامه والمعنى ان الله يحذركم عقابه عند مصيركم الى الله (قل ان
تخفوا ما في صدوركم) أي ما في قلوبكم من البغض والعداوة فمجدد صلى الله عليه وسلم (أو تبدؤوا) أي
تظهروا بالشتم والطعن والحرب (بما الله) أي يحفظه الله عليكم فيجازيكم به (ويعلم ما في السموات
وما في الأرض) من الخير والشر والسر والعلانية (والله على كل شيء) من أهل السموات والأرض
ونوابهم وعقابههم (قدير) نزلت هذه الآية في حق المنافقين واليهود (يوم تجذ كل نفس نفس ما عملت من
خير محضرا) أي مكتوبا في ديوانها (وما عملت من سوء) أي من فيج تجده مكتوبا في ديوانها (تود
لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) أي والذي علمته نفس من سوء تقني تباعد ما بين النفس وبين السوء
مكتوبا بعيدا كما بين المشرق والمغرب لو أن بيننا وبينه أجلا طويلا من مطلع الشمس الى مغربها لفرحت
بذلك (ويحذركم الله نفسه) عند المعصية ذكر الله تعالى هذا أولا للأنع من ولادة الكافرين وثانيا للث على
عمل الخير والمنع من عمل الشر (والله رؤوف بالعباد) أي المؤمنين أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف
بالطيعين والمحسنين (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) أي فاتبعوا ديني فإنه لكم اذا اتبعتم ديني
فقد أطعتم الله فإنه تعالى يحب كل من أطاعه (يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) أي ان اتبعتم
شر يعنى برض الله عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجارب عما سلف من ذنوبكم (والله غفور رحيم)
لمن يتجنب اليه بطاعته نزلت هذه الآية في حق اليهود دفعوهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الضحاك عن
ابن عباس وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قریش وهم في المشركين فنادى يا معشر قریش والله لقد دخل الغم ملة
أيكم ابراهيم واسماعيل فقال قریش انما نعبد الله ليقربونا الى الله فزلت هذه الآية وقيل ان
نصارى نجران قالوا انما نعظم المسيح حبابة فزلت هذه الآية ولما نزلت قال عبد الله بن أبي لهبة ان
محمد يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نعبده كما أحببت النصارى المسيح وقالت اليهود يريد محمد أن
يتخذوا باحنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فأنزل الله بسبب قواهم قوله تعالى (قل أطيعوا الله
والرسول) أي في جميع الأوامر والنواهي أي انما أوجب الله عليكم متابعتي لا كما تقول النصارى في
عيسى بل اكوني رسولا من عند الله (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعتهما (فان الله لا يحب الكافرين)
أي اليهود والمنافقين الذين أقوا شبهة في الدين فلما نزلت هذه الآية قالت اليهود نحن على دين آدم مسلمين

فأرسل الله قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم) اسمعيل وإسمحق والانبيا من أولادهما
 الذين من حملتهم النبي صلى الله عليه وسلم (وآل عمران) موسى وهارون وقيسل عيسى وأمه
 حكاة الكرماني وورججه ابن عساكر والسهيلي (على العاملين) أي على أهل زمان كل واحد منهم
 بالاسلام وبالحاصل الحميدة (ذرية بعضهم بعض) أي اصطفى الآلين حان كونهم ذرية متسلسلة
 متعينة البعض من البعض في النسب (والله مبيح) لأقوال العباد (عليم) بضمائرهم وأفعالهم
 وانما يصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولاً وفعلًا ويقال والله مبيح لمقالة اليهود نحن من ولد إبراهيم
 ومن آل عمران فمن أنباء الله وأحبابه وعلى دينه ومقالة النصارى المسيح ابن الله عليهم بعبودتهم واذكر
 يا محمد (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقود أم مريم حين شاخت وكانت يوما في ظل شجرة قرأت
 طائر ايطم فرخانته فتحركت نفسها للولد فعدت بها أن يب لها ولد الحملت بمريم بمات عمران فلما عرفت
 بالحمل قالت يا (رب اني نذرت) أن أجعل (لك ما في بطني محررا) أي عتيقا من أمر الدنيا الطاعة
 الله ومخلصا لعباده وخادما لي يدرس الكتاب ويعلم مسجديت المقدس (فتقبل مني) أي خذ مني
 ما نذرت على وجه الرضا (انك انت السميع) لتضرعي بدعائي ينداني (العليم) بما في ضميري وقلبي
 ونبيتي (فلما وضعتها) أي ولدت المنذورة التي في بطنها (قالت رب اني وضعتها) أي ما في بطني (أنثى)
 والله أعلم بما وضعت) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وضعت بضم التاء على حكاية كلامها وانما قالت
 ذلك للاعتذار ولا زالة الشبهة التي في قولها اني وضعتها أنثى فانها حافت ان يظن بذلك القول أنها تخبر الله
 تعالى وقرأ الباقر بن بكير ان الله تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما ولدها وتجهيلا لها به - در
 ذلك الولد والمغنى والله أعلم بأن الذي ولدته وان كان أنثى أحسن وأفضل من الذكر وهي غائلة عن ذلك
 فلذلك تحسرت وقرأ ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
 والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ثم قال تعالى حكاية عن قولها (وليس الذكر كالأنثى) أي
 وليس الذكر الذي يكون مطلوبا كالأنثى التي هي موهوبة لله وهذا الكلام يدل على ان حنة كانت
 مستغرقة في معرفة جلال الله عاله بأن ما فعله الرب بالعبد خير مما يده العبد لنفسه ويحتمل أن هذه
 الجملة محض كلامه تعالى والمعنى ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي ولدتها بل هي خير منه وان لم
 تصلح للخدمة فان فيها مزايا أكثر لا توجد في الذكر (واني سميتها) أي هذه البنت (مريم) أرادت حنة
 بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصهما من آفات الدين والدنيا فان مريم في لغتهم العباد في
 لغة العرب (واني أعيد ذهابك بذريتهما) الشيطان الرجيم) أي واني ألجئ مريم وذريتها إلى
 رحمتك وعمقتك وألصق نفسي بها وأولادها بفضل رحمتك من الشيطان اللعين (فتقبلها ربها
 بقبول حسن) بأن اختص الله تعالى مريم بأفامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن
 أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ تصلح للخدمة روى أن حنة حين ولدت مريم لغتها في
 خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وقالت خذوا هذه النذرة فتمنوا فسوا فيها
 لانها كانت بنت امامهم الاعظم في العلم والصلاح فقال زكريا أنا الحق به لان خالته اعندى فقالت
 الاحبار لا تقل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها تركت لامها التي ولدتها اولاد كنانة ترجع عليها فانطلقوا
 وكانوا تسعة وعشرين إلى نهر جارف حطب يقال له قرقم فالتقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها
 على أن كل من ارتفع قلبه فهو الراجح وعلى كل من أمم صاحبه ثم ألغوا أقلامهم ثلاث مرات ففي كل مرة

يرتفع قلزم كرى ياقوق الماء وترسب أقلامهم فأخذها زكريا (وأبنتها بما أحسنا) أي ربها الله بما
يصلحها في جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غداها حسنا (وكفلها زكريا) أي جعله
الله مربيا لها وضامنا لها لحوائها وقام بتدبير أمورها ولما أخذها بنتي لها غرفة في المسجد وجعل بابها في
وسطه لا يرى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتها بأكلها
وشربها ودهنها (كلما دخل عليها زكريا) وهو من ذرية سليمان بن داود (المخواب) أي الغرفة
(وجده عند هارزفا) أي فأكهة الشتاء في الصيف مثل العنب وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب
ولم ترضع ثديا قط بل يأتها رزقا من الجنة (قال يا مريم أتى لك هذا) أي من أين لك هذا الرزق الآتي
في غير حينه الذي لا يشبه رزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك (قالت هو من عند الله) أثنى به جبريل
من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد (إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة الرزق أو من غير مسئلة في حينه وفي غير حينه
(هذالك) أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات أوفى ذاك الوقت
الذي رأى فيه خوارق العادات عندها (دعا زكريا ربه قال) في مناجاته في جوف الليل (رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة) أي رب اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولد مباركا غياضا لحارضا
كهيئ لك الجنة الهجوز العاقر مريم (إنك مهيب الدعاء) أي مجيب الدعاء (فنادته الملائكة) أي
جبريل كما أخرج ابن جرير عن السدي (وهو قائم يصلي في المخواب) أي في الموضع العالي الشريف
في المسجد (أن الله يشرك) بولدي عيسى (بيحيى) قرأ ابن عامر وحزرة أن بكسر الهمزة والياء قون بالغيم
(مصدقاً بكلمة من الله) أي بعيسى بن مريم بمعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب قال ابن عباس
إن يحيى كان أكبر سننا من عيسى ستة أشهر وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ثم قتل يحيى
قبل رفع عيسى بمدة قصيرة (وسيدا) أي رئيسا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة روى عن قال ابن عباس
أي حليما عن الجهل وقال مجاهد أي كرم على الله (وحصورا) أي مانعا من النساء للعفة والزهد
لألهمز (ونبيما من الصالحين) أي من المرسلين (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) أي قال
زكريا يا جبريل يا سيدي من أين يكون لى ولد وقد أدركنى كبر السن (وامرأتى عاقر) أي عقيم لا تلد
قال ابن عباس كان زكريا يوم بشره بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته أيشاع بنت فاقود بنت
تسعين وثمان (قال) أي جبريل (كذلك) أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكرا أنتما على حالكما
من الكبر (الله يفعل ما يشاء) من الأفاعيل الخارقة للعادة (قال) أي زكريا (رب اجعل لى آية)
أي علامة في جبل امرأتى (قال) أي الله تعالى (آيتك) أي علامة لك في جبل امرأتك (أن لا تكلم
الناس) أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس (ثلاثة أيام) متوالية بلياليها (الأرضرا) أي
الأتربة تكا بالشفقين والحاجبين والعينين واليدين (وإذا كررك) باللسان والقلب في مدة الحبسة
عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة (كثيرا) أي ذكر كثيرا كثيرا على كل حال
(وسبح بانعشى والأبكار) أي صل عشيا وغدوة كما كنت تصلى (وإذا ذكر) إذا قالت الملائكة (أي
وجبريل لمريم مشافهة) (يا مريم إن الله اصطفاك) بتفريغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية
والعصبة والسكافية في أمر المعيشة وسماح كلام جبريل شفائها (وطهرتك) من المعصية وميسر الرجال
ومن الأفعال الذميمة ومن مقالة اليهود وثمتهم ويقال أنجالك من القتل (واصطفاك على نساء العالمين)

بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصانه من مريم حتى شهدها براهتهاعن انهمة وروى انه صلى الله
 عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهن
 السلام (يا مريم اقنتي لبك) أي دومي على طاعته بأنواع الطاعات شكر ذلك ويقال اطيلى القيام
 في الصلاة شكر الريل (وامجدى) أي على منفردة (واركعي مع الراكعين) أي صلى مع أهل
 الصلاة في بيت المقدس فإن اقتداء النساء بالرجال حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء قال
 المفسرون لما ذكرت الملائكة هذه الكلمات على مريم شفاها قامت مريم في الصلاة حتى رمت قدماءها
 ورسال الدم والتعجب من قدميها (ذلك) الذي مضى ذكره من حديث حنة ومريم وزكريا (من أنباء الغيب)
 أي من أخبار الغائب عنك يا محمد (فوحى اليك) أي نزل جبريل بالقائه الغائب اليك (وما كنت لديهم)
 أي عند الذين تنازعوا في تربية مريم (أذ يلقون أقلامهم) التي كانوا يكتبون بها الكتب في جرى الماء ليهلوا
 (أيهم يكفل مريم) أي أي أحدهم يربى مريم وكان القراع على أن كل من جرى قلمه على عكس جرى
 الماء فالحق معه (وما كنت لديهم أذ يختصمون) أي وما كنت هناك أذ يتقارعون على تربية مريم وأذ
 يختصمون بسببها (أذ قالت الملائكة) أي جبريل (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) أي بولدي يكون مخلوقا
 بكلمة من الله أي من غير واسطة الأسباب العادية فإن غير عيسى من كل علوق وإن وجد بكلمة كن
 لك بمواسطة أب (اسم) أي الولد (المسمي) مسمى بالمسيح لأنه يسبح في البلدا ولأنه مسمي يسده
 ذاعاقة الأبرئ من مرضه (عيسى بن مريم) وانما نسبته الله تعالى إلى الاماعلاما بأنه محدث بغير
 الأب فكان ذلك سببا لزيادة فضله وعلو درجته (وجها) أي ذابجا وشرف (في الدنيا) بالنبوة
 وبأحياه الموتى وبإبراء الأكمه والأرض بسبب دعائه (والآخرة) يجعله شفيهم أمته ويقبول شفاعته
 فيهم وبعلودرجته عند الله تعالى (ومن المقرين) إلى الله في جنة عدن وهذا الوصف كالتنبيه على أن
 عيسى سيرفع إلى السماء وتصابه الملائكة (ويكلم الناس في المهد) أي في حجر أمه وهو ابن أربعين
 يوما بقوله أنى عبد الله (وكهلا) أي بعد ثلاثين سنة أي أن عيسى يكلم الناس مرة واحدة في حجر أمه
 لاظهار طهارته أمه من الفاحشة ثم عند الكهولة يتكلم بالنبوة (ومن الصالحين) أي من المرسلين
 (قالت رب أنى يكون لى ولد) أي قالت مريم لجبريل يا سيدي من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر)
 بالحلال ولا بالحرام لأن المحررة لا تنزج أبدا كالكرا المحرر (قال) أي جبريل (كذلك) أي
 الأمر كما قلت لك من خلق ولد من قبل بلا أب (الله يخلق ما يشاء أذا قضى أمرا) أي إذا أراد خلق شيئا
 (فإنما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث فتفزع جبريل في جيب درعها فوصل نفسه إلى
 فرجها فدخل رحمها فجعلت منه (وبه الكتاب) قرأنا فوعا صم بهما بالياء معطوف على الحال
 وهي قوله وجيها فكان جبريل قال وجيها ومعلمها أو على يشرله بالباقون ونعلمه بالنون معمول أقول
 محذوف من كلام الملك تقديره وجيها ومعلمها أو أن الله يبشرك بعيسى ويقول نعلمه كتب الانبياء
 والكتابة أى الخط (والحكمة) أى العلم المقترن بالعمل وتهذيب الأخلاق (والنوراة والانجيل)
 وخصا بالذكر لفضلهما (و) تبعته (رسولا إلى بني اسرائيل) أي كلهم وقيل هو معطوف على الأحوال
 السابقة كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا وقرى ورسول بالجر عطف على كلمة والمعتمد عند الجمهور أن
 عيسى اثنا عشر على رأس الأربعين وأنه عاش في الأرض قبل رفعه مائة وعشرين سنة وهو آرائيا بني
 اسرائيل كما أن أولهم يوسف بن يعقوب (أنى قد جئتكم) بفتح الهمزة مجرور بالياء المقدر التي للابسة

المتعلقة بمحذوف حال من رسول المقدر لما فيه من معنى النطق والتقدير فلما جاءهم قال لهم اني رسول الله
فيكم ملتبس اباني قد جئتكم (بآية) أي بعلامة على صدق في الرسالة (من ربكم) قالوا وما هي قال هي
(اني اخلق) أي اصور (لكم من الطين كهية الطير) أي شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه)
أي في فم ذلك المائل لهية الطير (فيكون) أي فيصير (طيرا) حيا يطير بين السماء والارض
(باذن الله) أي بأمره تعالى فطلبوه بخلق الخفاش لانه أكل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لانه
نابوا سنانا ويضعل كما يفعل الانسان ويطير بغير ريش ولا يصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل
واغايى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر والاني منه لم ائدى ونجى وتطهر
وتلا فلما صور لهم خفاشا فقالوا هذا مكر فهل عندك غيره قال نعم (وأبرئ الاكم) بالدعاء أي وأصحح
الذي ولد أعمى أو المسروح العينين (والابرص) وهو الذي في جلده بياض شديد فلما فعل ذلك قالوا هذا
مكر فهل عندك غيره قال نعم (واحي الموتى باذن الله) أي بالامم الاعظم وهو يحيى يا قيوم فأحيا
أربعة أنفس أحيا عازرا بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولده وأحيا ابن الجوز وهو ميت محمول على
السرى فنزل عن ممره حيا ورجع الى أهله وعاش وولده وأحيا بنت العاشراى الذي يأخذ العشور
من الناس بعد يوم من موتها فعاشت وولدها فقالوا العيسى انك تعجبى من كان قرب العهد من الموت فلعلهم
ليوموا حقيقة بل أصابهم سكرة فأحيا الناس من نوح وهو قد مضى من موته أكثر من أربعة آلاف سنة
فقام على قبره فدعا الله باسمه الاعظم فقام من قبره وقال للقوم صدقوا فانه نبي الله ومات في الحال فآمن به
بعضهم وكذب آخرون فقالوا هذا مكر فهل عندك غيره قال نعم (وأنبئكم بما تاتون) غدرة وعسبة
(وماتخرون) أي ترفعون من غدا لعشاء من غدا لغدا (في بيوتكم) هم الم أعانيه (ان في ذلك)
أي في ما قلت لكم من هذه الخسبة (لاية) أي لهجة قوية دالة على صحة رسالتى دالة واضحة (لكم ان
كنتم مؤمنين) أي مصدقين انتفعتم بها (ومصدق لما بين يدي) أي لما قبل (من التوراة) وبين
موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعون سنة ومصدق ما عطوف على رسولنا وجئتكم
(ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) في شريعة موسى عليه السلام من السحوم والثروب للبقر والغنم
ولحوم الابل وحمال الصبيحة له من السمك والطيرو من العمل في يوم السبت وهذا لا يقدح في كونه مصدقا
للتوراة لان النسخ تخصيص في الازمان (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وقرئ
بآيات (فاتقوا الله) في عدم قبولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنها كم عنه عن الله تعالى (ان
الله ربي وربكم) وانما أظهر سيدنا عيسى المصنوع وأقر بالعبودية لكي لا يتقوا عليه الباطل فيقولوا
انه الله وابن الله لان أقرا به بالعبودية لله يمنع عما ندعيه جهال النصارى عليه (فاعبدوه) أي لا زهوا
طاعته التي هي الايمان بالأوامر والانتها عن المناهي أي لما كان الله تعالى رب الخلائق بأسرها
وجب على الكل ان يعبدوه وقوله تعالى ان الله ربي وربكم إشارة الى ان استكمل القوة النظرية بالتوحيد
وقوله فاعبدوه إشارة الى أن استكمل القوة العملية بالطاعة (هذا) أي الجمع بين التوحيد والعبادة
(صراط مستقيم) أي دين قائم برضاء الله تعالى وهو الاسلام ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم قل
آمنت بالله ثم استقم لرجل قال يا رسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحد بعدك (فلما
أحس عيسى منهم الكفر) أي فلما سمع عيسى بأذنه من بني اسرائيل تكرار الكفر وطلبوا قتله لانهم
كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر في التوراة وأنه ينهض دينهم (قال) لاصغيا أصحابه (من أنصاري

الى الله) أي من أنصارى حال المخاض الى الله وقال من أعوانى مع الله على أعدائه (قال الخواريون)
 أي القصارون أي الذين يبيضون الثياب (نحن أنصار الله) أي نحن أعوانك مع الله على أعدائه قيل
 كانوا تسعة وعشرين هم منهم قطرس ويعقوب ولحيس وايدازانيس وقيلس وابن تلماس ومتنا
 وبوقاس ويعقوب بن حليفا وبادوسيس وقياسا وبودس وكندمابوطا وسرجس وهو الذي ألقى
 عليه شبهه أخرج ذلك ابن جرير عن ابن اسحق وقيل كان الخواريون اثني عشر رجلا آمنوا بعيسى عليه
 السلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا اجعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها السكل واحد
 رغيفان وإذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا
 قال عليه السلام أفضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالآخرة فسموا
 حوارين أي ان اليهود لما طلبوا عيسى عليه السلام للقتل وكان هو في الهرب عنهم قال لا وثلك الاثني
 عشر من الحوارين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني
 فأجابهم إلى ذلك بعضهم (آمننا بالله) فهذا الستمنا فيجري تجري العلة لما قبله والمعنى يجب علينا أن
 نكون من أنصار الله لأجل أننا آمننا بالله فإن الإيمان بالله يوجب نصرته دين الله والذب عن أولياء الله
 والمخاربة مع أعدائه (واشهد) يا سيدنا عيسى (بأننا مسلمون) أي مقرون بالعبادة والتوحيد لله
 وذلك اقرار منهم بأن دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء صلوات الله عليهم واشهاد الله أيضا على أنفسهم
 بذلك فلما أشهدوا عيسى على إيمانهم واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت)
 من الكتاب أي الانجيل (واتبعنا الرسول) أي دين رسول الله عيسى (فأكتبنا مع الشاهدين)
 أي اكتبنا في جملة من شهدك بالتوحيد ولا نبيالك بالتصديق وقال ابن عباس فأكتبنا في زمرة
 الانبياء لأن كل نبي شاهد لقومه أو فأكتبنا مع محمد وأمه لأنهم هم المخصوصون بأداء الشهادة (ومكروا)
 أي أراد اليهود قتل عيسى (ومكراته) أي أراد الله قتل صاحبهم طيطيانوس وقيل مكرهم بعيسى بهم
 بقتله ومكر الله تعالى بهم رفع عيسى الى السماء وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام
 وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل
 من تلك الزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره فأخذ وصلب (والله خير الماكرين) أي أقوى المرين
 ويقال أفضل الصانعين روى عن ابن عباس ان ملك بني اسرائيل اسمه يهودا لما قصد قتل عيسى أمره
 جبريل أن يدخل بيتا فيه وزنة فرفعه جبريل من تلك الزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم
 يقال له طيطيانوس ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فلم ير عيسى فالتقى الله تعالى شبه عيسى عليه نخرج
 يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه ثم قالوا ارجعه يشبه وجه عيسى وبدته يشبه بدن صاحبه ما فإن
 كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (اذ قال الله يا عيسى
 اني متوفيك) أي مستوفى أجلك المسمى وعاصمك من أن يقتلك الكفار (ورائعا الى) من الأرض الى
 محل كرامتي وإلى محل ثوابك (ومظهر من الذين كفروا) بل أي منجول منهم (وجاعل الذين اتبعوك) أي
 الذين آمنوا بأهلك عبد الله ورسوله والذين صدقوا بنبوتك وادعوا بحجتك كالنصارى (فوق الذين كفروا)
 بل وهم اليهود بالحجة والسيوف والفهر والسلطان والاستعلاء والنصرة (الي يوم القيامة) فان ملك اليهود
 قد ذهب فلم يبق لهم قلعة ولا سلطان ولا شوكة في جميع الأرض بل يكونون مقهورين أين ما كانوا بالذلة
 والملكه وملك النصارى باق قائم الى قريب من قيام الساعة فأنزى أن دولة النصارى في الدنيا أعظم

وأقوى من أمر اليهود ودوزكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الخواريين بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فشمسوهم وعذبوهم فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيتهم ثم بعث الى الخواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فأخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الحسبة فأكرمها وصانها ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو قد صار نصرانيا لانه لم يظهر ذلك ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بقدر أربعين سنة ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وقصد قتله (ثم الى مرجعكم) بالموت والخطاب لعيسى ومن آمن معه ومن كفر به (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) أي تخاصمون في الدين (فأما الذين كفروا) بالله ورسوله (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والقتل والسبي والحزب والنار) (والله أعلم) (وما لهم من ناصرين) أي مانعين من عذاب الله في الدنيا والآخرة (وأما الذين آمنوا) بالله والكتاب وبنبوته عيسى وبنبوته محمد (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (فيؤفيهم أجورهم) أي فيؤفونهم أجور أعمالهم في الجنة (والله لا يحب الظالمين) أي لا يريد اتصال الخبر الى الشركين وقرأ حفص عن عاصم فيؤفيهم بالياء والفاعل راجع الى الله والله أقون بالنون (ذلك) أي خبر عيسى (نتوءه عليه) أي تنزل عليه جبريل به (من آيات) أي من آيات القرآن أو من العلامات الدالة على نبوت رسالتك (والذكر الحكيم) أي الذي ينطق بالحكمة أو الحكماء فان القرآن ممنوع من طرق الملل اليه * وروى انه حضر وفد فخران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمالوا له ما شأنك تذكر صاحبنا ونسبه فقال من هو قالوا عيسى قال وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسا ناقط من غير أب ومن لا أب له فهو ابن الله ثم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فقال قل لهم اذا أتولوا (ان مثل عيسى عند الله) أي ان صفة تخلق عيسى في تقدير الله وحكمه بلا أب (كمثل آدم) أي كصفته قال آدم (خلق من تراب) بلا أب وأم (ثم قال له) أي لا دم (كن فيكون) أي نفخ فيه الروح وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان ولدا بلا أب فاذا كان آدم كذلك ولم يكن ابن الله فكذلك عيسى فن لم يقرب ان الله خلق عيسى من غير أب مع اقراره بخلق آدم بغير أب وأم فهو خارج عن طور العقلاء وأيضا اذا جاز أن يخلق الله آدم من التراب فجواز خلق الله تعالى عيسى من دم مريم من باب أولى فان هذا أقرب الى العقل من تولد الميوان من الدم الذي يجتمع في رحم الام أقرب من تولد من التراب اليابس (الحق) أي الذي أنزل عليه من خبر عيسى انه لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه هو (من ربك) والباطل من نصارى اليهود قال نصارى قالوا ان مريم ولدت الها واليهود ومواريهم بالافك ونسبوا لها الى يوسف النجار (فلا تكن من المتزين) أي من الساكن فيما بينت لك من تخليق عيسى بلا أب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فحريكم كاله لزيادة ثبوت الله على اليقين ولكل سامع ليتزع عما يورث الامتراء ثم ذكر الله تعالى خصومة وفد بني فخران مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بين لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فقالوا ليس كما تقول ان عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه فقال الله تعالى (ان حاجتك) أي خاصتك من نصارى فخران (فيه) أي في شأن عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من الدلائل الموجهة للعلم بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا) أي نخرج

بأنفسنا (وأنفسكم) أي أخرجوا بأنفسكم (ثم نبتهل) أي نجتهد في الدعاء ونخلصه أو نخلص بيننا
وبينكم (فنجعل لعنة الله) فبما بيننا (على الكاذبين) على الله في حق عيسى وهم من يقولون
إن عيسى بن الله وأنه اله **ورد** صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدلائل على نصارى نجران ثم انهم
أصرروا على جهلهم فقال صلى الله عليه وسلم إن الله أمرني أن لم تقبلوا الحججة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم
حتى ترجع فننظر في أمرنا ثم تأتيل غد فلما رجعوا إلى قومهم قالوا للعاقب وكان ذارأيهم يا عبيد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفستم يا معشر النصارى إن محمد أتى مرسل ولقد جاءكم بالكلام الحق في أمر
صاحبكم والله ما أباهل قوم نبياقط فعاش كبيرهم ولا بنت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا
الاقامة على دينكم والاصرار على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من بيته إلى المسجد وعليه سرط من شعر أسود محتضنا للحسين
أخذا بيد الحسن وفاطمة عشي خلفه وعلى خلفه أرضى الله عنهم أجمعين وهو يقول لهؤلاء الأربعة إذا
دعوت فأمضوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لا أرى وجوها لوسألوا الله تعالى أن يرسل جبلا
من مكانه لآزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أنالنا نباهلك وان تثبت على ديننا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإن أبيتم المباحلة فأسلموا يكن لكم ما للعسائين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال
فاني أناجركم القتال فقالوا ما لنا نجرب العرب طاقه ولكن نصالحكم على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا
على أن نؤدي اليك في كل عام ألفي حلة ألفي صفر وألفي رجب وثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين
بعرًا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح فصالحهم رسول الله على ذلك (ان هذا) الذي ذكرت
من الدلائل التي دلت على أن عيسى لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه ومن الدعا إلى المباحلة مع وقد بنى
نجران (لهو القصص الحق) دون أكاذيب النصارى (وما من اله إلا الله) بلا شريك ولا ولد ولا
زوجة (وان الله لهو العزيز) أي الغالب الذي لا يمنع القادر على جميع المقدورات (الحكيم) أي
العالم بجميع المعلومات وبجميع عواقب الأمور فذكر العزيز الحكيم ههنا إشارة إلى الجواب عن
النصارى في الشبهتين لعيسى القدرة على الأحياء ونحوه وأخبار الغيوب (فان تولوا فان الله عليم
بالفسدين) أي قال أبو عن قبول الحق وأعرضوا عما وصفت من أن الله هو الواحد وأنه يجب أن يكون
غالباً قادراً على جميع المقدورات عالماً بالنهايات محيطاً بالمعلومات مع اعترافهم بأن عيسى لم يكن كذلك
ومع قولهم أن اليهود قتلوه فاعلم أن أباهم وأعراضهم ليس إلا على سبيل العناد فاقطع كلامك عنهم
وفوض أمرهم إلى الله فان الله عليم بفساد الفاسدين مطلع على مافي قلوبهم من الأغراض الفاسدة قادر
على مجازاتهم (قل يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في شأن نصارى بني نجران كما قاله ابن عباس وذلك
لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر على نصارى نجران أنواع الدلائل أولاً ثم دعاهم إلى المباحلة ثانياً
لخافوا وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمانهم فعدل إلى رعاية
الانصاف وترك المجادلة فكانت تعالى قال يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعبد إلى منهج آخر
يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الانصاف وترك الجدال وقل يا أهل الكتاب أي
يا معشر النصارى (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) أي هلموا إلى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض
لا ميل فيه لأحد على صاحبه وقيل نزلت في حق يهود المدينة وقيل نزلت في شأن الفريقين وذلك لما قدم
وقد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في دين إبراهيم فرزعت النصارى أنه كان نصرانياً وأنهم

على دينهم وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهود يافوخن على دينه وأولى الناس به فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم كلا الفريقين يرى من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وأنا على دينه فأتبعوا
 دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا ان نخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى
 يا محمد ما تريد الا ان تقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
 سواء بيننا وبينكم أي يا معشر اليهود والنصارى هلموا الى قصة عاد لقمة مستقيمة بيننا وبينكم لا يختلف
 فيها الرسل والكتب فاذا آمننا نحن وأنتم بها كنا على سواء والاستقامة ثم فسر الكلمة بقوله (أن لا نعبد
 الا الله) أي أن نوحده بالعبادة ونحضره بها (ولا نشركه شيئاً) أي ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق
 العبادة ولا نعتقد أهلاً الا لا نعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله) أي لا يطيع أحد منا
 أحداً من الرؤساء في معصية الله تعالى وفيما أخذوا من التحريم والتحليل ولا نقول عزير بن الله ولا المسيح
 ابن الله لانهم مبشران مثلنا (فان تولوا) أي أبوا الا الاصرار على الشرك (فقلوا الشهدوا بأننا مسلمون)
 أي فإظهار أني والمؤمنون بأننا مسلمون على هذا الدين وقولوا العترفوا بأننا مقرون بالتوحيد والعبادة لله تعالى
 دونكم فقد رمتكم الخ فوجب عليكم أن تعترفوا بذلك وبأنكم كافرون بما نطق به الكتب وطابقت
 عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام (يا أهل الكتاب) أي يا معشر اليهود والنصارى (لم تحاجون في
 إبراهيم) أي لم تحاجهون في دين إبراهيم ولم تدعوا ان إبراهيم عليه السلام كان منكم (وما أنزات
 التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (الأمين بعده) أي من بعد إبراهيم زمن طويل اذ
 كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية
 وبعد نزول الانجيل حدثت النصرانية (أفلاتعقلون) أي أتدعون ان إبراهيم منكم فلا تتعقلون
 بطلان ادعائكم (ها أنتم هؤلاء ما جئتم) أي ها أنتم يا هؤلاء اليهود والنصارى خاضعتم (فيما ألكم
 به علم) في كتابكم ان إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وان محمد انبي مرسل وهو موجود في كتابكم
 بنعته فأنكرتم ذلك (فلم تحاجون فيه ما ليس لكم به علم) في كتابكم لانه ليس لدين إبراهيم ذكر
 في كتابكم أصلاً ولم تدعوا ان شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (والله يعلم) كيف
 كانت حال هذه الشرائع في المخالفة والموافقة (وأنتم لاتعلمون) كيفية تلك الاحوال ثم بين الله تعالى
 ذلك مفصلاً وكذبهم فيما ادعوه من موافقة إبراهيم لما يقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) أي ليس
 إبراهيم على دين اليهود ولا على دين النصارى (ولكن كان حنيفاً) أي ما لا يعن الا ديان الباطلة كلها
 (مسلماً) أي على ملة التوحيد لا على ملة الاسلام الخادعة (وما كان من المشركين) وهذا تعرض بكون
 اليهود والنصارى مشركين بقولهم عزير بن الله والمسيح بن الله ورد على المشركين في ادعائهم انهم على ملة
 إبراهيم عليه السلام (ان أولى الناس بإبراهيم) أي ان أقرب الناس الى دين إبراهيم وأخصهم به (الذين
 أتبعوه) في زمانه (وهذا النبي) محمد (والذين آمنوا) بمحمد مدفهم الذين يليق أن يقولوا نحن على دينه لان
 غالب شرع محمد موافق لشرع إبراهيم أي ان حق الناس بدين إبراهيم فريقتان أحدهما من أتبعه من أمته
 وثانيهما النبي وسائر المؤمنين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (والله ولي المؤمنين) أي ناصرهم وحافظهم
 ومكرمهم ثم ذكر دعوة كعب بن الاشرف وأصحابه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ وحذيفة
 وعبد بن عمرو أحد الذين هم اليهودية عن دين الاسلام فقال (ودت طائفة) أي جمعت (من أهل
 الكتاب لو يضلونكم) أي ان يضلونكم عن دينكم الاسلام (وما يضلون) عن دين الله (الا أنفسهم) لان

المؤمنين لا يقدرون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتقبيحهم اضلال المؤمنين وهم صاروا خائبين حيث اعتقدوا
شيئاً ولا ح لهم أن الامر بخلاف ما تصوروه (وما يشعرون) ١ هذا نصرهم لان العذاب يضاعف لهم
بسبب ضلالهم رغبى اضلال المسلمين (يا اهل الكتاب لما تكفرون بآيات الله) وهي الواردة في التوراة
والانجيل من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار بأن الدين هو الاسلام وبأن ابراهيم كان حنيفاً
مسلياً (وانتم تشهدون) معتمداً اذا خلا بعضكم مع بعض وتشكرون اشغال التوراة والانجيل على
آيات الله على نبوة محمد عند حضور عوامكم وعند حضور المسلمين أو المعنى لم تكفرون بالقرآن فانكم
تشكرون عند العوام كونه مهجراً وانتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه مهجراً (يا اهل الكتاب لم
تلبسون الحق بالباطل) أى لما تخطون المنزل من التوراة بالتحريف من عندكم كما نقل عن الحسن وابن
زبير أو لم تشككون للناس باظهار الاسلام بالتواضع أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار كما نقل عن
ابن عباس وقتادة وقرئ تلبسون بتشديد الباء وقرأ يحيى بن وثاب يلبسون بفتح الياء أى تكتمون الحق
مع الباطل (وتكتمون الحق) أى الآيات الموجودة في التوراة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
(وانتم تعلمون) انكم انما تفعلون ذلك عناداً وحسداً وتعلمون أن عقاب من يفعل مثل هذه الافعال عظيم
أى انتم ارباب العلم والمعرفة (وقالت طائفة من اهل الكتاب) هم اثنا عشر حبراً من أحبار يهود خيبر
لسفلتهم منهم عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحريث ركبوا أصحابه من الرؤسا (آمنوا بالذى أنزل
على الذين آمنوا) محمد أى آمنوا ببعض القرآن أى بالقبلة التى صلى اليها بمحمد وأصحابه (وجه النهار)
أى أوله وهو صلاة الفجر (واكفروا) بالقبلة الاخرى التى صلوا اليها (آخرو) صلاة الظهر فانه صلى
الله عليه وسلم كان يصلى الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا أن يكون منهم
فلما حوله الله تعالى الى الكعبة عند صلاة الظهر شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف لأصحابهم آمنوا بالذى أنزل على محمد فى شأن القبلة وصلوا اليها أول النهار ثم ارجعوا الى قبلكم
وصلوا الى المحضرة آخر النهار (لعلهم) أى أصحابه العوام (يرجعون) عن دينه وقبلته (ولا تؤمنوا الا لمن تبص
دينكم) أى ولا تأتوا بذلك الايمان الا لاجل من تبص دينكم فان مقصود كل واحد حفظ أتباعه على
متابعته أى غرضهم بالانسان بذلك التلبس ابقاء أتباعهم على دينهم أو المعنى لا تصدقوا بالنبوة الا من
وافق دينكم اليهودية وقبلتكم بيت المقدس فأما من جاء بتغيير شئ من أحكام التوراة فلا تصدقوه
(قل ان الهدى هدى الله) أى ان الدين دين الله وهو الاسلام والقبلة قبلة الله هي الكعبة (أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وهذا من جملة كلام الله تعالى فلا تنكروا يا معشر اليهود أن
يعطى أحد سواكم من الدين والقبلة مثلاً ما أعطيتموه أو ان يحاجج المسلمون اياكم بذلك عند ربكم ان لم
تقبلوا ذلك منهم وقرأ ابن كثير أن يؤتى بهم مرتين مع قصر الاولى وتسهيل الثانية على الاستفهام الذى
للاشكال والتوبيخ والمعنى آمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم من الشرائع يشكرون اتباعه
وهذا الوجه مروي عن مجاهد وعيسى بن عمر وغاية ما فى هذا الباب انه يقتضى هذا التأويل الى
اخصار مادة الانكار لان عليه دليلاً وهو قوله تعالى ان الهدى هدى الله فانه لما كان الهدى هدى الله
كان له تعالى أن يؤتية من يشاء من عباده ومتى كان الامر كذلك لم ترك الانكار (قل ان الفضل
بالرسالة والنبوة والاسلام وقبلة ابراهيم (بيد الله) فانه مالك له (يؤتية من يشاء) أى يعطيه محمد
وأصحابه والله تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أنهم آمنوا وجه النهار وكفروا آخره ليصير ذلك

شبهة للمعلمين في صحة الاسلام فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الهدى هدى الله أى ان مع كل هداية
الله وقوة بياته لا يكون لهذه الشبهة الزكية قوة ولا أثر وثانيهم ما انهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل
ما أوتوا من الكتاب والحكم والنبوة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل ان الفضل بسدا لله بوتي من يشاء
(والله واسع) أى كامل القدرة فيقدر أن يتفضل على أى عبده شاء بأى فضل شاء (عليم) أى كامل
العلم فلا يكون شئ من أفعاله الاعلى وجه الحكمة والصواب (يختص برحمته) التى بلغت فى الشرف
وعلو المرتبة الى أن تكون اعلى وأجل من أن تقاس من النبوة والرسالة والدين (من يشاء) محمدا
وأصحابه (والله ذو الفضل العظيم) فلانهاية المراتب اعزاز الله واكرامه لعباده (ومن أهل الكتاب)
أى اليهود (من أن تأمنه بغنطاريوده اليك) بغررتب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من أن
تأمنه بدينار لا يؤده اليك) بل يستحله (الامادمت عليه قائما) أى مطالبا بمخاصمها ككعب بن
الاشرف وأصحابه قال ابن عباس أودع رجل قرشي عبدا لله بن سلام الفاروقى أوقية من ذهب فأداه
اليه وأودع قرشي آخر فخاص بن طاز رواه نخانه فنزلت هذه الآية **﴿تنبية﴾** معنى الباء الصاق
الامانة كما أن معنى على فى قولك أمنت على كذا استعلاء الامانة فمن اتحن على شئ فقد صار ذلك الشئ فى
معنى المتصق به وصار المودع كالمستعلى على تلك الامانة (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل)
أى ذلك الاستحلال والحياة مستحق بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل
أى قدرته على المطالبة والالزام فانهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا
إذا أكلنا أموال عبيدنا أو المعنى ليس علينا فى أخذ أموال العرب سبيل أى انهم فانهم قالوا أموال العرب
حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فدينهم (ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون) أى انهم قالوا ان جواز الحياة مع المخالف مذموم كورثى التوراة وكانوا
كاذبين فى ذلك دعائهم بكونهم كاذبين فيه ومن كان كذلك كانت حياته أعظم وجرمه أطش (بلى)
على اليهود فى العرب سبيل وهذا رد على اليهود ولكن (من أوفى بعهده) فيما بينه وبين الله وأرسله
وبين الناس (واتقى) عن نقض العهد بالحياة وترك الامانة (فان الله يحب المتقين) وهذه الآية
دالة على تعظيم أمر الوفاء بالعهد وذلك لان الطاعات محصورة فى أمرين التعظيم لاسرائيل والشفقة على
خلق الله فالوفاء بالعهد مشتمل عليها مما معاذن ذلك سبب المنفعة للخلق فهو شفقة على خلق الله وذلك أمر
الله فالوفاء بالعهد تعظيم لأمر الله ثم الوفاء كما يكون فى حق الغير يكون فى حق النفس فالوفاء بعهد النفس
هو الآتى بالطاعات والتارك للمعصيات (ان الذين يشترون بعهد الله) أى من جميع ما أمر الله به وما
يلزم الشخص نفسه (وأيمانهم) وهى الحلف التى يؤكدها الانسان خبره من وعد أو وعيد أو انكار
أو اثبات (ثمنا قليلا) من الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) أى
لا نصيب (لهم فى) خير (الآخرة) ونعيمها (ولا يكلمهم الله) أى يشتد غضب الله عليهم (ولا ينظر
اليهم) بالاحسان والرحمة (يوم القيامة ولا يركبهم) أى لا يظهرهم من دنس ذنوبهم بالغفرة (ولهم
عذاب أليم) أى وجيع عظيم وجهه الى قلوبهم نزلت هذه الآية فى حق عبيدان بن الاشوع وامرى
القيس اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فتوجهت اليه على أمرى القيس فقال انظرنى
الى الغد ثم جاء فى الغد وأقرله بالارض وقيل نزلت فى شأن الاشعث بن قيس كان بينه وبين رجل خصومة
فى أرض وبتر اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل أقم بينك فقال ليس فى بينة فقال

لا اشعث عيسى بالعين فهم الاشعث بالعين فانزل الله تعالى هذه الآية فمكشك الاشعث عن العين ورد
 الارض الى الخضم واعترف بالحق وهذا قول ابن جرير وقيل نزلت في شأن كعب بن الاشرف ويحيى بن
 اخطب وأبي رافع وابابة بن أبي الحقيق بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وأخذوا الرشوة
 على ذلك وحلفوا بأنه من عند الله الملائكة فوثقهم الرشاء كما قاله عكرمة أو كتبوا بأيديهم كتابا في ادعائهم أنه
 ليس علينا في الامين سبيل وحلفوا أنه من عند الله كما قاله الحسن وهذه الآية دلت على انهم نزلت في
 اقوام حلفوا بالايان الكاذبة فتحمل على جميع الروايات (وان منهم) أي من اليهود (لقرى قايلون
 السنهم بالكتاب) أي طائفة يحرفون الفاظة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
 حركات الاعراب تحريفات غريبة المعنى وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ويحيى بن اخطب وأبي
 يامر وشعبة بن عمار (لتحسبوه) وقرئ شاذة بالياء (من الكتاب) أي لكي يظنهم السفلة أو
 المسلمون ان المحرف من التوراة (وما هو من الكتاب) أي والحال ان المحرف ليس من التوراة في نفس
 الامر وفي اعتقادهم (ويقولون هو) أي المحرف (من عند الله) أي موجود في كتب سائر
 الانبياء مثل اشعيا وأرخيا وحيفوف (وما هو من عند الله) فالانصار الجاهلون بالتوراة نسبوا ذلك
 المحرف الى انه من التوراة والاذ كما زعموا أنه موجود في كتب سائر الانبياء الذين جاءوا بعده موسى عليهم
 السلام وعلم من هذا التفسير المغيرة بين اللفظين فانه ليس كل ما لم يكن في الكتاب لم يكن من عند الله
 فان الحكم الشرعي قد ثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله
 (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أي يتعمدون ذلك الكذب مع العلم وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيره من التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر أن يؤتيه
 الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) أي ما أمكن وما صح لاحد من
 الانبياء كعيسى ومحمد ان يعطيه الله الكتاب أي التوراة أو القرآن والفهم لذلك الكتاب والنبوة ثم يقول
 ذلك البشر المشرف بالصفات الثلاثة للناس كونوا عبادا كائنه في متجاوزين الله اشرا كأفراد
 قال مقاتل وانضج حال نزلت هذه الآية في شأن نصارى نجران حيث يقولون ان عيسى عليه السلام أمرنا
 ان نتخذ من ابا وقال ابن عباس لما قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله نزلت هذه الآية
 وقال ايضا في مقالهم نحن على دين ابراهيم وأمرنا هو بهذا الدين وقال ابن عباس وعطاء ان أبا رافع
 القرظي من اليهود ورئيس وفد نجران من النصارى قال لارسل الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك
 ونخضع لك ربا فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بغير عسادة الله فما بذلك بعضني
 الله ولا بذلك أمر في نزلت هذه الآية وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض
 أفلا نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم
 واعرفوا الحق لاهله فنزلت هذه الآية (ولكن كونوا ربانيين) أي ولكن يقول ذلك البشر الذي
 رفعه الله الى أعلال المراتب كونوا علماء عاملين (بما كنتم تعملون الكتاب) قرأ عبد الله بن كثير وأبو
 عمرو ونافع بفتح التاء وسكون العين والباقون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة أي تعلمون الناس
 من الكتاب (وبما كنتم تدرسون) أي وبسبب كونكم تقرأون من الكتاب (ولا يأمركم أن تتخذوا
 الملائكة والنبيين أربابا) قرأ عاصم وحزرة وابن عامر يأمركم بفتح الراء والفعل ضمير يعود على البشر

ولا مزيدة إنما كيدته على الخفي أي ما كان لبشر أن يجعله الله نبيا ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو بتخاذ
الملائكة والنبين أو بأيا وقرأ الباقون برفع الراء على سبيل الاستئناف كما يدل على ذلك ما روى عن
ابن مسعود أنه قرأ أولن يأمركم والفاء على حيث ضمير يعود على الله كما قاله الزجاج وإلى محمد كما قاله ابن
جرير أو إلى عيسى أو إلى كل نبي من الأنبياء كما قيل بكل أي ولا يأمركم بامعشر قريش واليهود
والنصارى بأن تتخذوا الملائكة والنبين أو بابا كما اتخذت الصائفة وقريش الملائكة واليهود عسرا
والنصارى المسيح (أي يأمركم بالكفر) أي كيف أمركم ذلك البشر والله تعالى بالكفر (بعد إذ
أنتم مسلمون) وهذا استفهام إنكارى وهو خطاب للمؤمنين على طريق التهجيب من حال غيرهم ويقال
بعد إذ أمركم بالاسلام (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) أي أعطيتكم
فرائع آتيناكم بالنون على التثنية (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لمؤمنين به وانصروا) وقرأ
الجمهور لما بفتح اللام وقرأ حمزة بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبيرة لما مشددة أما القراءة بالفتح فلما واجهان
ما هو اسم موصول مرفوع بالابتداء وخبره قوله لمؤمنين به وأما هو متضمن للمعنى الشرط فاللام في قوله
لمؤمنين به هي المتلصقة بالقسم أما اللام في ما هي لا تحذف تارة وتذكر أخرى ولا يتفاوت المعنى وهذا
اختيار سيبويه والمجازي والزجاج وقال أبو السعود واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى
الاستخلاف وما تحتل الشرطية ولتؤمنن سادس جواب القسم والشرط وتحتل الخبرية وأما القراءة
بكسر اللام فلأنها للتعليل وما مصدرية أو موصول وأما قراءة لما بالتشديد فاما هي بمعنى حين أولن أجل
ما على أن أصله لمن ما وأما معنى وإذا أخذ الله فقال ابن جرير الطبري وإذا كروا يا أهل الكتاب إذا أخذ الله
ميثاق النبيين وقال الزجاج وإذا كروا يأخذ الله ميثاق النبيين والمقصود بهذه الآية
أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق
بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإلا لم يدركه
أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم وهذا قول سعيد بن جبيرة والحسن وطائفة وقيل إنما أخذ الله الميثاق من النبيين في
أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبين بعضهم لبعض صفة محمد وفضله وهو قول علي وابن عباس وقناة
والسدي وقال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله
عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنوا به ولئن بعث وهم أحياء لينصروا وقيل إن المراد من الآية
أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق على أنهم بانه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون به
وينصرونه وهذا قول كثير من المفسرين والمراد من قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد صلى
الله عليه وسلم والمراد بكونه مصدقا لما معكم هو أن كيفية أحواله مذكورة في التوراة والإنجيل فلما ظهر
على أحوال مطابقة لما كان مذكورا في تلك الكتب كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم (قال) الله
تعالى لهم (أقررتم) بالإيمان به والنصرته (وأخذتم على ذلكم أصري) أي قبلتم على ما قلت
عهدى (قالوا) أي النبيون (أقررنا) بذلك (قال) الله تعالى (فاشهدوا) وأما معكم من
الشاهدين أي قبل شهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على أقراركم واشهاد بعضكم بعضا من
الشاهدين (فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) أي من أعرض عن الإيمان بهذا الرسول
وبنصرته بعد ما تقدم من هذه الدلائل كان من الخارجين عن الإيمان (أفغيبون) أي يغيرون

أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون) والوجه في هذه الآية أن هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم وهم كانوا عارفين بذلك فقد كانوا عاقلين بصدق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة فلم يبق إلا كفرهم بسبب الابتعاد والعداوة والحسد فصاروا كالبليس الذي دعاه الحسد إلى الكفر فأعلمهم الله أنهم متى كانوا كذلك كانوا أطالين دينا غير دين الله ومعبود أسوى الله تعالى ثم بين أن الأعراض عن حكم الله تعالى عما لا يليق بالعقلاء فقال وله أسلم من في السموات والأرض أي لجلال الله تعالى لا لغيره انقاد في طرقي وجوده وعدمه لأن كل ما سوى الله ممكن لذاته وكل ممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاده ولا يعدم إلا بإعدامه سواء كان عقلا أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهر أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير هذه الآية في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى ربه يستجد من في السموات والأرض فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا وفيما يتعلق بالدين وينقادون له كرهافيا بما يخالف طبعهم من الفقر والمرض والموت وما أشبه ذلك أما الكافرون فهم منقادون لله تعالى كرها على كل حال لأنهم لا ينقادون فيما يتعلق بالدين ويتخضعون له تعالى في غير ذلك كرها لأنه لا يمكنهم دفع قضائه تعالى وقدره وأيضا كل الخلق منقادون لأهيته تعالى طوعا وبإدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ومنقادون لتكاليفه تعالى وإيجاده فلا آلام كرها ثم الهمة للاستفهام التوبيخ وموضعها لفظة يبعثون والتقدير أبعثون غير دين الله لأن الاستفهام انما يكون عن الأفعال الحوادث وقرأ حفص عن عاصم يبعثون ويرجعون بالياء على الغيبة فيهما أي انما ذكر الله تعالى حكاية اخذ الميثاق حتى بين أن اليهود والنصارى يلزمهم الإيمان بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فلما أصرروا على كفرهم قال تعالى على جهة الاستنكار أفعير دين الله يبعثون وقرأ أبو عمرو وتبعثون بالياء خطا بالياء ويرجعون بالكافر ويرجعون بالياء ليرجع إلى جميع المكافين المذكورين في قوله تعالى وله أسلم من السموات والأرض وقرأ الباقون بالياء على الخطاب فيهما لأن ما قبلهما خطاب كقوله تعالى أأقرتم وأخذتم وأيضا فلا يبعد أن يقال للمسلم والكافر أفعير دين الله يبعثون مع علمهم بأنه أسلم له تعالى من في السموات والأرض وإن مرجعكم إليه وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ولما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة أنه انما أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي أتى مصداقا لما معهم بين الله تعالى من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصداقا لما معهم فقال (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) وهو القرآن (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط) من الصحف والمراد بالاسباط أحفاد يعقوب وأبنائوه الاثنا عشر (وما أتى موسى وعيسى) من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما (والنبيون من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا تفرق بين أحد منهم) أي تقر بأنهم كانوا بأمرهم على دين واحد في الدعوة إلى الله وفي الانقياد لتكاليف الله ولا تكفر بأحد منهم كما فعل اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) أي مستسلمون لأمر الله بالرضا وترك المخالفة لا للسمعة رياء وطلب مال وتلك صفة المؤمنين بالله والكافرون يوصفون بالمخاربة لله ولما قال تعالى ونحن له مسلمون بين أن الدين ليس إلا الإسلام فقال (ومن يبتغ غير الإسلام) أي غير التوحيد والاقبياد لحكم الله (دينا فلم يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) بحرمان الثواب وحصول العقاب والحق التأسف على ما فاتته في الدنيا من العمل الصالح وعلى ما تحمله من التعب في الدنيا في تقرير الدين الباطل ولغظ دينا ما فعلوا وغير الإسلام حال منه مقدم عليه أو تمييز أو بدل من غير (كيف يهدي الله قوما كفروا) أي كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر (بعد إيمانهم)

بالقلب (وشهدوا) أى والحال هم قد أقروا باللسان (أن الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (حق
وجاءهم البينات) أى المجمع الظاهرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (وأنه لا يهدى القوم
الظالمين) أى الكافرين الأصليين والمرتين وهذه الآية نزلت في شأن الذين ارتدوا ولحقوا بآبائهم وهم
اثنا عشر رجلاً منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووضوح بن الأسلم وطعيمة بن
بريق كما أخرجه عكرمة وابن العساکر (أولئك جزأؤهم) أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين) فإن لعنة الله هي الأبعاد من الجنة وإزال العقوبة والعنة من الملائكة والناس هي بالقول وكل
ذلك مستحق لهم بسبب كفرهم فصلح أن يكون جزاء ذلك وجميع الخلق بالعنونة المبطل والكافر وإن كان
يعتقد في نفسه أنه ليس ببطل ولا بكافر فإذ العن الكافر وهو في علم الله كافر فقد لعن نفسه وإن كان
لا يعلم ذلك (خائدين فيها) أى اللعنة فلا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم في النار فلا يحلوشي
من أحوالهم من أن يلعنهم لا عن من هؤلاء (لا يحقق عنهم العذاب ولا هم يظنون) أى لا يؤخر
عذابهم من وقت إلى وقت (إن الذين تنبأوا) من الكفر (من بعد ذلك) أى الارتداد (وأصلحوا)
باطنهم وظاهرهم بالعمل الصالح (فإن الله غفور) لقباً لهم في الدنيا بالسوء (رحيم) في الآخرة
بالغفر نزلت هذه الآية في شأن الحارث بن سويد وهو رجل من الأنصار فله لما لحق مكة مرتد اندم على
رديته فأرسل إلى قومه بالدينة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فنزل الله هذه الآية
فبعثهم إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة فتاب على يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبل الرسول توبته وحسن إسلامه (إن الذين كفروا) بالله (بعد إيمانهم) بالله (ثم ازدادوا كفراً)
أى ثم أصرروا على الكفر (إن تقبل توبتهم) ما أقاموا على ذلك قال القاضي والقفال وابن الأنباري لما
قدم الله تعالى ذكر من كفر بعد الإيمان وبين أنه أهل للعنة إلا أن يتوب ذكر في هذه الآية أنه لو كفر
مرة أخرى بعد تلك التوبة فإنها تصير غير مقبولة وكأنهم لم تكن والتقدير الذين تنبأوا من بعد ذلك
وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) فاب كلوا كذلك ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (وأنلكم الضالون)
على سبيل السكال عن الهدى (إن الذين كفروا) بالله والرسول (وماتوا وهم كفار) بالله والرسول
(فلن يقبل من أحدكم مل الأرض) أى مقدار ما علوا الأرض مشرقها ومغربها (ذهبوا ولو اقتدى به)
قال الزجاج أن الواو للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله في الدنيا بمل الأرض ذهباً لينة معه ذلك مع كفره ولو
اقتدى من العذاب في الآخرة بمل الأرض ذهباً لم يقبل منه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل
لن يقبل من الكافر في جميع الأحوال في الآخرة ولو في حال اقتدائه نفسه في الآخرة (أولئك لهم عذاب
أليم) وما لهم من نصيرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه (لن تنالوا البر) أى الثواب والجنة
أولن تبلغوا إلى التوكل والتقوى (حتى تنفقوا عما تحبون) من أموالكم وعملكم وجاهكم في معونة
الناس وبدنكم في طاعة الله ومهجة بكم في سبيله (وماتوا تنفقوا من شيء) تريدون به وجه الله أو مدحة
الناس (فإن الله به عليم) هذا تعليل للجواب المحذوف أى فيجازيكم بحسبه جيداً كان أو ردياً فإنه
تعالى عالم بكل شيء تنفقونه من ذاته وصفاته علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء (كل الطعام) أى
كل طعام حلال على محمد وأمه (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى كان حلالاً كله على أولاد يعقوب (إلا
ما حرم إسرائيل) أى يعقوب (على نفسه) بالنذر (من قبل أن تنزل التوراة) على موسى وذلك بعد
إبراهيم بألف سنة * روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يعقوب مرض مرضاً

شديداً فنذر لمن عافاه الله ليحرم من أحب الطعام والشراب عليه وذلك أحب الطعام اليه لحوم الابل
وأحب الشراب اليه ألبانها قال الأصم لعل نفسه كانت مائلة إلى أكل تلك الأنواع فامتنع من أكلها قهراً
للفنس وطلباً لمرضاة الله تعالى كما يفهمه كثير من الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وروى ان
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملّة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها مع
ان ذلك حرام في دين ابراهيم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال ان ذلك كان حلالاً لابراهيم واجهيل
وامحق ويعقوب عليهم السلام الا أن يعقوب حرّمه على نفسه بسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في
أولاده أي فالحرمة عليهم ناشئة من نذره أيضاً فأنكر اليهود ذلك فأمرهم الرسول عليه السلام باحضار
التوراة وباستخراج آية منها تدل على ان لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم عليه السلام
فهمزوا عن ذلك فظهر انهم كانوا كاذبين في ادعاء حرمة هذه الاشياء على ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى
(قل فاتوا بالتوراة فاتوها ان كنتم صادقين) في دعواكم بأن التحريم قديم قال تعالى (فن اقترى) أي
اختلف (على الله الكذب) بادعاء انه تعالى حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل وعلى من
قبلهم من الامم (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجّة بأن التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على
عهد ابراهيم (فأولئك) المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال (هم الظالمون) المستهترون
لعذاب الله (قل صدق الله) في أن سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانما انما حرمت على اليهود
جزءاً على قبائح أفعالهم (فاتبعوا ملّة ابراهيم) أي ملّة الاسلام التي هي في الاصل ملّة ابراهيم لانها ملّة
محمد صلى الله عليه وسلم (حنيفاً) أي ما اثناعن الاديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) في أمر
من أمور دينه فانه لم يدع مع الله الهاً آخر ولم يعبد سواه كما فعله العرب من عبادة الاوثان أو كما فعله اليهود
في ادعاء ان عزير ابن الله وكذا فعله النصارى في ادعاء ان المسيح ابن الله * ولما حول صلى الله عليه وسلم
القبلة الى الكعبة طعن اليهود في نبوته وقالوا ان بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال لانه
وضع قبل الكعبة وتحويل القبلة منه الى الكعبة باطل فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ان
أول بيت وضع للناس للذي ببكة) أي ان أول بيت بني لعبادات الناس للبيت الذي هو ببكة هي
مكة ببكة لانه يدل بعضهم بعضاً أي يزدهون في الطواف روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة أي ان
آدم بنى الكعبة ثم بنى الاقصى وبين بنائهما أربعون سنة (مباركاً) أي ذا بركة مما يجلب
المغفرة والرحمة (وهدي للعالمين) أي قبلة لكل نبي ورسول وصديق ومؤمن يهتدون بذلك البيت
الى جهة صلاتهم وذلك لان تكليف الصلاة كان لازماً في دين جميع الانبياء عليهم السلام بدليل قوله
تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا اذا اتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكافدلت الآية على ان جميع
الانبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلة شيث وادريس ونوح
عليهم السلام موضعاً آخر سوى الكعبة لبطل قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة فوجب أن
يقال ان قبلة أولئك الانبياء المتقدمين هي الكعبة فدل هذا على ان هذه الجهة كانت أبداً مشرفة مكرمة
(فيه آيات بينات) أي علامات واضحة كالتخريف الطيور عن موازاة البيت فلا تعالوا فوقه بل اذا قابل
هواء وهو في الجواخرف عنه عينا أو شمالاً ولا يستطيع أن يقطع هواه الا اذا حصل له مرض فيدخل

هو الهدى للتدوى ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها واهلاك أصحاب الغيل لما
 قصدوا تخريبه (مقام ابراهيم) وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم لان تأثير قدميه في الصخرة
 الصماء وغوصهما فيها الى السكبين والانه بعض الحضرة دون بعض وبقاءه اوف سنة هجرة عظيمة
 (ومن دخله) أي الحرم (كان آمنا) أي ان من دخله للنسك تقربا الى الله تعالى كان آمنا من النار يوم القيامة
 وان الله اودع في قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ اليه (ولله على الناس حج البيت) أي قصد الزيارة
 على وجه مخصوص (من استطاع اليه) أي حج البيت (سيلا) أي بلا غاب وجود الزاد والراحة والنفقة
 للعيال الى الرجوع (ومن كفر) أي بخد فرض الحج (فان الله غنى عن العالمين) أي عن ايمانهم وحجهم قال
 الفصل لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان الستة المسلمين والنصارى
 واليهود والصابئين والمجوس والمشركين لخطبهم - م وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فاستأمن به
 المسكون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نضعه فأمر الله تعالى قوله ومن كفر
 فان الله غنى عن العالمين أي ومن ترك اعتقاد وجوب الحج فان الله غنى عنه (قل يا أهل الكتاب) أي
 اليهود والنصارى (لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) أي لم تكفرون بآيات الله
 التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره والحال ان الله شهيد على
 أعمالكم ويجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجزوا على الكفر بآياته (قل يا أهل الكتاب لم
 تصدون عن سبيل الله من آمن) أي لم تصرفون عن دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو سبيل
 الاسلام من آمن بالله ومحمد وبقراءان باضالكم لضعفة المسلمين (تبغونها عوجا) أي تطلبون للسبيل
 زينا لا لكم فلم تنصع يد على البدء وقولكم ورد في التوراة ان شريعة موسى باقية الى الابد (وأنتم
 شهداء) ان في التوراة ان دين الله هو الاسلام لا يقبل غيره (وما الله بغافل عما تعملون) فانهم كانوا
 يظهر الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما كانوا يظهر القاء الشبه في قلوب المسلمين بل كانوا
 يحتالون في ذلك ليجوه الحيل نزلت هذه الآية في الذين دعوا بمماراة أصحابه الى دينهم اليهودية (يا أيها
 الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) هم شاس بن قيس وعمر بن شاس وأوس بن
 قبيط وجبار بن صخر (بردوكم) أي يصبروكم (بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى
 عليكم آيات الله وفيكم رسوله) أي كيف يوجد منكم الكفر والحال ان القرآن الذي فيه بيان الحق
 من الباطل يتلى عليكم على لسان نبيكم غرضه طرية ومعهكم رسول الله الذي يبين الحق ويدفع الشبه روى
 أن شاس بن قيس اليهود كان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد فاتفق أنه مر على نفر
 من الانصار الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون وقد زال ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة ببركة
 الاسلام فشق ذلك على اليهود فجلس اليهم وذكروهم ما كان بينهم من الحروب قبل ذلك في بقات وهو
 موضع في المدينة وكان يوم بقات يوما اقتتل فيه الاوس والخزرج قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بمائة
 وعشرين سنة وكان الظفر فيه للاوس وقرأ عليهم بعض ما قيل في تلك الحروب من الاشعار فثار غم القوم
 وتغاضوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلة خلق عظيم فوصل الخبر الى النبي صلى الله عليه
 وسلم فخرج اليهم فيمن معهم المهاجرين والانصار وقال أترجعون الى أحوال الجاهلية وأنا بين أظهركم
 وقد أكرمكم الله بالاسلام وألف بين قلوبكم فعرف القوم ان ذلك كان من عمل الشيطان ومن كيد ذلك
 اليهود فالتقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقيم

أولاً وأحسن آخر من ذلك اليوم قال الامام الواحدى اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفتين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت النبي صلى الله عليه وسلم أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يمسكون (ومن يعتصم بالله) أى من يستمسك بكتاب الله وهو القرآن (فقد هدى) أى فقد حصل له الهدى (الى صراط مستقيم) أى الى طريق موصل الى المطلوب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى حق معاذ ومجابهة ثم نزل فى أوس وخزرج لخصومة كانت بينهم فى الاسلام افتخروا فيها بعلبة بن غنم وأسعد بن زرارة بالقتل والغارة فى الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) أى كما يجب ان يتقوا وهو استغفار الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ويقال أطيعوا الله كما ينبغى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ اللهى واقع على الموت والمقصود الامر بالقائمة على الاسلام أى ودوموا على الاسلام الى الموت وذلك لانه لما كان يمكنهم التمسك بالاسلام حتى اذا أتاهم الموت وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى رسعهم (واعتصموا بحبل الله) أى بدينه وهو دين الاسلام أو بكتابه وهو القرآن (جميعاً) أى مجتمعين فى الاعتصام لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تتفصى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم لان الحق لا يكون الا واحداً وما عداه يكون ضلالاً (واذكروا نعمة الله عليكم) نعمة دينية وأخرية (اذ كنتم) فى الجاهلية (أعداء) يبغض بعضكم بعضاً ويحارب بعضكم بعضاً فألف بين قلوبكم) أى قذف الله فيها المحبة بتوفيقكم للاسلام (فأصبحتم بعمقه) أى فصرتم بدينه الاسلام (أخواناً) فى الدين (وكنتم على شفا حفرة من النار) أى على طرفها أى وكنتم قريبين من الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فليس بين الحياة والموت المستلزم للوقوع فى الحفرة الا ما بين طرف النسيء الذى هو مثل الحياة وبين ذلك الشئ الذى هو مثل الموت (فأخذكم منها) أى فأخرجكم من تلك الحفرة بأن هداكم للاسلام (كذلك) أى مثل البيان المذكور (بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا من الضلالة (ولكن منكم أمة) أى وتوجد منكم جماعة يقتدى بها فرق الناس (يدعون) الناس (الى الخير) فأفضل الدعوة هى دعوة الى اثبات ذات الله وصفاته وتقدسيه عن مشابهة الممكات (ويأمرون بالمعروف) والامر بالمعروف تابع للأمور به ان كان واجباً فواجب وان كان مندوباً فمندوب (وينهون عن المنكر) فالنهي عن المحرم واجب كله لان تركه واجب وهذه الامور من فروض الكفايات لانها لا تليق الا من العالم بالحال وسياسة الناس حتى لا يقع المأمور أو الممتنع فى زيادة العجز وان الجاهل ربما دعا الى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقد يغفل فى موضع الدين ويدين فى موضع الغلظة (وأولئك هم المفلحون) أى المختصون بكمال الفلاح روى انه صلى الله عليه وسلم قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) أى تفرقوا بالاعداء واختلفوا فى الدين أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأجبار رئيساً فى بلدهم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدهى الحق وإن صاحبه على الباطل قال الفخر الرازى انك اذا أنصفت علمت ان أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة (من بعد

ما جاءهم البينات) أى الآيات الواضحة المبينة للحق الواجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة (وأولئك)
 الذين تفرقوا (أهلهم عذاب عظيم) فى الآخرة بسبب تفرقهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أى يوم
 تظهر جمجمة السرور على قوم ومحو أبيض الوجه والصفيفة واشراق البشرة وسعى النور أمامه وعينه ويوم
 تظهر كآبة الحوق والحزن على قوم ومحو أسود اللون والصفيفة واحاطة الظلمة بهم من كل جانب
 وقرئ تبيض وسواد (فأما الذين أسودت وجوههم) فيلة ون فى النار وتقول لهم الزبانية (أكفرتم
 بعد إيمانكم) أى بعد ما ظهر لكم ما يوجب الإيمان وهو الدلائل التى نصبها الله تعالى على التوحيد
 والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج أى أكفرتم يا أهل الكتاب بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بعد
 إيمانكم به قبل بعثته (فدوقوا العذاب) والامر بدوق العذاب على طريق الإهانة (بما كنتم
 تكفرون) أى بسبب كفركم (وأما الذين أبيضت وجوههم فى رحمة الله) أى فى جنة الله وعبر عنها
 بالرحمة تنبيهها على أن المؤمن وإن استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى
 وقرئ أبيضت كقارئ السواد (هم فيها خالدون) أى لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك) أى
 الآيات المثبتة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار (آيات الله) أى دلائل الله (تتلوها عليكم بالحق)
 أى بالمعنى الحق أو متلبسة بالعدل من أجزاء المحسن والمسي بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلماً للعالمين)
 أى ما يريد الله فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين فى رقت من الأوقات فضلاً عن أن يفعله وأما ظلم
 بعضهم بعضاً فواقع كثير أو كل واقع فهو بإرادته تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) ملكوا خلقاً
 أحياء وأمواتة وأمانة وتعذيباً (والى الله) أى الى حكمه (ترجع الأمور) فيجازى كل منهم (كنتم خير
 أمة أخرجت للناس) أى أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها (تأمرون بالمعروف)
 أى بالتوحيد وتباعدوا عن الكفر (وتنهون عن المنكر) أى عن الشرك ومخالفة الرسول
 (والمؤمنون بالله) إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وقال قتادة هم
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير
 أمة للناس (ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى إيماناً كاملاً كإيمانكم (لكان) أى
 ذلك الإيمان (خيراً لهم) فانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا
 لحصلت لهم هذه الزيادة فى الدنيا مع الثواب العظيم فى الآخرة فكان ذلك خيراً لهم عما قنعوا به (منهم
 المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنصارى ورهط من النصارى (وأكثرهم
 الفاسقون) فى أديانهم فيكونون مردودين عند الطوائف كلها لان المسلمين لا يقبلونهم لكفرهم
 والكفار لا يقبلونهم لكونهم فاسقين فيما بينهم فلا يسواهم يجب الاقتداء بهم البتة عند أحد من العقلاء
 (لن يضرركم الأذى) أى لن يضرركم اليهود ضرراً البتة الا ضرراً يسيراً وهو أذى أى ليس على المسلمين
 من اليهود ضرر وانما منتهى أمرهم أن يؤذوك باللسان اما بالطعن فى محمد وعيسى عليهما السلام وأما
 باظهار كلمة الكفر كقولهم عزير بن الله وأما بتحريف نصوص التوراة وأما بالقاء الشبه فى الاسماع وأما
 بتخويف الضعفة من المسلمين (وان يقاتلوكم يولوكم الأذى) أى ينهزموا من غير أن يضرركم يقتل
 أو أسر (ثم لا ينصرون) أى ثم أخبركم أنهم بعد صيرورتهم من هزمين لا يحصل لهم شوكة ولا قوة ولا
 يجدون النصر قط بل يبقون فى الذلة أبداً كما قال تعالى (ضربت عليهم الذلة) أى جعلت عليهم الذلة
 بأن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسي ذرارهم وتلك أراضيتهم (أيضا نفوا) أى صودفوا فلا

قدرون أن يقوموا مع المؤمنين الآن يعصموا (بجمل من الله وحبل من الناس) أي المؤمنين فالأمان
 الحاصل للذي فحمان أحدهما الذي نص الله عليه وهو أخذ الجزية وإنما هما الذي فوض الله إلى رأي
 الإمام فيزيد فيه تارة وينقص بحسب الاجتهاد فالأول هو المسمى بجمل الله والثاني هو المسمى بجمل
 المؤمنين (و بأوا يغضب من الله) أي داموا في غضب الله أو استوجبوا لعنة الله (وضربت عليهم
 المسكنة) أي جعل عليهم زى الفقر واليهود في غالب الأحوال مساكن تحت أيدي المسلمين والنصارى
 (ذلك) أي لزوم الذلة والمسكنة والمكث في اللعنة (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) الناطقة بنبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم حتى يحرقونها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الأنبياء بغير حق) أي بلا حرم فإن الذين
 قتلوا الأنبياء أسلافهم وهؤلاء المتأخرون كانوا راضين بفعل أسلافهم فنسب إليهم كما أن التحريق من
 أفعال أحبارهم ينسب إلى كل من يتبعهم (ذلك) أي الكفر والقتل (بأعصوا) في السبب (و كانوا يتدنون)
 أي يتجاوزون حدود الله باستحلال المحارم قال أرباب المعاملات مع الله من ابتلى بترك الآداب وقع
 في ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى في ترك الفريضة وقع في استحقاق
 الشرعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر (أيسوا) أي جميع أهل الكتاب (سواء) أي فليس من
 آمن منهم كن لم يؤمن (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي جماعة عدل مهتدية بتوحيد الله وهم عبد الله
 ابن سلام وتعليق بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم معهم من اليهود كما أخرجه ابن جرير
 وابن أبي حاتم عن ابن عباس وأخرج ابن جرير عن ابن جريح قال هم عبد الله بن سلام وأخوه وتعليق بن سلام
 وسعية وميسر وأسيد وأسيد هما ابنا كعب قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم عبد الله بن سلام
 وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن محمد إلا أنرا ناروا لولا ذلك ما تركوا دين آباؤهم فأنزل الله تعالى هذه
 الآية (يتلون آيات الله آناء الليل) أي يقرئ القرآن ساعات الليل (وهم يسجدون) أي يصلون
 التمسجد في الليل وهذا كلام مستقل والصلاة تسمى سجودا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) يأمررون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف
 الخيرات اللازمة والمتعدية (وأولئك) الموصوفون بالصفات السبعة (من الصالحين) أي من جملة
 الذين صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناؤه وقال ابن عباس أي من صالحى أمة محمد صلى الله عليه
 وسلم ويقال مع صالحى أمة محمد في الجنة مع أبي بكر وأصحابه وأعلم أن اليهود كانوا أيضا يقومون في الليالي
 للتمسجد وقراءة التوراة فلما مدح الله المؤمنين منهم بالتمسجد وقراءة القرآن أزدق ذلك بقوله يؤمنون بالله
 واليوم الآخر ويأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فلا إيمان بالله يستلزم
 الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله وكتبه والإيمان باليوم الآخر يستلزم الخذل من المعاصي فإيمان اليهود
 بالله مع قولهم عزربن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسول ورفضهم اليوم الآخر بخلاف صفته وعدم
 الاحتراز عن معاصي الله واضلال الناس وصددهم عن سبيل الله وعبادتهم إلى الشرور وأعلم أن كمال
 الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل وأفضل الأعمال الصلاة وأفضل الأذكار ذكر الله
 وأفضل المعارف معرفة المبدأ ومعرفة المعاد فقوله تعالى يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون إشارة
 إلى الأعمال الصالحة الصادرة عنهم وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر إشارة إلى فضل المعارف
 الحاصلة في قلوبهم فكان هذا الإشارة إلى كمال حالهم في القوة العملية وفي القوة النظرية وذلك أكل أحوال
 الإنسان وهي المرتبة التي هي آخر درجات الإنسانية وأول درجات الملكية وأعلم أن الغاية القصوى

في الكمال أن يكون تاما وفوق التمام فكون الانسان تاما ليس الا في كمال قوته العلية وقوته النظرية
 وكونه فوق التمام ان يسعى في تكميل الناقصين وذلك بطريقتين اما بارسادهم الى ما ينبغي أو بعهدهم عما
 لا ينبغي ثم الوصف بالصالح غاية المدح ويدل عليه القرآن والعقل فان الصلاح ضد الفساد وكل ما لا ينبغي
 فهو فساد سواء كان في العقائد أو في الاعمال فاذا حصل كل ما ينبغي فقد حصل الصلاح فكان الصلاح
 دالا على اكل الدرجات ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات الثمانية قال (وما يغفلوا من خير قلن
 يكفروا) قرأ حزمة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء في الفعلين لان الكلام متصل بما قبله من ذكر
 مؤمنين اهل الكتاب فان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرت بسبب هذا
 الايمان قال تعالى وما يغفلوا أي عبد الله بن سلام واصحابه من خير عما ذكر ويقال من احسان الى
 محمد واصحابه قلن يكفروا أي ان ينسبوا به بل ينابوا وقسرا الباقيون بالتمام فيها ما على الخطاب لجميع
 المؤمنين الذين من حلتهم هؤلاء أي وما تنفعوا معاشر المؤمنين من خير قلن تمنعوا ثوابه وجزاءه بل تجازوا
 عليه (والله عليهم بالمتقين) وهذا إشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده تعالى الا اهل
 التقوى (ان الذين كفروا لن تغني عنهم) أي لن تدفع عنهم (أموالهم ولا اولادهم من الله) أي من
 عذابه (شيء أو أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) انما خص الله تعالى الاموال والاولاد بالذكر
 لان انفع الجمادات هو الاموال وانفع الحيوانات هو الولد ثم بين تعالى ان الكافر لا يتفقد ما له البتة في
 الآخرة وذلك يدل على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بطريق الارلى (مثل ما ينفقون) أي الكفار (في
 هذه الحياة الدنيا كمثل ربح في باهر) أي بردهم لك أو حرق (أصاب حرق قوم ظلموا أنفسهم)
 بالكفر والمعاصي (فاعلمكته) والمعنى مثل الكفر في هلاك ما ينفقون كمثل الربح المهلك للزرع أو مثل
 الكافر الذي أنفق أمواله في الحشرات فحوربنا الى باطيات والعناطير والاحسان الى الضعفاء والايثار
 والارامل وكان ذلك المنفق ربحا من ذلك انفاق خيرا كثيرا فاذا قدم الآخرة رأى كفه مبطلا
 لا ثارا للحشرات فكان كمن زرع زرها وتوقع منه نفع كثيرا فاصابه ريح فأحرقته فلا يبقى معه الا الخرن
 والاسف هذا اذا أنفقوا الاموال في وجوه الحشرات أما اذا أنفقوها في ما طنوا منه من الحشرات
 وهو من المعاصي مثل انفاق الاموال في ايذاء رسول الله وفي قتل المسلمين وتخريب ديارهم فقيه
 أشد تأثيرا في ابطال آثار اعمال البر (وما ظلمهم الله) حيث لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم
 يظلمون) حيث اتوا بالنفقات مقرونة بالوجوه المانعة من ~~مكوتها~~ مقبولة لله (يا أيها الذين آمنوا)
 نزلت هذه الآية في شأن رجال من المؤمنين يشاورون اليهود في أمورهم لما كان بينهم من الرضا والخلف
 فلما منهم انهم ينهضون لهم في أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى به - هذه الآية عنه كما قاله ابن عباس أو في
 رجال من المؤمنين كانوا يغترون بظواهر أقوال المنافقين فيعشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال
 فأنه تعالى منعهم عن ذلك كما قاله مجاهد وقال الله تعالى (لا تتخذوا بطانة) أي خاصة تباطون في الامور
 (من دونكم) أي من غير اهل ملتكم من الكفار والمنافقين (لا يأتونكم خبائلا) أي لا يتركون جهدكم
 في مضرتكم وفسادكم (ودواما عنكم) أي أحبوا أن يضرروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر أي فان
 الكفار لا يقصرون لكم في افساد دينكم فان عجز واعنه أحبوا بؤس القاءكم في أشد أنواع الضرر
 (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم بالطعن وغيره ما يدل على نفاقهم -
 وبأنهم يظهرون تكذيب بيهكم وتكذيبكم وينسبونكم الى الجهل والحق (وما تخفى صدورهم) من الحق

(أكبر) مما يظهر على ألسنتهم (قد بينا لكم الآيات) أي علامة الحسد والعداوة (إن كنتم
تعتقدون) الفرق بين ما يستحقه العدو والولي (ها أنتم أولاء) أي أنبياءكم أنتم يا معشر المؤمنين المخطئين
في موالائهم (تحبونهم) بسبب ما بينكم وبينهم من الرضا والمصاهرة وبسبب أنهم أظهر والكم
الإيمان وأنهم يظهرون لكم محبة رسول الله (ولا يحبونكم) بسبب المخالفة في الدين وبسبب أن الكفر
مستقر في باطنهم ولا أنهم يعلمون أنكم تحبون الرسول (وتؤمنون بالكتاب كله) وهم لا يؤمنون به وهم
مع أيمانكم يكتبهم بغضونكم فيما بينكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا القوكم) أي
منافقوا اليهود (قالوا) نفاقاً (آمننا) بمحمد فانعمت في كتابنا (واذا خلوا) أي رجع بعضهم
إلى بعض (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أي عضوا لأجل غمهم منكم أطراف الأصابع من شدة
الغضب أي فاذا رجعوا إلى بعضهم أظهروا شدة العداوة على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض
الأنامل كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه ولما كان هذا الفعل من الغضب صار ذلك كناية عن
الغضب حتى يقال في الغضب إنه يعض يده غيظاً وإن لم يكن هناك عض (قل موتوا بغيظكم) وهذا
دعاء عليهم بآذ ما يوجب هذا الغيظ وهو قوة الإسلام ودعاء عليهم بالموت قبل بلوغ ما يفتنون وليس
أمر بالاقامة على الغيظ فإن الغيظ كفر والأمر بالكفر غير جائز ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى قل
موتوا بغيظكم أنه تعالى أمرهم بكونه بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبصار بوعده الله إياهم بل كون غيظاً
بأمره بالإسلام وأذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك (إن الله عليم بذات الصدور) أي أنه تعالى
عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر والبواعث والصوارف (إن تمسكم حسنة تسؤهم) أي إن
تصيبكم منفعة الدنيا تحزنهم وذلك كهممة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء
وحصول المحبة بين الأحباب (وإن تصيبكم سيئة) أي مضرة كمرض وفقر وانهمزام من عدو وقتل ونهب
وغارة وحصول التفرقة بين الأقارب (يفرحوا) أي اليهود والمنافقون (بها) فإنهم متقاهون في عداوتكم
فاجتنبوهم (وإن تصبروا) على طاعة الله وعلى ما ينالكم فيها من شدة وغم (وتتقوا) كل ما نالكم
عنه وتتوكلوا في أموركم على الله (لا يضركم كيدهم) أي خيلتهم التي دبروها لاجلهم (شيئاً) من
الضرر لأن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره
حيل المحتالين قرأ ابن كثير وناقع وأبو عمر ولا يضركم بفتح الياء وكسر الصاد وسكون الراء والباقون
لا يضركم بضم الصاد والراء المشددة على الجزم بسكون مة در لا يتابع وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء للمخفيف (إن الله بما يعملون محيط) بالياء باتفاق الفراء العشرة أي أنه عالم بما يعملون في
معاداتكم فيعاقبهم عليه وفي قراءة شاذة بالتاء والمعنى أنه تعالى عالم بما يعملون من الصبر والتقوى فيفعل
بكم ما أنتم مستحقون له (واذا غدوت من أهلك) أي وإذا ذكر يا أشرف الخلق لأصحابك وقت خروجك من
عند أهلك أي من حجرة عائشة إلى أحد ليتذكر وأما وقع في ذلك الوقت من الأحوال الناشئة من عدم الصبر
فيعملوا أنهم لو لموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وروى أنه صلى الله عليه وسلم ذهب من منزل
عائشة في المدينة فشي على رجله إلى أحد بعد صلاة الجمعة في نصف شوال وأصبح بالشعب من أحد يوم
السبت وجعل يصف أصحابه للقتال وكانوا ألفاً وأقل وكان الكفار ثلاثة آلاف وجعل صلى الله عليه
وسلم ظهره وظهر عسكره إلى أحد وانه رعبه الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من
ورائنا وقال لأصحابه انتصوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوكم الأديار فلا تطلبوا المديرين ولا تخرجوا من

هذا المقام فلما التقى الفريقان انهزم عبد الله بن أبي مع ثلثمائة من المنافقين فبقى من عسكر المسلمين
سبعمائة ثم قواهم الله حتى هزموا المشركين ثم طلبوا المدبرين وتركوا ذلك المقام واشتغلوا بطلب الغنائم
وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرغ الله الرعب من قلوب المشركين ففكر عليهم المشركون
وتفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجه الرسول وكمرت رباعية وشلت يد طهمة ولم
يبقى معه صلى الله عليه وسلم إلا أبو بكر وعلي والعباس وطهمة وسعد وروقت الصبيحة في العسكران محمدا
قد قتل وكان رجل يكنى أبا سفيان من الانصار نادى الانصار وقال هذا رسول الله فرجع اليه المهاجرون
والانصار وكان قد قتل منهم سبعون ذكرا منهم الجراح وكل ذلك يؤكده قوله تعالى وان تصبروا واتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا والظفر انما حصل ببركة طاعتهم لله ورسوله والالم يقوموا مع عدوهم (تبوا
المؤمنين مقاعد للقتال) أي تنزل المؤمنون بأحدكم لقتال عدوهم (والله مهيأ) لا قوالكم (عليكم)
بضم ا ثركم ونياتكم فان النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في ذلك الحرب فنهى من قال له أقم بالمدينة
وهو عبد الله بن أبي رباح لا نصاروهم من قال له اخرج اليهم وكان لكل أحد غرض (اذممت
طائفتان منكم) بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج وهما جناح العسكر (أن تفشلا) أي
بأن تحبسا عن قتال العدو يوم أحد وترجعوا روى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع تسعمائة وخمسين وورعدهم
النصاران صبرا واطمأنا بغوا عند جبل أحد انزعزل ابن أبي المنافق مع ثلثمائة من أصحابه المنافقين وقال
يا قوم لا ي شئ تقتل أنفسنا وأولادنا فقتلهم عمرو بن حزم الانصاري وأبو جابر السلمي وقالوا أسألكم بالله
في حفظ نبيكم وأنفسكم أي فأنتم لو رجعت فأنتم نصرته بكم وفاتكم وقاية أنفسكم من العذاب
لخلفكم عن نبيكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم قتالا لا تبعنا لكم فنهى الطائفتان باتباع عبد الله بن أبي
فنهىهم الله فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (والله وليهم) أي عاهتهم ما عن
اتباع تلك الخطوة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فانه حسبهم ولما حكى الله عن
الطائفتين انه ما همتا بالجن والضعف أي بذلك بقصة بدر فان المسلمين كانوا في غاية الفقر والضعف
والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة ولكن لما كان الله ناصر لهم فهدمهم وأعداهم هم وفازوا وبطلوا بهم
وقال تعالى (ولقد نصركم الله بدر وأنتم أذلة) بقلة العدد وضعف الحال وقلة السلاح والمال وعدم
القدرة على مقاومة العدو فان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وما كان فيهم الا قرص واحد والكفار
كانوا قرنين من ألف مقاتل ومعهم مائة قرص مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة (فأتقوا الله)
في أمر الحرب ولا تخالفوا الامير الذي معكم (لعلكم تشكرون) لكي تشكرون نعمته تعالى
ونصرته (اذ تقول للمؤمنين) فاذا امامه نصب بنصركم ويكون هذا الوعد حصل يوم بدر وهذه الجملة
من تمام قصة بدر وقول أكثر المفسرين وأما بدل من قوله اذممت أو بدل نان من قوله تعالى واذممت
ويكون هذا الوعد حصل يوم أحد وهذه الجملة من تمام قصة أحد فيكون قوله ولقد نصركم الله معترضين
الكلامين وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق (ألن يكفكم)
عدوكم (أن يكفكم ربكم) أي ينصركم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من السماء فقرأ ابن عامر
منزلين مستدرا لى مقتوحة والباقون يفتح الزاى مخففة وقرئ قراءة شاذة باسم الفاعل من الصيغتين أي
منزلين النصر (بلى) يكفكم (ان تصبروا) مع نبيكم في الحرب (وتتقوا) معصية الله ومخالفة
نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) أي يأتيكم المشركون (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه

من جهة مكة (عندكم ربكم) أي ينصركم على عدوكم (بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) قرأ
 ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو أي معلمين أنفسهم أو خيلهم والباقون يفتح الواو أي معلمين
 بالصوف الأبيض في نواحي الدواب وأذناها أو مجزرة أذنانهم أو مسلين (وما جعله الله) أي ما جعل
 الله الأمداد (الابشري لكم) بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالمدد وفي ذكر الأمداد
 مطلوبان ادخال السرور في قلوبهم وحصول الأطمأنينة على أن إعاقة الله معهم (وما النصر إلا من عند
 الله العزيز الحكيم) لأن العدو والعدد ولأن عند الملائكة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) واللام
 متعلق بقوله وما النصر والمعنى والمقصود من نصركم أن يملك الله طائفة من كفار مكة يقتل وأسر
 (أو يكبتهم) أو يهزمهم ويخزيهم (فينقلبوا نابئين) أي يرجعون آمنه طغي الآمال غدير فترين
 عطاوهم شئ (ليس لك من الأمر شئ) وهذه الآية نزلت في قصة أحد منعه صلى الله عليه وسلم
 من الدعاء عليهم لما روى أن عتبة بن أبي وقاص شجبه وكسر ربا عيته وهي السن التي بين الشنبه
 والنب ثم أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية ولما روى سالم بن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه
 وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزل
 قوله تعالى أريتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن إسلامهم ولما حصل له صلى الله عليه وسلم من
 أنهم بأنه رأى حمزة بن عبد المطلب ورأى ما فعلوا به من المثل وقال لا مثلن منهم بثلاثين فنزلت هذه الآية
 ومات في ذلك اليوم من المسلمين سبعون وأسر عشرين ومات من الكفار ستة عشر وروى علي بن
 عباس أن هذه الآية نزلت بسبب أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين
 أمرهم وأمرهم أحد دفعه الله من ذلك وإنما نص الله تعالى على المنع تقوية لهضمته (أريتوب عليهم
 أريتوبهم) وهذان إماما معطوفان على الأمر والمعنى ليس لك يا أشرف الخلق من شأن هذه الحادثة شئ
 ومن التوبة عليهم أو من تعذيبهم شئ لأنه ليس لك من مصالح عبادي شئ إلا ما أوحى إليك وليس لك من
 سؤال أهلاكهم شئ لأنه تعالى أعلم بالمصالح فربما تاب الله عليهم أو معطوفان على شئ أي ليس لك من
 أمرهم شئ أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل المراد بالامر ضد النهي والمعنى ليس لك من أمر خلق شئ
 أو من توبتهم أو من تعذيبهم شئ إلا إذا كان على وفق أمرى والمقصود من الآية منعه صلى الله عليه وسلم
 من كل فعل وقول إلا ما كان بأمره وهذا هو الإرشاد إلى أكل درجات العبودية (فأنهم ظالمون)
 أي بالمعاصي وهذه جملة مستقلة لكن المقصود من ذكرها تعليل لحسن التعذيب والمعنى أو يعذبهم فأنه
 تعالى إن عذبهم أنما يعذبهم لأنهم ظالمون والمراد بالعذاب إما عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فعلم ذلك
 مفوض إلى الله (ولله ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا (يعفون يشاء) مغفرته (ويعذب
 من يشاء) تعذيبه وتقديم المغفرة على التعذيب للإعلام بأن رحمته تعالى سبقت غضبه وبأن الرحمة من
 مقتضيات الذات دون الغضب فإنه من مقتضيات سيئات العصاة (والله غفور رحيم) والمغفرة والرحمة
 على سبيل الإحسان أما التعذيب فعلى سبيل العدل لأن الطاعة لا توجب الثواب والمعصية لا توجب
 العقاب بل الكل من الله بحكم الهيئته وقهره وإرادته (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا) على
 الدرهم (مضاعفة) في الأجل وكان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا
 جاء الأجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زد في المال حتى أزيد في الأجل فربما جعله مائتين ثم
 إذا حل الأجل الثاني فعل في مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فها هو

المراد من قوله أضعافاً مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين بالألف قبلها وقال القفال يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما تقدم من جهة أن المشركين إنما أنفقوا على ذلك العساكر أو الإجموعها بسبب الريافة لـ ذلك يصير داعياً للمسلمين إلى الأقدام على الرابحى بجمع المال وينفقوه على العسكر فيموتون من الانتقام منهم لحمايتهم الله عن ذلك (واتقوا الله) فيما بينهم عنه من أخذ الربا وغيره (لعلكم تفلحون) أى لئلا تنجوا من العذاب والسخط (واتقوا النار) بأن تجتنبوا ما يوجبها وهو استحلال ما حرم من الربا وغيره (التي أعدت للكافرين) وكان أبو حنيفة يقول هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعده الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين أن لم يتقوه في اجتناب محاربه وفي الآية (تنبيه) * على أن النار بالذات لكفار وبالعرض للعصاة (وأطيعوا الله) فيما يأمركم به وينهاكم عنه من أخذ الربا وغيره (والرسول لعلكم ترحمون) الذى يملككم أو أمركم الله ونواحيه فإن طاعة الرسول طاعة الله (وسارعوا) قرأنا فع وابن عامر بغير واو أى بادروا وقبلوا وقرئ شاذة وسابقوا (إلى مغفرة من ربكم) أى إلى الاسلام كما قاله ابن عباس وإلى أداء الفرائض كما قاله علي بن أبى طالب والصلوات الخمس وإلى الاخلاص كما قاله عثمان بن عفان وإلى الجهاد كما قاله الضمالة ومحمد بن اسحق وإلى التكبير الأولى كما قاله سعيد بن جبير وإلى جميع الطاعات كما قاله عكرمة وإلى التوبة من الربا والذنوب كما قاله الأصم وابن عباس (وجنة) أى فكما تجب المسارعة إلى المغفرة فكذلك تجب المسارعة إلى الجنة فغنى الغفران إزالة العقاب ومعنى الجنة إيصال الثواب فلا بد للكاف من تحصيل الأمرين (عرضها السموات والأرض) أى عرضها مأمثل عرض السموات والأرض أو جعلت السموات والأرض طبقات بحيث يكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً ولها من أجزاء لا تنجزى ثم وصل البعض ببعض طبقاتها واحد السكان ذلك مثل عرض الجنة وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله تعالى (أعدت) أى هيئت الجنة (للمتقين) ثم ذكر الله تعالى صفات المتقين فقال (الذين ينفقون) أموالهم في سبيل الله تعالى (فى السرراء والضرراء) أى فى حال الغنى والفقراء وفى مرور ورحل وأعلى وفق طبعتهم وعلى خلافه كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق بصلة وعن عائشة رضى الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب (والكاظمين الغيظ) أى الكفون غيظهم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر على أنفاذه ملائكة الله قلبه أمناً وإيماناً وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه فوجه الله من الحور العين حيث يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة لكنه الذى يملك نفسه عند الغضب (والعاقبين عن الناس والله يحب المحسنين) ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب روى عن عيسى بن مريم أنه قال ليس الا حسان أن تحسن إلى من أحسن إليك ذلك كفاة انما الا حسان أن تحسن إلى من أساء إليك وأعلم أن الا حسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه أما إيصال النفع إليه فيدخل فيه انفاق العلم بأن يستغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه انفاق المال فى وجوه الخير أو العبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما فى الدنيا بأن لا يستغل بمخالطة تلك الاساءة بإساءة أخرى فهذا داخل فى كظم الغيظ وإما فى الآخرة بأن يبرى ذمة الغير عن المطالبات فهذا داخل فى العفو عن الناس فهذا الآية دالة على جميع جهات الا حسان إلى الغير (والذين إذا دفعوا قاصحة) أى معصية (أو ظلموا أنفهم) بأن أتوا ذنباً أى ذنب كان (ذكر الله) أى خافوا الله قال بعضهم لما وصف الله تعالى الجنة بأنهم أعدوا للمتقين من أن المتقين قسمان أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات وهم الذين وصفهم

الله بالانفاق وكظم الغيظ والعفوع عن الناس وثانيهما الذين اذنبوا ثم تابوا وعنى هذا قال اسم الموصول معطوف على الموصول قبله وقيل لما نذب الله تعالى في الآية الاولى الى الاحسان الى الغير نذب في هذه الآية الى الاحسان الى النفس وعلى هذا قال اسم الموصول معطوف على المحسنين روى ابن عباس ان هذه الآية نزلت في رجاء بن انصاري وثقي والرسول صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بينهم ما وكان لا يفرقان في أحوالهما فخرج النقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السقر وخلف الانصاري على أهله يتعاهدهم فكان يفعل ذلك ثم قام الى امرأته ليقبها فوضعت كفها على وجهها فندم الرجل فلما وافي النقي مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يري الانصاري وكان قد هاهم في الجبال للتوبة فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم سكت حتى نزلت هذه الآية وقال عطاء نزلت في شأن أبي سعيد تبهان التمار فانه أتته امرأته حسنا تطلب منه غمرا بالشر فقال لها هذا التمر ليس يجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية (فاستغفروا لذنوبهم) أي أتوا بالتوبة على الوجه الصحيح لاجل ذنوبهم وهو الندم على فعل ماضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فهذا هو حقيقة التوبة فأما الاستغفار باللسان فهذا لا أثره في إزالة الذنب بل يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار انقطاعه الى الله تعالى وقوله فاستغفروا معطوف على جواب اذا (ومن يغفر الذنوب الا الله) أي لا يغفر ذنوب التائب أحد الا الله (ولم يصروا على ما فعلوا) من الذنوب بأن أقلعوا عنها في الحال وهذا معطوف على قوله فاستغفروا (وهم يعلمون) ان الذين فعلوا معصية الله وهذه الجملة حال من فاعل يصروا (أو لئلا) الذين خافوا الله وتابوا من ذنوبهم (جزاؤهم مغفرة من ربهم) لذنوبهم (وجنات) أي بساكن (تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت شجرها ومسكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) أي دائمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ونعم أجر العاملين) أي نعم ثواب التائبين المغفرة والجنات (قد دخلت من قبلكم سبعا) أي قدمضت من قبل زمانكم سبعا الله تعالى في الامم السالفة المكذبة لارسال باهلا لهم ان لم يتوبوا وبالمغفرة ان تابوا فرغب الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصبروا ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الزياسة في الدنيا وطلب الجاه (فسيروا في الارض فانظروا) أي تعرفوا أيها المؤمنون أحوال الامم السالفة بسير أو غيره ثم تفكروا فيها للتسلي والاتعاظ (كيف كان عاقبة المكذبين) أي كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسول الذين لم يتوبوا من تكذيبهم (هذا) القرآن (بيان) بالحلل والحرام (للناس) عامة (وهدي) من الضلالة (وموعظة للمتقين) فالخامس ان البيان جنس تحت نوعان أحدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدي والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خصص الله المتقين بالهدي والموعظة لانهم المنتفعون به مادون غيرهم (ولا تنهوا) أي لا تضعفوا عن الجهاد مع عدوكم (ولا تحزنوا) على ما فاتكم من الغنائم يوم أحد ولا على ما أصابكم من القتل والجراحة وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان وسعد مولى عتبة ومن الانصار سبعون رجلا رضى الله عنهم أجمعين (وأنتم الاعلون) أي والحال انكم في آخر الامر الغالبون بالنصرة لكم دون عدوكم فان مصير أمرهم الى الدمار حسب ما شاهدتم من أحوال أسلافهم

(ان كنتم مؤمنين) وهذا امام نصب بالنهي أو بوعده النصر والغلبة أي ان كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا
تخزئوا فان الايمان وجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالات بالاعداء أو ان كنتم مؤمنين
فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو بلا شك (ان يسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله) أي ان
أصابكم قرح يوم أحد فقد أصاب أهل مكة يوم بدر جرح مثل ما أصابكم يوم أحد نعم لم يضعف ذلك قلوبهم
فانتم أحق بان لاتضعفوا قيل ان المعنى ان السكم يوم أحد قرح وانهم زام فقد نال الكفار في ذلك اليوم مثل
ذلك فان المؤمنين نالوا من الكفار قيل ان يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا
وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة
عليهم في أول النهار (وتلك الايام) أي أيام الدنيا (تداولها بين الناس) لا يدرم مسارها ولا مضارها
فيوم يحصل فيه السرور للمؤمنين والنعم للاعداء ويوم آخر بالعكس وليس المراد من هذه المداولة ان الله
تعالى تارة ينصر المؤمنين والاخرى ينصر الكافرين وذلك لان نصر الله منصب شريف فلا يليق
بالكفر بل المراد من هذه المداولة انه تارة يدع المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين ولو شدد المحنة
على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الاضطراري بأن
الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب وأيضا ان المؤمن قديم
على بعض المعاصي فيشدد الله المحنة عليه في الدنيا تأديباً له وأما تشديد المحنة على الكفار فانه غضب من
الله عليه وأيضا ان لذات الدنيا والآلها غير باقية وانما السعادات المستمرة في دار الآخرة وروى ان أبا
سفيان صعد الجبل يوم أحد ثم قال أين ابن أبي كبشة أين أبي خفاقة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول
الله وهذا أبو بكر وهذا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب مجال فقال عمر لا سواه قتلانا في
الجنة وقتلناكم في النار فقال ان كان الامر كما ترسمون فقد خبنا اذا وخسرنا (وليعلم الله الذين آمنوا)
واللام متعلقة بفعل مضمر والتقدير وفعلنا هذه المداولة لكي يرى الله الذين اخلصوا في ايمانهم متقين من
المنافقين اذا أصابتهم المشقة كما وقع في أحد (ويتخذ منكم شهداء) أي يكرم الله من يشاء منكم بالشهادة
وهم شهداء أحد (والله لا يحب الظالمين) أي المشركين وانما يظفرهم في بعض الاحيان استعذارا لهم
وابتلاء للمؤمنين (وليعص الله الذين آمنوا) أي ليظهرهم من ذنوبهم بما يصيبهم في الجهاد ان كانت
الغلبة للكافرين على المؤمنين (ويحقق الكافرين) أي يهلكهم في الحرب ان كانت الغلبة للمؤمنين
على الكافرين (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) والخطاب
للسذين انهم موأوم أحد أي أظننتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا به جميعا والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد
والصابرين الجمع بينهما أي لاتحسبوا ذلك والحال ان الله تعالى لم ير المجاهدين منكم في سبيل الله يوم أحد
والصابرين على قتال عدوهم مع نبيهم (ولقد كنتم تمنون الموت) بالشهادة في الحرب (من قبل ان تلغوه)
أي الموت يوم أحد حيث قلتم لئلا يؤام كيوم بدر لئن نال شهاداؤهم من الكرامة وكانوا قد ألحوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في الخروج فظهر منهم خلاف ذلك (فقد رأيتموه) أي ان كنتم
صادقين في تنذيركم الحرب فقد رأيتم الموت بمشاهدة أسمايهم يوم أحد (وانتم تنظرون) الى سيفوف
الكفار حين قتل امامكم من قتل من اخوانكم فلم انهمزتم منهم ولم تثبتوا مع نبيكم (وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل) أي قد مضت من قبل محمد أمثاله من رسل الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بأحد أمر الرماة ان يلزموا أصل الجبل ثم قتل على طلحة صاحب

لواء الكفار وشد الزبير والمقداد على المشركين فانهزم الكفار ثم بأدركهم من الرماة الى الغنمية وكان خالد بن الوليد صاحب مينة قال كفار قلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم ورمى عبيد الله بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربا عيته وشجع وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه صعب ابن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد فقتله ابن قيس فظن انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فهناك قال بعض المسلمين أيت عبد الله بن أبي ياخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم وقال قوم من المنافقين أر كان محمد نبيا ما قتل وان كان قد قتل فارجدوا الى دينكم الاول فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وماتنصرون في الحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه وسوقوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعوذ بك اليك مما يقول هؤلاء المسلمون وأبرأ اليك مما جابوا به هؤلاء المنافقون ثم سل سيفه فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصحرة وهو يدعو الناس ويقول الى عبد الله فأول من عرفه صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وقال عرفت عينيه تحت المغفر ترهرا فنناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن امسك فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلما هم على هزيعتهم فقالوا يا ابن الله قد بناك بأبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد قتل فرعبت قلوبنا فولى نامدبرين فأنزل الله تعالى هذا الآية (فان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) أي أصرتم كفارا بعد ايمانكم ان مات محمد أو قتل كفره من الرسل فتخالفوا من اتباع الانبياء قبلكم في ثباتهم على ملل انبيائهم بعد موتهم أي لا ينبغي منكم الازداد حينئذ لان محمدا صلى الله عليه وسلم مبلغ لامعبود وقد بلغكم والمعود باق فلا وجه لجوعكم عن الدين الحق لومات من بلغكم آياه (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) أي ومن يرجع الى دينه الاول وهو الشرك فلن ينقص الله رجوعه شيئا وانما لك نفسه يا قتله على العذاب (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دين الاسلام الذي هو أجل نعمة وأعز معروف كانس بن النضر وأمثاله (وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله) أي بإرادة الله وقضائه (كتابا مؤجلا) أي كتب الله الموت كتابا مؤقلا كتابة أجله ورزقه صوابا لا يسبق أحدهما الآخر وهذا اعلام بأن المذلة لا يدفع القدر وان أحد الايوت قبل الاجل واذا جاء الاجل لا يندفع الموت بشئ فلا فائدة في الجبن والخوف (ومن يرد) بعمله (ثواب الدنيا) أي منفعة الدنيا (نؤته منها) أي نعطه من الدنيا ما يريد مما تشاء ان نعطيه اياه وماله في الآخرة من نصيب (ومن يرد) بعمله (ثواب الآخرة) أي منفعة الآخرة (نؤته منها) أي نعطه من الآخرة ما يريد مما تشاء من الاضعاق حسب ما جرى به الوعد الكريم (وسيجزي الشاكرين) أي نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى الى ما خلق لأجله من طاعة الله تعالى فاعلم ان الذين حضر وايوم أحد كانوا فريقين منهم من يريد الدنيا كالذين تركوا المركز طلبا للغنمية والشهامة وهؤلاء لا بدوا ان ينهزموا ومنهم من يريد الآخرة كالذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا والذين حضر والذين لا بدوا ان لا ينهزموا واعلم ان هذه الآية وان وردت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان المؤمن في جلب الثواب والعقاب الدواهي والمقصود لا طواهر الاعمال كفي قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فان من وضع الجبهة على الارض في صلاة الظهر والشمس قداء فان قصد بذلك السجود وعبادة الله تعالى كان ذلك

من أعظم دعائهم الاسلام وان قصديه عبادة الشمس كان ذلك أعظم من دعائهم الكفر (وكأن من نبي قاتل
 معه ربيون كثير فإوهنوا لما أصابهم في سبيل الله) قرأ ابن كثير كائن بألف بعد الكاف بعدها همزة
 مكسورة والباقيون همزة بعد الكاف بعدها ياء مشددة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وقتل مبنيًا للفعل
 وقاتل كذلك الا انه شدد دالتا وبقى السبعة قاتل وضمير الفعل يعود على المبتدأ والجملة خبر المبتدأ
 وجملة مع ربيون من المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال من ضمير الفعل وكثير صفة ربيون والمعنى على
 القراءة الاولى وكثير من الانبياء قاتلوا وبعدهم الذين بقوا من جماعتهم فإوهنوا أي خضعوا في دينهم بل
 استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي ان يكون حالكم يا أمة محمد هكذا قال سعيد بن جبير
 ما معناه نبي قاتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط والمعنى
 على القراءة المشهورة وكثير من نبي قاتل لاعلاء كلمة الله وأعرضا عنه كائناته في القتال جماعات كثيرة
 من أصحابهم من عدوهم قرح فإوهنوا أي جنبوا لان الذي أصابهم انما هو في طاعة الله واقامة
 دينه ونصرة رسوله فكذلك ينبغي أن تغفلوا مثل ذلك يا أمة محمد (وما ضعفوا) أي عجزوا عن قتال
 عدوهم (وما استكملوا) أي ذلوا العدو وهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم وأردتم ان تعتصموا بالمناقب عبد
 الله من أبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على تحمل الشدائد في طريق الله
 أي يكرمهم ويعظمهم (وما كان قولهم) بعدما قتل نبيهم (الا أن مالوا) هذا الدعاء وقولهم
 بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها (ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر والكبائر) (وامرأنا) أي
 اقربا لنا (في أمرنا) باتيان الذنوب العظيمة الكبيرة (وتبت أقدامنا) بإزالة الخوف عن الغلوب
 وإزالة الخواطر الفاسدة عن الصدور (وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا تأديب من الله تعالى في
 كيفية الطب بالادعية عند الثواب والحن سواء كان في الجهاد أو غيره (فأتاهم الله ثواب الدنيا)
 بالنصرة والغنية وقهر العدو والثناء الجميل وانشر اراح الصدر بنور الايمان وزوال ظلمات الشهات
 وكفارة المعاصي والسيئات (وحسن ثواب الآخرة) أي حكم الله لهم بحصول الجنة وما فيها من المداغ
 واللذات وأنواع السرور والتعظيم في الآخرة (والله يحب المحسنين) أي المعترفين بكونهم مبشرين
 فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين كان الله تعالى يقول لهم اذا اعترفتم باسماءكم وعجزكم فانا أصفكم
 بالاحسان وأجعلكم أجبا لنفسى حتى تعلموا انه لا سبيل للعبادة الى الوصل الى حضرة الله الا باظهار
 الذلة والمسكنة والعجز (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) أي المنافقين في قولهم للؤمنين
 المنهزمين ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل (يردوكم على أعقابكم) أي يرجعوكم
 الى دينكم الاول قال على والمراد بالذين كفروا المنافقون كما تقدم وقال السدي وغيره المراد بهم
 أبو سفيان بن حرب لانه شجرة الفتنة وكبير القوم في ذلك اليوم ومعنى الآية حيثئذان تخضعوا لابي سفيان
 وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل المراد عبد الله بن أبي وأتباعه من المنافقين لانهم قالوا لو
 كان محمد رسول الله ما وقعت له هذه الواقعة فأرجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه وقال ابن عباس والمراد بهم
 اليهود كعب وأصحابه والمراد بالذين آمنوا حذيفة وعمار (فتنقلبوا خاافرين) أي فترجعوا مغبونين
 في الدارين بالانقضاء للعدو والتدليل له وبالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المحل (بل الله
 مولاكم) أي ناصركم (وهو خير الناصرين) أي أقواهم بالنصرة فلا ينبغي أن تطيعوا الكفار
 لينصروكم لانهم عاجزون (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي سنقذف في قلوب كفاركم

الخافقة منكم حتى انهم زواؤا ذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في أحد أوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم
 وفر وامنهم من غير سبب حتى روى ان ابا سفيان صعد الجبل وقال أين ابن أبي كبشة وأين ابن أبي شقافة
 وأين ابن الخطاب فأجابهم عمر ودارت كلمات بينهم ما واما مجامع أبو سفيان على النزول من الجبل والذهاب
 اليهم (عما أشر كوا بالله ما لم ينزل به) أي بعبادته (سلطانا) أي كتابا ولا رسولا (وما أوامهم النار)
 أي منكم في الآخرة النار (وبش منوى الظالمين) أي وبش من كفر الكافرين النار (ولقد صدقكم
 الله وعده) يوم أحد نزلت هذه الآية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة وقد
 أصابهم ما أصابهم بأحد قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل الله تعالى هذه
 الآية (إذا خصومهم) أي تقتلونهم - قتل كثير في أول الحرب (بأذنه) أي بعلمه ونصرته (حتى إذا
 فسلم) أي الى ان ضعفتم في الرأي أو الى حين ملتم الى الغنمة (وتنازعتم في الأمر) أي اختلفتم في أمر
 الحرب أو في أمرا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أمر الرماة بأن لا يبرحوا
 عن مكانهم - البتة وجعل أميرهم عبد الله بن جبير فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرماة الكثيرة
 حتى انهم المشركون ثم ان الرماة أو انساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت
 خلاخلهن فقالوا الغنمة الغنمة فقال عبد الله عهد الرسول الينا أن لا نبرح عن هذا المكان فأبوا عليه
 وذهبوا الى طلب الغنمة وبقي عبد الله مع طائفة قليلة فدور العشرة الى أن قتلهم المشركون (وعصيتهم)
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأقامة في أصل الجبل وتركتهم المركز لا اجل تحصيل الغنمة (من بعد
 ما أراكم متعجبين) أي من بعد أراكم النبي صلى الله عليه وسلم النصر والغنمة (منكم) أي من الرماة
 (من يريد الدنيا) بجهاده وهم الذين تركوا المركز لا اجل الغنمة (ومنكم) أي من الرماة
 (من يريد الآخرة) بجهاده وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى قتلوا وهم عبد الله بن جبير وأصحابه (ثم صرفكم
 عنهم) أي ثم رد الله المسلمين عن الكفار وألقى الهزيمة عليهم وسلط الكفار عليهم (ليبتليكم) أي
 ليحبل ذلك الصنف مخنة عليكم لتتوبوا الى الله وتسبغوه في ما خالفتم فيه أمرهم وملتم فيه الى الغنمة
 (ولقد عفا عنكم) لما علم من كذبكم على مخالفة وتفضلا منه تعالى (والله ذو فضل على المؤمنين)
 حيث لم يتأصل الرماة (اذ تصعدون) أي تذهبون في الارض (ولا تلوون على أحد) أي ولا
 تلتفتون الى أحد من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي وهو واقف في آخركم وكان
 يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكفره الجنة (فأما بكم غمابكم) أي جازاكم الله
 غما حصل لكم بسبب الانهزام وقتل الاحباب وفوت الغنائم ثم حصل للرسول بسبب عصيانكم أمره
 (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من الغنمة (ولما أصابكم) من القتل والجراحة قال أبوالب - عود أي
 لتتروا على الصبر في الشدة فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات (والله خير بما تعملون) أي عالم
 بأعمالكم ومقاصدكم قادر على مجازاتها ان تخبر الخبير وان شرافتر (ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمنة)
 من العدو (نعاسا يغشى طائفة منكم) أي يأخذ النعاس المهاجرين وعامة الانصار (وطائفة) وهم
 المنافقون عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وأصحابهم (قد أذهمتهم أنفسهم) أي أوقعتهم في الهموم لان
 أسباب الخوف وهي قصد العدو كانت حاصلة لهم والدافع لذلك وهو الوثوق بوعد الله ورسوله غيره معتبر
 عندهم لانهم كانوا مكذبين بالرسول في قلوبهم فلذلك عظم الخوف في قلوبهم (يظنون بالله غير الحق
 ظن الجاهلية) أي كانوا يقولون في أنفسهم لو كان محمد محققا في دعواه لما سلط الكفار عليه وهذا ظن

فأسد والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه فان النبوة خلقة من الله تعالى يشرف عبده بها وليس يجب في العقل ان الله تعالى اذا شرف عبده بجاعة ان يشرفه بخلعة اخرى بل له الامر والتهيئ كيف شاء بحكم الالهية (يقولون هل لنا من الامر من شيء) أي هل لنا من النصر الذي وعدناه محمد نصيب قط وهذا الكلام ان كان قائله من المنافقين كعبد الله بن أبي ذؤانبة طعنا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاسلام وان كان من المؤمنين المحققين كان غرضه منه اظهار الشفقة أنه متى يكون الفرج ومن أين يكون تحصل النصر (قل ان الامر) أي التدبير (كأله) فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) أي يقولون فيما بينهم -م بطريق الخفية مظهرين أنهم -م ترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب مخافة القتل (يقولون) أي معتبين قسبر وعبد الله بن أبي (لو كان لنا من الامر شيء ما قلناه هذا) أي لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتل من قتل منافي هذه المعركة وما غلبنا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) أي قل يا مشركي الخلق لهم لو جلستم في بيوتكم في المدينة لم تخرج منكم من كتب الله عليهم القتل الى مضاجعهم أي أما كنهم التي ما وافيا عند أحد حتى يوجد ما علم الله أنه يوجد فان الحذر لا يدفع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر الله عليهم القتل لا بد وان يقتلوا لان الله تعالى لما أخر أنه يقتل فلو لم يقتل لانقلب علمه جهلا ولا محال (و) فرض الله عليهم القتال ولم ينصرهم يوم أحد (ليبتلي الله ما في صدوركم) أي ليعاملكم معاملة من يختبر ما في قلوبكم من الاخلاص والنفاق وليظهر ما فيهم من السرائر وفي المثل المشهور لا تتركه والثقة فانها حصاد المنافقين (وليعص ما في قلوبكم) أي يختصها من الوسوس (والله عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب من الخير والشر (ان الذين تولوا منكم) أي انهزموا يوم أحد وهم عثمان بن عفان ورافع بن المعلى وخارجة ابن زيد (يوم التقى الجمعان) جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجميع أبي سفيان (انما أسرتهم الشيطان) أي أزلهم الشيطان بوسوسة أنه أن محمد يقتل (بعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز وبالحرص على الغنيمة أو على الحياة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) لمن تاب (حليم) أي لا يجعل لهم بالعقوبة وأما الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطه بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحبابة بن المنذر وأبو دجانة وقاصم بن ثابت والحرف بن العمت وسهل بن خنيفة وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي في نفس الامر وهم المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أي لأجل اخوانهم في النسب أو في الكفر والنفاق (اذا ضربوا في الارض) أي ساروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا (أو كانوا غزى) فقتلوا (لو كانوا عندنا) أي مقبليين في المدينة (ما ماتوا) في سفرهم (وما قتلوا) في غزواتهم (ليجعل الله ذلك) أي ظنهم ان اخوانهم لو لم يوافروا ولم يحضروا القتال لعاشوا (حسرة) أي حوتا (في قلوبهم) واللام العاقبة أي أنهم قالوا ذلك لامه قلوب المسلمين ليضيق صدرهم وليخلفوا عن القتال فلما كان المؤمنون لم يلتفتوا الى قولهم فيصيح سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الندامة في قلوبهم (والله يجزي ويعت) فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان لم يجاهد فانه تعالى قد يجزي المسافر والغزى مع اقتحامهما

لما ورد الخوف وبعث القاعد عن القتال والمقيم مع حيلاتهم لاسباب السلامة (والله بما تعملون بصير)
 فيجازيهم على قوتهم واعتقادهم ويجازيكم ان تعالوهم في ذلك (ولئن قتلتم في سبيل الله) أي في
 الجهاد (أو متم) في سفركم للفرار مع الكفار أو في بيوتكم وكنتم مخلصين من الدنق (المغفرة من الله)
 لذنوبكم (ورحمة) منه لكم (خير مما يجمعون) أي مما يجمعونه أنتم ولم تعوتوا من الاموال التي تعد
 خيرات وقرا حفص عن عاصم بالغيبة أي خير مما يجمعونه هؤلاء الكفرة من منافع الدنيا وطيباتهم هذه
 أمماهم قال الفخر الرازي والاصوب عندى ان اللام في ولئن لئما كيد فيكون المعنى ان وجب ان تعوتوا
 أو تقتلوا في سفركم وغزوكم فكذلك يجب ان تقوزوا بالمغفرة والرحمة فلماذا اخترزون عن الموت والقتل بل
 ذلك مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون لان الموت الذي يستحق الثواب العظيم كان خيرا من الموت من
 غير فائدة (ولئن متم) في حضر أو سفر (أو قتلتم) في الجهاد أو غيره (لاي الله تحشرون) لجميع
 العالمين يوقنون في عرصة القيامة وباطل العدل فيجتمع الظوم مع الظالم والمقتول مع القاتل والله تعالى
 يحكم بين عبده بالعدل واعلم ان الله تعالى رغب المجاهدين في الآيات الأولى بالمغفرة والرحمة وفي هذه
 الآية بالحشر الى الله زيادة في اعلاء الدرجات يروى ان عيسى بن مريم مر بأقوام تحفت أبدانهم واصفرت
 وجوههم ورأى عليهم آثار العباد فسال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن
 لا يخلصكم من عذابه ثم بأقوام آخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة
 فقال هو أكرم من ان ينعكم رحمة ثم بقوم ثالث ورأى آثار العبودية عليهم ثم أكرسألهم فقالوا
 نعبده لانه الهنا ونحن عبده لا رغبة ولا رهبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحققون فقوله تعالى
 للمغفرة من الله إشارة الى من يعبد خوفا من عقابه وقوله ورحمة إشارة الى من يعبد لطلب ثوابه وقوله
 تعالى لاى الله تحشرون إشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية وهذا أعلا المقامات وأعبد
 النهايان في العبودية في علو الدرجة فهو هؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعة الله ومجاهدة عدوه يكون
 حشرهم اليه واستئناسهم بكرمه وعتقه هم بشر وق نور ربوبيته (فبما رحمة) فبما استغفام للتعجب
 تقديره فبأى رحمة (من الله لنت لهم) وذلك لانه لما كانت جناباتهم عظيمة ثم انه صلى الله عليه وسلم
 لم يظهر تغليظا في القول البتة علوا ان هذا لا يتأتى الا بتأنيده درياني فمكان ذلك موضع التعجب من كمال ذلك
 التأييد (ولو كنت قظا) باللسان (غليظ القلب) أي قاسيه (لانفضوا من حولك) أي لته فرقوا
 من عندك ولم يسكنوا اليك ولو انفضوا من حولك فأت المقصود من الرسالة (فاعف عنهم) فيما يتعلق
 بحقوك (واستغفر لهم) من الله تعالى فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتساما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم
 (وشاورهم في الامر) فان المشاورة تقتضى شدة محبته صلى الله عليه وسلم الى الله عليه وسلم لانها تدل على رفعة
 درجتهم فترك المشاورة معهم اعانة لهم قال صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا الارشد
 أمورهم (فإذا عزم) عقب المشاورة على شئ (فتوكل على الله) في امضاء أمره على ما هو وأصلح
 وأيسر التوكل اهـ مال التدبير بالكاتبه والا يمكن الامر بالمشاورة منافية للامر بالتوكل بل التوكل
 هو ان يراعى الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول بقلبه على عصمة الله وعاقبته
 (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصالح (ان ينصركم الله فلا
 غالب لكم) أي ان ينصركم كما ينصركم يوم در فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) أي يترك الله نصرتكم
 كيوم أحد (فإن الذي ينصركم من بعده) أي فلا أحد ينصركم على عدوكم من بعد خذلانه تعالى

(وعلى الله فليتنوكل المؤمنون) بالنصرة وغيرها (وما كان لنبي أن يغفل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
بفتح الياء وضم العين أي وما جاز لنبي أن يخون أمته في الغنائم قال السكاكي ومقاتل نزلت هذه الآية حين
ترك الزمالة المراكزيوم أحد طلباء الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فله
وان لا يقسم الغنائم كالم يقسمها يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم لهم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المراكزيون
بأيتكم أمرى فقالوا تر كنا ببيعة أخواننا ووقوفنا قال صلى الله عليه وسلم طئنتم أنا نغل ولا تقسم لكم
فنزلت هذه الآية وقرأ الباقيون من السبعة يغفل يضم الياء وفتح الغين أي وما جاز لنبي أن يخون لأن الوحي
كان يأتيه حالاً لا في خاتمة فر عازل الوحي فيه فيحصل له مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ولأن الحيمارة
في حقه صلى الله عليه وسلم الخش لأنه أفضل البشر ولأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر كما روى
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت في يده يوم حنين غنائم هو أوزن غل رجل بمخيط فنزلت هذه الآية
(ومن يغفل يأت بما غفل) أي يأت بالذي غفله بعينه يحمله على عنقه (يوم القيامة ثم توفى كل نفس) أي
تعطى وإيما ما (كسبت) أي جزاء ما عملت من القول وغيره (وهم) أي كل نفس (لا يظلمون) بزيادة
عقاب أو بنقص ثواب لأنه تعالى عادل في حكمه (أفمن اتبع رضوان الله) أي أمن اتقى فاتبع رضوان
الله بالإيمان به والعمل بطاعته (كن به بسخط من الله) أي كن استحق بسخط من الله بالكفر به
والاشتغال بعصيته (ومأواه) أي الغلال أو من استوجب بسخط الله (جهنم وبئس المصير) جهنم
(هم درجات عند الله) أي الفريقان مختلفون في درجات الثواب والعقاب في حكم الله وعلمه بأخلاق
مراتب الطاعات والمعاصي (وانه بصير عما يعملون) أي بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم بحسبها
(أقدم الله على المؤمنين) أي لقد أحسن إليهم (أذبح فيهم رسولا من أنفسهم) أي بعث آدميا
ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين بأحواله من أول العمر إلى آخره أنه ملازم الصدق والأمانة
وهو صار شرفا للعرب ونفرا لهم وذلك لأن الاختيار يباريهم عليه السلام كان مشترا كافيته بين اليهود
والنصارى والعرب ثم إن اليهود يتفخرون بعيسى والتوراة والنصارى يتفخرون بعيسى والإنجيل فما
كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك رائدا على شرف جميع
الأمم فهذا وجه الفائدة في قوله تعالى من أنفسهم (يتلو عليهم آياته) أي القرآن أي يبلغ الوحي من
عند الله إلى الخلق بالامر والنهي (ويركبه) أي يظهرهم بالتوحيد من الشرك وبأخذ الزكاة من
الذنوب ويكمل نظرهم بمحصول المعارف الإلهية (ويعلمهم الكتاب) أي ظواهر الشريعة أو يعرفهم
التأويل (والحكمة) أي محاسن الشريعة وأمرارها وعملها (وان كانوا من قبل) أي والحال أنهم
كانوا من قبل بعثته صلى الله عليه وسلم (لبي ضلال مبين) أو المعنى وما كانوا من قبل محي محمد والقرآن
الافي ضلال بين وذلك لأن دين العرب قبل ذلك كان أزدل الأديان وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أزدل
الأخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة ثم لما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
اليهم انتقلوا ببركة من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أحسنها وصاروا أفضل الأمم في العلم
والهدى والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطبعتها ولا شأن بهذا أعظم المنفعة (أو ما أصابكم
مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) أي أقلتم متعجبين من أين أصابنا هذا ونحن ننصر الإسلام الذي هو دين
الحق معنا الرسول وهم ينصرون دين الشرك بالله فكيف صاروا منصورين عيانا وقد تقدم الوعد بالنصر
حين أصابكم من الشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك وذلك لأن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد

سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين رأساً وسبعين والأسير في حكم المقتول لأن الأسير يقتل أسيراً
 إن أراد (قل هو) أي حصول هذا الأمر (من عند أنفسكم) أي بشؤونهم معصيةكم بترككم المركز أو حرصكم
 على الغلبة (إن الله على كل شيء قدير) فإنه قادر على نصركم لو ثبتتم وصبرتم كما هو قادر على التخاذلية بينكم
 وبين عدوكم إذا خالفتم وعصيته (وما أصابكم) في أحد من القتل والجراحة (يوم التقي الجمع) جمع محمد
 وجمع أبي سفيان (فبإذن الله) أي فهو بقضائه وإرادته (وليعلم المؤمنون وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم)
 أي وليظهر الله للناس الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق والامتناع من الجهاد مع وجود
 الطلب وهم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث رجعوا يوم أحد إلى المدينة قال لهم عبد الله بن جبير أو عبد الله
 ابن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله الأنصاري إذ ذكرهم الله أن اتخذوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو
 (تعالوا) إلى أحد (فأتوا في سبيل الله أو أدفعوا) أي كونوا أمام رجال الذين آمنوا من رجال الدنيا
 فإن كان في قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا الله ما في طاعة الله وإن لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن
 أنفسكم وأهليكم وأموالكم وبلدكم (فالوالو يعلم قتالا) أي لو فحصن قتالاً وتقدر عليه (لا تبعناكم)
 إلى أحد (هم) لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان أي هم لكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان
 فإنهم كانوا قبل هذه الواقعة يظهر الأيمان من أنفسهم وما ظهرت منهم أمارات تدل على كفرهم
 فلما رجعوا عن عسكر المسلمين تباعدوا بذلك عن أن يظن بهم كونهم مؤمنين وأيضاً قلوبهم ذلك يدل على
 كفرهم لأنه أمار على السخرية بالمسلمين ولما على عدم الوثوق بقول النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد منهما
 كفر (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) فأنهم أظهروا أمرين ليس في قلوبهم واحد منهما أحدهما
 عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيه ما فاتهم عالمون بالقتال غير نافرين للاتباع
 بل كانوا صريحين على الانخزال عاجزين على الارتداد (وأنه أعلم بما يكتمون) أي يعلم من تفاصيل تلك
 الأحوال ما لا يعلمه غيره (الذين قالوا) أي الذين نافقوا وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (لاخوانهم) أي
 لأجل إخوانهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو أقاربهم (قد) قد (قد) عن القتال بالانخزال
 (لو أضاءوا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ما قتلوا) كما نقتل (قل) للنافقين (فادروا)
 أي ادفعوا (عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) في أن القعود ينجي منه وروى أنه أنزل الله بهم الموت فمات
 منهم يوم قالوا هذه المقامة سبعون منافقاً من غير قتال ومن غير خروج لاظهار كذبهم (ولا نخسب الذين قتلوا
 في سبيل الله أمواتاً) فماتت هذه الآية في حق قتلى أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن
 عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى
 عليهم أجمعين وأما شهداء بدر فمات فيهم آية البقرة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله الآية (بل) هم
 (أحياء عند ربهم يرزقون) النخف من الجنح وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال في صفة الشهداء إن أرواحهم في أجواف طير خضر وانها ترد أنهار الجنة وتناكل من ثمارها
 وتسرح حيث شاءت وتأري إلى قناديل من ذهب تحت العرش وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم أن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال ما تريد يا عبد الله بن عمرو
 أن أفعل بك فقال يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى (فرحبنا بما آتاهم الله من فضله)
 وهو شرف الشهادة والقرب من الله والتمتع بالنعيم الخلد عاجلاً (و) يستبشرون بالذين لم يلطعوا بهم من
 خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي أن الشهداء يقول بعضهم لبعض تركنا إخواننا فلا تـ

وفلانا في صف المقاتلة مع الكفار فيقتلون ان شاء الله فيصيبون من الرزق والكرامة ما أصبنا أي
 نغزحون بحسن حال اخوانهم الذين تركوهم في الدنيا بدوام انتفاء الخوف والحزن وبخوفهم هم لان الله
 بشرهم بذلك (يستبشرون بنجاة من الله) أي بنواب أعمالهم من الله (وفضل) أي زيادة عظيمة
 من الكرامة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) من الشهداء وغيرهم (الذين استجابوا لله والرسول من
 بعدما أصابهم القرح) في أحد منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن
 مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح وجابر بن عبد الله (لأنهم أحسنوا منهم) في طاعة
 الرسول في ذلك الوقت (واتقوا) في الخلف عن الرسول (أجر عظيم) روى أن أباسفيان وأصحابه
 لما انصرفوا من أحد فبأفوا الرواحا فاندماوا وقالوا اننا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم بل
 الواجب أن نرجع ونستأصلهم فهموا بالرجوع فباع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يهرب
 الكفار ويريه من نفسه ومن أصحابه قوة فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال
 لا أريد أن يخرج الآن معي الامن كان معي في القتال بالامس فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع
 قوم من أصحابه قبيل كانوا سبعين رجلا حتى بلغوا حراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال على
 سائر الطريق لمن أراد اذا الحليفة فكان بأصحابه القرح فقاموا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاخر فأتى
 الله تعالى الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فتركت هذه الآية (الذين قالوا اللهم الناس) وهو أعراي من
 خزاة أو جماعة كيون من عبد القيس أو نعيم بن مسعود الاثمعي (ان الناس) أي أباسفيان
 وأصحابه (قد جمعوا لكم) في اللطيمة وهي سوق في قرب مكة (واختسومهم) بالخروج اليهم روى ان
 أباسفيان لما عزم على أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا ومع بدران شئت فقال صلى الله
 عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله تعالى فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى
 نزل عبر الظهران فأتى الله الرعب في قلبه وبذله ان يرجع فربما ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة لليرة
 فشرط لهم حل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
 اني واعدت محمدا ان تلتقي بعموم بدر وان هذا عام جذب وقد بدى أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج
 زاد ذلك جراه فذهب الى المدينة فنبطهم ولك عندي عفرة من الابل فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد
 المسلمين يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال لهم أين تريدون فقالوا واعدنا أباسفيان بعموم بدر ان نقتل
 فيها فقال لهم ما هذا بالرى أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع
 هذا الكلام في قلوب بعضهم فكره الخروج فلما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذي نفس
 محمد بيده لا يخرجن اليهم ولولم يخرج معي أحد فخرج في سبعين دكا وباق الجماعة يشنون وفيهم ابن مسعود
 فذهبوا وكلهم يقولون حسنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها
 كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أباسفيان ثمان ليال ولم يلق أحدا
 من المشركين وفاقوا السوق وباعوا ما كان معهم من التجارات واشتروا دما وزيبا ورجعوا في الدرهم
 درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى (فزادهم إيماناً) أي زادهم هذا الكلام
 المخوف جراءة بالخروج اليهم وعزمنا كداعلى محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول (وقالوا حسنا
 الله) أي كافينا الله ومقتنايه (ونعم الوكيل) أي الكفيل بالنصرة والكافي (فانقلبوا بنعمة من الله
 أي نخرجوا الى بدر فرجعوا من بدر ملتبسين بسلامة وثواب من الله (وفضل) أي ربح في التجارة (لم يحسبهم)

أى لم يصيبهم فى الذهاب والمجيء (سورة) أى قتل ولا جراح (واتبعوا رضوان الله) فى طاعة رسوله
(والله ذو فضل عظيم) يدفع العدو عنهم ويعطيهم ثواب الغزو ويرضى عنهم (انما ذلكم الشيطان
يخوف أولياءه) قرأ ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقرأ أبى بن كعب يخوفكم بأوليائه
أى ذلكم الشيطان يخوفكم أيها المؤمنون المشركين بأسيافهم وأصحابه وقال الحسن والسدى
معنى هذه الآية الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويختارون أمرهم وهم المنافقون ليقعدوا عن
قتال المشركين فاما أولياءه الله فانهم لا يخافون الكفار اذا خوفهم الشيطان ولا يتعادون لامره (فلا
تخافوهم) أى أولياءه الشيطان بالخروج اليهم (وتخافون) فى مخالفة أمرى بالجنوس (ان كنتم
مؤمنين) فان الايمان يقتضى تقديم خوف الله على خوف الناس ويستلزم عدم الخوف من شر الشيطان
وأوليائه (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى فى جميع
ما فى القرآن الا قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر فى سورة الانبياء قاله فتح الياء وضم الزاى كما فى القراء
فى جميع ما فى القرآن (انهم لن يضروا الله شيئا) اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل
انها نزلت فى شأن كفار قريش والله تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم والمعنى لا يحزنك من يسارع فى
الكفر بنصرتك بأن يقصد جمع العساكر بمعاريتك وإبطال هذا الدين وإزالة هذه الشريعة وهذا المقصود
لا يحصل لهم بل يفعل أمرهم وترزول شوكتهم ويَعْظُمُ أمرُك ويعلو شأنك فانهم لن يضروا الله شيئا
بهذا الصنيع وانما يضررون أنفسهم وقيل نزلت فى شأن المنافقين انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب
وقعة أحد ويؤسسونهم من النصر والظفر وقيل نزلت فى شأن رؤساء اليهود كعب بن الاشرف وأصحابه
الذين كنتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم لتناع الدنيا (يريد الله) بذلك (أن لا يجعل لهم حظا) من
الثواب (فى الآخرة) أى الجنة (ولهم عذاب عظيم) فى النار (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان ان
يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس هم المنافقون اختاروا الكفر على الايمان فانهم متى
كانوا مع المؤمنين أظهروا الايمان فاذا اخلوا الى شياطينهم كفروا وتركوا الايمان فكان ذلك كآثمهم
اشتروا الكفر بالايمان ويمكن حمل هذه الآية على اليهود ومعنى اشتراء الكفر بالايمان منهم انهم
كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمنون به قبل مبعة ويستصرون به على أعدائهم فلما بعث
كفروا به وتركوا ما كانوا عليه فكانهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر بدلا عنه كما يفعل المشتري من
اعطاه شئ وأخذ غيره بدلا عنه (ولا يحسبن الذين كفروا انهم امنوا) أى يقول لهم بتطويل الامصار (خير
لانفسهم انما غلى لهم ليزدادوا غما) أى ذنبوا فى الدنيا ودركات فى الآخرة (ولهم عذاب مهين) يهانون
به يوم ما يقوم الساعة بعد ساعة قال الغفران اراى بين الله تعالى فى هذه الآية ان بقاء هؤلاء المتخلفين عن
القتال ليس خيرا من قتل أولئك الذين قتلوا فى أحد لان هذا البقاء صار وسيلة الى الخزي فى الدنيا
والعقاب الدائم فى القيامة وقتل أولئك الذين قتلوا فى أحد صار وسيلة الى الثناء الجميل فى الدنيا والثواب
الجزيل فى الآخرة فترغب أولئك المشيطين فى مثل هذه الحياة وتغفروهم عن مثل ذلك القتل لا يقبله
الاجاهل قرأ ابن كثير وأبو عمرو فى الآية ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يجهلون لا تحسبن
الذين يفرحون فلا تحسبنهم بالتاء وضم الياء فى قوله تعالى تحسبنهم وقرأ نافع وابن هاشم بالياء الا قوله
فلا تحسبنهم فانه بالتاء وقرأه حمزة كلها بالتاء وقيل نزلت الآية من قوله ولا يحزنك الى ههنا فى حق
مشركي أهل مكة يوم أحد (ما كان الله ليضل المؤمنين) أى ليترك الخلفين (على ما أنتم عليه) أيها

الناس من اختلاط المنافقين بالمخلصين واظهارهم انهم من أهل الايمان (حتى غير الحبيث) أى
المنافق (من الطيب) أى المؤمن بالقائه المحن والمصائب والقتل والمهزلة فمن كان مؤمناً ثبت على ايمانه
وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان منافقاً ظهر نفاقه وفساده أو بالقرائن فإن المسلمين كانوا
يفرحون بنصرة الاسلام وقوته والمنافقين كانوا يفتخرون بذلك (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى
ان عادة الله جارية بأنه لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الا بميثاق الا
بالامتناعات من التكليف الشاقة كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فأما معرفة ذلك على سبيل
الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا قال تعالى (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء)
لخصهم باعلامهم ان هذا مؤمن وهذا منافق أو المعنى فيهم نحن خلقه بالشرائع على أيديهم حتى يميز
الفريقان بالامتحان أو المعنى وما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى
تصير وامستغنين عن الرسول بل الله يخص من يشاء من عباده بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء
الرسول (فآمنوا بالله ورسوله) أى لما طعن المنافقون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بوقوع الحوادث
المكرهه في أحد دين الله تعالى أنه كان فيها مصالح منها تغيير الحبيث من الطيب ولم يبق بعد جواب هذه
الشبهة الا أن تؤمنوا بالله ورسوله (وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) أى الكفر والنفاق (فلكم أجر
عظيم) أى ثواب وافرق الجنة (ولا يحسبن الذين يخلعون عباة أنهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر
لهم) أى لا يتوهمن هؤلاء الخلائق ببذل المال في الجهاد ان يظلمهم هو خير لهم بل هو شر لهم لانه يبق
عقاب يظلمهم عليهم (سيطوفون ما يخلوا به يوم القيامة) أى سيجعل ذلك المال طوقاً من النار في
هتفهم وقيل ان المراد الجبل بالعلم وذلك لان اليهود كانوا يفتخرون زعمت محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
الكتمان بخلافه فيكون كان معنى سيطوفون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقاً من نار قال صلى الله عليه
وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة والمعنى انهم عوقبوا في أفواههم
وألستهم بهذا اللجام لانهم لم يطفوا بأفواههم وألستهم بما يدل على الحق (ولله ميراث السموات
والارض) أى له تعالى ما يتوارثه أهلها من مال وغيره (والله بما تعملون) من البخل والسخا
(خبير) فيجازيكم عليه أو فيجازيهم عليه (لقد سمع الله قول الذين قالوا) أى فخصاص بن عاذر
كما قاله ابن عباس والسدي وأبو جريح بن أخطب كما قاله قتادة أو كعب بن الأشرف كما نقله ابن عساکر روى
أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى بكرى بن يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء
الزكاة وأن يرضوا الله قرصاً حسناً فقال فخصاص اليهود ان الله فقير حتى سألنا القرص فلطمه أبو بكر
في وجهه وقال لا الذي بيننا وبينكم من العهد لغيرت هتفك فتسكاه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنكر ما قاله فنزلت هذه الآية تصديقاً لابي بكر رضى الله عنه والجمع حينئذ جمع كون القاتل واحداً
لرضا الباقين بذلك (ان الله فقير) محتاج يطلب منا القرص (ونحن أغنياء) ولا محتاج الى قرصه
(سند كتب ما قالوا) أى من العظيمة الشنعاء في هتافات الحفظة ليعرفوا ذلك يوم القيامة أو سخره
ونشبهته في علمنا لانساناً ولا نعلمه أو المراد سند كتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يعلم الخلق الى يوم
القيامة شدة جهلهم وطعنهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما قدروا عليه (وقتلهم الانبياء بغير حق)
في اعتقادهم كما في نكاح أى نكاح عليهم رضاهم بقتل انبياءهم بغير جرم أو المعنى سخره
عن الفريقين مع أقوالهم وأفعالههم (ونقول) عند الموت وعند الحشر وعند قراءة الكتاب أو عند

الالتقاء في النار ويحتمل أن يكون هذا القول كناية عن حصول الوعيد وان لم يكن هناك قول وقرأ حمزة
 سيكتب بالياء وضمها على اعظم ما لم يسم فاعله وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء والباقيون بالنون ونصب
 اللام من قتلهم وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وبالبناء للفاعل (ذوقوا عذاب المحرق) أي
 المحرق (ذلك) أي هذا العذاب المحرق (بما قدمت أيديكم) أي بسبب ما اقترفته من التفتوه بتلك
 العظيمة وغيره من المعاصي (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس يعذب لعبيده غير
 ذنب من قبلهم (الذين قالوا) نصب على الذم أو حرعت للذين الأول أي لقد سمع الله قول الذين قالوا قال
 ابن عباس نزلت هذه الآية في حق كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وما لك بن الصديق ووهب بن يهودا
 وزيد بن ثابت وفضاح بن عاذرة وحي بن أخطب وغيرهم أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا محمد ترعنا نك رسول الله وأنه تعالى أنزل عليك كتابا وقد عهد الله الإنس في التوراة أن لا تؤمنوا برسول
 حتى يأتينا بقرآن تأكله النار ويكون لهادى خفيف تنزل من السماء فان جئتناهم ذاصدة نالك فنزلت
 هذه الآية (إن الله عهد الإنس) أي أمرنا في الكتاب (أن لا تؤمنوا برسول) أي أن لا تصدق أحدا
 بالرسالة (حتى يأتينا بقرآن تأكله النار) ما كان عليه أمر أنبياء بني إسرائيل حيث كان يقرب
 بالقربان من النعم أو من الصدقات غير الحيوان فيقوم النبي في البيت ويد اجترده وبنوا إسرائيل
 واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء أي لا دخان لها ولا دوى فتأكل كل القربان أي تحرقه وهذا من
 أباطيلهم فان أكل النار القربان لم يوجب الإعيان إلا لكونه مهجزة فهو وسائر المهجرات سواء وقد تقدمت
 المهجرات الكثير فلهذا صلى الله عليه وسلم وطلبهم لهذا المهجزة وقع على سبيل التعمت لا على سبيل
 الاسترشاد ولذلك رد الله عليهم بقوله (قل) يا أشرف الخلق (فدجاءكم رسول من قبلي بالبينات)
 أي بالمهجرات الواضحة (وبالذي قلتم) وهو القربان الذي تأكله النار (فلم تفلحواهم أن كنتم صادقين)
 في مقاتلتكم أنكم تؤمنون برسول يأتكم بما اقترحتوه فان ذكر يا ويحي وعيسى وغيرهم من الأنبياء
 عليهم السلام قد جازكم بما قلتم في مهجرات آخر فالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترائتم على قتلهم (فإن
 كذبوا) في أصل النبوة والشريعة فتسل (فقد كذب رسول من قبلك جازا بالبينات) أي المهجرات
 (والزبر) أي العصف كعصف إبراهيم وموسى (والكتاب المنير) أي الواضح وهو التوراة والانجيل
 والزبور وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الباء كقراءة ابن عباس دلالة على المغيرة وقراءة هشام وبالكتاب
 باعادة الباء والباقيون بغير الباء فيهما (كل نفس ذائقة الموت) أي كل حيوان حاضر في دار الدنيا كليف
 ينوق الموت وروى عن الحسن أنه قرأ ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الهمش بطرح التنوين
 مع نصب الموت (وانما تؤفون أجوركم يوم القيامة) أي وانما تعطون أجرية أعمالكم على تمام يوم
 قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله كما يدل عليه قوله صلى
 الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فنزح) أي أبعد (عن
 النار) بالتوحيد والعمل الصالح (وأدخل الجنة فقد فاز) أي نال غاية مقصوده وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم من أحب أن ينزح عن النار ويدخل الجنة فلتذكره منيته وهو يومئذ بالله واليوم الآخر
 ويدأى إلى الناس ما يحب أن يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) أي ليس ما في الدنيا من
 النعيم الا كمتاع البيت في بقائه مثل الخرف والزجاجة وغير ذلك أي ان العيش في هذه الدنيا يغتر
 الانسان بما يمتنيه من طول البقاء وسينة طمع عن قريب فوصفت بأنها متاع الغرور لانها تغري ببدل المحبوب

وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدايم قال بعضهم الدنيا ظاهرها مطية السرور وباطنها مطية الشرو وقال
سعيد بن جبر ان هذا في حق من آثر الله نيا على الآخرة وأما من طلب الآخرة بها فاتها ثم المتاع (لنبلون
في أموالكم وأنفسكم) أي والله لتختبرن في ذهاب أموالكم بالمهلكات كالغرق والحرق وبالتركليف
كالزكاة والجهاد وفي ما يصيب أنفسكم من البلاء ~~كالامراض~~ والوجاع والقتل والضرب ومن
التركليف كالصلاة والجهاد والصبر فيهما (ولنسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا إذا كنتم) أي ولنسمعن من اليهود والنصارى ومشركي العرب أنواع الأذى من الطعن في
الدين الخفيف والقرح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن ويخطيئة من آمن وما كان
من كعب بن الأشرف واضربه من هجاء المؤمنين وتشيب نسائهم وتخريض المشركين على مضادة
رسول صلى الله عليه وسلم وتخذلكم بالآخر فيه (وان تصبروا) على تلك البلى وأذى الكفار
وتستعملوا احتمال المكروه ومداراة الكفار في كثير من الأحوال (وتنفوا) أي تحترزوا عما لا ينبغي
وعن المداينة مع الكفار وعن السكوت عن اظهار الانكار (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من
عزم الأمور) أي من عزم أمور المؤمنين وخبرها من صواب التدبير أو المعنى فان ذلك مما قد عزم عليكم
فيه أي أؤتمم الأخذ به وما يجب ان يعزم عليه كل أحد لانه حميد العاقبة (واذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لنؤمننه للناس ولا تكتفونه) أي واذا كروقت أخذته تعالى العهد على علماء اليهود
والنصارى لتذكرن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل وللناس
ولا تنفوا فيها التآريلات الفاسدة والباطلة قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو بالغيبة في الفعلين
والباقون بالخطاب فيهما (فنبذوه) أي طرحوا الميثاق (وراء ظهورهم) أي فلم يعجوبة (واشترؤا
به) أي الكتاب (ثمنًا قليلًا) أي شيئًا نفهم من الدنيا أي أخفوا الحق لية وسلاو به الى وجد ان شيئًا من الدنيا
(فبئس ما يشترون) أي بئس شيئًا يشترونه ذلك الثمن فكل من لم يمين الذي للناس وكنتم شيئًا منه لغرض
فأسد من تسهيل على الظلمة وتطييب قلوبهم أو لجر منغمة أو لحرف أو ليجل للعلم دخل تحت هذا الوعيد
قال صلى الله عليه وسلم من كنتم علماء عن أهل الجلم بلعام من نار وعن محمد بن كعب قال لا يجمل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يجمل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وكان قتادة يقول طوبى لعالم
ناطق ولمستم واع هذا علم علمافيله وهذا مع خبر افوعاء (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) أي بما فعلوا
من تحريف نصوص التوراة وتفسيرها بتفسيرات باطلة (ويحبون أن يحمدوا لعالم يفعلوا) أي
يحسبون أن يوصفوا بالدين والفضل والعفاف والصدق (فلا تحسبنهم بمغفرة) أي بمعاذة (من العذاب)
وقبل رزئت هذه الآية في شأن المنافقين فانهم يفرحون بما أوتوا من اظهار الايمان للمسلمين على سبيل
النفاق من حيث انهم كانوا يتوصلوا بذلك الى تحصيل مصالحهم في الدنيا ثم كانوا يوقعون من النبي صلى
الله عليه وسلم أن يحمدهم على الايمان الذي لم يكن موجودا في قلوبهم ولا شأن ان هذه الآية الواردة في
الكفار والمنافقين الذين أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم فان أكثر المنافقين كانوا من اليهود والاولى
أبراء الموصول على العموم فيشتمل على كل من يأتي بشئ من الحبس فيفرح به فرح أعجاب ووجد أن
يعدده الناس بما هو عار منه من سداد السيرة واستقامة الطريقة والهدى والاقبال على طاعة الله وقرأ
سورة وعاصم والكسائي تحسبن وتحسبنهم بالتاء الفوقية وكلاهما ما يقع الباء والتقدير لا تحسبن يا محمد
وأياها السامع أو كلاهما بضم الباء والخطاب للمؤمنين والمفعول الاوّل الذين يفرحون والثاني بمغفرة وقوله

تعالى فلا تحسبنهم تأكيداً ولفاءً مقحمة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالياء التحتية وكلاهما
بفتح الياء والفاعل للرسول وبضمها والفاعل من يتأني منه الحسبان أو بفتح الياء في الأول وضمها في
الثاني وهو قراءة أبي عمرو والفاعل هو الموصول والمفعول الأول محذوف والتقدير ولا يحسبن الذين يفرحون
أنفسهم بغفارة من العذاب ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين مع اختصار الدلالة فمفعولي
الفعل الثاني عليهما أي لا يحسبن هؤلاء أنفسهم قائلين أو على أن الفعل الأول مسند للرسول أو لكل
حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند
إلى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانته صلى الله عليه وسلم
ومفعولاه مابعد (ولهم عذاب أليم) أي وجميع في الآخرة (ولله ملك السموات والأرض) أي له تعالى
السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما بينهما كيفما يشاء إيجاداً واعداءاً وأمة تعذيب
وأثابة وهو تعالى يملك ما فيهما من خزائن المطر والنبات والرزق (والله على كل شيء قدير) فلا يذمن
ملكاً كونه شيء من الأشياء وكل ما سواه تعالى مقدوره تعالى (إن في خلق السموات والأرض) أي في
إنشائها ما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما (واختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبهما في وجه الأرض
وكون كل منهما خلفاً للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها الناشئين من حركات السموات وسكون
الأرض أو في تفاوتهما بارتفاعها وتنفاص باختلاف حال الشمس بالنسبة إلى ما قرب أو بعد بحسب الأزمنة
أو في اختلافهما بحسب الأماكن (الآيات) كثيرة عظيمة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته تعالى
(الاولى الآيات) أي لذوى العقول المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في حكمه المودعة
في الأنفس والآفاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل مستلق على فراشه أذ رفع رأسه فنظر
إلى النجوم وإلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأخلفا اللهم أغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا عبادة كالتفكير وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلمته
معبادة فبعد في تلك المدقة من قبيحهم فما أظلمته معجزة فقالت له أمه لعل فرط صدرك منك في مدتك
فقال ما ذا كرهت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال نعم قالت فما أريت إلا من ذلك (الذين
يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أي الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم لا طمأنينة
قلوبهم بذكره تعالى واستغراق مرآتهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه
فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلا وهم يعاينون في ذلك شأنهم شأنه تعالى
فالمراد ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه
الذكر اللساني أو لا وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنهم الأحوال
المعداة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً والمراد تعميم الذكر للأوقات قال النبي صلى الله عليه وسلم من
أحب أن يرتع في رياض الجنة فليذكر الله (ويذكرون في خلق السموات والأرض) وعلى وفق
هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق أي لأن الاستدلال بالخلق
على الخالق لا يمكن وقوعه على نعم الله تعالى ثلثة وأغما يمكن وقوعه على نعم الخلق فإذ استدلل بحدوث هذه
المحسوسات على قدم خالقها وبكيفيةها وكيفيةها وشكلها على براهة خالقها عن الكمية والكيفية والشكل
وقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ومن
عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب ومن عرف نفسه بالحاجة عرف ربه بالاستغناء فكان التفكير

الخلق ممكن من هذا الوجه أما التفكير في الخالق فهو غير ممكن البتة فإذا لا يتصور حقيقة الالوهة باللوب
 فنقول أنه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا في الجهة ولا شئ أن حقيقة الخصوصية مقابلة لهذه
 الالوهة وتلك الحقيقة الخصوصية لا سبيل للعقل إلى معرفتها بقدر العقل كالأول فلهذا السبب نهي النبي
 صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله وأمر بالتفكير في المخلوقات فلهذه الدقة أمر الله في هذه الآية
 بذكره ولم يأمر بالتفكير فيه بل أمر بالتفكير في مخلوقاته قال بعض العلماء الفكرة تذهب العقلة وتجلب
 للقلب الخشية كما ثبت الماء الزرع وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفصلوني عني يونس بن متى فإنه
 كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض أي وذلك لأن عمله والتفكير في معرفة الله لا يقدرا أحد
 أن يعمل بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وإنما هو عمل القلب واعلم أن دلائل التوحيد محصورة في قسمين
 دلائل الآفاق ودلائل الأنفس ونسلك أن دلائل الآفاق أعظم وأعجب فلأن الإنسان نظر إلى ورقة
 صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرفاً واحداً متداقاً وسطها ثم يشعب من ذلك العرق عروق
 كثيرة إلى الجانبين ثم يشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يشعب من كل عرق عروق أخر حتى تصير في
 الدقة بحيث لا يراها البصر وعند هذا يعلم أن الخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الحلة حكماً بالغة وأمراراً
 عجيبة ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلقه الورقة ليجزها فاعرف أن عقله قاصر عن الوقوف على
 كيفية خلقه تلك الورقة الصغيرة فإذا قاس تلك الورقة إلى السموات مع ما فيها من الشمس
 والقمر والنجوم وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرفت أن
 تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء كالعدم فإذا عرفت قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الخفي عرفت أنه
 لا سبيل له إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض وإذا عرفت بهذا البرهان
 قصور عقله لم يبق معه إلا الاعتراف بأن الخالق أجل من أن يحيط به وصف الواسعين ومعارف العارفين
 بل يعلم أن في كل ما خلقه الله تعالى حكماً بالغة وأمراراً عظيمة ولا سبيل له إلى معرفتها فعند هذا يقول
 (ربنا ما خلقت هذا) أي المخلوق العجيب (باطلاً) أي بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة وهي أن
 تجعلها ساساً للكل الذين استغلوا بظاعتهم وتحرزوا عن معصيته وسدوا المعاش العباد ومناراً
 يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد (سبحانك) وهذا إقرار بعجز العقل عن الاطاحة بآثار حكمة
 الله تعالى في خلق السموات والأرض أي أن الخلق إذا تفكر وافي هذه الأجسام العظيمة لم يعرفوا منها
 إلا هذا القدر وهو أن خلقها ما خلقها بآبائهم بل خلقها الحكيم عجيبة وأمراراً عظيمة وإن كانت العقول قاصرة
 عن معرفتها (فتعذب النار) أي ادفع عنا عذاب النار لأنه جزء من عصي ولم يطع اعلم أنه تعالى لما
 حكي عن هؤلاء العباد المخلصين أن ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله وقولهم في
 التفكير دلائل عظمة الله ذكرهم مع هذه الطاعة يطلبون من الله أن يقيمهم عذاب النار لأنه يجوز على
 الله تعذيبهم لأنه لا يقع من الله شيء أصلاً (ربنا انك من تدخل النار فقد أخرجته) أي اهتته (وما للظالمين)
 أي الكافرين (من أنصار) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان
 أن آمنوا بربكم) أي سمعنا منادياً وهو كما قال محمد بن كعب القرآن المجيد يدعو الناس إلى الإيمان
 أي آمنوا بربكم (فآمنوا) أي فآمنوا بأمره وأجبنوا له (ربنا فاعف عننا ذنوبنا) أي كبرنا
 (وكفرنا سيئاتنا) أي صغائرنا وقيل المراد بالاول ما يزل بالتوبة وبالثاني ما تكفر بالطاعة العظيمة
 وقيل المراد بالاول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وبالثاني ما أتى به الإنسان مع جهله بذلك (وتوفنا)

مع الأبرار) أى على مثل أعمالهم لتكون في درجاتهم يوم القيامة أو المعنى توفنا على الإيمان واجمعنا مع
أرواح النبيين والصالحين (ربنا وأتينا ما وعدتنا على رسلك) والجار والمجرر متعلق بوعده تعالى
وعده تعالى تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤ كد محذوف أى وعدتنا وعدا كأننا على السنة
رسلك وقيل والمعنى وقتنا لأعمال التي نصير بها أهلا لوعده من الثواب وأجمعنا من الأعمال التي نصير
بها أهلا للعقاب والحرى (ولا نخزنا) أى لا نقصصنا (يوم القيامة نلك لا تخاف الميعاد) وهذا يدل على
أن المقتضى لحصول منافع الآخرة هو الوعد لا الاستحقاق وفي الآثار عن جعفر الصادق من حربه أمر
فقال ربنا خمس مرات أتجاء الله بما يخاف وأعطاه ما أراد واستدل بهذه الآية (فاستجاب لهم ربهم)
فما سألوهم من غفران الذنوب وأعطاهم الثواب (أنى لأضيع عمل عامل منكم) وقيل الجمهور بفتح
الهمزة وقيل أى بآنى بالباء التي للبيبة وقيل أى بآنى بضم الكسر الهمزة والمعنى أنى لا يبطل ثواب عمل
عامل منكم والمراد حصلت إجابة دعائكم في كل ما طلبتموه (من ذكر أو أنسى) فلا تفاوت في الإجابة
وفي الثواب بين الذكر والآنى إذا كانا في التسلك بالطاعة على السوية (بعضكم من بعض) أى بعضكم
كبعض في الثواب عن الطاعة والعقاب على المعصية (فالذين هاجروا) أى اختاروا والمهاجرة من
أوطانهم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأخرجوا من ديارهم) أى ألباهم الكفار إلى الخروج
من منازلهم التي ولدوا فيها (وأودوا في سبيلى) أى بسبب طاعتي ومن أجل ديني (وقاتلوا وقتلوا)
قرأناهم وعاصم وأبو عمرو وقاتلوا بالالف وقتلوا مخففة والمعنى قاتلوا العدو معه صلى الله عليه وسلم
حتى قاتلوا في الجهاد وقرأ ابن كثير وابن عامر وقاتلوا بالالف وقتلوا مشددة لتكرار القتل فيهم
وقيل معناه قطعوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا بغير ألف أولا وقاتلوا بالالف ثانيا أى قتلوا
وقد قاتلوا (لا كفرن عنهم سياتهم) ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله
والله عنده حسن الثواب) أى إن الله تعالى وعد من فعل ذلك بأمور ثلاثة أولها محو السيئات
وغفران الذنوب وذلك هو الذى طلبوه بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وثانيها إعطاء
الثواب العظيم وهو دخول الجنات وهو الذى طلبوه بقولهم وآتينا ما وعدتنا على رسلك وثالثها كون
الثواب مقررا وبالاعتظيم وهو المشار إليه بقوله تعالى من عند الله وهو الذى طلبوه بقولهم ولا تخزنا
يوم القيامة وقوله تعالى ثوابا بمصدر مؤ كد المعنى ما قبله لأن معنى مجموع قوله تعالى لا كفرن ولا دخلتم
لا يبينهم فكأنه قيل لا يبينهم آتاهم من عند الله وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب تأكيده لكون
الثواب في غاية الشرف روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله انى لم أسمع ذكر النساء في الهجرة فنزل قوله
تعالى فاستجاب لهم ربهم إلى هنا ولما قال بعض المؤمنين أن أعداء الله فيما ترى من الخير ونحن في الجهد
نزل قوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البسلا) أى لا تنظر إلى ما عليه الكفرة من السعة
ووفور الحظ ولا تغتر بظواهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع (متاع قليل) أى
ذلك الذى ترى من الخير منفعه يسيرة في الدنيا لا قدر لها في مقابلة ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال صلى
الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلم ينظر بهم رجوع رواه مسلم (ثم
مأواهم) أى مصيرهم (جهنم وبئس المهاد) أى بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم (لكن الذين اتقوا
ربهم) من الشرك والمعاصي وإن أخذوا في التجارة (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)
فلا يضرهم ذلك الكسب (نزلنا من عند الله) أى حال كون الجنات عطاءوا كراما من الله لهم كما وعد

الضياقة للضيف اكراما (وما عند الله) من الثواب الدائم (خير للابرار) أي للوحيد من عبادته قلب فيه الفجار في الدنيا من التساع القليل السريع الزوال (وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم) أي القرآن (وما أنزل اليهم) أي التوراة والانجيل قال ابن عباس وجابر وقتادة زلت هذه الآية في شأن أحمة النجاشي حين مات وأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بموته فقال النبي لأصحابه أخرجوا فاصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع وكشف الله له إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصرخ عليه واستغفر له فقال المنافقون انظر وإلى هذا يصلي على عبيد حبشي نصراني لم يرم قط وليس على دينه وقال ابن جرير وابن زيد زلت في حق عبد الله بن سلام وأصحابه وقال عطاء مزلت في حق أربعين رجلا من أهل نجران واثنتين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأصلوا وقال مجاهد زلت في حق مؤمنين أهل الكتاب كلهم (خاشعين لله) أي متواضعين لله في الطاعة (لا يشترطون بآيات الله غشا قليلا) أي لا يفتخرون بأمر الرسول ونعته كما يفعل غيرهم من أهل الكتاب لغرض الماكلة والرياسة (أوائل) أي المتصفون بصفات حميدة (لهم أجرهم عند ربهم) في الجنة (إن الله سريع الحساب) أي سريع لا يصال الأجر الموعود اليهم من غير حاجة إلى تأمل لكونه عالما بجميع الاشياء فيعلم الكل واحد من الثواب والعقاب (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشقة الاستدلال في معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات نحو الفلاسفة على مشقة أداء الواجبات والملة ودوبات وعلى مشقة الاعتزاز عن المنهيات وعلى شدة الدنيا من المرض والفقر والخوف (وصابروا) على تحمل المكاره الواقعة بينكم وبين غيركم فيدخل فيه تحمل الأخلاق الرديئة من أهل البيت والأقارب والجيران وزلة الانتقام عن أساءة والعفو عن ظلم والايثار على الغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والمصارعة مع المبتلين وحمل شبههم (ورابطوا) أي جاهدوا القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة من الشهوة والغضب والحرص والمعنى انتظروا المصلاة بعد الصلاة (وانتصروا الله) في مخالفة أمره وبتقوى الله يحصل دفع القوى الذميمة إلى القبائح والمنكرات (لعلكم تفهون) أي كي تتنظموا في زمرة الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل كرب فظهر أن هذه الآية مشتملة على علوم الأصول والفروع وعلى الحكم والأسرار

سورة النساء مدنية وآياتها مائة وست وسبعون وكلما لها ثلاثة آلاف

وخمس وأربعين حرفا وفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم) بالناسل (من نفس واحدة) أيكم آدم (وخلق منها) أي من نفس آدم (زوجها) أمكم حواء روى أنه تعالى لما خلق آدم رأسه كنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين المنام واليقظان خالق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت تقيمها كتمرتها وإن تركتها وفيها عوج استعنت بها (وبت منهما) أي نشر من تلك النفس وزوجها بطريق التوالد (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة روى ابن جرير عن ابن عباس أن بني آدم أصله أربعون في عشرين بطنًا فما حفظ من ذكورهم قابيل وهابيل وأباز وشبوبة وهند ومرائيس ولهور وسندوبارق وشيث ومن نساؤهم أفضة وأشوف وجرور ووزرا قال ابن عساکر وقد روى أن من بني آدم أصله عبدالمغيث

وتوأمته أمة المغنيت ورواها وسواها يعقوث ويعوق ونسرا وجميع أنساب بني آدم ترجع إلى شيث وسائر
أولاده انهم رضت أنسابهم من الطوفان (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) قرأها هم وحزرة
والكسائي تساءلون بالتحفيف والباطون بالتشديد وقرأ حمزة والأرحام بجر الميم والتقدير واتقوا
الله الذي تساءلون به وبالأرحام لأن العادة حرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيره بالرحم فيقول
أسألك بالله والرحم وربما أفرد ذلك فقال أسألك بالرحم وأما قراءة الأرحام بالنصب فعناء واتقوا الله بالترام
طاعته واجتناب معاصيه واتقوا الأرحام بوصفها عدم قطعها فيما يتصل بالبر والاحسان والاعطاء
أو يقال والرموا الأرحام وصلوها فقد دلت الآية على جواز المسئلة فيما بيننا بالله كقوله بالله أسألكم روى
بما حدث عن عرق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه (إن الله كان عليكم رقيبا)
أي حافظا طمعا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مریدا
لجواز أنكم على ذلك (وأقوا اليتامى) الذين بلغوا (أموالهم) التي عندكم وقال أبو السعود أي
لا تعرضوا لأموال اليتامى بسوء حتى تأتيتهم وتصل إليهم سالمة سواء أريد باليتامى الصغار وأما دم الصغار
والكبار (ولا تمدنوا الخديث بالطيب) أي لا تستبدوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلل الذي هو
مالك الذي أبيع لكم من المكاسب بأن تنفروا أموالكم وتاكلوا أموالهم (ولأننا كلوا أموالهم إلى
أموالكم) أي لأننا كلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالهم وأموالكم في
حل الانتفاع بها فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجوركم ونفقتكم (إنه) أي وأكل
مال اليتيم (كان حوبا كبيرا) أي ذنبا عظيما عند الله نزلت هذه الآية في رجل من غطفان
كان معه مال كثير لأن أخاه يتيم فلما بلغ طلب المال ففزعهم ففزعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الآية فلما سمعها لهم قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله
إليه (وان خفتهم) يا أولياء اليتامى (أن لا تقسطوا) أي أن لا تعدلوا (في اليتامى) إذا شككتهموهن
(فأنسكوا) غيرهن من الغرائب روى عن عروة أنه قال قلت لعائشة ما معنى قوله تعالى وان خفتهم أن
لا تقسطوا في اليتامى قالت يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فترغب في جمالها وأموالها ويريد
أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعله بأنه ليس لها من يذب عنها فأنهوا عن
نكاحهن إلا أن يقسطوا في الكمال الصداق وأمرها أن يتمكوا ما سواهن وقال الحسن كان الرجل من
أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها في تزوجها لأجل مالها وهي لا تهجبه وانما
تزوجها كراهة أن يدخل غريب في مشاركة في مالها ثم يسيى محبتها ويربص بها إلى أن تموت فورها
فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية وروى عن عكرمة أنه قال كان الرجل عنده نسوة وابتاعها فإذا
انفق مال نفسه على النسوة ولم يبق له مال وصار محتاجا أخذ في انفاق أموال اليتامى عليهم فقبيل لهم
لا تزيدوا على أربع فأنهم كانوا يتزوجون من النساء ما شاءوا نسعا وعشرا وكان تحت قيس بن الحرث
ثمان نسوة فحرم الله عليهم ما فوق الأربع أي وان خفتهم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتمهن
باسائة عشرة أو بنة من الصداق فأنسكوا (ما طاب لكم من النساء) أي فتزوجوا من استطابتها
نفوسكم ومالت إليها قلوبكم من الأجنبيةات (مثنى وثلاث ورباع) ولا تزيدوا على أربع (فان
خفتهم أن لا تعدلوا) بين هذه الأعداد في العجبة والنفقة كالم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد ولا تعدلوا في
حق اليتامى (فواحدة) أي فلو زموا أو فاختاروا واحدة وذر الجملع وقرى فواحدة بالرفع أي فكلفت

واحدة أو خمسكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أي من السراري فإنه لا قسمة لهن عليكم (ذلك أدنى
 أن لا تقولوا) أي اختيار الحرة الواحدة أو التصرى أقرب إلى أن لا تبطلوا ميسلا محظورا بالنسبة إلى
 ما عداهما والامر يدور مع عدم الجور لا مع تحقق العدل (وأتوا النساء) اللاتي أمرتم بشكاحهن
 (صدقاتهن) أي مهورهن (نحلة) أي فريضة من الله تعالى كما قاله ابن عباس وقنادة وابن جرير وابن
 زيد وأغافير والنحلة بالفريضة لأن النحلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب فقوله تعالى
 وأتوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن لأنهن شريعات ودين ومذهب وما هو كذلك فهو فريضة
 وانتصاب نحلة على أنها مفعول به أو حال من الصدقات (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) أي فإن وهبن
 لكم شيئا من الصدق بطيبة نفس من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن أو سوء
 معاشرتكم معهن (فكلوه) أي خذوا ذلك الشيء وتصرفوا فيه (هنيئا) أي حلالا بلائكم (مرثيا)
 أي بلاملامه وعن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى قضائه أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأبيا
 امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذللها (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
 رباها الأولياء لا تؤتوا المذيرين من اليتامى الذين يكونون تحت ولايتكم أموالهم التي في أيديكم التي
 جعل الله الأموال معاشكم أي لا يحصل معاشكم إلا بهذا المال مخافة أن يضيعوها وأضاف الله المال
 إلى الأولياء من حيث أنهم ملكوها التصرف فيه لا لأنهم ملكوها المال ويكفي حسن الإضافة أدنى سبب
 (وارزقوهم فيها) أي انفقوا عليهم (واكسوهم) وأما قال الله فيها ولم يقل منها لئلا يكون ذلك
 أمرا يجعل بعض أموالهم رزقا لهم بل أمرهم بأن يجعلوا أموالهم مكانا رزقهم وكسوتهم بأن يتجرروا
 فيها ويشروها فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول المال (وقوزا لهم قولا معروفا) أي جليلا
 وهو كل ما سكت إليه النفس من قول لحسنه شرعا أو عقلا كأن يقول الولي للصبي مالك عندي وأنا آخا زنه
 فإذا أرشدت سلمت إليك أموالك (وابتأوا اليتامى) أي واختبروا من لا يتبين منهم السفه قبل البلوغ في
 دينهم وتصرفهم في أموالهم بما يليق بحالهم بأن تجربوا أولاد الناجر بالبيع والشراء والمعاكسة فيهما
 وولد الزراع بالرعاة والنفقة على القوام بها والاختصاص فيما يتعلق بالغزل والعطن وصون الأطعمة عن الهرة
 ونحوها وحفظ متاع البيت وولد الأمير ونحوه بالاتفاق مدة في خبز وما ولحم ونحوها قال أبو حنيفة رضي
 الله عنه تصرفات الصبي العاقل المميز بأذن الولي صحيحة لأن قوله تعالى وابتأوا اليتامى أمر الأولياء بأن
 يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضي صحة تصرفاتهم وقال الشافعي ولا يصح عقد الصبي
 المميز بل يتحقق في المعاكسة فإذا أراد العقد عقد الولي لأنه لا يجوز دفع المال إليه حال الصغر فثبت عدم
 جواز تصرفه حال الصغر (حتى إذا بلغوا النكاح) أي إذا بلغوا مبلغ الرجل الذي يلزمه الحدود
 وذلك بأن يحتلموا وانغموا في الاحتلام يبلوغ النكاح لأنه انزال الماء الدافق الذي يكون في الجماع (فإن
 أنستم) أي عرفتم (منهم رشدا) أي اهتدأوا إلى وجوه التصرفات من غير تبذير وتعجز عن خديعة الغير
 (فادفعوا إليهم أموالهم) التي عندكم من غير تأخر عن حد البلوغ وقرئ رشدا بفتح السين ورشدا
 بضم السين وعند الشافعي يعتبر مع مصلح المال صلاح في الدين بأن لا يرتكب كبيرة ولا يصير على صغيرة
 وعند أبي حنيفة هو غير معتبر وفائدة هذا الخلاف أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأبا حنيفة لا يراه
 (ولا تأكلوها) أي أموال اليتامى أيها الأولياء (أمرا قابلا) أي مسرفين بغير حق ومبشرين
 إلى انفاقها (أن يكبروا) أي مخافة كبرهم فيمنعوكم عن ذلك وتقولون لنفق كما تستهين

فصل أن يكبر اليتامى فينزعوها من أيدينا (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (غنيا) عن مال
اليتيم (فليستعفف) أي فليستز عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء
على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيرا) محتاجا (فليأكل بالمعروف) أي بقدر حاجة
خدمته لليتيم وحمله في مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف أي بالقرض ثم إذا أيسر قضاءه وإن مات ولم
يقدر على القضاء فلا شيء عليه وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية وهذا القرض في أصول
الأموال أما نحو أولئك المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فباح لنحو الوصي إذا كان غيره مضر
بالمال وهذا قول أبي العالية وغيره (فإذا دفعتم إليهم) أي اليتامى (أموالهم) بعد البلوغ
والرشد (فأشهدوا) ندبا (عليهم) عند الدفع فإن الأشهاد أبعدهم من الخصومة ولو ادعى الوصي بعد
بلوغ اليتيم أنه قد دفع المال إليه أو قال أنفقته عليه في صغره فقال مالك والسافعي لا يصدق وقال أبو
حنيفة يصدق مع العين وقال السافعي القيم غير مؤتمن من جهة اليتيم وإنما هو مؤتمن من جهة الشرع
(وكفى بالله حسيبا) أي شهيدا روى أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاءه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابن أخيتيم في حجرى فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله فأترل الله قوله تعالى وابتلوا
اليتامى إلى هنا (لأرجال نصيب) أي لأولاد والأقرباء المذكور صغارا أو كبارا حظ (عما ترك
الولدان والأقربون) المتوارثون منهم (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي المتوفون
(مما قل منه) أي عما تركوه (أو أكثر) وأتى بهذه الجملة لتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل
ما حل ودق ولدفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال (نصيبا
مفروضا) أي أعني نصيبا مقدرا مقطوعا بتسليمه إليهم فالوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
بالأعراض وهذا إبطال لحكم الجاهلية فإنهم لا يورثون النساء والأطفال ويقولون اغتارث من طاعن
بالزواج وإذا دعت الحوزة فمأزاة الغيبة وذكر الله في هذه الآية أن الإرث أمر مشترك فيه بين الرجال
والنساء ثم ذكر التفصيل في قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة
(أول القربى) أي قرابة الميت الذي ليس بوارث (واليتامى) أي يتامى المؤمنين (والمساكين) أي
مساكين المؤمنين من الأجانب (فأرزقوهم منه) أي أعطوهم من المال المقسوم شيئا قبل القسمة
(وقولوا لهم قولا معروفا) وهذا الاعطاء مندوب إذا كانت الورثة كبارا أما إذا كانوا صغارا فليس
على الولي إلا القول المعروفى كان يقول أني لأملك هذا المال اغتاهول هؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون وإن
يكبروا فسيعرفون حقكم أو يقول سأوصيهم ليعطوك شيئا (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم) أي وليخش الذين يحضرون المريض على أولاد المريض إن تركوا بعدهم وتهم أولاد
صغارا خافوا عليهم الضياع وهذا خطاب مع الذين يجلسون عند المريض فيقولون إن ذريتنا لا يغنون
عنا من الله شيئا فأوص بما لك لفلان وقلان ولا يرأون بأمره بالوصية إلى الجانب إلى أن لا يبقى من ماله
لورثة شيء أصلا وحاصل الكلام أن لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضى لأخيك المسلم عن أنس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (فليتقوا الله) في أمر
اليتامى (واليقولوا قولا سديدا) أي عسلا إذا أرادوا بيع غيرهم على فعل بأن يقولوا لليتامى مثل
ما يقولون لأولادهم بالسفقة والتأديب ويخاطبونهم بقولهم يا ولدي يا بني وبأن يقولوا للمريض إذا أردت
الوصية فلا تسرق في وصيتك ولا تتجفف بأولادك ولا تؤيد كرمه التوبة وكلمة الشهادة وبأن يلطف الورثة

القول للناظرين الذين لا يرون حال قسمة الميراث (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى على وجه الغصب (انما يأكلون في بطونهم نارا) أى حراماً يؤدى الى النار أو يقال يجعل الله في بطونهم نارا يوم القيامة بأن يخلق الله لهم نارا يأكلونها في بطونهم (وسيصلون سعيراً) أى سيدخلون ناراً وقد لا يعرف غاية شدتها الا الله تعالى قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وسيصلون بضم الياء والباقون بالفتح وقرئ ساذة بضم الياء ونشد باللام نزلت هذه الآية في شأن حنظلة بن شمر دل وقيل في شأن رجل من غطفان يقال له مرتد بن زيدولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله (بوصيةكم الله في أولادكم) أى بين الله لكم في ميراث أولادكم بعدهم وتكم * روى عطاء قال استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وأماً وأخاً فآخذ الأخ المال كله فأتت المرأة وقالت يا رسول الله هاتان ابنتاه سعدان سعدا قتل وأن محهما أخذ ما لمهما قال صلى الله عليه وسلم أرجعى ففعل الله سيقضى فيه ثم انهما أدت بعد مدة وبكت ففزلت هذه الآية فعد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم عهما وقال اعط ابنتى سعدا الثلثين وأمهما الثلث وما بقى فهو لك فهذا أول ميراث قسم في الاسلام (لأنكم مثل حظ الأنثيين) أى إذا خلف الميت ذكر أو احداً وأنثى واحدة فلأن ذكر سهمان والأنثى سهم واحد إذا كان الوارث جماعة من الذكور وجماعة من الإناث كان لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم واحد إذا كان مع الأولاد أبوان أو أحد الزوجين فالباقي بعد سهام الأبوين وأحد الزوجين بين الأولاد فإذا كان مثل حظ الأنثيين (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك) أى فإن كانت بنات الصلب نساء مخلصات بنين أو أكثر فلهن النساء ثلث ما ترك المتوفى (وإن كانت) أى الوارثة بنتان (واحدة فلهما النصف) وقرأنا نافع واحدة بالرفع فكأن ثمة (ولأبويه) أى الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك) أى الميت (إن كان له ولد) ذكر أو أنثى أى فإن كان مع الأبوين ولد ذكر أو بنتان فأكثر فلكل واحد من الأب والأم السدس وإن كان معها بنت فلهما النصف واللام السدس والأب السدس بحكم هذه الآية والسدس الباقي للأب أيضاً بحكم التعصيب (فإن لم يكن له) أى الميت (ولد وورثته أبواؤه فلا له الثلث) وذلك لفرض لها والباقي للأب فإذا أخذ السدس بالفريضة والنصف بالتعصيب وإذا انفرد أخذ كل المال كما هو شأن العصبية وإذا ورثته أبواؤه مع أحد الزوجين فلا له ثلث ما يبقى بعد فرضه والباقي للأب خلافاً لابن عباس فإن للام ثلث الكل عنده ووافقه ابن سيرين في الزوجة وخالفه في الزوج لأن الثابت فيه يقضى الى كون نصيب الأنثى مثل نصيب الذكرين (فإن كان له) أى الميت (أخوة) أخوات فصاعد من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما ذكر أو أنثى ثلاثاً وارثون أو محجوبون الأب (فلا له السدس) والباقي للأب ولا ثمناً للأخوة وأما السدس الذى يحجبها عنه فهو للأب عند وجوده ولهم عند عدمه (من بعد وصية) أى هذه الأنصبة للورثة من بعد إخراج وصية (بوصية بها أو دين) وذلك لأن أول ما يخرج من التركة الدين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق فأما إذا لم يكن دين أو كان الا أنه قضى وفضل بعد شيء فإن أوصى الميت بوصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله تعالى قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بوصى بفتح الصاد وقرأنا نافع وأبو عمرو وحزرة والكسائي بكسر الصاد (آبأؤكم وأبناؤكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نعماً) والمعنى ان قسمة الله لهذه الموارث أولى من القسمة التى تميل اليها طبايعكم (فريضة من الله) أى فرض ذلك فريضة وهذا إشارة الى وجوب الانتفاء لهذه القسمة التى قدرها الشرع وقضى بها (إن الله كان عليماً) أى بالصالح والرتب (عليها) فى كل ما قضى وقد روى ابن عباس ان الله لم يشفع

المؤمنين بعضهم في بعض فأطوعكم الله تعالى من الأبناء والآباء أرفعكم درجة في الجنة وإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده بمثلته ليقر بذلك عينه وإن كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله إليه ولده ولذا قال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا إن أحد المتوالدين لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) من المال (إن لم يكن لهن ولد) ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن (فإن كان لهن ولد) وارث واحد أو متعدد (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) أي هذه الأنصبة إنما تدفع إلى هؤلاء إذا فصل عن وصية (بوصيتين هما أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليهن (ولهن الربع مما تركتم) من المال (إن لم يكن لكم ولد) ذكر أو أنثى منهن أو من غيرهن والباقي لبقية ورثتهن من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الأرحام أوليت المال إن لم يكن لكم وارث آخر أصلا (فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركتم) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أودين) أي أو من بعد قضاء دين عليكم من المال (وإن كان رجل) أي ميت (يورث كلاله) أي لا ولده ولا ولد (أو امرأة) أي أو كانت امرأة تورث كلاله (وله) أي الميت (أخ أو أخت) من أمه فقط (فلكل واحد منهما) أي الأخ والأخت (السدس) من غيرته فضيل للذكر على الأنثى لأن الأدلاء إلى الميت ببعض الأنثى (فإن كانوا) أي من يرث من الأخوة من الأم (أكثر من ذلك) أي من الواحد (فهم) أي الزائد على الواحد كيما كانوا (متركا في الثلث) فإذ كروا لأنثى فيه سواء والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات (من بعد وصية وصى بها أودين غير مضاف) للورثة بأن يوصى بأكثر من الثلث أو يقرب كل ماله أو ببعضه لاجنبي أو يقر على نفسه يدين لأحقيقه أو يقر بأن الدين الذي له على الغير قد وصل إليه أو يبيع شيئا بغيره أو يشتري شيئا بغيره غال أو يوصى بالثلث لغرض تنفيض حقوق الورثة (وصية تمن الله) أي فريضة تمن الله عليكم في قسمة الموارث وقيل المعنى وصية من الله بالآلاد وأن لا يدعمهم عانة يتكفون وجوه الناس بسبب الأسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضاف وصية بالاضافة (والله عليم) بمن جاز أو عدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة فلا يفر بالأمهال (تلك) أي شؤون الأيتام وأحكام الأنسحة وأحوال الموارث (حدود الله) أي أحكام الله (ومن يطع الله ورسوله) في جميع الأوامر والنواهي (يدخله جنات) نصب على الظرفية عند الجهور وعلى المنعولية عند الاختف (تجوز من تحتها الأنهار خالدين فيها) حال من الماء في يدخله وهي حادثة على من وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى فلها صم الوجهن (وذلك) أي دخول الجنات على وجه الجنود (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ومن يعص الله ورسوله) ولو في بعض الأوامر والنواهي (ويتعد حدوده) أي يتجاوز أحكامه بالجور وقال الكلبي أي ومن يكفر بقسمة الله الموارث ويتعد حدوده استعلا لا وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى (يدخله ناراً) أي عظمة هائلة (خالداً فيها وله عذاب مهين) أي وله مع عذاب الحريق الجسهاني عذاب شديد روحاني وقرآن فاع و ابن عامر تدخله بنون العظمة في الموضعين والباقيون بالياء (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من أزواجكم المحصنات فاطلبوا أن يشهد عليهن بفعله أربعة من رجال المؤمنين وأمرهم وقرئ بالفاحشة (فإن شهدوا) عليهن بذلك كما ينبغي (فأمسكوهن في

البيوت) أي يخلدوهن محبوسات في بيوتكم (حتى يتوفاهن الموت) أي إلى أن يأخذهن الموت
 ويستوفي أرواحهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) أي أو إلى أن يشرع لهن حكما خاصا بهن ثم قال النبي
 صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا النيب ترجم والبكر تجلد وتنفى (واللذان
 يأتيان منكم) أي البكران اللذان يأتيان الفاحشة من أحراركم (فأذوهما) بالتهديد والتعكير كأن
 يقال بشئ ما فعلتما وقد تعرضت العقاب الله ومخطئه وأخرجتما أنفسكما عن اسم العداوة ويخوف بالرفع إلى
 الإمام وبالحد وقرآن كثير والذان بتشديد النون (فان تابا) عما فعلتا من الفاحشة بعد زواج الازدية
 (وأصحا) أي هما فيما بينهما ما بين الله (فأعرضوا عنهما) أي أتركوا لئلا يذمهما (إن الله كان
 نوابيا) أي كثيرا القبول للتوبة عن تاب (رحيما) أي واسع الرحمة وقد نسخ الآية بالاسان للنفى والفتاة
 يجلد ما توفى أو مسلم الأصغها في المراد بقوله تعالى واللات يأتيان الفاحشة السحاقيات وحدهن الحبس
 إلى الموت أو إلى أن يسهل الله لها قضاء الشهوة بطريق النكاح والمراد بقوله تعالى واللذان يأتيانها
 منكم أهل الاواط وحدهما الذي بالقول والفعل (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أي
 انما التوبة التي يجب على الله قبولها وجوب الكرم والفضل لا وجوب الاستحقاق للذين يعملون المعصية
 مع عدم علمهم بانها معصية لكن يمكنه تحصيل العلم بانها معصية (ثم يتوبون من قريب) أي من زمان
 قريب وهو ما قبل معانته سبب الموت وأهوانه (فأولئك يتوب الله عليهم) أي يتجاوز الله عنهم (وكان
 الله عليما) بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه (حكيم) بأن العبد لما كان
 من صفته ذلك ثم تاب قبل سوق الروح فانه يجب في الكرم والاحسان قبول توبته (وليس التوبة
 للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) أي وليس قبول التوبة للذين
 يعملون الذنوب إلى حضور موتهم أي علامات قربه وقواهم حينئذ إني تبت الآن ولذلك لم ينفع إيمان
 فرعون حين أدركه الغرق وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم
 يغرغر أي ما لم تردد الروح في حافة وقال عطاء ولوقبل موته بفراق الناقة وعن الحسن إن إبليس قال
 حين أهبط إلى الأرض وعز ذلك لأفارق ابن آدم مادامت روحه في جسده فقال الله وعزقي لا أخلق عليه
 باب التوبة ما لم يغرغر (ولا الذين يوتون وهم كفار) أي وليس قبول التوبة للذين يوتون على الكفر إذا
 تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب (أولئك) أي الكفار (أعتدنا لهم عذابا أليما) بيان لكونهم
 مختصين بسبب كفرهم بزيادة العقوبة والاذلال ترأت هذه الآية في حق طعنة وأصحاب الذين ارتدوا قاله
 ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) أي عيبن النساء (كرها) أي لا يحل
 لكم أن تأخذوهن بطريق الارث وهن كارهات لذلك أو كرهات عليه ترأت هذه الآية في حق أهل
 المدينة كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام إذا مات الرجل وكانت له زوجة جاء ابنه من غيرها أو بعض
 أقاربه فالتقوا توبه على المرأة وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصارت أحق به من سائر الناس ومن نفسها
 فإن شاء تزوجها بغير صداق وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا فأنزل
 الله تعالى هذه الآية فقرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وكذا في التوبة وفي الاحقاف وقرأ أصم
 وابن ذكوان عن ابن عامر في الاحقاف بالضم والباءون بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في
 جميع ذلك قال الغراء الكره بالفتح الا كراه وبالضم المشقة فأكره عليه فهو كره بالفتح وما كان من قبل
 نفسه فهو كره بالضم (ولا تعضلوهن) أي وكذلك لا يحل لكم بعد التزوج من الحبس والتصديق (لتذهبوا

بعض ما آتوهن) من المهر (الأن يأتين بفاحشة مبينة) وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم يفتح
 الياء والباقون بالكسر أي بيينة القبح من التشويز وشكاسة الخلق وايداه الزوج وأهله بالبداه
 والسلطة ويذل عليه قراءة أبي بن كعب الآن يفحش عليكم والمعنى لا يحل لكم أن تضيقوا الأمر
 عليهن لعل من العلل إلا تيمان بالشويز فإن السبب حينئذ يكون من جهن فقد عذرت في طلب الخلع
 (وعائروهن بالمعروف) أي النصفة في البيت والنصفة والاحمال في القول (فإن كرهتهن فمسي
 أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أي فإن كرهتهن فمسيهن فأمسكوهن بالمعروف
 ولا تغارقوهن بمجرد كراهة النفس من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك فقد قربت كراهتكم شيئا
 أي محبة معهن مع كون الله جعل في محبتهم خيرا كثيرا كحصول ولد فتقلب الكراهة محبة وكاستحقاق
 الثواب الجزيل في العقبى والثناء الجليل في الدنيا لا تغاف عليهن والاحسان اليهن على خلاف الطبع
 (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي وإن أردتم تزوج امرأتهم غيبوا بغير إقرارهن
 عنها بأن أردتم أن تطلقوها (وآتيتم أحدا منكم طارا) أي وقد أعطيتكم إحدى الزوجات التي تريدون
 أن تطلقوها ما لا كثيرا من الصداق (فلا تأخذوا منه) أي من ذلك القطار (شيئا) أي يسيرا أي
 إن كان سوء العشرة من قبل الزوج كرهته أن يأخذ شيئا من مهرها ثم إن وقعت المخالعة ملك الزوج بذل
 الخلع وإن كان من قبل المرأة فيجوز أخذ بدل الخلع (أخذونه) أي المهر (بماتا) أي ظلمنا (وإنما
 مبينا) أي حراما بينا أي أن أخذ المال طعن في ذاتها وأخذ المال طعن في وجهه وظلم من وجه
 آخر فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر وروى ابن جرير إذا مال إلى الزوج بأمرأة أخرى
 رمى ذوجه نفسه بالفاحشة حتى يلطمها إلى الاقتداء منه بما أعطاه المصرفه إلى تزوج المرأة التي يريدها
 (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أي ولا يري وجهه تأخذون المهر وقد أجمعتم في لحاق
 واحد فأنها قد بذلت نفسها لك وجعلت ذاتها لذلك وتمتعوا وحصلت الالفه التامة ينسكاف كيف يليق
 بالعاقل أن يستردها شيئا فهذا لا يليق به طبع سليم وذوق مستقيم (وأخذ منكم ميثاقا غليظا)
 قال ابن عباس ومجاهد وهو كلمة النكاح المعقودة على الصداق وتلك الكلمة كلمة تستحل بها فروج
 النساء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة
 الله وهذا الاستناد مجاز عقلي من الاستناد للسبب لأن الأخذ للعهد حقيقة هو والله لكن يولغ فيه حتى جعل
 سكتهم الأخذات له أي وقد أخذ الله عليكم العهد بسببهم (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا
 ما قد سلف) أي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قدم في قبل زول
 آية التخييم فإنه معفو عنه ويقال ولا تنكحوا نكاح آباؤكم فإن أنكحتمهم كانت بغيرولي وشهود
 وكانت موقنة وعلى سبيل القهر وهذا الوجه منقول عن محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية وقيل
 المعنى لا تزوجوا امرأتها أو طهرها آباؤكم بالزنا إلا ما قد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بأمرأة فإنه يجوز
 للابن تزوجها كما نقل هذا المعنى عن ابن زيد وكأقال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يزوج بغيره أبيه هذه
 الآية وقال الشافعي لا يحرم (أنه) أي نكاح نساء الآباء (كان فاحشة) أي في الجاهلية لا زواجها لاب
 تشبه الأم فكانت مباشرة من أخش الفواحش (ومقتا) أي عمتا عند ذوى المرات من الجاهلية
 وغيرهم وكانت العرب تقول تولد الرجل من امرأة أبيه مقتي (وساء سيلا) أي بئس مسلكا نزلت
 هذه الآية في حق محسن بن قيس الأنصاري وأعلم أن مراتب القبح ثلاثة القبح في العقول وفي الشرائع

وفي العادات فقوله تعالى انه كان فاحشة اشارة الى القبح العقلي وقوله تعالى ومما اشارة الى القبح الشرعي وقوله وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح (حرمت عليكم امهاتكم) بن النسب (وبناتكم) من النسب (وأخواتكم) من النسب من أى وجه يكن (وعمتكم) أى أخوات آبائكم (وخالاتكم) أى أخوات أمهاتكم (وبنات الاخ) من النسب من أى وجه يكن (وبنات الاخت) من النسب من أى وجه يكن (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) في الحولين خمس رضعات متفرقات عند الشافعي وابن حنبل وقال أبو حنيفة ومالك يحصل التحريم بحصة واحدة رافقا للادرأعي ولسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك كقول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب (وأخواتكم من الرضاعة) وهي من أرضعتها أمك أو أرتضعت بابن أيسك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها العمل (وأمهات نسائكم) من نسب أو رضاع سواء دخل بزوجه أم لا (وربائكم اللاتي في حجوركم) أى بنات نسائكم اللاتي ربيتم في بيوتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أى جامعتهن سواء كان ذلك بعقد صحيح أو فاسد (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح الربائب بعد طلاق أمهات أو وتهما (وحلائل آبائكم الذين من أصلابكم) أى ونساء آبائكم الذين من أولاد فراسكم دون نساء أولاد الادعياء قال الشافعي لا يجوز للاب أن يتزوج بجارية ابنته لأنها حليته وقال أبو حنيفة يجوز وانفقوا على أن حرمة التزوج بحليلة الابن تحصل بنفس العقد كما أن حرمة التزوج بحليلة الأب تحصل بذلك (وأن تحمعوها بين بن الأختين) بالنكاح وبالوطء في ملك الميم لاني نفس ملك الميم قال الشافعي نكاح الأخت في عدة الأخت البائن جائز لأنه لا يوجد الجمع وقال أبو حنيفة لا يجوز (الأمائدسلف) أى قدمضي في الجاهلية فإنه مغفور لکم (إن الله كان غفورا) فيما كان منكم في الجاهلية (رحيما) أى فيما يكون منكم في الاسلام إذا تبتم (والمحصنات من النساء) الامام ملكت أيمانكم) أى وحرمت عليكم نكاح ذوات الأزواج كائنات من جميع النساء الامام ملكت أيمانكم من السبا يا فانهن حلال لكم بعد ما استبرأتم أرحامهن ببيعة وان كان أزواجهن في دار الحرب واختلف القراء في كلمة المحصنات سواء كانت معرفة بالأم نكرة فقرأ الجمهور بفتح الصاد والكسائي بكسر هاء في جميع القرآن الا التي في هذه الآية فانهم أجمعوا فيها على الفتح والمعنى أحصنهن الأزواج بالتزوج أى أعفوهن عن الوقوع في الحرام والاوليا أعفوهن عن افساد بالتزويج وهن محصن أزواجهن عن الزنا ويحصن فروجهن عن غير أزواجهن بعفافهن (كتاب الله عليكم) أى كتب عليكم تحريم ما تقدم ذكره من المحرمات كتابا من الله أو المعنى الزموا كتاب الله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأحل لكم بالبناء للمفعول عطف على قوله حرمت عليكم والباقيون وأحل بالبناء للمفعول عطف على كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم هذه الاشياء وأحل لكم ما وراءها وحل أن تبتغوا رفع على المبدل من ما على القراءة الاولى ونصب على القراءة الثانية وقوله محصنين حال وقيل خبر كان الناقصة والمعنى وأحل لكم ما سوى المحرمات المعدودة أن تطلبوا النساء بصرف أموالكم في المهور والأمان على طريق النكاح الى الأربع أو التسرى للامام حال كونكم متعفين عن الزنا وغير زانين وهذا تكرير لئلا كيد وقيل المعنى كونوا مع النساء متزوجين أو متسررين (فما استغنتم به منهن فآتوهن أجورهن) أى فإى فعل استغنتم به من جهة المتكسرات من جماع أو عقد فاعطوهن مهورهن لأجله بالتام ان استغنتم بالدخول ولو مرة وبالنصف ان استغنتم بعقد النكاح (فريضة) أى حال كون أجورهن مقروضة

من الله عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) أي لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها
 أو تهب الزوج للمرأة المطلقة قبل الدخول تمام المهر أو فيما تراضيتن به من نفقة ونحوها (من بعد الفريضة)
 أي من بعد ذكر المهر المعين (ان الله كان عليما) بمصالح العباد (حليما) فلا يشرع الاحكام الا
 على وفق الحكمة وذلك بوجوب التسليم لا وامره والاقتياد لاحكامه (ومن لم يستطع منكم) أيها الاحرار
 (ما ولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) أي الحرائر (فما ملكت أيمانكم من قبيحة كن المؤمنات) أي من ايمانكم
 المؤمنات فقولته تعالى أن ينكح اما مفعول اطولا واما بدل منه واما مفعول لم يستطع واما مفعول وكذله
 لانه معناه اذا استطاعت هي الطول أي الفضل والزيادة في المال أو غير أي ومن لم يستطع منكم زيادة
 في المال يبلغها نكاح الحرائر فليكن الاماء أو المعنى ومن لم يستطع منكم استطاعة نكاحهن أو المعنى
 ومن لم يستطع منكم من جهة سعة المال لا من جهة الطبيعة نكاح الحر فليكنكم الامة لانها في العادة
 تخفف مهرها ونفقتها الاشياء الخادمة السيد بخلاف الحررة الفقيرة وقيل لمرأة الخديشة السن فتاة
 وناغلام فتى والامة تسمى فتاة سواء كانت عجوزا أم شابة لانها كالاشابة في أنها لا توفّر توقير الكبير وقال
 مجاهد وسعيد والحسن ومالك والشافعي لا يجوز زواج بالامة الكتابية سواء كان الزوج حرا أو عبدا
 وقال أبو حنيفة يجوز (والله أعلم بايمانكم) أي انه تعالى أعلم منكم بعبادتهم في الايمان فرب أمة
 يفوق ايمانهم الايمان الحرائر فاعلموا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بنظر الامر والله يتولى
 السرائر والحقائق (بعضكم من بعض) أي كلكم مشتركون في الايمان وهو أعظم الفضائل فاذا
 حصل الاشتراك في ذلك كان التفاوت فيما ورع غير معتبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
 قال ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الانساب والغير بالاحساب والاستسقاء بالانواء (فانكحوهن
 باذن أهلهن) أي سيدهن (وأتوهن أجورهن بالمعروف) أي اعطوهن مهرهن على العادة الجميلة
 عند المطالبة من غير مطل (محصنات) أي عفاف عن الزنا وهي حال من مفعول فانكحوهن (غير
 مسالحات) أي غير مؤجرات نفسهما مع أي رجل أرادها (ولا تمخذات أخذان) أي غير متخذات
 أخلاص معينين يرتون بهن أسرا (فاذا أحصن) أي زوجن وقراء حرة والكسائي وأبو بكر البناء للفاعل
 أي أسلمن كما قاله عمرو بن مسعود والشعبي والنخعي والسدي (فان أتين بفاحشة) أي وإن فعلن زنا
 (فعلين نصف ما على المحصنات) أي فثبت عليهن شرعاً نصف ما على الحرائر لا بكار (من العذاب)
 أي الحد فيجلدون خمسين ويغفرن نصف سنة كما هو كذلك قبل الاحصان وهذه الآية بيان عدم تفاوت
 حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فتخفيف الحد المرق (ذلك) أي نكاح الاماء حلال (لمن خشي
 العنت منكم) أي الضرر الشديد في العزوبة بالشبق الشديد فانه قد يعمل على الزنا وقد يؤدي بالانسان
 الى الامراض الشديدة (وأن تصبروا) عن نكاح الاماء (خير لكم) لما في نكاحهن من تدمير الولد
 للرق (والله غفور رحيم) بأباحتهم لكم في نكاح الاماء وان كان يؤدي الى ارقاق الولد مع أن هذا
 يقتضي المنع منه لاحتياجكم اليه فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة (يريد الله ليبين لكم) ما هو خفي
 عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أي يرشدكم طرائق الانبياء
 والصالحين لتقتدوا بهم فكل ما بين الله تعزيبه وتحليله لنا من النساء كان الحكم كذلك في جميع الشرائع
 والمثل (ويتوب عليكم) اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التفسير في مراعاة الشرائع (والله عليم)
 بأحوالكم (حكيم) في كل ما يفعله بكم ويحكم عليكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أي أن يتجاوز

عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات من الاب (ويريد الذين يتبعون الشهوات) في نكاح
 الاخوات من الاب وهم اليهود وفي الزنا هم الفجرة (أن تعملوا ميعلا عظيما) بموافقتهم على استحلال
 المحرمات في قول اليهود ان نكاح الاخوات من الاب حلال في كتابنا وعلى اتباع الشهوات فان الزاني
 يحب ان يشركه في الزنا غيره ليتفرق اللوم عليه وعلى غيره (يريد الله أن يخفف عنكم) في جميع
 أحكام الشرع كما يباح نكاح الامة عند الضرورة (وخلق الانسان ضعيفا) أي عاجزا من
 مخالفة هواه غير قادر على مقاومة دواعيه حيث لا يصبر عن النساء وعن اتباع الشهوات ولا يستخدم
 قواه في مشاق الطاعات ولذلك خفف الله تكليفه وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء الفاعل
 والضمير لله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي بما يخالف الشرع
 كالغصب والبرقة والخيانة والفساد وعقد الرابطة الزور والحلف الكاذب ومحمد الحق (الا
 أن تكون تجارة عن تراض منكم) قرأ عاصم وحزرة والكسائي تجارة بـ نصب أي لا يأكل كل بعضكم
 أموالا بغير طريق شرعي بل كلوا بان تكون الاموال تجارة صادرة عن تراض منكم والباقيون بالرفع أي
 لكن بان توجد تجارة عن طيب نفس (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا تقتلوا ما استحققت به القتل من قتل
 المؤمن بغير حق والردة والزنا بعد الاحصان (ان الله كان بكم رحيمًا) حيث نهاكم عن كل ما تستوجبون
 به مشقة (ومن يفعل ذلك) أي ما نهى عنه من قتل النفس وغيره من المحرمات (عدوانًا) أي افرطًا
 في مجاوزة حد الحلال (وظلما) أي اتيانا بما لا يستحقه (فسوف نصليه) أي ندخله (نارا) هائلة
 شديدة العذاب (وكان ذلك) أي أصلاؤه النار (عملى الله يسيرا) أي هينا (ان تفتنبوا بآثار
 ما تنهون عنه) في هذه السورة (نكفر عنكم سيئاتكم) أي صفاتكم من جماعة الى جماعة ومن
 جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان (وندخلكم) في الآخرة (مدخلا كريما)
 قرأ نافع بن قيس الميم والباقيون بالضم أي موضع واحد سناوهوا الجنة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم
 على بعض) قال ابن عباس لا يتنى الرجل مال غيره ودابته وامرأته ولا شيئا من الذي ثبت له كالجماع
 وغير ذلك مما يحسد فيه التنافس وذلك هو الحسد المذموم لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى
 صادرة من حكمته وتدبيره لا تقبأ بحال العباد متفرع على العلم بجلال شؤنهم ودقائقها واسألوا الله من
 فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله وأخبرنا منه مع التقوى ويضرب وقال زلت هذه الآية في حق أم سلمة زوج النبي
 صلى الله عليه وسلم لقولها للنبي ليت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما يؤجر الرجال
 فنهى الله عن ذلك وقال ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم أي الرجال على بعض أي النساء من الجماعة
 والجمعة والجهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بين الله تعالى ثواب الرجال والنساء باكتسابهم
 فقال (للرجال نصيب) أي ثواب (عما اكتسبوا) أي الجهد والجهاد والنفقة على النساء (وللنساء
 نصيب) أي ثواب (عما اكتسبن) من الخسوف بيوتهن كحفظ فروجهن وطاعة الله وزواجهن
 رقيامهن بمصالح البيت من الطبخ والخبز وحفظ الثياب ومصالح المعاش وكالطلاق والارضاع (واسألوا
 الله) قرأ ابن كثير والكسائي وسألوا الله بغير همز (من فضله) أي وأسألوا الله ما احتجتم اليه يعطكم
 من خزائنه التي لا تنفذ قال الفخر الرازي قوله تعالى وأسألوا الله من فضله تنبيه على ان الانسان لا يجوز له
 ان يعين شيئا في الطلب والدعاء ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سبيلا صلاحه في دينه ودنياه على
 سبيل الاطلاق اه وقد جاء في الحديث لا يضمن أحدكم مال أخيه ولكن ليقتل الله ما ارزقني الله

اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسئل وأفضل العبادة انتظار الفرج (إن الله كان بكل شيء عليمًا) ولذلك جعل الناس على طبقات فرفع بعضهم على بعض درجات أي فإنه تعالى هو العالم بما يكون صلاحًا للساكنين فليقتصر السائل على أن يجعل وليحترز في دعائه عن التعيين فربما كان ذلك محض القصد والضرر (ولسكل جعلنا موالى عمارك الوالدان والاقربون) أي والسكل تركه جعلنا أو رتبة متفاوتة في الدرجة يلونهم أو يحرزون منها انصباهم بحسب استحقاقهم وعمارك بيان لسكل (والذين عقدت أيمانكم) أي وعمارك الزوج والزوجة فالنكاح يسمى عقدًا وهذا قول أبي مسلم الأصماني ويصح أن تكون جملة جعلنا موالى صفة لسكل والضمير الراجع إليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر والمعنى حينئذ ولسكل قوم جعلناهم ورائنا نصيب معين مقار لنصيب قوم آخرين عمارك المورثون (فما توهم نصيبهم) من الميراث قبل أن هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق لأنه حلف أن لا ينفق على ابنه عبد الرحمن ولا يورثه شيئا من ماله ولما أسلم عبد الرحمن أسرا لله أبي بكر أن يورثه نصيبه وقيل المراد من قوله تعالى والذين عقدت أيمانكم الخلفاء وقوله فما توهم نصيبهم النصيحة والمصافاة في العشرة حينئذ فقوله والذين مبتدأ متضمن المعنى الشرط ولذلك صدر الخبر بالغاء أوه: نصوب بعضهم نصيبه قوله فما توهم وعلى هذه الوجوه فهذه الآية غير منسوخة بخلاف ما لو حمل قوله الذين عقدت أيمانكم على الخلفاء في الجاهلية وقوله فما توهم نصيبهم على الميراث وهو السدس فوسد الآية حينئذ منسوخة بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى يوصيكم الله وكذا الوحل قوله الذين عقدت أيمانكم على الأبناء الأديان أو على من وأخاء النبي صلى الله عليه وسلم لرجل آخر فإنه وأخاين كل رجلين من أصحابه صلى الله عليه وسلم (إن الله كان على كل شيء) من أعمالكم (شهيدا) أي مطلعًا (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أي الرجال مسلطون على أدب النساء بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن بكل العقل وحسن التدبير ورزاقه الرأى ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وقائمة الشعائر والشهادة في جميع القضايا وجوب الجهاد والجمعة رغم ذلك وبسبب انفاقهم من أموالهم للهرم والنفقة (فالصالحات) أي الحسنات إلى أزواجهن (قانتات) أي مطيعات لأزواجهن (حافظات للغيب) أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة أزواجهن من الغسروج والأموال (بما حفظ الله) أي بالذي حفظه الله فمن أي فإن حفظ حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن عن أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وأما ما كهن بالمعروف وأعطاهن أجورهن أو المعنى بحفظ الله إياهن بالأمر بحفظ الغيب والتوفيق له وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أي بسبب حفظهن حدود الله وأوامره (واللاتي يخافون نشوزهن) أي والنساء اللاتي تظنون عصيانكم لهن (فمعهن) أي فانهن بالترغيب والترهيب (واهيجرهن في المضاجع) أي حولوا عنهن وجوهكم في المراقد فلا تدخلوهن تحت الخفاف إن علمتم النشوز ولم ينفعهن النصيحة (واضربوهن) أي لم يجمع المجران ضربًا غير مبرح ولا شاق والاولى تركه الضرب فإن ضرب قالوا يجب أن يكون الضرب بحيث لا يكون مفضيا أو مهلكا بأن يكون مفرقا على البدن بأن لا يكون في موضع واحد وأن لا يوالي به وأن يتقى الوجه وأن يكون بتعديل ملفوف (فإن أطعنكم) أي رجعن عن النشوز إلى الطاعة عنده هذا التأديب (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي فلا تطلبوا عليهن

طريقا في الحب ولا في الاذية واكتفوا بظواهر حال المرأة ولا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض
(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان الله تعالى مع علوه وكمبريائه لا يكلفكم ما لا تطيقون فكذلك
لا تكلفوهن ما لا طاقة لهن من المحبة وأنه تعالى مع ذلك يتجاوز عن سيئاتكم فأنتم أحق بالعفو عن
أزواجكم عند اطاعتهم لَكُمْ (وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وان
علمتم أيها المؤمنون مخالفة بين الرجل والمرأة ولم تدروا من أيهما فابعثوا الى الزوجين لاصلاح
الحال بينهما حكما أي رجلا وسطا صالحا للاصلاح من أهله أي الزوج وحكما آخر على
صفة الأول من أهلها لان أقاربهم ما أعرف بحالهما من الاجانب واشد طلب للاصلاح فان كانا
أجنبيين جاز فيستكشف كل واحد منهما حقيقة حال الزوجين ثم يجتمع الحكمان فيعلان ما هو الصواب
من جمعهما أو ايقاع طلاق أو خلع (ان يريدا اصلاحا يوفى الله بينهما) فالضمير الاول اما على
الحكمين أو الزوجين والضمير الثاني كذلك فالوجود أربعة والمعنى ان كانت نية الحكمين قطعا للخصومة
أوقع الله الموافقة بين الزوجين (ان الله كان عليما) بمواقفة الحكمين ومخالفتهما (خيرا) بفعل
المرأة والرجل قال ابن عباس زلت الآية من قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الى ههنا في شأن بنت
محمد بن سلمة بلطمة لطمه هاز وجهه سعد بن الربيع لعصيانها في المضاجع فطلبت من النبي صلى الله عليه
وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك (وأعبدوا الله) بقلوبكم وجوارحكم (ولا تشركوا به
شيئا) أي شركا جليا أو خفيا وهذا أمر بالاخلاص في العبادة (وبأولاد الذين احسانا) أي أحسنوا
بهما احسانا بالقيام بخدمةتهما وبالسعي في تحصيل مطالبهما والاتفاق عليهما وعدم رفع الصوت عليهما
وعدم تخسين الكلام معهما وعدم شهر السلاح عليهما وعدم قتلها ما ولو كان كافرين لانه صلى الله عليه
وسلم نهى عن قتل أبيه أي عامر الراهب وكان مشركا وعن أبي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن استأذنه في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل لك أحد باليمن
فقال أبو أي فقال أبوك اذ نالك فقال لا فقال فارجع فاستأذنيهما فان اذ نالك فجاهدوا لافيهما (وبذي
القرنى) أي صلوا بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتامى) أي أحسنوا اليهم
بالرفق بهم وبعصم رؤسهم وبتربيتهم وحفظ أموالهم (والمساكين) أي أحسنوا اليهم بالصدقة أو بالزاد
الجميل (والجار ذي القرى) أي الذي قرب جواره أو الذي له مع الجوار اتصال بالنسب وقرى بالنسب
على الاختصاص تعظيم الحق لانه ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام كما قرئ
والصلاة الوسطى نصبا على الاختصاص (والجار الجنب) أي الذي بعد جواره أو الذي لا قرابة له فله
حقان حق الاسلام وحق الجوار (والصاحب الجنب) وهو اما رفيق في سفر أو جار ملاصق أو شريك في
تعليم أو حرفة أو قاعد جنيبك في مسجد أو مجلس وقيل هي المرأة فاتها تكون معك وتضجع الى جنبك (وابن
السييل) أي المسافر المنقطع عن بلده بالسفر أو الضيف أي أحسنوا له بالاكرام وله ثلاثة أيام حق وما
فوق ذلك صدقة (وما ملكت أيمانكم) أي أحسنوا الى الخدم من العبيد والامام (ان الله لا يحب من كان
مختالا) أي متكبرا عن أقاربه الفقراء وجيرانه انضعافه وأصحابه ولا يحسن عشرتهم (خورا) على الناس
بما أعطاه الله تعالى من العلم وغيره (الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله) من العلم بما في كتابهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر أن الموصول منصوب على
الذم أو مرفوع على الذم أي هم الذين ويجوز أن يكون بدلا من قوله من كان مختالا وان يكون مبتدئا

خبره بمحذوف تقديره احصاء بكل ملامة أو كافرين نزلت هذه الآية في حق كدوم بن زيد وأسماء بن
 حبيب ونافع بن أبي نافع ومجرب بن عمر وروحي بن أخيط ورفاعة بن زيد بن التياوت حين أمر وارجالاً
 من الأنصار بترك النفقة على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً الفقر عليهم آخرجه ابن جرير
 عن ابن عباس (وأعتدنا للكافرين) أي لليهود (عذاباً مهيناً) أي فن كان شأنه كذلك فهو كافر
 بنعمة الله ومن كان كافراً منته فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء وفي الحديث الذي
 رواه أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يظهر أثرها عليه (والذين ينفقون
 أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والموصول امام معطوف على الموصول الأول وأما
 معطوف على قوله تعالى للكافرين قال الواحدى نزلت هذه الآية في شأن المنافقين وقيل نزلت في مشركي
 مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي ومن يكن
 الشيطان معيناً لا صاحب هذه الأفعال في الدنيا (فساقريناً) أي فبئس صاحب له في النار هو فان الله
 تعالى يقرن مع كل كافر شيطاناً في سلسلة في النار ثم بين الله تعالى سوء اختيارهم في ترك الإيمان فقال
 (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أي وأي ضرر عليهم في الإيمان والانفاق
 ابتغاء لوجه الله (وكان الله بهم) وبأحوالهم الخفية (علماً) فإنه تعالى عالم ببواطن الأمور فان القصد إلى
 الرياء انما يكون باطناً غير ظاهر (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) أي ان الله لا يظلم أحداً وزن غلة حمراء صغيرة
 أي لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (وان تلك حسنة يضاعفها) قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع والمعنى وان حدثت
 حسنة والماقون بالنصب والمعنى وان تكن ذرة الذرة حسنة وقرآن كثير وابن عامر يضاعفها بالتشديد من
 غير ألف أي فيكون التضاعف للثواب ان مقدار لا يله إلا الله تعالى ذرى عن ابن مسعود رضي الله عنه
 انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادى مناد على رؤس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له
 عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له اعط هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله
 للملائكة انظروا في أسماء الصالحات فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضاعفها الله تعالى لعبده
 وأدخله الجنة بفضله ورحمته وقال أبو عوفان النهدي بلغني عن أبي هريرة انه قال ان الله يعطي عبده
 المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقد رآه أن ذهبت الى مكة حاجاً أو معتمراً فقلت له فقلت بلغني
 عندك انك تقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لم أقل ذلك
 ولكن قلت ان الحسنة تضاعف بألف ضعف وتلا قوله تعالى (ويؤتى) أي يعطى الله صاحب
 الحسنة (من لذه) أي من عنده تعالى (أجر عظيم) فلا يقدر أحد قدره * روى أن عمر كان
 جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول
 الله بلى أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جنبيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب
 خذني مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله
 تعالى لا طالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يارب قليص عمل عني من أوزاري ثم فاضت
 عينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء فقال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحصل عنهم من
 أوزارهم قال فيقول الله تبارك وتعالى لا تظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة
 وقصوراً من ذهب مكللة بالأنوار ولاي نبي هذا ولاي صديق ولاي شهيد هذا فيقول الله تعالى لمن أعطى
 الثمن قال يارب ومن ذلك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت

عنه فيقول الله تعالى خذ بيد أخيل فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات
بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (فكيف) يصنع الكفار يوم القيامة (اذا جئنا من كل
أمة) أى قوم (شهود) أى بسى يشهد على قبح أعمالهم (وجئنا بك) يا أشرف الخلق (على هؤلاء)
الشهداء وهم الرسل (شهودا) فنشهد على صدقهم لعالم بعقائدهم ويقال وجئنا بك لامتلك من كذا
معدلا لان أئمة صلى الله عليه وسلم شهدون للانبياء على قومهم اذا جحدوا بالبلاغ (يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض ولا يكتفون الله حديثا) أى يوم يحى ذلك بقضى الذين
كفروا بالله وعصوا أمر الرسول ان يدفونوا تسوى بهم الارض كما تسوى بالموت ويقال يفتنون ان
يصبروا ترايا مع اليها ثم لعظم هول ذلك اليوم ولا يقدرون ان يكتفوا من الله حديثا بأن يقولوا والله ربنا
ما كنا مشركين أى انهم يريدون الكتمان أولا لما علموا ان الله لم يغفر شرهم كافي يقولون والله ربنا ما كنا
مشركين رجاء غفران الله لهم لكنهم قد شهد عليهم الاعضاء والزمان والمكان فلم يستطيعوا الكتمان
فهناك يودون انهم كانوا اربابا لم يكتفوا الله حديثا (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل) أى لا تقيموا الصلاة حال كونكم سكارى من الشراب
الى ان تعلموا قبل الشروع فيها ما تقولونه ولا تقيموها حال كونكم جنبا الا حال كونكم مسافرين وقيل
ان الايعنى غر وهو صفة لجنب والمعنى لا تقيموها حال كونكم جنبا غير مسافرين وسيأتى حكم المسافرين
(حتى تغسلوا) من الجنابة (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) والمعنى وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء
أو مسافرين طال السفر أو قصر أو أحدتم بخرجهم من أحوالهم أو تلاقى بشرتكم مع
بشرة النساء فلم تجدوا ماء فتطهروا بالصلاة بعد الطلب فاقصدوا أرضا لاسجدة فيها (فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم) الى المرفقين بضررتين (ان الله كان عفوا غفورا) وهذا كناية عن الترخيص والتيسير
لان من كان عادته انه يعفو عن المذنبين فبان برخصه عاجزين كان أولى (ألم تر) أى تنظر (الى
الذين أوتوا نصيبا) أى حظا يبرأ (من الكتاب) أى من علم التوراة (يشترون الصلاة) أى
يؤثرون تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم لياخذوا الرشاعلى ذلك يحصل لهم الرياسة كقائه الزجاج
(ويريدون أن تضلوا السبيل) أى ويتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن
الاسلام (والله أعلم بأعدائكم) أى هو سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء (وكفى
بالله وليا) أى متصرفا في جميع أموركم (وكفى بالله نصيرا) فى كل مواطن فتعوا به وقال ابن عباس
نزلت هذه الآية فى شأن اليسع ورافع بن حرمة جبرين من اليهود دعوا رئيس المنافقين عبد الله بن أبي
وأصحابه الى دينهما ثم نزل فى مالك بن النضير وأصحابه قوله تعالى (من الذين هادوا وجرؤنالكهم عن
مواضعهم ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) أى من اليهود
قوم يفررون الكلام التى أنزل الله فى التوراة عن مواضعه التى وضعها الله تعالى فيها كقصر بفهم فى نعت
النبي أممربعة فوضعوا مكانه آدم طوال وتحرفهم الرجم فوضعوا بدله لجلدوه ويقولون فى الظاهر اذا
أمرهم النبي عليه السلام سمعنا قولك وفى أنفسهم وعصينا أمرك ويقولون فى انفسهم مخاطبة النبي عليه
السلام كلاما ذوا جهين وهو محتمل للغير والله مظهرين المدح ويضرون الشتم وهو واعمع منا غير
سميع مكروها والمراد واعمع منا حال كونك غير مسمع كلاما أصلا لهم أم موت وهو دعاء منهم على

الرسول صلى الله عليه وسلم بذهاب السمع أو غير مسمع جواباً بواقل فكأنك ما سمعت شيئاً يقولون للنبي
 اسمع ويقولون في أنفسهم لا سمع - فقوله غير مسمع معناه غير سميع ويقولون في أثناء خطابه صلى الله
 عليه وسلم راعنا وهي كلمة ذات وجهين محتمل للآخر إذا حلت على معنى أصرف سمعك إلى كلامنا وانصت
 لحدسنا ونفهم ولا تترادأ حلت على السبب بالرعونة أو على أنهم يريدون أنك يا محمد كنت ترعى أغنامنا
 لنناقمهم يغفلون الحق فيجعلونه باطلاً لأن راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لا سمعناهم
 إنما نسقهم ولا يعرف ولو كان نبي العرف ذلك فأطاعه الله تعالى على خبيث ضمائرهم وعلى ما في قلوبهم من
 العداوة والبغضاء أي يقولون ذلك أصرف الكلام عن جمعه ولله قدح في دين الإسلام بالانسياق
 وانسحقية (ولو أنهم قالوا) باللسان أو بالحال عند دعاء شيء من أوامر الله تعالى ونواهيه (سمعنا
 وأطعنا وسمع وانظرنا) بدل ذلك (الكن) قولهم ذلك (خير اليوم) عند الله (وأقوم) أي أصوب
 (واسكن) عنهم الله بكنزهم (أي أبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك
 (الافقيل) أي الايمان ناقيلاً غير نافع وهو الايمان بالله والتوراة وموسى وكفره وبساتر الانبياء
 أو الزمانا فليسلا وهو زمان الاحتضار فلا ينفعهم الايمان وبعضهم جعل قليلاً مستثنى من الهام في
 لغتهم أي الانقراض لا فليلا ينفعهم الله لأنهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا مؤمنين كعباد الله بن سلام وأصحابه
 (يا أيها الذين آمنوا عاينوا أنزلنا) أي بالقرآن (مصدقاً لما همكم) أي موافقاً للتوراة
 في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
 (من قبل أن نطمس وجوها) أي نمحو وتخطيط صورها من عيون وحاجب وأنف وفم (فنردّها على
 أدبارها) أي نجعلها على هيئة أفتائها (أو نلعنهم كالعنا أصحاب السبت) فهم ملعونون بكل لسان
 وضمر الغائب راجع إلى الذين آمنوا الكتاب على طريقة الالتفات فلما لعنهم الله ذكرهم بعبارة
 الغيبة (وكان أمر الله) بأية ما (مفعولاً) أي نافذاً وهذا اخبار عن جريان عادة الله في الانبياء
 المتقدمين أنه تعالى مهمماً أخبرهم بانزال العذاب على الكفار فعمل ذلك لا محالة (ان الله لا يغفر أن
 يشرك) أي لا يغفر الكفر لمن انصف (به) بلا توبة وإيمان (ويغفر ما دون ذلك) أي الشرك في
 القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة من غير توبة عنها (لمن يشاء) روى عن ابن عباس أنه قال لما
 قتل وحشي حمزة يوم أحد وكان قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم أنهم ما ردوا له بذلك فعند ذلك ندم هو
 وأصحابه فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأنه لا يجنبهم عن الدخول إلى الإسلام الاقونه تعالى
 والذين لا يدعون مع الله الها آخراً فقالوا قد ارتكبنا كل ما في هذه الآية فنزل قوله تعالى الامن تاب وآمن
 وعمل عملاً صالحاً فما لهؤلاء المشركين أن لا تقوم به فنزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به
 ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقالوا يخاف أن لا نكون من أهل مشيئة تعالى فنزل قل يا عبادي الذين
 اصرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فدخلوا عند ذلك في الإسلام (ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً
 عظيماً) أي فقد فعل ذنباً غير مغفور (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) أي يدحونهم قال قتادة
 والعمالة والسدي هم اليهود أخرجه ابن جرير وذلك لما هدّد الله تعالى اليهود بقوله تعالى ان الله لا يغفر
 أن يشرك به فعند هذا قالوا السنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى وهذا استغفام تهيب وهو
 أمر المخاطب على التهيب أي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزيكاً عند الله تعالى مع ما هم عليه من
 الكفر والاثم العظيم وفي هذه الآية تحذير من إعجاب المرء بنفسه وعمله (بل الله يزكّي من يشاء) عطف

على مقدراى هم لاركون أنفسهم في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يركى من يشاء
 تركيته عن يستحقها من المؤمنين (ولا يظلمون قليلا) أى ان الذين يركون أنفسهم يعاقبون على تلك
 التزكية حق جزائهم من غير ظلم أى فلا يظلمون في ذلك العقاب قدر قليل وهو الخيط الذى في شق النواة
 طولا والنقير النقطة التى في ظهر النواة تنبت منها النخلة والعطير القشرة الزقية على النواة (انظر)
 يا أمرفي الخلق متجيبا (كيف يفتررون على الله الكذب) لقولهم ما نعمل بالانهار من الذنوب يغفر الله
 لنا بالليل وما نعمل بالليل يغفر الله بالنهار فالكذب فعول به أو مفعول مطلق لانه يلاقى العامل في المعنى لان
 الافتراء والكذب متقاربان معنى أو معناهما واحد (وكفى به) أى يا قراتهم هذا (اثما ميينا) في
 استحقاقهم لاشد العقوبات (الم ترائى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)
 فكل معبودون الله فهو جبت وطاغوت وكل من دعا الى المعاصي السكابر فهو طاغوت روى أن حبي
 ابن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود بعد قتال أحد دليهما القوا
 قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منهم اليينا
 فلا تأمنوا كركم فاحيدوا الآية ناحتي تطمئن قلوبنا ففعلوا ذلك فهدا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم
 معبودوا الاصنام وأطاعوا ابليس فقال أبوسفيان أنحن أهدي سبيلا أم محمد فقال كعب ما ذا يقول محمد
 قالوا يا أمربعبادة الله وحده وينهى عن عبادة الاصنام قال وما دينكم قالوا نحن ولا اله الا الله نسقى الحاج
 ونقرى الضيف ونغل العاني فقال أنتم أهدي سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون الذين كفروا) أى في
 حق كفار مكة (هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا) أى كفار مكة أبوسفيان وأصحابه أصوب ديننا
 من محمد وأصحابه وذكرهم بلفظ الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعرفناهم بالوصف
 الجليل ونحفظهم من ربح عليهم المتصفين بآفة القبايح (أولئك الذين) أى القائلون أن عبادة الاوثان أفضل
 من عبادة الله تعالى (لعمركم) أى أبعدهم عن رحمة (ومن يلعن الله فلن تجده نصيرا) أى ومن
 يطرده الله عن رحمة فلن تجدأياها المخاطب من يدفع عنه العذاب دينيا أو كان أو آخرى (أم لهم نصيب
 من الملك فاذن لا يؤثرون الناس نفيرا) وأم منقطعة عما قبلها وهذا الاستفهام استفهام انكارى أبطال
 على اليهود في قولهم نحن أولى بالملك والنبوة فكيف تتبع العرب ومكذبيهم في زعمهم ان الملك يعود
 اليهم في آخر الزمان فيخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودرولتهم ويدعو الى دينهم واذن حرف جواب
 وجزاء لشرط مقدر ورفع الفعل بعدها وان كان مر جوحا في النحولان القراءة سبعة متبعة وقرئ شاذاعلى
 الاربع بحذف النون والمعنى ليس لهم من الملك شئ البتة ولو كان لليهود نصيب منه فيسبب عن ذلك
 أنهم لا يعطون واحدا من الناس قدرا ما لا النقيير وهو النقرة التى على ظهر النواة التى تنبت منها النخلة
 وهذا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من الجمل والدناءة بحيث لو اوتوا شيا
 من ذلك لما أعطوا الناس من أقل قليل ومن حق من أوفى الملك أن يؤثر الغير بشئ منه (أم يحسدون
 الناس على ما آتاهم الله من فضله) أى بل يحسدون محمد داوم معه على ما أعطاهم الله من النبوة
 والكتاب وازداد العز والنصر يوما فيوما وكثرة النساء صلى الله عليه وسلم وكانت له يومئذ تسعة نساء
 فقالت اليهود لو كان محمد نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم
 بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (الكتاب
 والحكمة) أى النبوة والمراد بالكتاب طواهر الشريعة بالحكمة أمرا بالحقيقة (وآتيناهم) أى

أعطينا بعضهم كداود وسليمان ويوسف (ملكاً عظيماً) لا يقادروا قدره فكان لداود مائة امرأة
 مهريّة وسليمان سبع مائة مصرية وثلاث مائة أمهرية وهؤلاء الثلاثة كانوا في بني إسرائيل ولم
 ينقلهم أمر النبوة عن أمر الملك والنساء فكيف يستبعدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدونه
 على إتيانها (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) أي في جنس هؤلاء الخاسرين وآبائهم من آمن بما
 أتى آل إبراهيم ومنهم من أعرض عن الإيمان به فانت يا محمد لا تهجب ما عليه هؤلاء القوم فإن أحوال
 جميع الأمم مع جميع الأنبياء هكذا كانت وذلك تسليمة من الله لرسوله ليكون أشد صبراً على ما ينال من
 قبلهم (ونفى بجهنم) في عذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين (سعيها) أي نارا وقودا (أن الذين
 كفروا بآياتنا) أي الدالة على ذات الله وأفعاله وصفاته وأسمائه والآثمة والكتب والرسول (سوف
 نصليهم) أي ندخلهم (نارا) عظيمه هائلة (كلما انفجرت) أي احترقت (جلودهم بدلناهم
 جلود أخرى) بأن يجعل النضج غير النضج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة (ليذوقوا العذاب) أي
 لكي يجدوا ألم العذاب على الدوام من غير انقطاع هذه الحانة الجديدة وروى أن هذه الآية قرئت عند
 عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقارئ أعدها فأعدها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها
 تبدل الجلود في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 (إن الله كان عزيراً) أي قادراً غالباً لا يمتنع عليه ما يريد (حكيماً) أي لا يفعل إلا الصواب فيعاقب
 من يعاقبه على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) في الآخرة (جنان تجري
 من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) فإن نعيم الجنة لا ينقطع كعذاب النار (لهم فيها أزواج مطهرة) من
 الحيض والنفس وجميع أقدار الدنيا (ودخلهم ظللاً ظليلاً) أي عظيم ما في الراحة والذلة بخلاف المواضع
 في الدنيا فإنها إذا لم يصل نور الشمس فيها اليها في الدوام يكون هواؤها عتافاً فاسداً مؤذياً (إن الله يأمركم
 أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) لما حكى الله عن أهل الكتاب أنهم كفوا الحق حيث قالوا للذين كفروا
 هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أمر المؤمنين في هذه الآية بإدائها إلى أهلها في جميع الأمور سواء كانت
 تلك الأمور من باب المذاهب والديانات أو من باب الدنيا والمعاملات وإن ورد الأمر على سبب خاص في
 شأن عثمان بن طلحة بن عبد المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة
 يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم
 أمنعه فلو لي على بن أبي طالب يده وأخذ منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما
 خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت هذه الآية فأمر علياً أن يرده إلى
 عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وأذيت ثم جئت زفقي فقال لقد أنزل الله تعالى في شأنك
 قرأنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهبط جبريل عليه السلام
 وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبداً ثم إن عثمان هاجر ودفع المفتاح
 إلى أخيه شيبة فهو في ولده إلى اليوم (وإن الله يأمركم) إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل
 وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمتم عدلت
 وإذا استرحمت رحت (إن الله نعماء وظنكم به) أي إن الله نعم شيء يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء
 الأمانات والحكم بالعدل (إن الله كان سميعاً) لكل المسعوات يسمع ذلك الحكم إذا حكمتم بالعدل
 (بصيرا) لكل المبصرات يبصركم إذا أدبتم الأمانة فيجازيكم على ما يصدر منكم (بأيها الذين آمنوا

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهذه الآية شتملة على أصول الشريعة الأربع مع الكتاب والسنة والاجماع والقياس فالكتاب يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله لا محالة فثبت أن قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على وجوب متابعة الكتاب والسنة والمراد بأولى الأمر جميع العلماء من أهل العقد والحل وأمراء الحق وولاة العدل وأما أمراء الجور فموزل من استحقاق وجوب الطاعة لهم قال سعيد بن جبيرة زلت هذه الآية في حق عبد الله بن حذافة السهمي أذبعته النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على مريّة وعن ابن عباس أنها زلت في شأن خالد بن الوليد بعنه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على مريّة وفيها عمار بن ياسر فحري بينهما اختلاف في شيء فزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر حينئذ فالمراد بهم أمراء السرايا قال بعضهم طاعة الله ورسوله واجبة قطعاً وطاعة أهل الاجماع واجبة قطعاً وأما طاعة الأمراء والسلاطين فلا أكثر أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون إلا بالظلم وقد تكون واجبة بحسب النظم الضعيف حينئذ يحمل أولوا الأمر على الاجماع وأيضاً أن أعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوى العلماء والعلماء في الحقيقة أمراء الأمر أهله وأولوا الأمر (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) أي فإن اختلفتم أيها المجتهدون في شئ حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع فردوه إلى واقعة تشبه في الصورة والصفة وهذا المعنى ذو كد بالحج والأثر أما الخبر فهو أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قبلة الهاتم فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو غصصت والغني أخبرني هل تبطل المضغضة الصوم أم لا أي فكأن المضغضة مقدمة لا كل فكذا القبلة مقدمة للجماع فإذا كانت المضغضة تفسد الصيام فكذلك القبلة راساً لله صلى الله عليه وسلم الخنعية عن الحج عن أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أرايت لو كان على أيل دين فغصصته هل يجزئ فقالت نعم قال صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء وأما الأرض فباري عن عمر رضي الله عنه أنه قال أعرف الأشياء والنظر وقس الأمور رأيت فدل مجموع ما ذكر على أن قوله تعالى فردوه أمر براد الشيء إلى شبهه وهذا هو الذي يسميه الساقى رحمه الله تعالى قياس الأشياء ويسميه أكثر الفقهاء قياس الطرد (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وهذا محمول على التهديد فإن الأيمان بهما واجب ذلك (أي الذي أمرتكم به في هذه الآيات (خير) لكم (وأحسن تأويلاً) أي عاقبة لكم (ألم تر إلى الذين يرمعون) أي يدعون (أنهم آمنوا بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) وهو التوراة (يريدون أن ينحسروا إلى الطاغوت) أي كذير الطغيان (وقد أمروا أن يكفروا به) أي والحال أنهم قد آمنوا بالقرآن أن يتبرأوا من الطاغوت (ويريد الشيطان) بالتحاكم إليه (أن يضلهم ضلالاً بعيداً) عن الحق والهدى قال كثير من المفسرين خاصهم رجل من المنافقين يقال له بشر رجلاً من اليهود فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وبسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة واليهودي كان محققاً أن كعباً شديد الرغبة في الرشوة والمنافق كان مبطلاً وأصر اليهودي على قوله بذلك فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم اليهودي فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمر فذهب إليه فأخبره اليهودي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حكما على المنافق فلم يرض بحكمهما فاقبال للمنافق أنه كذا فقال نعم قال أصبر إن لي حاجة أدخل بيتي فأقضيهما أخرج اليك فدخل وأخذ سيفه ثم خرج إليهما فضرب به عنق المنافق حتى برد أي

مات وقال هكذا أقضى إن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فجاء أهل المنافق فشقوا
 عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل صلى الله عليه وسلم عمر عن قصته فقال إنه رد حكمك يا رسول الله فجاءه
 جبريل عليه السلام في الحال ونزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر هو الفاروق فرق بين الحق والباطل
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر أنت الفاروق وعلى هذا القول الطاغوت هو كعب بن الأشرف معي
 بذلك لشبهه بالشيطان في فرط طغيانه (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله) أي أقبلوا إلى القرآن
 الذي فيه الحكم (والى الرسول) الذي يجب طاعته ليحكم بينكم (رأيت المنافقين يصدون عندك
 صدودا) أي أبصرت المنافقين يعرضون عندك إلى غيرك اعراضا بالكلية (فكيف إذا أصابهم مصيبة)
 أي كيف يكون حالهم وقت أصابة المصيبة أي بهم بقتل عمر صاحبهم نظهون ونفاقهم (عما قدمت أيديهم)
 أي بسبب ما عملوا من التحاكم إلى الطاغوت والاعراض عن حكمك (ثم جاؤك يحلفون بالله أن أردنا إلا
 أحسا) أي ثم جاءك أهل المنافق مطالبين عمر بدمه وقد أهدره الله تعالى ويحلفون بالله كذبا
 للاعتذار فقالوا ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر إلا أن يصلح ويجعل الاتفاق بينه وبين خصمه ويأمر
 كل واحد من الخصمين بتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم ما موافقة وأنت يا رسول الله
 لا تحكم إلا بالحق المر ولا تقدر أحد على رفع الصوت عندك (أولئك) أي المنافقون (الذين يعلم الله ما في
 قلوبهم) من النفاق والغيظ والعداوة (فأعرض عنهم) أي لا تقبل منهم ذلك العذر ولا تظهر لهم أنك
 عالم بكنهه ما في بواطنهم فإن من هلك ستر عدوه فربما يجبرته ذلك على أن لا يبالي بإظهار العداوة فيزداد الشر
 وإذا تركه على حاله بقي في رجل فيفعل الشر (وعظمهم) أي أزرهم عن النفاق والكيد والمسد
 والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم) أي خالباهم ليس معهم غيرهم لأن النصيحة
 على الملا تتريع وفي السر محض المنفعة (قولا بليغا) أي مؤثرا وهو الخوف بعقاب الله نيابا أن يقول لهم
 إن ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار وانما رفع الله السيف
 عنكم لأنكم أظهرتم الأيمان فأن واضبطتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر لكل الناس بقاؤكم على الكفر
 وحسبكم يلزمكم السيف (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أي وما أرسلنا من رسول إلا ليوثر
 الناس بطاعته بتوفيقنا وأما تناقض طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله تعالى وهذه الآية دالة على أنه
 لا رسول إلا معه شريعة ليكون مطاعا في تلك الشريعة ومتبوعا فيها ودالة على أن الأنبياء معصومون عن
 المعاصي والذنوب ودالة على أنه لا يوجد شيء من الخير والشر والكفر والإيمان والطاعة والعصيان
 إلا بإرادة الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بترك طاعتك (جارك) وبالغوا في التضرع إليك
 لينصوبك شفعائهم (فاستغفروا الله) أي أظهر الندم على ما فعلوه وابتاعوه (واستغفروا لهم)
 (الرسول) بأن يسأل الله أن يغفر الذنوب لهم عند توبتهم (لوجدوا الله توابا) أي يقبل توبتهم (رحيما)
 أي يرحم تضرعهم ولا يرد استغفارهم وانما في العذر في قوله تعالى واستغفروا لهم الرسول عن لفظ
 الخطاب إلى لفظ المغايبة اجلال شأن رسول الله فإن شأنه أن يستغفران عظم ذنبه وإنهم إذا جاؤه فقد
 جاؤا من خصه الله تعالى برسالاته وأكرمه بوجبه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه وذلك مثل قول الأمير حكم
 الأمير بكذا بدل قوله حكمت بكذا (فلأوردك) لا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في التلايم
 لتأكيد وجوب العلم أو مفيدة لتنفى أمر سبق والتقدير ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا وهم يخالفون
 حكمك فوردك (لا يؤمنون حتى يحكموك) أي حتى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أي فيه

اختلف بينهم من الامور فتقضى بينهم (ثم لا يجحدوا في أنفسهم) أي صدورهم (حرجا) أي ضيقا
 (مما قضيت ويسلموا تسلما) أي وينقادوا لك انقيادا تاما بظواهرهم قال عطاء ويحاهدوا الشعبي أن
 هذه الآية نازلة في قصة اليهود والمنافق فهذه الآية متصلة بما قبلها وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن
 المسيب قال نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء فقتل النبي صلى الله عليه وسلم
 الزبير (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) أي ولو
 أمر جئنا عليهم قتل أنفسهم أو الخروج عن أوطانهم في توابعهم كتوبة بني اسرائيل ما فعلوا أحد الأمرين
 بطيبة النفس الا قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لما فعله
 الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم بل اكتبنا منهم في توابعهم بالتسليم لحكمك فليقبلوا
 بالاخلاص حتى ينالوا خيرا الدارين روى أن نابت بن قيس بن شماس الانصاري ناظر يهود يافا قال
 اليهودي ان موسى أمرنا بقتل أنفسنا فقبلنا ذلك وان محمد دأى أمركم بالقتال فتكرهوه فقال يا أنت لو ان
 محمدا أمرني بقتل نفسي لفعلت ذلك وروى ان ابن مسعود وعمار بن ياسر قالا مثل ذلك فنزلت هذه الآية
 وعن عمر بن الخطاب انه قال والله لو أمرنا بقتل أنفسنا لفعلنا الحمد لله الذي لم يأمرنا بذلك قال صلى
 الله عليه وسلم وأشار الى عبد الله بن رواحة لو أن الله كتب ذلك لسكان هذا في أولئك القليل أخرجه ابن أبي
 حاتم (ولو أنهم) أي المنافقين (فعلوا ما وعظون به) أي ما يكفون به (اكان) أي فعلوه - ذلك
 (خير لهم) أي لحصل لهم خير الدنيا والآخرة (وأشد تثبيتا) لهم على الايمان ومميت أو امر الله
 مواعظ لا قترانها بالوعد والترغيب (واذا) لوفعوا ما أمروا به (لآتيناهم من لنا) أي لاعطيناهم
 من عندنا (أجر عظيم) أي ثوابا وافرا في الجنة وكيف لا يكون عظيم ما وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها
 ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ولهديناهم صراطا مستقيما) أي طريقا م
 عروصة القيامة الى الجنة وحل لفظ الصراط في هذا الموضع على هذا المعنى أرى لانه تعالى ذكره بعد ذكر
 الاجر والدين الحق مقدم على الاجر والطريق من عروصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق
 الاجر (ومن يطع الله) بأن يعرف الله ويعتبر بحلاله وعزته واستغناؤه عن سواه (والرسول) أي
 بان يقاده انقيادا تاما لجميع الاوامر والنواهي (فاولئك) أي المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم)
 أي فانهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد
 بعضهم بعضا واذا أرادوا الزيادة والتلاقي قد روعا الى الوصول اليهم بسهولة (من النبيين) محمد صلى
 الله عليه وسلم وغيره (والصديقين) أي السابقين الى تصديق الرسل فصاروا في ذلك قدوة لسائر الناس
 وهم أفضل أصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والشهداء) أي الذين يشهدون بصحة دين الله
 تعالى آية بالحجة والبيان وأخرى باليمين والسنن فالشهداء هم القائمون بالقسط وأما كون الانسان
 مقتول الكافر فليس فيه زيادة شرف لان هذا القتل قد يحصل في الفساق ومن لا مترته له عند الله
 والمؤمنون قد يقولون اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافرين لكانوا قد طلبوا
 من الله ذلك القتل فانه غير جائز لان طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر فكيف يجوز ان يطلب من
 الله ما هو كفر (الصالحين) في الاعتقاد والعمل فان الجهل فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في
 العمل وهم الصارفون أعمارهم في طاعة الله وأما وهم في مرضاته وكل من كان اعتقاده صوابا وعمله غير
 معصية فهو صالح ثم ان الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وان ما سواه هو الباطل وهذه

الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف وقديكون الصالح غير موصوف بكونه قائما به هذه
 الشهادة فثبت ان كل من كان شهيدا كان صالحا ولا عكس فالشهيد أثر في أنواع الصالح ثم الشهيد قد
 يكون صديقا وقد لا ومعنى الصديق هو الذي كان أسبق إيمانا من غيره وكان إيمانه قدوة لغيره فثبت ان
 كل من كان صديقا كان شهيدا ولا عكس فثبت ان أفضل الخلق الأنبياء بعدهم الصديقون بعدهم
 من ليس له درجة ألا محض درجة الشهادة وبهذه من ليس له إلا محض درجة الصلاح (وحسن أولئك
 رفيقا) أي ما أحسن أولئك المذكورين صاحبيا في الجنة وحسن لها حكم نعم والمخصوص بالمدح محذوف
 تقديره وحسن أولئك من جهة الرفيق الممدوحون (ذلك) أي مرافقة هؤلاء المنعم عليهم هو (الفضل
 من الله) وما سواه ليس بشئ (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله
 روى جمع من المفسرين أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله قليل
 الصبر عنه فأما يوما وقد تغير وجهه ونحل جمعه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجمع غمرا في إذا لم أزل أشتت الدليل واستوحشت وحشة شديدة
 حتى ألقاك فذكرت الآخرة فقلت ان لا أزال ههناك لأنني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات
 النبيين وأنا في درجات العبيد فلا أزال وان أزال أدخل الجنة فينتزلا أزال أبدأ فترأت هذه الآية وقال
 السعبي جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال ما بك يا فؤاد فقال
 يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو أنت أحب الي من نفسي وأهلي ومالي وولدي ولاني لا ذكرك وأنا في
 أهلي فياخذني مثل الجنون حتى أزال وذكرك موت وانك ترفع مع النبيين وانني ان أدخلت الجنة كنت
 في منزلة أدنى من منزلة من يرد النبي صلى الله عليه وسلم فترأت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا خذوا
 حذرکم) أي خذوا سلاحكم واحترزوا من العدو ولا تملكونوه من أنفسكم (فانفروا ثبات) أي انهضوا
 إلى قتال عدوكم واخرجوا للحرب جماعات متفرقة مربية بعد مربية (أو انفروا جميعا) أي مجتمعين
 كوكبة واحدة (وان منكم من ليبطئن) أي وان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتأفلن
 ولا يتخلف عن القتال وهم ضعفة المؤمنين والمنافقون (فان أصابكم) يا معشر المجاهدين (مصيبه)
 قتل وهزيمة وجه من العيش (قال) أي من يبطل ففرح شديد بالتخلفه وحامدا لآيه (قد أنتم
 الله هلى) بالعودة (اذ لم أكن معهم شهيدا) أي حاضر في المعركة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم
 فضل) كفتح وغنيمة (من الله ليقولن) أي من يبطل فعادة على عودته (كان لم تكن بينكم وبينه
 مودة) وهذه الجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله والمراد التحجب كانه تعالى يقول انظر والى ما يقول هذا
 المنافق كانه ليس بينكم أي المؤمنون وبين المنافق صلة في الدين ومعرفة في المحبة ولا مخالطة أصلا
 (يا ليتني كنت) غازيا (معهم فأفوز فوزا عظيما) أي فاصيب غنائم كثيرة وأخذ حظا وافرا وقبيل
 الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشبها بمن لا معرفة بينكم وبينه وقيل هي داخلية في
 المفعول أي ليقولن المنبسط للبطون من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد معرفة في
 المحبة حيث لم يستحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز محمد باليتني كنت معهم وغرض المنبسط القاء العداوة
 بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فليقاتل في سبيل الله) أي لاعلاء دين الله (الذين يشرون
 الحياة الدنيا بالآخرة) وهم المنافقون الذين يتخلفون عن أحد فأمررا ان يغير وأماهم من المنافق ويخلصوا
 الألبا بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فلم تدخل الباء الاعلى المتروكة لان المنافقين أركان

لأنه آخذون الدنيا أي فليقاتل الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة وعلى هذا فلا بد من حذف
تقدير آمنوا فقاتلوا أو المراد بالذين يشرون هم المؤمنون الذين تخلفوا عن الجهاد وعلى هذا فيشرون
بمعنى يبيعون أي فليقاتل في طاعة الله الذين يبيعون الدنيا بالآخرة أي يختارون الآخرة على الدنيا
(ومن يقاتل في سبيل الله) أي في طاعة الله (قيمة) أي بمن شهيدا (أو يغلب) أي يظفر على
العدو (فسوف تؤتونه) أي نعطيه في كلا الوجهين (أجر عظيم) وهو المنفعة الخالصة الدائمة
المقرونة بالتعظيم وإذا كان الأجر حاصل على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد (ومالككم
لا تقاتلون) أي أي شيء لكم يا معشر المؤمنين غير مقاتلين مع أهل مكة أي لا عذر لكم في ترك المقاتلة
(في سبيل الله) أي لأجل طاعة الله (والمستضعفين) أي ولأجل المستضعفين (من الرجال والنساء
والولدان) أي الصبيان وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء أي وهم قوم من المسلمين الذين يتوابعونهم ويجزوا
عن الهجرة إلى المدينة وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا قال ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين
من النساء والولدان (الذين يقولون) في مكة (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) وهي مكة وآتون
أهلها موصوفين بالنظم لأنهم كانوا مشركين وكانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع المكاره
(واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) أي ول علينا واليا من المؤمنين يقوم بمصالحنا
ويحفظ علينا ديننا وانصرنا على أعدائنا برجل يثقنا من الظالمين فأجاب الله دعاءهم واشتقذهم من
أيدي الكفار لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جعل عتاب بن أسيد أميرهم وكان الولي هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصير عتاب بن أسيد وكان ابن عباس في سنة ففكان ينصر
المظلومين على الظالمين وينصف الضعيف من القوى والذليل من العزيز (الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله) أي لغرض نصر دين الله وإعلاء كلمته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي
في سبيل غير رضا الله (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي جند الشيطان (إن كيد الشيطان) أي إن صنع
الشيطان في فساد الحال على جهة الخيلة (كان ضعيفا) لأن الله ينصر أوليائه والشيطان ينصر
أوليائه ولا شك أن نصر الشيطان لأوليائه أضعف من نصر الله لأوليائه ألا ترى أن أهل البحر والدين
يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر وأما المولك والجبارة فإذا
ماتوا انقرض أثرهم ولا يبقى في الدنيا زعمهم (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة) نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة عبد الرحمن بن عوف الزهري وسعد بن أبي
وقاص الزهري وقد مات ابن مظعون الجمعي وقد مات ابن الأسود الكندي وطه بن عبد الله التميمي كانوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم مكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة ويلقون من المشركين أذى شديدا
فمضوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أئذن لنا في قتالهم ويقول لهم رسول الله كفوا
أيديكم عن القتل والضرب فإني لم أؤمر بقتالهم واشتغلوا بإقامة دينكم من الصلاة والخمس وزكاة
أموالكم فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بقتالهم في وقعة بدر ذكرهم
بعضهم لاشكافي الدين بل نفور عن الأخطار بالارواح وخوف من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك
قوة تعالى (فلما كتب) أي فرض (عليهم القتال) أي الجهاد في سبيل الله (إذا فرق منهم)
كطه بن عبد الله التميمي (بخشون الناس) أي أهل مكة (تكشيه الله) أي تكشفهم من الله (أو أشد
خشية) أي بل أكثر خوفا لما كان من طبع البشر من الخجل لالاعتقاد ثم تابوا أهل الأيمان يتفاضلون

فيه (وقالوا) خوف من الموت لالكرامتهم أمر الله بالقتال وهذا عطف على جواب ما هو اذا فاتها
لخاتمة مكانية (ربنا لما كتبت علينا القتال) في هذا الوقت (لا أخرتنا الى أجل قريب) أى
هلا عاقبتنا من بلاء القتال الى موتنا يا ربنا وهذا القول استزاد في مدة الكف ويجوز ان يكون هذا
ما نطق به السنة حالهم من غير ان ينفذوا به صريحا (قل) جوابا لهذا السؤال عن حكمة فرض القتال
عليهم من غير توبيخ لاجل الاعتراض لحكمه تعالى ورغبة في ما ينالونه بالقتال من النعم الباقى
(متاع الدنيا) أى متعة الدنيا (قليل) لانه مريع النقص وشيك الانصرام وان أخرتم الى ذلك
الأجل (والآخرة) أى ثواب الآخرة لاسيما المنوط بالقتال (خير لى اتقى) الكفر والفواحش
لان نعم الآخرة كثيرة ومزيدة وصافية عن كدورات القلوب وبقينية بخلاف نعم الدنيا فانها مشكوكة
عاقبتها في اليوم الثانى ومشوبة بالمكاره (ولا تظلمون قتيلا) وقرأ ابن كثير وحزقوال كسافى بالغيبة
والباقون بالخطاب أى لا تنقصون من أجور أعمالكم قدر خيط في شق النواة أو المعنى لا ينقصون من
ثواب حسناتهم أدنى شئ (أينما تكونوا) في الحضرة والسفر في البر والبحر (يدرككم الموت) الذى
يكروهون القتال لاجله زعمامنكم انه من محاله (ولو كنتم في بروج مشيدة) أى حصون مرتفعة قوية
بالجص (وان تصبهم) أى اليهود والمنافقين (حسنة) أى خصب ورخص السعر وتتابع الأمطار
(يقولوا هذه من عند الله) قال المفسرون كانت المدينة مملوءة من النعم وقت مقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما ظهر عند اليهود والمنافقين على دعائه أيام الى الايمان أمسك الله عنهم بعض الأمال
كما جرت عادته تعالى في جميع الأمم فعند هذا قالوا ما رأينا أعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا
ومزارعنا وغللت أسعارنا منذ قدم (وان تصبهم سيئة) أى جدوبة وشدة وغلاء سعر (يقولوا هذه من
عندك) أى هذه من شؤم محمد وأصحابه أى وان تصبهم نعمة نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بليية
أضافوها اليك كما حكى الله عن قوم موسى بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطير باعوامى ومن معه عن قوم
صالح بقوله تعالى قالوا اطيرنا بل ومن معك (قل) لهم رد الزعمهم الباطل وارشادهم الى الحق (كل
من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبليية من جهة الله تعالى خلعا وإيجادا من غير ان يكون لى
مدخل في وقوع شئ منهم ابوجه من الوجوه كما ترغمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع
الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة (فقال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أى وحيث
كان الأمر كذلك فأى شئ حصل لهؤلاء المنافقين واليهود حال كونهم بعزل من ان يفقهوا حديثا
من الأحاديث أصلا فقالوا ما قالوا اذ لو فهموا شيئا من ذلك لفهموا ان الكل من عند الله تعالى فالنعم منه
تعالى بطريق التفضل والبليية منه تعالى بطريق العقوبة على ذنوب العباد عدلا منه تعالى (ما أصابك
من حسنة فمن الله) أى ما أصابك أيها الانسان من نعمة من النعم فهى منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا
من غير استيجاب لها من قبلك (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أى أى شئ أصابك من بليية من البليايا
فهى منها بسبب اقترافها المعاصى الموجبة لها وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه رص ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا يذنب وما يعفوا الله عنه أكثر (وأرسلناك
للناس رسولا) أى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت ذلك وما قصرت (وكفى بالله شهيدا) على
جودك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة والتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) وهذه الآية تدل على انه لا طاعة الا لله البتة لان طاعة الرسول لا تكون الا طاعة

لله وقال السافعي رضي الله عنه وهذه الآية تدل على أن كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء
 والصلاة والزم كافة الصوم والحج وسائر الأبواب في القرآن ولم يكن ذلك التكليف مبينا في القرآن حيث
 لا يسيل لنا إلى القيام بذلك التكليف إلا ببيان الرسول وإذا كان الأمر كذلك لزم القول بأن طاعة
 الرسول عين طاعة الله قال مقاتل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من أحبني فقد أحب
 الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارب هذا الرجل الشرك وهو ينهى أن نعبد غير الله
 ويريد أن نخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فأمر الله هذه الآية (ومن تولى لما أرسلناك عليهم
 حفیظا) وجواب الشرط محذوف والذکور تعطيل له أي ومن أعرض بقلبه عن حكمك يا محمد فأعرض
 عنه أو المعنى ومن أعرض عن طاعة الله بظواهرهم فلا ينبغي أن تنقم بسبب ذلك الأعراض وإن تخزن لما
 أرسلناك لتخفظ الناس عن المعاصي أو المعنى فما أرسلناك لتشتمل بزجرهم عن ذلك التولى ثم نسخ
 هذا الآية الجهاد فإنه تعالى ذكر هذا الكلام تسلية له صلى الله عليه وسلم عن الحزن فإنه صلى الله عليه
 وسلم كان يشتد حزنه بسبب كفرهم وأعراسهم (ويقون طاعة) أي يقول المنافقون عبد الله بن أبي
 وأصحابه إذا أمرهم بشئ شأننا طاعة أو ممانعة أو أمرنا يا محمد طاعة مرعاشتت ففعله (فأبرزوا
 من عندك) أي خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي تفكر ليل لا فريق من المنافقين
 وهم رؤسائهم غير الذي تأمروا وتكلموا فإما بينهم بعضياتك وتوافقوا عليه (والله يكتب ما يبيتون)
 أي ينزل إليك ما يتدبرونه ليلا في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أمرهم أو يثبت ذلك في صحائف
 أفعالهم ليحازوا به (فأعرض عنهم) أي لا تهتم بتكسبهم ولا تفضحهم إلى أن يستقيم أمر الإسلام
 (وتوكل على الله) في شأنهم فإن الله يكفيل شرهم وينتقم منهم (وكفى بالله وكيلا) أي مفوض إليه
 لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أي يعرضون عن القرآن فلا يملكون فيه ليعلموا كونه
 من عند الله تعالى بشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الناطق بنفاقهم (ولو كان)
 أي القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه) أي القرآن (اختلافا كثيرا) بأن يكون
 بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره تعالى وحيث
 كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به)
 أي وإذا جاءهم المنافقين خبر بأمر من الأمور سواء كان من باب الأمن أو من باب الخوف أفسدوه وكان
 ذلك سبب الضرر لأن هذه الأرجافات لا تنفع عن الكذب الكثيرة ولأن العدو أو الشديدة صارت
 قائم بين المسلمين والكفار وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث سرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بأمر
 المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به
 قلوب المؤمنين فأمر الله هذه الآية (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلم الذي يستنبطونه
 منهم) أي ولو ردها الخبر الذي تحدثوا به إلى الرسول وإلى ذوي العقول والرأي من المؤمنين وهم كبار
 الصحابة كابن بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي بكر لم يحدثوا به حتى يكون هؤلاء هم الذين يظهرونه لعلم ذلك الخبر
 من يستخرجونه من جهة هؤلاء أي ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول
 وإلى أولى الأمر وطلموا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلم هؤلاء المنافقون المذيعون من جانب الرسول
 ومن جانب أولى الأمر (ولو لا فضل الله عليكم رحمته) ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإزالة القرآن
 (لاتبعن الشيطان) وكفرتم بالله (الاقبلا) منكم فإن ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد صلى الله

عليه وسلم وعدم انزال القرآن ما كان يتبع الشيطان وما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة
ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهم (فقاتل في سبيل الله) أى في طاعة الله قيل وهذا متصل
بقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقيل هذا معطوف على قوله تعالى قاتلوا أولياء الشيطان
(لا تكلفوا أنفسكم) أى لا تفعلوا نفسكم فلا يضركم مخالفتهم فتقدم أنت إلى الجهاد وإن لم يساعدك
أحد فان الله ناصر لك واعلم أن الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات فالغلب على الظن أنه
يفيد لم يجب بخلاف الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه على ثقة من النصر والظفر (وحرض المؤمنين) أى
على الخروج معك بذلك النصيحة فتأهم آمجو بالتخلف لان القتال كان مفروضاً عليهم اذ ذلك فان فرضه
في السنة الثانية وهذه القضية في الرابعة كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدأ بأسفيا بعد
حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فذكره بعضهم فنزلت
هذه الآية (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أى ان يذبح صولة كفار مكة وعسى وعدم من الله
تعالى واجب الانجاز (والله أشد بأساً) أى قوة من قريش (وأشد تسكيلاً) أى تعذيباً (من يشفع
شفاعة حسنة) أى من ثوابها ويندرج فيها الدعاء بالسلم فإنه شفاعة إلى الله تعالى (ومن
يشفع شفاعة سيئة) أى نصيب من وزرها مساو لها في القدر والغرض من هذه الآية
بيان انه صلى الله عليه وسلم لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرة عظيمة ولو لم يقبلوا
أمره صلى الله عليه وسلم لم يرجع اليه من عصيانهم شئ من الوزر وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد
في ترغيبهم في الطاعة ولم يرغبهم في المعصية البتة فحارب جمع اليه من طاعتهم أجرة ولا يرجع اليه من
معصيتهم وزر (وكان الله على كل شئ مقبلاً) أى قادر على ائصال الجزاء إلى الشافع مثل ما وصله إلى
الشفوع فيه وما حفظه لأشياء شاهد اعلم فهو عالم بأن الشافع يشفع في حق أوفى باطل فيجازى كلاهما
علم منه (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى إذا سلم عليكم فردوا على المسلم رداً أحسن
من ابتدأه أو أجيبوا التحية بمثلها ومنتهى الأمر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بدليل ان هذا القدر هو الوارد في التشهد فالأحسن هو ان المسلم اذا قال السلام عليكم زيد في جوابه الرحمة
وان ذكر السلام والرحمة في الابتداء زيد في جوابه البركة وان ذكر الثلاثة في الابتداء أعيدت في
الجواب ورد الجواب واجب على الفور وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين
والأولى للكل ان يذكر الجواب اظهار اللام كرام ومبالغة فيه وترك الجواب اهانة والاهانة تضرر
والضرر حرام واذا استقبل واحد فقل سلام عليكم واقتصد بالجل والمالكين فانك اذا سلمت عليهم اردوا
السلام عليك ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم
أهل الكتاب فقولوا وعليكم وروى انه صلى الله عليه وسلم لم قال لا تبتدأ اليهود بالسلام واذا بدأك فقل
وعليك وعن أبي حنيفة انه قال لا يبدأ اليهود بالسلام في كتاب ولا في غيره وعن أبي يوسف قال لا تسلم
عليهم ولا تصالحهم واذا دخلت عليهم فقل السلام على من اتبع الهدى ورخس بعض العلماء في ابتداء
السلام عليهم اذا دعت إلى ذلك حاجة وأما اذا سلموا علينا فقال أكثر العلماء ينبغي ان يقال وعليكم ثم ههنا
تفريع وهو ان اذا قلنا لهم وعليكم السلام فهل يجوز ذكر الرحمة فقال الحسن يجوز ان يقال للكافر وعليكم
السلام لكن لا يقال ورحمة الله لأنها استغفار وعن الشعبي انه قال انصرتني وعليكم السلام ورحمة الله
فقبل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلماً ورد مثلها عند

كونه كافرا والمقصود من هذه الآية الوعيد فان الواحد من جنس الكفار قد يسلم على الرجل المسلم ثم ان
 ذلك المسلم يتفحص عن حاله بل ربما قتله طمعا منه في سلبه فاقته تعالى ذكره عن ذلك فاياكم ان تتعرضوا له
 بالقتل (ان الله كان على كل شيء حسيبا) أي محاسبا على كل أعمالكم وكافيا في ايصال جزاء
 أعمالكم اليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف وهذا يدل على شدة الاعتناء بحفظ الدماء
 (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر قال بعضهم كأنه تعالى يقول من سلم عليكم فاقبلوا سلامه - وواكرموه بناء
 على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو انما ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة
 (ليجمعنكم الى يوم القيامة) أي والله ليحضرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة (لا ريب فيه) أي في يوم
 القيامة (ومن اصدق من الله حديثا) وهذا استغهام على سبيل الانكسار والمقصود منه بيان انه يجب كونه
 تعالى صادقا وان الكذب والخلاف في قوله تعالى محال (فإنكم في المناققين فتنين) أي ما أنكم يامعشر
 المؤمنين صرتم في أمر المناققين فرقتين - وهو استغهام على سبيل الانكسار أي لم تختلفون في كفرهم مع ان
 دلائل كفرهم ونفاقهم ظاهرة جليلة فليس لكم ان تختلفوا في كفرهم بل يجب ان تقطاعوا به نزلت هذه الآية
 في عشرة نفر قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ثم قالوا يا رسول الله نريد
 ان نخرج الى الصحراء فأذن لنا فيه فأذن لهم فلما خرجوا من الزواجر حلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا
 بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم لو كانوا مسلمين مثلنا لبعوا معا وصرنا واحدا لعلهم يأتوا
 هم مساوون وليس لنا ان ننسبهم الى الكفر الى أن يظهر أمرهم فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية (والله
 أركسهم) أي ردهم الى أحكام الكفار من الذل والسي والقتل (بما كسبوا) من اظهار الكفر
 بعدما كانوا على النفاق وذلك ان المنافق مادام يكون متمسكا في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل
 الى قتله فاذا أظهر الكفر حينئذ يجري الله تعالى عليه أحكام الكفار (أتريدون أن تهدوا من أضل الله)
 عن الايمان (ومن يضل الله) عن دينه (فلن تجدنه سبيلا) الى ادخاله في الايمان (ودوا للذين كفروا
 كما كفروا) أي غنوا كفركم بمعدن القرآن كفر مثل كفرهم (فتكفون) أنتم وهم (سواء) في
 الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) أي اذا كان حالهم ودادة كفرهم فلا تولوهم
 حتى يتنقلوا من أعمال الكفار الى أعمال المسلمين لاجل أمر الله تعالى اعلم أن الهجرة تارة تحصل بالانتقال
 من دار الكفر الى دار الايمان وأخرى تحصل بالانتقال عن أعمال الكفار الى أعمال المسلمين قال صلى
 الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقال المحققون الهجرة في سبيل الله عبارة عن ترك مناهيات
 الله وفعل ما أمر الله به وذلك يشغل مهاجرة دار الكفر ومهاجرة شعار الكفر وانما قصد الله تعالى الهجرة
 بكونها في سبيل الله لاخراج الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن شعار الكفر الى شعار الاسلام
 لغرض من اغراض الدنيا فاعلموا ما اعتبر وقوع تلك الهجرة لاجل أمر الله تعالى (فإن تولوا) أي أعرضوا
 عن الايمان والهجرة ولزموا مواضعهم خارجا عن المدينة (فخذوهم) أي فأسروهم اذا قدرتم عليهم
 (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي في الحقل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسروا وقتلوا
 (ولا تتخذوا منهم) في هذه الحالة (وايما) يتولى شيئا من مهماتكم (ولا نصبرا) ينصركم على أعدائكم
 (الا الذين يصلون) أي يستهون (الى قوم ينسبكم وينسبكم) أي الامن دخل في عهد من كانت
 داخل في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية
 في حق هلال بن عويمر الأسدي وسراق بن مالك الدلمجي وبنو خزاعة بن عاصم بن عبد مناف وفي هذه الآية

بشارة عظيمة لاهل الايمان لانه تعالى لما رفع السيف عن التجأ الى من التجأ الى المسلمين فبان برفع العذاب
 في الآخرة عن التجأ الى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى (أو) الا الذين (جاؤكم حصرت) أى ضاقت
 (صدورهم) عن المقاتلة فلا يريدون (أن يقاتلوكم) لانكم مسلمون وللعهد (أو) لا يريدون أن
 (يقاتلوا قومهم) لانهم أقاربهم فهم لا عليكم ولا لكم أى لما أمر الله بأخذ الكفار وقتلهم استثنى من
 المأمورين اثنين أحدهما من ترك المحار بين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال
 الفريقين (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها والمعنى أن
 ضيق صدورهم عن قتالكم أغشاه بصدق الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم على قتال المسلمين
 لتسلطوا عليهم والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى من على المسلمين بكف بأس المعاهدين (فلقاتلوكم)
 وهذا في الحقيقة جواب لو وما قبله توطئة وأعيدت اللام توكيدا (فإن اعتزلوكم) أى تركوكم
 (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد للصلح والأمان (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) أى
 طريقا بالأسر أو بالقتل (ستجدون) عن قريب (آخرين) أى قوما من المتساقطين غير من سبق
 وهم قوم من أسد وغطفان كانوا قريين حول المدينة فاذا أتوا المدينة أسلوا وعاهدوا وقالوا لأصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انا على دينكم ليأمنوا من قتال المسلمين وإذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا
 عهودهم ليأمنوا من قومهم حتى كان الرجل منهم يقول له قومه عبادا أسلت فيقول آمنت بهذا الفرد
 وهذا العقب والخلفاء كما قال تعالى (يريدون أن يأمنوكم) أى يأمنوا من قتالكم باظهار الاسلام
 عندكم (ويأمنوا قومهم) أى من بأسهم باظهار الكفر إذا رجعوا اليهم (كلما ردوا الى الفتنة) أى
 كلما دعوا الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) أى قلبوا في الفتنة أقع قلبا وكانوا فيها شر من كل عدو
 شرير أى كلما دعاهم قومهم الى الكفر وقاتل المسلمين رجعوا اليه وهذا الاستعارة لشدة اصرارهم على
 الكفر وعداوة المسلمين لان من وقى في شئ منكوسا يتعذر خروجه منه (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
 السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث تقتضوهم) أى فإن لم يتركوا قتالكم ولم يطلبوا الصلح
 منكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم أى أسروهم واقتلوهم حيث تقتضوهم أى وجدوهم
 في الحل والحرم (وأولئك) أى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا منا) أى جعلنا لكم
 على جواز قتل هؤلاء حجة وانجحة وهى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم
 بأهل الاسلام أو جعلنا لكم عليهم تسلطا ظاهرا حيث أذننا لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن أن
 يقتل مؤمنا خطأ) أى ليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا عند الخطأ وهو ما إذا رأى عليه شعار
 الكفار أو وجد في عسكرهم فظنه مشركا فنهبا يجوز قتله ولا شك أن هذا خطأ فإنه ظن أنه كافر مع
 أنه غير كافر روى أن عياشا بن أبى ربيعة أسلم في مكة وهاجر الى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه
 وسلم اليها وتخص في أطعم من أطامها خوفا من قومه فاقعقت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس تحت
 سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل بن هشام والحرف بن زيد بن أبى أنيسة فأتياه فقال أبو جهل أليس
 أن محمدا يأمر بك بغير الإلام فأنصرف وأحسن الى أمك وأنت على دينك فخرج الى مكة فلما دنوا من مكة
 قياد يديه ورجليه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فلما دخل على أمه حافت لا يزل ولعنه القيد حتى
 يرجع الى دينه الاول فمروا بموطئ فامطروا حافى الشهب ما شاء الله ففعل بلسابه فأناء الحرف بن زيد
 فقال يا عياش ان كان دينك الاول هدى فقد تركته وان كان ضلالا فقد دخلت الآن فيه فغضب عياش

من مقالته وقال والله لا أقاتل خاليا أبدا لا قتل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرب بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبه عياش في ظهر قباء خاليا ولم يشعر بإسلامه فقتله فلما أخبره الناس بأنه كان مسلما دم على فعله وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت هذه الآية (ومن قتل مومنا خطأ) بأن يقصد رمي المثرة فأصاب مسلما أو يظن الشخص مشركا فقتله فبان مسلما أو يضرب المسلم بضربة لا تقتل غالباً فيموت منها فالأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد والثالث خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب ولذلك سمي شبه العمد (فتحبر برقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله) أي فعله اعتاق نسمة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مؤداة إلى ورثة المقتول يقتسمونها كسائر الموارث (الأن يصدقوا) أي إلا أن يعفو أهل المقتول عن الدية ويتركوها وهي العفو عنهم صدقة حنا عليه وتنبها على فضله وفي الحديث كل معروف صدقة (فإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم عدولكم) أي من سكان دار الحرب (وهو مؤمن) ولم يعلم القاتل بكونه مؤمناً (فتحبر برقبة مؤمنة) أي فما أجب على القاتل بسبب قتله الواقع على سبيل الخطأ وتحبر برقبة وأما الدية فلا تجب إذا ورائه بين المقتول وبين أهله لأنهم محاربون كالحرث بن زيد فإنه من قوم محاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الكفارة فإنها حق الله تعالى ليقوم المتقرب به مقام المقتول في المواظبة على العبادات (وإن كان) أي المقتول خطأ (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد مؤقت أو مؤبد (فدية) أي فعل قاتله دية (مسلمة إلى أهله) أي المقتول وهي ثلث دية المؤمن إن كان نصرانياً أو يهودياً تحمل ثلثاً وعشرها إن كان مجوسياً أو كتابياً لا تحمل منها كفته (وتحبر برقبة مؤمنة) على القاتل (فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) أي فإن كان فقيراً فعليه ذلك الصيام بدلاً عن الرقبة وقال مسروق بدلاً عن مجموع الكفارة والدية والتتابع واجب حتى لو أقطر يوماً وجب الاستئذان إلا أن يكون الفطر بجيـض أو نفاس (توبة من الله) أي شرع ذلك تجاوزاً من الله على تقصيره في ترك الاحتياط لأنه لو بالغ في الاحتياط لم يصدر عنه ذلك الفعل (وكان الله عليماً) بأن القاتل لم يتعمد (حكيماً) في أنه تعالى ما يؤاخذ بذلك الخطأ (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) روى ابن مقيس بن ضبابة الكنانى كان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد مقيس أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل رسول الله معز بن جبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتل منه إن علموه ويأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا اسمعوا طاعة فأتوه عاتية من الأبل فأنصرفوا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانوا ببعض الطريق تغفل مقيس الكنانى في رسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفهري فرماه بمخرة فشده ثم ركب بعيراً من الأبل واستاق بقيتها راجعاً إلى مكة كافرًا فنزلت هذه الآية وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الغتص من أمته فقتل وهو متعلق باستئذان الكعبة (خالد أفيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل جزاؤه أن يدخل جهنم خالد أفيها (وغضب الله عليه) أي اقتسم منه عطف على مقدر كأنه قيل بطريق الاستئناف حكيم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه (ولعنه) أي أبعد عن الرحمة يجعل جزاءه ما ذكر (وأعدله) في جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقاد قدره وقال ابن عباس ومن يقتل مؤمناً رسول سيدنا رسول الله متعمداً بقتله أي بأن صدقة قتله بالسبب الذي يعلم إقصاءه إلى الموت سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن جزاؤه جهنم بقتله عامداً عما لا يكون مؤمناً خالد أفيها بشركه وارتداده وغضب الله عليه بأخذه الدية ولعنه بقتله غير قاتل أخيه وأعدله عذاباً

عظيما أي شديد اجراءه على الله (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله) أي سافرتم في الغزو
(فتبينوا) أي تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر قرأ حمزة والكسائي هنا في الموضعين وفي
الحجرات فتبينوا أي اطلبوا التثبت والمراد في الآية قتالوا واتركوا الجحلة واحتاطوا (ولا تقولوا لمن ألقى
إليكم السلام) أي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم تحية الاسلام أو لمن ألقى إليكم الانقياد بقول لا اله
الا الله محمد رسول الله (لست مؤمنا) فقتلوه (تبتغون عرض الحياة الدنيا) أي حال كونكم
طالبين لماله الذي هو سريع النفاذ (فعند الله مغنايم كثيرة) أي ثواب كثير (كذلك كنتم من قبل)
أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضا في أول اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه
لكم من تحية الاسلام ونحوها (فن الله عليكم) بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم جهادكم
وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرايركم (فتبينوا) أي إذا كان الأمر كذلك أي فقيسوا حاله بحالكم
وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على توأطى الظاهر والباطن
(إن الله كان عما تعملون) من الأعمال الظاهرة والخفية (خبيرا) فيجازيكم بحسبها إن خير الخبير
وإن شرافسرها فلا تنهاؤا في القتل واحتاطوا فيه زلت هذه الآية في شأن مرداس بن نعيم رجل من
أهل فذل وكان قد أسلم هو ولم يسلم غيره من قومه فذهبت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه
مع أميرهم غالب بن فضالة فهوروا وبقي مرداس لثقتهم باسلامه فلما رأى الجليل ألتأغمة إلى عاقول من
الجيل فلما تلاحقوا وكبروا وكبر وزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليه كم قتلته أسامة بن
زيد واستاق غنمه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا شديدا وقال قتلتموه أراذلة مامعه
فقال أسامة انه قال بلسانه دون قلبه فقال صلى الله عليه وسلم هلا شقت عن قلبه ثم قرأ هذه الآية على
أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف وقد تلا لا اله الا الله قال أسامة فإزال صلى الله عليه وسلم
يعيدها حتى ودت أن لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي ثلاث مرات وقال أعثق رقبة (لا يستوى
القاعدون) الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد كتحفاهم بغيرهم الذين هم (من المؤمنين غير أولى
الضرر) من مرض أو عاهة من عي أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأبهة قرأ ابن كثير
وأبوهم ر و حمزة وعاصم بالرفع بدل من القاعدون ونافع وابن عامر والكسائي والباقون بالنصب على
الحال من القاعدون والأعمش بالجر على الصفة للمؤمنين (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم)
قال ابن عباس أي لا يستوى القاعدون عن بدر والخارجون اليها (فضل الله المجاهدين بأموالهم
وأنفسهم على القاعدين) أولى الضرر (درجة) أي فضيلة في الآخرة لأن المجاهد باشر الجهاد
بنفسه وماله مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشر والجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا)
من المجاهدين والقاعدين (وعدا الله الحسن) أي الجنة بإيمانهم (وقض الله المجاهدين) في سبيل
الله (على القاعدين) الذين عذرهم ولا ضرر (أبراعظيما درجات منه) أي من الله تعالى
(ومغفرة) للذنوب (ورحمة) من العذاب (وكان الله غفورا) لمن خرج إلى الجهاد (رحيما) لمن
مات على التوبة وقيل هذا التفضل بين المجاهدين والقاعدين غير أولى الضرر فقط وذلك إما للتنزيل
الاختلاف بين التفضيلين منزلة الاختلاف الذاتي كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين
درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وأما الاختلاف بالذات بين التفضيلين على أن المراد بالتفضل الأول
ما أعطاهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمه والتفكير والذكر الجميل الحقيقي بكونه درجة

واحدة وبالفضل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى أما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين ويدل على المساواة النقل والعقل أما النقل فقوله تعالى ثم رددناه بأسفل ساقلين إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون وذكر بعض المفسرين في تفسير ذلك أن من صار همما كتب الله له أجر ما كان يعلمه قبل همهم غير منقوص من ذلك شيئا وأما العقل فالعلة صدور من جميع الطاعات استنارة القلب بنور معرفة الله تعالى فإن حصل الاستواء فيه للمجاهد والقاعد فقد حصل الاستواء في الثواب وإن كان القاعد أكثر حظا من هذا الاستغراق كان هو أكثر ثوابا وقال بعضهم والمراد بقوله وفضل الله المجاهدين لدفع النكراهم من كان مجاهدا في كل الأمور بالظاهر والقلب وهو أشرف أنواع المجاهدة وحاصل هذا الجهاد صرف القلب من الالتفات إلى غير الله إلى الاستغراق في طاعة الله ولما كان هذا المقام أعلى جعل فضيلته درجات (أن الذين توفاهم الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم بلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة بلون قبض أرواح الكفار (ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأموال الدين فإن هذه الآية تزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فقتلوا يوم بدر مع الكفار منهم علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمة وقيس بن الوليد ابن المغيرة وأبا العاص بن مذبذبة بن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه (قالوا) أي الملائكة لهم حين القبض (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمر دينكم أي أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم مشركين أو فم كنتم في حرب محمد أو في حرب أعدائه (قالوا) معذرين باعتذارا غير صحيح (كنا مستضعفين في الأرض) أي كنا مهجورين في أرض مكة في أيدي الكفار (قالوا) أي الملائكة لهم توخا مع ضرب وجوههم وأدبارهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) أي أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم فبقيت بين الكفار وقال ابن عباس أي ألم تكن المدينة آمنة فتهاجروا إليها (فأولئك مأواهم) في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة فأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لا وثالث وهذه الجملة خبران وقوله تعالى فالواقيم كنتم حال من الملائكة أو هو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم (وسأتم مصيرا) أي بشئ مصيرهم جهنم (الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان) أي الصبيان أو المماليك (لا يستطيعون حيلة) أي لا يقدررون على حيلة الخروج ولا نفقة أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم من تلك المهاجرة (ولا يمتدون سبيلا) أي لا يعرفون طريقا ولا يجدون من يدلهم على الطريق كعباش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام وسيدنا عبد الله بن عباس وأمه أمهم بالبابة كما قال كنت أنا وأمي عن عفا الله عنه بهذه الآية (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) وذكر العفو بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع لأن الإنسان لسدة نفرتة عن مفارقة الوطن رباعظن نفسه عاجزا عنهم مع أنه لا يكون كذلك في الحقيقة فكانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام (وكان الله عفوا) لما كان منهم (عفوورا) لمن تاب منهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراحمًا كثيرا وسعة) في المعيشة أي ومن يهاجر في طاعة الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبيلا رغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلده الأصلية وذلك لأن من ذهب إلى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة ووصل ذلك الخير إلى أهل بلده تخرجوا من سوء معاملتهم معه ورغمت أنوفهم بسبب ذلك (ومن يخرج من

يستمهاجرا الى الله ورسوله) أى الى موضع أمر الله ورسوله (نم يدرك الموت) قبل أن يصل الى
 المقصود ان كان خارج بابه (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته عند الله بإيجابه على نفسه
 بحكم الوعد والتفضل والكرم لا بحكم الاستحقاق الذى لو لم يفعل لخرج عن الإلهية (وكان الله غفورا)
 لما كان منه من القعود الى وقت الخروج (رحيما) باكمال أجر الهجرة فكذلك كل من قصد فعل
 طاعة ولم يقدر على تمامها كتب الله له ثوابها كاملا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه
 قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات بعثهم الى مكة فقبلت على المسلمين الذين كانوا فيها
 اذ ذاك فسمعها رجل من بني لبيش شيخ من بني كعب بن جندع بن ضمرة فقال لبنيه استملوني فاني لست
 من المستضعفين واني لا هتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما
 بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شمالك ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على
 ما أبايعك عليه رسولك فأت فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أتم أجر وأفضل
 المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فأمر الله تعالى قوله تعالى ومن يخرج من بيته الآية قالوا كل هجرة في
 غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهي هجرة الى الله تعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى اذا سافرتم أى مسافرة كانت
 فليس عليكم ما تم في أن تردوا الصلاة من أربع ركعات الى ركعتين اذا كان السفر طويلا فير معصية
 وهو عند الشافعي ومالك أربعة برد وهي مرحلة وان وعند أبي حنيفة ثلاثة أيام بلياليهن وروى عن عمرانه
 قال يقصر في يوم تام وبه قال الزهري والاوزاعي وقال أنس بن مالك المعتبر خمس فراعص (ان خفتم أن
 يقتلكم الذين كفروا) أى ان خفتم أن يتعرضوا لكم بماتكم هرونه من القتال وغيره وقال ابن عباس
 أى ان علمتم أن يقتلوكم في الصلاة وهذا الشرط بيان لا واقع اذ ذاك وهو ان غالب أسفار نبينا صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه لم تخل من خوف العدو كما ذكرنا المشركين وأهل الحرب اذ ذاك حينئذ لا يشترط الخوف
 بل للمسافر القصر مع الأمن لما في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم سافر بين مكة والمدينة لا يخاف الله
 عز وجل فكان يصلي ركعتين قال يعلى بن أمية قلت لعمران قال الله تعالى ان خفتم وقد آمن الناس قال
 عمر قد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
 صدقته رواء مسلم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ان العداوة الحاصلة بينكم وبين الكافرين
 قديمة والآن قد أظفرتهم خلافتهم في الدين وازدادت عداوتهم وبسبب شدة العداوة قصدوا اتلافكم ان
 قدر وافان طالب صلواتكم فربما وجدوا الفرصة في قتلكم فعلى هذا رخصت لكم في قصر الصلاة (واذا
 كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) أى اذا كنت يا أثرى الخلق مع المؤمنين في خوفهم
 فأردت أن تقم بهم الصلاة فاجعلهم طائفتين فلتقم منهم طائفة معك فصل بهم ولتقف الطائفة الأخرى
 بإزاء العدو ليحرسوكم منهم (وليأخذوا) أى الطائفة الذين يصلون معك (أسلحتهم) من التي لا تشغلهم
 عن الصلاة كالسيف والخجرفان ذلك أقرب الى الاحتياط وأمن للعدو من الاقدام عليهم (فأذا سجدوا)
 أى القائمون معك وأتموا صلواتهم بعدنية المفارقة (فليكونوا من وراءكم) أى فليمنعوا من وراءكم
 الى مصاف أصحابهم بإزاء العدو للحراسة ثم يبقى الامام قائما في الركعة الثانية (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
 فليصلوا معك) في الركعة الثانية ثم يجلس الامام في التشهد الى أن يصلوا ركعة ثانية ثم يسلم الامام بهم
 وهذا قول سهل بن أبي حنيفة ومذهب الشافعي (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم) من العدو

(وأسلحتهم) معهم وانما ذكر الحذر هنا لان العدو لم يتبعه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين لاجل المحاربة فاذا قاموا في الركعة الثانية ظهر للكفار كونهم في الصلاة فيشتد نيتهم ون الفرصة في الهجوم عليهم فخص الله تعالى هذا الوضع بزيادة الحذر من الكفار (والذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي غنوا نسيانكم عن الاسلحة وما تستمتع بها في الحرب اذا قمتم الى الصلاة فينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة في الصلاة (ولا جناح عليكم ان كلن بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) أي لا رزركم في وضع الاسلحة ان تعذر حملها اما لنقلها بسبب مطر أو مرض أو لايذاء من في الجنب (وخذوا حذركم) أي احذروا من العدو ما استطعتم لانه يهجمو عليكم وهذه الآية تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالنواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا والله أعلم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) في الدنيا بأن يخذلهم ويتصر كم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه تعالى بأيديكم بالقتل والأمر والنهي (فلا تقصيت الصلاة) فاذكروا الله قياما وعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأنتم فاقبوا الصلاة أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله في جميع الاحوال حتى في حال المسابقة والقتال فان ما أنتم عليه من الخوف والحذر مع العدو حدير بالمواطبة على ذكر الله والتضرع اليه فاذا سكنت قلوبكم من الخوف فادوا الصلاة التي دخل وقتها حينئذ على الحالة التي كنتم تعرفونها ولا تغيروا شيئا من أحوالها وهياتها وقيل معنى الآية فاذا أردتم أداء الصلاة فاصلوا قياما حال اشتغالكم بالمسابقة والمقارعة وعودا جازين على الركب حال اشتغالكم بالمراماة وعلى جنوبكم حال ما تكثرا لبراحات فيكم فتسقطون على الأرض فاذا زال الخوف عنكم بانقضاء الحرب فانصوا ما صليتم في تلك الاحوال وهذا ظاهر على مذهب السافعي من ايجاب الصلاة على المحارب في حال المسابقة اذا حضر وقتها واذا اطمأنوا فعليهم القضاء وقال بن عباس أي فاذا فرغتم من صلاة الخوف فاصلوا الله قياما للهجوع وعودا للمريض وعلى الجنوب للمخرج والمريض فاذا ذهب منكم الخوف ورجعتم الى منازلكم فاقبوا الصلاة أربعا (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا موقوتا (ولا تمنوا في ابتغاء القوم) أي لا تهجزوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال نزلت هذه الآية في شأن بدر الصغرى وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه فقتلوا الجراحات حين رجعوا من أحد (ان تكونوا تأملون فانهم يأمون كما تأملون) أي ان كنتم تتوجعون بالجراح فانهم يتوجعون بالجراح للحصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم فلم يصبر خوف الالم ما نعالهم عن قتالكم فكيف صار ما نعالكم عن قتالهم (وترجون من الله ما لا يرجون) أي وأنتم ترجون من الله نوابه وتحافون عذابه لأنكم تعبدون الله تعالى والمشركون يعبدون الأصنام فلا يصح منهم أن يرجوا منها نوابا أو يخافوا منها عقابا فيجب أن تكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليهم وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة أي لان تكونوا (وكان الله عليهما حليما) أي لا يكلفكم شيئا الا بما هو عالم بانه سبب لصلاحتكم في دينكم ودنياكم (انا أنزلنا الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) أي بين طهجة وزيد بن مسين (بما أراك الله) أي بما علم الله في القرآن ومعنى العلم الذي يعنى الاعتقاد بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن الريب يكون جازيا يجري الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقول أحدكم قضيت بما أراى الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الالهيته والراى منا يكون ظنا لا علما زالت هذه الآية

في شأن رجل من الانصار يقال له طحمة بن ابرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان وهي في جراب دقيق فصار الدقيق يتناثر من خرق فيه فطأها عند زيد بن عيينة اليهودي فالتفت الدرع عند طحمة فلم توجد فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طحمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو طحمة انطلقوا بنا الى رسول الله نسأله ان يشهد ان اليهود هو السارق لئلا نتضع بل عزموا على الحلف فذهبوا وشهدوا وازوروا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قاذح فيهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اليهودي أربعة طع بده لثبوت المال عنده فأعلم الله الحال بالوحى فهم ان يقضى على طحمة فهرب الى مكة وارتد ونقب حائط السرق متاع أهله فوقه عليه فقتله ومات مرتد في مكة (ولا تكن يا أعراف الخلق (للمثانين) أى لأجل المنافقين والذنب عنهم هم وهم طحمة وقومه بنو يبرق وبشر وبشير ومبشر كما أخرجه الترمذي من حديث قتادة بن النعمان (أخيهما) أى محاسنها من كان بريئاً عن الذنب وهو اليهودي (واستغفر الله) من هلك بضرب اليهودي زيد بن عيينة تعويلاً على شهادتهم لأنهم كانوا في الظاهر مسلمين فاستغفره صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك اللهم بالحكم الذي لو وقع لكان خطياً في نفسه وان كان معذوراً عند الله فيه فغفر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهذا القدر فان حسنات الارباب سيئات المقربين (ان الله كان غفوراً رحيماً) أى مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره (ولا تجادل عن الذين يخفون انفسهم) طحمة ومن عاونه من قومه من علم كونه سارقاً (ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) فان طحمة خان في الدرع وانتم في نسبة اليهودي الى تلك السرقة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع السرقة عنهم ويحلف باليهودي وهذا يبطل رسالة الرسول ومن حاول ابطاله ذلك واظهار كذبه فهو كافر وقيل اذا عثرت من رجل على سبيته فاعلم ان لها اخوات وروى عن عمرانه امره بقطع يد سارق لحامات أمه تنبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال عمر كذبت ان الله لا يؤخذ عبده في أول الامر (يستخفون من الناس) أى يستترون منهم خيماً وخوفاً من ضرر (ولا يستخفون من الله) أى ولا يستحيون منه تعالى ولا يخافون من عذابه تعالى (وهو معهم) بهلمه ورؤيته وقدرته (اذ يمشون) أى يقدرون في اذهانهم (مالاً يرضى) أى الله (من القون) وهو أن طحمة قال ارمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وحلف ان لم امرقها فيقبل الرسول عيني لاني على دينه ولا يقبل عيني اليهودي (وكان الله بما يعملون محيطاً) لا يعزب عنه تعالى شيء ولا يغت (ها أنتم هؤلاء) أى أنتم يا قوم طحمة (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) أى هبوا اذكهم خاصة عن طحمة وأمثاله في الدنيا وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب عنه بالافراد (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) عند تهذيبهم (أم من يكون عليهم وكيلاً) أى أم من الذي يكون محافظاً لهم من عذاب الله (ومن يعمل سوءاً) أى فيه يحجز به غيره كما فعل طحمة من سرقة الدرع لقتادة ومن رمى اليهودي بالسرقة (أو يظلم نفسه) كالحلف بالكاذب (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفوراً) لذنبه (رحيماً) حيث قبل توبته (ومن يكسب أثماً) أى ذنباً (فإنما يكسبه على نفسه) فلا ياتيه عدى ضرره الى غيره فليحذر عن اقبال نفسه للعقاب عاجلاً وأجلاً والكسب عبارة عما يفيد جر صفة أو دفع مضرة ولذلك لم يحجز وصف الله تعالى بذلك (وكان الله عليماً) بما في قلب عبده عند اقامه على التوبة (حكيماً) تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب وان لا يحمل نفساً او رزقاً او نفس أخرى (ومن يكسب خطيئة) أى صغيرة أو قاصرة على الفاعل أو ما لا ينبغي فعله بالعمد أو بالخطأ (أو أثماً) أى كبيرة أو ما يتعدى الى الغير كالظلم والقتل أو ما يحصل

بالعمد (ثم يرم به) أي يعذب بذلك الذنب (بريشاق قد احتسب بهتنا وأثامنا) أي فقد أو جب على نفسه عقوبة بهتان عظيم وعقوبة ذنب بين البهتان أن ترمى أخاك بأمر منكروه وهو يرى منه فصاحب البهتان مذموم في الدنيا أشد الذم ومعاقب في الآخرة أشد العقاب فقوله تعالى بهتنا إشارة إلى الذم العظيم في الدنيا وقوله تعالى أثامنا إشارة إلى العقاب العظيم في الآخرة (وإذا فضل الله عليك) بإعلامك ما هم عليه بالوحي (ورحمته) بتنبهك على الحق أو المعنى لولا أن الله خصل بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العفة (لحمت ضائعة منهم أن يضلوك) أي لا رادت طائفة من قوم طعمته أن يلغوا في الحكم الباطل وذلك لأن قوم طعمته قد عرفوا أنه سارق ثم سألو النبي أن يجادل عنه ويبرئه عن السرقة وينسب تلك السرقة إلى اليهود (وما يضلون إلا أنفسهم) بسبب تعاونهم على الائم والعديان وشهادتهم بالزور والبهتان (وما يضرونك من شيء) أي أنفسهم وإن سعوا في القائل في الباطل فأنت ما وقعت فيه لانه تعالى عاصم ولا تل بنية الامر على ظاهرها الحال وأنت ما أمرت إلا ببناء الاحكام على الظواهر (وأمر الله عليك الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي علم الشرائع (وعلمك ما لم تكن تعلم) من أمور الدين وأسرار الكتاب والحكمة وأخبار الأولين وحيل المنافقين (وكان فضلي الله عليك عظيما) وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف المناقب والفضائل مع أن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم إلا القليل (لا خير في كثير من نجواهم إلا) في نجوى (من أمر بصدقة) واجبة أو مندوبة (أو معروف) وهو أصناف أعمال البر كالقرض وإغاثة الملهوف (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع المعادة بينهم من غير مجاوزة حدود الشرع في ذلك وذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا ما كان من أمر ب معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أي هذا المذكر من الصدقة وقوفون الجميل والإصلاح أو ذلك الأمر بهذه الأقسام الثلاثة كأنه قيل ومن يأمر بذلك ويجوز أن يراد بالفعل الأمر فعبير عن الأمر بالفعل لأن الأمر فعل من الأفعال أي ومن يأمر بذلك (ابتغاء مرضاة الله) أي طلب رضا الله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أما إذا أتى بذلك للرياء والسمعة صار من أعظم المفاسد وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية وتصفية القلب عن داعية الالتفات إلى غرض سوى طلب رضا الله وقرأ أبو عمرو وخمزة دؤتيه بالياء مناسبة للغيب في قوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والباقيون بنون العظمة مناسبة لقوله تعالى الآتي نؤتيه ونصله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) روى أن طعمة بن أبيرق لما رأى أن الله تعالى هلك شره وبرا اليهودي عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة ونقب جدار انسان لأجل السرقة فهدم الجدار عليه ومات فتركت هذه الآية ومعناها ومن يخالف الرسول في الحكم من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام ويتبع دين غير دين الموحدين وتركه إلى ما اختار لنفسه وتخله إلى ما اعتمد عليه في الدنيا ويدخله جهنم في الآخرة فويلس مصيره جهنم وذلك أن طعمة قد تبين له بما أوحى الله تعالى من أمره من أنه سارق مادله ذلك على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعادى الرسول وأظهر الشقاق وترك دين الاسلام واتبع دين عبادة الاصنام (إن الله لا يغفر أن يشرك به) إذا مات على الشرك (ويغفر ما دون ذلك) أي الشرك (لمن يشاء) سواء حصلت التوبة أو لم تحصل روى عن ابن عباس رضي الله عنه ما أن شيخنا من العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أني شيع منكم في الذنوب إلا أني لم أشرك

بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراحة على الله تعالى وما توهمت
 طرفة عن أني أنحصر بالله هربا أو أني لنادم نائب مستغفر فأتري حالي عند الله تعالى فترلت هذه الآية
 (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة أما من لم يشرك بالله
 لم يكن ضلاله بعيدا فلا يصير محرورا من الرحمة ثم بين الله تعالى كون الشرك ضلالا بعيدا فقال (إن يدعون
 من دونه إلا أنا) أي ما يعبد المشركون من أهل مكة إلا أنا باسمهم بالاناث كقولهم اللات والعزى
 ومناة واللات تأنيث الله والعزى تأنيث العزيز ومناة تأنيث المنان أولانهم كانوا ينوون على هيات
 النسوان وقرأت عائشة مرضى الله عنها (الأولان ابن عباس) الاثنا جميع وثن مثل أسدوا أسدوا لله مرة بدل
 من الواو المضمومة (وإن يدعون إلا شيطانا مرييا لعنه الله) أي وما يعبدون إلا شيطانا شديدا بعد عن
 الطاعة طرده الله من كل خير لأن إبليس هو الذي أمرهم بعبادة الاوثان فكانت طاعته في ذلك عبادة له
 (وقال) أي الشيطان عند ذلك (لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا) أي لا جعلن لي من عبادك حظا مقدرا
 معينا وهم الذين يتبعون خطوات إبليس ويقبلون وساوسه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 من كل آفة واحدة وسائر الناس ولا إبليس (ولا ظنهم) عن الهدى (ولا منيهم) أي الذين في
 قلوبهم إيمان وهم الذين يتبعون الحرس والامل وهم ما يستلزمان أكثر الاخلاق الذميمة وبالأزمان
 للانسان قال صلى الله عليه وسلم يرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص والامل اه فالحرص يستلزم
 ركوب الاهوال فاذا اشتد حرصه على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله الا بمعصية الله واذا طال
 أمسه نسي الآخرة وصار غريبا في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه
 كالحجارة أو أشد قسوة (ولا منهم) بالتبديل أي شق آذان الناقة (فليبتكن آذان الانعام) فإن
 العرب كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء المامس ذكر احرموه واعلى أنفسهم الاتقاع
 بها (ولا منهم) بالتغيير (فليغيرن خلق الله) صورة أو صفة كاختصاص العبيد وفق العيون
 وقطع الآذان والوشم والوشور وصل الشرفان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا وكانت العرب اذا بلغت
 ابل أحداهم الفاعور واهن خلقه او يدخل في هذه الآية التخنث والمخاقاة لان التخنث عبارة عن ذكر
 يشبه الانثى والسحق عبارة عن انثى تشبه الذكر ومجموع اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في
 اليها ثم للحاجة فيجوز في الماء كقول الصغير ويحرم في غيره (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بأن
 فعل ما أمره الشيطان به وترث ما أمره الرحمن به (فقد خسر خسرانا كبيرا) أي بتضييع أصل ماله
 وهو الدين الفطري كما قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي دين الاسلام ولكنه أبواه
 يهودانه وينصرانه ويمجسانه وذلك لا طاعة لله تفيد المنافع العظيمة الدائمة وطاعة الشيطان تفيد
 المنافع القليلة المنقطعة ويعقبها العذاب الاليم (بعدهم ويعينهم) بأن يلقي الشيطان في قلوبهم أنه
 سيطول أعمالهم وينالون من الدنيا ما لهم ومقاصدهم ويقع في قلوبهم ان الدنيا دول فربما تسرت لهم كما
 تسرت لغيرهم وأيضا ان الشيطان يعدهم بأنه لا قيامة ولا جزاء فاجتهدوا في استيفاء اللذات الدنيوية
 (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو ان يظن الانسان بالشيء انه نافع ولذا يثبته بين الشيطان على
 أعظم الآلام والمضار وجميع أحوال الدنيا كذلك (أولئك) أي أولياء الشيطان وهم الكفار
 (ماواهم جهنم ولا يحسدون عنها) أي جهنم (جميعا) أي معدلا ومهريا (والذين آمنوا) أي أقروا
 بالايمان (وعملوا الصالحات) أي الطاعات تصديقا لأقرارهم (سندخلهم جنات تجري من تحتها

(الانهار والذين فيها) أى ما كثر في الجنة مكنا طويلا لا يخرجون منها (أبدا وعد الله حقا) أى
 وعدهم الله بذلك الإدخال وعد الأكل في حق ذلك حقا والاول مؤ كد لنفسه والثاني مؤ كد لغيره
 (ومن أصدق من الله فيلا) أى لا أحد أصدق من الله وعداوهذا وكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات
 معارضة لمواعيد الشيطان الكاذبة وترغيب للعباد في تحصيل ما وعد الله (ليس بأمانيتكم ولا أمانى
 أهل الكتاب) أى ليس الثواب الذى تقدم الوعد به في قوله تعالى سدد خلفهم جنات بأمانيتكم بامعشر
 المؤمنين ان يغفركم وان ارتكبتم الكبائر أى فأنتم كنتم غنيمت ان لا تؤاخذوا بسوء بعد الايمان ولا أمانى
 اليهود والنصارى فانهم قالوا ان يدخل الجنة الامن كان هوذا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباءه فلا
 يعذبنا وقالوا نحن نعمة النار الا أياما معدودة وليس الامر كذلك فانه تعالى يخص بالعتق والرخصة من
 يشاء أى ليس يستحق ذلك الثواب بالامانى وانما يستحق بالايمان والعمل الصالح (من يعمل سوءا
 يجزيه) فالؤمن يجزى عند عدم التوبة اما في الدنيا بالمصيبة أو بعد الموت قبل دخول الجنة أو بالتعاط
 ثواب طاعة بعد ارتكاب تلك المعصية والكافر يجزى في الدنيا باللعن والدار في الآخرة دائما روى أنه
 لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله
 لك يا أبا بكر ألت ترض أن يسببك الذى أى من العبداء والحسن قال بلى يا رسول الله قال فهو
 ما تجزون وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قرأ هذه الآية فقال أنجزى بكل ما عمل لقد هلك كائن
 كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وما يؤذيه وعن أبي هريرة
 قال لما نزلت هذه الآية بكينا وخرنا وقلنا يا رسول الله ما أبت هذه الآية لنا شيئا فقال صلى الله عليه وسلم
 ابشروا فإنه لا يصيب أحد منكم مصيبة في الدنيا الا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه
 (ولا يجعله من دون الله) أى مجاوزا عن حفظ الله ونصرته (وليا) أى حافظا يحفظه (ولا نصيرا)
 ينصره فشفاعة الانبياء والملائكة في حق العصاة انما تكون باذن الله تعالى واذا كان الامر كذلك
 فلاولى لاحد ولا نصير لاحد الا الله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) أى من يعمل بعض الصالحات
 كائنا (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أى ولا ينقصون قدر منبت
 النواة من ثواب أعمالهم فاذ لم ينقص الله الثواب لجدير أن لا يزيد في العقاب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وشعبة عن حاصم يدخلون الجنة بالبناء للفعول وكذلك في سورة مريم وفي حم المؤمن قال مسروق لما نزل
 قوله تعالى من يعمل سوءا يجزيه قال أهل الكتاب للسهل امين نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية (ومن
 أحسن ديننا من أسلم وجهه لله) أى لا أحد أحسن ديننا من عرفه بقلبه وأقر برؤيته وبعبودية
 نفسه (وهو محسن) أى والحال أنه آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم حنيفا) حال
 للتبوع أو للتابع وانما عاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الى دين ابراهيم لانه أشهر عند كل الخلق
 أن ابراهيم ما كان يدعو الى الله تعالى وشعره مقبول عند الكل لان العرب لا يفتخرون بشئ
 كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به (واتخذ الله
 ابراهيم خليلا) روى ان ابراهيم عليه السلام كان يسمى أبا الضيفان وكان منزله على ظهر
 الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس أزمع فاجتمعوا في باب الضيفان يطلبون الطعام
 وكانت الميرة له كل سنة فمن صديق له بمصر فبعث غلامه بالابل الى الخليل الذي بمصر فقال خيل له غلامه
 لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لعلبت ولكن يريد هذا الضيفان وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة

فرجع غلبته فزواجه طيما أي بأرض ذات حصي فلو أمها الغرائر حياء من الناس حيث كانت إبليس
 فارغوا جازا بها إلى منزل إبراهيم وألقوها فيه ونفروا وأخبره أحدهم بالقصة فأنعم لذلك غمسا شديدا فغلبه
 عيناه ومحدث سارة إلى الغرائر ففتمتها فإذا فيها أجود حواري بضم الحاء المهملة وتشديد النون ووقع الزاء
 وهو اللقيق الذي فخل مرة بعد أخرى فأمرت الخبازين فخبزوا فأطعمت الناس فاستيقظ إبراهيم فوجد
 راحته الخبز فقال من أين هذا لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل
 لم يمه الله تعالى خليله لا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخم فحيى
 فقال إبراهيم عليه السلام أذكر مرة أخرى فقال لا أذكره سبحانه فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت
 أتمحي من الأول فقال أذكر مرة ثالثة ولك أولاد فقال الملك أشرفاني ملك لا أحتاج إلى مالك ولذلك
 وإنما كان المقصود امتحان فلما بطل المال والأولاد على معاهذ كراهة لخالقه اتخذ الله خليله (ولله
 ما في السموات وما في الأرض) يختار منهما ما يشاء لمن يشاء (وكان الله بكل شيء) من أهل السموات والأرض
 (محيطا) بالقدرة والعلم (ويستفتونك في النساء) أي يسألك يا أشرف الخلق جماعة من الصحابة
 عن أحوال كثيرة مما يتعلق بحق النساء فالذي بين الله حكمه فيما سبق في أول هذه السورة أحال بيان
 الحكم في ذلك والذي لم يبين حكمه بين هنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيك فيهن وما ينسلي عليكم) أي
 قل يا أشرف الخلق لهم الله تعالى قدين لكم أحوال النساء والمتلو (في الكتاب) في أول هذه السورة قدين
 لكم (في ينسلي النساء) أي في شأنهن فاستعطفوا على المبتدأ وهذا متعلق ببيتلي وذلك المتلو في الكتاب
 هو قوله تعالى وإن خفتن أن لا تقسطوا في اليتامى (اللاتي لا تؤتونن ما كتب لهن) أي اللاتي لا تعطونهن
 ما وجب لهن من الميراث أو الصداق وذلك لأنهم يورثون الرجال دون النساء والبيكار دون الصغار
 (وترغبون أن تنكوهن) وهذا يحتمل الرغبة والنفرة فإن حمل على الرغبة كان المعنى وترغبون في أن
 تنكوهن لما لهن وجماع لهن بأقل من صدقهن وإن حمل على النفرة كان المعنى وترغبون عن أن
 تنكوهن لعدم ما لهن ونكوهن رغبة في ما لهن وهذه الجملة معطوف على الصلة عطف المشتبه على المنفية
 ويجوز أن تكون حالا من فاعل تؤتونن والتأويل وأنتم ترغبون وهذا إذا أريد بقوله تعالى ما كتب
 لهن صدقهن روى مسلم عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جماعها وما لها
 ويريد أن ينكحها وينقص صدقها عن عادة نساء قومها عن ذلك كاهن ألا تنكحها في الكمال
 الصداق وأمرها بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل
 الله تعالى ويستفتونك في النساء إلى قوله تعالى وترغبون أن تنكوهن فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت
 ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلقوها بعداتها في الكمال الصداق وإذا كانت مرغوبا عنها في قلة
 المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها قال تعالى فكأبتر كونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها
 إذا رغبوا فيها إلا أن يعطوها حقها الأول من الصداق ويقسطوا لها (والمستضعفين من الولدان)
 معطوف على ينسلي النساء وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون الأبطال ولا النساء الذي تلى في حقهم قوله تعالى
 يوصيكم الله في أولادكم وروى أن عبيدة بن حصن الغزاري جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 أخبرنا بابل تعطى الابنة النصف والأخت النصف وإنما كانوا يرثون من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال
 صلى الله عليه وسلم (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين وتقدير الآية وما يتلى
 عليكم في الكتاب يفتيك في ينسلي النساء وفي المستضعفين في أن تقوموا لليتامى بالقسط والذي تلى في

حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم وأتلفوا من خير فإن الله
 كان به عليما (أي يجازيكم عليه ولا يضيع عند الله منه شيء) (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) أي
 اظهار الخشونة في القول أو الفعل أو فيهما (أو أعراضا) أي سكتوا عن الخير والنشر (فلا جناح عليهما)
 حينئذ (أن يصلحا بينهما مصححا) بأن بذلت المرأة كل الصداق أو بعضه للزوج أو أسقطت عنه مائة
 النفقة أو القسم وكان غرض من ذلك أن لا يطلعهاز وجهها وهذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يفتيهم به
 في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن الآية نزلت في ابن أبي
 السائب كانت له زوجة وله منها أولاد وكانت شحنة فهم بطلاقة فالت لا تطلقني ودعني اشتغل بصالح
 أولادي وأقسم في كل شهر إلى قليلة فقال الزوج إن كان الأمر كذلك فهو أصالح لرفاتي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية قرأها عصم وحرمة والكسافي يصلحها بضم الباء وسكون الصاد
 والباقون يصلحها بفتح الباء والصاد المشددة الممدودة قالوا معناه يتوافقا وهو أليق بهذا الموضع (والصلح
 خير) أي والصلح بين الزوجين خير من سوء العشرة أو من الفرقة أو من الخصومة أو هو خير من
 الخيور (وأحضرت الأنفس الشح) أي جعل الشح حاضرا للأنفس لا يغيب عنها ولا ينفل عنها أبدا
 فالمرأة تبخل ببذل حقها للزوج جهاد طمعها بجرها إلى أن ترضى والرجل يبخل بأن يقضي عمره معها مع
 دماثة وجهها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بعاشرها (وان تحسنوا) بالاقامة على نسايتكم وان كرهتموهن
 بأن تسوا بين الشابة والعجوز في القسمة والنفقة (وتتقوا) ما يؤدي إلى الأذى والخصومة (فإن الله
 كان عامتعاون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يشيكم عليه وروى أن هذه الآية نزلت
 في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعيد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة
 وأثرها عليها وجفاها فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه ذلك (ولن تسخطي عوا أن تعدلوا
 بين النساء) أي لن تقدر وعلى التسوية بينهن في ميل الطباع وإذا لم تقدر واعليه لم تكونوا مكافين به
 (ولو حرصتم) أي جهدتم على إقامة العدل في الحب (فلا عملوا كل الميل) إلى التي تحبونها في القسم
 والنفقة أي أنكم لستم منهمين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن وسعكم ولكنكم
 منهمين عن اظهار ذلك التفاوت في القول والفعل (فتذروها كما ملقته) أي تبتقي الأخرى لأنهم ولا ذات
 بعل كما أن الشيء المعلق لا يكون على الأرض ولا على السماء وفي قراءة أبي قتذروها كما لمسجونة (وان
 تصلحوا) مامضى من ميلكم وتسدركوه بالتوبة (وتتقوا) في المستقبل عن مناله غفر الله لكم ذلك
 (فإن الله كان غفورا رحيما) فيغفر ما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون البعض وبه فضل عليكم
 برحمته (وان يتقوا فإن الله كلا من سمعه) أي وأنزعما في المفارقة بأن لا ينفقا بصلح أو غيره يغن الله
 كلا واحد منهما عن صاحبه بزواج خير من زواجه الأول يعيش أهنأ من عيشه الأول من غناه تعالى
 وقدرته (وكان الله واسعا) أي في العلم والقدرة والرحمة والفضل والجود (حكيم) أي متقنا في
 أفعاله وأحكامه (ولله ما في السموات وما في الأرض) من الموجودات من الخلق والخرائن فيهما
 (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله) أي ولقد أمرنا اليهود والنصارى ومن
 قبلهم من الأمم وأمرناكم يا أممة محمد في كتابكم بطاعة الله وهي وصية الله في الأولين والآخرين فهي
 شريعة عامة لجميع الأمم لم يلقها نبي (وان تكفروا فإن الله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا
 حميدا) أي وقلنا لهم ولجميعكم وان تكفروا فاعلموا أن الله ما في سمواته وما في أرضه من أصناف المخلوقات

من يعبدوه وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقا لأن يحمدوا لكثرة نعمه وإن لم يحمدوه أحد
منهم فهو تعالى في ذاته محمود وسواهم محمودة ولم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كالأيتام بشكرهم
وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمة لا حاجة فهو منزوع عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين فلا
يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات (ولله في السموات وما في الأرض) من الخلاق
قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن قبضه طرفة عين فحقه أن يطاع
ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه (وكفى بالله وكيل) في تدبير أمور السلك وكل الأمور فلا بد من
أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يسألكم أيها الناس ويأت بآخري) أي إن يسألكم
بالسكينة وإيجاد قوم آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه يقنكم بالمرقة ويوجد مكانكم قوما خيرا منكم
وأطوع لله (وكان الله على ذلك) أي أهلاكهم وتخليق غيركم (قديرا) أي إن أبقاهم على ما أنتم
عليه من العصيان انما هو لكامل غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق ارادته بامتثالكم لا ليجزئ تعالى عن
ذلك (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي من كان يريد ثواب الدنيا
فلا يقتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله ثواب الدارين وقال الفخر الرازي تقرير الكلام فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة إن أراد الله تعالى وعلى هذا التقدير يتعلق الجزاء بالشرط وقال ابن عباس من كان
يريد منفعة الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه فليعمل لله فإن ثواب الدنيا والآخرة بيد الله أي فإن العاقل
يطلب ثواب الآخرة حتى يحصل له ذلك ويحصل له ثواب الدنيا على سبيل التبع (وكان الله معكم بصيرا)
أي عالم بجميع المجموعات والمبصرات (يا أيها الذين آمنوا كونوا أقواما يالقسط شهداء الله) أي
كونوا مباليين في اختيار العدل وفي الاحتراز عن الجور تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بأقامتها
(ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أي ولو كانت الشهادة وبالاعلى أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم
(إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) أي إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فلا تكتموا الشهادة أما
لطلب رضا الغني أو لترحم على الفقير فالله أولى بأمورهم وصالحهم ما وفي قراءة أبي فأن الله أولى بهم وهو
أما راجع إلى قوله أو الوالدين والأقربين أو راجع إلى جنس الغني وجنس الفقير وقراء عبد الله أن كان
غني أو فقير على كل التامة (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لأجل أن تعدلوا والمعنى أنكم لو امتابعة
الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل (وإن تلورا) بوادين على قراءة الجمهور رأي وإن تعرفوا
أنستكم عن شهادة الحق وقراء ابن عامر وحزمة وإن تلوا بضم اللام وحذف الواو الأولى أي أن تتقوا
الشهادة وتقبلوا عليها (أو تعرضوا) عن أداء الشهادة أصلا (فإن الله كان بما تعملون خبيرا)
فيجازي المحسن المقبل والمسيء المعرض زالت هذه الآية في مقيس بن حبابه كانت عنده شهادة على أبيه
(يا أيها الذين آمنوا) في الماضي والحاضر (آمنوا) في المستقبل (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه
وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) وهو القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي قبل القرآن
أو المعنى يا أيها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال أو يا أيها الذين آمنوا بحسب
الاستدلالات الجمالية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية وهذا خطاب لكافة المسلمين وقيل هو خطاب
لأمير المؤمنين أبي بكر بن عبد الله بن سلام وابن أخيه سلامة وابن أخيه حنيفة وأسد وأسد ابني كعب
وتعليق بن قيس ويا مينا بن يامين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا مؤمنون بك
وبكاتبك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسول فقال صلى الله عليه وسلم بل

آمنوا بالله ورسوله محمد و بكلمه القرآن و بكل كتاب كان قبله ففعلوا لا تفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا كلهم (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أي ومن يكفروا أحدهم من ذلك المذكور (فقد ضل ضلالا بعيدا) بحيث يعسر العود من الضلال إلى سواء الطريق (أنا الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) أي أن الذين يشكروهم الكفر بعد الإيمان مرات ثم ماتوا على الكفر أو المعنى أن الذين أظهروا الإسلام ثم كفروا بأبطنهم على خلاف ظاهرهم ثم آمنوا بالسنتهم فكلما اتفوا جمعهم المسلمين قالوا أنا مؤمنون وانما أظهروا الإيمان لتجربى عليهم أحكام المؤمنين ثم كفروا فإذا دخلوا على شياطينهم قالوا أنا معكم انما نحن مستهزون ثم ازدادوا كفرا باجتهادهم في استخراج أنواع المكفر في حق المسلمين وبعوتهم على الكفر (لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا) فإن كل من كان كثيرا لا انتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإسلام في قلبه عظم فلا يتوب عن الكفر حتى يموت عليه (بشر المنافقين) أي أنذهم (بأن لهم عذابا أليما الذي يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي فإن المنافقين يوالون اليهود ويقول بعض المنافقين لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود فيقولون إن العزة لهم (أيتفنون) أي أيطلب المنافقون (عندهم العزة) أي عند اليهود القوة (فإن العزة لله جميعا) أي أن القدرة الكاملة لله وكل من سواه فباقداره صار قادرا وباعه رازعه صار عزيزا فالعزة الحاصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لم تحصل إلا من الله تعالى فكان الأمر عند الحقيقة أن العزة جميعا لله (وقد نزل عليكم) يا معشر المنافقين (في الكتاب) أي القرآن في سورة الأنعام قبل هذه آية (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها) أي أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي الكفر والاستهزاء وذلك قوله تعالى وإذا زأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا نزل بحكمة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في محالستهم ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين والقاعدون معهم الموافقون لهم على ذلك الكلام المنافقون فقال تعالى مخاطبا للمنافقين قد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها أي إذا سمعتم آيات الله حال ما يكفر بها ويستهزئ بها (أنكم إذا مثلهم) أي أنكم أيها المنافقون مثل أولئك الأحبار في الكفر قال أهل العلم هذا يدل على أنه من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بشركه برأه وخالف أهلهم وإن لم يباشركن في الانتم بمنزلة المباشر أما إذا كان ساخطا لقولهم وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر ليس كذلك فالمنافقون الذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون في الرسول والقرآن هم كافرون مثل أولئك اليهود أما المسلمون الذين كانوا يكلمهم يجالسون الكفار الذين كانوا يطعنون في القرآن فإنهم كانوا باقين على الإيمان فهم كانوا يجالسون الكفار عند الضرورة بخلاف المنافقين فإنهم كانوا يجالسون اليهود مع الاختيار (إن الله جامع المنافقين) أي منافق أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه (والكافرين) أي كفار أهل مكة أي جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعا) أي كما أنهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة (الذين يبرصون بكم) أي أن المنافقين ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من خير أو شر (فإن كان لكم فقه من الله) أي ظهوره على اليهود (قالوا) أي المنافقون للمؤمنين (ألم تكن معكم) أي مظاهرين لكم فاعطونا أنفسنا من الغنمة (وإن كان للكافرين أي اليهود (نصيب) أي ظفر على المسلمين (قالوا) أي المنافقون لليهود (ألم نستحوذ عليكم) أي

ألم نغلبكم ونفتحكم من قتلكم وأمركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك (ونغلبكم من المؤمنين) بأن نطعنهم عنكم
والآن كنتم نعمة للنواب فها توالى انصباها أصبتم وقيل ان أولئك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في
الاسلام والمنافقون حذروهم عن ذلك واطمعوهم أنه سيضعف أمرهم وسيقوى أمرهم فإذا اتفقت
لهم صولة على المسلمين قال المنافقون للكفار السنّا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم
منه وقلنا لكم سيضعف أمرهم وسيقوى أمركم فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا اليها انصباها ووجدتم
(فأفقه بحكم بينكم) أي بين المؤمنين والمنافقين (يوم القيامة) أي فان الله تعالى ما وضع السيف في
الدين يا عن المنافقين بل أخر عقابهم إلى يوم القيامة وأجرى عليهم حكم الاسلام في الدنيا (وان يحهـل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي بالنشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة ويتفرع
على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث من المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم
وأخذه في دار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى
بدلالة هذه الآية وقيل المعنى ليس لاحد من الكافرين ان يغلب المسلمين بالجمعة وان يهود دولة المؤمنين
بالكلية وقال ابن عباس ولن يجعل الله لليهود دولة دائمة (ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم) أي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه تعالى
الدينية والله فاعمل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا وأهمـد لهم في الآخرة الدرك
الاسفل من النار قال جرير زلت هذه الآية في حق عبد الله بن أبي وأبي هاشم بن النعمان وقال الزجاج أي
يخادعون رسول الله فيبطنون له الكفرو يظهرن له الايمان والله سبحانه يميزهم بالعقاب على خداعهم
وقال ابن عباس انه تعالى خادعهم في الآخرة عند الصراط وذلك انه تعالى يعطيهم نورا كما يعطي المؤمنين
فأذا وصلوا إلى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة ويبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا
نقبس من نوركم ويقول المؤمنون ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ودليل ذلك قوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (واذا أقاموا إلى
الصلاة) أي أتوا إلى الصلاة مع المؤمنين (قاموا كسالى) أي متناقلين متباطئين لانهم لا يرجون بها
ثوابا ولا يخافون من تركها عقابا (يراؤون الناس) ليحبسوههم مؤمنين فانهم لا يقومون اليها الا لاجل
الربا والجمعة لاجل الدين (ولا يذكرون الله الا قليلا) أي لا يصطلحون الا بما يرى من الناس واذا لم
يكن معهم أحد لم يصلا ولا يذكرون الله الا بالاسنان فقط (مقذيين بين ذلك) أي متردد بين كفر
السروايمان العلانية (الا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) أي ليسوامع المؤمنين في السرفيجب لهم ما يجب
للمؤمنين وليسوامع اليهود في العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ومن يضل الله فلن يهديه
سبيلا) موصلا إلى الصواب (يا أيها الذين آمنوا) بالسروا العلانية (لا تتخذوا الكافرين) أي
المجاهدين بالكفر (أولياء من دون المؤمنين) المخلصين (أتريدون) يا معشر المؤمنين المخلصين
(أن تجعلوا الله عليكم سبطا مبيها) أي أتريدون بذلك ان تجعلوا لاهل دين الله وهم الرسول وأمه حجة
بينه على كونكم منافقين فان موالاتهم أوضح أدلة النفاق وقيل المعنى يا أيها الذين آمنوا بالعلانية عبد
الله بن أبي وأصحابه لا تتخذوا اليهود أولياء في التعذر من دون المخلصين أتريدون يا معشر المنافقين ان
تجعلوا رسول الله عليكم عذرا يينا بالقتل أو المعنى أتريدون ان تجعلوا الله عليكم في عقابكم حجة بسبب
موالاتكم لليهود (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وهو الطبقة السفلى في قعر جهنم لانهم

أخبت الكفر حيث ضحو إلى الكفر الاستهزاء بالاسلام وأهله وخدايعهم ولا أنهم لما أنظروا الاسلام
 يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت الحجة تتضاعف من هؤلاء المنافقين
 لهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار الخالص (ولن تجد لهم) أي المنافقين
 (نصرا) يخلصهم من عذاب الله ثم استثنى الله من الغمير المجرور وأمن الغمير المستكن في خبران بقوله
 (الذين تابوا) عن النفاق والقبیح (وأصلحوا) أي أقدموا على الحسن (وأعتصموا بالله) بأن
 يكون غرضهم من التوبة وإصلاح الأعمال طلب مرضاة الله تعالى لا طلب مصلحة الوقت (وأخلصوا
 دينهم لله) بأن يكون ذلك الغرض خالصا لا يترجى به غرض آخر (فأرسلنا) المتصفون بهذه الشروط
 الأربعة من المنافقين (مع المؤمنين) أي الخالصين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلا منذ آمنوا أي معهم في
 الدرجات العالية من الجنة (وسوف يؤت الله المؤمنين) أي يعطي الله الخالص (أجرا عظيما) أي
 ثوابا وافر في الجنة (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) فما استغفامية مفيدة لأنفي أي أعذبكم
 الله لأجل التشفي من الغيظ أم لطلب النفع أم لدفع الضرر كما هو شأن الملوكة وكل ذلك محال في حقه
 تعالى وإنما التعذيب أمر يقضيه كفرهم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب وتقدم الشكر
 على الإيمان لأن الإنسان إذا نظر في نفسه رأى النعمة العظيمة حاصلة في تخليقها وترتيبها فاشكر شكرًا
 مجملًا ثم إذا تعم النظر في معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرًا مفصلا فكان ذلك الشكر المجمل مقدمات على
 الإيمان (وكان الله شاكرا) أي مثيبا على الشكر (عليما) أي بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له
 تعالى البتة فيوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من
 ظلم) أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحدا بالسوء كما تناسم القول الجهر من ظلم فهو غير مستحوظ عنده
 تعالى وذلك بأن يقول مرق فلان مالى أو غصبني أو سبني أو قذفني ويدعو عليه دعاء جازا بأن يكون بقدر
 ظلمه فلا يدعوه عليه بخراب دياره لأجل أخذ ماله منه ولا يسب والدعوان كان هو ففعل كذلك ولا يدعوه عليه
 لأجل ذلك بالهلاك بل يقول اللهم خلص حقي منه أو اللهم جازه أو كافئه ولا يجوز أن يدعوه عليه بسوء الخاتمة
 أو الفتنة في الدين فالدعاء بغير قدر ما ظلم به حرام كاللغو بمسئلة علة عادة أو عقلا ومثل المظالم وما إذا أريد
 اجتماع على شخص فيجب على من علم عيوبه بذلك النصيحة له وإن لم يستشره لأن الدين النصيحة فيذكره
 ما ينفعه دفع به فإن زاد حرم أن يذكره الله تعالى لا يحب اظهار القبايح إلا في حق من عظم ضرره وكثر مكرهه فعند
 ذلك يجوز اظهار فضائله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إذا كروا الفاسد بما فيه كى تحذره الناس وقرأ
 الضحالك وزيد بن أسلم وسعيد بن جبيرة الأمن ظلم بالبناء للفاعل والمعنى لكن من ظلم فأتى كره وقال
 الفراء والزجاج لكن من ظلم نفسه فإنه يجهر بالسوء من القول ويفعل ما لا يحب الله تعالى هذا أن جعل
 الاستثناء كالأمان قطعاً عما قبله أما أن جعل متصلاً لا يكون التقدير الأمن ظلم فإنه يجوز الجهر بالسوء
 من القول معه (وكان الله - جميعاً) لقول الظالم والمظلوم ولفعلهما (عليما) لفعل الظالم والمظلوم
 ولقوله ما قلتيق الله ولا يقل إلا الحق ولا يقذف بسوء مستور فإنه يصير عاصيائه بذلك وهو تعالى جميع
 لما يقوله عليهم بما ينهمر (أن تبدوا خيرا أو تحفظوا) في إيصال النفع إلى الخلق (أو كفوا عن سوء) كأن
 تدفعوا الضرر عنهم (فإن الله كان عفوا) عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليه كمن أن تقتدوا بسنة الله
 تعالى كما قاله الحسن (قدرا) أي فهو أقدر على عفون ذنوبك منك على عفون ذنوب من ظلمك كما قاله
 الكلبي وقيل المعنى أن الله كان عفوا لمن عفاه وهو المظلوم قدرا على إيصال الثواب إليه وعقوبة الظالم

وقوله تعالى فإن الله الآية تعليل لجواب الشرط المقدر والتقدير فذلك أولى لكم من تركه لأن الله الخ أعلم
 أن مواضع الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق
 محصور في قسمين إيصال نفع إليهم وهو المشار إليه بقوله تعالى أن تبدوا خيرا أو تحفوه ودفع ضرر عنهم وهو
 المشار إليه بقوله تعالى أو تعفوا عن سوء فدخل في هذين القسمين جميع أنواع الخير وأعمال البر (الذين
 يكفرون بالله ورسوله) كاليهود فانهم آمنوا بعيسى والتوراة وعزروه وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن
 وكان نصارى فانهم آمنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله)
 بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسوله (ويقولون يؤمن ببعض ونكفر ببعض) أي يؤمن ببعض الانبياء
 ونكفر ببعض (ويريدون) يقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أي بين الايمان بالكل أو الكفر بالكل
 (سيلا) أي دينا وسطا وهو الايمان ببعض دون البعض (أو لك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم
 الكافرون حقا) أي كفرا كاملا بآية نبينا لانه تعالى قد أمرهم بالايمان بجميع الانبياء عليه الصلاة
 والسلام وما من نبي من الانبياء الا وقد أخبر قومهم بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنكفروا بواحد
 منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى (وأعدنا للكافرين) اليهود وغيرهم (عذابا مهينا) أي شديدا
 يهانون به (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم) في الايمان به (أو لك) سوف يؤتيهم
 أجورهم (وقرأ عاصم في رواية حفص بالياء والضمير راجع الى اسم الله الملقب بالبارئ بالنعون (وكان الله
 غفورا) لما فرط منهم (رحيما) أي مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك) يا أشرف
 الخلق (أهل الكتاب) أي أحبار اليهود (أن تنزل عليهم كتابا من السماء) روى أن كعبا وأصحابه
 وفخاض قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أن كنت رسولا من عند الله فأنزلنا كتابا من السماء جملة
 كما جاء موسى بالالواح أي فلا تبال يا أشرف الخلق بسؤالهم فانه هادتهم (فقد سألو) أي اليهود (موسى
 أكبر من ذلك) أي أعظم مما سألوك (فقالوا أنزلنا الله جهرة) أي أنزلناه معاينة (فأخذتهم
 الصاعقة) أي فأحرقتهم النار التي جاءت من السماء (بظلمهم) وهو سؤالهم لما يستحيل وقوعه في ذلك
 الوقت (ثم اتخذوا العجل) أي عبدوه (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الصاعقة وحياتهم بعد
 موتهم ومهجرات موسى التي أظهرها الفرعون من العصا واليد البيضاء وخلق البحر وغيرها (فعفونا عن
 ذلك) أي تركنا عبدة العجل ولم نستأصلهم (وآتيناهم موسى سلطانا مينا) أي قهرا ظاهرا عليهم فانه
 لم يرههم بقتل أنفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتنال فقتل منهم سبعون ألفا في يوم واحد
 (ورفعنا فوقهم الطور مبني عليهم) أي بسبب ميثاقهم على ان لا يرجعوا عن الدين ليخالفوا فلا ينقضوه
 فانهم هموا بانه ضعه (وقلنا) على لسان موسى أو على لسان يوشع (لهم ادخلوا الباب) أي باب بيت
 المقدس أو زبجا (ههنا) أي مطأئين الرأس (وقلنا لهم) على لسان داود (لا تعدوا) أي
 لا تظلموا باضطهاد الخيتمان (في السبت وأخذنا منهم) على الامتنال بما كانوا (ميثاقا غليظا)
 أي مؤكدا وقال ابن عباس وهو ميثاق وليق في محمد صلى الله عليه وسلم (فمينا نضعهم) فمينا نضعهم
 والياء للسببية متعلقة بمعدوف أي فلعلناهم بسبب نضعهم (ميثاقهم وكفرهم بآيات الله) أي بالمهجرات
 فن أنكره هجرت رسول واحد فقد أنكر جميع مهجرات الرسل (وقتلهم الانبياء بغير حق) أي بلا جرم
 فانهم معصومون من كل نقيصة لا يتوجه عليه حق (وقولهم قلوبنا غلظ) أي أوعية للعالم فلا حاجة
 بنا الى علم سوى ما عندنا فاذكروا الانبياء بهذا القول أو المعنى فلو بنا في أغطية جبلية فهي لا تفقه ما تقولون

(بل طبع الله عليها بكفرهم) أي بل أحدث الله عليهم صورة مانعة عن وصول الحق إليها أو بل ختم الله على قلوبهم بكفرهم (فلا يؤمنون) أي اليهود (الأقليات) أي الأقربى منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه أو فلا يؤمنون أي المطبوع على قلوبهم الإيمانا قليلا وهو الإيمان بعمى والتوراة بحسب زعمهم فإن من يكفر برسول واحد وعجزة واحدة لا يمكنه الإيمان بأحد من الرسل البتة (وبكفرهم) لا تكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من دون الأب (وقولهم على مريم بنتنا عظيما) أي نسبتهم مريم إلى الزنا بعد ما ظهر منها من الكرامات الدالة على براءتهم من كل عيب فانهم - لازمة للعبادة بأنواع الطاعات وعيسى تسكاهم حال كونه طفلا منفصلا عن أمه (وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم) وصلبناه (رسول الله) أي في زعم عيسى نفسه فإن وصفهم له بوصف الرسالة استهزأ به أو أن الله وضع الذكر الحسن بقوله رسول الله مكن ذكرهم القبح في الحكاية عنهم فانهم قالوا هو ساحر ابن ساحرة أو أن الله وصفه من عند الله تعالى مدحاه وتزبيهاه عن معانيهم الذي لا يليق به قال الله تعالى ابطالوا افتخارهم بقتل النبي والاستهزأ به (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) قال كثير من المتكلمين إن اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم لما اتهموا على قتله لأن الله مسح من سبوه وسبوا أمه قردة وتخايز بدعائه عليهم فأخذوا أنسا يقال له طيطافوس اليهودي وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح والناس ما كانوا يعرفونه إلا بالاسم لأنه كان قليل المخالطة للناس ثم إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب وقال القصاص لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبرهم ليس جميع اليهود فركب أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال رجل له سر جس أنا يا نبي الله فأتى إليه مدرعته من صوف وعمامة من صوف وناولوه عكازا وألقى الله عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما المسيح فكساه الله تعالى الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة الطعام والمشراب فصارع الملائكة (وإن الذين اختلفوا فيه) أي في شأن عيسى (أني شك منه) أي من قتله (ما لهم به) أي بقتله (من علم الا اتباع الظن) أي لكنهم يتبعون الظن فان فسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه الناس فلا استثناء متصل أي لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود أنه كان كاذبا فقتلناه حقوا وقال بعضهم لوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فليس هذا المقتول بعيسى وقال آخرون بل هو هو وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى (وما قتلوه يقينا) أي قتلا يقينا كما قالوا أنا قتلنا المسيح (بل رفعه الله إليه) أي إلى موضع لا يجري فيه حكم غير الله تعالى ولا يصل إليه حكم آدمي بذلك الموضع هو السماء الثالثة (وكان الله عززا) أي كامل القدرة (حكيم) أي كامل العلم فرفع عيسى من الأرض إلى السماء لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته (وإن من أهل الكتاب إلا يؤمنون به قبل موته) أي وما من اليهود والنصارى أحد إلا يؤمن بعيسى قبل أن ترهب روحه بأنه عبد الله ورسوله فلا ينبغي إيمان لا بقطع وقت التكليف كما نقل عن محمد بن علي بن أبي طالب من الخليفة أن اليهود إذا حضروا الموت ضربت الملائكة وجوههم ورددوا وقالوا يا عبد الله أناك عيسى نبيك كذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصارى أناك عيسى نبيافزحت أنه هو الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله وابنه فأهل الكتاب

يؤمنون به ولكن لا ينفعهم ذلك الايمان (ويوم القيامة يكون) أي عيسى عليه السلام (عليهم) أي أهل
الكتاب (شهيدا) فيشهد على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم أضر كوايه وكل نبي
شاهد على أمته (فيظلم من الذين هادوا) أي فيسبب ظلم عظيم من الذين تابوا من عبادة الجبل (حرمتنا
عليهم طيبات أحلت لهم) فإن اليهود كانوا كلما فعلوا معصية من المعاصي يحرم عليهم نوع من الطيبات
التي كانت محللة لهم ولمن قبلهم عقوبة لهم (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) أي ومنعهم عن دين الله
ناسا كثيرا (وأخذهم إلى باوقدنهوا عنه) فإن الربا كان محرما عليهم كما هو محرر علينا (وأكلهم أموال
الناس بالباطل) أي بطريق الرشوة (وأعتدنا للكافرين منهم) أي هيأنا للمصرين على الكفر من
اليهود (عذابا أليما) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم
منهم) أي لكن المتكلمون في علم التوراة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون)
منهم ومن المهاجرين والانصار (يؤمنون بما أنزل إليك) وهو القرآن (وما أنزل من قبلك) على سائر
الانبياء من الكتب (والمقيمين الصلاة والمؤتُونَ الزكاة) أي وأعني المقيمين الصلاة وهم المؤتُونَ الزكاة
فالمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وجاء في مصنف عبد الله بن مسعود والمقيمون الصلاة بالواو
وهي قراءة مالك بن دينار والجندري وعيسى الثقفي وابن جبر وعاصم عن الامش وعمر بن عبيد
(والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قال أبو السعود والمراد بالكل مؤمنوا أهل الكتاب (أولئك) أي
المتصفون بتلك الصفات الجميلة من أهل الكتاب (سنؤتيهم أجرا عظيما) وجملة هذه خبر اسم الإشارة
والجملة من مبتدأ والخبر خبر قوله تعالى والراسخون في العلم (أنا وأوحينا
إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) أي بعد نوح (و) كما (أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل
وإسحق) ابني إبراهيم (ويعقوب) ابن إسحاق (والأسباط) أي أولاد يعقوب الاثني عشر فمنهم
يوسف نبي رسول باتفاق وفي البقية خلاف (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا) أي
وكما أعطينا آباء (داود وزورا) وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم
ومواعظ وتسمي وتقدس وتحميد وتعيد وثناء على الله تعالى وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية
فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس
والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيمضي بين يديه وترفرف الطيور على رؤس الناس
وهم يستمعون لقراءة داود ويتهججون منها فلما أقارف الخطيئة زال عنه ذلك (و) كما أرسلنا (رسلا قد
قصصناهم عليك) أي هيئناهم لك في القرآن وعرفناك أخبارهم وما حصل لهم من قومهم (من قبل) أي
من قبل هذه السورة وهذه الآية أو قبل هذا اليوم (ورسلناهم عليك) أي لم نسلهم لك ولم نعرفك
أخبارهم والمعنى أنا وأوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده
وآتينا الفرقان آتينا مثل ما آتينا داود وزورا وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين
لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايمان وأصل الارسل في الكفرة يسألونك شيئا لم
يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام (وكلم الله موسى تكليما) أي كلمه على التدرج شيئا فشيئا
بحسب الصالح بغير واسطة ملاك أي أزال الله تعالى عنه الحجاب حتى سمع المعنى القائم بذاته تعالى لأنه تعالى
أحدث ذلك لأنه تعالى يتكلم أبدا والمعنى أنه تعالى بعث هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بالتكلم معه ولم يلزم من تخصيص موسى بهذا التشریف الطعن في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام

فكذلك لم يلزم من تخصيص موسى بإزالة التوراة عليه دفعة واحدة طعن فيمن أنزل الله عليه الكتاب
متفرقا وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأعطائه مثل ما أعطى كل واحد منهم وقرأ إبراهيم
ويحيى بن وثاب وكلام الله بالنصب (رسلا) منصوب على المدح أو بأضمار أرسلناه أو على الحال الموطئة لما
بعدها أو على البدلية من رسلا الأول (مبشرين) لاهل الطاعة بالجنة (ومنذرين) للعصاة بالنار (لئلا يكون
للناس على الله حجة) أي مع ذرة يعتذرون بها (بعد الرسل) أي بعد إرسال الرسل وإزالة الكتب والمعنى
لئلا يجتمع الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لم ترسل إلينا رسولا
ولم تنزل علينا كتابا فإنا لنعذب الخلق قبل بعثه الرسل وإن قبول العذرة عنده تعالى بمقتضى كرمه
ورحمته لعباده وهي بمنزلة الحجة التي لا مرد لها وله تعالى أن يفعل ما يشاء كيف يشاء (وكان الله عزيزا)
لا يغالب في أمر من أموره (حكيمًا) في أفعاله فأختلاف الكتب في كيفية النزول وتغايرها في بعض
الشرائع والأحكام أغماها وتفاوت طبقات الأهل في الأحوال التي عليها يدور ذلك التكليف فكلفهم الله
بما يليق بشأنهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) بتخفيف النون ورفع الجلالة وبالبناء للفاعل أي
لكن الله يشهدك بحقيقة ما أنزل اليك من القرآن الناطق بنبوته روى أنه لما أنزل قوله تعالى إنا أوحيينا
إليك قال اليهود نحن لا نشهدك بذلك فنزل لكن الله يشهد والمعنى أن اليهود وإن شهدوا بأن القرآن لم
ينزل عليك يا محمد من السماء لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله أغما عرفت بسبب أنه أنزل عليه
صلى الله عليه وسلم هذا القرآن البالغ في الفصاحة في اللفظ والشرف في المعنى إلى حيث عجز الأولون
والآخرون عن معارضته فكان ذلك معجزا وأظهارا للمعجزة شهادة بكون المدعى بالرسالة صادقا ولما كانت
شهادته تعالى عرفت بواسطة أنزال القرآن فقال لكن الله يشهد بما أنزل اليك أي يشهدك بالنبوة
بواسطة هذا القرآن الذي أنزله اليك (أنزله يعلم) بأنه في غاية الحسن ونهاية الكمال وهذا مثل ما يقال
في الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم إذا صنف كتابا واستقصى في تحريره أنه انما صنف هذا الكتاب عمله
وفضله أي أنه اتخذ جنة علومه آلة ووسيلة إلى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك القول على وصف ذلك
التمتع بغير غاية الجودة ونهاية المحسن فكذلك ههنا (والملائكة يشهدون) بصدقه وانما تعرف شهادة
الملائكة له صلى الله عليه وسلم بذلك لأن ظهور المعجز على يده صلى الله عليه وسلم يدل على أنه تعالى شهده
بالنبوة وإذا شهد الله له بذلك فقد شهدت الملائكة بذلك بلا شك لأنه ثبت في القرآن أنهم لا يسبقونه تعالى
بالقول والمعنى يا محمد إن كذب هؤلاء اليهود فلا تمالك بهم فإن الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك
في ذلك وملائكة السموات والعرش والكروبي يصدقونك في ذلك ومن صدقه الله والملائكة
أجمعون لم يلتفت إلى تكذيب أخس الناس (وكفى بالله شهيدا) على صحة نبوته وإن لم يشهد غيره
(إن الذين كفروا) بما أنزل الله وشهد به (وصدوا عن سبيل الله) أي دين الإسلام من أراد سلكه
وهم اليهود حيث قاوا ما نعرفه محمد في كتابنا وقالوا كان رسولا لا نبي بكلامه دفعة واحدة من السماء
وقالوا إن الله ذكر في التوراة أن شريعة موسى لا تنسخ إلى يوم القيامة وقالوا إن الأنبياء لا يكونون إلا من
ولد هرون وداود (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الحق والصواب لأن أشد الناس ضلالا من كان ضالا
ويعتقد في نفسه أنه محق ثم يتوسل بذلك الضلال إلى اكتساب المال والجاه ثم يبذل غاية في طاقته في القاء
غيره في مثل ذلك الضلال (إن الذين كفروا وظلموا) محمد بالكتمان ذكر بعفته وعوامهم بالقائه الشبهات في
قلوبهم وما تواعى الشرك (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) إلى الجنة يوم القيامة (الطريق

جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك) أى جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيراً) أى لا يعتذر عليه شيء
 فكان اتصال الألف اليهم شيئاً بعدئذ إلى غير النهاية يسيراً عليه وإن كان معتذراً على غيره (يا أيها
 الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أى يا أهل مكة قد جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن
 أو مبعوثاً بالدعوة إلى عبادة الله والاعراض عن غيره من عند ربكم (فآمنوا خير لكم) أى فآمنوا
 بالرسول يكن ذلك الايمان خيراً لكم عما أنتم فيه أى يكن أحمد عاقبة من الكفر (وإن تكفروا فإن الله
 مافى السموات والارض) أى وإن تكفروا بالرسول فإن الله غنى عن إيمانكم لا يتضرر بكفركم ولا ينفع
 بإيمانكم لأنه مالك السموات والارض وخالقهم وأمر من كان كذلك كان قادراً على إزالة العذاب الشديد
 عليكم لو كفرتم أو فنى كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وحكمه أو فنى كان لم يكن محتاجاً
 إلى شيء (وكان الله عليماً) لا يخفى عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شيء (حكيماً) لا يضيع
 عمل عامل منهم ولا يسوى بين المؤمن والكافر والمحسن والمسيئ (يا أهل الكتاب) أى الانجيل من
 النصراني (لا تغلوا في دينكم) أى لا تبس الغلوا في تعظيم عيسى فإنه ليس بحق كما أن اليهود بالغوا في
 طعنهم حيث قالوا أنه ابن زانية وكلا طرفي قصدهم ذمهم (ولا تقولوا على الله الا الحق) أى لا تصفه بما
 يستحيل اتصافه تعالى به من الاتحاد والخلول في بدن الانسان أو روحه واتخاذ الزوجة والولد بل نزهوه
 عن هذه الاحوال فإن نصراني أهل نجران أربعة أنواع ما كانية وهم الذين قالوا عيسى والرب شرى كان
 ومرقسية وهم الذين قالوا ثلثة ومار يعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله ونسطورية وهم الذين
 قالوا عيسى بن الله قاتل الله فيهم هذه الآيات (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فالمسيح مبتدا
 وعيسى يدل منه أو عطف بيان له وابن مريم صفة له ورسول الله خبر المبتدا (وكلمته) أى مكنون بأمره
 من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها الى مريم) أى أوصل الكلمة اليها بفتح جبريل (وروح منه)
 أى وروح صادر من أمر الله فصار ولداً بلا أب وقد برزت عادة الناس أنهم اذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة
 والنظافة قالوا أنه روح فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وانما يتكون من نفخة جبريل وصف
 بأنه روح وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لروح أى كائنة من عند الله وجعلت منه تعالى وإن
 كانت بفتح جبريل لم تكن النفخة بأمره تعالى ومن ابتدائية لا كما زعمت النصراني من أنها تابعة حكمي
 أن طبعها حادثاً فنصرانياً جاءه الرشيد فناظره عيسى بن الحسين المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابهم ما يدل
 على أن عيسى جزء من الله وتلاه هذه الآية فقرأ المروزي وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعاً منه
 فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الاشياء جزءاً منه تعالى فاقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحاً شديداً
 وأعطى للمروزي عطفاً عظيماً (فآمنوا بالله) واعتقدوا الوهية وحده (ورسله) أجمعين وصفوهم
 بالرسالة ولا تصفوا واحداً منهم بالالوهية (ولا تقولوا لثلاثة) أى الالهة الثلاثة الله والمسيح ومريم ولا تقولوا
 ان الله واحد بالجواهر الثلاثة بالاقابيم (انتموا خير لكم) أى انتهوا عن ممة التثليث يكن ذلك
 الانتهاء خيراً لكم (انما الله اله واحد) أى منفرد في الوهية (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحه
 تسبيحاً من أن يكون له ولد وأسبحوه تسبيحاً من ذلك وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع الفعل أى
 سبحانه ما يكون له ولد (مافى السموات ومافى الارض) فمن كان مالكا لهم أو مافيه ما كان مالكا
 لعيسى ومريم واذا كانوا لو كن له فكيف يتوهم كونهم له ولداً وزوجة (وكفى بالله وكيلاً) أى ربا
 الخلق فإنه كافى في تدبير المخلوقات وفي حفظ المحدثات فلا حاجة معه الى اثبات اله آخر (لن يستنكف

المسيح أن يكون عبدا لله) أي لن يترفع عن أن يكون عبدا لله تعالى أي مقربا بالعبودية لله مستترا على عبادة وطاعته روى أن وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فنقول أنه عبدا لله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت أن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله وقرأ على بن أبي طالب رضي الله عنه عبدا لله بصيغة التصغير (ولا الملائكة المقربون) أي ولا يستنكف الملائكة المقربون كحكمة العرش أن يقربوا بالعبودية لله أي لن يستنكف المسيح عن عبادة الله تعالى بسبب أنه قادر على الاتيان بخوارق العادات من الاحياء والارواح عالم بالمغيبات مخبر عنها ومخترعها سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالرفع الى السماء فان الملائكة المقربين أعلى حالاً منه في العلم بالمغيبات لانهم طلعون على الاوج المحفوظ وأعلى حالاً منه في القدرة لان أربعة منهم حملوا العرش على عظمتهم وأنهم مخلوقون من غير أب وأم ومقارهم السموات العلى ولا خلاف لاحد في عنود رجوتهم من هذه الحالات ونما الخلاف في علوهم من حيث كثرة الثواب على الطاعات ثم ان الملائكة مع كمال حالهم في العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم والقدرة (ومن يستنكف عن عبادة ويستهكبر فيستكبر فيستكبرهم اليه جميعا) أي ومن يترفع عن طاعته تعالى ويعد نفسه كبيرا أي يعتقدها كذلك فان الله يجمع المترفعين والمعتقدين أنفسهم كبراً ومقابلتهم وهم غيرهم اليه تعالى يوم القيامة حيث لا يعلو كونه لانفسهم شيئا فيجازيهم (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهما أجورهم) من غير أن ينقص من انفسهم شيئا أصلاً (ويرى يدهم من فضله) بتضعيفها ضعافا كثيرة وباعطائها لآذان سمعت ولا خطر على قلب بشر أي على وجه التفصيل وانما يحظر نعم الجنان على قلوب بناؤسجهم من السنة على وجه الاحمال (وأما الذين استنكفوا) عن عبادة تعالى (واستهكبروا) أي عدوا أنفسهم كبراً (فيعذبهم عذاباً أليماً) بما وجدوا من لذاذة الترفع والتكبر (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) يلي مصالحهم (ولا نصيراً) ينجيهم من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان) أي رسول (من ربكم) وهو محمد صلى الله عليه وسلم وانما سمى برهاناً لان حرفته اقامة البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل (وأزلنا اليكم نورا مبيناً) أي نيرانه من نور الغيرة وهو القرآن وذلك بواسطة ازاله على الرسول وسماء نور الاله سبب لوقوع نور الايمان في القلب أي فهم من آمن ومنهم من كفر (فأما الذين آمنوا بالله) في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه (واعتصموا به) أي بالله في أن يشبههم على الايمان ويصونهم عن ترغيب الشيطان (فسيدخلهم في رحمة منه) وهي الجنة ومنفعتها (وفضل) أي احسان زائد كالتنظر الى وجهه الكريم والتعظيم وغير ذلك من مواهب الجنة (ويهدىهم الى صراط مستقيماً) وهو الاسلام والطاعة والسعادة الى وحانية راجار والمجروور في محل نصب حال من صراطاوا الضمير المحرور عائد على الله بتقدير مضاف أي الى ثوابه (يستفتونك) أي يسألونك يا محمد عن الكلاله روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فانمى على فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك الآيات وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أجمعهم شأن الكلاله فسألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآيات (قل الله يغنيكم في الكلاله) وهو اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على

لوارث فهو من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو الذي مات ولا يرثه أحد من الوالدين ولا أحد من الأولاد (ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك) أي ان مات امرؤ غير ذي ولد والدوله لأخت شقيقة أو من الأب فلاخت نصف ما ترك بالقرض والباقي للعصبة أولها بالزاد ان لم يكن له عصبة (وهو) أي المرأة الكلانة (برتها) أي يرث أخته جميع ما تركت ان فرض موتها مع بقائه (ان لم يكن لها ولد) ذكر أو أنثى فان كان لها أوله ولد ذكر فلا شيء له أولها وأولها أنثى فله أواها الباقي من نصيبها (فان كانتا اثنتين فلهم الثلثان مما ترك) أي فان كان من يرث بالاخوة أختان شقيقتان أو من أب فصاعد افلهم ما ولا كثر الثلثان مما ترك الميت من المال (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أي وان كان من يرث بطريق الاخوة أخوة مختلطو رجلا وأستقاء أو من أب ونساء شقيقات أولاب فللذكر منهم مثل نصيب الأنثيين يقتسمون التركة على طريقة التخصيب (بين الله لكم) قسمة الميراث (ان تصوا) أي لكي لا تخطئوا في قسمة الميراث وقيل المعنى بين الله ضلالتكم لهملوا أن غير هذا البيان ضلال فتجنبوه (والله بكل شيء) من الأشياء المتعلقة بمعياكم ومعاماتكم (عليم) أي مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه صلاحكم ومنفعتكم

سورة المائدة مكية مائة وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهي جميع ما أقرمه الله تعالى عباده من التكليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً (أحل لكم جميع الأنعام) أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وقيل المعنى أحلت لكم ما يماثل الأنعام ويذا نيهما من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب وذلك كالظباء وبقرا الوحش ونحوهما من صيد البرية كحمر الوحش فأضيفت البهيمة الى الأنعام لحصول المشابهة أي أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام وقيل المعنى أحلت لكم أجنة الأنعام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهذا الثالث مروى أيضا عن ابن عمر وهذا الوجه يدل على صحة مذهب الشافعي في أن الجنسين مذكبي بكافة الام (الاما يتلى عليكم) في هذه السورة (غير محلي الصبيد رؤا نتم حرم) أي الان كانت الأنعام مئة أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو اقترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله فهي محرمة ولا أن تحلوا الصيد في حال احرامكم أو في حال كونكم في الحرم فانه لا يحل لكم ذلك (ان الله يحكم ما يريد) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فوجب التكليف والحكم هو ارادته لا مراعاة المصالح (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا بشعائره ولا آلها ولا الهدي ولا العلام ولا آمن البيت الحرام ببتغضون فضلا من ربهم ورضوانا) أي يا أيها الذين آمنوا أقرؤا بالآيمان لا تحلوا معال من الله أي لا تأكلوا من أوشاش من فرائضه تعالى ولا تحلوا الشهر الحرام ذا القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بالقتال فيه والغارة قال أبو السعود والمراد بالشهر الحرام شهر الحج وقال عكرمة هو ذو القعدة واختار ابن جرير أنه رجب لانه أكل الأشهر الأربعة ولا تحلوا الهدي بالغصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ما أهدي الى بيت الله من ابل أو بقر أو شاة ولا تحلوا ذوات القلائد من الهدي وهو المبدن ولا تحلوا قوما قاصدين زيارة المسجد الحرام بصددهم عن ذلك بأي وجه كان وقرأ عبد الله ولا آحى البيت الحرام بالاضافة حال كونهم مبتغيين فضلا من ربهم بالتجارة المباحة والمعنى

لما بين ثواب من ربه ثم درخوانا وقرأ حميد بن قيس الاعرج تبثغون بالناء على خطاب المؤمنين فالجملة
 حيث شغل حال من الضمير في لا تخلوا واضافة الرب الى ضمير الامين للإشارة الى اقتصار التثنية عليه - م
 (واذا حلقتم فاصطادوا) والامر الاباحية أى واذا آخر جتم من الاحرام والحرم فلا جناح عليكم في
 اصطيا دحيوان البرية (ولا يجرم منكم شئتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) أى
 ولا يحملنكم بعضكم لقوم من أهل مكة بمنعهم اياكم عن المسجد الحرام أى عن العمرة عام الحديبية على
 ظلمكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي من البغض وقرأ أبو هرير وابن كثير ان صدركم يكسر الهجزة على أنه
 شرط معترض أغني عن جوابه لا يجرم منكم والمعنى ان وقع صد مثل ذلك الصد الذي وقع عام الحديبية
 وهى سنة ست على أن نزول هذه الآية عام الفتح وهو سنة ثمان غير مجمع عليه (وتعاونوا على البر
 والتقوى) أى على متابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم) أى المعصية للتشفي
 (والعدوان) أى التعدي في حدود الله للانتقام (واتقوا الله) في جميع الامور ولا تستحلوا شئاً من
 يحارمه (ان الله شديد العقاب) لمن لا يتقيه فلا يطبق أحد عقابه (حرمت عليكم الميتة) أى حرم
 عليكم أكل ما فارقه الروح من غير ذبح شرعى وكان أهل الجاهلية يقولون انكم تأكلون ما قتلتم
 ولأنكم تأكلون ما قتل الله واعلم أن تحريم الميتة موافق لما في العقول لان الدم جوهر لطيف جدا فادامات
 الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروق وعفن وفسد وحصل من أكله مضار عظيمة (والدم) أى
 السائل منه يخرج الكبد والطحال وكان أهل الجاهلية يعاونون الامعاء من الدم بصبه فيها ويشورونه
 ويطعمونه الضيف (ولحم الخنزير) قال أهل العلم الغداء يصير حراماً من جوهر المغتذى فلا بد ان
 يحصل للمغتذى أخلاق وصفات من جنس ما كان ماصلاً في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم
 ورغبة شديدة في الشهيات فحرم أكله على الانسان لثلاث تكيف بتلك الكيفية ولذلك أن الفرخ لما
 واظبوا على أكل لحم الخنزير وأورنهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة في الشهيات وأورنهم عدم
 الغيرة فان الخنزير يرى الذكرك من الخنازير يتزوج على الانثى التي هى له ولا يتعرض له لعدم الغيرة
 وأما الشاة فانها حيوان في غاية السلامة فكانها ذات عارية عن جميع الاخلاق فلذلك لا يحصل للانسان
 بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان (وما أهل غير الله به) أى وما رفع الصوت لغير الله
 عند ذبحه وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى (والمتخففة) أى التي ماتت بازعصار الحلق
 والمتخففة على وجوه منها ان أهل الجاهلية كانوا يخفون الشاة فاذا ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل
 الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتخنق وتموت (والموقودة) أى المضروبة الى أن
 ماتت ويدخل في الموقودة ما رمى بالبندق فمات وهى في معنى الميتة وفي معنى المتخففة لانها ماتت ولم يسلم
 دمها (والتردية) أى الساقطة من علوا الى سفلى فماتت ويدخل فيها ما اذا أصابه سهم وهو في الجبل
 فسقط عن الارض فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ولو رمى عسيدي في الهواء بسهم
 فأصابه فان سقط على الارض ومات حل لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على شجرة
 أو جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من التردية الا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل كيفما وقع لان
 الذبح قد حصل قبل التردية (والنطيحة) أى التي ماتت بقطع شاة أخرى وانما دخلت الهواء في النطيحة
 لانها صفة مؤنث غير مذكور وهو الشاة كما تقول رأيت قتيلاً بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهواء
 لم يعرف القتل أرجل هوأم امرأة بخلاف ما اذا ذكر الموصوف فانه تحذف الهاء حينئذ كقولهم كف

خضيب ولحية دهن وعين كميل وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله النامر والكلام يشي على الاغلب
 ويكون المراد الكل (وما اكل السبع) منه ثبات وهي فريسة السبع قال قتادة كان اهل الجاهلية
 اذا جرح السبع شيئا فقتلوه او كل بعضه اكلوا ما بقي لحرمه الله تعالى (الا ما ذكركم) أي الاما
 أدركتم ذلكانه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء الخمسة وذلك بحيث يتحرك بالاختيار والا
 فلا يحل بمذكية لان موته حينئذ يحال على السبب المتقدم على التدككية من الخلق وأكل السبع
 وغيرها (وما ذبح على النصب) أي على اعتقاد تعظيم النصب وقال ابن جرير النصب ليس بأصنام فان
 الاصنام أجنار مصورة منة وشبه هذه النصب أجنار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها
 للاصنام وكانوا يلطخونها بثلث الدماء ويضعون اللحوم عليها ويعدون ذلك الذبح قرينة فقال المسلمون
 يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ونحن أحق أن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه
 وسلم لم ينكره فأمر الله تعالى أن ينال الله لحوهها ولا دماؤها (وأن تستقسه وبالازلام) أي وحرم عليكم
 طلب معرفة ما قسم لكم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح وذلك أنهم اذا قصدوا سفرا أو غزوا أو تجارة
 أو ذكلا أو أمرا آخر من معاطم الامور ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمر في ربي وعلى الثاني
 نهاني ربي والثالث خال عن السكابة فان خرج الامر أقدم على الفعل وإن خرج النهي أمسك وإن خرج
 الغفل أعاد العمل مرة أخرى (ذلكم) أي الاستقسام بالازلام (فسق) أي خروج عن الطاعة
 لانه طلب لمعرفة الغيب وذلك حرام وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من
 تكهن أو استقسم أو طير طيرة ترد عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة وذلك
 ضلال باعتقاده طريق الى الدخول في علم الغيب واقتراء على الله تعالى ان كان مرادهم ربي هو الله تعالى
 وقال قوم آخرون انهم كانوا يحملون تلك الازلام عند الاصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الامر والنهي
 على تلك الازلام قسار شاد الاصنام واعانتهم فلهذا السبب كان ذلك فسقا أي شركا وجهالة وهذا القول
 أولى وأقرب كما قاله الفهر (اليوم يشن الذين كفروا من دينكم) أي هذا الزمان انقطع رجاء كفار
 مكة من ابطال أمر دينكم (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوا المشركين في خلافكم اياهم في الشرائع
 والاديان فاني أنعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة العظيمة وصاروا معهودين لكم ذليلا عندهم
 (وأخشون) أي ومخضو الخشية الى وحدي في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (اليوم أكملت
 لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها والحكم ببقائه الى يوم القيامة (وأتممت عليكم
 نعمتي) بفتح مكة ودحوها آمين وبانفراد المسلمين بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حج المسلمون
 لا يخالطهم المشركون (ورضيت لكم الاسلام ديناً) أي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين
 المرضي عند الله تعالى لا غير (فمن اضطر) الى تناول شيء من هذه الحرمات (في محصة) أي جماعة
 يخاف معها الموت (غير متجانف لانم) أي غير متعمد لانم بأن يأكلها فوق السبع تلذذا كما قاله
 اهل العراق أو بان يكون عاصيا بسفره كما قاله اهل الحجاز (فان الله غفور) ان أكل الحرم عندما اضطر
 الى أكله (رحيم) بعباده حيث أحل لهم ذلك الحرم عندما اجتباهم الى أكله (يسألونك ماذا أحل
 لهم) من الصيد والساكنون حاصم بن عدي وسعد بن خيفة وعويم بن ساعدة كذا قاله عكرمة كما
 أخرجه ابن جرير وقال ابن عباس والسائل بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكنا
 صيادين وكذا قال سعيد بن جبير أخرجه ابن أبي حاتم (قل أحل لكم الطيبات) وهو أي كل ما ينشئ

عند أهل الرومة والاخلاق الجميلة ما لم تستحب به الطباع السليمة ولم تنفر عنه مما لم يرد نص بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم صيدها علمتموه من الدواشب من سباع البهائم والطيور كالكتاب والبار (مكئين) أي معالين الجوارح الصيد (تعلمونهن) حال نائية من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وإن يكون من يعلم الجوارح تحريراً في علمه موصوفاً بالتأديب (عما علمكم الله) من طرق التعليم ومن الخيل في الاصطيد (فكلوا مما أمكن عليكم) أي كلوا بعض ما أمكنه لكم وهو الذي لم يأكل منه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك فإذ كرام الله فإن أدركته ولم يقتل فاذبح وإذا كرام الله عليه وإن أدركته وقد قتل ولم يؤكل فكل فقد أسكت عليك وإن رجده قد أسكت فلا تطعم منه شيئاً فإمّا أمكن على نفسه (وإذا كروا أمم الله عليه) أي سموا على ما علمتم من الجوارح عند إرساله على الصيد كما قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرك اسم الله فكل أو سموا على ما أمكن عند ذبحه وقيل المعنى سموا على أكل الصيد * روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن أبي سلمة سم الله وكل مما يليك (واتقوا الله) أي واحذروا مخالفة أمر الله في تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه (إن الله سريع الحساب) فإنه تعالى يؤخذ بكم مريعاً في كل ما حل ووق (اليوم أحل لكم الطيبات) أي المستلذات المشتهيات لأهل الرومة والاخلاق الجميلة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فيحل لنا أكل ذبائحهم من تمسكوا بالتوراة والانجيل إذا حلت المناكحة بيننا وبينهم فحل الذبيحة تابع لحل المناكحة ولو ذبح يهودي أو نصراني على اسم غير الله تعالى كالنصراني يذبح على اسم المسيح لم يحل ذبيحته بخلاف من تمسكوا بغير التوراة والانجيل كصنف إبراهيم فلا تحل ذبائحهم واتفق العلماء على أن الجحوس قدس بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وروى عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضاً فامر الجحوسي أن يذكرك الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور إن أمر بذلك في الصحة فلا بأس (وطعامكم حل لكم) فيحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وتبيعوهم منهم (والمحسنات) أي الخيرات العفائف (من المؤمنات) أي حل لكم وذكركن العمل على ما هو الأولى لأنني ما عداهن فإن نكاح الامم المسلمات صحيح بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف وأما الامم الكاينيات فهن كالمسلمات عند أبي حنيفة خلافاً للشافعي (والمحسنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي هن حل لكم أيضاً وإن كن حريات قال الكثير من الفقهاء إنما يحل نكاح الكاينية التي دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن فن دان بذلك الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن حكم الكتاب وهذا مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأما أهل المذاهب الثلاثة فلم يقولوا بهذا التفصيل بل أطلقوا القول بحل أكل ذبائح أهل الكتاب وحل التزوج من نسائهم ولو دخلوا في دين أهل الكتاب بعد نكاحه (إذا آتيتوهن أجورهن) وتقييد التحليل بإعطاء المهور يدل على تأكد وجوبها وعلى أن الأكل بيانها لا هو شرط لصحة العقد إذ لا تتوقف على دفع المهر ولا على الزماته ومن تزوج امرأه وعزم على أن لا يعطيها صداقها كان في سورة الزاني وتسمية المهر بالاجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر كما أن أقل الاجر لا يتقدر في الاجارات (محصنين) أي متزوجين (غير مسالحين) أي غير ملحقين بالزنا (ولا يتخذون أصدقاء) أي ولا مسيرين بالزنا بمن لها حليل (ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله) أي ومن يكفر بشرائع الله ويتكاليه فقد بطل ثواب عمله الصالح سواء عاد إلى الإسلام أولاً (وهو في

الآخرة من الخاسرين) اذ لم يعد الى الايمان بما نزل في القرآن حتى يموت على الكفر أما اذا عاد الى
 الايمان بذلك قبل الموت فان عمله لا يبطل فلا يجب اعادة صلاة وجميع قداتها ما قبل الردة (يا أيها الذين
 آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم الاشتغال بأقامة الصلاة وأنتم على غير وضوء (فاغسلوا
 وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فان صب الماء على المرفق حتى يسال الماء الى الكف فلا يجوز لانه
 تعالى جعل المرافق غاية الغسل فجعله مبدأ الغسل خلاف الآية كذا قال بعضهم وقال جمهور الفقهاء ان
 ذلك لا يخل بصحة الوضوء الا أنه يكون تركاً للسنة (وامسحوا برؤوسكم) قيل الباء فارقة بين حمل المسح
 بالسكك والبعض كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فتعولك مسحت المنديل لا يصدق
 الا عند مسحه بالسكك وقولك مسحت بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل
 وتحقيق هذه الباء انها تدل على تضمين الفعل معنى الالتصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك
 لا يقتضي الاستيعاب (وأرجلكم الى الكعبين) قرأ ابن كثير وحزرة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي
 بكر عنه بالجرو قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب اما القراءة بالجرف فهي معطوفة على
 الرأس فكما يجب المسح في الرأس كذلك في الأرجل وانما عطف الأرجل على الرأس للتنبيه على
 الاسراف في استعمال الماء فيها لانها موضع صب الماء كثير او المراد غسلها أو مجرد حرف محذوف
 متعلق بفعل محذوف تقديره رافعوا أرجلكم غسلا وحذف حرف الجر وابتداء الجرو لا يجوز وهذا
 الكسر على الجواز على أنه منصوب في المعنى عطف على المغسول لانه معدود في الفن الذي قد يحمل
 لاجل الضرورة في الشعر ويجب تنزيه كلام الله عنه ولانه يرجع اليه عند حصول الامن من الالتباس
 كما في قول الشاعر * كبير الناس في بجاد منزل * وفي هذه الآية لا يحصل الامن من الالتباس ولانه
 انما يكون بدون حرف العطف وأما القراءة بالنصب فهي اما معطوفة على الرأس لانه في محل النصب
 والعطف على الظاهر وعلى المحل جائز كما هو مذهب مشهور للنحاة واما معطوفة على وجوهكم فظهر انه
 يجوز أن يكون عامل النصب في قوله تعالى وأرجلكم هو قوله تعالى وامسحوا وقوله تعالى فاغسلوا فاذا
 اجتمع العاملان على معمول واحد كان الاولى اعمال الاقرب حتى ان بعضهم لا يجوز ان يكون العامل
 فاغسلوا لما يلزم عليه من الفصل بين المتعاطفين بجملة مبينة كما جديده اليس فيهما تأكيد للاول وليست
 هي اعتراضية فوجب أن يكون عامل النصب في قوله وأرجلكم هو قوله وامسحوا فتدل هذه الآية على
 وجوب مسح الأرجل لكن الاخبار الكثيرة ترددت بإيجاب الغسل وهو مشغل على المسح ولا ينعكس
 فكان الغسل أقرب الى الاحتياط فوجب الرجوع اليه ويجب القطع بان غسل الرجل يقوم مقام
 مسحها وأيضا ان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لافي المسح وهذا جواب
 لقولهم ولا يجوز دفع وجوب مسح الرجل بالاخبار لانها يامرها من باب الأحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد
 لا يجوز (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي فاغتسلوا والحصول الجنابة سببان تول المني والتقاء الختانين
 فختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وشفر الذرة يحيطان بثلاثة أشياء ثقبه في أسفل
 الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبه أخرى فوق هذه مدخل أحليل الذكر وهي مخرج
 البول لا غير وموضع ختانها هو فوق ثقبه البول وهناك جلدة قائمة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة
 هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانها خنثاته (وان كنتم مرضى) مرضا يضره الماء بكراحة
 أو جدرى (أو على سفر) أي مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط) أي الموضع الذي

يقضى فيه حاجة الانسان التي لا بد منها (أولاً مستم النساء) بذكر أو غير (فلم تجدوا) يا معشر
المسافرين والمحدثين حدثاً أصغراً أو أكبر (ما) بعد طلبه (فتيموا صعيداً طيباً) أى فاقصدوا تراباً
نظيفاً (فامسحوا بوجوهكم) بالضربة الاولى (وأيديكم) بالضربة الثانية (منه) أى التراب
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق بما فرض عليكم من الطهارة للصلاة (ولكن يريد
ليظهركم) أى ليظهر قلوبكم عن صفة التردد عن طاعة الله تعالى لأن الكفر والمعاصي نجاسات للارواح
وذلك لأنه تعالى لما أمر العبد بإصال الماء الى هذه الاعضاء المخصوصة وكانت طاهرة لم يعرف العبد في
هذا التكليف فائدة معقونة فلما انقضى هذا التكليف كان ذلك الانقياد لمحض اظهار العبودية فزال هذا
الانقياد عن قلبه آثار التردد فكان ذلك طهارة (وليتم نعمته عليكم) ببيان كيفية الطهارة وهي نعمة الدين
بعد ذكر نعمة الدنيا وهي اباحة الطيبات من المطاعم والمناكح أو بالترخص في التيمم والتخفيف في حال
السفر والمرض فاستدلوا بذلك على انه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة بأن يعفو عن ذنوبكم وتجاوز عن
سيئاتكم (اعلمكم تشكرون) نعمته (واذكروا نعمة الله عليكم) أى تأملوا في جنس نعم الله عليكم وهو
اعطاه نعمة الحياة والصحة والعقل والحداية والصون عن الآفات والايسال الى جميع الخيرات في الدنيا
والآخرة فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله ففى كانت النعمة على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال
بشكرها أتم (وميثاقه الذي واثقكم به) بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قلتم سمعنا وأطعنا)
وهو الميثاق التي حرت بين رسول الله والمسلمين في أن يكونوا على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه
مثل مبايعته صلى الله عليه وسلم مع الانصار في أول الأمر ليلة العقبة ومبايعته صلى الله عليه وسلم مع
عامة المؤمنين ببيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية وغيرهما وقال السدي المراد بالميثاق الدلائل
العقلية والشرعية التي نصها الله تعالى على التوحيد والشرائع وهو اختيار أكثر المتكلمين (واثقوا
الله) في نسيان نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) فلا تعزموا بوقوعكم على نقض تلك
العهود فإنه ان خطر ببالكم فأنه يعلم ذلك وكفى بالله مجازياً (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله)
بأن تقوموا لله بالحق في كل ما يلزمكم اقيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء باقسط)
فلا تشهدوا بأمر يخالف للواقع بل اشهدوا بما في نفس الامر والتكاليف بحسب صورة في نوعين تهظيم أمر
الله والنسفة على خلق الله فقوله تعالى كونوا قوامين اشارة الى النوع الاول وهو حقوق الله وقوله تعالى
شهداء بالقسط اشارة الى الثاني وهو حقوق الخلق (ولا يجرم منكم شئ أن لا تعدلوا) أى
لا يحمل منكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان أساءوا عليكم
والمعنى ان الله تعالى أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً الا على سبيل الانصاف وترك الاعتساف
(اعدلوا) في عدوكم ووليكم (هو) أى العدل (أقرب للتقوى) أى الى الاتقاء من معاصي الله
تعالى أو الى الاتقاء من عذاب الله (واتقوا الله) فيما أمركم ونهاكم (ان الله خير بما تعملون) فلا
يخفى عليه شئ من أحوالكم فيجازيكم على ذلك (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بالعدل
والتقوى (لهم مغفرة) أى اسقاط السيئات (وأجر عظيم) وهو ايسال الثواب وحمل قوله لهم مغفرة
بيان ثلوه عدل لا يحمل لها فداً كانه قيل وأى شئ وعده فقال الجيب لهم مغفرة وأجر عظيم (والذين كفروا)
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى ملازموها وهذه الجملة مستأنفة أتت بها جمعاً بين الترغيب
والترهيب أي فالحق الدعوة بالنشير والانداز (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله) أي كونوا مواظبين على طاعة الله تعالى
 ولا تخافوا أحدا في إقامة طاعات الله تعالى (وعلى الله فليتك وكل المؤمنون) وسبب نزول هذه الآية
 وجهان الأول أنها نزلت في واقعة عامة وذلك أن المشركين في أول الأمر وهو في ضعف المسلمين يريدون
 إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوى الإسلام وعظمت
 شوكة المسلمين الثاني أنها نزلت في واقعة خاصة وفي هذا ثلاثة أوجه * الأول أنها نزلت في شأن يهود
 من بني قريظة أو بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي دخلوا
 عليهم وقد كانوا عاهدوا النبي على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديار فطلب منهم مالا قرضاً لدية
 رجائين مسلمين أو معاهدين فقتلهم عمر وبن أمية الضمري خطأ يحسبهم مشركين أو حريين ففأوا الجلس
 حتى نطعمك ونعطيك ما تريد ثم هموا بالقتل برسول الله وبأصحابه فجا عمر وبن جحاش برحى عظيمة
 ليطرحها عليه صلى الله عليه وسلم فوافقتهم فأمسك الله تعالى يده فقتل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم
 وأخبره بذلك فقام في الحال مع أصحابه وخرجوا إلى المدينة * والثاني عن قتادة أنها نزلت في قوم من
 العرب وهم بنو نعلبة وبنو الحارث أرادوا القتل به صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة فأرسلوا إليه أعرابيا
 ليقتله بطن فخل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً وتفرق أصحابه عنه يستظلون في شجرة
 العضاة وعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجا أعرابي ورسول سيف رسول الله ثم أقبل عليه
 وقال يا محمد من يمنعك مني قال صلى الله عليه وسلم الله قالها ثلاثاً فأسقطه جبريل من يده فأخذه النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد ثم صاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم ولم يعاقبه وفي رواية أن
 أعرابياً قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وعلى هذين القولين فالمراد من قوله تعالى
 اذكروا نعمة الله عليكم تذكير نعمة الله عليهم بدفع الشر عن نبيهم فإنه لو حصل ذلك لسكان من أعظم
 المحن * والثالث أنها نزلت في شأن المشركين أنهم رأوا رسول الله وأصحابه بعسغان في غزوة ذي أمان
 وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغاربه صلى الله عليه وسلم وذلك أن المسلمين قاموا إلى صلاة
 الظهر بالجماعة فلما صلوا دم المشركون في عدم اكباتهم عليهم وقالوا ليتنا أوقعناهم في أننا صلاتهم
 فقيل لهم أن المسلمين بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبائهم فهم وأبنائهم يوقعوا بهم إذا
 قاموا إلى صلاة العصر فردد الله تعالى كيدهم بأن أنزل جبريل بصلاة الخوف (ولقد أخذ الله ميثاق بني
 إسرائيل) أي أقرارهم أن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً (وبعثناهم اثني عشر نقيباً) وهو
 المسند إليه أمور القوم وتدبير مصالحهم * روى ابن أبي عمير أن بني إسرائيل لما استغفروا بعصر بعد ثلاث فرعون أمرهم
 الله تعالى بالسيرة إلى أرض أريحا وأرض الشام وقد سكتها الجبابرة السكتة عانيون وقال لهم اني كتبتهما لكم داراً
 فأتخرجوا إليها واجاهدوا من فيها وإني ناصركم وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً فاختار الله تعالى من
 كل سبط رجلاً ليكون نقيباً لهم وكان نقيباً لهم وحاكماً عليهم والنقيب الاثني عشر كما قال ابن أبي عمير هم شمعون وشوخط وكالب
 وبعورث ويوشع ويعلي وكرابيل وكدي وعمايسل وستور ويحيى وآل ثم ان هؤلاء
 النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذي أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقتلوا على أحوالهم
 ورجعوا بذلك إلى نبيهم موسى عليه السلام فلما ذهبوا إليهم رأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوهم
 ورجعوا لخدوتهم وقوتهم موسى عليه السلام أن يحرقوهم فذكروا الميثاق إلا كالب ويوشع وهما
 اللذان قال الله تعالى في حقهما قال رجلان من الذين يخافون الآية (وقال الله) هؤلاء النقباء (إني)

معكم) بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وأرى أفعالكم وأعلم ضمائركم وأقدر على إيصال الجزاء إليكم
لئن أقم الصلاة أي التي فرضت عليكم (وآتيتهم الزكاة) أي زكاة أموالكم (وآمنتهم برسلي) أي
بجميعهم (وعزرتهم) أي نصرتهم بالسيف على الأعداء (وأقرضهم الله قرضاً حسناً) أي
صادقاً من قلوبكم والمراد بهذا الإقراض الصدقات المنذرة وخصها بالذكر تنبيهاً على شرفها ودعوا
مرتبها (لا كفرن عنكم سيئاتكم) وهذا إشارة إلى إزالة العقاب (ولا دخلتكم جنات تجري من
تحته الأنهار) وهذا إشارة إلى إيصال الثواب (لئن كفر بعد ذلك) أي بعد أخذ الميثاق (منكم)
فقد ضل سوا السبيل) أي أخطأ الطريق المستقيم الذي هو الدين الذي شرعه الله تعالى لهم (فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم) أي بسبب نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وكتمان صفة محمد
صلى الله عليه وسلم لعناهم أخرجناهم من رحمتنا (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي منصرفة عن الانقياد
للدلائل وقرأ حمزة والكسائي قسمة بغير ألف بعد العاقب وتشديد الياء أي رديئة يابسة بلا نور (يجرفون
الكام عن مواضعه) يجرفون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكمهم الرجيم بعد بيانه في التوراة (ونسوا
حظاً مما ذكرناه) أي تركوا بعضاً مما أمرنا به في كتابهم وهو الإيمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم (ولا تزال) يا أشرف المخلوق (تطلع على خائفة منهم) أي تظهر على خيافته صادرة من بني قريظة
(الأقليلا منهم) وهم الذين آمنوا بعبد الله بن سلام وأصحابه أو الذين بقوا على الكفر لكنهم بقوا
على العهد ولم يخونوا فيه (فأعف عنهم) أي لا تعاقبهم (واصفح) أي أعرض عن صغار زلاتهم
ماداموا باقين على العهد (إن الله يحب المحسنين) إلى الناس قال ابن عباس إذا عفوت فأنت محسن
وإذا كنت محسناً فقد أحبك الله (ومن الذين قالوا إننا نصارى أخذنا ميثاقهم) في الإنجيل باتباع محمد
وبيان صفته وإن لا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً كما أخذنا الميثاق على بني إسرائيل اليهود (فنسوا
حظاً مما ذكرناه) أي تركوا نصيباً عظيماً مما أمرنا به في الإنجيل من الإيمان ونقضوا الميثاق
(فأغرنا بينهم العدوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أي الصفتين نصارى أهل نجران العدوة بالقتل
والبغضاء في القلب بعد أن جعلناهم فرقاً أربعة نسطورية والمساكنية واليعقوبية والمرقسية فإن بعضهم
يكفر بعضاً إلى يوم القيامة (وسوف ينبئهم الله) أي ينحسرهم في الآخرة (بما كانوا يصنعون) من
المخالفة والخيانة والكتمان فيجزيهم عليه (يا أهل الكتاب) أي يا معشر اليهود والنصارى (قد
جاءكم رسولنا) محمد أفضل المخلوق (بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) أي تسكتون من
التوراة والإنجيل كنعت محمد وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل (ويعفوا عن كثير)
أي لا يظهر كثيراً من عاصيتهم إذ لم تدع حاجة دينية إلى إظهاره (قد جاءكم من الله نور) أي رسول وهو
محمد صلى الله عليه وسلم (وكتاب مبين) وهو القرآن لما فيه إبانة ما خفي على الناس من الحق (يهدي
به) أي بذلك الكتاب (الله من اتبع رضوانه) وهو من كان مطلوبه من طاب الدين اتباع الدين الذي
يرتضيه الله تعالى (سبل السلام) أي إلى طرق السلامة من العذاب وهو دين الإسلام وهذا منصوب
بنزع الخافض لأن يهدي يتعدى إلى الثاني بالي أو باللام (ويخرجهم من الظلمات) أي ظلمات فنون
الكفر (إلى النور) أي نور الإيمان (بإذنه) أي بتوقيفه والباء يتعلق باتباع ولا يجوز أن تتعلق
بمهدى ولا يخرج إذ لا معنى لها حينئذ فدللت الآية على أنه لا ينبع رضوان الله إلا من أراد الله منه ذلك
(ويهديهم إلى صراط مستقيم) أي يثبتهم على ذلك الذين بعد إبانة دعوة الرسول (لقد كفر الذين قالوا)

وهم نصارى نجران (ان الله هو المسيح ابن مريم) وهذه المقالة لليعقوبية فانهم قالوا ان الله قد جعل في بدن
 انسان معين اوفى روحه وقبل لم يصرح به أحد منهم ولم يكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا ان تصاف
 عيسى بصفاته الخاصة أي بأنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (قل) لهم يا أكرم الخلق (فمن يملك
 من الله شيئا) أي من الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده (ان أراد به لك المسيح
 ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) أي ان عيسى غايل ان في الأرض في الصورة والخلق والجسمية
 والتركيب وتغير الصفات والاحوال فلما سلمتم كونه تعالى خالق الكل مدبر الكل وجب أن يكون أيضا
 خالق العيسى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وما يخلق ما يشاء) فتارة يخلق من غير أصل تخلق
 السموات والأرض وتارة أخرى يخلق من أصل تخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه تخلق آدم
 وكثير من الحيوانات ومن أصل من جنسه اما من ذكر ووحده تخلق حواء ومن أنثى ووحدها تخلق عيسى
 عليه السلام أو منهما تخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات تخلق عامة المخلوقات وقد
 يخلق بتوسط مخلوق آخر تخلق الطير على يد عيسى عليه السلام بحجزة له وكاحيه الموتي وإبراهيم
 والأبرص على يده أيضا فيجب أن ينسب كله اليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء
 قدير) واطهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود) أي يهود أهل المدينة
 (والنصارى) أي نصارى أهل نجران (نحن أبناء الله وأحباؤه) أي ان اليهود لما زعموا أن عزير ابن الله
 والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ثم زعموا أن عزير او المسيح كانا منهم صار ذلك كأنهم قالوا نحن أبناء الله
 كما يقول أقارب الملوك عند المغامرة نحن الملوك فالمراد بأبناء الله خاصته وقال ابن عباس ان النبي صلى الله
 عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف نخوفنا بعقاب
 الله ونحن أبناء الله واحباؤه الذي قال تلك الكلمة من اليهود نعيمان وبحري وشاس (قل) لهم يا أكرم
 الخلق الزاموا بتبكيثا (فلم يعذبكم بذنوبكم) أي ان صح ما زعمتم فلا شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والامر
 والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياما بعدد أيام عبادتكم العجلى ولو كان الامر كما
 زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع فأنتم كاذبون لان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب
 حبيبه (بل أنتم بشر من خلق) أي اسمكم كذلك بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية
 لكم عليهم (يعفون من ذنوبكم) ان يغفر لهم ذنوبهم من أولئك المخوفين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله وآياتهم
 اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) ان يعذب منهم وهم الذين كفروا به تعالى وبرسله وآياتهم
 اليهودية والنصرانية (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) فمن كان ملوكا هكذا وسدرة هكذا
 فكيف يستحق البشر الضعيف عليه تعالى حقوا واجبا (واله المصير) في الآخرة فيجزى المحسن بإحسانه
 والمسيي بإسائه (يا أهل الكتاب) أي يا أهل التوراة والإنجيل (قد جاءكم رسولنا) محمد صلى الله
 عليه وسلم (يبين لكم) أي مبينا لكم الشرائع (على فقرة من الرسل) أي على حين انقطاع من
 الانبياء فروى عن سلمان انه قال فقرة ما بين عيسى ومحمد ست مائة سنة أخرجه البخاري وكان بينهما أربعة
 من الانبياء لا تقع من بني امرائيل كما قال تعالى اذا أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث واحد من
 العرب وهو نالدين سنان وقال في حقه نبينا صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه (أن تقولوا ما جاءنا من بشر
 ولا نذير) أي انما بعثنا اليكم الرسول في وقت فقرة من ارسال الرسل كراهة أن تقولوا اذا استلتم عن
 أعمالكم يوم القيامة ما جاءنا من بشر بالجنة ولا نذير بالنار وقد انطمت آثار الشرائع السابقة وانقطعت

أخبارها فلا تعتذروا بذلك (فقد جاءكم بشير) كامل البشارة (ونذير) كامل النذارة (والله على كل شيء قدير) فكان قادراً على الإرسال ترى كما أرسل الرسل بين موسى وعيسى وكان بينهما ما ألف وسبع مائة سنة وألف نبي (وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ففهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه فأنطلقوا معه إلى الجبل ومنهم أولاد يعقوب فانهم كانوا على قول إلا كثيرين أنبياء (وجعلكم ملوكاً) فقد تكثر فيهم الملوك ثم إن أقارب الملوك يقولون عند المفارقة فمن الملوك قال السدي أي وجعلكم أحراراً لم تكونوا أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط يستعبدونكم وقيل كل من كان مستقلاً بأمير نفسه ومعبشته ولم يكن محتاجاً في مصالحه إلى أحد فهو ملك وقال الفصحاح كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم أموال كثيرة فمن كان كذلك كان ملكاً وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان بنو إسرائيل إذا كان لأحد منهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً وقال قتادة هو مالك لأنهم كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من كان له امرأة تأوى إليها وممكن يسكنه فهو غني ثم إن مكان له خادم بعد ذلك فهو من الملوك (وأنكم لم تأتوا أحداً من العالمين) من فلق البحر وغرق العدو وإيراث أموالهم وانزال المن والسلوى وإخراج المياه العذبة من الحجر وتظليل الغمام فإن ذلك لم يوجب في بني إسرائيل (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أي المباركة (التي كتب الله لكم) أي وهبها الله لكم ميراثاً من أبيكم إبراهيم عليه السلام روي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث للذين أتوا وكان بنو إسرائيل يسعون أرض الشام أرض الموعد قال ابن عباس والأرض هي الطور وما حوله (ولا تتردوا على أدباركم) أي لا ترجعوا إلى خلفكم أي إلى مصر خوفاً العدو (فتقلبوا خاسرين) في الدين والدنيا لأنهم صاروا أشاكين في صدق موسى عليه السلام فيصبروا كافرين بالالهية والنبوة فإن موسى قد أخبر أن الله تعالى جعل تلك الأرض لهم فكان ذلك وعداً بأن الله تعالى ينصرهم عن العدو ولأن الله تعالى منعهم عن المن والسلوى ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نبياً ليخبروا بهم عن أحوال تلك الأراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساماً عظيمة هائلة ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه بالواقعة فأمرهم أن يكتبوا ما شاهدوه فلم يقلوا قوله إلا رجلاً منهم وهما يوشع وكaleb فانهم ما سلا الأمر وقالوا هي بلاد عظيمة كثيرة النعم وقلوب القوم الذين فيها ضيقة وإن كانت أجسامهم عظيمة وأما العشرة من النقباء فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهر والامتناع من غزوهم ورفعوا أصواتهم بالبكاء (قالوا يا موسى إن فيها) أي في الطور أو أريحا أو دمشق وقلسطين كل روى كل واحد من هذه الثلاثة عن ابن عباس (قوما جبارين) أي طوا الأعداء أقوياء فلا تصل أيدي قوم موسى إليهم فسموهم جبارين لهذا المعنى (وانا لن أدخلها حتى يخرجوا منها) من غير صنع منها فإنه لا ضيقة لنا بأخراجهم منها (فإن يخرجوا منها) بسبب إيماننا (فأنا داخلون) قالوا هذا على سبيل الاستبعاد (قال رجلاً من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى في مخالفة أمر ونهييه (أثم الله عليهم) بالهداية والمنة بعون الله والاعتماد على نصرته وهما يوشع بن نون وهو الذي نبى بعد موسى وهو ابن أخت موسى وكaleb بن يوفناختن موسى وهو بفتح اللام وكسر هاء وقيل هـ مارجلان من الجبلية أسلموا واجتمع مع موسى والموصول عبارة عن الجبلية واليه يعود العائد المحذوف والتقدير قال رجلاً من

الجبارة الذين يخافهم بنو اسرائيل وهما راجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنوا يشهد لهذا الوجه
 قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للفعول (أدخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم أي باغثوهم
 وضاعثوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء الملائكة والهمز بحالا (فإذا دخلتموه) أي
 باب بلدهم (فأنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فأنا شاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسامهم
 عظيمة وانما حزم هذان الرجلان بالغبلة لأنهما كانا جازمين بنبوته موسى فلما أخبرهم موسى بأن الله
 تعالى أمرهم بالدخول في تلك الأرض قطعاً بأن النصرة لهم والغبلة حاصلة في جهتهم (وعلى الله فتوكلوا)
 في حصول هذا النصر لكم بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانهم غير مؤثرين (إن كنتم مؤمنين)
 بصحة نبوة موسى ومقرين بوجوده لأنه القادر مصديق لوعده (قالوا يا موسى إننا لن ندخلها) أي أرض
 الجبارين (أبداماداً وفيها) أي أرضهم (فأذهب أنت وربك) انما قالوا هذه المقالة على وجه
 التردد عن الطاعة أي على وجه مخالفة أمر الله ففهم فسقة (فقاتلوا) أي قاتلوا (فأنا ههنا قاعاً دون) عن القتال
 (قال) عليه السلام لما رأى منهم عناداً على طريق الحزن والشكوى إلى الله تعالى (رب اني لأملك
 الانفسى وأخي) هرون أي لأملك التصرف ولا ينبغي أن أرى الانفسى وأخي وانما قال ذلك تقيلاً لأن
 بواقعه ويجوز أن يكون المعنى الانفسى ومن يواخيني في الدين (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي
 احكم لنا بما نستحقه واحكم على القوم الخارجين عن طاعتك بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم (قال)
 الله يا موسى (فانها) أي الأرض المقدسة (محرومة عليهم) أي ممنوع عليهم من الدخول فيها
 (أربعين سنة يتهوون في الأرض) أي يحسرون في البرية وكان طول البرية تسعين فرسخاً وقد تاهوا في
 تسعة فراعض عرضاً في ثلاثين فرسخاً طولاً وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بي حلفت لأحرمن
 عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولا تيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم
 من الايام التي تحسبوا سنة أي كانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوماً ولا تقبل جيعهم في هذه
 الفقارأي ومات أوائل العصاة فيها وأهلك النقباء العشرة فيها بعقوبات غليظة وأما بنوهم الذين لم يعملوا
 الشر فيدخلون تلك الأرض المقدسة اه قال ابن عباس وكلهم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسرون كل
 يوم جادين فإذا أمسوا كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه وكان الغمام ينظرهم من الشمس وكان عود نور
 يطلع بالليل فيضي لهم وكان طعامهم المن والسوى وماؤهم من الحجر الذي يحلون ولا تطول شعورهم
 وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عتابهم كان بطريق التأديب وروى ان موسى وهرون
 كانا معهم ولكن كان ذلك لهما راحة وسلامة كالنار لآبراهيم والملائكة العذاب عليهم السلام وزيادة في
 درجاتهم وعقوبة لهم ومشاهدتهم لهما حال العقوبة أبلغ (فلا تأس) أي لا تحزن (على القوم الفاسقين)
 قال مقاتل ان موسى لما دعا عليهم أخبره الله تعالى بأحوال التيسر ثم ان موسى عليه السلام أخبر قومه
 بذلك فقالوا له لم دعوت عليه فاذم موسى على ما عمل فأوحى الله إليه لا تأس على القوم الفاسقين فانهم أحق
 بذلك لعنتهم (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) أي أذكركم يا أكرم الخلق لقومك وأخبرهم خبر ابني
 آدم قابيل وهابيل ملتبساً بالصدق لمعتبروا به وهذه القصة قدالة على ان كل ذي نعمة محسود فلما كانت
 نعم الله على سيدنا محمد أعظم النعم كان أهل الكتاب استخرجوا أنواع الكفر في حقه صلى الله عليه وسلم
 حسداً منهم فكان ذلك هذه القصة تسلية من الله تعالى لرسوله قال محمد بن اسحق ان آدم كان يغشى حواء
 في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقايل ولداً اخته فلم يجد عليها ما وحشا ولا وصفاً ولا طلقاً ولم ترد

ما وقت الولادة فلما هبط إلى الأرض تغشاها فخمت بهاييل وتوأمته فوجدت عليه ما الوحوم والوصب والطلق والدم وقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وأفيلما في بطن ثم هاييل ولبودا في بطن فإن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وبارية لاشيسا فانها وضعت مفردا ورضاعن هاييل وجملة أولاد آدم تسعة وثمانون في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أفيلما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ويتزوج كل من الذكور غير توأمته وأمر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا اخت هاييل وينسكع هاييل أقليما اخت قابيل وهي أحسن من لبودا فذكر ذلك آدم فرفض هاييل ومخط قابيل وقال هي اختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال له آدم أنها لا تحصل لك فإني إن يقبل ذلك وقال إن الله لم يأمر بك بهذا وإنما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فإنيما تقبل قربانه فهو أحق بأقليما وكانت القريبات إذا كانت مقبولة تزلت من السماء نار بوضاء فأكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلته الطير والسباع فخرج آدم ليقربا القريبات وكان قابيل قرب صبرة من قعر ردى وهو هاييل قرب كبشاً أحسن وقصد بذلك رضا الله تعالى فوضعا قريباهما على جبل ثم دعا آدم فترلت نار من السماء فأكلت قربان هاييل وقيل رفع إلى الجنة فلم يزل يرعى فيها إلى أن فدى بهما ما عجل عليه السلام (اذقربا) أي كل منهما (قربانا) وهو اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة أو صدقة (فتقبل من أحدهما) وهو هاييل (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل فأضمر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب فأتى قابيل لهاييل وهو في غفقه (قال) لهاييل (لا تقتلنك) فقال هاييل ولم تقتلني قال قابيل لأن الله تقبل قربانيك ورد قرباني وتريد أن تقتلني اختي الحسناء وأنك تحب أخاك الذميمة فيتحدث الناس بأنك خير مني وبفتخروا لعل على ولدي (قال) هاييل وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) أي أن حصول التقوى شرط في قبول القريبات (لأن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بسط يدي إليك لاقتلك) أي والله لئن باشرت قتلي حسب ما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات (إني أخاف الله رب العالمين) في قتلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة ألق كك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي أن تحمل اثم قتلي وإثمك الذي كان منك قبل قتلي كما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة رضي الله عنهم (فتكون من أصحاب النار) أي فتصير من أهل النار (وذلك جزاء الظالمين) روى أن الظالم إذا لم يجد يوم القيامة ما يرضى خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم (فطوعت له) أي سهلته (نفسه قتل أخيه فقتله) قال ابن جرير لما قصد قابيل قتل هاييل لم يدرك كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم رفضه بمحجر آخر وقابيل ينظر إليه ففعل منه القتل فوضع قابيل رأس هاييل بين حجرين وهو مستسلم صار روى عن عمرو بن خير الشعاني قال كنت مع كعب الأحبار على جبل دبر مرقان فأراني لغة حمراء مائلة في الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم أخاه وهذا أثر دم جعله الله آية للعالمين (فأصبح) أي صار (من الحامرين) بقتله دينا ودينالاً أنه مخطئ والديه وبقي مده وما إلى يوم القيامة ولأن له عقاباً عظيماً في الآخرة ولما قتل قابيل هاييل تركه بالعراب ولم يدري ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على وجه الأرض فقصدته السباع لتأكله فحملته قابيل على ظهره في جراب أربعين يوماً وقيل سنة (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض) أي يحفر الحفرة بمنقاره ورجليه بعد قتل صاحبه ثم ألقاه فيها وأثار الغراب عليه فتعلم قابيل ذلك من الغراب (ليريه كيف يوازي

(سواء أخيه) واللام امة متعلقة ببعث حتما والضمير المستكن طائد الى الله تعالى اومة متعلقة ببعث
 أو ببعث والضمير راجع للغراب وكيف حال من ضمير يوارى العائد الى قابيل كالضميرين البارزين
 وهو مع مولى يوارى وجملته معلاقة بالرؤية البصرية أو العرفانية المتعدية لفعول قبل تعديتها همزة
 النعل وبعبده لاثنين وحينئذ فكيف في محسن المفعول الثاني سادة مسده والمراد بالسوءة الجسد نقبجه
 بعبده (قال) أى قابيل (يا وليتا) أى ياهلاكى تعالى وهى كلمة تستعمل عند وقوع الداهية
 العظيمة ولغظها لفظ النداء كأن الويل غير حاضره فناداه لحضره أى أيها الويل احضره هذا أو ان
 حضورك (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سواء أئنى) أى فأعطى جسداً نى بالتراب أى
 لما قتل قابيل أخاه تركه بالعراء استخفافاً به ولما رأى الغراب يدفن غراباً يتارق قلبه وقال ان هذا
 الغراب لما قتل ذلك الآخر أخفاه تحت الارض أفأكون أقل شفقة من هذا الغراب (فأصبح من النادمين)
 على حمله له ايل على ظهره سنة لانه لم يعلم الدفن الا من الغراب وعلى قتله لانه لم يتفكر بقتله ولانه لم يخط
 عليه بيبه أبوا واخوته فكان ندمه لاجل هذه الاسباب لانه لم يكن معصية وعلى استخفافه به ايل بعد
 قتله لانه تركه في العراء فلما رأى ان الغراب دفن غراباً ميتاً دم على قساوة قلبه وقال هذا أئنى لانه لم يخط
 بلمى ودمه لم يخط يدى فاذا ظهرت الشفقة من الغراب على غراب ولم تظهر منى على أئنى كنت دون
 الغراب في الرحمة والاخلاق الحميدة فكان ندمه لهذه الاسباب لاجل الخوف من الله تعالى فلا ينفعه
 ذلك الندم قيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من أرض اليمن فأثابه ايلس وقال اغشأ كات النار
 قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فان عبدها أيضاً حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو
 أول من عبد النار وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه
 وكبلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسده ذلك ومكث آدم بعده مائة سنة ولم يضحك قط (من أجل ذلك) أى
 المذكور من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام وهى حصول خسارة الدين والدنيا وحصول الندم
 والحسرة والحزن في القلب والجوار والمجرور متعلق بكتبنا وهو ابتداء كلام فلا يوقف على اسم الإشارة
 فالوقف على قوله تعالى من النادمين تام هذا عند جمهور المفسرين وأصحاب المعاني ويرى عن نافع انه
 كان يوقف على اسم الإشارة ويجعله من تمام الكلام الاول فيمنع الجوار والمجرور متعلق بما قبله واسم
 الإشارة هائى على القتل أى من أجل ان قابيل قتل هابيل ولم يوار به بالتراب (كتبنا) أى أو جبننا في
 التوراة (على بنى اسرائيل انه) أى الشان (من قتل نفساً) واحدة من بنى آدم (بغير نفس) أى بغير
 قتل نفس بوجوب الاقتصاص (أو فساد في الارض) أى أو بغير فساد بوجوب اضرار الدم من كفر أو زنا
 أو قطع طريق وقرأ الحسن بنصب فساد باضمار فعل أى أرمع فساداً (فكنا نقاتل الناس جميعاً) فى
 تعظيم أمر القتل العمدة العدوان كما ان قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد فالمقصود مشاركة
 الامرين فى الاستعظام وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاءه جهنم
 خالد فيها وغضب الله عليه وأعد له عذاباً عظيماً (ومن أحياءها فكأنها أحياء الناس) أى ومن
 خلص نفساً واحدة من المهلكات كالحرق والغرق والجوع والمفرط والبرد والحرا المفرطين قال ابن عباس
 أى وجبت له الجنة بغيره نفس كما لو عفا الناس (جميعاً) ولقد جاءتهم (أى بنى اسرائيل) (رسلاً
 بالبينات) أى المجزات (ثم ان كثير منهم بعد ذلك فى الارض) أى بعد مجيئ الرسل وبعد ما كتبنا عليهم
 نعيم القتل (لم يرفقوا) فى القتل لا يبالون بعظمته فانهم كانوا أشد الناس جراءة على القتل حتى كانوا

يقتلون الانبياء (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) أي انما جزاء الذين يخالفون احكام الله
وأحكام رسوله أو انما مكافأة الذين يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون (و يسعون في
الارض فسادا) أي يعملون في الارض مفسدين بالمعاصي وهو القتل وأخذ المال ظلما (أن يقتلوا)
واحدا بعد واحد ان قتلوا (أو يصلبوا) ثلاثة أيام بعد القتل والصلاة عليهم وقيل يصلبون احياء ثم يرج
بطنهم برمح حتى يموتوا ان جمعوا بين أخذ المال والقتل (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أي
تقطع مختلفة بأن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ان اقتصر على أخذ المال من مسلم أو ذمي وكان
المقتدر بحيث لو قسم عليهم أصاب كل منهم نصيب السرقة (أو ينفوا من الارض) ان أخافوا السبل
قال أبو حنيفة النخعي من الارض هو الحبس وهو اختيار أكثر أهل اللغة قالوا والمحجوس قد ربح منه فيامن
الارض لانه لا يتفزع بشئ من طيبات الدنيا ولذا انه لا يرى أحدا من أحبائه فصار منه فيا عن جميع اللذات
والشهوات والطيبات فكان كالنفي في الحقيقة وقال الشافعي هذا النفي محمول على وجهين الأول ان
هؤلاء المحاربين اذا قتلوا أو أخذوا المال فالأمام ان أخذهم أقام عليهم الحدود وان لم يأخذهم طلبهم أبدا
فكونهم خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد وهو المراد من النفي والشأن القوم الذين يحضرون الواقعة
ويكثرون جمع هؤلاء المحاربين ويخيفون المسلمين ولكنهم ما قتلوا وما أخذوا المال فان الامام يأخذهم
ويغزيرهم ويحبسهم فلما أراد ينفهم عن الارض هو هذا الحبس لا غير قال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم
هلال بن عويرة لانهم قتلوا قوما من بني كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله ليسلموا فقتلوههم وأخذوا ما كان
معهم من السلب وقيل نزلت في قوم من عربنة وكانوا انما نزلوا المدينة مظهريين للإسلام فرضت أبدانهم
واصغرت ألوانهم فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من أبوالها وأولبائها
فيه نحو اقله اثربوا ومحموا فقتلوا الراعي مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامه يسار النوبي وساقوا
الابل وكانت خمسة عشر فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عشرين فارسا أميرهم كرز بن جابر الفهري في
طلبهم فحلبهم وأمرهم ففقطعت أيديهم وأرجلهم ومهرت أعينهم بأن أحصى مسامير الحديد وكحل بها
أعينهم حتى ذهب ضوءها وتركا في الحرة حتى ماتوا (ذلك) أي الحد (لهم خزي) أي هوان وفضيحة (في
الدنيا) اذا لم تحصل التوبة أما عند حصول التوبة فان هذا الحد لا يكون على جهة الاستخفاف بل
يكون على جهة الامتحان (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي أشد مما يكون في الدنيا لمن لم يتب (الا
الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) أي ان ما يتعلق من تلك الاحكام بحقوق الله
تعالى يسقط بعد هذه التوبة فوما يتعلق منها بحقوق الآدميين لا يسقط فهو لا يحاربون ان قتلوا انسانا
ثم تابوا قبل القدرة عليهم كان ولي الدم على حقه في القصاص والعفو الا انه يزول وجوب القصاص بسبب
هذه التوبة لا يجوز له قصاصا وان أخذوا ما لا وجب عليهم رده ولم يكن عليهم قطع اليد والرجل وان جمعوا
بين القتل وأخذ المال فيسقط وجوب القتل ويجوز استيفاءه ويجب ضمان المال وعن علي رضي الله
عنه ان الحرب بن بدر جاعة ثائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة أما اذا تاب
القاطع بعد القدرة فالتوبة لا تنفعه وتقام الحدود عليه وقال الشافعي رحمه الله ويحفل ان يسقط كل حد
لله بالتوبة لان ما عزم المارجم أظهر توبته فلما عزموا رجعه مذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هل لآثر كنوه وذلك يدل على ان التوبة تسقط عن المكاف كل ما يتعلق بحق الله تعالى وهذا
التفصيل انما يكون للمسلم ان كان القاطع كافرا سقطت عنه الحدود مطلقا لان توبته تدرأ عنه العقوبة

قبل القدرة وبعدها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك المنهيات (وابتغوا إليه الوسيلة) بفعل
 الأمور (وجاهدوا في سبيله) أي في سبيل عبوديته وطريق الاخلاص في معرفته وخدمته
 (لعلكم تفلحون) ينيل مرضاته وبالفوز بكراماته اعلم ان جماع الله كما في محصورة في نوعين أحدهما
 ترك المنهيات وهو المشار إليه بقوله تعالى اتقوا الله وثانيه ما فعل الأمور وهو المشار إليه بقوله تعالى
 وابتغوا إليه الوسيلة والمراد بطلب الوسيلة إليه تعالى هو تخصيص مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات
 ولما أمر الله تعالى بترك ما لا ينبغي وبفعل ما ينبغي وكان الانقياد لذلك من أشق الأشياء على النفس
 وأشد هاته على الطبع لان النفس لا تدعو الا الى المشتهات والذات المحسوسة أردف ذلك التكليف
 بقوله وجاهدوا في سبيله أي بمجاهرة أعدائه البارزة والسكامة ثم ان من يعبد الله تعالى فربما ان منهم
 من يعبد الله لا لغرض سوى الله وهو المشار إليه بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله ومنهم من يعبد الله لثواب
 مثلاً وهو المشار إليه بقوله لعلكم تفلحون أي تغفرون أي بالمحسوب وتخلصون عن المكروه (ان الذين كفروا
 لو ان لهم) أي لو ثبت ان لكل واحد منهم (ما في الارض جميعاً) أي من أصناف أموالها وسائر
 منافعها قاطبة (ومثله معه ليفقدوا به) أي ليجعلوا كلامها قدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة)
 أي من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) تصريح بعدم قبول الغداء وتصوير للذوم
 العذاب فلا سبيل لهم الى الخلاص منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرايت
 لو كان لك مثل الارض ذهباً ~~صككت~~ تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك فأبيت
 (بريدون أن يخرجوا من النار) بتحويل حال الى حال وقيل يتننون الخروج اذا فرغهم ليل النار الى
 فوق ويقصدونه وقيل يكادون يخرجون منها القوة النار ودفعها لهم وقيل يريدون الخروج بقولهم كما قرأ
 بعضهم ان يخرجوا بالبناء للمفعول (وما هم بخارجين منها ولهم) أي الكافرين خاصة دون عصاة المؤمنين
 (عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع نارة بالبرد ونارة بالحرق وتارة بغيرهما (والسارق والسارقة فاقطعوا
 أيديهما) أي أيمانهما من الكوع كما يدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات
 فاقطعوا أيمانهم لانه صلى الله عليه وسلم أتى بسارق وهو طعمة فأمره بقطع يمينه من الزنخ (جزاءها
 كسبا) أي لجزاء فعلهما (نكالا) أي للآهانة والذم (من الله) لجزاء مفعول من أجله وعامله
 فاقطعوا ونكالا مفعول من أجله وعامله جزاء على طريقة الاحوال المتداخلة كما تقول ضربت ابني
 تأديباً له احساناً اليه فالتأديب علة للضرب والاحسان علة للتأديب (ولله عزير) في انتقامه (حكيم)
 في شرائعه وتكاليفه (فن تاب) الى الله تعالى (من بعد ظلمه) أي مفرقه (وأصلح) بأن يتوب
 بنية صالحة صادقة وعزيمة صحيحة خالية عن سائر الأغراض (فان الله يتوب عليه) أي يقبل توبته
 تفصلاً منه واحساناً لا وجوباً عليه (ان الله غفور رحيم) فلا يعذبه في الآخرة ولا يسقط عنه القطع
 بالتوبة بل يقطع على سبيل الامتحان عند الجمهوز وقيل يسقط بها الحد وقال الشافعي ان عفا المستحق
 عنه قبل الرفع الى الامام سقط القطع (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) والمالك له أن يتصرف
 في ملكه كيف شاء (يعذب من يشاء ويعفو من يشاء والله على كل شيء قدير) فيقدر على التصرف
 الكلي فيهما وفيما فيه ما يحسب ما تقتضيه مشيئته تعالى ونحن نعتقد ان المغفرة تابعة للمشيئة في حق غير
 التائب (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا باقوا هم ولم تؤمن
 قالوهم) أي لا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استتار وجوه المكفر في

حق المسلمين وفي مخالفتهم في موالاته المذكورين فاني ناصر لك عليهم وكافيت شرهم وقرأنا في محزونك بضم الياء
وكسر الزاي وقرى يسرعون من أمرع والياء متعلقة بقاؤا لا بأفواهم - قال ابن عباس نزلت هذه
الآية في حق عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في عبد الله بن سوريا (ومن الذين هادوا سماعون
للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي ان هؤلاء القوم من اليهود لهم صفتان سماع الكذب في
دين الله وفي طعن محمد صلى الله عليه وسلم من أجبارهم ونقله الى عوامهم - وسماع الحق مثل وثقة له
لأجبارهم ليخرفوه أي فيكونوا وسائل بينك وبين قوم آخرين والوسائل هم يهود بني قريظة كعب
وأصحابه والقوم الآخرون هم يهود خيبر فهم لا يقرّبون مجلسه صلى الله عليه وسلم ليعرضهم أباء وتكبرهم
(يخرفون الكلام من بعده واضعه) أي يضع هؤلاء الأجبار الجلود مكان الرجم والطعن في محمد مكان
المدح في التوراة (يقولون) أي المخرفون وهم القوم الآخرون للسماعين لهم عند انقائهم اليهم
أقارب لهم الباطل مشيرين الى كلامهم الباطل (ان أنيتهم) من جهة محمد (هذا) المخرف من جلد
المحصن (لخذروه) أي فأقبوا منه (وان لم تؤثروا فاحذروا) ولا تفلتوا منه قال المفسرون ان رجلا
وامرأة من أشرف أهل خيبر زيارهما محصنان وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود
رجمهما لما اشرفوا فأرسلوه - سماع قوم منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم عن
حكمهم في الزانيين وقالوا ان أمركم بالجلد وتسويد الوجه فاقبلوا وان أمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا
فأما ما أرسلوا رسول الله عن ذلك نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام
اجعل بينك وبينهم ابن صور يا فقال الرسول هل تعرفون شأبا أبرد أبيض أخو ريسكن قدك يقول له
ابن صور يا قالوا نعم فقال هو أي رجل فيكم فقالوا هو أعلم يهودي على وجه الأرض بما في التوراة فقال
فأرسلوا اليه فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا قال نعم قال رأيت أعلم اليهود
قال كذلك يزعمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أرضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنت سددك الله الذي لا اله الا هو الذي خلق البحر لومي ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق
آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال ابن صور يا
نعم فوثب عليه سقالة اليهود فقال خفت ان كذبت ان ينزل عليك العذاب ثم سأله رسول الله عن أشياء كان
يعرفها من علاماته فأجابها فقال ابن صور يا أشهد أن لا اله الا الله وأنزل رسول الله النبي الأمي العربي
الذي بشر به المرسلون ثم أمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن برد الله فتنه) أي
ضلالته وكفره (فلن نلكن) أي تستطيع (نه من الله شيئا) على دفعها (أولئك) أي اليهود
والمنافقون (الذين يريد الله أن يظهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبيث الضلالة لانهم ما حكم
فيهم (الهم في الدنيا خزي) أي ذل بالفضيحة للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وخوفهم من قتل المسلمين
أيامهم والجزية والافتصاح لليهود بظهور كذبهم في كتاب التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو
الخلود في النار (سماعون الكذب) الذي كانوا ينسبونه الى التوراة (أكلون للسهو) أي الحرام
الذي يصل اليهم من الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفعل وكسب الحجام وغن الكلب وغن الخمر
وغن الميتة وحلوان الكاهن والاستئجار في المعصية روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس وأبي
هريرة ومجاهد (فان جاؤك) متحايكين اليك فيما انجز بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض
عنهم) ومذهب الشافعي يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الذمة اذا حاكموا اليه لان في أمضاء

حكم الاسلام عليهم ذلالم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخير الذي في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين ولورافع الينا ذميان في شرب خمر لم تحسد هما وان رضىا بحكمنا لانهم لا يعتقدان تخريبها وورافع الينا مسلم وذمى رجب الحاكم بينهما اجزاء او كذا الذي مع المعاهدين (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) أى فانهم كانوا لا يتحاشون اليه صلى الله عليه وسلم الا لطلب الاخف فاذا تعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم اعراضه عنهم وصاروا أعداء له فلا تضر معداوتهم له فان الله يعصمهم من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) أى بانعدل انذى أمرت به (ان الله يحب المقسطين) أى يشيب العادلين في الحكم (وكيف يحكمونك) وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) استغفهم تعجب من الله لنبيه من تحكيمهم إياه صلى الله عليه وسلم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحاكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبية على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو أهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم ثم يعرضون عن حكمه صلى الله عليه وسلم الموافق لكتابهم من بعد التحكيم والرضا بحكمه صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة وقوله تعالى ثم يتولوا معطوف على يحكمونك (وما أولئك) أى البعداء من الله (بالمؤمنين) بالتوراة وان كانوا يظهرون الايمان بها ولا يملكون معتقدين في صحة حكمهم وان طلبوا الحكم منك وذلك دليل على أنه لا ايمان لهم بشئ وأن مقصودهم تحصيل منافع الدنيا فقط (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) أى بيان الاحكام والشرائع والتركالف (ونور) أى بيان التوحيد والنبوة والمعاد (يحكم بها) أى التوراة (النبليون الذين أسلموا) أى اتقادوا الحكم التوراة فان من الانبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة والذين كانوا منقادين لحكم التوراة هم الذين كانوا من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليه السلام وبينهم ألف نبى وكلامهم بعنوان باقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا احلالها ويحرموا احرامها وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه حكم على اليهوديين بالرجوع وكان هذا حكم التوراة وانما ذكر بلغة الجمع تعظيمه لانه قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان حاصلا لاكثر الانبياء وقال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لان بعضهم كانوا يقولون الانبياء كلهم يهود أو نصارى فرد الله عليهم بذلك أى فان الانبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين أى منقادين لتركائيف الله تعالى وفي ذلك تنبيه على قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين فان غرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة أخذ الرشوة واستتباع العوام وتعريضهم بأنهم بعدد واعن الاسلام الذى هو دين الانبياء عليهم السلام (للذين هادوا) متعلق بحكم أى يحكمون بها فيما بين اليهود (والرانيون والاحبار) أى ويحكم بها العلماء المجتهدون الذين استلوا عن الدنيا وسائر العلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين (عباسية خفا) أى بسبب الذى استخفوا من جهة النبيين (من كتاب الله) وهو التوراة فان الانبياء سألوا الرانيين والاحبار ان يحفظوا التوراة من التغيير والتبديل وذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامهم من غير اخلال بشئ منها (وكانوا عليه) أى ذلك الكتاب (شهداء) أى كان هؤلاء النبيون والرانيون والاحبار شهداء على أن كل ما في التوراة حق وصدق وأنه من عند الله حكما كانوا يعضون

أحكام التوراة ويحفظونها عن التحريف والتغيير (فلانحشوا الناس) أي اليهود (واخشوني) أي
أيامكم وأن تحرفوا كتابي للنفوس من الناس والمالوك والاشراف فتسقطوا عنهم الحدود لواجبة عليهم
وأن تحرفوا الحيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم فلا تكونوا ثقلين من الناس بل كونوا خائفين مني
ومن عقابي في كتابي الأحكام ونفوت محمد على الله عليه وسلم (ولأنه تروا بآياتي غنا قليلا) أي
ولا تستبدلوا بآياتي التي في التوراة عرضا قليلا من الدنيا أي كأنه يتكلم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف
فكذلك أنما لكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا
قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس ومن لم يسمع ما بين الله في
التوراة من نعت محمد وآية الرجم فأولئك هم الكافرون بالله والرسول والكتاب وقال عكرمة أي ومن لم
يحكم بما أنزل الله منكر الله بقلبه وجاحده بالله فقد كفر وأما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه
ذلك إلا أنه حكم بضده فهو ظالم فاسق لتركه حكم الله تعالى (وكتبنا عليهم فيها) أي فرضنا على بني
إسرائيل في التوراة (أن النفس) مقتولة (بالنفس والعين) مفعولة (بالعين والانف) مجدوع
(بالانف والأذن) مقطوعة (بالأذن واللسان) مقلوعة (باللسان والجروح قصاص) أي ذات
قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة كالشغين والذكروا لأنهم من القديسين واليدين فأما ما لا يمكن
القصاص فيه من رض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منه التلف ففيه ارش وحكومة
قرأ الكسافي العين والانف والأذن واللسان والجروح كلها بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو
بنصب غير الجروح فأنه بالرفع وقرأ نافع وعاصم وحزرة بنصب الكل وخبر الجميع قصاص (فمن تصدق
به) أي القصاص من المستحقين (فهو) أي التصديق (كفارته) أي للتصدق بكفر الله تعالى بها
أنوبه أي إذا عفا الجرح أو ولي المقتول كان ذلك العفو كفارة للعافي كما قال صلى الله عليه وسلم أي يجوز
أحدكم أن يكون كافي ضمه كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه عن الناس وروى عباد بن
الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من
ذنبه وقيل إن الجني عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني وسقط عنه ما لم يوافقوا أخذ الله
تعالى بعد ذلك العفو وأما الجني عليه الذي عفا فاجره على الله تعالى ثم القاتل يتعاقب به ثلاثة حقوق حق لله
تعالى وحق للمقتول وحق للولي فإذا سلم القاتل نفسه طوعا أو اختيارا إلى الولي فمأفول خوف من الله
تعالى وتوبة نصوحا سقط حق الله تعالى بالتوبة وحق الأولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق
للمقتول يعرضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب وصلح بينه وبينه ولو سلم القاتل نفسه اختيارا من
غير ندم وتوبة أو لم يكن من نفسه بل قتل كرها فسقط حق الوارث فقط ويبقى حق الله تعالى لأنه
لا يسقطه إلا التوبة ويبقى حق المقتول أيضا ويطلبه به في الآخرة لأن القاتل لم يسلم نفسه تائبا ولم يصل
منه للمقتول شئ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالنقص في حق النفس لا ببقاء
النفس في العقاب الشديد والتدين بترك حكم الله نهاية الظلم وهو الكفر لأن كل نعمة الله تعالى وبجدها
(وقفينا على آثارهم) أي أتبعنا على آثار الذين يحكمون بالتوراة (بعيسى بن مريم مصدقا
لما بين يديه) أي لما قبل عيسى مما أتى به موسى (من التوراة) ومعنى كون عيسى مصدقا للتوراة
أنه أقر بأنه كتاب منزل من عند الله تعالى وأقر بأنه كان حقا واجبا للعمل به قبل ورود النسخ (وآتيناه
الإنجيل فيه هدى) لاستحقاقه على الدلائل البينة على التوحيد والتأني به وبراهينه تعالى عن الروجة

والولد والمسل والصدوق على النبوة وعلى المعاد (ونور) لأنه يساند الأحكام الشرعية وله تفاصيل
التكاليف (وهو صدق ما بين يديه) أي لما قبل الانجيل (من التوراة) وهذا المنسوب معطوف على محل
فيه هدى وهو النصيب على الحال أي موافقا لما في التوراة من أصول الدين ومن بعض الشرائع ومن كون
الانجيل مبشرا بجمع محمد صلى الله عليه وسلم (وهدى) لاشتماله على البشارة بجمع محمد صلى الله عليه
وسلم فهو سبب لا يعتد به الناس إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه المسئلة أشد المسائل احتياجا إلى
البيان فالانجيل يدل دلالة ظاهرة عليها الكثرة المتزايدة بين المسلمين واليهود والنصارى في ذلك
(وموعظة للمؤمنين) لاشتماله على النصائح والزواجر وأما شخص الموعظة بالمؤمنين لأنهم الذين ينتفعون
بها (وليهكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن
الأحكام التي لم تنسخ بالقرآن فإن الحكم بالأحكام المنسوخة ليس حكما بما أنزل الله فيه بل هو تعطيل له
أذ هو شاهد بنسخها لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وقرآن جزء وانجيل دكر
اللام ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام كي وهو متعلق بمقدرا أي وآتيناه الانجيل ليحكموا به وقرأ الباقون
وليحكم بسكون اللام وجرم الفعل بلام الامر (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) أي
الخارجون عن الإيمان إن كان مستوفيا وعن طاعة الله إن كان لا تباع الشهوات (وأولئك هم
الكتاب) أي القرآن (بالحق) أي ملتبسا بالصدق والجار والمجرور متعلق بمحذوف وقع حال من
الكتاب أو من فاعل أنزلنا ومن الكافي في ذلك (مصدق ما بين يديه) أي لما تقدمه (من الكتاب)
أي من كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن (ومهمنا عليه) أي شاهدنا على الكتب كلها أن
القرآن هو الذي لا ينسخ ولا يتطرق إليه التبديل والتعريف وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن
على سائر الكتب صدق باقية وقرأ ابن محيصة ومجاهد مهمنا بفتح الميم الثانية ذل القرآن يسان عن
التعريف والتبديل والحفاظ هو الله تعالى (فاحكم بينهم) أي بين جميع أهل الكتاب إذا تراءفوا
إليك (بما أنزل الله) فإن ما أنزل الله إليك وهو القرآن مشتمل على جميع الأحكام الشرعية (ولا تتبع
أهواءهم عما جاءك من الحق) وعن متفقة بالاتباع على تفهيم معنى تفرج ونحوه أي لا تكفر عما
جاءك من الحق متبعاً أهواءهم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أي لكل واحد من الأمم الثلاثة
أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد جعلنا منكم أيها الأمم شريعة وهي العبادة التي أمر الله بها عباده
ومنهاجا أي طريقا واضحا يؤدي إلى الشريعة فالتوراة شريعة للامة التي كانت من مبعث موسى إلى
مبعث عيسى والانجيل شريعة من مبعث عيسى إلى مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن شريعة
للموجودين من سائر المخلوقات في زمنه صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ليس إلا والدين واحد وهو
التوحيد (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أي جماعة متفقة على شريعة واحدة في جميع الاعصار
من غير اختلاف ولا نسخ ولا تحويل أو المعنى لجعلكم ذوي أمة واحدة أي دين واحد (ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم) أي وليكن ليبلوكم أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء أن يختبركم فيها أعطاكم من
الشرائع المختلفة المناسبة للزمن والجماعة هل تهلون بها منقادين لله معتقدين أن اختلافها مبني على
الحكم اللطيفة والمصالح النافعة لكم أم تتبعون الهوى وتصررون في العمل (فأستبقوا الخيرات)
أي إذا كان الأمر كذا كرسار عوا يا أمة محمد إلى ما هو خير لكم في الدارين وأبتدروا تنهزا للفرصة
وحيازة للفضل السابق (إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تكلفون) في الدنيا من أمر

الذين أي فيخبركم بما لا تشعرون فيه من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل والموفق والمقصر في العمل فإن
الامر سوف يرجع الى ما يحصل معه اليقين وذلك عند مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باسائه (وأن احكم
بينهم) أي بين أهل الكتاب اذا تكلموا اليك (عما أنزل الله) وهذه الجملة معطوفة على الكتاب أي
أنزلنا اليك الكتاب والحكم بينهم وذكر أنزال الحكم لتأكيد وجوب امتثال الامر أعني قوله بالحق أي
أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبالحكم وذكر أنزال الامر بالحكم بعد الامر الصريح به تأكيداً لمرور تغريش
لما بعده ولأن الآيتين حكمان أمر الله بهما جميعاً لانهم احتكموا اليه صلى الله عليه وسلم في زنا المحصن ثم
احتكموا في قتل كان فيهم (ولا تبسح أهواءهم) في عدم قتل الشريف بالوضيع وعدم قتل الرجل
بالمرأة (واحذرهم أن يقتنوا) أي يملكون (عن بعض ما أنزل الله اليك) ويردوك الى أهواءهم
وكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا
اليهم الدية كاملة ويقتلون النفس بالنفس ويقتلون العيينة بالعين وغير واحكم الله الذي أنزله في
التوراة فخالهم يخالفون قال ابن عباس أنت كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم
لبعض اذ هبوا بنا الى محمد لعنا نفته أي نصره عن دينه فأقوه صلى الله عليه وسلم فقاتلوا بأبا القاسم قد
عرفت أنا أخبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتجأكم اليك
فأقض لنا عليهم ثم من بك في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى
أن يقتنوا بدل اشتغال من المفعول أي واحذرهم فنتهم أو مضاف اليه المفعول من أجله أي احذرهم
مخافة أن يقتنوا أي يصرفوك عن الحق ويلقوك في الباطل (فان تولوا) أي أعرضوا عن الحكم بما
أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فأعلم أغايريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي أن يتليهم بجزء بعض
ذنوبهم في الدنيا وهو أن يسلط عليهم ويعذبهم في الدنيا بالقتل والجلد والسبي فانهم جوزوا في الدنيا
ببعض ذنوبهم وذلك كافي في اهلاكهم (وان كثير من الناس) أهل الكتاب وغيرهم (لغاسقون)
أي خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات (أفحكم الجاهلية يبغون) قرأ ابن عامر تبغون
بالتاء على الخطاب وقرأ السلمي برفع حكم على انه مبتدأ أو قرأ فتادة أبحكم بالباء بلسان بدل الفاء وقرئ
بفتح الفاء والسكاف أي أفيطلبون ما كما تحكمكم الجاهلية وهي اما الملة الجاهلية التي هي متابعة
الهوى الموجبة للدهانة في الاحكام واما أهل الجاهلية قال مقاتل كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن
يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فله ابعث وهاجر الى المدينة فحاربوا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير
اخواتنا أبونا واحد وديننا واحد وكتابتنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقاً من تمر
وان قتلنا منهم واحد أخذوا منا مائة وأربعين وسقاً من تمر وأروش جراحاتنا على النصف من أروش
جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم أن دم القرظي كدم النضري
أي لا أحدهما أفضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فأنك
عدونا فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فانهم هم الذين يعرفون انه
لا أحد أعدل من الله حكماً ولا أحسن منه بياناً (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)
أي لا تعمدوا على الاستنصار بهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب روى ان عباد بن الصامت جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره عنده من موالاة اليهود فقال عبيد الله بن أبي ريثس المنافق لكني
لا أتبرأ منهم لاني أخاف الدوائر فنزلت هذه الآية وقال السدي لما كانت واقعة أحداث اشتد الامر على طائفة

من الناس وتخوفوا ان تدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بغلان اليهودى واخذ منه امانا
 انى اخاف ان تدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بغلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا
 فأنزل الله هذه الآية وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة
 حين حاصروهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بشا اذا ازلنا جعل أصبعه في حلقه أى انه يقتلكم
 (بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذين الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق
 لامن الفريق الآخر (ومن يتولهم منكم) يامعشر المؤمنين (قالتهم) أى فهو من اهل دينهم فانه
 لا يوالى أحدا أحد الا وهو عنه راض فاذا رضى عنه رضى دينه فصار من اهل دينه وهذا على سبيل
 المبالغة في الزجر عن اظهار صور الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة أولان الموالين كانوا منافقين
 (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) بموالاة الكفار روى عن ابي موسى الاشعري انه قال قلت لاهل
 الخطاب ان الى كاتبنا ان كنصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيئا أما سمعت قول الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء قلت له دينه ولى كتابته فقال لا أكرههم اذا هانهم الله
 ولا أعزهم اذا ذلهم الله ولا أدنيهم اذا بعدهم الله قلت لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام
 والمعنى اجعله في ظنك انه قد مات فمات عمل بعد موته أى فاعمله الآن ميتا واستغن عنه بغيره (فترى الذين
 في قلوبهم مرض) بالنفاق ورخاوة العقل في الدين كعبد الله بن ابي وأصحابه (يسارعون فيهم) أى
 في موادة يهود بنى قيناع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة يقرضونهم ويعينونهم على مهماتهم
 (يقولون) معترزين عنها الى المؤمنين (نخشى) أى نخاف خوفا شديدا (ان تصيبنا دابة) من دوائر
 الدهر كلهزيمة والحوادث المخوفة وتكون الدولة للكفار وتقال الدابة في المكروه كالجذب والقطع وتقال
 الدولة في المحبوب وقال الزجاج أى نخشى ان لا يتم الامر لمحمد في دور الامر كما كان قبل ذلك (فعسى الله
 ان يأتي بالفتح) رسول الله على أعدائه وللسلمين على أعدائهم وباطهار الدين (أو أمر من عنده) يقطع
 أصل اليهود أو يخرجه عن بلادهم وعسى بمنزلة الوعد وهو من الله تعالى واجب (فيصبحوا على
 ما أسروا في أنفسهم ناديين) أى فيصير هؤلاء المنافقون ناديين على ما حدد ثوابه أنفسهم من ان الدولة
 أى الغلبة لا عهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يسكنون في أمر الرسول ويقولون لا نظن
 انه يتم له أمره (ويقول الذين آمنوا) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بالرفع مع اثبات الواو كما في مصاحف
 أهل العراق على الاستثناى وقرأ نافع وابن كثير وابن طامر بالرفع مع حذف الواو كما في مصاحف
 أهل الحجاز والشام على ان الجملة مستأنفة مستأنفا فإياها فى جواب سؤال نشأ من قوله تعالى فعسى
 الله ان يأتي بالفتح كأن القائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ ذق قيل يقول الذين آمنوا الخ وقرأ
 أبو عمرو بالنصب مع الواو عطف على يصبحوا على أى لان ذلك القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور
 ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى يقول المؤمنون مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين
 كانوا يولونهم ويرجون دولتهم عند مشاهدتهم لانعكاس رجائهم تعريضا بالمخاطبين (أهلؤلا الذين
 أقسموا بالله جهد أيمانهم) أى غاية ايمانهم (انهم لعسكم) بالمعونة فان المنافقين حلفوا لليهود
 بالمعاصرة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قولتم لننصرنكم أو المعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض
 مشيرين للمنافقين متعجبين من حالهم متعجبين بما من الله عليهم من اخلاص الايمان عندهم مشاهدتهم
 لاظهارهم الميل الى موالاة اليهود والنصارى انهم كانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم انهم معاندين ديننا

السر ومن أنصارنا فالآن كيف صاروا وما ألحقوا بنا من الاختلاط بهم والاعتصاد بهم وهذا
 نسب لقراءة الرفع مع اثبات الواو على الاستئناف أما المعنى الأول فهو أنسب لقراءة الت نصب وقراءة الرفع
 مع حذف الواو ولقراءة الرفع مع الواو يجعل عطف جملة على جملة والله أعلم (حطبت أعمالهم) أي
 بطل ما أظهره من الإيمان وبطل كل خير عملوه لاجل أنهم الآن أظهروا موالاة اليهود والنصارى
 (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والآخرة فاستحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا
 من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ ابن عامر ونافعير تدبدأين من غير ادغام
 وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة قرقة
 ثلاثة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى بنو مدح ورئيسهم ذو الحار و يلقب بالأسود كان له حمار
 يقول له قف فيقف وصرفيسير وكانت نساء أصحابه يتعطرون بروث حماره وكان يصكها هذا دعى النبوة
 فكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن وأمرهم بالتهوض إلى حراب
 الأسود فقتله فبر وزاليل على فراشه ولثانية بنو حنيقة باليمامة ورئيسهم مسيلة الكذاب ادعى النبوة
 في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي بعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كبير وقتل على يد
 وحشي الذي قتل حمزة رضى الله عنه والثالثة بنو أسد ورئيسهم طلحة بن خويلد ادعى النبوة فبعث
 أبو بكر خالد فهزمهم وأفلت طلحة ففهر بنحو الشام ثم أسلم أيام عمر وحسن إسلامه وسبى في عهد أبي
 بكر الأولى فزاره قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرينة سلمة القسيري والثالثة بنو سليم قوم
 الفجاءة بن عبد اليل والرابعة بنو ربوع قوم مالك بن نورة والخامسة بعض تميم قوم مجاجع بن المنذر وهي
 ادعت النبوة وزوجت نفسها سلمة الكذاب والسادسة كندة قوم الأشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن
 وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد فكفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة في
 عهد عمر وهي غسان قوم جيلة بن الأيهم وذلكات جملة أسلم على يد عمر وكان يطوف فوطى رجل طرف
 ردائه فغضب فاطمه واشتكى الرجل في عمر فقضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه فقال أنا أشتريها
 بألف فأبى الرجل فلم ير له في الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل إلا القصاص فاستنظر عمر
 فأنظره ففهر بجيلة إلى الروم وارتد والمراد بقوم يحبهم ويحبونه كما قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة
 والضحاك وابن جرير هم أبو بكر وأصحابه لأنهم الذين قاتلوا أهل الردة ومعنى يحبهم أي يلهيهم الطاعة
 ويشبههم عليها ومعنى يحبونه أي يطيعون لأمره تعالى ونواهيته (أدلة على المؤمنين) أي عاطفين
 عليهم (أعزة على الكافرين) أي شداد عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم إرحم أمي بأمتي أبو بكر وكان
 أبو بكر في أول الأمر حين كان رسول الله في مكة يذب عنه ويلازمه ويخدمه ولا يبالى بأحد من جبابرة
 الكفار وشياطينهم وفي وقت خلافته كان يبعث العسكر إلى المرتدين وإلى مانعي الزكاة حتى أنهم زموا
 وجعل الله ذلك مبدء الدولة الإسلام (يجاهدون في سبيل الله) أي لنصرة دين الله (ولا يخافون لومة
 لائم) قالوا والله لا أي بخلاف المنافقين فاتهم كانوا بر أقبون الكفار ويخافون لومهم فن كـ قواي
 الدين فلا يخاف في نصرة دين الله بيده وإسانه لومة لائم وهذا الجهاد من ترك فيه بين أبي بكر وعلى إلا أن
 حظ أبي بكر في الجهاد أنهم لأن مجاهدة أبي بكر مع الكفار في أول البعث وفي ذلك الوقت كان الإسلام في
 غاية الضعف والكفر في غاية القوة وكان يجاهد الكفار ويذب عن رسول الله بغاية وسعه وأما على فإنه
 كان جهاده في بدر وأحد وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويا وكانت العساكر مجتمعة فثبت أن جهاد أبي

بكر كل من جهاد على لوجهين لتقدمه على جهاد على في الزمان ولأنه كان وقت ضعف الاسلام
 (ذلك) أي وصف القوم بالحجة والسفينة والقوة والمجاهدة وانتفاء خوف التلوة الواحدة (فضل الله
 يؤتيه من يشاء والله واسع) أي كامل القدرة فلا يجزع من هذا الموعود (عليه) أي كامل العلم فيمنع
 دخول الخلق في أخباره ومواهبه (انما وليكم الله) أي انما ناصركم ومونسكم الله (ورسوله
 والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أي منقادون لجميع أوامره
 ونواهيهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاته اليهود وقال أنابرى إلى
 الله من حلف قرينة ولنضير وأقول الله ورسوله والمؤمنين وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن
 سلام وذلك انه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قرينة والنضير قد هجرونا
 وانقسموا لا يجالسونا ولا نستطيع بحالنا ان نلحقهم فأنزلت هذه الآية فقرأها النبي عليه فقال
 رضي الله عنه ورسوله وبالمؤمنين أولياء والمراد بالمؤمنين المذكورين عامة المؤمنين والمراد بكثرة هذه
 الصفات غير المؤمنين عن المنافقين وقيل المراد أبو بكر وقيل عن لما روى ان عبد الله بن سلام قال لما
 نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنارأيته عليا تصدق بخلافه على محتاج وهو راكع فنهض وتولاه (ومن
 يشن الله ورسوله والذين آمنوا فان حرب الله هم الغالبون) أي من يتخذهم أولياء في النصر فأنهم جند
 الله وجند الله هم الغالبون على أعدائهم بالحجة فانهم مستمرون أبدا أما بانصوة والدوة فقد يغلبون (بأيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) أي بخيرية (ولعبا) أي فحشا (من الذين أتوا الكتاب
 من قبلكم) أي اليهود والنصارى (والكفار) أي المشركين كعبدة الأوثان (أولياء) في العون
 والمعنى ان القوم لما اتخذوا دينكم هزوا ومخزوة فلا تتخذوهم أحميا وأوصارافا ذلك كالأمر الخارج
 عن العقل والمروءة * روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الأيمان ثم نافقا وكان رجل من
 المسلمين يوادونهم فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وقرأ أبو عمرو والنكسائي والكفار بالجر ويعضده
 قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أقر كوافهم من جملة المستهزئين أيضا بخلاف قراءة
 الباقي بالنصب فلا يفيد أنهم منهم وانما يثبت بعد ذلك من آية أخرى (واتقوا الله) في موالاتهم (ان
 كنتم مؤمنين) أي حقائق قضية الأيمان وجب الاتقاء بلا شك (و) أولئك الذين اتخذوا دين المسلمين
 هزوا ولعبا هم الذين (اذا ناديتهم إلى الصلاة) بالأذان والاقامة (اتخذوها) أي الصلاة والمناداة
 (هزوا ولعبا) أي لما اعتدوا الله ليس فيها فائدة ومنفعة في الدين والدنيا قالوا انها لعب روى الطبراني
 ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله قال أحرقت الله الكاذب فدخل
 خادمه ذات ليلة بنار أهله نيام فتطأ بر سره في البيت فأحرقه وأهله وقيل كان المنافقون من اليهود
 يتصاحكون عند القيام إلى الصلاة تنغير الناس عنها وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الأذان
 دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى فان كنت نبيا
 فقد خالفت الانبياء قبلك فمن أين لك صياح كصياح العبر فأقع هذا الصوت وهذا الأمر فأنزل الله ومن
 أحسن قولاهن دعا إلى الله الآية وانزل واذا ناديتهم إلى الصلاة الآية وقد دللت هذه الآية على ثبوت الأذان
 بنص الكتاب العزيز لا بتمام الصحابة وحده وحده واذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها من الشرط والجواب
 صلة ثانية للموصول المجزوء عن البيانية وفي الحقيقة ان قوله اتخذوها معطوف على أتوا وان قوله اذا
 ناديتهم ظرف له كانه قيل ومن الذين اتخذوها هزوا ولعبا وقت اذانكم والله أعلم (ذلك) أي الاستهزاء

الذكور (بأنهم قوم لا يعقلون) أي لو كان لهم عقل كامل لعلوا ان خدمة الخالق المنعم بغاية التعظيم لا تكون مهزوزة بها فانه أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم ولذلك قال بعض الحكماء أشرف الحركات الصلاة وأنفع السككات الصيام (قل) يا أشرف الخلق لليهود (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآن أمنا بآياته) أي ما تذكرون من أحوالنا الإيمانية بالله (وما أنزل اليها) أي بالقرآن (وما أنزل من قبل) أي بما أنزل من قبل أنزال القرآن من التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية (وأن أكثركم فاسقون) وقرأ الجمهور أن يفتح الهمزة أي وما تذكرون من أوصافنا الإيمانية بما نعتقدنا بأن أكثركم خارجون عن الإيمانية كإفان الكفر بالقرآن مستلزم الكفر بما يصدق به بلا شك وقرأنا عيسى ابن ميسرة أن بالكسرة على الاستئناف (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) أي عما أنتم لمحمد وأصحابه روي أنه أتى نفر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله وما أنزل اليها إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم فنزلت هذه الآية أي هل أخبركم بما هو شر مما تعتقدونه شراً (مثنوية) أي عقوبة (عند الله) فثوبته بغير لشر يعني عقوبة الله لكم (من لعنه الله) فمن موصولة بدل من شراً أي من أبعده الله من رحمته (وغضب عليه) أي مخطئ عليهم بأنهم ما كذبوا بعد سنوح اليمينات (وجعل منهم القردة) في زمن داود عليه السلام وهم أصحاب السبت (والخنازير) في زمن عيسى عليه السلام بعد أن كلهم من المائدة فكفروا وروي أيضاً أن المسخين كانوا في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي من أطاع أحداً في معصية الله كالكهنة وهو معطوف على صفة من كفر أباي وعبدوا الطاغوت كما أنصح على ذلك قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وكفرة الأعمش والنخعي وعبد مينا للقول وكذا على قراءة عبد بن قيس فتح العين وضم الباء على وزن كرم أي صار الطاغوت معبوداً من دون الله تعالى ورفع الطاغوت على هاتين القراءتين فالراجع إلى الموصول محذوف فيها أي عبد الطاغوت فيهم أو بينهم وقرأ حمزة عبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت وهو مفرد راديه الكثرة أي بالغ الغيرة في طاعة الشيطان وهو معطوف على القردة ~~كقراءة~~ طاب الطاغوت وعابدى وعبادة وعبيد بفتحين وعبدة بوزن كفرة وعبدة بفتحين جمع عابد تكدم جمع خادم وقرئ وعبد الطاغوت بجر عبد عطفاً على من بناء على أنه مجرور وعلى أنه بدل من شر والسبعة اثنتان أو لاها عبد الطاغوت على أن عبدة فعل ماض مبني للفاعل وفيه ضمير عائدة على من وهذه قراءة غير حمزة وثانيهما اقراءته وغيرهما قرأت شاذة (أو لئلا) الملعونون المسوخون (شره كما) من المؤمنين لأن مكانهم سقر ولا مكان أشد شراً منه أو المعنى أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجهول منهم القردة والخنازير العابدون الطاغوت شر مكاناً من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة (وأصل عن سواء السبيل) أي أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم قال المفسرون لما نزلت هذه الآية عبر المسلمون أهل الكتاب وقالوا يا أخوان القردة والخنازير فينكبون رؤسهم وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نزلت هذه الآية في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الإيمانية فافأخبره الله تعالى بشأنهم أنهم يخرجون من مجلس ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يتعلق بقلوبهم شيء مما سمعوا منك من نصائحك (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وغرضهم من هذا النفاق المبالغ فيه في قلوبهم من الجد في المكر

عليهم المصلين وكلما أرادوا محاربتهم صلى الله عليه وسلم ورتبوا أسباماً وركبوا في ذلك متن كل صعب
 ردهم الله تعالى وقهرهم وذلك لعدم اختلافهم (ويسعون في الأرض فساداً) أي ويجهتدون في الكيد
 للإسلام وأهله وأئمة القننة بينهم وفي تعويق الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يحب
 المفسدين) أي والله يعاقب المفسدين في الأرض كاليهود وغيرهم (ولو أن أهل الكتاب) أي إن
 اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به (واتقوا) مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم
 سيئاتهم ولا دخلناهم جنات النعيم) فالكتاب لا يدخل الجنة ولا يرفع عنه العقاب ما لم يسلم والإسلام
 يجب ما قبله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما (وما أنزل إليهم
 من ربه) من الكتب ككتاب شعيا وكتاب حيقوق وكتاب دانيال وكتاب أرميا وزبور داود لأنهم
 مكلفون بالإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وأيضاً في هذه الكتب ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
 فيكون المراد بإقامته هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربه
 القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكانه نزل إليهم من ربه (لا كلوا من فوقهم ومن نحت أرجلهم)
 وهذه مخالفة في السعة والحسب لأن هناك فوقاً وتحتاً والمعنى لا كلوا كلاماً متصلاً كثيراً وقيل من نزول
 القطر ومن حصول النبات وقيل من الأثمار المنثرة ومن الزرع المغلة وقيل المراد أن يرزقهم الله الخنان
 البانعة النمار فيجتمعون ما تهطل من رؤس الشجر وبنمة طون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم
 هذا في القائلين يد الله مغلوله الذين ضيق عليهم عقوبة لهم (منهم) أي من أهل الكتاب (أمة مقتصدة)
 أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ومجير الراهب وأصحابه وأنجاشي
 وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه (وكثرت منهم ساء ما يعملون) من العناد وتخريف الحق والافراط
 في العداوة وكتمان صفة محمد ككعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبي
 يامرو جدي بن أخطب (يا أيها الرسول) أي يا محمد (بلغ ما أنزل إليك من ربك) من غير مبالاة
 لليهود والنصارى ومن غير خوف من أن ينالك مكروه أبداً (وان لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ
 جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها (فأباعدت رسالتك) أي رسالتك وقرأ ابن عامر ونافع
 وشعبة رسالتك بجمع تأنيث سالم وقرئ فبالمختل سالتك وهذا تنبيه على غاية التهديد (والله يعصمك
 من الناس) أي الكفار أي يؤمنك من مكر اليهود والنصارى من قتلهم وعن أنس رضي الله عنه كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية فخرج رأسه من قبة آدم وقال
 انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي أنه تعالى
 لا يمكنهم عمارة يدون بك من القتل روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة في بعض أسفارهم وعلق
 سيفه عليها فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه وأخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد
 الأعرابي وسقط السيف من يده وضر برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه (قل يا أهل الكتاب لستم على
 شيء) من الدين ولا في أيديكم من الصواب (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي تحافظوا على ما فيها من
 دلائل رسالة الرسل وشواهد نبوته فإن أقامتم ما أنتم عليه من ذلك وأما ما أعاد أحكامهما المنسوخة
 فليست من أقامتهما في شيء (وما أنزل إليكم من ربكم) أي حتى تراعوا على ما في القرآن بالإيمان به فإن
 إقامة الجميع لا تحصل بغير ذلك (وليزيدن كثير منهم ما أنزل إليكم من ربك) وهو القرآن (طغياناً)
 أي تمادياً في الجود (وكفراً) أي ثباتاً على الكفر (فلأناس على القوم الكافرين) أي لا تأسف

عليهم بسبب زيادة طغيانهم وكفرهم ولا بسبب نزول العن والعذاب عليهم (ان الذين آمنوا) ايماناً
حقاقياً ومبجلاً الانبياء والكذب وما توا على ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (والذين هادوا)
أى دخلوا في اليهودية (والصابئون) هم قوم من النصارى وهم الذين قولوا من النصارى (والنصارى من
آمن) من هؤلاء الثلاثة (بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) أى خالصاً فيما بينه وبين ربه وتاب اليهودى
من اليهودية والصابئ من الصابئة والنصارى من النصرانية (فلا خوف عليهم) اذا ذبح الموت
(ولا هم يحزنون) اذا طبقت النار فوقه والذين هادوا مبتدأ قالوا واعطف الجمل أو لا تستأف وقوله
والصابئون عطف على هذا المبتدأ كقوله والنصارى وقوله فلا خوف عليهم الخ خبر عن هذه المبتدآت
الثلاثة وقوله من آمن يدل بعض من هذه الثلاثة فهو محض ص فالأخبار عن اليهود ومن بعدهم عباد كبر
بشرط الايمان عباد كبر وقوله ان الذين خبران محذوف دل عليه المذكور من خبر هذه الثلاثة وقرئ
والصابئين وقرئ يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وهم من صبو الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الاحكام
المكتوبة عليهم في التوراة (وأرسلنا اليهم رسلاً) ذوى عدد كثير ليقرروهم على مراعاة حقوق
الميثاق (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أى كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه
أنفسهم المتمكة في الغنى من الشرائع وميثاق التكليف عصوه وعادوه (فريقاً كذبوا) أى فريقاً من
الرسول كذبواهم كعيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم (وفريقاً) منهم (يقتلون) كزكريا ويحيى
عليهما السلام وقصدوا أيضاً قتل عيسى وان كان الله منعهم عن مرادهم وهم يريدون انهم قتالوه فذكر
التكذيب بلفظ الماضى إشارة مع معاملتهم مع موسى عليه السلام فانهم كذبوه في كل مقام وعردوا على
أوامره لانه قد انقضى من ذلك الزمان أدوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المضارع إشارة الى معاملتهم مع
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لكون ذلك الزمان قريباً فكان كالحاضر ومحافظة للفاصلة
(وحسبوا أن لا تكون فتنه) أى ظن بنوا اسرائيل أن لا توجد بلا وعذاب يقتل الانبياء وتكذيبهم
لانهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله لانهم
اعتقدوا أن النسخ ممتنع على شرع موسى وكانوا يعتقدون أن نبوة اسلافهم تدفع عنهم العقاب الذى
يستحقونه بسبب ذلك القتل والتكذيب (فعموا) عن الهدى (وهو) عن الحق فخالفوا أحكام التوراة
فقتلوا شعياً أو حسبوا أنهم عليه السلام فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهم راسب على بابل
فأستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً من يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرضه فبقوا هناك
دهراً طويلاً على أقصى الدل الى أن أحسد ثوانية مهيمنة (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا فوجه الله
تعالى ملكاً عظيماً من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجي بقايا بني اسرائيل من أمر بخت نصر
وردهم الى وطنهم وراجع من تفرق منهم في الاكاف فعمره ثلاثين سنة فكثر واوكلوا كالحسن ما كانوا
عليه وقيل لما ورثهم من الملك من جده ألقى الله تعالى في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم
دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيهم من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى
أحسن ما كانوا عليه من الحال (ثم عموا وصموا كثير منهم) فعادوا الى الفساد واجترأوا على قتل زكريا
ويحيى وقصدوا قتل عيسى فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه
خيدرو ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلى فسألهم فقالوا دم

قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوف منهم ثم قال ان لم تصدقوني ماتر كثر منكم أحد افعلوا
 أنه دم يحيى عليه السلام فقال بئس هذا انتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب
 قومك من أجلنا فاهدأ بذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا منهم فهذا (والله بصير بما يعملون) أى
 وان دق فيجازيهم به وفق أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قيل هم المكانية
 والمارية قومية منهم القائلون بالاتحاد وقيل هم اليعقوبية خاصة لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولعل
 معنى هذا المذهب انهم يقولون ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى (وقال المسيح) أى
 والحال قد قال المسيح مخاطبا لهم (يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) أى وحدوا الله في العبادة
 خائفي وخائفكم (انه) أى الشئ (من يشرك بالله) شيا في عبادته أو فيما يختص به من صفات
 الألوهية (فقد حرم الله عليه الجنة) أى فقد منعه الله من دخولها (ومأواه النار) فانها هي المعدة
 للمشركين (ومال للظالمين من أنصار) أى ومال لهم من أحد ينصرهم بانقادهم من النار اما بطريق المسانعة
 أو بطريق الشفاعة فقولته تعالى انه من يشرك الى الآية واردة من جهته تعالى لتأكيده فانه عيسى عليه
 السلام ولتقرير مضمونها (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهم النسطورية والمرقسية وفي
 تفسير قولهم طريقان الاول قال بعض المفسرين انهم أرادوا بذلك ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة فعنى
 ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة فكل واحد من هؤلاء انه لانهم يقولون ان الألوهية مشتركة بين هؤلاء
 الثلاثة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة اذ الميراث ثالث ثلاثة آلهة فانه ما من شئ
 الا والله ثالثهما بالعلم اه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكر ما ظنك يا ثنتين ان الله ثالثهما والثاني
 حكى المتكلمون عن النصارى أنهم يقولون ان الاله جوهر واحد مركب من ثلاثة أقانيم أب وابن وروح
 قدس فهذه الثلاثة الاله واحد كما ان الشمس اسم يتناول الرص والشعاع والحسرة وعذو بالآب
 الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى
 اختلاط الماء بالماء بالابن واختلاط الماء بالحمر وزعموا ان الاب والابن والروح الاله والكل الاله واحد
 (وما من الاله الا الاله واحد) أى وما فى الوجود من هذه الحقيقة الا فرد واحد أو المعنى وما من الاله لاهل
 السموات والارض الا الاله لا ولده ولا شر يلد له فهو الاله واحد بالذات منزوع عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه
 (وان لم ينتهوا عما يقولون) أى من هاتين المقالتين وما قرب منهما (ليمن الذين كفروا منهم) أى
 لبصين الذين أقاموا على هذا الذين (عذاب ألیم) أى شديد الالم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه)
 أى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والافاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله عن تلك المقالة والعقيدة
 ويستغفرونه بالتوحيد والتزكية عن الاتحاد والحلول أو المعنى أيسعون هذه الشهادات المكررة
 والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقب سماع تلك القوارع الهائلة (والله غفور) لمن تاب وآمن
 (رحيم) لمن مات على التوبة (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) أى ما هو الا رسول
 من جنس الرسل الذين مضوا من قبله جاءيا بآيات من الله كما أتوا بآياتها فليس باله كالرسل الخالية له
 فانهم لم يكونوا آلهة فان كان الله أبرأ الاكبر الارض وأحيا الموتى على يد عيسى عليه السلام فقد فلق
 البحر وأحيا النقص وجعلها حية تسقى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب منه وان كان الله خلقهم من غير
 أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب منه (وأمه صديقة) أى ومأمه الاصدقة أى تلازم
 الصدق وتصدق الانبياء وتبالغ في بعدها عن المعاصي وفي إقامة مراسم العبودية كسائر النساء اللاتي

بالأزمن الاتصاف بذلك فارتبة عيسى الارتبة صحابي فمن أين لكم أن تصغوهما
 بما لا توصف به سائر الانبياء وخواص الناس فإن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة وأكمل
 صفات أمه الصديقة وذلك لا يستلزم لهما الأوهية (كأناباً كلان الطعام) كسائر أفراد البشر
 (انظر) يا شرف الخلق (كيف نبين لهم الآيات) أي العلامات بأن عيسى ومريم لم يكونا بالهين
 وبطلان ما تقولوا عليهما (ثم انظر أي يؤفكون) أي كيف يصرّفون عن استماع الآيات وعن التأمل
 فيها قاله بين أهم الآيات بيانا عجيبا واعراضهم عنها أعجب منها (قل أتعبدون من دون الله) أي غيره
 (مالا يلائمكم ضرا ولا نفعا) وهو عيسى عليه السلام فإن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا
 أضلاعهم وما عطش وطلب الماء منهم صباو الخلل في منخربه ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن
 يكون الحافواو كان كذلك لامتنة كونه مشغولا بعبادة الله تعالى ومن كان كذلك كان محتاجا اليه في
 تحصيل المنافع ودفع المضار ومن كان كذلك كيف يقدر على إيصال المنافع إلى العباد ودفع المضار عنهم وإذا
 كان كذلك كان عبدا كسائر العبيد (والله هو السميع العليم) والمراد من هذه الجملة التهديد أي سميع
 بكفرهم ولما التزم في عيسى واهمه علم بضمائرهم وبعقوبتهم (قل يا أهل الكتاب) أي يامعشر اليهود
 والنصارى (لا تغلوا في دينكم غير الحق) أي لا تفجأوا زوا الحدق دينكم تجاوزا باطلا فإن الغلو في الدين
 هو أن غلوا حق وهو أن يجتهد في تحصيل حجة وتقريرها كما يفعل المتكلمون وغلو باطل وهو أن يتكلف في
 تقرير الشبهة وتجاوز الحق ويعرض عن الأدلة وذلك الغلو هو رفع النصارى لعيسى فقالوا إنه اله وخفض
 اليهود له فقالوا إنه ابن زنا وأنه كذاب (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي لا تتبعوا مذهب قوم قد
 ضلوا من قبلكم عن التوراة والانجيل (وأضلوا كثيرا) من الناس بتأديهم في الباطل (وضلوا عن سواء
 السبيل) أي عن الدين الحق وعن القرآن بسبب اعتقادهم في ذلك الاضلال أنه ارشاد إلى الحق (لعن
 الذين كفروا من بني إسرائيل) أي لعن الله تعالى اليهود في الزبور والنصارى في الانجيل (على لسان داود
 وعيسى بن مريم) قال يهود لعنوا على لسان داود والنصارى لعنوا على لسان عيسى والفسريقان من بني
 إسرائيل وهم أصحاب السبت وأصحاب المائة أما أصحاب السبت فهم قوم دأروا بذلك أن أهل ايلة لما
 اعتدوا في السبت بأخذ الخيتان دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم الغنهم واجعلهم آية فنجيهم
 الله فردة وأما أصحاب المائة فإنهم لما أكلوا من المائة وأدخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم
 عذب من كفر بعد ما أكل من المائة عذابا لم تعذب أحد من العالمين والغنهم كما لعنت أصحاب السبت
 فمنعوا فردة وخنازير وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي
 ذلك لعن الفظيع بسبب عصيانهم ومبالغتهم في العصيان (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي
 كانوا لا يمتنعون عن معارضة منكر فعلوه ولا يتركونه ولا يصدر من بعضهم نهي لبعض عن منكر أرادوا
 فعله روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رضى عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو
 منهم (لبئس ما كانوا يفعلون) أي أقسم لبئس ما كانوا يفعلونه فعلهم هذا وهو ترك الأصرار على
 منكر فعلوه وترك النهي عنه (ترى كثيرا منهم) أي تبصر كثيرا من أهل الكتاب ككعب بن
 الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) أي يصادقون كفارا أهل مكة أباسفيان وأصحابه بغضا
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أي فإن كعبا واضرا به خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على
 محاربة النبي صلى الله عليه وسلم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن يخط الله عليهم) أي لبئس شيئا

قدموا من موالاتهم لعبدة الاوثان لئلا مدعاهم موجب مخنطة تعالى عليهم (وفي العذاب هم خالسون)
 أي وخلودهم ابد الآبدين في عذاب جهنم وهذه الجملة مبطوفة على ما قبلها فهي من جملة المخصوص بالذم
 (ولو كانوا) أي أهل الكتاب الذين يوالون المشركين (يؤمنون بالله والنبي) أي نبيهم وهو موسى (وما
 أنزل اليه) من التوراة كما يدعون (ما اتخذوهم) أي ما اتخذ اليهود المشركين (أولياء) لأن تحريم
 ذلك متأكد في التوراة في شرع موسى عليه السلام فلما فعلوا ذلك ظهر انه ليس مرادهم تقرر دين
 موسى بل مرادهم الرياسة فيسعون في تحصيله بأي طريق قدر واعليه فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق
 فقال (ولكن كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الدين والايان بالله ونبيهم وكما هم أما البعض
 منهم فقد آمن وفي هذه الآية وجه آخر ذكره القفال وهو أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من
 المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذوهم هؤلاء اليهود أولياء وهذا الوجه حسن ليس
 في الكلام ما يدفعه (لتجدن) يا أكرم الخلق (أشد الناس عداوة تأذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)
 من أهل مكة لشدة شديمتهم وتضاعف كفرهم وانما كرمهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم
 عن التحقيق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهود يان بعسلى الا هما يقتله وقد قال بعضهم
 مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الثرى إلى من خالفهم في الدين بأي طريق كان فان قدر واعلى القتل
 فذلك والا فبغصب المال أو بالسرقة أو بربوع من الحيلة وأما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل الايذاء
 حرام في دينهم فهذا وجه التفاوت وذكر الله تعالى ان النصارى ألين عريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين
 منهم (ولتجدن) يا أشرف الخلق (أقربهم) أي الناس (مودة) الذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى
 انما أسندت سميتهم نصارى اليهم دون تسمية اليهود للاشعار بقرب مودتهم حيث يدعون انهم أنصار الله
 وأوداه أهل الحق وان لم يظهر والاعتقاد حقيقة الاسلام فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية
 اليهود يهودا فانها حقيقة سواء هو بذلك لكونهم أولاد يهودين يعقوب أولكو نهم تابوا عن عبادة الهل
 أولتحركهم في دراستهم (ذلك) أي ~~ككونهم~~ أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب انهم
 (قسيين) أي علماء (ورهبانا) أي عبادا أصحاب الصوامع (وأنهم لا يستكبرون) عن قبول
 الحق إذا فهموه كما استكبر اليهود والمشركون من أهل مكة (و) انهم (إذا جمعوا) أي القسيسون
 والرهبان الذين آمنوا منهم (ما أنزل إلى الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (ترى أعيتهم
 تفيض من الدمع) أي تغطي من الدمع حتى تفيض أي تسيل (مما عرفوا من الحق) أي من نعت محمد
 صلى الله عليه وسلم في كتابهم أو مما عرفوا بعض الحق الذي هو القرآن روى ان قريشا تشاورت ان يقتلوا
 المؤمنين عن دينهم فونب كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم ومنع الله تعالى رسوله محمد صلى
 الله عليه وسلم بعنه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه أمرهم بالخروج إلى
 أرض الحبشة وقال ان بهاملكم كالحالا ينظلم ولا ينظلم عنده أحد فأتوا جوه اليه حتى يجعل الله لهم سكين
 فخرج اليها مائة وأحد عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة
 وأمرأة سهلة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون
 وعامر بن ربيعة وأمرأة ليسلى وحاطب بن عمرو وسهيل بن أبيضا فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة
 بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدهم

جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش أن نارك بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي واسمها أحممة وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلوه من قتل منكم بيد رفيع بن كفاقر يش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ثم بدا إلى النجاشي وبطارقته ليردهم إليهم فدخلوا إليه فله أله أيها الملك أنه قد خرج فينا رجل زعم أنه نبي وهو قد بعث إليك رهط من أصحابه ليعسوا عليك قومك فأجبنا أن نخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمرهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يا سيدي أؤاياه الله فقال انظروا لهم فخرجوا بأؤاياه الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى أنهم لم يحيلوك بتحييتك التي نحييتهم فقال لهم الملك ما منكم أن تخيوني بتحييتي قالوا يا أبا حمزة أهلك أهلك أهلك فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى واهمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول في مريم أنها العذراء البتة فأتوا النجاشي فوجدوا من الأرض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذه العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا عما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرأوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأوا فحدثت دموعهم وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر الطيار من القراءة فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضي آمنون فرجع عمرو ومن معه ثائمين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار إلى أن علا أمر رسول الله وفقر أعداءه في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله إلى النجاشي على يا عمرو بن أمية الضمري أير وجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت إليه مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي إليها جارية اسمها ابرهة فتهبها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنت أم حبيبة بذلك وأذنت لخالد بن سعيد أن يرزوها فأنفذ النجاشي إليها أربعمائة دينار صداقها على يد ابرهة وقالت ابرهة قد صدقت محمد وآمنت به وهاجتي إليك أن تقر به مني السلام قالت نعم وقالت نخرجنا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر وأفت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فقراءت عليه السلام من ابرهة جارية المالك فرد الرسول عليها السلام ووافي جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر ومع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية نفر من رهبان الشام يجير الاله وأصحابه ابرهة وأشرف وأدريس ونعيم وعمام ودرديد وعين وكلهم من أصحاب النجاشي فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا وأمنوا وأسلموا وقال ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام (يقولون ربنا آمنا) بما دعانا أنزل على رسولك وشهدنا أنه حق (فاكتبنا مع الشاهدين) أي فاجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلما لامهم قومهم بالاسلام فقالوا اتقوا لا يعاينهم (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وجملة قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا وجملة لا نطمع حال ثانية منه بتقدير مبتدأ أي أي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله وما جاءنا من القرآن والرسول ونحن نطمع في محبة الصالحين ويجوز أن يكون قوله ونطمع حالاً من الضمير في لا نؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في محبة المؤمنين) فأناهم الله بما قالوا أي جعل الله ثوابهم على قولهم ربنا آمنا مع اخلاص التيق ومعرفة الحق أو بسبب ما سألوا

بقولهم فاكتمنا مع الشاهدين كبروا وعطاء عن بن عباس وقرئ فأناهم الله (جنات تجري من تحتها
الأنهار الذين فيها ذلك) أي الجنات (جزاء المحسنين) بالإيمان أو المعنى جزاء الذين اعتادوا
الاحسان في الأمور وروى أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي لا لزوم لها لا يتفكون عنها دون غيرهم من عصاة المؤمنين وإن
كثرت كثرت بهم (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أي لا تعتقدوا تحريم ما أحل
الله لكم ولا تظهروا باللسان تحريمه ولا تحتجبوا عند الطيبات اجتنابا بشييه الاجتناب من المحرمات ولا
تلتزموا تحريم الطيبات بنذر أو عين (ولا تعتدوا) أي لا تسرفوا في تناول الطيبات ولا تتجاوزوا أمر الله
بقطع المذاكير (إن الله لا يحب المعتدين) من الحلال إلى الحرام كالمثله فمن اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد
كفرا ما ترك لذات الدنيا والتفرغ بعبادة الله تعالى من غير اضرار بالنفس ولا تنقيت حق الغير فضيلة
مأمور بها نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم أبو بكر الصديق
وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون الجهمي ومقداد بن الاسود الكندي وسالم مولى أبي
حذيفة وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وذلك لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة لأصحابه يوم ما بلغ الكلام في الانذار فبكوا واجتمع هؤلاء العشرة في بيت عثمان بن مظعون
وتشاوروا واتفقوا على عزيمتهم أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب الذيدة
وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل وأن لا يناموا على الفرش ويخصوا أنفسهم ويلبسوا السوح ويسبحوا
في الأرض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أؤمر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
لا أنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا واناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وألثم
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني * وروى أن عثمان بن مظعون أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ائذن لي في الاختصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس مني من خشي ولا من اختصني ان
خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لي بالسباحة فقال ان سباحة أمتي الجهاد في سبيل الله قال
يا رسول الله ائذن لي في الترهيب قال ان ترهب أمتي الجلوس في المساجد لا تتظار الصلاة (وكلاهما
رزقكم الله حلالا طيبا) أي كلاهما رزقكم من الله الذي يكون حلالا مستمدا وأصرفوا البقية إلى
الصدقات والخيرات (وانقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) في تحريم ما أحل الله لكم وفي المثلة (لا يؤاخذكم
الله بالغوى أي بآياتكم) قد تقدم ان تؤمان أصحابا حرموا على أنفسهم المطاعم والملابس واختاروا
الرهانية وحلفوا على ذلك على ظن انه قربة فلما نهاهم الله تعالى عنها قالوا يا رسول الله فكيف نصنع
بآياتنا فانزل الله تعالى هذه الآية (ولكن يؤاخذكم هذه الآية) (ولكن يؤاخذكم بآياتكم) أي بتعقيدكم الإيمان
بالعقد اذا حنثتم قرأتم وبان كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم عقدتم تشديد العقاف وقرأ حمزة
والكسافي وأبو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف العقاف وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر عافتم بالالف
والتخفيف (فكفارتهم) أي فكفارة نكث الإيمان التي ليست بلغوا (اطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تنظمعون أهليكم) في قدر الطعام وهو الثامن لكل مسكين فان الانسان قد يكون قليل الأكل جدا
يكفيه الرغيف الواحد وقد يكون كثيرا لا يكفيه المنوان والمتوسط الغالب يكفيه من الخبز ما يقرب
من المني فثلثا مني من الخنطة اذا جعل دقيقا أو خيرا فانه يصير قريبا من المني وذلك كاف في قوت اليوم
الواحد (أو كسوتهم) بأقل ما يطلق عليه اسم الكسوة كالأرداء وقيص أو سراويل أو عمامة لكل

مسكين نوب واحد (أو تحرير رقبة) وتقديم الطعام على العتق لأن المقصود تنبيهه على أن هذه الكفارة
وجبت على التخيير بين هذه الثلاثة ولأن الطعام أسهل ليكون الطعام أعم وجوداً ولأن الطعام
أفضل لأن الحر الفقير قد لا يجد الطعام أما العبد فإنه يجب على مولاه إطعامه وكسوته (فمن لم يجد)
واحداً من هذه الثلاثة (فصيام ثلاثة أيام) ولو متفرقة لما روى أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم
على أيام من رمضان أفأفصيهام متفرقات فقال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان عليل دين فقهضت الدرهم
فأفصيهام أما كان يجزيك قال بلى قال فإله أحق أن يعفو ويصفح والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم إذا حلفتم) وحنثتم (واحتفظوا أيمانكم) أي قلاوا الأيمان
وضنوا بها (كذلك) أي مثل ذلك التيسير لحكم الأيمان (يبين الله لكم آياته) أي إعلام شريعته
(لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر) أي المسكر (والميسر) أي القمار
والانصاب) أي الأصنام التي نصبها المشركون ويعبدونها (والأزلام) سهام مكتوب عليها خير وشر
(رجس) أي قدر تغاف عنه العقول (من عمل الشيطان) أي من الأمور التي يزينها للشيطان (فاجتنبوه)
أي الرجس (اعلمكم تقطون) أي لكي تنجوا من العذاب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر) إذ أصرت نفساوى كما فعل الانصارى الذي شجر رأس سعد بن أبي وقاص بهي الحمل
(والميسر) إذا ذهب مالكم (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لأن شرب الخمر يورث اللذة الجسمانية
والنفس إذا استغرقت فيها غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة ولأن الشخص إذا كان غالبا في القمار صار
استغراقه في لذة الغلبة مانعا من أن يحضر بالله شيء سواء (فهل أنتم منتهون) أي قد بينت لكم مفسد
الخمر والميسر فهل تنتهون عنهما أم أنتم معيون عليهما كأنكم لم توعظوا بهذه المواعظ (وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول) في أمرهما بالاجتناب عن الخمر والميسر (واحدروا) من مخالفتهم في التكليف
(فإن توليتهم) أي أعرضتم عن طاعتهم ما عمن الاحتراز عن مخالفتهم (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين) أي فالجمعة قامت عليكم والعلل انقطعت لأن الرسول قد خرج عن عهدة التبليغ كمال الخروج
وما بقي بعد ذلك إلا العقاب وهذا تهديد شديد (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح) أي انهم
(فما طعموا) من الخمر ومن مال الغلب بالملأهى (إذا ما اتقوا) أن يكون في ذلك شيء من المحرمات
أي إذا عملوا الاتقاء (وآمنوا وعمالوا الصالحات) أي واستمروا على الأيمان والاعمال الصالحة (ثم
اتقوا) ما حرم عليهم بعد ذلك (وآمنوا) بتحريره (ثم اتقوا) أي استمروا على اتقاء المعاصي (وأحسنوا)
أي اتجروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها (والله يحب المحسنين) روى أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت
الصحابية أن اخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف مالههم فنزلت هذه الآية وروى أبو
بكر الأصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف يا أخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر
وفعلوا ما روي كيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرم الخمر وهم يطعموننا فأمر الله
هذه الآيات (يا أيها الذين آمنوا ألبسواكم الله) أي ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم (بشيء من
الصيد) أي من صيد البر (تناله أيديكم ورماحكم) قال مقاتل بن حبان ابتلاهم الله بصيد البر وهم
محرمون عام الحديبية حتى كانت الوحش والطير تفسدهم في رحالهم فيقدرون على أخذ الطير بالأيدي
والوحش بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عنها ابتلاء (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليعاملهم
معاملة من يطلب أن يعلم من يخافه حال كون الله تعالى غير مرئي له غائبا عن رؤيته أو بخافه بالخلاص

القلب فيترك الصيد (فن اعتدى) بالتعرض للصيد (بعد ذلك) أي بعد بيان أن ما وقع من الصيد ابتلاء
من عند الله تعالى لتبميز المطيع من العاصي (فله عذاب أليم) وهو العذاب في الآخرة والتعزير في
الدنيا قال ابن عباس هذا العذاب هو أن يضرب بطنه ويظهره ضرباً وجيعاً وينزع ثيابه ولما قتل أبو اليسر
ابن عمر وصيدا منه ما يقتله ناسياً لأحرامه أنزل الله تعالى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم
حرم) أي تجرمون أو تدخلون في الحرم (ومن قتله) أي الصيد (منكم متعمداً) أي بقصد مع
نسيان الأحرام كما قاله مجاهد والحسن (الجزء مثل ما قتل من النعم) أي شبهة في الخلقة والتقييد بالتعمد
لأن الآية نزلت في المتعمد حيث قتل أبو اليسر حماراً وحشاً وهو محرم عمداً لأن الأصل فعل المتعمد
والخطأ الملق بالعمد فيستوي في محظورات الأحرام العمد والخطأ في جزاء الاتلافات (يحكم به) أي
بمثل ما قتل (ذو عدل منكم) أي رجلان صالحان من أهل دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه
الاشياء بالمقتول من النعم فيمكن به قال ميمون بن مهران ما أعراي إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال اني
أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر رضي الله عنه أي بن كعب فقال الأعراي أنتك أسألك وأنت
تسأل غيره فقال أبو بكر رضي الله عنه وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذو عدل منكم
فسأورت صاحبي فإذا اتفقتا على شيء أمرناك به وعن قبيصة بن جابر أنه حين كان محرمًا ضرب ظبيًا فأتى
فسأل عمر بن الخطاب وكان يجنبه عبد الرحمن بن عوف فقال عمر لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وأنا
أرى ذلك فقال اذهب فاهد شاة قال قبيصة فخرجت إلى صاحبي وقلت له إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول
حتى سأله غيره قال ففاجأني هروءة لاني بالدرتوقا أنقتل في الحرم وتسفح الحكم قال الله تعالى يحكم به
ذو عدل منكم فأتانا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف وقد حكم ابن عباس وعمر وغيرهما بشاق في الحرام وهو
كل ما عب وهدر من الطير كالقمرى والذبى (هدي بالغ الكعبة) فهدى بالمنسوب على التخيير والمعنى
يحكم بالمثل هدياً يساق إلى الكعبة أي إلى أرض الحرم فيتحرك هناك (أو كفارة طعام مساكين) فقوله
كفارة عطف على قوله لجزاء أي فعلية جزاء أو كفارة الخ أو عطف على محل قوله من النعم وقوله طعام
مساكين عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة (أو عدل ذلك) أي أو مثل ذلك الطعام (صياماً)
فقوله أو عدل عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم أو طعام مساكين
أو صيام أيام بعدهم فينبذ تكون المماثلة وصفة لازماً للجزاء بقدرية الهدى والطعام والصيام أما
الأولان فلا واسطة وأما الثالث فيواسطة الثالثة فيختار الجاني كلاماً من هذه الثلاثة (ليذوق وبال
أمره) أي جزاء ذنبه والوبال في اللغة النقل وانما سمى الله ذلك وبالاً لأن أحد هذه الثلاثة ثقيل على
الطبع لأن في الجزاء بالمثل والاطعام تنقيص المال وفي الصوم انتهاك البدن والمعنى أنه تعالى أوجب
على قاتل الصيد أحد هذه الاشياء التي كل واحد منها ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد في
الحرم وفي حال الأحرام (عفا الله عما سلف) أي لم يؤاخذ الله بقتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم
لأن قتله اذ ذاك مباح (ومن عاد) أي قتل الصيد بعد النهي عنه (فبنتقم الله منه) أي فهو ينتقم
الله منه في الآخرة مع لزوم الكفارة (والله عزيز) أي غالب لا يغالب (ذو انتقام) أي ذو عقوبة
شديدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه) أي أحل لكم أيها الناس صيد جميع المياه العذبة والمالحة بحراً
كان أو نهراً أو غدير أي اصطيد صيد الماء والاتفايع به بأكمله ولاجل عظامه واسنانه وأحل لكم طعام
البحر أي أكله فالصيد كما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما صيد بالحيلة حال حيائه والطعام ما يوجد

مما غلظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه قال الشافعي رحمه الله السمكة الطافية في البحر
 محملة والسمل عند ما لا يعيش إلا في الماء ولو كان على صورة غيره الماء كولد من حيوان البر كالآدمي
 والكلب والخنزير فهذا كله حلالا عند بخلاف ما يعيش في الماء والبر كالسرطان والضفدع والتمساح
 والسطحفاة وطير الماء وحجة الشافعي القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه
 ما يمكن أكله يكون طعاما فجعل وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم في حق البحر والظهور ما يؤد الحبل
 ميتة نزلت هذه الآية في قوم من بني مدح كانوا أهل صيد البحر سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام
 البحر وما حصر البحر عنه ومعنى قوله وطعامه أي ما حصر عنه البحر وألقاه (متاعا لكم وللسيارة) أي
 أحل لكم ذلك لأجل انتفاعكم وللسافرين منكم يترودونه قديدا فالطير للقيم والمالغ للسافر (وحرم
 عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي محرمين أو في الحرم فذهب أي حنيفة يجعل للمحرم أكل ما صاده الحلال
 وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحراره لأن الخطاب للمحرمين فكانه قيل
 وحرم عليكم ما صدمتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيده فان لحم
 الصيد عندهم مباح للمحرم بشرط أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاده را الحجة فيه ما روى أبو داود في سننه
 عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصطاد لكم
 (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) لا إلى غيرهم حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إلى غيره
 فآخسوه تعالى في جميع المعاصي (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي صير الله الكعبة
 سبيبا لحصول الحيرات في الدنيا والآخرة وخلق الدواب في قلوب الناس لتعظيمها حتى صار أهل الدنيا
 يأتون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة فصار ذلك سبيبا لأسباب النعم على أهل مكة وكان العرب
 يتقاتلون ويغيرون إلا في الحرم فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وجعل الله في
 الكعبة الطاعات الشريفة والمناسك العظيمة وهي سبب لحظ الخطيئات ورفع الدرجات ومكترة
 الكرامات وصار أهل مكة بسبب الكعبة أهل الله وخاصة وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يعظمهم
 (والشهر الحرام) أي وجعل الله الشهر الحرام سبيبا لقوام معيشتهم فإن العرب كان يقتل بعضهم بعضا
 في سائر الأشهر ويغير بعضهم على بعض فإذا دخل الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة وذو الحجة والحرم
 ورجب ذال الحوف وقدر وأعلى الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم (والهدى)
 أي وجعل الهدى سبيبا لقيام الناس وهو ما يهدي إلى البيت ويذبح هناك ويفرق لجه على الفقراء فيكون
 ذلك نسكا للهدى وقواما لعيشة الفقراء (والقلائد) أي وجعل الله الأئمة الخصاص الذين يتقلدون بها
 شجر الحرم سبيبا لأنهم من العدو فأنهم كانوا إذا راوا شخصاً جعل في عنقه تلك القلادة عرفوا أنه راجع من
 الحرم فلا يتعرضون له (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي ذلك التذبير اللطيف
 من الجعل المذكور لأجل أن تتفكروا فيه أنه تدبر لطيف فتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في
 الأرض فإن جعل ذلك لأجل جلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل الوقوع دليل على علمه بما هو في
 الوجود وما هو كائن ثم إذا عرفتم ذلك عرفتم أن علمه تعالى صفة قديمة واجبة الوجود فوجب كونه متعلقا
 بجميع المعلومات فذلك قال تعالى (وأن الله بكل شيء عليم) فلا يخرج شيء عن علمه المحيط (اعلموا أن
 الله شديد العقاب) لما ذكر الله تعالى أنواع الرحمة ذكر بعده شدة عذابه تعالى لأن الإيمان لا يتم
 إلا بالآل جاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ثم ذكر عقبه ما يدل

على الرحمة دلالة على انها أغلب فقال (وأن الله غفور رحيم) وهذا تنبيه على دققة وهي ان
 ابتداء الایجاد كان لاجل الرحمة والظاهر ان الختم لا يكون الا على الرحمة (ماعلى الرسول الا البلاغ والله
 يعلم ما تبدون وما تكتمون) أى ان الرسول كان مكلفا بالتبليغ فلما بلغ خرج عن عهدة التكليف
 وبقي الامر من جانبكم وقد قامت عليكم الحجة فلا عذر لكم من بعد في التفریط وانما لم يتبدون وبما
 تكتمون فان خالفتم فاعلموا ان الله شديد العقاب فمؤاخذكم بذلك تغير او قطمير او ان اطعتم فاعلموا ان الله
 غفور رحيم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبكم كثرة الخبيث) فان الحمود القليل من الاعمال
 والاموال خير من المذموم الكثير منهما والخطاب لكل معتبر قيسل نزلت هذه الآية في رجل قال لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان الحمرة كانت تجارتي واني اعتمدت من بيعها ما لا فهل ينفعني من ذلك المال ان
 عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة
 ان الله لا يقبل الا الطيب (فأتقوا الله) بأن تحذروا ترك الخبيث من الاعمال والاموال ظاهرا وباطنا
 ولا تختالوا في تركه بالتأويل (يا أولى الالباب) أى أصحاب العقول السليمة (لعلكم تفقهون) أى
 لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية ان عاجلة والآجلة (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
 أشياء ان تبدلكم تسؤكم) أى ان تظهر لكم تلك الأشياء تحزنكم والمعنى اتركوا الامور على ظواهرها
 ولا تسألوا عن أحوال مخفية ان تبدلكم تسؤكم وما بلغه الرسول اليكم فكونوا منقادين له وما لم يبلغه اليكم
 فلا تسألوا عنه فان خضتم فيما لا يكاف عليكم فربما جاءكم بسبب ذلك الخوض ما يشق عليكم روى
 أنس أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأكثروا المسألة فقام على المنبر فقال سألوني فوالله لا تسألوني
 عن شيء مادمت في مقامى هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال
 يا نبي الله من أبي فقال أبولحذاقة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله أين أبي فقال في النار وقال
 سراق بن مالك أو عكاشة بن محصن يا رسول الله الجع عليماني كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى أعاد مرتين أو ثلاثة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول زعم والله لو قلت
 نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لأكفرتم فأتى كوفي ما تركتكم فأنما هلك من كان قبلكم بكثرة
 سؤالهم فاذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وما اشتد غضب الرسول
 صلى الله عليه وسلم قام عمر وقال رضي الله عنه يا رسول الله ما بالاسلام ديننا وبعده نبينا نعوذ بالله من القتل ان احديث
 عهد بجاهلية فاعف عنا يا رسول الله فمكن غضبه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان
 تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) أى وان تسألوا عن أشياء مستحاجة لكم الى التفسير في زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم ينزل جبريل بالقرآن ويظهرها حينئذ فالسؤال على قسمين سؤال عن شيء
 لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فوجه من الوجوه فهذا السؤال منهي عنه بقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء
 ان تبدلكم تسؤكم وسؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهنا السؤال واجب
 وهو المراد بقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم فالتصريح في غيرها جمع الى أشياء أخر
 كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلنا من نطفة في قراره كين فالمراد بالانسان آدم
 عليه السلام والمراد بالضمر ابن آدم لان آدم لم يجعل نطفة في قراره كين (عفا الله عنها) أى أمسك الله
 عن أشياء أى عن ذكرها ولم يكلف فيها شيء وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة
 الخليل والريق أى خففت عنكم باسقاطها والمعنى عفا الله عما سلف من مسائلكم التي تغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فلا تعود والمثلها (والله غفور) لمن تاب (حليم) عن جهلكم (قدسألهما)
 قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي قد سأل أشياء قوم من قبلكم ثم صاروا كافرين بها فان
 قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وقوم موسى قالوا أنزلنا الله جهرة فصار ذلك وبالاعليهم وبني اسرائيل
 قالوا النبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ثم كفر واوقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفر وايقوم والمعنى
 ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم في السؤال عن أحوال الاشياء مشابهون لاولئك المتقدمين في سؤال
 ذوات تلك الاشياء في كون كل واحد من السؤالين فضولا وخوضا فيه الا فائدة فيه فان المتقدمين انما
 سألوا من الله الخراج الناقصة من الضرة وأنزل المائدة من السماء فهم سألوا نفس الشيء وأما أصحاب محمد
 فهم سألوا عن صفات الاشياء فلما اختلف السؤال في النوع اختلفت العبارة لكن يشترك في وصف
 واحد وهو خوض في الفضول ومثروعه في ما لا حاجة اليه وفي ذلك خطر المفسدة (ما جعل الله من بحيرة
 ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أي ما أمر الله بذلك فالبحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها
 ذكر فتشق اذنها ولا تدفع ولا تتركب ولا تحلب ولا تطرد عن ماء ومرعى ولا يجز لها وير ولا يحمل مل على
 ظهرها بل تسبب لاهنهم والسائبة هي البعير المسيية وكان الرجل اذا شئ من مرض أو قدم من سفر أو نذر
 نذرا أو شكر نعمة سبب بعيرا وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها والوصيلة فهي الشاة الموصلة وذلك
 أن الشاة اذا ولدت سبعة أبطن محمد والى البطن السابع فاذا كان ذكر اذبحوه فأكله الرجال والنساء
 جميعا وان كان أنثى لم تنتفع النساء منها بشئ حتى تموت فاذا ماتت كان الرجل والنساء يأكلونها جميعا
 وان كان ذكرا أو أنثى قيل وصلت أنها هافيتر كان مع اخوتها فلا يذبحان وكان للرجال دون النساء حتى
 يموتوا فاذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء والحام هو الفحل اذا ركب ولدوله قيل حتى ظهره فلا
 يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى الى أن يموت حينئذ تأكله الرجال والنساء (ولكن الذين
 كفروا يفترون على الله الكذب) أي ان دروساهم عمرو بن لحي وأصحابه يختلفون على الله الكذب
 ويقولون أمرنا الله بهذا (وأكثرهم) أي الاتباع (لا يعقلون) ان ذلك افتراء باطل قال المفسرون
 ان عمرو بن لحي الخزاعي كان قد ملك مكة وكان أول من غرد دينه فاعمل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان
 وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال النبي صلى الله عليه وسلم فلقد رأيت في النار يؤذى أهل
 النار برمح قصبة أي معاء (واذا قيل لهم) أي لا أكثر الذي هم الاتباع (تعالوا الى ما أنزل الله) من
 الكتاب المبين للحلال والحرام (والى الرسول) الذي أنزل الكتاب عليه لتمييز والحرام من الحلال (قالوا)
 حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين (أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والواو والواو الحال
 دخلت عليه اهزمة لانكار والتقدير أكفاهم دين آباؤهم وقد صككان آباؤهم لا يعملون شيئا من الدين
 ولا يهتدون للصواب ولسنة النبي فكيف يقتدون بهم (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي احفظوا
 أنفسكم من ملاسة المعاصي والاصرار على الذنوب (لا يضركم من ضل اذا هتديتم) أي لا يضركم ضلالتهم من
 ضل اذا هتديتم الى الايمان وبينهم ضلالتهم كما قاله ابن عباس وقال عبد الله بن المبارك والمعنى عليكم أهل
 دينكم ولا يضركم من ضل من الكفار وهذا كقوله تعالى فاقبلوا انفسكم أي أهل دينكم فقله تعالى
 عليكم أنفسكم أي اقبلوا على أهل دينكم وذلك بأن يعظ بعضهم بعضا ويرغب بعضهم بعضا في الخيرات
 وينفروا عن القبائح والسيئات وهذه الآية أو كذا آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله
 لا يضركم اما يجوز وم على أنه جواب للامر وهو عليه كما أن موسى مؤكدا وانما ضمت الراء اتباعا للضمة

الضاد المقتضوية اليها من الزاء المدغمة فان الاصل لا يضر ركم ويؤيده قراءة يضرركم بفتح الزاء وهو مجزوم
وانما فتحت الزاء لاجل الحذف وقراءة من قرأ لا يضرركم يسكون الزاء مع كسر الضاد وضمهما من ضار يضر
ويضور وامام رفوع على أنه كلام مستأنف فيه وضع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضرركم
بالرفع وبالياء بعد الضاد أي ليس يضرركم خلال من ضل اذا كنتم ثابتين في دينكم (الى الله مرجعكم
جميعا أي رجوعكم ورجوع من خالفكم يوم القيامة (فينبشكم عما كنتم تعملون) في الدنيا من الخير
والشر فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) أي شهادة ما بينكم من التنازع (اذا
حضر أحدكم الموت) أي اذا ظهر لاحدكم أمارات وقوع الموت (حين الوصية) وهذا بدل من قوله
اذا حضر لان زمان حضور الموت هو زمان حضور الوصية فعرف ذلك الزمان بهذين الأمرين الواقعين فيه
أي الشهادة المحتاج اليها عند مشاركة الموت (اننا نذو اعدل منكم) أي من أهل دينكم يا معشر
المؤمنين (أو آخرا من غيركم) أي غير عادلين من غير أهل دينكم (ان أنتم ضربتم) أي سافرتم
(في الارض) فالعدلان المسلمان صالحان للشهادة في الحضر والسفر وشهادة غير المسلمين لا تجوز الا في
السفر (فأصابكم مصيبة الموت) أي حضرت عندكم علامات نزول الموت وهذا بيان محل جواز
الاستشهاد بغير المسلمين (تجسسون ما من بعد الصلاة) أي تقفونهما للتخفيف من بعد صلاة العصر
كما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها جميع أهل الأديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون
الله فيه ويحترزون عن الحلف بالكاذب (فيقسمان) أي يحلفان (بأنه ان ارتبتم) أي ان شككنكم
في شأن آخر ين بقولهما والله (لا نشترى به) أي بالنقسم بالله (ثمنا) أي عوضا يسير من الدنيا
أي لا نأخذ لانفسنا بل من القسم بالله عوضا من الدنيا (ولو كان ذا قربي) أي ولو كان ذلك العوض
السير حياة ذا قربي منا أي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال (ولانكنتم شهادة الله) أي لانكنتم
الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها واظهارها (انا اذ المن الآثمين) أي اننا ان كنتم اهاجيه شذكان
العاصين (فان عمر على انهما استحقا الثمنا) أي فان حصل الاطلاع بعد ما حذف الوصيان عن أنهما
استحقا حننا في البين بكذب في قول وخيانة في مال (فأخرا ن يقومان مقامهما) أي مقام الشاهدين
الذين هما من غير ملتهم (من الذين استحق عليهم الاوليان) أي باليمين وبالمال أو الاقربان الى
الميت الوارثان له والاوليان اما بدل من آخران أو من الضمير الذي في يقومان أو صفة آخران عند الاخفش
لان الشكرا اذا تقدم ذكرها تم أعيد عليها الذكرا صارت معرفة أو خبر لمبتدأ محذوف وهذا على القراءة
المشهور للجمهور وهو استحق بضم التاء وكسر الهاء بالبناء للجهول وانما وصف الورثة بكونهم استحق
عليهم لانه لما أخذ ما لهم فقد استحق عليهم ما لهم أو لكونهم جنى عليهم أما على قراءة حذف وحده وهي
استحق بفتح التاء والهاء بالبناء للقاء على فقوله الاوليان فاعل له والهاء هي ان الوصيين اللذين ظهرت
خيانتهم ما هما أولى من غيرهما بسبب ان الميت عينهما بالوصاية وما خاناها في مال الورثة مع ان يقال ان الورثة
قد استحق عليهم الاوليان أي خا في ما لهم الاوليان بالوصية (فيقسمان) أي هذان الآخران (بأنه)
يقولهما (لشهادتنا أحق من شهادتهما) أي والله ليمين المسلمين أصدق وأحق بالقبول من عين النصرانيين
(وما اعتدينا) أي ما تجاوزنا الحق فيما ادعينا وش طلب المال وفي نسبتهم ما الى الخيانة (انا اذ المن الظالمين)
أي اننا ان اعتدينا في ذلك كما من الظالمين أنفسهم باقبالها المسخط الله تعالى وعذابه واتفق المفسرون
على ان سبب نزول هذه الآيات ان عيسى بن أوس الداري وعديان يدا وكانا نصرانيين ومعهما

بديل بن أبي مارية مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً خرجوا إلى الشام للتجارة فلما قدموا الشام
 مرض بديل فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه وألقاه فيه ما بين الأفتة ولم يخبر صاحبه بذلك ثم أوصى
 اليهم وأمرهم ما أن يدفعوا متاعه إلى أهله ومات بديل فأخذوا من متاعه أناه من فضة فيه ثلثمائة مثقال
 منقوشاً بالذهب ومارجعداً فباعوا المتاع إلى أهله ففتشوا فوجدوا الصحيفة وفيها ذكر الأناه فقالوا التهم
 وعدى أبن الأناه فقال لا ندري والذي دفع إليه نادفعناه اليكم فرفعوا الواقعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية وما نزلت هذه الآية حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 العصر ووعايتهم وعداً فاستحلهم ما عند المنبر وما حلفه أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيئلهما ولما
 طالبت المدة أظهر الأناه فبلغ ذلك بني سهم فطالبوه ما قالوا كنا قد اشتريناه منه فماتوا ألم نقل لكم
 هل باع صاحبنا شيئاً فقلتم لا فقال لم يكن عندنا شيء ففكرهنا أن نقر لكم ففكتمنا لذلك فرفعوا القضية إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله فإن عثرنا الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب أبو ربيعة
 السهميان خلفاً بالله بعد العصر فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الأناه إليهما وإلى أولياء الميت وكان جميع
 الداري يقول بعد أسلامه صدق الله ورسوله أنا أخذت الأناه فأنتوب إلى الله تعالى (ذلك أدنى أن يأتيوا
 بالشهادة على وجهها) أي ذلك الطريق الذي بيناه أقرب إلى أن يؤدي الشهود الشهادة على طريقها
 الذي تحملوها عليه من غير تعريض ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخرى (أو يخافوا أن ترد أيمان
 بعد أيمانهم) أي أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمان المدعين لا انقلاب الدعوى بأن صار
 المدعى عليه مدعياً للملك وصار المدعى مدعى عليه فلذلك الرتبة اليقين والمعنى أو لم يخافوا عذاب الآخرة بسبب
 اليقين الكاذبة بل يأتيوا الشهادة على غير وجهها وإن كنتم يخافون الاقتضاح على رؤس الأشهاد بإبطال
 أيمانهم والعمل بإيمان الورثة فيترجموا عن الحياة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو
 الاتيان بالشهادة على وجهها (واتقوا الله) في أن تخونوا في الامانة (واسمعوا) مواعظ الله أي اعملوا
 بما أوأطعوا الله فيها (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي الخارجين عن الطاعة إلى ما ينفعهم في
 الآخرة (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة فيوم يدل اسمثال من مفعول اتقوا أو ظرف ليهـدى
 والمعنى لا يهديهم إلى الجنة (فيقول) لهم مشير إلى خروجهم عن عهد الرسالة (ماذا أجبتكم) أي أي
 اجابة أجابكم بها أنكم حين دعوتهم في دار الدنيا إلى توحيدى وطاعتى أهى اجابة قبول أو اجابة رد
 (قالوا) تفويض الأمر إلى العدل الحكيم العالم وعلماءهم أن الأدب في السكوت والتفويض وإن قولهم
 لا يفيد خيراً ولا يدفع شراً (لاعلم لنا) أي لا نعلم ما أظهرنا وما أضمرنا ونحن لا نعلم إلا ما أظهرنا
 فعلمك فيهم أنفهم من علمنا لأن الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن وهو معتبر في الدنيا لأن الأحكام في
 الدنيا مبنية على الظن وأما الأحكام في الآخرة فهي مبنية على حقائق الأشياء وبواطن الأمور ولا عبرة
 بالظن في القيامة فلهذا السبب قالوا لاعلم لنا (إنك أنت علام الغيوب) أي فأنك تعلم ما أجابوا وأظهرنا
 لنا وما نعلمه مما أضمره وفي قلوبهم وقري شاذ أعلام الغيوب بالنصب ما على الاختصاص أو على
 النداء أو على أنه بدل من اسم ان والكلام قد تم بقوله تعالى إنك أنت أي أنت متصف بصفاتك السنية (إن
 قال الله) يدل من يوم يجمع الله ويجوز أن يكون موضع اذ رفعاً بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله (يا عيسى
 ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) أي اذ كررنا على عليك كما أظهرت أمك
 واصطفيتها على نساء العالمين وقويتك بجبريل أنشيت الحجة (تكلم الناس في المهد) أي طغى لا بقولك

اني عبد الله الآتية (وكهلا) أي اذا أنزله الله تعالى الى الارض أنزله وهو في صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو
 الكهل فيقول لهم اني عبد الله كما قال في المهد (واذ علمت الكتاب) أي الكتابة وهي الخط (والحكمة)
 أي العلوم النظرية والعلوم العملية (والتوراها والانجيل) وذكر الكتابين إشارة الى الامرار التي
 لا يطلع عليها أحد الا كبار الانبياء عليهم السلام فان الاطلاع على أسرار الكتب الالهية لا يحصل الا
 لمن صار ربانيا في أصنام العلوم الشرعية والعقلية الظاهرة التي يبحث عنها العلماء (واذ تخلق من)
 الطين كهية الطير) أي تصور منه هيئة مماثلة لهية الطير (بأذني) أي بأمرى (فتنفخ فيها) أي
 في الهيئة المصورة فالخبر راجع للكاف وهي دالة على الهيئة التي هي مثل هيئة الطير (فتكون
 طيرا بأذني) أي فتصير تلك المصورة خفاشاتا طير بين السماء والارض بأذني (وتبرئ الأكمة) أي
 الأعمى المطموس البصر (والابرص بأذني) أي بأمرى وأرادني وقد رقي (واذ تخرج الموتى) من
 قبورهم احياء (بأذني) أي بفعل ذلك عند دعائك وعند قولك لليت اخرج باذن الله من قبرك (واذ
 كففت بني اسرائيل عنك) أي منعت اليهود الذين أرادوا قتلك عن مطلوبهم بك (اذجثتهم بالبينات)
 بما ذكر وما لم يذكر كالأخبار عايبا كآون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك قال للجنس (فقال الذين
 كفروا منهم ان هذا الاصحريين) قرأ حزقيا والكسائي هنا وفي هود والصف ويونس ساحر بالالف
 أي ما هذا الرجل وهو عيسى الاساحر ظاهر وقرأ ابن عامر وعاصم في يونس فقط بالالف والباقيون صحر
 بكسر السين وسكون الحاء أي ما هذا الذي جاء به عيسى من الخوارق أو ما هذا أي عيسى الاصحريين وهذا
 على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف روي ان عيسى عليه السلام لما أظهر هذه المعجزات العجيبة
 قصده اليهود قتله فخلصه الله تعالى منهم حيث رفعه الى السماء (واذ أوحيت الى الخواريين) أي
 الانصار أي ألهمت القصارين وهم اثنا عشر رجلا في قلوبهم وأمرتهم في الانجيل على لسانك (أن
 آمنوا بي وبرسولي) والمعنى أي آمنوا بوحدة انبيي في الألوهية وبرسالة رسولي عيسى (قالوا آمنا)
 بوحدة انبيي الله تعالى وبرسالة رسوله (واشهد) أنت يا عيسى (بأننا مسلمون) أي مخلصون في إيماننا اذ قال
 الخواريون يا عيسى بن مريم هل تستطيع ربك أن قرأ الجمهور بالياء على الغيبة أي هل يفعل ربك
 والمقصود من هذا السؤال تقرير ان ذلك المطلوب في غاية الظهور لكن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر
 السلطان على اشباع هذا ويكون غرضه منه ان ذلك أمر جلي لا يجوز تعاقل ان يشك فيه فكذلك ههنا قرأ
 الكسائي تستطيع بناء الخطاب لعيسى ور بك بالنصب على التعظيم وبإدغام اللام في التاء وهذه
 القراءة مروية عن علي وابن عباس وعن عائشة أي هل تستطيع ان تسأل ربك (أن ينزل علينا مائدة
 من السماء قال) عيسى لشعوب قبل لهم (اتقوا الله) في اقتراح معجزة لم يسبق لها مثال بعد
 تقدم معجزات كثيرة (ان كنتم مؤمنين) بكونه تعالى قادرا على ازال المائدة فلعلمكم بتركون شكرها
 فيعذبكم فقال لهم ذلك شععون (قالوا نريد أن نأكل منها) أكل تبرك أو أكل حاجة وتغتم (وتطمئن
 قلوبنا) بكمال قدرته تعالى لحصول علم المشاهدة مع علم الاستدلال (ونعم أن قد صدقتمنا) أي ونعلم علما
 يقينيا أنه قد صدقتمنا في دعوى النبوة وان الله يجب دعوتنا في قولك اننا اذ صعدنا ثلاثين يوما لا نسأل الله
 تعالى إلا أعطانا (ونكون عليها من الشاهدين) الله بكمال قدرته ذلك بالنبوة وهذه معجزة مما وية
 وهي أعظم وأعجب فاذ شاهدناها كما عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها
 من بني اسرائيل ليردادوا مؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة وبقينا يؤمن بسببها كفارهم (قال عيسى

ابن مريم) أي لما رأى ان لهم غرضاً صحيحاً في ذلك فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأ طرأسه
 وغض بصره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أي طعاماً (من السماء تكون لنا عيداً الأولئنا
 وآخرنا) أي نتخذ اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا ونزلات يوم الأحد فأتخذ
 النصراني عيداً وانما أسند العيد إلى المائدة لان شرف اليوم مسرة عار من شرفها والمعنى يكون يوم نزولها
 عيداً لاهل زماننا ولن بعد هالكى نعيد له فيها (وآية منك) أي دلالة على وحدانيته شكوكاً لقال قدرتك
 وصحة نبوت رسولك (وارزقنا) أي اعطنا ما سألناك (وأنت خير الرازقين قال الله اني منزلها) أي
 المائدة (عليكم) وقرأ ابن عامر وعاصم ينافع منزلها بالتشديد والباقيون بالتخفيف (فمن يكفر بعد
 أي بعد نزولها) (منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه) أي اني أعذب من يكفر تهذيباً لا أعذب من ذلك
 التعذيب (أحد من العالمين) روى ان عيسى عليه السلام لما أراد ان يدعو الناس صوفاً قال اللهم انزل
 علينا الخ فزلت سفرة جبرائيل بن غمامة من غمامة تفوقها واخرى تحتها رهم ينظرون إليها حتى سقطت بين
 أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مشقة
 وعقوبة وقال لهم ليقيم أحسنكم عملاً يكشف عنها ريد كراسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس
 الحوارين أنت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
 فاذا سمعتم مشوية بلا شوك ولا فلول تسيل دماً وعند رؤسها ملح وعند ذنبها خصل وحولها من ألوان
 ما خلا السكران واذا خسة أرغفة على واحد من اربتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث من وعلى
 الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله من طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال
 ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم وأشكروا واعدكم الله ويردكم من فضله
 فقال الحواريون لو أريدنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احبي يا ذن الله فاضطربت ثم قال لها
 عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا وقالوا بئس ما هذا النزول والاكل هذا محرم بين
 طمع الله منهم ثلاث مائة وثلاثين رجلاً بانوا اليهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
 والسكاسات ويأكلون العذرة في الحشوش ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكنت وجعلت
 تطيف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحد دأبوا وحذفيه كون ريت ويرن برؤسهم ولا يقدر على
 الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (واذ قال الله) يوم القيامة (يا عيسى بن مريم أنت قلت الناس
 في الدنيا) اتخذوني واهي الهين من دون الله) أي غيره أراد الله تعالى بهذا السؤال ان يقر عيسى على
 نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم عليه انه أمرهم بذلك فذكر هذا السؤال مع علمه تعالى ان
 عيسى لم يقل ذلك انما هو يبيع قومه (قال) أي عيسى وهو رعد (سبحانك) أي انزهك تنزيهاً لا تقابل
 من ان أقول ذلك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ما كان ينبغي ان أقول ما ليس بجائز لي (ان
 كنت قلته) لهم (فقد علمته) وهذا مبالغة في الأدب وفي اظهار الذلل في حضرة ذي الجلال وتغويض
 الامور بالكلية الى الكبير المتعالي (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي) أي تعلم ما عندي وما علوي
 ولا أعلم ما عندك وما علوك (انك أنت علام الغيوب) عن العباد (ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن
 أعبدوا الله ربي وربكم) وان مفسرة للهاء اتراجع للقول المأمور به والمعنى ما قلت لهم في الدنيا الا قولاً
 أمرتني به وذلك القول هو ان أقول لهم اعبدوا الله ربي وربكم (وكنتم عليهم شهيدين) على ما يفعلون
 (مادة فيهم) أي مدة دواي فيما بينهم (فلما توفيتني) أي رفعتني من بينهم الى السماء (كنت

أنت الرقيب عليهم) أي الحافظ لأعمالهم المراقب لأحوالهم (وأنت على كل شيء شهيد) وعالم بصير
 (إن تعذبهم فإنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وإن تغفرهم فإنك أنت العزيز)
 أي القادر على ما تريد (الحكيم) في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليه لأن عذبت فعذل وإن
 غفرت ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ومقصود عيسى عليه
 السلام من هذا الكلام تفويض الأمور كلها إلى الله وترك الاعتراض عليه بالكيفية لأنه يجوز في مذهبنا
 من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وإن يدخل العباد النار لأن الملك ملوكه ولا اعتراض لأحد عليه
 (قال الله هذا) أي يوم القيامة (يوم ينفع الصادقين صدقهم) في الدنيا في أمور الدين قرأ الجمهور يوم
 بالرفع وقرأ نافع يوم بالنصب أي هذا القول واقع يوم الخ (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
 أبدًا رضي الله عنهم) أي عن الصادقين بطاعتهم له (ورضوا عنه) بالثواب والأكرام (ذلك)
 الرضوان (الغور العظيم) فالجنة بما فيها بالنسبة إلى رضوان الله كالعدم بالنسبة إلى الوجود وكيف
 لا والجنة مرغوب الشهوة والرضوان صفة الحق وأي نسبة بينهما (لله ملك السموات والأرض وما
 فيهن وهو على كل شيء قدير) أي أن كل ما سوى الله تعالى من الكائنات والأجساد والأرواح ممكن
 لذاته وجودا وبجوده وإذا كان الله موجودا كان ماله كاله وإذا كان ماله كاله كان له تعالى أن يتصرف
 في الكل بالأمر والنهي والثواب والعقاب كيف أراد فصع الله كليف على أي وجهه أراد الله تعالى
 ولما كان الله مالك الملك فله بحكم المالكية أن ينسخ شرع موسى ويضع موضعه شرع محمد فيبطل قول
 اليهود بعدم نسخ شرع موسى ثم إن عيسى ومريم داخلا في ما سوى الله فهو كائن بتكوين الله تعالى
 وثبت كونهم عبيدين لله مخلوقين له فظهر هذا التقرير أن هذه الآية برهان قاطع في صحة جميع العلوم
 التي اشتملت هذه السورة عليها

﴿سورة الانعام مكية الا ست آيات فانها مدنيات وهي قوله قل تعالى الى آخر الآيات الثلاث وهو
 لعلمكم تتقون وقوله تعالى وما قدر والله الى قوله تعالى وكنتم عن آياته تستكبرون
 وهي مائة وخمس وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة
 وعدد حروفها ثمانمائة وأربع مائة واثنان وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ * والمدح
 أعم من الحمد لأن المدح للعاقل ولغير العاقل فكما يمدح العاقل على أنواع فضائله كذلك يمدح اللؤلؤ والحسن
 شكاه والياقوت على نهاية صفاته وصفاته والحمد لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الاحسان
 والحمد أعم من الشكر لأن الحمد تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الانعام واصلا اليك أو إلى غيرك
 والشكر تعظيمه لأجل انعام وصل اليك وحصل عندك والمقصود من هذه الآية ذكر الدلالة على وجود
 الصانع والفرق بين الجعل والخلق أن كلامهم ما هو الانشاء والابداع إلا أن الخلق مختص بالإنشاء
 التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية والجعل عام كقوله هذه الآية التكريمية ولا يشرى أيضا كما في
 قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وجمع الظلمات دون النور لكثرة محالها إذ ما من جرم الأول نطل
 والظل هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار وهذا إذا حمل على الكيفية من المحسوستين
 بحس البصر وإن حمل النور على نور السلام والايان واليقين والنبوة والظلمات على ظلمة الشرك

والكفر والنفاق فنعول لأن الحق واحد والمباطل كثير وتقدم انظلمات على النور لأن الظلمة عدم النور عن الجسم الذي يقبله وعدم المحدثات متقدم على وجودها (ثم الذين كفروا بهم يعدلون) أي شركون به غيره وهذه الجملة أمام عطوفة على قوله المحدثه والباء متعلقة بكفروا فيكون يعدلون من العدول ولا مفعول له والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه لأنه تعالى ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا بهم يعدلون عنهم في كفرون بنعمته أو متعلقة بيعدلون وهو من العدول ويوضع الرب موضع الضمير العائد إليه تعالى والمعنى أنه مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار شؤنه العظيمة الخاصة به ثم هؤلاء الكفرة يسبون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد وأمامه عطوف على قوله خلق السموات والياء متعلقة بيعدلون وقدمت لأجل الفاصلة وهي أما يعني عن ويعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم الذين كفروا يعدلون عن ربهم إلى غيره أولئك يعدلون يعدلون من العدول وهو النسوية والمعنى أنه تعالى خلق هذه الاشياء العظيمة الذي لا يقدر عليها أحد سواه ثم أنهم يعدلون به حمدا لا يقدر على شيء أص - لأنه كون المفعول محذوف وكلمة ثم لاستبعاد الشر كبعوض آيات قدرته تعالى (هو الذي خلقكم من طين) أي أن الله خلق جميع الإنسان من آدم وادم كان مخوقا من طين فلذلك السبب قال هو الذي خلقكم من طين أي من جميع أنواعه فلذلك اختلف ألوان بني آدم وعجنت طينتهم بالماء العذب والمخ والمزج فلذلك اختلفت أخلاقهم وأبضائن الإنسان مخلوق من المني والماء أغذية ولدت من الأغذية وهي أما حيوانية أو نباتية فحال الحيوانية كالحال في كيفية تولد الإنسان فبقى أن تكون الأغذية نباتية فثبت أن الإنسان مخوق من الأغذية النباتية ولا شك أنها متولدة من الطين فثبت أن كل إنسان متولد من الطين وقال المهدوي أن الإنسان مخلوق ابتداء من طين الخبر ما من مولود يولد إلا وينزل على النطقة من تراب حفرته وأياما كان الإنسان فقيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث بالاختي قال من قدر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارب هامة أظهر قدرة (ثم قضى أجلا) أي خصص الله موت كل واحد بوقت معين وذلك التخصيص تطابق مشيئته تعالى بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت (وأجل مسمى) أي حدد معين لبعضكم جميعا من البرزخ (عنده) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أحلا من مولده إلى موته وأجل من موته إلى مبعثه فإن كان براتقيا رصولا للرحم يذله من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وقال حكيم الأسلام إن لكل إنسان أجلين أحدهما آجال الطبيعة والثاني الآجال الاختراعية فالآجال الطبيعية هي التي لو بقي ذلك المزاج مصونا من الاعراض الخارجية لانت مدة بقائه إلى الوقت الغلات والآجال الاختراعية هي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الأمور المعضلة (ثم أنتم تموتون) أي ثم بعد ظهور مثل هذه الحجة الباهرة أنتم أيها الكفار تنكرون صحة التوحيد للصانع أو ثم بعد ما شهدتمكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع الشك بالكلية أنتم أيها الكفار تنكرون وقوع البعث ومن قدر على الابتداء فهو على إعادة أقدر فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث (وهو الله في السموات وفي الأرض) أي وهو الذي اتصف بالخلق هو المعبود في السموات والأرض والمتصرف فيهما (يعلم مكرهم) في الغلوب من الدواعي والصوارف (وجهرهم) في الجوارح من الأعمال (ويعلم ما تكسبون) أي مكتسبكم أي ما تستحقون على فعلكم من الثواب والعقاب (وماتأتيتهم من آية من

آيات ربهم الا كانوا عناه معرضين) أي ما يظهر للكفار من آية من الآيات التكوينية التي يجب فيها النظر التي من حملها جلائل شؤنه الدالة على وحدانيته تعالى الا كانوا معرضين عن تأمل تلك الدلائل تاركين للنظر المؤدى الى الايمان بكونها هذه الآية تدل على ان التقليد باطل والتأمل في الدلائل واجب ولولا ذلك لاسدمت المعرضين عن التفكير في الدلائل أو المعنى ما ينزل الى أهل مكة آية من الآيات القرآنية الا كانوا كاذبين بتلك الآية ومن الاولى مزيدة لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي والثانية للتمحيض وهي مع مجرورها صفة لآية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أي فقد كذب أهل مكة بالمحجزات كأنشقاق القمر بمكة وانفلاقه فاعين فذهبت فلفقه وبقيت فلفقه أو بانقرآن أو بمحمد صلى الله عليه وسلم (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يجادلون) أي سوف يأتيهم أخبار كونهم مستهزئين بذلك الحق يوم يذروهم أحد ويوم الاحزاب (المر واكم أهلكتكم قبلهم من قرن) أي ألم يعرف أهل مكة عناية الآيات في أسفارهم للتجارة الى الشام في الصيف والى اليمن في الشتاء وبسماح الاخباركم أمة أهلكتكم قبل زمان أهل مكة كفوم نوح وعاد وحمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم (مكأنهم في الأرض ما لم تكن لكم) أي أعطينا أولئك الجماعة من البطة في الأجساد والامتداد في الأعمار والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا ما لم نعطيكم يا أهل مكة (وأرسلنا السماء) أي الماطر (عليهم مدرارا) أي متتابعات كالأجواء اليه (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) أي من تحت بساطتهم وزروعهم وشجرهم (فأهلكناهم بنبوءهم) بتكذيبهم الأنبياء وبكونهم ياعوا الدين بالدنيا (وأنا نأثم من بعدهم قرنا آخرين) أي أحدثنا من بعدهم أهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين وهذا تنبيه على ان أهلاك الأمم لا كثره لم ينقص من ملكه شيئا ولا يتعاطى على الله هلاكهم وخلو بلادهم منهم فإنه تعالى قادر على ان ينشئ مكانهم قوما آخرين يعمر بهم بلادهم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحاح من السماء دفعة واحدة عليك يا أشرف الخلق كما سألنا عبد الله بن أبي أمية الخزرجي رأيه في صحيفة واحدة فقرأه عيانا ولمسوه اطعموا فيه وحملوه على انه مخرفة وقالوا انه محرق وقال ابن ابي عمير والقائدون بالاقوال لا تفرغ من الاسود والنضرب الحرف بن كلدة وعبد بن عبد يعوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل كما أخرجه ابن أبي حاتم (وقالوا لو أنزل عليه ملك) أي لا أنزل على محمد لك يخبرنا بصدق في دعوى النبوة ويشهد له بما يقول والمعنى ان منكري النبوة يقولون لو بعث الله الى الخلق رسولا لوجب ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان علومهم أكثر وقدرتهم أشد ومهابتهم أعظم وامتيارهم عن الخلق أكمل ووقوع الشبهات في نبوتهم أقل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجهين الاول قوله تعالى (ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر) أي لفرغ من هلاكهم أي وأنزل الملك على هؤلاء الكفار فرعالم يؤمنوا والذين يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فينبذ ما أنزل الله تعالى الملك اليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب وأيضا انهم اذا شاهدوا الملائكة هتفوا روحهم من هول ما يشاهدون بذلك ان آدمي اذا رأى الملك فاما ان رأى على صورته الاصلية أو على صورة البشر فاندأ على صورته الاصلية لم يبق آدمي حيا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كضيف إبراهيم وأضياف لوط وخمهم داود وغير ذلك رحيث كان شأنهم كذلك ثم يؤيدون بالقوى القدسية لما ظنك من عذابهم من العوام وأيضا اذا رأوا من رزق الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم

وذلك محل بصحة التكليف وان رآه على صورة البشر فلا يتفاوت الحال سواء كان هو في نفسه ملكا
 أو بشرا أيضا انزال الملك يقوى الشبهات لان كل مفسرة ظهرت عليه مردوها وقالوا هذا فعلك فعلته
 باختيارك لو قدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القوة والعزم لعلنا مثل ما فعلته (ثم لا ينظرون) أي
 لا يجهلون بعد نزول الملك طريقة عين وكلمة ثم للتنبيه على ان عدم الاظهار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة
 الشدة أشد من نفس الشدة وأشقى والناس في قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي ولو جعلناه
 الرسول ملكا لجعلناه الملك على صورة الرجل لان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم
 التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر من آدمي لصعد عن سدرة ربه (وللبسنا عليهم ما يباسون) أي
 ولو صورنا الملائكة رجلا لاصار فعلنا نظير الفعلهم في التلبس باغما كان ذلك تلبسا لان الناس يظنون انه
 بشر مع انه ليس بشرا وانما كان فعلهم تلبسا لانهم يقولون لقومهم انه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولا
 من عند الله تعالى واذا كان الامر كذلك فلم يقدم طلب نزول الملائكة لانه لو نزل لهم الملك انزل على صورة
 رجل لعدم استطاعتهم لمعاينة هيكله ولان الجنس الى الجنس أميل فيقوله والله ما أنت الا بشر مثلنا ويقولوا
 اننا لا نرضى برسالة هذا الشخص فيعود سؤلهم ويسترون بطلبه من الملك فلا تنقطع شبهتهم فنزول الملك
 لا يفيدهم شيئا بل يزدادون في الحيرة والاشتباه وأيضا ان طاعات الملائكة قوية فيهم قرون طاعة
 البشر ورعا لا يعذرونهم في الاقدام على المعاصي (واقداس تهزي برسول من قبلك) أي وبالله لقد
 استهزي برسول أولى شأن خطير وذو عدد كثير كائين من زمان قبل زمانك وهذه الآية تسلية لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أي تحقيق الضيق قلب رسول الله عند سماعه من القوم الذين قالوا ان رسول الله
 يجب أن يكون ملكا من الملائكة ووعد أيضا لاهل مكة (الحاق بالذين منحروا منهم ما كانوا به يستهزون)
 أي فداروا بالذين منحروا من أولئك الرسل عليهم السلام العذاب الذي يستهزون به وينكرونه فان
 الكفار كانوا يستهزون بالعذاب الذي كان يخوفهم از رسول بنزوله أو بالمعنى فأحاط طعن استهزاء بالشرايع من
 الرسل عقوبة استهزائهم بالرسول المتدرج في جملة الرسل (قل) يا أكرم الرسل لاهل مكة (سيروا في
 الارض) أي قل لهم لا تغفروا عما وجدتم من الدنيا وطيماتاها وصلتم اليه من لذاتها وشهواتها بل سيروا في
 الارض لتعرفوا صحة ما أخبركم الرسول عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل في الازمنة السابقة (ثم
 انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي ثم تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال فانكم
 عند السير في الارض والسفر في البلاد لا بد وان تشاهدوا تلك الآفة تارفة كمل الاعتبار ويقوى الاستبصار
 (قل) يا أشرف الخلق لاهل مكة (لمن ما في السموات والارض) أي لمن الكائنات جميعا خلقوا وملكوا
 وتصرفوا فان أجابوك فذلك والا (قل لله) لانه لا جواب غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي أو جب على
 نفسه ايجاب الفضل والكرم والرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بتأخير العذاب وقبول التوبة (لنجمة عنكم
 الى يوم القيامة) أي والله ليجمعنكم في القبور ومحشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر
 معاصيكم أوليجمعنكم الى المحشر في يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان (لا ريب فيه) أي
 في الجمع (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) أي ان ابطال العقل باتباع الخواس والوهم والانهماك
 في التقليد وترك النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وان سبق قضاء الله
 بالحشر ان هو الذي حملهم على الامتناع من الايمان بحيث لا سبيل لهم اليه أصلا (وله ما سكن في الليل
 والنهار) أي له تعالى كل ما حصل في الزمان سواء كان متحركا أو ساكنا (وهو السميع العليم) فيسمع

لدا المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين (قل أغير الله أمخذوليا) أي قل يا أشرف الخلق أغير الله أجهله
 معبودا (فاطر السموات والأرض) وعن ابن عباس قال ما عرفت فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان
 يتختمان في برق فقال أحدهما لاني فطرتهما أي ابتدأتها وقرئ فاطر السموات بالجرصة لله أو بدل منه
 بدل المطابق وبالرفع على أنه ما هو والنصب على المدح وقرأ الزهري فطر السموات (وهو يطعم ولا يطعم)
 أي وهو الرزاق لغير مولاه لا يرزقه أحد ويقتل ولا يعان على التزييق (قل) يا كرم الخلق لكفاركم
 (إني أمرت) أي من حضرة الله تعالى (أن أكون أول من أسلم) فإنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته
 في الاسلام وقيل لي يا محمد (ولا تكون من المشركين) أي في أمر من أمور الدين (قل إني أخاف إن
 عصيت ربي) بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان (عذاب يوم عظيم) أي عذابا عظيما في يوم عظيم
 وهو يوم القيامة (من يصرف عنه يومئذ فقد ربحه) قرأ أبو بكر عن عاصم وحزرة والسكافي يصرف
 بفتح الياء وكسر الراء والمفعول محذوف والتقدير من يصرف ربي عنه يومئذ العذاب فقد أنعم عليه والباقون
 يصرف بالبناء للمفعول والمعنى أي شخص يصرف العذاب عنه ذلك اليوم العظيم فقد أدخله الله الجنة
 (وذلك الفوز المبين) أي وذلك الرحمة هو الفوز الظاهر وهو الظفر بالمطوب (وان عيسى الله بضر فلا
 كاشف له الا هو) أي وان يصبلك الله ببليّة أي بالانسان كرض وفقر ونحو ذلك فلا رافع له الا هو وحده
 (وان عيسى بخير) أي وان ينزل الله بك خيرا من محبة وغنى ونحو ذلك فلا رافع له غيره (فهو على كل شيء
 قدير) روى عن ابن عباس انه قال أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهدها له كسرى فركبها بهجلا
 من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله
 يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرف في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا
 استعنت فاستعن بالله فقه مضى القلم عما هو كان فلو جهد الخلاق أن يفعلوا ما لم يقضه الله لم يقدروا
 عليه ولو جهدوا أن يضرروا ما لم يكتب الله عليهم ما قدر واعليه فان استطعت أن تفعل بالصبر مع اليقين
 فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وان مع الكرب
 فرجا وان مع العسر يسرا (وهو القاهر فوق عباده) بالقدره والقوة وهذا اشارة الى كمال القدرة (وهو
 الحكيم الخبير) فان أفعاله تعالى محكمة آمنة من وجوه الخلل والفساد وأنه تعالى عالم بما يصح أن
 يخبر به وهذا اشارة الى كمال العلم (روى ابن عباس أن رؤساء أهل مكة قالوا يا محمد ما وجدنا الله غيرك
 رسولا وما نرى أحدا يصدقك وقد سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا انه لا ذكركم عندهم بالنبوة
 فأرانا من يشهدك بالنبوة فأنزل الله تعالى قوله هذا (قل) يا أشرف الخلق لهم (أي شيء) كبر شهادة
 من الله كي يقر بالنبوة وان كبر الاشياء شهادة هو الله تعالى فان اعترفوا بذلك فذلك والا (قل الله
 شهيد بيني وبينكم) بآتي رسونه وهذا القرآن كلامه وهو مهيول لانكم فحشاء بلغاء وقد عجزتم عن
 معارضته فادركم هذا كان مهيولا كان اعطاه الله اياما على وفق دعواي شهادة من الله على كوني صادق في دعواي
 (وأوحى الى هذا القرآن لانه لم يكن من بلغ) أي أنزل الله الى جبريل بهذا القرآن لا خوفكم يا أهل مكة
 بالقرآن ولا خوف به من بلغ اليه القرآن من الثقلين عن آتي بعدى الى يوم القيامة (أتأسكم) يا أهل
 مكة (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهي الأصنام التي كنتم تعبدونها تقولون انهم بنات الله
 فان شهدوا على ذلك (قل) لهم (لا أشهد) أي بما تذكرونه من افبات الشركاء (قل انما هو اله
 واحد) أي بل انما أشهد أن الله لا اله الا هو (وانني بري عما تشركون) أي من اشراككم بالله تعالى

في العبادة الاصنام قال العلماء المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين ويثبتر من كل دين سوى
 دين الإسلام ونص الشافعي على استحباب ضم التبري إلى الشهادة لأن الله تعالى لما صرح بالتوحيد قال
 وإني بريء مما يشركون (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى الذي كانوا في زمن
 النبي صلى الله عليه وسلم (يعرفونه) أي يعرفون محمدًا من جهة السكاكين بصفته المذكورة فيهما (كما
 يعرفون أبناءهم) بصفاتهم فإنهم كذبوا في قوائمنا لا نعرف محمدًا الماروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
 لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمران الله أنزل على نبيه عكة هذه الآية فكيف هذه المعرفة
 قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولانا أشد معرفة محمد مني يا بني فقال عمر
 كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تضع النساء (الذين خسروا أنفسهم فهم
 لا يؤمنون) ومعنى هذا الحسران كما قاله جمهور المفسرين أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة
 ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل
 أهل الجنة في النار (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) أي لا أحد أجزأ عن اختلق على الله كذباً
 كقول كفار مكة هذه الاصنام شركاء لله والله تعالى أمرنا بعبادتها وقولهم إن الملائكة بنات الله ثم قولهم
 أمرنا الله بتحريم البحائر والسوائب وكقول اليهود والنصارى حصل في التوراة والإنجيل أن هاتين
 النريعتين لا يتطرق إليهما النسخ ولا ينجى بعدهما نبي (أو كذب بآياته) أي قدح في هجرات محمد
 صلى الله عليه وسلم وأنت ترون القرآن مجهزة قاهرة بينة (الله لا يفلح الظالمون) أي لا يظفرون
 بمطالبهم في الدنيا والآخرة بل يبقوا في الحرمان والخذلان (ويوم نحشرهم جميعاً) أي كافة الناس وهو
 يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا) خاصة على رؤس الشهاد للتوبيخ (أين شركاؤكم) أي آلهتكم
 التي جعلتموها شركاء لله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أي تزعمونها شركاء وانها شفعاؤكم عند الله
 قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب (ثم لم تكن فتنتهم) أي اقتناسهم بالوثان (الأن قالوا
 والله زيناً ما كنا مشركين) أي لم تكن عاقبة اقتناسهم بشركهم الأبرارهم منهم فلفهم انهم ما كانوا
 مشركين ومثاله أن ترى انساناً يحب عارياً مذموم الطريقة فإذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه قرأ ابن
 عامر وابن كثير وخص عن عاصم ثم لم تكن بالثناء الفوقية وفتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي لم يكن
 بالياء التحنية وفتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي زينا بنصبه على النداء أو المدح والماقون بالكسر
 (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بانكار صدور الاشرار عنهم في الدنيا (وضل عنهم ما كانوا
 يفترون) أي وكيف زال عنهم افتراؤهم بعبادة الاصنام فلم تغن عنهم شيئاً وذلك انهم كانوا
 يرجون شفاعة ناصرتهم (ومنهم من يستمع اليك) أي وبعض من أهل مكة من يستمع إلى كلامك
 حين تنزل القرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) أي وقد القينا على قلوبهم
 أعظية كثيرة كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن وفي آذانهم صمماً وقللاً مانعاً من سماعه
 فجعلنا أن يفقهوه مفعول مع محذوف المضاف أو مفعول لفعل مقدر أي منعناهم أن يفقهوه بمجموع القدرة
 على الايمان مع الداعي اليه بوجوب الفعل فالكفر من الله تعالى وتكون تلك الداعية الحارة إلى الكفر
 كناناً للقلب عن الايمان ووقر السمع عن استماع دلائل الايمان (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي
 وان يشاهدوا كل آية من آيات القرآن بسماعها كقروا بكل واحد منها لاجل أن الله تعالى
 جعل على قلوبهم أكنة (حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) أي بلغوا بك كذبهم الآيات

ربهم أي على ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين وعلى ما أخبرهم به من أمر الآخرة
 (قال أليس هذا) أي البعث بعد الموت والثواب والعقاب (بالحق قالوا بلى وربنا) أنه لحق وذلك
 إقرار مؤكداً بالبين لا انجلاء الأمر غاية الانجلاء وهم يطعمون في نفع ذلك الإقرار وينكرون الأمر الـ
 فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم وجهدكم
 في الدنيا بالبعث بعد الموت (قد خسر الذين كذبوا بلفاء الله) أي أنكروا البعث والقيامة (حتى إذا
 جاءتهم الساعة بغتة) أي أنهم كذبوا ذلك إلى أن ظهرت القيامة باغتة فلا يعلم أحد مني يكون مجيئها في أي
 وقت يكون حصولها (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أي يندامتنا على تغريظنا في تحصيل الزاد
 للساعة في الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) أي والحال أنهم يحملون ثقل ذنوبهم عليهم
 أي أنهم يماسون عذاب ذنوبهم بمقاساة ثقل ذلك عليهم فلا يفارقهم ذنوبهم وقال قتادة والسدى أن
 المؤمن إذا خرج من قبره استقبله شيء هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحاً يقول أنا ملك الصالح طال
 ما ركبته في الدنيا فأركبني فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً أي ركبنا وأوان الكفار إذا
 خرج من قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحاً فيقول أنا ملك الفاسد طال ما ركبته في
 الدنيا فأنا أركبك اليوم فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (الاسماء ما يرون) أي
 بشئ شيئاً يحملونه أفعالهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي وما للذات والمستحسّنات الحاصلة في هذه
 الدنيا إلا فرج يشغل النفس عما تستغفره وباطل يصرف النفس عن الجسد في الأمور إلى الهزل (وللدار
 الآخرة) أي الجنة أو التمسك بعمل الآخرة أو نعيم الآخرة (خير للذين يتقون) من المعاصي والكبائر
 وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة بأضافة دار إلى الآخرة (أفلا تعقلون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على
 الخطاب أي قل لهم ألا تتفكرون أيها المخاطبون فلا تعقلون أن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأ الباقر
 بإسما على الغيبة أي أيعفل الذين يتقون فلا يعقلون أن أدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملون لما
 ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم فلا يفكرون في طلب ما يوصل إلى ذلك (قد نعلم أنه يحزنكم الذين
 يقولون) أنهم لا يؤمنون بلك ولا يقبلون دينك وشر يعتكأ أو يقول أنك ساحر وشاعر وكاهن ومجنون
 قرأ نافع يحزنكم بصم الياء وكسر الراء والباقون يفتح الياء وضم الزاي (فإنهم لا يكذبونك) قرأ نافع
 والنكسائي بسكون الكاف والباقر يفتحها وتشديد الدال أي لا يحذرونك كاذباً لأنهم يعرفونك بالصدق
 والأمانة ولا ينسب موتك إلى الكذب بالاعتقاد واللسان (ولكن الظالمين بآيات الله يجهلون) أي
 ولكن يجهلون حقيقة نبوتك ورسالتك أو المعنى أنهم يقولون في كل مجة أنها ساحر وسكر ودلالة
 المجهرة على الصدق على الإطلاق أو المعنى أن القوم ما كذبوك وأغابك كذبوني لأنك رسول كقول السيد
 لعبده وقد أهانه بعض الناس أيها العبد له ما أهانك وأغابك أهانني والمقصود تعظيم الشأن لأنني الإهانة
 عن العبد ونظيره قوله تعالى أن الذين يسيبونها نكاحاً يسيبونها الله * روى أن الحرب بن عامر من
 من قرش قال يا محمد والله ما كذبنا قط ولكنك أتيتنا بك فخطف من أرضنا فمحن لا تؤمن بك لهذا
 السبب * وروى أن الأخنس بن شريق قال لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم
 كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله أن محمد أصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنوقصي
 بالواو والسقاية والحجابه والنبوة فماذا السائر قرش فنزلت هذه الآية وعن عني بن أبي طالب أن أبا جهل
 قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنا لا نكذبك فأنك عندنا أصادق ولكنك كذب ما جئتكم به فنزلت هذه

الآية (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا وحتى أنا هم نصرنا) أي ولقد كذب
الرسل قومهم كما كذب قومك فصبروا على تكذيبهم وايدأهم لهم حتى أتاهم النصر بل لا قومهم فصبر
يا أشرف المخلوق كما صبروا وظفروا بل أنت أولى بالتزام الصبر لأنك مبعوث إلى جميع العالمين (ولا
مبدل لكلمات الله) بالنصرة فإن وعد الله أياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل
إليه (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف كذبهم قومهم وكيف أنجيناهم
ودمرنا قومهم (وان كان أكبر عليك اعراضهم فإن استطعت أن تتبني نفقا في الأرض أو سلسا في السماء
فتأتيهم بآية) أي وان كان شق عليك اعراضهم عن الإيمان بما حدث به من القرآن وأحببت أن
تجيهم إلى ما سألوه فإن قدرت أن تتخذ نفقا تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو مصعدا ترتقي فيه إلى السماء
فتأتيهم بآية مما اقترحوه عليك من تحت الأرض أو من فوق السماء فلتفعل وعن ابن عباس رضي الله
عنهما إن الحرف بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا
يا محمد أتت بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فأننا نصدق بك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوه
فأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم فسق ذلك عليه لشدة حرصه على إيمان قومه فتركت هذه الآية والمقصود
من هذا الكلام أن يقطع الرسول طمعه عن إيمانهم وان لا يتأذى بسبب اعراضهم عن الإيمان
واقبالهم على الكفر وهذا دليل على مبالغة حرصه صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه إلى حيث
لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لإيمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى) أي ولو شاء الله تعالى جمعهم على الهدى لجمعهم عليه بأن يوقعهم للإيمان فيؤمنوا معكم ولو كان
لم يشأ لجمعهم على الهدى مع تمسكهم التام منه في مشاهدتهم إلا بآيات الداعية إليه
(فلا تكونن من الجاهلين) أي فلا تكونن بالمثل إلى إتيان اقتراحاتهم من الجاهلين بعدم تعاق مشيئته
تعالى بإيمانهم لعدم توجههم إليه لخروج الإيمان عن الحكمة المؤسسة على الاختيار أو المعنى ولا تجزع
على اعراضهم عنك ولا يشتد تحزنك على تكذيبهم بك فإن فعلت ذلك فتقارب حالتك من حال الجاهلين
الذين لا صبر لهم (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يقبل دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون
ما يلقي إليهم من كلامهم وانما يطيعك من يعقلون الموعظة دون الموتى الذين هؤلاء منهم (والموتى يبعثهم
الله ثم إليه يرجعون) أي والموتى يبعثهم الله بعد الموت ثم يوقفون بين يديه للحساب والجزاء فأنه تعالى هو
القادر على أحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه (وقالوا) أي كفار مكة حث بن
عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبى بن خلف والنضر بن الحارث (لولا نزل
عليه آية من ربه) أي هلا نزل على محمد من ربه بحجة دالة على نبوته مثل فلق البحر واطلال الجبل
وأحياء الموتى وإنزال الملائكة واسقاط السماء كسفا (قل) لهم يا أكرم الرسل (إن الله قادر على
أن ينزل آية) أي أن يوحى خوارق العادة كما طلبوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يدرون أن
في تنزيلها قولا أساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار وإن الله تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من
المعجزات القاهرة فإن لم يؤمنوا عند ظهورها لاستحقاق عذاب الاستئصال ولم يبق لهم عذر ولا علة كما هو
سنة الله فاقضت رحمة الله صونهم عن هذا الالهلاء أعطاهم هذا المطلب برحمة منه تعالى عليهم وان
كلوا لا يعلمون كيفية هذه الرحمة (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم)
أي وما من دابة تمشي في الأرض أو تسبح في الماء ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو

الاطوائف أمنا لكم في ابتغاء الرزق وتوقى المهالك وفي أنها تعرف ربها وتوحده وفي أنها يغفم بعضها عن
 بعض وفي أنها تبعث بعد الموت للحساب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل عصفورا
 عبثا ما يوم القيامة يعرج الى الله يقول يا رب ان هذا قتلني عبثا لم يتق علي ولم يدعني آكل من خشاش
 الأرض وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتص للجهنم من القرآن ما المقصود من هذه الآية
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وشهول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدايسل على أنه تعالى قادر على أن ينزل
 آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة أي أن القرآن واف
 ببيان جميع الاحكام فليس لله على الخلق بعد ذلك تكليف آخر وان القرآن دل على أن الاجماع وخبر
 الواحد والقياس صحة في الشريعة فكل ما دل عليه أحد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة موجودا
 في القرآن روى أن ابن مسعود كان يقول مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه فقرأت امرأته جميع القرآن
 فأنته فقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجده فيه لعن الواشمة والمستوشمة فقال لو تلوته
 لوجدته قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول فانتهوا عنه فخذوه قال لعن الله الواشمة
 والمستوشمة وذكر أن الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لا تسألوني عن شيء الا أجبتكم فيه
 من كتاب الله تعالى فقال رجل ما تقول في المحرم اذا قتل الزنبروف فقال لا شيء عليه فقال أين هذا من كتاب
 الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بستي وسنة الخلفاء
 الراشدين من بعدي وقال عمر رضي الله عنه للعجم قتل الزنبرور وروى أن أبا العيص قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا قضين بيننا بكتاب الله
 ثم قضى بالجلد والتغريب على العيص وبالرجم على المرأة وهذا يدل على أن كل ما حكم به النبي صلى الله
 عليه وسلم هو عين كتاب الله لانه ليس في نص الكتاب ذكر الجراد والتغريب (ثم انهم يحشرون) فان
 الله تعالى يحشر الدواب والطيور يوم القيامة بمجرد الارادة ومقتضى الالهيية وروى أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاء الجاهل من القرآن قال المفسرون
 انه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها ترايا وعند هذا يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (والذين كذبوا
 بآياتنا) التي هي من القرآن (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمعونها أساطير لا ولى
 (وبكم) لا يعقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوة الرسول بها (في الظلمات) أي
 في ضلالات الكفر والجهل والعدا فلا يمتدون سبيلا (من يشاء الله يضلله) أي من يشاء الله اضلاله
 يخلق الله الضلال فيه ويعتبه على الكفر فيضل يوم القيامة عن طريق الجنة وعن وجدان الثواب (ومن
 يشاء يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشاء أن يجعله على طريق رضاه وهو الاسلام يجعله عليه
 ويهدى اليه ويعتبه عليه فلا يضل من شيء اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرايتكم ان أنا كم
 عذاب الله أو أتاكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أي قل يا أكرم الرسل لكفار مكة
 يا أهل مكة اخبروني ان أنا كم عذاب الله في الدنيا كالغرق أو الحسف أو المسخ أو نحو ذلك أو أنا كم
 العذاب عند قيام الساعة أترجعون الى غير الله في دفع ذلك البلاء أو ترجعون فيه الى الله تعالى ان كنتم
 صادقين في ان أصنامكم آلهة فأجيبوا سؤالي أو المعنى ان كنتم قوم صادقين فأخبروني ألهة غير الله
 تدعون الخ (بل اياهم تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) أي انكم لا ترجعون في طلب دفع البلية
 الا الى الله تعالى فيكشف الضر الذي من أجله تدعونهم بمحض مشيئته (وتنسئون ما كنتم كنون) أي

وتتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم أنهم لا تضر ولا تنفع (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذواهم
 بالأساساء والضراء) أي وبأنه لقد أرسلنا إلى أمم كثيرة كاثنة من زمان قبل زمانك رسلا فها هوهم
 فعاقبناهم بشدة الفقر والخوف من بعضهم والأمراض والأوجاع (العلمهم يتضرعون) أي لكي
 يدعوا الله تعالى في كشفها بالتدلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فقلوا) أي فهلا (اذجأهم
 بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعمدون) من الكفر والمعاصي أي
 فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا ولكن ظهر منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان أن مال الدنيا هكذا تكون
 شدة ثم نعمة فلم يخطر وبإيمانهم أن ما أصابهم من الشدا لنما أصابهم إلا لاجل علمهم الفاسد (فلم يأنسوا
 ما ذكرناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء) أي فلما أنهم كانوا المعاصي وتركوا ما عطفوا به من الشدا
 فتحنا عليهم قنون النعماء على منهاج الإستدراج (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أي حتى
 إذا أطمأنوا بما فتح لهم وبطروا بانظروا أن الذي نزل بهم من الشدا ليس على سبيل الانتقام من الله
 وأن تلك الخيرات باستحقاقهم نزل بهم عذابنا لحاجة ليهكون عليهم أشد وقعا (فأذا هم مبلسون) أي
 متحزون غاية الحزن متقطع رجاؤهم من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي قطع غاية المشركين
 أي استولوا بالهلاك بسبب ظلمهم بما قام من المعاصي مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على
 استئصالهم بالنكال فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث أنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقابهم
 الفاسدة وأعمالهم الحبيثة نعمة جليلة مستحقة للحمد (قل أرأيتم أن أخذ الله منكم وأبصاركم وختم
 على قلوبكم من الله غير الله بآيةكم به) أي قل يا أكرم الخلق لأهل مكة يا أهل مكة أخبروني أن أرأيتم
 الله معكم وأبصاركم وعقولكم أي فرد من الآلهة الثابتة برحمكم غير الله بآيةكم بذلك الذي أزيل
 (انظر) يا أكرم الرسل (كيف نصرف الآيات) أي كيف نذكرها متغيرة من نوع إلى نوع آخر
 فتارة بترتيب المقدمات العقالية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال
 المتقدمين فكل واحد يقوى ما قبله في الإيصال إلى المطلوب (ثم هم يصدفون) أي يعرضون عن تلك
 الآيات وهم لا يستعيد اعراضهم عنها بعد ذكرها على الوجوه المختلفة (قل أرأيتمكم) أي أخبروني
 يا أهل مكة (إن أتاكم عذاب الله) أي عذابه الخاص بكم (بغثة) أي فجأة بأن يجيئهم من غير
 سبق علامة تدلهم على مجيئ ذلك العذاب (أو جورة) بأن يجيئهم مع سبق علامة تدل عليه فالعذاب
 وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحذروا منه (هل يهلك الا القوم الظالمون) أي هل
 يهلك بذلك العذاب غيركم عن الاستحقاق (وما ترسل المرسلين إلا مبشرين) بالنواب على الطاعات
 (ومندرين) بالعقاب على المعاصي والقدرة لهم على اظهار المعجزات بل ذلك مفوض إلى مشيئة الله تعالى
 (فمن آمن وأطاع فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي فمن قبل قول المرسلين وأتى بعمل القلوب الذي هو
 الإيمان ويعمل الجسد الذي هو الإصلاح فلا خوف عليهم من العذاب الذي أنذر وهو دينوا كما كان
 أو آخروا ولا هم يحزنون بنفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل (والذين كذبوا بآياتنا) وهي
 ما ينطق به الرسل عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم (عسهم العذاب) أي يصيبهم العذاب
 الذي أنذروه (عما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن الطاعة (قل لا أقول لكم عندي
 خزانة الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملاك أن أتبع الامور إلى) وأعلم أن الكفار طلبوا من
 رسول الله أن يوسع خيرات الدنيا وأن يخبر عما يقع في المستقبل من المصالح والمصائر وطعنوا فيه في كل

الطعام والشراب في السوق وفي تزوج النساء فأمر الله تعالى أن ينسني عن نفسه أمورا ثلاثة تواضع الله تعالى واعتزأ فأنه بالعبودية وإن يقول لهم انما بعثت مبشرا ومنذرا ولا أدعي كوني موصوفا بالقدرة الثلاثة بالله تعالى وإن خزان الله مفوضة الى أن تصرفها كيف ما أشاء وأعطيكم منها ما تريدون ولا أدعي كوني موصوفا بعلم الله تعالى فأخبركم بما تريدون ولا أدعي اني ملكا حتى تكلفوني من الخوارق للمعادات ما لا يطيق به البشر وحتى تعدوا عدم اتصافي بصفات الملائكة فأدعاني أمري فتشكرون قولي وتبعدون أمري وما أخبركم من غيب الا بوحى من الله أنزلته علي (قل) لهم (هل يستوي الا اعمى والبصير) أي هل يكونان سواء من غير مزية فان قالوا نعم كابر والحس وان قالوا لا قيل فن تبس هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن أعرض فهو الا اعمى (أفلا تتكفرون) أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه نزلت هذه الآية من قوله قل لا أقول لكم في أي جهل وأصحابه الحرف عبيته (وأذره الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) أي وأذره يا أشرف الرسل بما أوحى اليك من يجوزون الحشر ويرجي منهم التأثير بالتخويف غير منصورين بقرب ولا مشفوعا لهم من جهة أنصارهم على زعمهم من غير الله تعالى سواء كانوا أجازمين بأصل الحشر كما يؤمنون المعاصين وأهل الكتاب المتردين في شفاعه آياتهم الانبياء وبعض المشركين المعترفين بالبعث المتردين في شفاعه الاصنام أو متردين في أصل الحشر وفي شفاعه الآباء والاصنام معا كبعض الكفرة الذين يعلمون من حالهم انهم اذا سمعوا بحدوث البعث يخافون أن يكون حقا فيملكون الكفر والاعتصام بالمعاصي واما المتكفرون للحشر بالكلية والقاتلون به القاطعون بشفاعة آياتهم أو بشفاعة الاصنام فهم خارجون عن أمر بانذارهم (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أي الذين يعبدون ربهم بالصلاة الخمس أو يذكرون ربهم طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون بذلك محبة الله تعالى ورضاه أي مخلصين في ذلك روى انه جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال وخباب وابن مسعود وسلمان الفارسي وجمع وعامر بن فهيرة فقاموا وهم حوله فحرقوهم وقالوا يا رسول الله لو جئست في صدر المجلس وأبعدت عنك هؤلاء ورأيتهم جبابهم لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الا بعدد فاذ انحن جئناك فاقمهم عننا فاذ انحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليل بذلك كتابا فأتى بالصهيفة ودعا عبد الله كتب فقرأ جبريل هذه الآية فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصهيفة وقال بجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد لمبايعنا محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف له صلى الله عليه وسلم اذا صليت فآخر هؤلاء فليصلوا اخاه منا فنزلت هذه الآية (ما عليلك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) أي ما عليلك من حساب رزق هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي شيء فقلهم وتبعدهم ولا من حساب رزقك عليهم شيء وانما الرزق لهم ولك هو الله تعالى فدعهم ويكونوا عندك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد ولهم لانهم استحقوا من التقرب وقيل ان الكفار طعنوا في ايمان أولئك الفقراء وقالوا يا محمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون بهذا السبب ما كولا ولم يوسا عندك والافهم

فأرغون عن دينك فقال الله تعالى إن كان الأمر كما يقولون فما الرزق الاعتبار الظاهر وإن كان لهم
باطن غير مرضى عند الله لحسابهم عليه لازم لهم لا يتعدى اليك كما أن حسابك عليك لا يتعدى إليهم
(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي وقيل ذلك القتون المتقدم فتنا بعض هذه الأمة ببعض وكل أحد ممتلي
بضده فأولئك الكفار الرؤساء الأغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الإسلام
مسارعين إلى قبوله فوالود دخلنا في الإسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وإن تعترف
لهم بالتبعية فامتنعوا من الدخول في الإسلام لئلا واعترضوا على الله في جعل أولئك الفقراء رؤساء في
الدين وأما فقراء الصحابة فكانوا يرون أولئك الكفار في الرخاء والمرات والطيبات والحصب والسعة
فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الأحوال لهؤلاء الكفار والجملة فصصات السكك مختلفة متفاوتة مجموعها
لذا هم موزعة على الخلق فلا يجتمع في إنسان واحد البتة فكل أحد يحسد صاحبه على ما أنعم الله من
صفات السكك (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بالإيمان بالله ومتابعة الرسل وحرصهم بذلك
انكار وقوع المن رأسا وهذه اللام كى والتقدير ومثل ذلك القتون فتنا يقولوا هذه المقابلة امتحاننا
وقيل إنها لام الصبر ورة والمعنى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليصبروا أولئك الكفار عاقبة أمرهم
إن قالوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال تعالى رد عليهم (أليس الله بأعلم بالشاكرين) لنعمه حتى
تستبعدوا انعماء عليهم وفي هذا الاستغفار التقريري إشارة إلى أن الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى
في تنزيل القرآن وفي التوفيق للإيمان شاكرين له تعالى على ذلك وتعرض بان القائلين بتلك المقالة
بعزل من ذلك كله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم) قيل نزلت هذه الآية في أهل
الصفة الذين سأل المشركون رسول الله عليه السلام طردهم فأكروهم الله تعالى بهذا الإكرام فإن الله
تعالى نهى رسوله أولا عن إبعادهم ثم أمره بتبشيرهم باللامعة عن كل مكروه في الدنيا والآخرة
(كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب على ذاته المقدسة الرحمة بطريق الفضل والكرم تبشيرهم
بسعرحمته تعالى وببذل المطالب (أنه من عمل منكم سوءاً) أي ذنباً (بجهالة) بتعمد بسبب الشهوة
وكان بما هلا عقداً ما يستحقه من العقاب وما يفوته من الثواب (ثم تاب من بعده) أي غفر من بعد عمل
المعصية (وأصلح) عمله بالتوبة منه تداركاً وعزماً على أن لا يعود إليه أبداً (فأنه) أي الله (غفور)
بسبب إزالة العقاب (رحيم) بسبب إيصال الثواب الذي هو النهاية في الرحمة (وكذلك نفصل الآيات)
أي كما فصلنا لك في هذه السورة دلالة على صحة التوحيد والنبوة والقضاء والقدر فكذلك نفصل لك حججنا
في تقرير كل حق يشكركه أهل الباطل (ولتستبين سبل المجرمين) قرأنا فاستبين بالتبصير بالثناء خطاب للنبي
وسبيل بالنصب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المشركون فتعاملهم بما يليق بهم وقرأ أحزوا والكسافي
وأبو بكر عن عاصم استبين بالياء وسبيل بالرفع والباقون بالثناء وسبيل بالرفع وقوله واستبين عطف على
المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليتضح سبيلهم بفعل ما فعل من التفصيل (قل) يا أشرف الخلق للمصيرين
على الشرك (إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي إني نهيته في القرآن عن عبادة
ما تعبدونه من دون الله وهو الأصنام (قل لا أتبع أهواءكم) في عبادة الأصنام وهي أخس مرتبة من
الإنسان بكثير فأنهم كانوا ينجحون تلك الأصنام وأغايه عبدوا بها على محض الهوى لا على سبيل الحق
فإن اشتغال الأشرف بعبادة الأخس أمر يذم صريح العقل (قد ضللت إذا) أي إن أتبعته أهواءكم
(وما أنا من المهتدين) أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عدادهم (قل إني على بينة) أي حجة

واضحة تفصل بين الحق والباطل وهي الوجه (من ربى) في انه لا معبود سواه (وكذبتم به) أى برى
 حيث أشر كنتم به غيره (ما عندى ما تستعجلون به) أى من العذاب أى ليس أمره يعفوض الى فما الاولى
 نافعة وما الثانية موصولة ونسب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
 عليهم بسبب هذا الشر وكان النضر بن الحرث رأى أصحابه يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعدان ~~كنتم~~
 صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام عنى زعمهم فقال تعالى قل يا أشرف الخلق ليس ما تستعجلونه
 من العذاب الموعود فى القرآن وتجمعون تأخروه ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقد رزقنى حتى أجي به
 وأظهر لكم صدقه (إن الحكم الا الله) أى ما الحكم فى نزول العذاب تعجلاً وتأخيراً الا الله (يقض الحق)
 قرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقض بالصاد المدة وضم القاف أى ينهى الحق ويقول الحق لا كل ما أخبر
 الله به فهو حق وقرأ الباقون يقض بسكون القاف وكسر الصاد بغير ياء لسة وطها فى اللفظ أى يقضى
 القضاء الحق أو يصنع الحق لأن كل شئ صنع الله فهو حق (وهو خير الفاصلين) أى أفضل القاضين
 (قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمرينى وبينكم) أى قل يا أكرم الرسل لو أن فى قدرتى
 ما تطلبون به قبل وقته من العذاب الذى يرد به الوعيد بأن يكون أمره يعفوض الى من الله تعالى لفصل
 ما بينى وبينكم بأن نزل عليكم ذلك عقب استعجالكم بقوله كم متى هذا الوعد واسترحمت (والله أعلم
 بالظالمين) أى أعلم بحال المتركين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج فوقع بالنضر بن
 الحرث العذاب الذى سأل فقتل صبراً يوم بدر (وعنده مفاتيح الغيب) أى علم الغيب لأن المفاتيح هى التى
 يتوصل بها الى ما فى الخزائن فمن علم كيف يفتحها ويتوصل بها الى ما فيها فهو عالم بالمعنى وعنده تعالى
 خاصة خزائن الغيب أى قدرة كاملة على كل المسككات من المطر والنبات والثمار ونزول العذاب (لا يعلمها
 الا هو) أى لا يعلم مفاتيح الغيب بنزول العذاب الذى تستعجلون به الا هو فالعذاب ليس مقدور الى حتى
 أن يجعلكم ولا معلوماً الى حتى أخبركم بوقت نزوله بل هو ما يختص به تعالى قدرة وعلماً (ويعلم ما فى البر
 والبحر) من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وانما قدم ذكر البر
 لأن الانسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال والحيوان
 والنبات والمعادن وأما البحر فانهما أحرز كره لان احاطة العقل بأحواله أقل لكن الحس يدل على ان
 عجائب البحر أكثر وأجناس المخوقات أعجب وإن طول البحر وعرضه أعظم (وماتسقط من ورقة)
 من الشجر والنجم (لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) أى وما
 حبة ملقاة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس من كل شئ الا فى علم الله تعالى فاذا سمع الانسان ان الحبة
 الصغيرة الملقاة فى مواضع متسعة يبقى أكبر الاجسام تحقيقاً فيها وان الما هو الثابت والحى وخلافها لا تخرج
 عن علم الله تعالى صارت هذه الامثلة منبهة على معنى قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقيل
 والمراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ انما كتب هذه الاحوال فى اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على
 نفاذ علم الله تعالى فى المعلومات فيكون فى ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
 به ما يحدث فى صحيفة هذا العالم فيجدونه موافقاً له (وهو الذى يتوفىكم بالليل) أى يفتيككم فى الليل وانما
 ضم اطلاق لفظ الوفاة على النوم لأن ظاهر الجسد صار معطلاً عن بعض الاعمال عند النوم كما ان جملة
 البدن صارت معطلة عن كل الاعمال عند الموت فحصل بين النوم والموت مشابهة من هذا الاعتبار (ويعلم
 ما جرحتم بالنهار) أى يعلم ما كسبتم من أهمال الجوارح فى النهار (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم فى

النهار (ليقضى أجل مسمى) أى لىكى يتم أجل معين عند الله لىكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتجاوز أحد ما عين له طرفه عين (ثم اليه مرجعكم) أى رجوعكم بالوت (ثم ينشحكم عما كنتم تعملون) أى ينحصركم بمجازاة أعمالكم التى كنتم تعملون فى الليل والنهار من الخير والشر (وهو القاهر فوق عبادته) أى وهو الغالب المتصرف فى أمور عباده يفعل بهم ما يشاء إيجاز أو أهدأ ما وادى ما مائة وأثابة وتعذيبا إلى غير ذلك فإلهكم كان كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة تحت تسخير الله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) أى ملائكة يحفظون أعمالكم ويكتبونها فى صحائف تقرأ عليكم يوم القيامة على رؤس الشهاد (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) أى حتى إذا انتهت مدة أحدكم وانتهى حفظ الحفظة وجاءه أسباب الموت قبضه ملك الموت بأعوانه (وهم) أى هؤلاء الرسل (لا يفرطون) أى لا يؤخرون الميت طرفه عين وقرئ يسكون الغاء أى لا يجاوزون ما حدد لهم زيادة أو نقصان (ثم ردوا إلى الله) أى ثم رد جميع البشر بعد البعث بالحشر إلى حكم الله وجزائه فى موقف الحساب وقيل المعنى ثم رد أولئك الملائكة فأنهم يعنون كيعون بنو آدم (مولاهم الحق) أى مالكمهم الذى لا يقضى إلا بالعدل (ألا له الحكم) يومئذ صورة ومعنى (وهو أسرع الحاسمين) بحاسب جميع الخلائق فى أقصر زمان لا يشغله كلام عن كلام ولا حساب عن حساب وفى الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة أى وذلك لأنه تعالى لا يحتاج إلى فكر وعد (قل) يا كرم الخلق لكفار مكة (من ينحيككم من ظلمات البر والبحر) أى من شدائد هما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش العقول (تدعونه) والضمير عائذ لمن وهذه الجملة فى محل نصب على الحال إمام من مفعول ينحيككم أى من ينحيككم منها دأ عين إياه وإمام من ذاعله أى من ينحيككم منها مدعو من جهنكم (تضرعوا وخفية) أى تدعونه دعاء إعلان وإخفاء أو تدعونه متضرعين ومختصين بقلوبكم قائلين (لئن أنجيتننا من هذه) أى الأهوال والشدائد (لنكونن من الشاكرين) أى من المؤمنين المداومين على الشكر لاجل هذه النعمة وقرأ أصم فى رواية أبى بكر خفية بكسر الحاء والباقون بالضم وعلى هذا الاختلاف فى سورة الاعراف وقرأ الأعمش وخيفة بكسر الحاء فبعد اليا الساكنة من الخوف أى مستكينا أو دعاء خوف والآية تدل على أن الإنسان يأتى عند حصول الشدائد بأمر أو أدها الله أو ثابته بالتضرع وثالثها الإخلاص بالقلب وهو المراد من قوله وخيفة ورابعها التزام الشدائد بالشكر وهو المراد من قوله لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين وقرأ أصم وحزرة والكسافى لئن أنجيتنا على المغاية وينحيككم بالتشديد فى الموضعين والباقون لئن أنجيتنا على الخطاب وينحيككم بالتشديد والتخفيف وحجة من قرأ على المغاية أن ما قبل لفظ أنجيتنا وهو تدعونه وما بعده وهو قل الله ينحيككم منها مذكور لفظا المقايمة لاحتاج فى هذه القراءة على إضمار فتقولون فلا ضمير خلافا للأصل وحجة من قرأ على مخاطبة قوته تعالى فى آية أخرى لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين (قل الله ينحيككم منها) أى الله وحده ينحيككم من شدائد البر والبحر (ومن كل كرب) أى غم سوى ذلك (ثم أنتم) يا أهل مكة بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة (تشركون) بعبادته تعالى غيره الذى عرفتم أنه لا يضر ولا ينفع ولا تفنون بعهدكم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كالمطر كما فعل بقوم نوح والحجارة كما رمى بها أصحاب القيل وقوم لوط والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على قوم صالح والريح كما فى قوم هود (أو من تحت أرجلكم) كالزحقة وغرق فرعون وخسف قارون (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) أى يخلط أسركم خلط اضطراب

• جعلكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى كل فرقة متتابعة لا مام فاذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً
 (انظر كيف تصرف الآيات) أي نكرها متغيرة من حال الى حال (العلوم يفقهون) أي كى يفقهوا
 على جليلة الامر فيرجعوا عما هم عليه من العناد (وكذب به قومك وهو الحق) أي وكذبوا بالعذاب
 والحال انه الواقع لا بد وان ينزل بهم أو المعنى وكذب قريش بالقرآن وهو الكتاب السابق في كل مناطق
 يوفى كونه منزلاً من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي قل يا أكرم الرسل هؤلاء المكاذبين لست
 عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما أنا منذر والله هو المجازي لكم
 بأعمالكم (تسكل بنام مستقر) أي لكل خبر يخبره الله تعالى وقت يحصل فيه من غير تأخير والمعنى لكل قول
 من الله من الوعد والوعيد استقرار حقيقة منه ما يكون في الدنيا ومنه ما يكون في الآخرة (وسوف تعملون)
 أي ولا بد ان تعملوا ان الامر كما أخذ برأيه تعالى عنه عند ظهوره (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
 فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) أي وإذا رأيت أيها السامع الذين يستهزئون بآياتنا فأتروك
 مجالسهم كي يشرعوا في حديثهم في غير آياتنا أي في غير الاستهزاء بالقرآن ونقل الواحدى ان المشركين
 كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقفوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتوا واشتهزوا فأمرهم الله
 بترك مجالسة المشركين (واما ينسبل الشيطان فلا تعد بعد الذكري من انقوم النظامين) أي وان يشغل
 الشيطان فتشغى التهي فحجاسهم فلا تعد معهم بعد تذكري التهي (وما على الذين يتقون من حسابهم من
 شيء ولكن ذكري لهم يتقون) قال ابن عباس قال السبلون ان كذا كذا الاستهزاء بالقرآن
 فناءهم لما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف بالبيت فزلت هذه الآية أي ما على الذين
 يتقون قبايح أعمال الخائضين بما يحاسبون عليه من آثامهم شيء ولكن تذكريهم عما هم عليه من
 القبايح عما أمكن من التذكير لعلهم يحششون الخوض حياءً ونحوه وقوله تعالى ذكري معطوف على محل
 شيء وهو رفع على انه مبتدأ مؤخر أو اسم ما ومن مزيدة للاستفراق ومن حسابهم حال من شيء (وذري الذين
 اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا) أي أعرض عن الذين نهروا الدين ليتوسلوا به الى أخذ
 المناسبات والزباسة مغلبة الحميم وجمع الاموال ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تقم لهم في نظركم وزناً
 وانما نهروا الدين للدنيا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا أي اطمأنوا بها لاجل استيلائها حب الدنيا على
 قلوبهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا اذا تأملت
 في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة ودخلت تحت هذه الحالة والله أعلم والمحقق في الدين
 هو الذي ينصر الدين لاجل انه قام الدليل على انه صواب (وذكريه أن تبسل نفس بما كسبت) أي
 ذكرهم بمقتضى الدين مخافة احتسابهم في نار جهنم سبب جنائياتهم لعلهم يخافون (ليس لها من دون
 الله ولي ولا شفيع) أي ليس للنفس من غير الله ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل
 لا يؤخذ بها) أي وان تعدت تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب
 الله لم تنفع (أولئك الذين أبسلوا عما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي
 أولئك المتخذون دينهم لعباً ولهواً المغترون بالحياة الدنيا هم الذين حبسوا في جهنم بما كسبوا في الدنيا
 لهم شراب من ماء مغنى يتجر جرف بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب أليم ينار تشتعل بأبدانهم بسبب
 كفرهم المستغرق في الدنيا (قل اندعوا من دون الله مالا ينفعا ولا يضرنا لو نزل على أعقابنا بعد اذ هذان الله
 أي قل يا أكرم الرسل هؤلاء المشركين الذين دعوا الى دين آبائهم كعميتهم وأصحابه أنعبدهم تجاوزين

عباد الله الجامع لجميع صفات الألوهية بما يتقدر على تفعل في الدنيا والآخرة أن عبدنا ولا على ضرنا
 فيهما إذا تركناه ورد إلى الشرك بعد أذنا الله إلى الإسلام وأنقذنا من الشرك وإنما يقال لكل من
 أعرض عن الحق إلى الباطل أنه رجع إلى خلف ورجع على عتبيه لأن الأصل في الإنسان هو الجهل ثم
 إذا تكامل حصل له العلم فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى فكأنه رجع إلى أول مرة (كالذي
 استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنان) أي فيكون مثلنا كالذي استترته
 الشياطين من الموضوع العالي إلى الوهدة السافلة العبيقة في قعر الأرض ثم أعان الجادة لا يدري ما يصنع
 وللنازل إلى الوهدة المظلمة عينيه وأصحابه رفقته وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعونه إلى الطريق
 المستقيم يقولون ائتنا إلى الجادة والغيان ينزلونه إلى السافلة المظلمة فيبقى متخيرا أين يذهب وهذا المثل في
 غاية الحسن وذلك لأن الذي يهوى من المكان العالي إلى الوهدة العبيقة يهوى إليه مع الاستدارة على نفسه
 كما أن الحجر حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة وذلك يدل على كمال التردد والتخبر فعند
 نزوله لا يعرف أنه يسقط على موضع يكثُر بلاؤه بسبب سقوطه أو يقل فإذا اعتبرت مجموع هذه الأحوال
 علمت أنت لا تجد مثالا لما نتج من التردد الخائف حسن ولا أكمل من هذا المثال (قل إن هدى الله) الذي
 هدانا إليه وهو الإسلام (هو الهدى) الكامل النافع الشر يفهمه عدم ضلال محض وغى بحت (وأمرنا
 لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوا) أي قل وأمرنا بأن نخلص العبادة لرب العالمين لأنه المستحق
 للعبادة وقل أقيموا الصلاة واتقوا الله تعالى في مخالفة أمره والمقصود من ذكر هذين النوعين من الخطاب
 تنبيه على الفرق بين حالي الكفر والإيمان فإن الكافر بعيد طاب والمؤمن قريب حاضر فيخاطب الكافر
 بخطاب الغائبين لأنه كالأجنبي الغائب فيقال له وأمرنا لنسلم لرب العالمين وإذا أسلم وأمن صار كالقريب
 الحاضر فيخاطب بخطاب الحاضرين ويقال له وأقيموا الصلاة واتقوا (وهو الذي إليه تحشرون) أي
 تجمعون يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (وهو الذي خلق السموات والأرض) وما فيهما (بالحق) أي
 قائما بالحق لا عابثا (ويوم تقول كن فيكون قوله الحق) أي وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه حين
 تعلقه به هو المعروف بالحقيقة والمراد من هذا الأمر التنبيه على نفاذ قدرته ومشيئته في تكوين الكائنات
 وهذا إيمان أن خلقه تعالى للسموات والأرض ليس عما يتوقف على مادة ولا مدة بل يتم بمحض الأمر
 التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلا والمراد بالقول كلمة كن تمثيل لأن سرعة قدرته تعالى أقبل
 زمانا من زمن النطق بكن (وله الملك يوم ينفخ في الصور) اغما أخبر الله عن ملكه يومئذ لأنه لا منازع
 له يومئذ فإن الملوك اعترفوا بأن الملك له الواحد القهار وللصور قرن ينفخ فيه أمر أقبل نفختين نفخة الصعق
 أي الموت ونفخة البعث للحساب (عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن العباد وما علمه العباد وقوله
 تعالى وله الملك يدل على كمال القدرة وقوله عالم الغيب والشهادة يدل على كمال العلم (وهو الحكيم الخبير)
 فالحكيم هو المصيب في أفعاله والخبير هو العالم بحقائق الأشياء من غير اشتباه (وأد قال إبراهيم لأبيه آزر)
 وهو في التوراة نارح فلا إبراهيم أمهات آزر ونارح بن ناحور وأعلم أن جميع نسب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مظهر من عبادة الأصنام مادام النور المحمدي في أصلابهم أما بعد انتقاله منهم فتجو زعليهم عبادة
 الأصنام وغيرها من سائر أنواع الكفر (اتخذ أصناما آلهة) أي أن جعل لنفسك أصناما آلهة فتعبد
 أصناما شتى صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى (إني أراك وقومك في ضلال مبين) أي إني أراك يا أبا ت وقومك
 في ضلال عن الحق بين في الاتفاق على عبادة الأصنام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض

وليكون من الموقنين) أى كما أرى إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف ما كان قومه عليه من عبادة الأصنام نرية ملكوت السموات والأرض من وقت طفولته ليراهن في توسلهم إلى معرفة جلال الله تعالى وقدره وعظمته ولا يصير زمان بلوغه من البالغين درجة عين اليقين من معرفته تعالى لأن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذرات والصفات فهي غير متناهية من جهات دلالتها على الذرات والصفات كما نقل عن إمام الحرمين أنه يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات غير متناهية أيضاً وذلك لأن الجوهر الفردي يمكن وقوعه في أحيان لانهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لانهاية لها على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله وقدرته وإذا كان الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى على سمات عظمت وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لانهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال بحيث لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بان يحصل بعضها عقب بعض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله نهاية وأما السفر في الله فإنه لانهاية لله وأعلم (فما جنى) أى أعلم (عليه الليل) في السرب (رأى كوكبا) وهي الزهرة وهي في السماء الثالثة (قال هذاري) بجوار أمع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب (فلما أفل) أى غرب (قال لا أحب الآفلين) أى لا أحب الأرباب المتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالاستتار (فلما رأى القمر بازخا) أى مبتدئاً في الطلوع أثر غروب الكواكب (قال هذاري) هذا أكبر من الأول حكاية لقول الخصم الذين يعبدون الكواكب (فلما أفل قال لن لم يهدني ربى) إلى حضرة الحق (لا كون من القوم الضالين) فإن شيئاً عماريته لا يليق بالربوبية (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة في الطلوع (قال هذاري هذا أكبر) من الأول والثاني (فلما أفلت) أى هي (قال) مخاطباً لكل صاها بالحق بينهم (يا قوم انى برى) عما تتركون بالله من الاجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان وهو غروذين كنعان رأى رؤيا كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق له أضواء وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام يرازعه في ملكه فامر ذلك الملك ببيع كل غلام يولد في هذه السنة فقبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت إلى كهف ووضعت إبراهيم فيه وسدت الباب بحجر فخاف جبريل عليه السلام ووضع أصبعه في فيه فنهض فخرج منه رزقه وكان يتعهد جبريل عليه السلام فسكنت الأم تأنيه أحياناً وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف أنه رافضال الأم فقال لها من ربى فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك فلما أتاه أبوه أزر فقال يا أبتاه من ربى قال أمك قال من رب أمى قال أنا قال من ربك قال ملك البلد غروذين وعرف إبراهيم جهلها وبرها فلما جنى عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئاً يستدل به على وجود الرب تعالى فرأى النجم الذى هو أضواء النجوم في السماء فقال هذاري إلى آخر القصة وما تبرا إبراهيم من المشركين توجهه إلى مشي هذه المصنوعات فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) أى انى وجهت طاعتى وصرفت وجه قلبى للذى أخرج السموات والأرض إلى الوجود (حنيفاً) أى ما لا عن كل معبود دون الله تعالى (وما أنا من المشركين) فى شئ من الأفعال والأقوال (وحاجه قومه) أى خاصه قومه فى آلهتهم وخوفهم بها روى أنه لما شب إبراهيم جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها ليلبيعها فيذهب بها وينادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريه أحد فآزر باءت عليه ذهبها إلى نهر وضرب فيه رؤسها وقال

لها شربى يستهزأ به ومحتى قساقيهم يستهزأونهم فقالوا له احذر الا صنام فان الخاف ان عسل يجذب أو
 جئون بعيبك اياها فذلك قوله تعالى وحاجه قومه (قال) أى ابراهيم لهم (أحتاجونى فى الله) أى
 أحتاجوننى فى وحدانية الله (وقد هذان) لديه فكيف التفت الى حجتكم العلية فكأنكم الباطلة
 (ولا أخاف ما تركزون به) من الأصنام لان الحقوق انما يحصل عن يقدر على النفع والضرر ولا صنام
 جادات لا قدرة لها على النفع والضرر فكيف يحصل الخوف منها (الا أن يشاء ربى شياً) أى لا أخاف
 معبوداتكم فى وقت قط لانها لا تدر على منفعة ولا مضرة الا أن يشاء ربى شيئاً من المكره يصيبنى من
 جهتها بل أن يجيبها ويذكرها من ايصال المنفعة والمضرة الى أول من تزع العرق من قلبى فأخافى شئاً لا تخافون
 (وسمع ربى كل شىء معلماً) فانه علام الغيوب فلا يفعل الا الصلاح والحكمة فيستدير أن يحدث من مكره
 الدنيا فذلك لانه تعالى عرف وجه الصلاح والخير فيه لا لاجل انه عقوبة على الظن فى الهبة الاصنام
 (أفلا تتذكرون) ان نبي الشركاء عن الله تعالى لا يرجب زول العذاب وانبات التوجيه له تعالى لا يوجب
 استهزاء العباد أو المعنى أن تعرضون عن التأمل فى أن آلهتكم جادات لا تضر ولا تنفع فلا
 تتذكرون أنها غير قادرة ولا تتعظون فيما أقول لكم من النبى (وكيف أخاف ما أضركم ولا تخافون
 أنكم أضركم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) أى وكيف أخاف الأصنام التى لا قدرة لها على النفع والضرر
 وأنتم لا تخافون من الله أضرركم بالله ما يتع حصول الحجة فيه أو ما لم يرد الله فيه أى وكيف أخاف أنا
 ما ليس فى حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون عائلة ما هو أعظم المخوفات وهو أضرركم بالله اننى لا يماثل
 ذاته وصفاته شىء فى الارض ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته (فأى الفريقين أحق بالامن) أى
 ما لكم تشكرون على الامن فى موضع الامن ولا تتذكرون على أنفسكم الامن فى موضع الخوف فأى
 الفريقين من الموحدين والمشركين أحق بالامن من معبود أحد الفريقين (ان كنتم تعلمون) من
 أحق بذلك فأخبروني فلم يجيبوا فأجاب الله ما سأل عنهم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
 أولئك لهم الامن) أى الفريق الذين آمنوا ولم يخطئوا ايمانهم شركاً ان لم يشركوا الله شريكاً فى العبودية
 أولئك لهم الامن من العذاب (وهم مهتدون) الى الصواب ومن عداهم فى ضلال ظاهراً والله تعالى
 شرط فى الايمان الموجب بالامن عدم الظلم أى عدم التفاق بالايان وأما الفاسق فهو مؤمن فوعيد
 الفاسق من أهل الصلوة يتمثل أن يعذبه الله وأن يعفو عنه فالامن زائل والخوف حاصل فلم يلزم من عدم
 الامن القطع بمحصل العذاب والله أعلم (وتلك) أى ما احتج به ابراهيم على قومه (بجنتنا آتيناها)
 أى آلهتناها (ابراهيم على قومه) متعلق بجنتنا (نرفع درجات من نشاء) قرأ عاصم وحزرة
 والسكاكى بغير اضافة أى رفع من تشاء رفعه فى رتب عظمة عالية من العلم والحكمة والمنزلة وقرأ الباقر
 بالاضافة (ان ربك) يا أكرم الرسل (حكيم) فى كل ما فعل من رفع وخفض (عليم) بحال من
 يرفعه أى ان الله يرفع درجات من يشاء بمقتضى حكمته وعلمه فان أفعاله تعالى منزعة عن العيب (وهيئنا
 له) أى لابراهيم لصلبه (اصحق ويعقوب) من اصحق (كلا هدينا) أى كل واحد من ابراهيم واصحق
 ويعقوب أرشدنا الى النبوة والرسالة (ونوحاً هدينا من قبل) أى من قبل ابراهيم (ومن ذريته) أى
 وهدينا من ذريته نوح (داود وسليمان وإيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن احمق (ويوسف
 وموسى وهرون) وكذلك تجزى المحسنين) أى وتجزى المحسنين المذكورين جزاء كأننا مثل ذلك الجزاء
 على احسانهم وهو الايمان بالاعمال الحسنة على حسن الوصفى المقارن لحسنها الذى وقد فسر النبي صلى

الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبدوا الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وزكريا) ابن اذن
(ويحيى) ابنه (وعيسى) بن مريم بنت عمران (والياس) بن ياسين بن فحاص بن عيزار بن
هرون بن عمران (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من السالكين
في الصلاح وهو الايمان بآياته وفى التحرر عما لا ينفع (واسماعيل) بن ابراهيم (واليسع) بن أخطوب
ابن الهوز قرأ حزة والكسافى واليسع بتشديد اللام وسكون الياء والباقون واليسع بلام واحدة
ساكنة ويقعح الياء (ويونس) بن متى (ولوطا) بن هاران أخى ابراهيم (وكلا) من هؤلاء
الانبياء (فضلنا على العالمين) فهم يفضلون على الملائكة والاولياء واعلم ان الله تعالى
خص كل طائفة من الانبياء بنوع من الكرامة والفضل فمنهم أصول الانبياء واليههم يرجع
حسبهم جميعا وهى نوح و ابراهيم واسحق ويعقوب ثم المراتب المتعبرة عند جهنم والخلق بعد النبوة
الملك والسلطان والقدر وقد أعطى الله داود وسليمان من هذا الباب نصيبا عظيما ثم المرتبة
الثالثة البلاء الشديد والمحنة العظيمة وقد خص الله أيوب بهذه الخاصية والمرتبة الرابعة من كان
مستجيبا لها تين الحاليتين وهو يوسف فإنه نال البلاء الكثير فى أول الامر ثم أعطاه الله النبوة ثم
ملك مصر والمرتبة الخامسة من فضائل الانبياء قوة المهجرات وكثرة البراهين والمهابة العظيمة والاصولة
الشديدة وذلك فى حق موسى وهرون والمرتبة السادسة الزهد الشديد والاعراض عن الدنيا وترك مخالطة
الخلق وذلك كفى حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين ثم
ذكر الله بعد هؤلاء من لم يبق له فيما بين الخلق اتباع وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط والله أعلم
(ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم) وهذا الماعطف على كلاً فالعامل فيه فضله من تبعه فضيلة أو على نوحا
فالعامل فيه هدينا ومن ابتدأه بالمفعول محذوف أى هدينا بالنبوة والاسلام من آباؤهم جماعات
كثيرة آدم وشيث وادريس وهود وصالح ومن ذرياتهم جماعات كثيرة وأولاد يعقوب ومن أخوانهم
جماعات اخوة يوسف (واجتنبناهم) أى اصطفياناهم بالنبوة والرسالة (وهديناهم الى صراط
مستقيم) أى الى معرفة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشرك (ذلك) أى معرفة الله بوحدة ذاته
(هدى الله) أى دين الله فان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى (يهدى به من يشاء من عباده) وهم
المستعدون الهداية فى الارشاد (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء
لحبط عنهم مع فضلهم وعلو درجاتهم أعمالهم المرضية وعبادتهم الصالحة فليكن بمن عداهم والمقصود من
هذا الكلام تقرير التوحيد وإبطال طريقة الشرك (أولئك) أى الانبياء الثمانية عشر (الذين
آتيناهم الكتاب) أى أعطيناهم فهما تاما لما فى الكتاب وعلمناهم بآمراره (والحكم) فان الله
تعالى جعلهم حكما على الناس نافذى الحكم فيهم بحسب الظاهر (والنبوة) فبقدر درونهم على
التصرف فى ظواهر الخلق كالسلطين وفى بواطنهم ذرارهم كأنهماء (فان يكفر بها) أى بهذه
الثلاثة (هؤلاء) أى كفار قريش (فقد كذبوا) أى ونفينا الايمان بها والقيام بحقوقها (قوما
ليسوا بها بكافرين) أى بجاحدين فى وقت من الاوقات وهم الانصار وأهل المدينة (أولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده) أى أولئك الذين قصصناهم من النبيين هداهم الله بالاخلاق الحسنى فبأخلاقهم
الشريفة اقتده واستدل بهذه الآية بعض العلماء على ان محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع
الانبياء وذلك لان جميع الصفات الحميدة كانت متفرقة فيهم فأمر الله تعالى رسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه

وسلم أن يقتدى بهم بأمرهم في جميع صفات الكمال التي كانت متفرقة فيهم فيلزم أنه صلى الله عليه وسلم حصلها ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بكنيتهم فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل بمجاعة في الله تعالى وكان اسحق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة وكان أيوب صاحب صبر على البلاء وكان يوسف جامع بين الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تفرغ (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (لأنسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) من جهنكم (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أي ما القرآن إلا عظة للجن والانس من جهنمه تعالى (وما قدره الله حق قدره) أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) روى أن مالا ابن الصيف وهو من أحبار اليهود رؤسائهم جاء في مكة بمخاصم النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلا معينا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يفض الخمر السمين فقال نعم وكان يجب إخفاء ذلك لكن أقر لأقسام النبي عليه فقال له النبي أنت جبريتم وقد سمعت من الأنبياء التي تطعمكم اليهود فضحك القوم فغضب مالك بن الصيف ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمع قومه تلك المقالة قالوا والله هذا الذي بلغنا عنك أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبني محمد فقاتله فقالوا أنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الجبرية وعن رياستهم لاجل هذا الكلام وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) أي حال كون الكتاب ظاهرا جليا في نفسه وهاديا للناس من الضلالة (تجمع لونه قراطيس تبدونهم أو تحفون كثيرا) أي تضعون الكتاب في ورفات مفرقة لجلوه أجزاءه بخونيف وثمانين جزءا فلو ذلك ليمكنوا من إخفاء من أرادوا إخفاءه فجمع لون ما يريدون إخفاءه على حدة ليمكنوا من إخفاءه قرأ ابن كثير وأبو حمزة وبياه الغيبة في الأفعال الثلاثة والباقيون يتساءلون الخطاب (وعلمتم) أي اليهود من الأحكام وغيرها (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل نزول التوراة وقيل المراد من قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمحمد واليهود قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم كانوا يرون تلك الآيات وما كانوا يسمعون معانيها فلما بعث الله محمدا أظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه صلى الله عليه وسلم (قل الله) أي قل يا أكرم الرسل أنزل لهذا الكتاب هو الله تعالى (ثم نذرهم في خوهم يلعبون) أي ثم أتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يسخرون فأنزل إذا أتت الحق لم يبق عليك من أمرهم شيء البتة (وهذا كتاب أنزلناه) أي وهذا القرآن كتاب أنزلناه بالوحي على لسان جبريل (مبارك) أي كثير خيره دائم منفعة يبشر بالغفرة ويرزق عن العصية (مصدق الذي بين يديه) أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد وتنزيهه والدلالة على البشارة والنذارة (ولنتذرا أم القرى) قرأ شعبة لينذر على الغيبة أي لينذر الكتاب والباقيون ولنتذرا بالخطاب أي ولنتذرا بأكرم الرسل أهل مكة مهيت أم القرى لأنها قبل أهل الدنيا ولائها موضع الحج وهي من أصول عبادة أهل الدنيا فيجتمع الخلق إليها كاجتماع الأولاد إلى الأم فلما اجتمع أهل الدنيا فيها بسبب الحج فيلزم أن يحصل فيها أنواع التجارات

وهي من أصول المعيشة فلهذا السبب هبت مكة أم القرى (ومن حولها) أي من أهل جميع بلاد العالم
(والذين يؤمنون بالآخرة) أي بالوعد والوعيد والنواب والعقاب (يؤمنون به) أي بالكتاب (وهم
على صلاتهم يحافظون) فإن الإيمان بالآخرة يحمل على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على
الحفاظ على الصلاة وتخصيصها بالذكرا لأنها أثرف العبادات بعد الإيمان بالله فلم يقع اسم الإيمان على
شي من العبادات الظاهرة إلا على الصلاة قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم ولم يقع
اسم الكفر على شيء من المعاصي إلا على ترك الصلاة قال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد
كفر (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) نزل هذا في مسيلة الكذاب صاحب الإمامة وفي الأسود
العنسي صاحب صنعاء فانهما كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله تعالى على سبيل الكذب (أو قال
أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) روى ابن عبد الله بن سعد بن أبي مروح كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يزل قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أم لا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يبلغ قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتماركة الله أحسن
الخلقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت الآية أكتبها كذلك فسل عبد الله وقال إن كان محمد
صادقا فقد أوحى إلى مثل ما أوحى إليه فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك إلى الإسلام
فأسلم قبل فتحهم مكة حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبر الظهران (ومن قال سائر مثل ما أنزل الله)
كما ادعى النضر بن الحرث معارضة القرآن فانه قال في شأن القرآن انه من أساطير الأولين وكل واحد
يمكنه الاتيان بمثله وقال لونساه لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى
على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في
غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
عني الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) أي ولو ترى يا أمرف الخلق الظالمين وقت كونهم
في شدائد الموت في الدنيا والملائكة باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من
هذه الشدائد وخلصوها من هذه الآلام هذا الوقت تجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد بسبب
الافتراء على الله والتكبر على آيات الله رأيت أمرا فظعا أو المعنى ولو ترى الظالمين اذا صاروا إلى أنواع
الشدائد والتعذيبات في الآخرة فادخلوا جهنم والملائكة باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب مبكئين لهم
قائلين أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الشديد هذا الوقت تجزون العذاب المشغل لأهانة بسبب
كونكم قائلين قولا غير الحق وكونكم مستكبرين عن الإيمان بآيات الله رأيت أمرا عظيما (ولقد
جئتمونا) للحساب (فرادى) عن الأهل والمال والجاه (كما خلقناكم أولا مرة) أي مشبهين
ابتداء خلقكم حفاة عرا غرلاب - ما أي ليس معهم شيء (وتركتم) بغير اختياركم (ماخولناكم) أي
أعطيناكم من الأموال (وراء ظهوركم) في الدنيا اما اذا صرف الأموال إلى الجهات الموجبة لتعظيم
أمر الله وللتفقه على خلق الله فمات كهؤلاء اظهروا بل قدمها لتلقا وجهه (وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي وما نرى معكم أصنامكم التي زعمتم انها شركاء الله في استحقاق عبادتكم
(نقد تقطع بينكم) قرأنا من عندهم والكسافي بالنصب أي لقد تقطع الشراكة بينكم
والباقيون بالرفع أي لقد تقطع وصلكم فالذين اسم يستعمل للوصل والفراق فهو مشترك بينهما كالجنون
الأسود والابيض (وضل) أي ضاع (عنكم ما كنتم تزعمون) ان الأصنام شفعاءكم (ان الله

فألق الحب) أى شاق جميع المحبوب من الخنطة وغيرها (والنوى) وهى التى فى داخل الغمار أى
 فاذا وقعت الحبة أو النواة فى الأرض الرطبة ثم مر عليها ماء أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة من
 أعلاها شاة من أسفلها شاة آخر فيخرج من الحبة ورق أخضر ومن النواة شجرة صاعدة فى الهواء
 ويخرج منها عروق هابطة فى الأرض (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى يخرج من
 النطفة بشر أحياء ومن البيضضة فروا حية ومن الحب اليابس نباتا غضافا ومن الكافور مؤمنا ومن العاصى
 مطعنا وبالعكس (ذلكم الله فأنى توفىكون) أى ذلكم الله لمدير الخلق النافع الضار المحيى المميت
 فمن ين تكذبون فى إثبات القول بعبادة الأصنام وقيل المراد الانكار على تكذيبهم بالحشر والشهر
 فالعنى أنكم لما شاهدتم أنه تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ثم شاهدتم أنه تعالى
 أخرج البدن الحى من النطفة الميتة مرة واحدة فكيف تستبعدون أن يخرج البدن الحى من ميت
 القرب الرميم مرة أخرى (فألق الأصباح) أى فألق ظلمة الأصباح بنور الأصباح وذلك لأن
 الأفق من الجانب الغربى والشمالى والجنوبى ملأ من الظلمة وانما ظهر النور فى الجانب الشرقى
 فكان الأفق كأنه ملأ من الظلمة ثم أنه تعالى شق ذلك البحر المظلم بأن أجرى جودا من
 النور فيه (وجعل الليل سكا) أى يستريح فيه الخلق من التعب الحاصل فى النهار قرأناهم وحمة
 والكسالى على صيغة الماضى والباقون على صيغة ماضى الفاعل (والشمس والقمر حسباناً) أى
 قدر الله تعالى حركة مدار معين من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة فى سنة وقد حركه القمر بحيث يتم
 الدورة فى شهر وهذه المقادير تتنظم مصالح العالم فى الفصول الأربعة وبسببها يحصل ما يحتاج اليه من
 فسخ الثمار وحصول الفترات (ذلك تقدير العزيز العليم) أى حصول هذه الأحوال لا يمكن إلا بقدرته
 كاملة متعاقبة بجميع المسكنات وبعلم نافذ فى جميع العلومات من الكميات والحزنيات فليس حصول
 حركات اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة بالطبع وانما هو بتخصيص الفاعل المختار (وهو الذى جعل
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى وهو الذى خلق لكم النجوم لاستدراككم بها فى
 مشتهات الطرق اذا سافرتم فى بر أو بحر ولا استدراككم بها على معرفة القبلة وعلى معرفة أوقات الصلاة
 (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) أى قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا وحداثتنا لنعلمهم يتألمون
 فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب أى فان هذه النجوم كما يستدل بها على
 الطرق فى ظلمات البر والبحر فكذلك يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه (وهو
 الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى الذى خلقكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام (فستقر
 ومستودع) قرأ ابن كثير وأبو عمرو فمستقر بكسر القافى والباقون يفتحها وأمام مستودع فهو بفتح
 الدال لا غير فالعنى على الأول أنكم مستقر ومنكم شئ مستودع فى الصلب وهو النطفة وعلى الثانى
 فليسكن مكان استقرار وهو الارحام ومكان استيداع وهو نفس الاصلاب والفرق بين المستقر والمستودع
 ان المستقر ما لم يكن على قرب الزوال والمستودع ما كان على قرب الزوال فان النطفة تبقى فى صلب الاب
 زمانا نصيرا والجنين يبقى فى رحم الام زمانا طويلا ولما كان المكث فى بطن الام أكثر من المكث فى صلب
 الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وقيل ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم
 الام لان النطفة حصلت فى صلب الاب قبل حصولها فى رحم الام فحصلت النطفة فى الرحم من فعل الرجل
 مشبهة بالوديعة وحصولها فى الصلب لا من جهة الغير وقال أبو مسلم الأصمى أن تقدير الآية هو الذى

أنشأكم من نفس واحدة فأنكم ذكر ومنكم أنثى وانما عبر عن الذكر بالمستقر لان النطفة انما تنشأ في
 صلبه وتستقر فيه وانما عبر عن الانثى المستودع لان رحمها شبه بالمستودع لتلك النطفة (قد فصلنا
 الآيات) أي قد بينا العلامات الدالة على قدرتنا من تفاصيل خلق البشر (لقوم يفقهون) أي يدقون
 النظر فان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة الطف صنعة وان الاستدلال
 بالنفس أدق من الاستدلال بالنجوم في الآفاق لظهورها (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي وهو
 الله الذي خلق هذه الاجسام في السماء ثم ينزلها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض (فأخرجنا
 به) أي بسبب الماء (نبات كل شيء) من الاشياء التي تنمو من أنواع النجس والشجر (فأخرجنا
 منه) أي النباتات (خضرا) أي زرها والمراد من هذا الخضرة العود الاخضر الذي يخرج أولا في القمح
 والشعير والذرة والارز ويكون السنبل في أعلاه (فخرج منه) أي من ذلك الخضرة (حبامرا كبا)
 بعضها على بعض في سنبلة واحدة (ومن النخل من طلعها) أي كبرائها قبل أن ينشق عن الاغريض
 (قنوان) أي عراجين نزلت من الطلع (دانية) أي قريبة من القاطف يناله القاطم والقاعد (وجنات
 من أعناب) قرأها هم بالرفع وهي قراءة على أي ومن الكرم جنات من أعناب والباقيون بالنصب والتقدير
 وأخرجنا بالماء بساقين من أعناب (والزيتون والرمان) أي شجرهما والاحسن أن ينتصباعلى
 الاختصاص لعز هذين الصنفين عندهم (مستهم او غير متشابه) أي ان هذه الفواكه قد تكون
 متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم والذوق وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع
 أنها تكون متشابهة في الطعم والذوق وايضا بعض حبات العنود من العنب متشابهة وبعضها غير متشابهة
 فأنزل اذا أخذت العنود ترى جميع حباته نضجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة منها بقيت على أول
 حالها من الخضرة والجودة والعفوسة (انظروا) أي المخاطبون نظرا اعتبارا (الى ثمره) أي ثمر كل
 واحد مما ذكر قرأ حمزوا والكسائي بضم الثاء والميم وقرأ أبو عمرو وبضم الثاء وسكون الميم والباقيون بفتح
 الثاء والميم (اذا أثمر) أي اذا خرج ثمره فتجدوه متشابها لا يكاد ينتفع به (وبنعه) أي وانظروا الى
 حال نضجه وكما له فتجدوه قد سارقوا باجماعا لانهم جميعا (ان في ذلكم) أي في اختلاف الالوان وهو
 ما أمر بالنظر اليه (الآيات) أي عظيمة دالة على وجود القادر الحكيم ووجدته (لقوم يؤمنون) أي
 لمن سبق في حقه قضاء الله بالايان فأما من سبق له قضاء الله بالكفر لم ينتفع بهذه الدلالة البتة أصلا
 (وجعلوا لله شركاء الجن) أي قال المجوس ان الله تعالى وابليس اخوان شريكان فانه تعالى خالق
 الناس والذواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وقالوا كل ما في هذا العالم من
 الخيرات فهو من رزاق جميع ما فيه من الشرور فهو من أمرهم وهو المسمى بابليس في شرعنا (وخلقهم)
 أي وقد علموا ان الله خلقهم فان أكثر المجوس معترفون بأن ابليس ليس بقديم بل هو حادث وانما كان
 ابليس أصلا لجمع الشرور والآفات والفساد والقبائح وقد سألوا أن الله العالم هو الخالق لما هو أصل
 الشرور والقبائح والفساد ثم ان في المجوس من يقول أنه تعالى تفكر في ملكه نفسه واستعظمها فخلع
 نوع من العجب فنشأ الشيطان عن ذلك العجب ومنهم من يقول أشك في قدرته نفسه فنشأ من شك الشيطان
 فهو لا معترفون بأن أمرهم محدث وان محدثه هو الله تعالى فقوله تعالى وخلقهم إشارة الى هذا المعنى
 والضمير عائد الى الجن (وخرقوا نهدين وبنات بغير علم) قرأنا فخرقوا بشدة الراء والجمه ور بفتح فيهما
 وقرأ ابن عباس بالحاء المهملة والغاء وتخفيف الزاء وابن جرير كذلك الا أنه شدد الراء أي كذبوا في الله حيث

وصفة والله تعالى بثبوت البنين والبنات مصاحبين لجهل حقيقة ما وصفوه فالذين أثبتوا البنين النصارى وقوم من اليهود حيث قال النصارى المسيح ابن الله واليهود عزير بن الله والذين أثبتوا البنات العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله فلو عرفوا أن الله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته لا تمتنعوا أن يثبتوا له تعالى البنين والبنات فإن الولد دال على كونه منفصلا من جزء من أجزاء الوالد وذلك انما يكون في مركب يمكن انفصال بعض أجزائه وذلك في حق الفرد الواجب لذاته محال فمن عرف حقيقة الله استحال أن يقول له تعالى ولد (سبحانه) نزه الله ذاته بنفسه عما لا يليق به (وتعالى) أى تقديس (عما يصغون) بأن له تعالى شريكا وولدا فالتسبيح يرجع الى قول المسيح والتعالى يرجع الى صفته الذاتية التي حصلت له تعالى سواء سبجه تعالى مسج أم لا (يدع السموات والارض) والمعنى أن الله تعالى أخرج عيسى الى الوجود من غير سبق الاب والنطفة كإلانه تعالى خلق السموات والارض من غير سبق مادة رمدة فلو لم من مجرد كونه تعالى مبدعا لأحداث عيسى كونه تعالى والد له عليه السلام لزم من كونه تعالى مبدعا للسموات والارض كونه تعالى والد الله ما وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه تعالى مبدعا لعيسى لا يقتضى كونه والد له (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له تعالى ولد والحال ليس له زوجة أى لأن الولد لا يصح إلا بمن كانت له زوجة وشهوة وينفصل عنه جزء ويحتبس ذلك الجزء فى باطن تلك الزوجة وهذه الأحوال انما تثبت فى حق الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والله هو واللذة وكل ذلك محال على خالق العالم (وخلق كل شيء) أى من أين يكون له ولد والحال أنه تعالى خلق جميع الاشياء فان تحصيل الولد بطريق الولادة انما يصح فى حق من لا يدر على التكوين دفعة واحدة فمن كان قادرا على تكوين كل المحدثات فاذا أراد أحداث شيئا قال له كن فيكون ومن كان صفته هكذا امتنع منه أحداث مخصص بطريق الولادة (وهو بكل شيء عليم) أى فان علم الله ان فى تحصيل الولد فعالة تعالى وكلا وجب حصول الولادة قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد أزليا رزقا محال وان علم انه ليس له تعالى فى تحصيل الولد ازدياد مرتبة فى الالهية ولا كمال حال فيه ارجح ان لا يجد ثمة البتة فى وقت من الاوقات وأيضا الولد المعتاد انما يحدث بقضاء الشهوة وهو يوجب اللذة وهى مطلوبة لذاتها فوجب ان يعلم الله ان تحصيل تلك اللذة يدعو الى تحصيلها قبل ذلك الوقت فوجب ان يحصل تلك اللذة فى الازل فلم يزل كون الولد أزليا وذلك محال فثبت عدم صحة الولد عليه تعالى (ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) واسم الإشارة راجع الى الاله الموصوف بما تقدم من الصفات واسم الجلالة خبر أول ربكم خبر ثان لاله الا هو خبر ثالث خالق كل شيء خبر رابع والفاء فى قوله فاعبدوه لمجرد السببية من غير عطف أى ثبت ان الاله العالم فرد صمد متزه عن الشريك والظير والضد والاولاد وذلك الجامع لهذه الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة مالك أمركم لا شريك له فى ذلك خالق ما كان وما يكون فاعبدوه ولا تعبدوا أحدا غيره وللعلماء فى اثبات التوحيد طرق كثيرة ومن حملها هذه الطريقة وتقريرها من وجوه الاقول ان يقال الصانع الواحد كافى كونه الها للعالم ومدبره وما زاد على الواحد فافقوله فيه مستكفى لانه لم يدل الدليل على ثبوته لانه يلزم اما اثبات آلهة لانهاية لها وهو محال أو اثبات عدد معين مع انه ليس ذلك العدد أولى من سائر الأعداد وهو محال أيضا وإذا كان القسمان باطلين لم يبق الا القول بالتوحيد والثانى ان يقال ان الاله القادر على كل الممكنات العالم بكل المعلومات كافى فى تدبير العالم فلو قررنا اننا ناهى ان يكون فاعلا ولا فان كان

فاعلا صار ما نعالله آخر عن تحصيل مقدوره وذلك يوجب كون كل واحد منهم سببا للآخر وهو محال
وان لم يكن فاعلا كان ناقصا معطلا وذلك لا يصلح للالهية والثلث ان يقال ان الاله الواحد لا بد وان
يكون كاملا في صفات الالهية فلو فرضنا انها ثانيا فاما ان يكون مشاركا لا ذول في جميع صفات الكمال
اولا فان كان مشاركا في ذلك فاما ان يكون متميزا عن الاول اولا فان لم يكن متميزا عنه بأمر من الامور لم
يحصل الاثنينية وان امتاز بصفات الكمال لم يكن جميع صفات مشتركا فيه بين سماء وان امتاز بغير صفات
الكمال فذلك نقصان فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان الاله الواحد كاف في تدبير العالم واجباده وان الزائد
بحسب نفيه (وهو على كل شيء وكيل) أي حافظ فيجب ان يعلم كل مكلف انه لا حافظ الا الله ولا مصلح
للمهمات الا الله فحيث ان الله طمع به عن كل ماسوا ولا يرجع في مهم من المهمات الا اليه ويقال أي
كفيل بأرزاق خلقه (لا تدركه الابصار) أي لا تراه الابصار في الدنيا هو تعالى يراه المؤمنون في الآخرة
بقوله صلى الله عليه وسلم ستمرون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فالتشبيه واقع
في تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا في تشبيه المرقى بالمرقى واتفق الجمهور انه صلى الله عليه وسلم
قرأ قوله تعالى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هي الجنة والزيادة النظر الى وجهه الله وروى
ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى الله تعالى ليلة المعراج أولا ولم يكفر بعضهم
بعضا بهذا السبب وما نسبته الى الضلالة وهذا يدل على انهم كانوا مجمعين على انه لا امتناع عقلا في رؤية الله
تعالى وقيل المعنى لا تنحيط به تعالى الابصار في الدنيا ولا في الآخرة لعدم انحصاره (وهو يدرك الابصار)
أي والله تعالى مدرك لحقيقة الابصار (وهو اللطيف) فيما لطف عن أن تدركه الابصار (الخبير) أي
العالم بكل لطيف فلا يظف شيء عن ادراكه وقيل انه تعالى لطيف بعباده حيث ينفي عنهم عند الطاعة
ويأمرهم بالتوبة عند المعصية ولا يقطع عنهم كثرة رحمة سواء كانوا طيعين أو عصاة وقيل انه تعالى
لطيف بهم حيث لا يأمرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم بما هو فوق استحقاقهم (قد جاءكم بصائر من ربكم)
أي جاءكم آيات القرآن كأنه من ربكم ومميت تلك الآيات بصائر لانها أسباب لحصول الانوار للقلوب
قوله تعالى قد جاءكم الآية استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أبصر فلنفسه) أي
فمن اهتدى بآيات القرآن تأمن فتنه اهتدائه لنفسه (ومن عمى فعليها) أي ومن ضل عنها بان كفر بها
فضره ضلالتها وكفره على نفسه (وما أنا عليكم بحفيظ) أي لا أعالكم رعا نأمنذروا الله تعالى هو الذي
يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك الايات البديع تأتي بالآيات
متواترة حالا بعد حال لتلزمهم الحجة (واية قولوا درست) قرأ ابن كثير وأبو عمر بالالف وفتح التاء أي ليقول
بعضهم أي ذا كرت يا محمد أهل الاخبار الماضية فيزداد كفرا على كفرونا فنبينا لبعضهم فيزداد ايمانا على
ايمان وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر آيات القرآن فجماجموا والكفار كانوا يقولون ان محمدا
يضم هذه الآيات بعضها الى بعض يتفكر فيها ويصلها آية قاية ثم يظهرها ولو كان هذا يوحى نازل اليه من
السماء فلم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة كما ان موسى عليه السلام أتى بالثوراة دفعة واحدة أي فان
تكرر هذه الآيات حالا بعد حال هي التي أوقعت الشك فيهم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يأتي بهذا
القرآن على سبيل المدارس مع التفكير والمذاكرة مع أقوام آخرين وقرأ ابن عمار درست بفتح السين
وسكون التاء أي هذه الاخبار التي تلوها علينا قد اتممت وتكررت على الاسماع كقولهم أساطير
الاولين وقرأ الباقون درست بدون الالف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتممت بالدرس أخبار

الاولين قتلهم اساطير الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصيلا (ولنبينه) أي الآيات (تقوم
 يعلمون) وهم أولياء الله الذين هداهم الى سبيل الرشاد (اتبع ما أوحى اليك من ربك) أي أزم العمل بما
 أنزل اليك من ربك ولا يصرد لك القول سبيل الغشور في تبليغ الرسالة والدعوة (لا اله الا هو) يجب طاعته
 ولا يجوز الاعراض عن تكليفه (وأعرض عن المشركين) أي اترك في الحال مقابلة المتوهم فيما يأتونه من سفه
 واعدل الى الطريق الذي يكون أقرب الى القبول وأبعد عن التغليظ والتفسير (ولو شاء الله) عدم
 اشراكهم (ما أشركوا) أي لا تلتفت يا أشرف الخلق الى سفاهات هؤلاء الكفار الذين قالوا اننا جئنا
 هذا القرآن من مذاكرتنا ولا يفتن عليك كفرهم فاننا لو أردنا إزالة الكفر عنهم لقد زدنا ولا يكاد كثر كفرهم
 مع كفرهم فلا ينبغي ان تشغل قلبك بكلماتهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) أي رقيباً من جهة تلاحظ
 أعمالهم عليهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما أنت يا كرم الرسل حافظ عليهم من جهة تدير
 مصالحهم وتقوم بأمورهم وتكفل أرزاقهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)
 أي ولا تسبوا أيها المؤمنون من يعبدون الاصنام من حيث عبادتهم لم لا الهتهم كان تقولوا ايها الكفار
 تعبدون الاصنام مثلاً فيسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجازع الحق الى الباطل بجهالة منهم عايب
 عليهم فان العصاة متى شتموهم كانوا يشتمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه تعالى أجرى شتم الرسول
 بحجى شتم الله تعالى لان الكفار كانوا مقرين بالله تعالى وكانوا يقولون اننا حسنت عبادة الاصنام لتصير
 شفعا لهم عند الله تعالى أو المعنى ولا تسبوا الاصنام الذين كان المشركون يعبدونهم فيسبوا الله للظلم بغير
 علم لانهم جهلة بالله تعالى لان بعضهم كان قائلين بالدهر ونقي الصانع قال قدامة كان المؤمنون يسبون أوليائهم
 الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل اه
 وانما نوا عن سب الاصنام وان كان مباحا لما يشأ عن ذلك من المفاسد وهو سب الله وسب رسوله فظاهر
 الآية كان نهيهم عن سب الاصنام وحقيقة نهى عن سب الله تعالى لانه سب تلك وفي ذلك دلالة على ان
 الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر (كذلك) أي مثل تزيين
 عبادة الاصنام للمشركين (زيينا لكل أمة) أي لأمم الكفرة (علمهم) أي شرهم وفسادهم باحداث
 ما يحملهم عليه فان المعاصي مهم قاتلة تدبر زنت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات
 فانها مع كونها أحسن الاحسن قد ظهرت عندهم بصور مكررة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
 بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي هذه الآية دلالة على تكذيب القدرة والمعزة حيث قالوا لا يحسن
 من الله تعالى خلق الكفرة وتزيينهم (ثم الى ربهم مرجعهم) بالبعث بعد الموت (فيمنبثهم بما كانوا يعملون)
 في الدنيا على الاسقرار من السيئات المزينة لهم فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة
 يستحسنها النفوس ويستحبها الطعنة وتستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك
 يعرفون ان أعمالهم ما ذافع عن اظهار عباد بصورها الحقيقية بالاخبار بها المان كمال منتهى اسباب العلم
 بحقيقة تلك (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي أقسم كفار مكة بالله غاية ايمانهم (ان جاءتهم آية)
 أي مجهزة كما طلبوا (ليؤمنن بها) أي قالوا لا سيدنا رسول الله ان هذا القرآن كيفما كان أمره فليس
 من جنس المعجزات النبوية ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة قاهرة كما منابك وحلفوا على ذلك وقال محمد بن كعب
 القرظي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى ضرب الحجر بالصفا فانفجر الماء وان عيسى أحى الميت
 وان صالحا أخرج الناقة من الجبل فأتينا بآية لنصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي تحبون

فقالوا ان تجعل لنا الصفا ذهبا وحلغوا الثمن فعل ليتبعونه أجمعون فقام صلى الله عليه وسلم يدعو فجاءه
 جبريل فقال لمن شئت كان ذلك ولئن كان فلم يصدقك ليتبعنهم الله وإن تركتهم تاب الله على بعضهم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب على بعضهم فأزل الله تعالى هذه الآية (قل انما الآيات عند الله)
 أى انه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره (وما يشعركم) أى أى شئ يعلمكم
 أيم المؤمنون بأيمانهم أى لا تعلمون ذلك (أنها اذا جاءها لا يؤمنون) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وانما يكسر
 الهمزة على الاستئناف والباءون بالفتح فهي بمعنى لعل ويقوى هذا الوجه قراءة نبي لعلها اذا جاءتهم
 لا يؤمنون (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى وما يشعركم انما قلب أفئدتهم عن ادراك الحق فلا
 يفهمونه ونقلب أبصارهم عن اجتهاد الحق فلا يبصرونه (كالم يومنوا به) أى بما جاءه صلى الله عليه وسلم
 من الآيات (أول مرة) أى فلا يؤمنون عند نزول مقرحهم لوزل كالم يومنوا به عند نزول الآيات
 السابقة على اقتراحهم كانت آيات القمر (وفذرهم في طغيانهم يعمهون) أى نتركهم في ضلالهم متحيرين
 لانهم يدعونه هداية المؤمنين (ولو أنزلنا اليهم الملائكة) كالم يلعبوا فهدوا على ما أنكروا (وكلمهم
 الموتى) من القبور كالم يلعبوا بأن محمد رسول الله والقرآن كلام الله (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا)
 قرأناهم وحشرناهم والركسافي بضمه تين أى وجعنا على المستهزئين زيادة على ما افترحوه كل شئ من أصناف
 المخلوقات كالسباع والطيور كالم يصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو المعنى وحشرنا عليهم كل شئ من أنواع
 نوعا من سائر المخلوقات وقدرنا نافع وابن عامر قبلنا بكسر الهمزة وفتح الباء أى حال كون الكفار عاينين
 للأصناف (ما كانوا اليؤمنوا) بحمدوا قرآن (الا ان يشاء الله) إيمانهم أى رلوا أظهر الله جميع
 تلك الأسماء العجيبة الغريبة لهؤلاء الكفار فانهم لا يؤمنون في حال من الأحوال الداعية الى الايمان
 الا في حال ميتة تعال لايمانهم (ولكن أكثرهم جهلون) شئ ان الكفار لو أتوا بكل آية لم يؤمنوا ولكن
 أكثر المسلمين جهلون عدم إيمانهم عند مجئ الآيات لجهلهم عدم مشيئة تعالى لايمانهم فيتمنون
 مجيئها طمعا فيما لا يكون قال ابن عباس المستهزئون بالقرآن كانوا خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي
 والعاصي بن رائل السهمي والاسود بن عبد يوث الزهري والاسود بن المطلب والحريث بن حنظلة ثم انهم
 أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم في رهط من أهل مكة وقارائه أننا الملائكة يشهدوا بأول رسول الله
 أو ادعت لنا بعض موتا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو اننا بالله والملائكة قبيلا أى كفى لاعلى جمعة
 ما فعله فتمثلت هذه الآية (وكذلك) أى كما جعلنا المستهزئين عدوالمالك (جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
 الانس والجن) أى جعلنا لكل نبي تقدم له عدوا مردة من الانس والجن في شياطين الانس أشد عدوا من
 شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح استعان على اغوائه بشيطان الانس
 ليقتله واضافة شياطين بمعنى من البيانية وهي بدل من عدوا وهو مفعول أول قدم على الثاني مسارعة الى
 بيان العداوة (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) أى يلقي شياطين الجن الى شياطين الانس
 ترزين القول بالباطل لكي يغروا به الانس (ولو شاء ربك) عدم ترزين القول لاجل الغرور (ما فعلوه)
 أى ترزين القول المتعلق بأسرك خاصة (فذرهم وما يفترون) أى اترك الكفرة المستهزئين واقتراهم
 بأنواع المكايدي فان لهم في ذلك عتوبات شديدة ولك عواقب حميدة (واتصفي انبه أفئدة الذين لا يؤمنون
 بالآخرة) أى ولكي نجعل الى هذا الزخرف قلوب الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (وليرضوه) أى هذا
 الزخرف لانفسهم (وليقرئوا ما هم مفترقون) أى وليكتبوا بسبب ارتضاؤهم له ما هم مكتسبون من

الآثام فيعاقبوا عليها (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا) أي قل لهم أأميل إلى
 زخارف الشياطين فأطلب حكما غير الله يحكم بيننا والحال أنه تعالى هو الذي أنزل اليكم القرآن وأنتم أمة
 أمية لا تدرون ما تاتون وما تذرون مدينافيه الحق والباطل فلم يبق في أمور الدين شيء من الإيهام فأى
 حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهو الحاكم عند أهل اللغة واحد لكن بعض أهل التأويل قال الحكم أكل
 من الحاكم لأن الحكم لا يحكم إلا بالحق والحاكم قد يجوز ولأن الحكم من تكرر منه الحكم والحاكم
 يصدق بمره (والذين آمنوا هم الكتاب) أي التوراة والإنجيل والذبور (يعلمون أنه) أي القرآن
 (منزل من ربك) ملتبسا (بالحق) قرأ ابن عامر وحفص منزل بتشديد الزاي والباقيون بسكون النون
 (فلا تكونون من المخترين) أي من الشاكين في أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه
 منزل من عند الله (وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا) أي كفى القرآن من جهة صدقه في أخباره ومن جهة
 عدله في أحكامه وكفى في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام القيامة علماء وعملوا في كونها مجعزة دالة
 على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قرأ طاصم وحزمة والكسافي كلمة على التوحيد دون ألف والباقيون بألف
 على الجمع وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الأفراد وكذا كل موضع اختلف فيه
 القراء جمعوا وأفرادا (لا تبدل كلماته) أي لا أحد يبدل شيئا من القرآن بما هو أصدق وأعدل ولا بما
 هو مثله (وهو السميع العليم) بالمقال والأعمال (وان تطعوا كثرتم في الأرض) أي وإن تطعوا يا أشرف
 الخلق كفارا للناس في ما يعتقدهونه من إسحاق البطال وإبطال الحق (يضلوك عن سبيل الله) أي عن
 الطريق الموصل إلى الله (إن يتبعون إلا الظن) أي ما يتبعون في أثبات مذهبهم الأرجوه وهم إلى تقليد
 أسلافهم وهو ظنهم أن آبائهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مقتدون (وان هم إلا بخوضون) أي
 يكذبون فإن رؤساء أهل مكة منهم أنوالا حوص مالت بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس
 ابن ورقاء الخزاعي قالوا للمؤمنين إن ما ذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكا كمينكم وروى أن المشركين
 قالوا للنبي أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك
 حلال وما قتلها الكلب والصقر حلال وما قتلته الله حرام (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم
 بالمهتدين) أي فإن هؤلاء الكفار كاذبون في ادعائهم اليقين والله عالم بكونهم متحيرين في سبيل الضلال
 تأمّن في أودية الجهل أي فأنك إذا عرفت ذلك ففوض أمرهم إلى خالقهم لأنه عالم بالمهتدي والضلال
 فيجازي كل واحد بما يليق بعمله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أي كنتم بآياته مؤمنين (وهذا أمر
 متفرع من النهي عن اتباع المضلين وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين أنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما
 قتلته الله أحق أن تأكلوه مما قتلتموه أنتم فقال الله للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم
 الله عليه وهو المذكي ببسم الله خاصة لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حتف أنفه
 (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) أي وإن سبب حاصل لكم في
 أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وإن تأكلوا من غيره والحال أنه قد بين لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل
 لا تجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه فهذا وإن كان متأخرا في التلاوة فلا يمنع أن يكون هو المراد
 لأن التأخر في هذا قابل وأيضاً التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول أو بقوله تعالى في أول
 سورة المائدة حرمت عليكم الميتة الآية لأن الله تعالى علم أن سورة المائدة مقدمة على سورة الأنعام في
 الترتيب لا في النزول (الأمانة طر رتم إليه) أي الامانة طر رتم إليكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة الحاجة

مما حرم عليهم فهو حلال لكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ببناء فصل وحرم للفعول ونافع وحفص
 عن عاصم ببناء ما للفاعِل وحزرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الاول للفاعل وبناء الثاني
 للفعول (وان كثيرا) من الذين ينافرونكم في احلال الميتة ويقولون لما حبل ما يذبحونه انتم فبان
 يحل ما يذبحه الله اولى وهم ابوالاحوص وأصحابه أدمن اتخاذ الجائر والباطل وواكب وهو عمرو بن لحي فمن دونه
 من اضرابه فإنه أول من غير دين اعماعيل (ليضلون) قرأ عاصم وحزرة والكسائي بضم الياء والباقيون
 يفتحها (بأهوائهم) أى بسبب اتباعهم شهواتهم (بغير علم) أى ملتبسين بغير علم مأخوذ من الشريعة
 (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أى الذين تجاوزوا الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاسم وباطنه) أى
 اتركوا الاهل بالزنا والاستمرار به وأهل الجاهلية يعتقدون حل السرمة وقال ابن النبارى أى
 وذروا الاسم من جميع جهاته (ان الذين يكسبون الاسم) فى الدنيا (سيجزون) فى الآخرة (بما
 كانوا يفترون) أى يكسبون ان لم يتوبوا وأراد الله عقابهم أما اذا تاب المذنب من الذنب توبة صحيحة لم
 يعاقب واذا لم يتب فهو فى مشيئة الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضل (ولأن كلوا مما لم يذكر اسم الله
 عليه) وهو الميتة وما ذبح على ذكر الاصنام (وانه) أى الاكل مما لم يذكر اسم الله به ضرورة أن
 ما ذكر عليه اسم غير الله (افسق) أى خرج عما يحل وأجمع العلماء على ان أكل ذبيحة المسلم التى
 ترك التسبيح عليها لا يفسق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم
 يقل ويحمل هذا الذكر على ذكر القلب (وان الفياطين ليوحون الى أوليائهم) أى ان ابليس
 وجنوده وسوسوا الى المشركين أو المعنى ان مرءىء المجوس من أهل فارس كتبوا الى مشركى قريش وذلك
 لما نزل تحريم الميتة معهم المجوس فكتبوا الى قريش ان محمد وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم
 يزعمون ان ما يذبحونه حلال وما يذبحه الله حرام فوقع فى نفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فانزل الله تعالى
 هذه الآية (ليجادلوكم) فى أكل الميتة (وان أظعنوهم) فى استحلال الميتة (انكم مشركون) قال
 الزجاج وهذا دليل على ان كل من أحل شيئا حرم الله تعالى أو حرم شيئا أحل الله تعالى فهو مشرك
 وانما سمى مشركا لأنه أثبت ما كماله سوى الله تعالى وهذا هو الشرك (أو من كان ميتا فأحييناه) أى أو
 من كان كافرا فهديناه الى الايمان (وجعلنا له نورا) عظيم ما هو نور الوجود والوحى الالهى (يعشى به) أى
 بسببه (فى الناس) أى فيما بين الناس آمناء من جهة هم (كمن مثله) أى صفة (فى الظلمات) أى
 ظلمات الكفر والظلمة وعى البصيرة (ليس بخارج منها) أى من تلك الظلمات فاذا دام الكافر فى
 ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت تلك الظلمات كالصفة الذاتية يعسر ازالته عنه وانما جعل الكفر
 موتا لأنه جهل والجهل يوجب الخيرة فهو كما مات الذى يوجب السكون والكفر ميتة لأنه لا يهتدى الى شئ
 كالجاهل (كذلك زين لكافرين ما كانوا يعملون) أى مثل ترين المؤمنين بالايمان والنور زين من
 جهة الله بطريق الخلق ومن جهة الشياطين بطريق الزخرفة للكافرين ما استقروا على عمله قال زيد بن
 أسلم والغصاة نزلت هذه الآية فى عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة نزلت فى عمار بن ياسر وأبى
 جهل وقال ابن عباس ان أبى جهل رعى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر بذلك حمزة فهدم قدومه من صيد
 والقوس بيده وهو لم يؤمن يومئذ فعد الى أبى جهل وجعل يضرب رأسه بالقوس فقال له أبو جهل وقد
 أضرع اليه يا أبا يعلى أمارى ما جاء به سفيه عقولنا وسب ألعتنا وخالق آباءنا فقال حمزة أنتم أسففة الناس
 تعبدون الخيالة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم حمزة

يومئذ فنزلت هذه الآية (وكذلك) أي وكما جعلنا في مكة صناديد هاروساء الكبر وانبياء (جعلنا في كل
 قرية) من سائر القرى (أ كبر مجرميها) وأ كبر مفعول ثان ومجرميها مفعول أول وانظر لفغو وهو
 متعلق بنفس الفعل قوله أي جعلنا في كل بلدة فسادا عظيما (الكبر وانبياء) أي ليعلموا المكروها
 وهذا دليل على أن الخير والشر بإرادة الله وانما جعل الجرمين أ كبر لانهم أقدر على الغدر والمكرو وترويح
 الباطل على الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية اتباعا
 الرسل ضعفاءهم وجعل فسادهم أ كبرهم وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر
 يعرفون الناس عن الأيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون لكل من يقدم هو كذاب ساحوكاهن
 فكان هذا مكرهم (وما يكرون إلا بانفسهم) أي وما يحيي شرم كبرهم إلا بهم (وما يشعرون) بذلك
 أصلا بل يرتحمون أنهم يكرون بغيرهم (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله)
 أي وإذا جاءت مشركي العرب الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبا مسعود الثقفي آية من القرآن تأمرهم
 باتباع محمد صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم بضميههم قالوا لن نصدق حتى يوحى الينا أو يأتينا جبريل فيخبرنا
 أن الله رسول الله وأنك صادق قال تعالى رداعليهم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي الله أعلم من يليق
 بإرسال جبريل اليه لا من الأمور وهذا اعلام بأنهم لا يستحقون ذلك لتشریف وهذا المعنى قول
 الحسن وهنقول عن ابن عباس وقيل معنى الآية وإذا جاءتهم آية على صدق الذي صلى الله عليه وسلم لم
 فاء لن نؤمن برسالة أصل حتى نؤتي نحن من الوحي والنبوة مثل إيتا رسل الله قال تعالى أنه تعالى يعلم من
 يستحق الرسالة فيشرقه بها ويعلم من لا يستحقها وأنتم لستم أهلا لها ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها
 خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقرأ حفص وابن كثير رسالته على التوحيد والباقون على الجمع
 ويستجاب الدعاء بن هاتين الجلاتين وهذا دعاء عظيم يدهي به بينهما وهو اللهم من الذي دعانا فلم نجبه
 ومن الذي استجارتنا فلم تجرحنا ومن الذي سألتك فلم تعظمه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل عليك
 فلم تكفه يا غوثنا يا غوثنا يا غوثنا بك استعيت أغثني يا غيث واهدني هداية من عندك واقض حوائجنا
 واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولا آبائنا ولا ماها تنال بحق القرآن العظيم والرسول الكريم رحمتك
 يا أرحم الراحمين (سبيب الذي أكرموا) أي أشركوا وليد أو أعتابه بقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل
 ما أوتى رسل الله (صغار) أي حقارة (عند الله) أي في الآخرة فلا حاكم في الدنيا ينفذ حكمه سواء
 (وعذاب شديد بما كانوا يكرون) أي بسبب مكرهم بقولهم ذلك وحسدهم لنبى وتكذيبهم له (فإن يرد
 الله أن يهديه) أي يرشده لدينه (يشرح صدره) أي قلبه (للاسلام) أي لقبول الاسلام (ومن
 يرد أن يضله) أي يتركه كافرا (يجعل صدره) أي قلبه (ضعيفا) كضيق الزج في الرمح قرأ ابن
 كثير ساكنة الياء والباقون مشددة الياء مكسورة (حرجا) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء
 أي شديد الضيق والباقون يفتحها أي مثل المواضع الكثيرة الأشجار المشبهة التي لا طريق فيها فلا
 يصل إليها راعية ولا وحشية (كأنما يصعد في السماء) أي كأنه يكاف الصعود إلى السماء قرأ ابن
 كثير ساكنة الصاد وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الصاد وبالالف والباقون بتشديد الصاد والعين
 بغير ألف ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه قو في قلبه ما يدعو إلى الأيمان بأن اعتقد أن نفعه زائد
 وخير من راجح ووجه ظاهر فالما بعد اليه وقويت رغبته في حصوله وحصل في القلب استعداد شديد
 لتخصيله ومن يرد أن يضله ألقى في قلبه ما يصرفه عن الأيمان ويدعو إلى الكفر بأن اعتقد أن شر

الايمان زائد وضربه راجح فغضبت الغفرة عنه فان الكافر اذا دهي الى الاسلام شق عليه جدا كانه قد
 كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك او المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء فكبر عن قبول
 الاسلام (كذلك) أى مثل جعل الله صدرهم ضيقا (بجعل الله الرجس) أى بساط الله الشيطان
 (على الذين لا يؤمنون) أى في قلوبهم (وهذا) أى كون الفعل متوقفا على الداعي الحاصل من الله
 تعالى (صراط ربك) أى لان العلم بذلك يؤدي الى العلم بتوحيده الله (مستقيما) فكل فعل العباد
 بقضاء الله تعالى وقدره (قد فصلنا الآيات) أى قد ذكرنا افاضلا فاضلا لا بحيث لا يختلط واحد منها
 بالآخر (لقوم يذكرون) فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا بقضاء الله تعالى
 لانه لا يرجح أحد طرفي الممكن على الآخر الا لمرجح وهو الله تعالى (لهم دار السلام) أى للتذكير
 دار الله المنزهة عن النقص وهي الجنة (عند ربهم) أى انها معدة عنده تعالى موصوفة بالشرف أى
 حيث لا يعرف كنهها غيره تعالى (وهو وليهم) أى متكفل لهم بجميع مصالحهم في الدين والدنيا
 (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم الصالحة (ويوم يحشرهم جميعا) قلنا (يامعشر الجن)
 وقرأ حفص بالياء أى يوم يحشر الله الخلق جميعا يقول يا جماعة الشياطين (قد استكثرتم من الانس)
 أى قد أكثرتم من اغواء الانس (وقال أولياؤهم من الانس) أى وقال الذين أطاعوا الشياطين الذين
 هم الانس (ربنا استمع بعضنا لبعض) فاستمع الانس بالشياطين هو أن الشياطين كانوا يدلون
 الانس على أنواع الشهوات والذات والطبقات ويسهلون تلك الامور عليهم واستمع الشياطين بالانس
 هو ان الانس كانوا يطيعون الشياطين فيما يأمرهم به وينقادون لحكمهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت
 لنا) أى أدركنا وقت موتنا الذي عينته لنا (قال) تعالى (النار هواءكم) أى منزلكم يا جماعة الجن
 والانس (خالدين فيها) أى في النار منذ تبعثون (الاماماه الله) من مقدار حشرهم من قبورهم
 ومن مقدار محاسبتهم (ان ربك حكيم عليم) أى فيما ينفه عنه من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة
 (وكذلك) أى مثل تمكين الشياطين من اضلال الانس (تولى بعض الظالمين) من الانس (بعضنا)
 آخرونهم (بما كانوا يكسبون) أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم قال عيسى رضى الله عنه
 لا يصلح للناس الا امر عاقل أو جائر فأنكر وأقوله أو جائر فقال نعم يؤمن السبيد ويمكن من إقامة
 الصلوات وحج البيت وروى عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا رولى أمرهم خيرا
 واذا أراد بقوم شرا رولى أمرهم شرا وهم وروى أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الامارة فقال له
 انك ضعيف وانها لامانة وهي في القيامة خزي وتدامة الامن أخذها بجهتها وأدى الذى عليه فيها
 (يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم) والعصم ان الرسل انما كانت من الانس خاصة وقد قام
 الاجتماع على ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل للانس والجن والمراد برسل الجن هم الذين همعوا القرآن
 من النبي صلى الله عليه وسلم ثم تولوا الى قومهم منذرين فالمراد بالرسل ما يبعث رسل الله تعالى انما
 يكفى الكفار بهذه الآية لانه تعالى أزال العذر وأزاح العنة بسبب انه تعالى أرسل الرسل الى الكل
 مبشرين ومنذرين فاذا وصلت البشارة والندارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل ما هو المقصود من
 ازالة العذر وازالة العلة (يقصون عليكم آياتي) أى يذنبونها عليكم مع التوضيح (ربنذروناكم لقاء
 يومكم هذا) أى ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم الحشر الذى عاينوا فيه ما أعد لهم من
 فآتين العتوبات الهائلة (فأولوا) عند ذلك التوبيخ الشديد (شهدنا على أنفسنا) ان الرسل أتونا وقد

بلغوا الرسالة وأذروا عذاب يومنا هذا وانما وقعوا في ذلك الكفر بسبب انهم (غرتهم الحياة الدنيا) أي اغتروا من الدنيا بما في الزهرة والنعيم (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا (كافرين) فهم وان بالغوا في عداوة الانبياء والطعن في شرائعهم ومهجراتهم أقر وأعلى أنفسهم بالكفر في عاقبة أمرهم (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أي شهادتهم على أنفسهم بالكفر ثابت لا تنتفاه كون ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوا قبل ان ينهوا عن بطلان رسول وكتاب والمعنى ارسال الرسل ثابت لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى ملتبسين بظلم وهم غافلون عن تبليغ الرسل وعن أمرهم ونهيهم (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عامل من الجن والانس مراتب من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة (ومار بل بغافل عما يعملون) أي فلا يترك شيئا مما يستحق كل عامل من الفريقين من الجزاء فيجزى كلا بما يليق به من ثواب أو عقاب وقرأ ابن عامر وحده تعملون على الخطأ (وربك الغني ذو الرحمة) أي ان تخصيص الله المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لاجل انه تعالى محتاج الى طاعة المطيعين أو ناقص بعصية المذنبين فإنه تعالى غني لذاته عن جميع العالمين ومع كونه تعالى غنياً فإن رحمته عامة كاملة ومن رحمته تعالى على الخلق ترتيب الثواب على الطاعة والعقاب على العصية ومن رحمته تعالى ارسال الرسل وعدم استئصالهم بالهلاك بذنوبهم في وقت واحد (ان يشاء يهلككم) أيها العصاة (ويستخاف من بعدكم ما يشاء) أي ويوجد من بعد اذهابكم خلقاً آخر مخالفاً للجن والانس فتخصيص الرحمة هؤلاء ليس لاجل انه لا يمكنه اظهار رحمته الا بخلق هؤلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي وينشئ الله انشاءً كائناً كان شائكم من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم في العصيان أي فكما ان الله تعالى قادر على تصوير هذه الاجسام بهذه الصورة الخاصة كذلك قادر على تصويرهم بصورة مخالفة لها (انما توعدون) من مجيء الساعة (آيات) أي واقع لا بد لانهم كانوا يشكرون القيامة وكل ما تعلق بالوعد من الثواب والعقاب فهو آيات لا محالة (وما أنتم بمحجزين) أي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمتنا (قل) يا مشركي الخلق لكفار قريش (يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على أقصى إمكانكم واستطاعتكم وابتسوا على حالتكم من الكفر والعداوة (اني عامل) بما أمرت به من الشيات على حالي من الاسلام والمصاهرة فسوف تعملون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعرفون أي أحد الفريقين له العاقبة المحموده وهي الاستراحة واطمئنان خاطر انتم ام أنتم وذلك حاصله الجنة وقراء حمزة والكسائي من يكون بالياء (انه) أي الشأن (لا يفلح الظالمون) أي لا يفلح الكافرون عطا بهم الجنة فلا يخون من عذاب الله تعالى (وجعلوا الله معاذاً لمن الحرب والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا شركائنا ما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) أي عين كفار مكة لله مما خلقه من الحرب والانعام وكذا من الثمار وسائر أموالهم نصيباً يصفونه الى الضيقات والمساكين ونصيباً من ذلك لأهلهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون ذبائح عندها فقالوا هذا لله بكذبهم في جهة انه تعالى يستحق ذلك من جهتهم لاني وجهه التقرب به اليه وهذا لأهلنا ثم ان رأوا ما عينوه لله أركى بدلوهم بما آلهتهم فاعطوا نصيب الله لاسدنة الاصنام وان رأوا ما آلهتهم أركى تركوه لها فلم يصفروه للمساكين بل يصفرون لاسدنة وكان اذا أصابهم قط استعانوا بما جعلوه لله وكأمنه وروفوا ما جعلوه لآلهتهم ولم يأكلوا منه فاذا هلك ما جعلوه لها أخذوا به ما جعلوه لله ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها وان سقط مما جعلوه لله في نصيب الاوليان تركوه وقالوا ان الله غني

عن هذا وان سقط عما جعلوا للادنان في نصيب الله أخذوه وردوه الى نصيب الصم وقالوا انه فقير
 (سواء ما يحكون) أي بقس الذي يحكون حكمهم من انهم يرجحوا جانب الاصنام على جانب الله ومن انهم
 جعلوا شيئا غير الله تعالى مع ان الله تعالى الخالق للجميع ومن انهم أخذوا الحكم من قبيل أنفسهم ولم
 يشهد بصحته عقل ولا شرع (وكذلك) أي مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة الاموال بين
 الله والآلهة (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بواد أناتهم ونحو ذلك كورهم (شركاؤهم) أي
 اولياؤهم من الشياطين ومن السدنة قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصبا على المفعولية واولادهم
 خفضا بالاضافة وشركاؤهم رفعوا على الفاعل أي وهكذا زينهم شياطينهم مثل اولادهم فأمروا بان يأدوا
 بناتهم خشية الفقر والسبي وبأن ينجروا ذكورهم لآلهتهم فكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف
 بالله اني ولله كذا من الذكور لينجروا أحدهم كحائض عبد المطلب لينجروا عبد الله وقرأ ابن عامر وحده
 زين مبنيا للمفعول وقتل رفعا على الفاعلية واولادهم نصبا على المفعولية وشركاؤهم خفضا على اضافة المصدر
 الى فاعله أي زين لكثير من المشركين قتل شركاؤهم اولادهم وهذه القراءة متواترة صحيحة فقد قرأ ابن عامر
 على ابني الدرداء واثله ابن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزومي وقرأ أيضا على
 عثمان وولده وفي حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم (يردوهم) أي يهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم
 دينهم) أي وليخلصوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام أي ليدخلوا عليهم الشك في
 دينهم لانهم كانوا على دين اسمعيل فهذا الذي أتاهم بهذه الارضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين
 الحق واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين والعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه)
 أي ما فعل كثير من المشركين قتل الاولاد بدفن البنات في حياتهم أو ينجروا الاولاد كور الاصنام (فذرهم
 وما يفترون) أي فآثر كهم وكذبهم في قولهم ان الله يأمرهم بقتل اولادهم فان فيما شاء الله تعالى حكما
 بالغة وذلك دليل على أن كل ما فعله المشركون فهو عيشة الله تعالى (وقالوا) أي المشركون الذين
 قسموا نصيب آلهتهم أقساما ثلاثة (عنه) أي التي جعلناها للآلهة (أنعام وحوش) أي زروع
 (حجر) أي محرمات (لا يطعمها الا من نشأ) أي لا يأكل هذه الانعام والحشر الا خدما الاوثان
 والرجال دون النساء (وزعمهم) أي قاروا ما ذكر ملتبسين بكذبهم ومن غير حجة (و) هذه (أنعام
 حرمت ظهورها) وهي البحائر والسواحب والحوامى والوصائل (و) هذه (أنعام لا يذكرن اسم الله
 عليها) اذا ركبت واذا حملت واذا ذبحت ونسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى (اقتراء عليه) وهذا اما
 مفعول له وعامله قالوا أو حال من ضميره أو مصدر مؤكده لا بقولهم ذلك هو الاقتراء (سيجزيهم بما
 كانوا يفترون) أي ان الله سيكافئهم بسبب قولهم عليه (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
 لذكورا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أي ما ولد من البهائم والسواحب حلالا
 لذكورا خاصة ومحرم على جنس أزواجنا وهي الاناث وما ولد منها ميتا كالهال والنساء جميعا
 (سيجزيهم وصفهم) أي سيوصل الله لهم جزاء ذنبهم وهو وصفهم بالتحلل والتحرير فلو اوصف بذلك فهو
 ابن لحى وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في جهنم يجره قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه
 حكيم) في التحليل والتحرير (عليهم) في وصفهم بذلك (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) بالاولاد لانه
 وبالنسبة للذكور (سفيها غير علم) وهم ربيعة ومضر وأمثالهم من العرب وبنوكتانه لا يفعلون ذلك
 وسبب هذا الحسر ان الولد نعمة عظيمة من الله على العبد فاداسي في ابطاله استحق اللام العظيم في

الذي لان الناس يقولون قتل ولده خوفا من أن يأكل طعامه والعقاب العظيم في الآخرة وسببه خفة العقل لان قتل الولد انما يكون للخوف من الفقر والقتل أعظم ضررا منه والقتل ناجز والفقر موهوم وهذه السفاهة انما نشأت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات وقرأ أبو عمرو وابن عامر بتشديد التاء (وحرموا ما رزقهم الله افترأه على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) فان تحريم الحلال من أعظم أنواع الحساسة لانه ينفع نفسه تلك المنافع ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب وان الجرامة على الله أعظم الذنوب وهم قد ضلوا عن الرشدي مصالح الدين ومنافع الدنيا ولم يحصل لهم الاعتدال قط (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) أي وهو الذي خلق بساتين مرفوعات على ما يحملها من العروش والساق وملقيات على وجه الارض ويقال معروشات أي وهو ما غرسه الناس في البساتين وغير معروشات وهو ما أنبتته الله في الجبال والبراري (و) أنشأ (التخيل والزرع) أي جميع الخبواب التي يعنتان بها (مختلفا أكله) أي مختلفا المأكول من كل منها في الهيئة والطعم (والزيتون والزمان) أي أنشأ أشجارها (متشابهة وغير متشابهة) في اللون أو الطعم (كلوا من ثمره) أي ثمر كل واحد من ذلك (إذا أثمر) ولوقبل النضج وقرأ حمزة والكسائي برفع التاء والميم من ثمره (وآقوا حقه يوم حصاده) وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الحاء أي اعزموا على ابتناء الزكاة لكل من الزرع والثمار يوم الحصاد ولا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الابتاء وانما يجب اخراج الزكاة بعد النصفية والجفاف والامريائة ثم يوم الحصاد ثم لا يؤخر عن وقت امكان الاداء وليعلم أن وجودها بالادراك ولو في البعض لا بالنصفية والمعنى وآقوا حق كل وجب يوم الحصاد بعد النصفية وقاله ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وادراكه وانما يجب يوم حصاده وحصوله في يده مالكة لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يده مالكة وهذا يقتضي وجوب الزكاة في الثمار كما قاله أبو حنيفة وتقتضي ثبوت حق في القليل والكثير فالعشر واجب في القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة (ولا تسرفوا) أي لا تجاوزوا الحد في الاعطاء والبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وتعطوا كاه وروى أن ثابت بن قيس بن شماس عدالي آخر ما تعلقه فخذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا وقد جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (انه لا يجب السرفين) فكل مكاف لا يحبه الله تعالى فهو من أهل النار (و) أنشأ (من الانعام حمولة) أي ما يحمل الاثقال (وفرشا) أي ما يفرش للذبح أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش (كلوا مما رزقكم الله) أي كلوا بعض ما رزقكم الله وهو ما أحل الله لكم من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي ولا تسلكوا الطريق الذي يسوقه لكم الشيطان بتحريم الحرث والانعام (انه) أي الشيطان (لكم عدو مبين) أي ظاهر العدوة فقد أخرج آدم من الجنة وقال لا حنة لكم ذريته الا قليلا (ثمانية أزواج) أي أصناف أربعة ذكر من كل من الابل والبقر والغنم وأربعة أنثى كذلك وهذا يدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثني عشر) أي ثمانية أزواج أي أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة (ومن المعز اثنين) أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز (قل) لهم اظهروا الانقطاع عنهم عن الجواب (الذكرين) من ذنبك النوعين وهما الكبش والتيس (حرم) أي الله تعالى كما ترمعون أنه هو المحرم (أم الاثني عشر) وهما النعجة والمعز (أم ما شملت عليه أرحام الاثني عشر) أي أم ما حلت عليه أنثى النوعين حرم الله تعالى ذكرها كان أو أنثى (نبتوني بعلم) أي اخبروني بعلم نأثي عن طريق الاختبار من الله بأنه حرم ما ذكر (ان كنتم

صادق) في دعواكم ان الله حرم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاماً (ومن الابل اثنين) أي وانساناً من الابل
اثنين الجبل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل أذكركم حرم أمم الانثيين أم ما اشتملت عليه
أرحام الانثيين) من ذبيل النوعين (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أي بل أكنتم حاضرين
حين أمركم الله بهذا التحريم والمراد هل شاهدتم الله حرم هذا ان كنتم لا تؤمنون برسول فانكم لا تقرون
بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله تعالى (فمن أظلم عن أفقرى على
الله كذباً) أي لا أحد أظلم عن تعمد على الله كذباً بنسبة التحريم اليه قال المحققون اذا ثبت ان من افترى
على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد فمن افترى على الله الكذب في مسائل
التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد وأشق (ليضل
الناس) عن دين الله (بغير علم) حال من فاعل يضل أي ملتبساً بغير علم بما يؤدي بهم اليه أو حال من
فاعل افترى أي افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى أي فمن افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور
التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالمات ظنل عن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه
لم يصدور عنه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي أولئك المشركين أي لا ينقلهم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه) أي قل يا أشرف الخلق طهراً
الجهالة الذين يحكمون بالحلل والحرام من عند أنفسهم لا أجد في القرآن طعاماً محرماً من المطاعم التي
حرموها عنى آكلها كل ما كلف من ذكر أو أنثى (الا ان يكون ميتة) قرأ ابن كثير وحزرة تكون بالتأنيث ميتة
بالنصب على تقدير الا ان تكون المحرم ميتة وقرأ ابن طاهر تكون بالتأنيث ميتة بالرفع على معنى الا ان
توجد ميتة أو الا ان تكون هناك ميتة وقرأ الباقيون يكون بالتذكير ميتة بالنصب أي الا ان يكون ذلك
المحرم ميتة وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعده ماعطوفاً على أن يكون الواقعة مستتمة أي الاحداث ميتة
(أو دماً مسفوحاً) أي جارياً كالدماء التي في العروق لا كالطعام والكبد (أو لحم خنزير فانه) أي الخنزير
(رجس) أي نجس فكل نجس يحرم أكله (أو فسقاً) أي ذبيحة خارجة عن الحلال (أهل لغير الله به) أي
ذبح على اسم الاصنام (فمن اضطر) أي فمن أصابه الضرورة الداعية الى أكل الميتة (غير باع) في ذلك
على مضطر مثله (ولا عاد) أي متجاوزة للضرورة وهو الذي يسد الزمق (فان ربك غفور رحيم) أي
فلا يؤاخذك ربك بالآكل من ذلك لانه مبالغ في المغفرة والرحمة (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي
وحرمنا على اليهود كل ذي مخالب وبرث (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) وهو شحم الكرش
والكلى (الا ما حلت ظهورهما) أي الا الشحم الذي حلت ظهورهما (أو الحوايا) أي أو الا الشحم الذي
حلتها المباخر (أو ما اختلط بعظم) أي أو الا شحم المختلط بعظم مثل شحم الالية فانه متصل بالعصعص
فتلخص ان الذي حرم عليهم من الشحوم هو شحم الكرش والكلى وان ما عدا ذلك حلال لهم (ذلك
جزئناهم بغيرهم) أي ذلك التحريم عاقبناهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء وأخذهم الربا وكلهم
أموال الناس بالباطل (وانالصادقون) في الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم بسبب بغيرهم وهم
كاذبون في قولهم حرم ذلك امرائيل على نفسه بلا ذنب منافحن مقتدون به (فان كذبوا) أي فان
كذب اليهود في الحكم المذكور أو كذب المشركون في ادعاء النبوة والرسالة وفي تبليغ هذه الاحكام
(فقل لهم) ربكم ذور حجة واسعة) فلذلك لا يحسب عليكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغروا بذلك فانه
امهال لا امهال (ولا يرد بأسه) أي عقابه اذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) الذين كذبوا فيما

تقول وقيل المعنى ذو رحمة واسعة للطبعين وذو بأس شديد للعجورين (سيقول الذين أشركوا) عنادا
لا اعتذارا عن ارتكاب هذه القبائح (لو شاء الله) عدم اشراكا وعدم تحرجنا (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
أحرمانا من شيء) ففعلنا حق مرضي عند الله تعالى ولولا أنه تعالى رضى ما نحن فيه لحال بيننا وبينه
(كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل ما كذب هؤلاء فى أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموا كذب
كفار الامم الماضية أنبياءهم فكل من كذب نبيا قال الكل بحسبته الله تعالى فهذا الذى أنا فيه من الكفر
انما حصل بحسبته الله تعالى فلم يعنى منه وفى قراءة بتخفيف كذب أى مثل كذبهم فى قولهم ان ما فعلوه
حق مرضي عند الله تعالى كذب من قبلهم فى ذلك (حتى ذاقوا بأسنا) أى عذابنا الذى أنزلنا عليهم
بتكذيبهم الرسل وبكذبهم فى قولهم ان الله أمرنا بالشرك (قل) هؤلاء المشركين (هل عندكم من علم)
أى بيان على ما تقولون من تحريم ما حرمت ومن ان الله راض بشرككم (فتخرجوه) أى فظهروه
(لنا) كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم (ان تتبعون الا الظن) أى ما تتبعون فيما أنتم عليه الا الظن
الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئا (وان أنتم الا تخبرون) أى وما أنتم فى ذلك الا تكذبون على الله تعالى
(قل لله الحجة الباتغة) أى قل لهم ان لم تكن لكم حجة فله الحجة الواضحة التى تقطع عذر المجموع وتزيل
الشك عن من نظريها وهى ازال الكتب وارسال الرسل (قلو شاء) هدايتكم جميعا الى الحجة البالغة
(لهذاكم أجمعين) ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض (قل) يا أكرم الرسل لهم (هلم شهدكم
الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى احضر واقدوتكم الذين ينصرون قولكم ان الله حرم الذى حرموه
(فان شهدوا) بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فيما يقولون بل بين
لهم فساد لان السكوت قد يفسر بالرضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بائنا الذين لا يؤمنون بالآخرة
وهم يرميهم يعدلون) أى ان وقع منهم شهادة فاعلموا بانها بائع الهوى فلا تتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا
القرآن ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويجعلون الله تعالى عبدا (قل) يا أكرم الرسل لمن سألك أى
شيء حرم الله وهـم مالك بن عوف وأصحابه (تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم) فى الكتاب الذى أنزل على
(أن) مفسرة لفعل التسلاوة (لا تشركو به) أى بربكم (شيئا) من الاشرار (وبالوالدين) أى
واحسنوا بهما (احسانا) وليرقل الله ولا يمشوا والوالدين لان مجرد تلك الاسماء اليهما غير كاف فى
قضاء حقوقهما (ولا تقتلوا اولادكم من الاق) أى من خوف الفقر واكلوا يدقون البنات احياء
فبعضهم للغير وبعضهم لخوف الفقر وهذا هو السبب الغالب فىمن تعالى فساد هذه العلة بقوله (نحن
نرزقكم وايهاهم) أى اولادكم (ولا تقربوا الفواحش) أى الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى ما يفعل
منها علانية فى الحوائث كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخذان كما هو عادة اشرافهم
وجمع الفواحش للنهي عن أنواعها ولذلك ذكر ما أبدل عنها بدل الله تعالى وتوسيط النهي عن الزنا بين
لنهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا لانه فى حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا فى حكم الاموات
او قد قال صلى الله عليه وسلم فى حق العزل ذلك وأدخنى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها بكونها
معصومة بالاسلام أو بالعهد (الا بالحق) أى الا قتلا ملتبسا بالحق وهو ان يكون القتل القصاص أو
لردة أو للزنا بشرطه (ذلكم) أى التكاليف الخمسة (وصاكم به) أى أمركم به ربكم أمرام وكذا
(علكم تعتقون) أى لكي تعتقوا هذه التكاليف فى الدين والدنيا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
أحسن) أى الا بالحصول التى هى أحسن لليتيم كحفظه وتحصيل الربح به (حتى يبلغ أشده) أى قوته

مع الرشد وبدؤه من البلوغ وانتهاءه الى الثلاثة والثلاثين (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أى أنمو
الكيل بالكيل والوزن بالميزان بالعدل من غير نقصان من المعطى ومن غير طلب الزيادة من صاحب
الحق (لا تكلف نفسا) عند الكيل والوزن (الأوسعه) أى الاطاعة فى الايفاء والعدل فإن
الواجب فى ايفاء الكيل والوزن هو القدر الممكن فى ايفائهما أما التحقيق فمسير واجب (واذا قلتم
فاعدوا ولو كان ذا قرى أى ولو كان القول على ذى قرابة منكم فاذا دعائكم خص الى الذين أقام الدليل
عليه ذكر الدليل لمخصا عن الزيادة بالفاظ معتادة وإذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فلا ينقص
عن القدر الواجب ولا يرد فى الايداء والايحاش وإذا حكى الحكايات فلا يرد فيها ولا ينقص عنها وإذا
بلغ الرسالات عن الناس فيجب ان يؤديها من غير زيادة ولا نقصان وإذا حكمكم فيجب ان يحكمكم بالعدل وان
يسوى فى القول بين القريب والبعيد وذلك لطلب رضا الله تعالى (وبعهد الله أوفوا) أى أنمو ما عهدتم
الله عليه من الأيمان والندور وغير هذا (ذلكم) أى التكليف الاربعة (وصاكم به) أى أمركم به
أمرامؤ كذا (لعلكم تذكرون) ولما كانت التكليف الخمسة فى الآيات الأولى أمور ظاهرة عما يجب
تفهمها ختمت بقوله تعالى لعلكم تتقون ولما كانت هذه التكليف الاربعة غامضة لا يفهمها من
الاجتهاد فى الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال ختمت بقوله تعالى لعلكم تذكرون وحاصل ما ذكر
فى هاتين الآيتين من المحرمات تسعة أشياء خمسة بصيغ النهى وأربعة بصيغ الأمر وتوول الأمر
بالنهي لأجل التناسب وهذه الأحكام لا تختلف باختلاف الأمم والأعمار (وأن هذا) أى
الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام (صراطى) أى دينى (مستقيما) أى لا اعوجاج
فيه قرأ ابن عامر وأن هذا بفتح الهمزة وسكون النون فاصلها وأنه هذا فاصلها ضمير الشأن والحديث وهو اسم
ان والجملة التى بعده خبره وقرأ حمزة والكسائي وان بكسر الهمزة وتشديد النون فالتقدير اتل ما حرم واتل
ان هذا بمعنى أقل وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون والتقدير واتل عليكم ان هذا صراطى
مستقيما (فاتبعوه) أى هذا الصراط (ولا تتبعوا السبل) المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن
سبيله) أى فتتميل بكم هذه السبل عن سبيل الله الذى لا عوج فيه وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خطبنا ثم قال هذا سبيل الله ثم خطب خطوطا عن عيظه وعن
شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها (ذلكم) أى اتباع دين الله (وصاكم
به) فى الكتاب (لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلال (ثم آتينا موسى الكتاب) أى ثم بعد
تعداد المحرمات وغيرها من الأحكام فى أخبركم انا أعطينا موسى التوراة (تماما) أى لأجل تمام
نعمتنا (على الذى أحسن) أى على من أحسن العمل بأحكامه كما يدل عليه قراءة عبد الله على الذين
أحسنوا وقرأ يحيى بن يعمر بالرفع بحذف المبتدأ أى على الذى هو أحسن ديننا كقراءة من قرأ مثلا
ما بعوضة بالرفع (وتفصيلا لكل شئ) أى وليبيان كل ما يحتاج اليه فى الدين فيدخل فى ذلك بيان نبوة
سيدنا محمد (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لعلهم يلغوا ربهم يؤمنون) أى لئلا يتركوا يؤمن
بنوا اسرائيل بلاء ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب (وهذا) أى الذى تلون عليكم (كتاب) أى
قرآن (أنزلناه) اليكم بلسانكم (مبارك) أى كثير المنافع ديننا ودنيا لا يتطرق اليه النسخ
(فاتبعوه) أى فاتبعوا يا أهل مكة ما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام (واتقوا لعلكم ترحمون) أى
اتقوا مخالفتكم على رجاء الرحمة (أن تقولوا) أى أنزلناه كراهة أن تقولوا يوم القيامة (انما أنزل الكتاب)

وهو التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) وهم اليهود والنصارى (وان كما عن دراستهم لغافلين) أي وانه كنساعن قراءتهم لجاهلين فلا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن بلغتنا والمراد بهذه الآيات اثبات الحق على أهل مكة بانزال القرآن على سيدنا محمد كى لا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على اليهود والنصارى ولا نعلم ما فيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا) أي لا عذر لكم في القيامة بقولكم (لو أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على اليهود والنصارى (لكننا أهدي منهم) أي أصوب ديناً منهم وأمرع اجابة للرسول منهم (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة) أي لم تعتذروا بذلك فقد جاءكم قرآن من ربكم فانه بيان فيه ما يعلم مع ما هو هدى فيما يعلم مع ما عدا وهو نعمة في الدين (فمن أظلم عن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي لا أحد أحرأ على الله عن كذب بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ومال عن ذلك (ستجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أي شدة (عما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم (همل ينظرون الآن تأتيهم الملائكة) أي ما ينتظر أهل مكة الا هذه الامور الثلاثة أي فلا يؤمنون بك الا اذا جاءهم أحد هذه الامور وقرأ حمزة والكسائي على التذكير (أو يأتي ربك) أي بحسب ما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وهم كانوا كفاراً واعتقاد الكافر ليس بحجة وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت فقبض أرواحهم وبآيات الله تعالى اتيان كل آية بمعنى آيات القيامة كلها وقيل المعنى أو يأتي ربك يوم القيامة بلا كيف (أو يأتي بعض آيات ربك) أي بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة وهي عشرة وهي العلامات الكبرى وهي السجال والداية وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والذخان وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ووزون عيسى ونار تخرج من عدن تسوق الناس الى الخشر (يوم يأتي بعض آيات ربك) وهو طلوع الشمس من مغربها (لا ينفع نفساً) كافرة (ايها عالم تكن آمنت من قبل) أي قبل اتيان بعض الآيات (أو) نفساً مؤمنة غاصية توتها لم تكن (كسبت في ايمانها خيراً) حكمكم الايمان والعمل الصالح حين طلوع الشمس من المغرب حكمكم من آمن أو عمل عند الغرغرة وذلك لا يفيد شيئاً ما من كان يومئذ مؤمناً متباً فتاب أو صغيراً أو مولوداً بعد ذلك فانه ينفع توبتهم وايمانهم وعملهم كما قاله ابن عباس وروى عن ابن عباس أنه قال لا تزال الشمس تجري من مطلعها الى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن له ما فيحسب ان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم أهل الاراد وحلة القرآن فينادي بعضهم بعضاً فيجتمعون في مساجدهم بالنفوس والبيكا والصراح بقية تلك الليلة فينبه الناس **كذلك** اذا نادى مناد الا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن اولادها وتضع كل ذات حمل حملها وأما الصالحون والابرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والغير فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب عليهم حسرة قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وما باب التوبة يا رسول الله فقال يا عمر خلق الله بالتوبة جهة المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب كالان بالدر والجواهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة اربعين عاماً للراكب المصراع فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك

الباب قال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي
 إن الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك ضوء النار ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس
 بعد ذلك فيلحون على الدنيا ويعمرونها ويحجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار وينتجون فيها
 البنين ثم تمسكت الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة السنة منها بقدر شهر والشهر
 بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا
 أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون
 في الطرق كالثأثم حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من
 يقول أو تخيمتم عن الطريق لكان أحسن وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الامة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتحف الأقلام
 لا يراد في حسنة ولا ينقص من حسنة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً
 (قل انظروا) ما تنتظرونه من آيات أحد الأمور الثلاثة (الأمم المنتظرون) لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء
 العاقبة والمراد بهذا أن المشركين انما يعملون قدر مودة الدنيا فاذما نواوا ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان
 وحلت بهم العقوبة اللازمة أبداً (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى أحراباً في الضلالة (لست منهم في
 شيء) أى لست من البحث في تفرقة فأنتم بريءون منهم منكم برآؤهم لست من قناتهم في هذا الوقت في شيء
 (انما أمرهم إلى الله) أى يدركه كيف يشاء يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمرهم بقتالهم اذا أراد (ثم ينبتهم
 عما كانوا يفعلون) أى ثم يظهر الله لهم يوم القيامة على رؤس الاشهاد ويعلمهم أى شيء شنيع كانوا
 يفعلونه في الدنيا ويرتب عليهم ما يليق به الجزاء والمراد بهم هؤلاء المغرقيين الخوارج كما أخرجه ابن أبي حاتم
 من حديث أبي أمامة ورواه أصحاب البدع والاهواء كما أخرجه الطبراني من حديث عائشة وقال قتادة هم
 اليهود والنصارى كما أخرجه عبد الرزاق وكما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية والا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية والا واحدة واستثناء الواحد من فرق اهل الكفاية انما هو باعتبار ما قبل التسخير
 وأما بعده فالكل في الهاوية وانما اختلفت أسماؤهم بدخولهم وسوء تفرق أمتي على ثلاث وسبعين
 فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف
 أى بانيون بأن تركوا بعض دين آبائهم والباقيون فرقوا ما تشديد أى اختلفوا في دينهم كما اختلف
 المشركون بعضهم يعبدون الملائكة ويرغمون أنهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاسنام ويقولون
 هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم يعبدون الكواكب (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة
 بالاحمال الحسنة من المؤمنين (فله عشر أمثالها) أى فله جزء عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد من
 الاضعاف فالمراد بال عشرة الاضعاف مطلقاً لا التحديد ووجه جاء أو عبد سبعين ووجه ما تنويع حساب
 ولذلك قيل المراد بذكر العشريان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص (ومن جاء بالسئنة) أى بالاحمال
 السيئة (فلا يجزي الامثلها) أى الاجزاء السيئة الواحدة ان جوزى (وهم لا يظلمون) أى
 لا ينقصون من ثواب طاعتهم ولا يرادون في عقاب سيئاتهم (قل) يا أشرف المخلوق للمشركين الذين يدعون
 انهم على ملة ابراهيم من أهل مكة واليهود والنصارى (انني هداني ربي الى صراط مستقيم) أى أرشدني
 ربي بالوحي وبما نصب من الآيات التكوينية في الانفس وفي السموات والارض الى طريق حق (دينا

قِيمًا) أي لا عوج فيه وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح القاف وكسر اليااء مشددة والباقون بكسر
 القاف وفتح اليااء مخففة وهو مصدر كالصغر والكبر والحوول والسميع أي دينًا ذا قيم أي صدق (ملة إبراهيم
 حنيفًا) أي ما لا عن الضلالة إلى الاستقامة (وما كان من المشركين) وقوله تعالى دينًا بدل من محل
 صراط لأن محله النصيب على أنه مفعول ثان أو مفعول لفعل مقدر والتقدير الزموادينا وقوله تعالى ملة
 إبراهيم عطف ببيان لدينا وحنيفًا حال من إبراهيم وكذا وما كان فهو عطف حال على أخرى (قل إن
 صلاتي) أي الصلوات الخمس (ونسكى) أي ذبيحتي وجمع بين الصلاة والتذبح كما في قوله تعالى فصل
 لربك وانحر أو المعنى وكل ما تقربت به إلى الله تعالى فإن معني الناسك من ص - فأنفسه من دنس الآثام
 (وشحياي وعباتي) أي وما أنا عليه في حياتي وما أكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة (لنقرب
 العالمين) أي إن - لاني رسا لعباداتي وحياتي وعباتي كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه
 وحكمه (لأمريل له) في الخلق والتقدير (وبذلك) أي وبهذا التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين)
 أي المسلم من لقضاء الله وقدره فإنه صلى الله عليه وسلم أول من أجاب بيلى يوم العهد لسؤال الله تعالى
 ألتب ربكم أول المعنى وأنا أول المتقدين لله من أهل ملتي وهذا بيان لمسا رعته صلى الله عليه وسلم إلى
 الامتنال بأمر الله (قل) يا أشرف الرسل للكفار الذين قالوا لك أرجع إلى ديننا (أغير الله أبغي ربًا) أي
 أأعبد ربا غير الله (وهو رب كل شيء) أي والحال أن الله رب كل شيء مع أن الذين اتخذوا ربا غير الله أقروا
 بأن الله خالق الأشياء كما قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وأصناف المشركين أربعة
 عبدة الاصنام فهم معترفون بأن الله هو الخالق للحيات والارض والانسام بأمرها وعبدة الكواكب
 فهم معترفون بأن الله خالقهم والقائلون بيزدان وأهزم من فهم معترفون بأن الشيطان محدث وأن محدثه هو
 الله والقائلون بأن المسيح ابن الله والملائكة بناته فهم معترفون بأن الله خالق الكل وإذا ثبت هذا فنقول
 العقل الخالص شهادته لا يجوز جعل الربوب شرًا كالرب وجعل الخلق شرًا كالله القى (ولا تكسب كل
 نفس) ذنبًا (الاعليها) أي الاحالة كونه مستعليا عليها بالضرورة أو حالة كونه مكتوبًا عليها لا على غيرها
 (ولا ترزوا رزوا أخرى) أي ولا تحمل نفس آئمة ولا غير آئمة ثم نفس أخرى فلا تحمل نفس طائفة
 أو خاصية ذنب غيرها أو اغا قيد في الآيات بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول
 للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم (ثم إلى ربكم) أي إلى مالك أموركم (مرجعكم) أي
 رجوعكم يوم القيامة (فينبئكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون) من الأديان في الدنيا (وهو الذي
 جعلكم خلائف الأرض) أي جعلكم بخلف بعضكم بعضا في الأرض (ورفع بعضكم) في الشرف
 والرزق (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة فجعل الله منهم الحسن والقيح والغنى والفقر والشريف
 والوضيع والعالم والجاهل والقوى والضعيف وأظهر هذا التفاوت ليس لأجل الجهل والجهل والجهل
 فإنه تعالى منزوع عن ذلك وانما هو لأجل الامتحان وهو المراد من قوله (ليبلوكم فيما آتاكم) أي
 ليعاملكم معاملة الاختبر فيما أعطاكم من الجاه والمال والفقر أنكم تشكروا أيكم يصبر وهو أعلم بأحوال
 عباده منهم والمراد من الابتلاء هو التكليف ثم إن المكاف إما أن يكون مقصرا فيما كلف به أو موفرا فيه
 فإن كان مقصرا كان نصيبه من التخويف قوله تعالى (انزل بك سريع العقاب) لمن كفر به ولا يشكره
 ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب وال - كان المكاف موفرا في الطاعات كان نصيبه من
 الترغيب قوله تعالى (وازه لغفور رحيم) لمن راعى حقوق ما أعطاه الله تعالى كما ينبغي عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يتبعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتهميد فنقرأ الانعام صلى عليه واستغفره أوائل سبعون ألف ملك يمدد كل آية من سورة
الانعام يوما وليلة

(سورة الاعراف مكية وآياتها مائتان وست آيات وكلما ثلثة آلاف وثلاثمائة
وخمس وعشرون كلمة وحروفها أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم المص) قيل هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهي سره تعالى في كتابه
العزيز (كتاب) أي هذا قرآن (أنزل إليك) أي إن الملك انتقل به من العلو إلى أسفل (فلا يكن في
صدرك حرج منه) أي فلا يكن فيك شك من هذا الكتاب في كونه كتابا نزل إليك من عنده تعالى
أو المعنى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغ هذا الكتاب مخافة أن تقصر في القيام بحقه أو مخافة أن يكذبوك
(لتنذره) أي بهذا الكتاب الكافرين (وذكرى للمؤمنين) فإن النفوس البشرية على قسمين نفوس
جاهلة غريبة في طلب اللذات والشهوات ونفوس شريفة مشرقة بأنوار الالهية فبعثة الرسل في حق
القسم الأول تخويف وفي حق القسم الثاني تنبيه (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) أي من كتابه وستة
رسوله (ولا تتبعوا من دونه) أي من غير ربكم (أولياء) من الشياطين والكهان فيجعلوكم على
البدع والاهواء وقبل الضمير للوصول مع حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل
أولياءه وقرأ مالك بن دينار ولا تتبعوا (قليل لامتد كرون) أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا لاندكروا
وما نريد التوكيد فقرأ ابن عامر يتذكروا بالياء والتاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء
وتخفيف الذال والباقون بالتاء وتشديد الذال (وكم من قرية أهلكناها) أي كثير من أهل قرية أردنا
أهلكها (بغناها) أي غناها أهلها (بأسنا) أي عذابنا (بيانا) أي نائمين في الليل كما في قوم لوط
(أو هم قائلون) أي نائمون في نصف النهار أو مستريحون فيه من غير نوم كما في قوم شعيب والمعنى جاءهم
العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمانة تدلهم على نزول ذلك العذاب فكأنه قيل لا تكفرا لا تغفروا
بأسباب الأمن والراحة الفراغ فإن عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمانة فلا تغفروا بأحوالكم
(فما كان دعواهم) أي استغاثهم برهم واعترفهم بالجناية (اذ جاءهم بأسنا) أي عذابنا في الدنيا
(الأن قالوا لنا كنا ظالمين) فأقروا على أنفسهم بالشرك والاساءة حيث لم يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم
وذلك حين لم ينفعهم الاعتراف والندامة والمختار عند النحويين أن يكون محمل أن قالوا رفعنا بكم
ودعواهم نصبا بدليل تذكير كان كقوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا وقوله تعالى فكان
عاقبتهم ما أنعمنا في النار وقوله تعالى وما كان محنتهم إلا أن قالوا (فلنساءن الذين أرسل إليهم) أي فلنساءل
في موقف الحساب الاعم قاطبة قائلين ماذا أجبتهم المرسلين (وانساءلن المرسلين) قائلين ماذا أجبتهم
وذلك للرد على الكفار إذا أنهكوا التبليغ بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فإذا أثبت الرسل أنهم لم يصدروا
منهم تقصير البتة فيمتضاغف أكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير
وتمتضاغف أسباب الخزي والاهانة في حق الكفار لما ثبت أن جميع التقصير كان منهم (فلنقصن
عليهم) أي المرسلين والاعم لما سكتوا عن الجواب (يعلم) أي فلنخبرهم عما فعلوا وأخبارنا لما سكتوا عن علم
أمرنا (وما كنا غائبين) عنهم في حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أحوالهم (والوزن) أي وزن

الإهمال (بومشد) أى كل يوم اذ يسأل الله الامم والرسول (الحق) أى العدل أو المعنى والوزن يوم
 اذ يكون السؤال والقصر هو الحق والحق اما صفة للوزن أو خبره ويؤم هذا ما ظفر فله أو خبره (فن تقلت
 موازينه) بسبب ثقل الحسنات في الميزان (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالنجاة والنواب (ومن
 خفف موازينه) بسبب خفة الحسنات في الميزان أو بسبب الإهمال التي لا اعتداد بها في الوزن (فأولئك
 الذين خسروا أنفسهم عما كانوا بآياتنا يظلمون) أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا
 أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا والفائدة في وضع ذلك الميزان ان يظهر ذلك الرجحان لاهل القيامة فان
 كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد ضروره بسبب ظهور فضله وكمل درجته لاهل القيامة وان
 كان بالضرر وقبر داد جزاء وخوفه في موقف القيامة ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان فبعضهم قال يظهر
 هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وآخرون قالوا بل يظهر رجحان في الكفة قال
 العلماء الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبار لهم وكفار ومخطئون وهم الذين رأتهن بالكبار فاما
 المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغارهم لا يجعل الله لها وزنا بل تكفر صغارهم باجتنابهم
 الكبار وتنقل الكفة النيرة ويؤمرهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وأما الكافرون فانه
 يوضع كفرهم في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فقيام الله تعالى بهم
 إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وأما الذين خلطوا الحسنات بهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم
 في الكفة المظلمة فيكون لكبارهم ثقل فان كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وان كانت
 السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار اذ ان يعفو الله وان تساوى كان من أصحاب الاعراف وهذا ان
 كانت الكبار فيما بينهم وبين الله واما ان كان عليه تبعات وكان له حسنات كثيرة جدا فانه يؤخذ من
 حسناته فيرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيجمل على الظالم من أوزار من
 ظلمه ثم يعذب على الجميع (ولقد مكناكم في الأرض) أى جعلنا لكم يا بني آدم فيها مكانا وأقدرناكم على
 التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) أى وجودا لما يقع وهي على قسمين ما يحصل بخلاق الله تعالى
 ابتداء مثل خالق الثمار وغيرها وما يحصل بالاكتساب كالاهل ما فضل الله وتمكينه فيكون السهل انعاما
 من الله تعالى وكثرة الانعام توجب الطاعة (قليل ما تشكرون) تلك النعمة ونعم الله على الانسان كثيرة
 فلا انسان الا ويشكر الله تعالى في بعض الاوقات على نعمه وانما التفاوت في ان بعضهم يكون كثير
 الشكر وبعضهم يكون قليل الشكر (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم طينا غسيرا
 مصورا ثم صورناه أحسن تصوير وتحسن هذه السكينة لان آدم أصل البشر (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
 معبود تعظيم (فسجدوا) أى للملائكة بعد الأمر (الابليس) فانه أبو الجن كان مفردا مستورا
 بأوق من الملائكة متصفا بصفاتهم فقلبو اعليه في قوله تعالى للملائكة الخ (لم يكن من الساجدين)
 آدم (قال) تعالى لابليس (ما منعك أن تسجد) أى ما صرفك اني أن لا تسجد كما قال القاضي
 ذكر الله المنع وأراد الداعي فكأنه تعالى قال ما دعاك الى أن لا تسجد لآدم لان مخالفة أمر الله تعالى حانة
 عظيمة ينهجب عنها ويسأل عن الداعي ايها (اذ أمرتك) والمشهور ان كلمة لالتما كيد معنى الذنبي في
 منعك والالاستفهام للتوبيخ ولاظهار كبر ابليس واذ من صوب بشبهه أى ما منعك من السجود
 في وقت أمرى اياك به (قال) ابليس (أنا خير منه) أى انا لم اسجد لآدم لاني خير منه (خفتني
 من نار) فهي أغلب اجزائي (وخلة من طين) أى وهو أغلب اجزائه فالنار أفضل من الطين لان

والتقدير الذي تبعك منهم والله لا ملأ من جهنم منكم والعائد من الجملة القسمية أو واقعة خبرا عن المبتدأ متضمن في قوله منكم لأنه لما اجتمع ضمير غيبة وخطاب غلب الخطاب وروى عنه عمة عن هاشم بن تبة عن بكير اللام على أنه خبر لا ملأ والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد وهذه الآية تدل على أن جميع أصحاب البدع والضلالات يدخلون جهنم لأن كلهم متابعون لابليس والله أعلم (و يا آدم اسكن) هذه القصة معطوفة على قوله تعالى لللائكة اسجدوا أي وقلنا لآدم يا آدم اسكن أو معطوفة على الخرج أي وقال يا آدم اسكن بعد أن أهبط ابليس وأخرجهم من الجنة (أنت وزوجك الجنة) قال ابن المحقق خلقت حواء قبل دخول آدم الجنة والمعنى أي أدخل فيها قال ابن عباس وغيره خلقت في الجنة بعد دخول آدم فيها لأنه لما أسكن الجنة منى فيهما مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه اليسرى ليأنس بها والمعنى أتراف في الجنة (فكل من حيث شئتما) أي فكل من ثمار الجنة في أي مكان شئتما الا كل فيه وفي أي وقت شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة فتسكن ونام النظامين) أي فتصير من الضارين لأنفسكما (فوسوس لهما الشيطان) أي ففعل ابليس الوسوسة لاجلها (ليبدى لهما ما وروى عنهما من سوءاتهما) أي ليظهر لهما ما ستر عنهما بلباس النور أو بلباس الجنة من عورتهم ما قال اللام اما العاقبة لأن ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهم ما وإنما كان قصده ان يحملهما على المعصية فقط أو العلة فظهور العورة كناية عن زوال الجاه فان غرضه من القاء تلك الوسوسة الى آدم ذهاب منصفه وروى ان ابليس بعدما صار ملعونا مطرودا من الجنة رأى آدم وحواء في طيب عيش ونعمة ورأى نفسه في مذلة ونقمة فحسدهما فهو أول حاسد ثم أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لهما فذهب الخنزرة فجلس على باب الجنة فلاثم ساعة سنة من سني الدنيا وهي بقدر ثلاث ساعات من ساعات الآخرة فلقى آدم مرارا كثيرة ورغبة في أكل الشجرة بطرق كثيرة فلاجل المداومة على هذا التوبة أثر كلامه في آدم عليه السلام (وقال) أي ابليس لآدم وحواء (ما نكحكم عن هذه الشجرة) أي عن الأكل منهما (الا أن تكونا ملكين) أي الا كراهة ان تكونا كذلك في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشاكل وفي قراءة شاذة ملكين بكسر اللام (أو تكونان الخالدين) أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا (وقامعهما) أي حلف لهما (اني لكم الناصحين) في حلفي لكم (فدلاهما بغرور) أي خدعهما بما برخف من القول الباطل حتى أكلوا قليلا قصدوا الى معرفة طعم ذلك الفرغلة الشهوة لانهما ما صدقا قول ابليس (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) أي فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة بدت لهما المعرفة طعمه ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره زوال عورتهم ما وروى ان الشور عنهما (وظفقا بنصفان عليهما من ورق الجنة) أي وجعل ابليس قان على عورتهم ما من ورق التين للاستحياء (وناداهما بهما) يا آدم ويا حواء (ألم أنهيكما عن تلك الشجرة) أي عن الأكل من ثمر هذه الشجرة (و) ألم (أقل لكم ان الشيطان له كمد ومبين) أي ظاهر العداوة حيث أبى السجود كما حكى الله تعالى هذا القول في سورة طه بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجه الآية تروى انه تعالى قال لآدم ألم يكن فيها فخذل من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزلة بل لكن ما ظننت ان أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لا هبطت لك الى الأرض ثم لا تنال العيش الا كذا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرف والحرف وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أي ضررناها بما عتلفنا أمرنا وطاعة عدونا وعدوك من أكل الشجرة التي نهيتنا عن الأكل منها وإنما اعترف آدم بكونه ظالما لانه ترك الأولى فان

هذا الذنب صدر عنه قبل النبوة بطريق النسيان ولأن القصد بذلك القول هضم النفس ونهج الطاعة على
 الوجه الأكل (وان لم تغفل لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أى من القبولين بالعقوبة (قال)
 تعالى (اهبطوا) يا آدم وحواء وابليس الى الأرض فهبط آدم بسريته بجبل في الهند وحواء بجدة
 وابليس بالابلة بضم الهمزة والوحدة وبشديد اللام بجبل بقرب البصرة (بعضكم لبعض عدو)
 فالعداوة ثابتة بين آدم وابليس وذرية كل منهما (ولكنكم في الأرض مستقر) أى مكان عيش وقبر
 (ومتاع) أى انتفاع (الى حين) أى انقضاء آجالكم (قال) تعالى (فيها) أى الأرض
 (تحيون) أى تعيشون مدة حياتكم (وفيها تموتون) وتدفنون (ومنها تخرجون) الى البعث
 لجزاء قرأهم زنة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وكذلك في الروم والزخرف والجنانية وقرأ ابن
 عامر هنا وفي الزخرف كذلك وفي الروم والجنانية بضم التاء وفتح الراء والباقون بضم التاء في الجميع
 (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا) أى قد خلقنا لكم بأسباب نازلة من السماء
 لباسين من قطن وغيره لباسا يغطي عوراتكم من العري ولباسا ينسجكم فان الزينة غرض صحيح
 وروى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الى حال في النهار والنساء في الليل ويقولون لا تطوف بتياب
 عصي الله تعالى فنزلت هذه الآية تذكارا لبعض النعم لاجل امتثال أمر الله تعالى بالخشوع من قبول
 رسوسة الشيطان في قوله تعالى لا يفتنكم الشيطان والمقصود من ذكر قصص الانبياء حصول العبرة
 لمن يسمعها (ولباس التقوى ذلك خير) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب لباس عطاها على لباسا أى
 وأنزلنا عليكم لباس التقوى وهو الايمان كما قاله قتادة والسدي وابن جريج أو العمل الصالح كما قاله ابن
 عباس أو السمعة الحسن كما قاله عثمان بن عفان أو خشية الله كما قاله ابن الزبير أو الحياء كما قاله معبد
 والحسن ذلك أى اللباس الثالث خير لصاحبه من اللباسين الاولين لانه يستتر من فضائح الآخرة وقرأ
 الباقر ولباس التقوى بالرفع على الابتداء وخبره ذلك خير والمعنى واللباس الناشئ عن التقوى وهو
 اللباس الاول أو هو الملبوسات المعدة لاجل إقامة نحو الصلاة ذلك خير لانه لبس المتواضع (ذلك) أى
 انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على قدرته وعظم فضله وعظيم رحمته على عباده (اعلمهم يذكر)
 أى فيعرفون عظم النعمة في ذلك اللباس (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة) أى
 لا يخرجكم الشيطان عن طاعتي بفتنته فتتمه هو امن دخول الجنة انما مثل انا ارجع ابيكم من الجنة
 بفتنته بأمره لئلا يخالفوا أمرى فيمنعهم من سكنى الجنة (ينزع عنهم لباسهما) بغروره وكان اللباس
 من ثياب الجنة أو من نور (ليرى ما سوآتهما) أى ليرى آدم سوآة حواء وترى هي سوآة آدم (انه)
 أى الشيطان (راكم هو وقبيله) أى أصحابه أو من كان من نسله (من حيث لا ترونهم) اذا
 كانوا على صورهم الأصلية لكن قديكون مرتين في بعض الاحيان لبعض الناس دون بعض وقال
 مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع نوى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيئا فأتى (انا جعلنا
 الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى اناصرنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون بحمد والفرآن مسطين
 عليهم (واذا قعوا) أى العرب (فاحشة) كعبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف (قالوا) جوابا
 لنناهي عنهم عللين بفعل الفاحشة بأمرين (وجدنا عليها) أى على هذه الاشياء (آباءنا) فاعتقدنا انها
 طاعات واقتدينا بهم فيها (وان الله أمرنا بها) فان أجدادنا انما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها
 (قل) لهم يا أكرم الرسل (ان الله لا يأمر بالفحشاء) فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال

والحث على نفائس الخصال (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أنكم ما معتم كلام الله مشافهة
ولا أخذتموه عن الأنبياء لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون (قل أسر
ربي بالقبط) أي بالتوحيد بلا اله الا الله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أي واستقبلوا بوجوهكم
القبلة عند كل صلاة (وادعوه) أي اعبدوا الله بآتيان أعمال الصلاة مخصوصين به الذين أي
الطاعة (كبدأكم تعودون) أي كما أوجدكم الله بعد العدم بعيدكم بعده أحياء يوم القيامة فيجازيكم على
أعمالكم (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) أي ثبت الضلالة عليهم في الازل والجليلتان
الفعليتان في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم فرقاً الثاني منصوب بفعل مقدم موافق في المعنى
مذكور المفسر أي بدأكم حال كونه تعالى هادياً يفرق بين المؤمنين ومضلاً فيقاو ويجوز أن تكون الجملتان
الفعليتان في محل نصب على النعت لفرقاً يقاو ويقاوه ذان على الحال من فاعل تعودون والعالم على
المنعوت محذوف أي فرقاً هداهم الله وفرقاً يقاو ويقاوه الضلالة ويؤيد هذا الأعراب قراءة أبي بن كعب
تعودون فريقين فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة (أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله)
فقبلوا ما دعوهم اليه ولم يأتوا في التمييز بين الحق والباطل (ويحسبون) أي يظن أهل الضلالة
(أنهم مهتدون) بدین الله ردات هذه الآية على أن كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حسب
كونه هدى أو لم يحسب ذلك (يا بني آدم خذوا زينتكم) أي البسوا ثيابكم التي تستر عوراتكم (عند
كل مسجد) أي عند كل وقت طواف وصلاة (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا) من اللبن (ولا
تسرفوا) بالتعدى إلى الحرام أو بنهر جحلال أو بالافراط في الطعام (انه لا يحب المرفين) أي انه
تعالى لا يرضى فعلهم قال ابن عباس انه أهل الجاهلية من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنساء بالليل وكانوا اذا وصلوا إلى مسجد منى طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا تطوف في ثياب
أصبنا فيها الذنوب ومنهم من يقول نفع ذلك تغاولا حتى تتعري عن الذنوب كما تعري نساء عن الثياب وكانت
المرأة منهم تتخذ ستراة تعلقه على حقوبها تستتر به عن قرين فأنهم كانوا لا يفعلون ذلك وكانت بنو طاهر
لا يأكلون في أيام حجهم من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون لحماً ولا دماً يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
يا رسول الله نحن احق ان نفعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق هؤلاء الجيلة
من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم (من حرم زينة
الله) من الثياب (التي أخرج) الزينة (لعباده) من النبات كالقطن والسكان ومن الحيوان كالحرير
والصوف ومن المعادن كالدرع (و) من حرم (الطيبات من الرزق) أي المستلذات من الماء كل والمشارب
(قل هي) أي الزينة والطيبات ثابتة (للمؤمنين آمنوا) بطريق الاصل (في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه
يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) أي لا يشاركهم فيها غيرهم قرأنا نفع خالصة بالرفع على
انه خير بعد خبر أخبر الملة داوود محذوف أي وهي خالصة والباقيون بالنصب حال من الضمير المستكن
في الخبر (كذلك نفصل الآيات) أي مثل هذا التبيين بين سائر الأحكام لقوم يعلمون (ان الله واحد
لا شريك له فأحلوأحللناه وحرموا حرامه) (قل) للمشركين الذين يتجربون عن ثيابهم في الطواف والذين
يحرمون أكل الطيبات (انما حرم ربي الفواحش) أي الزنا (ما ظهر منها وما بطن) أي جهرها وسرها
(والانثم) أي شرب الخمر (والنبي) أي الظلم على الناس (بغير الحق) فالقتل والقهر بالحق فلا يس
بقيا (وأن تسركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أي وان تسوا بالله في العبادة معبودا ليس على ثبوته

حجة (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته والاقتراء عليهم من التحريم والتحليل فالجنائيات
محصورة في خمسة أنواع أحدها الجنائيات على الانساب وهي المردة بالفواحش وثانيها الجنائيات على
العقول وهي المشار اليها باللائم ثالثها الجنائيات على النفوس والاموال والاعراض واليهما الاشارة
بالنفي ورابعها الجنائيات على الاديان وهي من وجهين اما الطعن في توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله
تعالى وان تشركوا بالله واما القول في دين الله من غير معرفة واليه الاشارة بقوله تعالى وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون وهذه الاشياء الخمسة اصول الجنائيات واما غيرها فهي كالافروع (ولكل أمة) كذبت
رسولها (أجل) أي وقت معين لهلاكها (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أي
فاذا جاء وقت هلاكهم لا يتركون بعد الاجل طريقة عين ولا يهلكون قبل الاجل طريقة عين فالجزاء
مجموع الامرين لا كل واحد على حدة والمعنى ان الوقت المحدود لا يتغير (يا بني آدم اياي أتيتكم رسل
منكم بصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليه ولا هم يحزنون) أي يا بني آدم ان يأتكم
رسول من جنسكم بني آدم بينكم أحكامي وشرائعي فمن اتقى كل منهي واتقى تكذيبه وأصلح عمله
بأن يأتي كل أمره بالاجتناب في الآخرة من العذاب ولا يحزن على ما فاتته في الدنيا أما خزنة على عقاب
الآخرة فبرفع ما حصل له من زوال الخوف (والذين كذبوا بآياتنا) التي يجي بها رسولنا
(راستكبروا عنها) أي امتنعوا من قبولها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يموتون ولا
يخرجون اما الفاسق من أهل الصلاة فلا يبق محله في النار لانه ليس موصوفاً بذلك التكذيب والاستكبار
(فمن أظلم) أي أعظم ظلاماً (من افترى على الله كذباً) أي كائنات الشريك والولد اليه تعالى وضافة
الاحكام الباطلة اليه تعالى (أو كذب بآياته) كانكار كون القرآن كتاباً نازل من عنده تعالى
وانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم) في الدنيا (نصيبهم من الكتاب) أي عما كتب
لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي ملك الموت وأعواله (بتوفونهم) أي حال
كونهم قابضين أرواحهم (قالوا) لهم (انما كنتم تدعون من دون الله) أي أين الآلهة التي كنتم
تعبدونها في الدنيا ادعوها لتدفع عنكم ما نزل بكم (قالوا ضلوا) أي غلبوا (عنا) أي لانفرد
مكانهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) أي وأقر واعند الموت بأنهم كانوا في الدنيا عبدين لما
لا يستحق العبادة أصلاً ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين لانه من المواقف
مختلفة وفي أوقات مختلفة (قال) تعالى يوم القيامة (ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن
والانس في النار) أي ادخلوا في النار فيمابين الامم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين
النوعين (كلما دخلت أمة) أي أكل دين في النار (لعنت أختها) في الدين وهي التي تلبست بذلك
الدين قبلها فليعن المشركين واليهود واليهود والنصارى والصابئون والصابئين
والمجوس (حتى اذا داركوا) أي اجتمعوا (فيها) أي النار (جميعاً) وادرك بعضهم
بعض واستقر معه (قالت أعراسهم لأولاهم) أي قال آخر كل أمة لأولها (ربنا هؤلاء) أي الاولون
(أضلونا) عن دينك باخفاء الدلائل الباطلة (فما تهم عذابناضعفان النار) أي عذبهم مثل عذابنا
مرتين (قال) تعالى لهم (لكل) منهم ومنكم (ضعف) فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر الى غير
نهاية فالآلام متزايدة من غير نهاية اما القادة فكفرهم واضلهم واما الاتباع فكفرهم بتقليدهم
(ولكن لا تعلمون) قرأ أبو بكر عن عاصم بالغيبة أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر

والباقون بالتناء على الخطاب ولكن لا تعلمون أيها السائلون ما الكل فربق منكم من العذاب أو المعنى
ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) مخاطبة لها حين سمعوا جواب
الله تعالى لهم (لما كان لكم علينا من فضل) في الدنيا أي أنا وأياكم متسارون في الضلال والسهو فاق
العذاب لأنكم كفرتم اختياراً لا إكراهاً على الكفر أجباراً فلا يكون عذاباً باضعفاً (فذر قوا العذاب
بما كنتم تركسيون) أي تقولون وتعملون في الدنيا وهذا يحتمل أن يكون من كلام القادة لا التابعين وأن
يكون من قول الله تعالى للهمم مع (ان الذين كذبوا بآياتنا) أي باللائل الدالة على أصول الدين
(واستكبروا عنها) أي ترفعوا عن الإيمان بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا تفتح لأعمالهم ولا
لذاتهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله ولا رواحمهم ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي
كلاهما تحيل دخول الذكركم من الأبل في خرق الأبرية فتحيل دخول الكفرة الجنة ويقال حتى يدخل القلس
الغليظ وهو الجبل الذي تشده السفينة في خرق الأبرية وكل ثقب ضيق فهو سم (وكذلك نجزي المجرمين)
أي ونجزي المذنبين جزاءهم مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء وعدم دخولهم
الجنة وانما يدخلون النار بهذه الصفات (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) أي الذين كذبوا
واستكبروا ومن جهنم فراش من تحتهم ومن فوقهم غطية وهذه آية أخبار عن إحاطة النار بهم من كل
جانب فلوهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف (تنبيه) تنوين غواش عوض من الياء المحذوفة على
الفهم فان الأفعال بال حذف مقدم على منع الصرف فأصله غواش بتنوين الصرف فاستقلت الضمة على
الياء المحذوفة فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت الياء ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعلة في الأصل
فحذف تنوين الصرف خفيف من رجوع الياء فحصل النقل فأتى بالتنوين عوضاً عنها فغواش المنون
ممنوع من الصرف لأن تنوينه عوض كما علمت وتنوين الصرف قد حذف وانما كان الراجح تقديم
الأفعال لأن سببه ظاهر وهو النقل وسبب منع الصرف خفي وهو شبه الفعل (وكذلك نجزي الظالمين)
أي كالجزاء المذكور للذين المستكبرين نجزي الكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
تتكف نفساً الأوسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا
بما جاءهم به من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا تكلف نفساً
إلا ما يسهل عليها من الأعمال وما يدخل في قدرتها ولا ضيق فيه عابها قوله تعالى لا تكلف نفساً إلا وسعها
اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس ما قبله فإنه بيان أن ذلك العمل
غير خارج عن قدرتهم وتنبيه على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل
الصعب (وزعنا ما في صدورهم من غل) أي صفيناً طباعهم من الاحقاد التي كانت لبعضهم على
بعض في دار الدنيا ودرجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقصان فآلة تعالى أزال الحسد عن قلوبهم
حتى أن صاحب الدرجة النازلة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة (تجزي من تحتهم الأنهار) أي تجزي
في الآخرة من تحت سرورهم أنهار الخمر والماء والغسل واللبان زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا) إذا
بلغوا إلى منازلهم أو إلى عين الحيوان (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي للعمل الذي ثوابه هذا المنزل
وهذه العين التي تجزي من تحتنا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) أي لولا هداية الله لنا وجوده
ما هتدينا إلى الإيمان والعمل الصالح قرأ ابن عامر ما كتبنا غير واحد في مصاحف أهل الشام وذلك لأنه

جار مجرى التفسير لقوله هذا بالهذاف لما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف (لقد
جاءت رسل ربنا بالحق) هذا أقسام من أهل الجنة قالوا ذلك حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً تجميعاً
عياناً لآله أي والله لقد جاء رسل ربنا بالحق أي ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب صدق فقد حصل
لنا عياناً (ونودوا) أي نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد (أن تلك الجنة) أي تلك
الجنة التي وعدتكم الرسل في الدنيا فإن مفسرنا في الدنيا وكذا في سائر المواضع الخمسة (أوردتها
بما كنتم تعملون) أي أعطيتموها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا فالجنة قومنازلها لا تنال إلا برحمة
الله تعالى فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته بأعمالهم رحمة منه لهم وفضل منه
عليهم (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تجميعاً بهم وتندباً لأصحاب النار وذلك بعد استقرارهم
في محالهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) على السنة رسله من الثواب على الإيمان به وبرسله وعلى
طاعته (حقاً فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب على الكفر (حقاً قالوا) أي
أهل النار يجيبون لأهل الجنة (نعم) قرأ الكسافي ثم بكسر الهمزة في كل القرآن (فأذن مؤذن)
قيل هو امرأ قيل وقيل جبريل (بينهم) أي نادى مناد أسمع الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس من قبول الدين الحق نارة بالزجر والعهر وأخرى بسائر
الحيل قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم أن لعنة بخفيف إذ ورفع لعنة والباقيون بالتشديد وبال نصب
(ويمنعونها عوجاً) أي يطلبون السبيل معوجة بالقاء الشكوك في دلائل الدين الحق (وهم بالآخرة)
أي بالبعث بعد الموت (كافرون) أي جاحدون (وبينهما) أي بين الجنة والنار أو بين أهلها
(حجاب) أي سور (وعلى الأعراف) أي أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار (رجال) قيل
هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقيل هم قوم قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لا يأتهم وقيل هم قوم كان
فيهم عجب وقيل هم قوم كان عليهم دين فهدوا الأقوال تدن على أن أصحاب الأعراف أقوام يكونون في الدرجة
النارلة من أهل الثواب وقيل أنهم الأشراف من أهل الثواب قيل أنهم الأنبياء وإنما أجلسهم الله على
ذلك المكان العالي تمييزاً لهم على سائر أهل القيامة وقيل أنهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الإيمان
والطاعة وعلى أهل الكفر والعصية فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات وأهل العقاب وصلوا
إلى الدرجات كما قال تعالى (يعرفون كلا) من أهل الجنة وأهل النار زيادة على معرفتهم بكونهم في
الجنة وكونهم في النار (بسماعهم) أي بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كميض الوجه وسواده وقيل
أن أصحاب الأعراف كانوا يعرفون المؤمنين في الدنيا بظهور علامات الإيمان والطاعات عليهم ويعرفون
الكافرين في الدنيا أيضاً بظهور علامات الكفر والعصية عليهم فإذا شاهدوا أولئك الأقوام في محفل
القيامة ميزوا البعض عن البعض بتلك العلامات التي شاهدوها عليهم في الدنيا (ونادوا) أي رجال
الأعراف (أصحاب الجنة) أي حين رأوهم (أن سلام عليكم) يا أهل الجنة وهذا بطريق النجدة
والدعاء أو بطريق الأخبار بنجاتهم من المسكاره (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا (وهم يطمعون)
حال من فاعل يدخلوها أي لم يدخل رجال الأعراف الجنة وهم في وقت عدم الدخول طامعون وقيل قوله لم
يدخلوها مستأنف لانه جواب سؤال سائل عن رجال الأعراف فقال ما صنع بهم فقبل لم يدخلوها ولكنهم
يطمعون في دخولها وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فمما فعلوا هذا القول إنما يكون
لشأنهم على الأعراف على سبيل الترحيل ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم والمراد من هذا الطمع طمع يقين أي

رهم يعلمون انهم سيدخلون الجنة (واذا صرفت ابصارهم) أي رجال الاعراف بغير قصد (تلقاه أصحاب النار) أي إلى جهنم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أي كلما وقعت ابصار أصحاب الاعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى في أن لا يجعلهم من زمرة تهم والمقصود من جميع هذه الآيات التحذير عن التقليد الردي (ونادى أصحاب الاعراف رجالاً) كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا) أي أصحاب الاعراف لهم وهم في النار يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا أمية بن خلف ويا ابن خلف الجمعي ويا أسود بن عبد المطلب ويا سائر الرؤساء (ما أغنى عنكم جمعكم) أي أي شيء دفع عنكم جمعكم في الدنيا من المال والخدم والاتباع (وما كنتم تستكبرون) عن قبول الحق وعلى الناس المحققين وقرئ تستكبرون أي من الأموال والجنود ثم زادوا على هذا التوبيخ بقولهم (أهولاء) الضعفاء الذين عذبهم في الدنيا كصهيب وبلال وسلمان وخباب وصهار وأشباههم (الذين أقسمتم) أي حلفتم في الدنيا يا معشر الكفار (لا ينالهم الله برحمة) أي لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أنوفكم وقد قيل للذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة (ادخلوا الجنة) بفضل الله فهذا من بقة كلام أصحاب الاعراف فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أي أهولاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة فظهر كذبكم في أقسامكم ويدل على ذلك قراءة ثان ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا وعلى هاتين القراءةين تقع هذه الجملة خبر أو التقدير دخلوا الجنة قولاً في حقهم (لا تخوف عليكم) من العذاب (ولا أنتم تحزنون) وقيل إن أصحاب الاعراف لما قالوا لأهل النار ما قالوا قال لهم أهل النار ان دخل أهولاء فإنهم لم تدخلوا الجنة فلما عيرهم بذلك قيل لأهل الاعراف ادخلوا الجنة وقيل يقال لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة الخ بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وقالوا لهم ما قالوا وعلى هذا المراد بأصحاب الاعراف المقصرون في العمل (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفوضوا) أي ألقوا علينا من الماء أو عارزكم الله) من ثمار الجنة وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد والجوع الشديد لهم وعن أبي الدرداء أن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بضرب لا يسمع ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصنة ثم يذكرون الشراب ويستغيثون فيدفع إليهم الحميم والصدى فيقطع ما في بطونهم ويستغيثون إلى أهل الجنة كفي هذه الآية ويقولون لما لا يفيض علينا بل فيحييهم بعد ألف عام ويقولون ربنا أخرجنا منها فيحييهم بقوله تعالى اخسأ فيها ولا تكلمون فعند ذلك يماسون من كل خير ويأخذون في الزفر والشهيق (قالوا) أي أهل الجنة (إن الله حرمهم على الكافرين) أي منعهم من طعام الجنة وشربها قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار أصحاب الاعراف إلى الجنة طمع أهل النار بالفرج بعد المأساة فقالوا يا رب ان لنا قرايات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراياتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظرون أهل الجنة إلى قراياتهم من أهل النار فيعرفونهم لسواد وجوههم فتنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول يا أباي يا أخي قد احترقت بشدة جرحهم أفض على من المأفية قال لهم أجيئوهم فيقولون إن الله حرمهم على الكافرين (الذين اتخذوا دينهم الحوا) أي باطلا (ولعبا) أي فرحاً قالوا صرف لهم إلى ما لا يحسن أن يصرف إليه ولا لعب طلب انفرج بما لا يحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا) أي شغلهم بالطعام في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه ونيل الشهوات (فاليوم) أي

يوم القيامة (نساهم كنسوا القايومهم هذا) أي نتركهم في عذابهم تركا مثل تركهم العمل للقاء يومهم هذا أو المعنى تعاملهم معاملة من نسي فتركهم في النار لانهم أعرضوا بآياتنا والمراد من هذا التفسير ان الله تعالى لا يحب دعاهم ولا يرحمهم (وما كانوا بآياتنا ينجحون) أي ولو كانوا من مشركين بآياتنا انهم عندنا ذلك يدل على ان حب الدنيا مبدأ كل آفة وقد يؤدي الى الضلال والكفر (واقدر جنتهم) أي هؤلاء الكفار (بكتاب) أي بقرآن أنزلناه عليك يا كرم الرسل (فصلناه على علم) أي ميزناه مشتملا على علم كثير وفصل كثير مختلف وقد نظم بعضهم الانواع التسعة في قوله
 حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

وقرأ الجندري وابن محيص بالصاد المجمة أي فصلناه على غيره من الكتب السماوية عالمة بفضله (هدى ورحمة) أي هاديان من الضلالة الى الرشاد ودارحة (لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون الا تأويله) أي ما ينتظر أهل مكة اذ لا يؤمنون الا عاقبة ما وعدوا به في القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة (يوم يأتي تأويله) أي يوم يأتي عاقبة ما وعدهم في القرآن وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أي أعرضوا عنه (من قبل) أي من قبل آياتنا ما يؤول اليه أمره ووصدقه بما أخبر به والمعنى ان هؤلاء الذين تركوا الايمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة (قد جاءت رسل ربنا بالحق) وكذبتهم أي انهم أقرروا يوم القيامة بان ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشور والحشر والقيامة والثواب والعقاب كل ذلك كان حقا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) من العذاب اليوم (أورد) الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) أي لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا الا طريق لنا الى الخلاص عما نحن فيه من العذاب الشديد الا أحد هذين الأمرين وهو ان يشفع لنا شفيع فلاجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو ان يردنا الله تعالى الى الدنيا حتى نوحده الله تعالى بدلائل الكفر ونطيعه بدلائل المعصية وقرئ شاذا بنصب زداما عطف على يشفعوا والمسؤول أن يكون لهم شفعاء لاحدين الأمرين اما الدفع العذاب أو الرد الى الدنيا واما بناء على ان أو بعني الى أي فالمنسوب أن يكون لهم شفعاء للرد الى الدنيا فقط وقرئ شاذة برفع فنعمل أي فنحن نعمل في الدنيا غير ما كنا نعمل فيها (قد خسروا أنفسهم) بذهاب الجنة وزوم النار (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي وذهب عنهم دعوى نفع الشريك فانهم كانوا يدعون ان الاصنام التي كانوا يعبدونها شركاء الله تعالى وشفعاؤهم عنده يوم القيامة (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) والمقصود من هذا الكلام انه تعالى وان كان قادرا على ايجاد جميع الاشياء دفعة واحدة لكنه جعل لكل شيء حدا محدودا ووقته مقدرا ولا يدخله في الوجود الا على ذلك الوجه فهو تعالى وان كان قادرا على ايصال الثواب الى المطيعين في الحال وعلى ايصال العقاب الى المذنبين في الحال الا انه يؤخرهما الى أجل معلوم مقدره هذا التأخير ليس لاجل انه تعالى أهمل العباد بل لانه تعالى خص كل شيء بوقت معين لسابق مشيئته وهذا معنى قول المفسرين من انه تعالى انما خلق العالم في ستة أيام ليعلم عباده الرفق في الامور الصبر فيها ولاجل ان لا يحمل المكاف تأخر الثواب والعقاب على ترك العمل (ثم استوى على العرش) أي حصل له تعالى تدبير المخلوقات على ما أراد أي بعد ان خلق السموات والارض استوى على عرش الملك والجلال وضح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض يعني انه انما ظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لما بعد خلق السموات والارض وذلك لان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك

يقال ثل عرش السلطان أي انتفض ملكه وفسدوا ذاستقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى
على عرشه واستقر على سريره ملكه هذا ما قاله القفال ونظير هذا قولهم للرجل الطويل فلان طويل
النجاد للرجل الذي يكثر الضيافة فلان كثير الرماذ وللرجل الشيخ فلان اشتغل رأسه شيئا وليس المراد
في شيء من هذه الالفاظ اجزاؤها على ظواهرها وانما المراد منها تعريض المقصود على سبيل السكاية فكذلك
هنا فالمراد به كراستوه على العرش هو نفاذ القسرة وحرمان المشقة والواجب علينا ان نقطع بكونه
تعالى منزها عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل هذه الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى
(يعني الليل النهار) أي يأتي بالليل على النهار فيعظم اللفظ بمحتمل العكس أيضا وقرأ ابن كثير ونافع
وأبو عمرو وابن عامر وطاسم في رواية حذف يفتى بتخفيف الشين وهكذا في الرعد وقرأ حمزة والاكاسي
وطاسم برواية أبي بكر بالتشديد وحذف يفتى في الرعد وقرأ حميد بن قيس بغشي الليل النهار بغشي ياء بغشي
ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل (يطلبه حيثما) أي يطلب كل من الليل والنهار الآخر
طلبا سريرا فأخبر الله تعالى بما في تعاقب الليل والنهار من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة فإن بتعاقبها
يتم أمر الحياة وتكمل المنفعة والمصلحة (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذللات
لطالع وغروب ومسير ورجوع بأذنه وقرأ ابن عامر برفع الاربعه على الابتداء والخبر والباقيون
بنصب الثلاثة عطفًا على السهوات ونصب مسخرات على الحال من هذه الثلاثة (ألا له الخلق) أي
المخلوقات (والأمر) أي التصرف في الكائنات وفي هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال ان
للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم (تبارك الله رب العالمين) أي كثر خير الله ماله
العالمين وتعالى بالوحدانية في الألوهية (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أي متذللين ومسررين والتضرع
الظاهر ذل النفس قال الشيخ محمد بن عيسى الحسكي الترمذي ان كان خائفا على نفسه من الزيا فالاولى
اخفاء العمل صونا لعمله عن البطالان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شائنة
الزيا كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به (انه لا يحب المعتدين) أي المجاوزين بترك
هذين الأمرين التضرع والاختفاء أنه تعالى لا يشبهه البتة ولا يحسن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الأرض) أي
كافساد النفوس بالقتل وقطع الاعضاء وافساد الاموال بنحو الغصب وافساد الاديان بالكفر والبدعة
وافساد الانساب بسبب الاقدام على نحو الزنا وبسبب القذف وافساد العقول بنحو تناول المسكرات (بعد
اصلاحها) بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وقيل بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب فان
الله تعالى يمسك المطر ويهلك الحرث بعاصيكم (وادعوه خوفا وطمعا) أي ذوى خوف ونظر الى قصور
أعمالكم وعدم استحقاقكم مطوبكم وذوى طمع نظر الى سعة رحمتهم وفوق فضلهم واحسانهم وهذه الآية
بيان فائدة الدعاء ومنفعته ففائدة الدعاء أحد هذين الأمرين أما الآية الاولى فهي بيان شرط صحة الدعاء
وهي لا بد ان يكون الدعاء مقرونا بالتضرع والاختفاء والداعي لا يكون داعيا الا اذا كان خائفا من وقوع
التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء وطمعا في حصول تلك الشرائط بأمرها ومعنى
قوله تعالى خوفا وطمعا أي حال كونكم جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في كل أعمالكم فلا
تقطعوا انكم أدبتم حق ربكم وان اجتهدتم (ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالقول والفعل ومن

الاحسان ان يكون الدعاء مقرونا بالندوف والطمع وكل من حصل له الاقرار والمعرفة كان من المحسنين
 كالصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر وكصاحب
 الكبرية من أهل الصلاة (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحته) أي قدام المطر قرأ ابن كثير
 وحزرة والكسائي الريح على لفظ الواحد والباقون الرياح على الجمع قرأ عاصم بشرابضم الباء الموحدة
 وسكون الشين جمع بشير أي مبشرات وقرئ يفتح الباء بمعنى باشرات وقرأ حزرة والكسائي نشر بالنون
 المفتوحة وبسكون الشين بمعنى ناشرة للسحاب أو بمعنى منشورة فكان الرياح كانت مطوية فأرسلها الله
 منشورة بعد انطوائها وهي كناية عن اتساعها وقرأ ابن عامر بضم النون واسكان الشين وقرأ الباقر بضم
 النون والشين جمع نشور مثل رسل ورسول أي مفرقة من كل جانب أو طيبة ليننة تنشر السحاب والريح
 هواء متحرك ينفث ويسرعه وهي أربعة الصبا وهي الشرقية فتحرك السحاب والذبور وهي الغربية تفرقه
 والشمال التي تهب من تحت القطب الشمالى تجمعها والجنوب وهي التي تسكنها راسال المطر وعن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالذبور والجنوب من ريح الجنة (حتى اذا أقيمت
 السحابات نقالا) أي حتى اذا رفعت هذه الرياح محبايا تقيلا بالماء (سقناه) أي السحاب (البلد ميت)
 أي الى مكان لا نبات فيه لعدم الماء (فأنزلنا به) أي في ذلك البلد (الماء فأخرجناه) أي بذلك الماء
 أوفى ذلك البلد (من كل النمرات) فأنزل الله تعالى انما يخلق النمرات بواسطة الماء وقال أكثر المتكلمين
 ان النمرات غير متولدة من الماء بل الله تعالى اخرج عادته بخلق النبات ابتداء عقب اختلاط الماء بالتراب
 (كذلك يخرج الموتى) أي كما يخلق الله النبات بواسطة الامطار فكذلك يحيي الله الموتى بواسطة مطر ينزله
 على تلك الاجسام الزمجة وروى انه تعالى يعطى على اجساد الموتى فيما بين النفثتين مطرا كالمني أربعين
 يوما وانهم يصيرون عند ذلك احياء وقيل المعنى انه تعالى كما احيى هذا البلد بعد خرابه فأثبت فيه الشجر
 وجعل فيه الثمر فكذلك يحيي الموتى ويخرجهم من الاجساد بعد ان كانوا أمواتا والمقصود من هذا
 الكلام اقامة الدلالة على ان البعث والقيامة حق (لعلكم تذكرون) أي لكي تعتبروا أيها المنكرون
 للبعث وتذكروا ان القادر على احياء هذه الارض بالاشجار المزينة بالازهار والثمار بعد موتها قادر
 على ان يحيي الاجساد بعد موتها (والبلد الطيب) أي المكان الذي ليس بسجدة (يخرج نباته باذن
 ربه) أي بإرادته وتيسيره كذلك المؤمن يؤدى ما أمر الله طوعا بطيبة النفس (والذي خبت) أي
 المكان السجدة (لا يخرج) أي نباته (الا تكذبون) أي يتعجبون وكذلك المنافق لا يؤدى ما أمر الله
 الا كرها بغير طيبة النفس وقيل المراد ان الارض السجدة يقل نفعها ومع ذلك ان صاحبها لا يتركها بل
 يتعجب نفسه في اصلاحها طمعانه في تحصيل ما يليق بهما من المنفعة فالطلب للنفع العظيم في الدار الآخرة
 بالشفقة في أداء الطاعات أولى من طلب هذا النفع اليسير بالشفقة العظيمة (كذلك) أي مثل ذلك
 التصريف (نصف الآيات) أي تكررهما (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى في تذكركم فيها (لقد
 ارسلنا نوحا الى قومه) واسم نوح عبيد الغفار وهو ابن لحيان متوكل بن أخنوخ ومعنى نوحا مالا دعوته
 على قومه بالهلاك أو لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان أولاده مربيك بحزوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى
 الله اليه اعبتني أم عبث الكتاب فكثرت نوحه على نفسه لذلك (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده
 (مالكم من الله) أي من مستحق للعبادة (غيره) قرأ الكسائي بالجر على انه نعت لاله باعتبار لفظه
 والباقون بالرفع صفته باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالنصب على الاستثناء

يعني مالكم من اله الاياه (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي اني أعلم ان العذاب ينزل بكم اما في
 الدنيا أو في الآخرة ان لم يقبلوا ذلك الدين (قال الملا من قومه) أي قال الكبراء الذين جعلوا أنفسهم
 أضداد الانبياء (اننا نراك) يانوح (في ضلال مبين) في المسائل الاربع وهي التكليف والتوحيد
 والنبوة والمعاد (قال يا قوم ليس بي ضلالة) أي ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة (ولكني رسول
 اليكم) (من رب العالمين) أبلغكم رسالاتي (قرأ أبوهم ووسكون الباء) (وأوصيكم) فتبليغ
 الرسالة هو ان يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه والذبيحة هي ان يرغبهم في الطاعات
 ويحذوهم عن المعاصي بأبلغ الوجوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي انكم ان عصيت أمره عاقبتكم في
 الدنيا بالطوفان وفي الآخرة بعذاب شديد خارج عما تتصوره عقولهم (أو تعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم
 على رجل منكم) أي أن سببكم وعجبتم من ان جاءكم وحى من مالك أمورك على لسان رجل من
 جنسكم أي فاتهمم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ولو شاعر بنا لأنزل ملائكة
 (لينبذكم) أي لاجل ان يخوفكم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) عبادة غير الله (ولعلكم
 ترحمون) أي ولكي ترحموا فلا تعذبوا وهذا الترتيب في غاية الحسن فان المقصود من البعثة الانذار
 والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود من التقوى الفوز بأرضحة في دار الآخرة (فكذبوه)
 أي نوحا في ادعاء النبوة وتبليغ التكليف من الله وأصروا على ذلك التكذيب تلك المدة المتطاولة
 (فانجيناها والذين معه في الفلك) من الغرق والعذاب وكان من محبوبه في الفلك أربعين رجلا وأربعين
 امرأة أتروى ان نوحا عليه السلام صنع السفينة بنفسه في عامين وكان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها
 خمسين وسعها ثلاثين وجعل لها ثلاث بطون فحمل في أسفلها الذواب والوحوش وفي وسطها الانس وفي
 أعلاها الطيور وركبها في عامين رجب ونزل منها في عامين المحرم (وأغرقوا الذين كذبوا بآياتنا) أي برسولنا
 نوح بالطوفان (انهم كانوا قوماً عاصين) عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد (والى عاد أخطاهم)
 أي وأرسلنا الى عاد الاولى واحدا منهم في النسب لافي الدين (هودا) أما عاد الثانية وهم ثمود فقوم صالح
 وبينهم مائة سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) أي تتعقلون
 فلا تتعقون عذاب الله تعالى فانكم تعرفون ان قوم نوح لما لم يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب
 الذي اشتهر خبره في الدنيا (قال الملا) أي الرؤساء (الذين كفروا من قومه) وانما قال ههنا الذين
 كفروا من قومه لان الملا من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر فمن آمن منهم مرثدين أسعد أسهم وكان
 بكم إيمانه بخلاف الملا من قوم نوح فكلهم أجمعوا على ذلك الجواب فلم يكن أحدهم منهم مؤمنا في أول
 دعائهم الى الايمان (اننا نراك في سفاهة) أي اننا نرى عقلك يا هود متعكفا في خفة عقل حيث فارقت دين
 آباءك فان هودا نهاهم عن عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل (وانا لنظنك من
 الكاذبين) في ادعاء الرسالة (قال يا قوم ليس بي سفاهة) أي ليس بي شيء مما تنسبون لي اليه (ولكني
 رسول من رب العالمين) أي فانه في غاية من الرشد والصدق (أبلغكم رسالاتي) بالامر والنهي
 (وانا اليكم ناصح) أي أحذركم من عذاب الله وادعوكم الى الايمان والتوبة (أمين) أي موثوق على
 رسالة ربي وهذا رد لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين فذكر ان هودا قال لهم كنت قبل هذه الدعوة آمينا
 فيكم ما وجدتمني غسدا ولا مكررا ولا كذبا واعترفت لي بكوني آمينا فكيف تستحقون الان اني الكاذب
 (أو تعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) أي أن سببكم وعجبتم من ان جاءكم نبوة (من ربكم على رجل منكم) أي

على لسان آدمي مثلكم (لينذرکم) أي لينذرکم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (واذكروا)
 اذ جعلكم خلائفًا من بعد قوم نوح) بأن أوتيتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع
 والمساكن أو جعلكم ملوكًا في الأرض فان شئتم عادي من ذلك معصورة الأرض من رمل طالع إلى شجر
 عمان (وزادكم في الخلق) أي في الناس (بسطة) وهي مقدار ما تبلغه يد الإنسان ففضلوا على أهل
 زمانهم بهذا القدر أو المراد أنهم متشابهون في القوة والسدة ولأن بعضهم يكون ناصراً للبعض الآخر وزال
 العداوة والخصومة من بينهم فلما خصهم الله تعالى بهذه الأنواع فصيح أن يقال أنهم زادوا في الخلق بسطة
 قرأتهم وانزى وشعبه والكسافي بالصاد وأبو عمرو وهشام وقتيل وحفص وخلف بالسين وابن ذكوان
 وخلاجهما (فأذكروا آلاء الله) أي نعماء الله عليكم وأعماله لا يليق بتلك الانعامات (العلكم
 تظنون) أي لكي تتجوا من الكروب وتفوزوا بما يطوب (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة
 (أجئتنا) يهود (لتعبد الله وحده) أي لخصه بالعبادة (ونذر) أي نترك (ما كان يعبد آباؤنا)
 من الأصنام (فأتنا بآلهتنا) أي بما تهدوننا من العذاب بقولك أفلا تتفنون (إن كنت من الصادقين)
 في أخبارك ينزل العذاب وغرضهم بذلك القول إذا لم يأتهم هو بذلك العذاب ظهر للقوم كذبا
 (قال) أي هو (قد وقع عليكم من ربكم رجس) أي رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لا لتكم
 الكفر (وغضب) أي عذاب (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (سهيوها) أي سميت بها
 (أنتم وآباؤكم) أصناما فإنهم سمو الأصنام بالآلهة مع أن معنى الألوهية فيها معدوم (ما نزل الله بها)
 أي بعبادتها (من سلطان) أي برهان لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وإن الأصنام
 لو استحققت العبادة كان استحقاقها بجملة له تعالى أما بآل آية أو نصب دليل وقوله تعالى ما نزل الله بها
 من سلطان عبارة عن خلوصها عنهم عن المحبة والبيئة (فانتظروا) ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام
 وهو ما تطلبونه بقولكم فأتنا بآلهتنا (إن منكم من المنتظرين) ما يحصل بكم (فأتجيبناهم) أي هوذا
 (والذين معه) في الدين (برحمة) عظيمة (مننا) أي من جهةنا (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)
 أي استأصلنا الذين كذبوا برسولنا هوذا (وما كانوا مؤمنين) أي ما أبقينا أحدا من الذين لا يؤمنون
 فلو علم الله أنهم سيؤمنون لآبائهم وقصصهم أن عاد أقوم كلوا بالين بالاحقاق وكانوا قد تبسطوا في البلاد
 ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام ثلاثة يعبدونها سموا أحدها صمودا وآخر صداء وآخر هباء
 فبعث الله تعالى إليهم هوذا لو كان من أفضلهم حسبا فكذبوه فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى
 جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلا طلبوا من الله الفرج عند البيت الحرام وأهل مكة إذ ذاك العمالق
 أولادهم ليق بن لا وبن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فلما توجهوا إلى البيت الحرام
 وهم سبعون رجلا من أمثالهم منهم قيل بن عذرة ومرثد بن سعد بن لؤي على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة
 خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخوانه وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
 قيتما معاوية أم أحداهما ورده والآخرى جرادة فلما رأى معاوية ذهولهم باللهو بما قدموا له آخرته ذلك وقال
 قد هلك أخوالي وأصهارى واستحيي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به نقل معاوية عنهم عليه فذكر ذلك لقيتين
 فقالا نقل شعرا تغنيهم به لا يدرون من قاله وهو قول هؤلاء الثلاثة

ألا يا قيسل ويحبل قم فقيم * لعل الله يسفينا نحاما
 فيسقى أرض عادان عاداً * قد أمسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس ترجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما

ومعنى فهم أي أخف الدعاء والغمام هنا المطر فلما غتتابه زجهم ذلك وقالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم من ثدين سعدوا لله لا تسقون بدعائكم ولا كن ان أظعنتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقاكم وأظهروا سلامه فقالوا المعاورة احبس عنا مرثدا لا يقد من معناه كفاؤه قد اتبع دين هو دورك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى محاببات ثلاث بيضاء وحررا وسودا ثم ناداهم ناد من السماء يا قبيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها أكثرهن ما نخرجت على عاد من وادهم يسمى وادي المغيث فاستبشر واهوا وقالوا هذا عارض عطرنا لجاهتهم منها ريح عقيم وهي باردة ذات صوت شديد لا مظهر فيها وكانت ابتداء محبتها في صحبة الاربعاء في الحادي والعشرين من شوال في آخر الشتاء وظهرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكتهم ونجها هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدا الله فيها الى ان ماتوا وروى عن علي رضي الله عنه ان قبر هود بحضر موت في كنب أحرر (والى هود أخاهم) أي وأرسلنا الى هود أخاهم في النسب لافي الدين (صالحا) وهود قبيلة أخرى من العرب سموها بهم أي بهم الأكبر وهو هود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الجربين الحجاز والشام الى وادي القرى (قال يا قوم اعبدوا الله وحده) (مالككم من انه غير قد جاءكم بنبأ) أي شاهدة بنبؤتي وهي الناقة (من ربكم) خلقها بلا واسطة (هذه ناقة الله لكم آية) أي علامة على رسالة الله وإضافة الناقة الى الله لتعظيمها وتخصيصها كما يقال بيت الله أولانها المالك لها غير الله أولانها حجة الله على القوم ووجه كونها آية لحر وجها من الجبل لا من ذكر وأنثى ولكمال خلقها من غير قدر يجمع ناقة الله عطف بيان لهذه أو مبتدأ ثان ولكم خبر عامل في آية في نصبها على الحال ويجوز ان يكون عامل الحال معنى التنبية أو معنى الإشارة وجملة قوله هذه ناقة الله لكم آية في محل رفع بدل من قوله دينه لانها مفردة وجازا بدل جملة من مفرد لانها في معناه (فذروها) أي فاذروها (تأكل في أرض الله) في الحجاز أي الناقة ناقة الله والارض أرض الله فاذروها تأكل في أرض ربها ما تأكل فليس لكم ان تحولوا بيننا وبينها فليس لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم (ولا تمسوها بسوء) أي ولا تقربوها ولا تطردوها ولا تقربوا عنها شيئا من أنواع الاذى اكراما لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب اليم) أي بسبب اذاها (واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي فلما أهلك الله عاد امر هود ببلادها وخلقوهم في الارض وكثروا وعمروا وعمارها طوالا (وبوأكم في الارض) أي أنزلكم في أرض الحجاز والشام (تخذبون من سهولها قصورا) أي تبنيون من سهولة الارض قصورا بجانعها ملون منها من الرصاص واللبن والآجر للصيف وسميت القصور بذلك لقصور الفقراء عن تحصيلها وحبسهم عن نيلها (وتختبئون الجبال بيوتا) أي وتقبون في الجبال بيوتا لثباتها وذلك لطول أعمارهم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم فكان عمر واحد منهم ثلاث مائة سنة الى ألف سنة كقوم هود (فاذكروا آلاء الله) أي نعمة الله عليكم بقولكم فأنسكم متنعون مترفون (ولا تغنوا في الارض مفسدين) أي ولا تنعموا في الارض شيئا من أنواع الفساد (قال المرء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا من آمن منهم) أي قال الجماعة الذين تكبروا عن الايمان بصالح السالكين الذين آمنوا به فقله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول بأحاده العامل بدل الكل وضمير منهم راجع لقومه أي قالوا للمؤمنين الذين استردوهم بطريق

اليوم (أتأتون الفاحشة) أي أتفعلون الفواحش (ما سبقكم بها) أي هذه الفاحشة (من أحد من العالمين) قال محمد بن إسحق كانت لهم غمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فصددهم الناس فآذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ أن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتهم منهم فأبوا فألح عليهم فصددهم فأصابوا غلبا تاحسانا فاستحكم فيهم ذلك (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي أنكم لتأتون أديبار الرجال لمجرد الشهوة لا لولد ولا للفة متجاوزين فروج النساء اللاتي هن محال الاشتباه وقرأنا فع وحفص عن عاصم أنكم بهم مرة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف وهو بيان لتلك الفاحشة وقرأ ابن كثير بهم مرتين بدون ألف بينهما أو بتسهيل الثانية وأبو عمر وكذلك لكنه أدخل ألف بينهما وهشام بتحقيق المرتين بينهما ممد والباقيون بتحقيقهما من غير مد بينهما على الأصل وهذا الاستثناء معناه الانتكار (بل أنتم قوم مسرفون) أي تجاوزون الحلال إلى الحرام وأنتم قوم عادتكم الزيادة في كل عمل (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا) أي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الأشياء في المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينهم وبينهم الأقولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الأمور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام (أخرجوهم) أي لوطا وابنتيه زعورا وريثا (من قريبتكم) سدوم (أنهم أناس يتطهرون) أي يتزهدون عن أديبار الرجال قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه (فأنجيناه) أي لوطا (وأهله) وهم بناته (الأمراء) الكافرة وأمهات وأهله (كانت من الغابرين) أي الباقين في ديارهم فهلكت في العذاب مع المهالكين فيها لأنها تسرا الكافر موالية لأهل سدوم وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم وهو في فلسطين (وأما طرنا عليهم مطرا) أي وأرسلنا عليهم إرسال المطر آجرا محررقا مجحونا بالكبريت والنار قال مجاهد زل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعهما إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالبحرارة وقيل المعنى وأزلنا عنى الخساريين من المداين الخمسة بحجارة من السماء مهلة عليها اسم من ربحها وروى أن تاجر منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر كيف عاقبة المجرمين) أي فانظر يا من يتأني منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع في النزول على من يعمل ذلك العمل المخصوص وكيف أسقط مدائنهم لوبة إلى الأرض (والى مدائن أحاهم) أي وأرسلنا إلى أولاد مدائن ابن إبراهيم عليه السلام أحاهم في النسب لأن الذين (شعيبا) ابن ميكيل وقيل شعيب ابن قويع بن مدائن بن إبراهيم (قال) لقومه وهم أهل كفر وبنسب للميكان والميزان (يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من الله غير قد جاءكم بينة) أي معجزة (من ربكم) دالة على رسالة الله وعلى صدق ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه إلى موسى وتلك العصا حاربت التين وأنه قال لموسى إن هذه الأغنام تلد ولادافيهاسواد في أولئها ريباض في آخرها وقد وهبتها أمك فساكن الأمر كما أخبر عنه وأنه وقع على يد عصا آدم عليه السلام فان جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام وقيل أن المراد بالبينة نفس شعيب عليه السلام (فأوفوا الكيل والميزان) أي أعوا كيل الميكان ووزن الميزان (ولا تجسوا الناس أشياءهم) أي ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بطريق الخيل وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور (ولا تفسدوا في الأرض) بالنعاصي (بعدا صلاحها) بعدا أصلها

الله بتكثير النعم فيها قال ابن عباس كانت الارض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا تعمل فيها المعاصي
 وتستحل فيها المحارم وتسفل فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا ودعاهم الى الله صلت الارض
 وكل نبي يبعث الى قومه فهو صلاحهم وحاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى أصليين أحدهما التعظيم
 لامر الله ويدخل فيه الاقرار بالتوحيد والنسبة وثنائهما الشفقة على خلق الله ويدخل فيه ترك الخس
 وترك الافساد (ذلكم) أي هذه الامور الخمسة (خير لكم) مما أنتم فيه في طلب المال لان الناس
 اذا علموا منكم الوفاء والصدق والامانة رغبوا في المعاملات معكم فكثرت أموالكم (ان كنتم مؤمنين)
 أي مصدقين لي في قولي هذا (ولا تعدوا بكل صراط توعدون) أي ولا تجلسوا على كل طريق فيه
 عمر الناس تهددون من مر بكم من الغرباء فكأنوا بقطع طريق وكأنوا مكاسين (وتصدون عن سبيل الله
 من آمن به) أي وتصرفون عن دين الله من آمن بالله (وتبغونها عوجا) أي وتطلبون سبيل الله
 معوجة بالقاء الشكوك والشبهات فكأنوا يجلسون على الطرق ويعدون لمن يريد شعيبا انه كذاب
 ارجع لا يقتل عن دينك فان آمن به قتلناك وحيلة الافعال الثلاثة التي هي توعدون وتصدون
 وتبغونها أحوال أي لا تعدوا وموعدين وضادين وباغين (واذكروا) نعمة الله عليكم (اذ كنتم قليلا)
 بالعدد (فكثركم) بالعدد قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرجى الله تعالى في نسلهما
 بالبركة فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي كيف صار آخر أمر المشركين قبلكم
 بالهلاك بتكذيبهم رسلهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والاحكام
 (وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) أي فانتظروا أيها المؤمنون والكافرون (حتى يحكم الله بيننا) جميعا
 من مؤمن وكافر باعلام درجات المؤمنين وبإظهار هوان الكافرين (وهو خير الحاكمين) أي انه تعالى
 حاكم عادل منزعه عن الجور (قال الملا الذين استكبروا من قومه) أي قال الجماعة الذين أنفروا من
 قبول قوله وبالغوا في العتو (لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) والظرف متعلق
 بالانحراج لا بالايان أي والله لتخرجنك وتساعلك من مدين (أو لتعودن في ملتنا) أي أولتصيرن
 الى ملتنا (قال أولو كذا كارهين) أي قال شعيب أتصيروننا في ملتكم وان كنا كارهين للدخول فيها
 (قد افترينا على الله كذبا) عظيم ما حيث نزع من الله تعالى لنا (ان عدنا) أي ان دخلنا (في ملتكم
 بعد اذ نبأنا الله منها) أي من ملتكم (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) أي وما يجوز
 لنا أن ندخل في ملتكم الا أن يأمر الله بالدخول فيها وهيئات ذلك (وسع ربنا كل شيء علما) أي ربما
 كان في عمله تعالى حصول بقائنا في هذه القرية من غير أن نعود الى ملتكم بل الله يجعلكم مقهورين تحت
 أمرنا دليلين خاضعين تحت حكمنا (على الله توكلنا) أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان
 (ربنا افق بيننا وبين قومنا بالحق) أي ياربنا احكم بيننا بالعدل (وأنت خير الفاتحين) أي الحاكمين
 أو المعنى اظهر أمرنا حتى ينفق ما بيننا وبينهم بأن تنزل عليهم عذابا يميز به الحق من المبطل (وقال
 الملا الذين كفروا من قومه) أي وقال الرؤساء من قوم شعيب للسفلة (لئن اتبعتم شعيبا) في دينه
 (انكم اذ الخاسرون) في الدين وفي الدنيا لازمة كنتم من أخذ الزيادة من أموال الناس وعند هذا المقال
 كمل حالهم في الضلال والاضلال فاستحقوا الاهلاك (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة المهلكة
 (فأصبحوا في دوزهم جامعين) أي فصاروا في مساكنهم حامدين ساكنين بلا حياة (الذين كذبوا شعيبا
 كان لم يغفوا فيها) أي الذين كذبوا شعيبا استوصوا بالمرء صاروا كأنهم لم يغفوا في قريتهم أصلا أي

عوقبوا بقولهم لنخرجنك يا شعيب ولذين آمنوا معك من قريتنا وصاروا هم المخرجين من القرية أخرجا
لادخول بعده أبدا (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينارود نبادون الذين اتبعوه فانهم
الراحمون في الدارين (قتلوا عنهم) أي خرج شعيب من بينهم قبل هلاك وقال الكلبي ولم يعذب
قوم نبي حتى أخرج من بينهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي) بالامر والنهي (ونصحت لكم)
أي حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم إلى الإيمان والتوبة وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين
وكان يتوقع منهم الاستجابة للإيمان فلما انزل بهم ذلك الهلاك العظيم بوجود علاماته كهبس الريح
عنهم سبعة أيام حصل في قلبه الحزن من جهة القرابة والمجاورة وطول الألفة ثم عزى نفسه وقال (فكيف
أسي) أي أحزن حزنا شديدا (على قوم كفارين) لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم
على الكفر وقيل قال شعيب ذلك اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد اعتذرت اليكم في البلاغ
والنصيحة عما حل بكم فلم تصغوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف أسي عليكم والمراد انهم لم يسوا مستحقين
بأن يأسي الانسان عليهم وقرأ يحيى بن وثاب فكيف أسي بالمتبين (وما أرسلنا في قرية من نبي)
فكذبه أهلها (الاخذنا أهلها) أي عاقبناهم (بالأساء) أي السدة في أحوالهم كالخوف وضيق
العيش (والضراء) أي الأمراض والالوجاع (لعلهم يضرعون) أي كي يتذلوا وينقادوا لله تعالى
(ثم بدلنا مكان السيئة الخسرة) أي ثم أعطيناهم السعة والسهولة بدل ما كانوا فيه من البلاء والمرض
لان ورود النعمة في المال والبدن يدعو إلى الاستغفال بالشكر (حتى عفاوا) أي كثروا في أنفسهم
وأموالهم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما أصابنا وهذا عادة الزمان في أهل فترة يحصل فيهم
الشدة واليسر مرة يحصل لهم الرخاء والراحة فصاروا على دينهم فمنهم من لم يفتقد فيهم وليس عاقبة
من الله بسبب ما نحن عليه من الدين والعمل فلما لم ينفذوا بالسدة وبالرخاء لم ينتفعوا بذلك إلا مهال
أخذهم الله بغتة أينما كانوا كما قال تعالى (فأخذناهم) بعد ذلك (بغتة) أي فجاءه بالعذاب (وهم
لا يشعرون) أي وقت نزول العذاب ولا يخطر ببالهم شيء آمن المكاره (ولو أن أهل القرى) الذين
أهلكناهم (آمنوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (واتقوا) ما نهى الله عنه (افتحنا
عليهم مركات من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات والثمار والمواشي وحصول الأمن والسلامة
وقرأ ابن عامر افتحنا بشديد التاء للتكثير (ولكن كذبوا) ذلك ولم يمتنعوا ما حرمه الله (فأخذناهم)
بالجذوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) أي أبعد ذلك
أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا) أي عذابنا (بيانا) أي ليلا (وهم نائمون) أي غافلون عن
ذلك (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا نحيي) أي نهارا (وهم يلعبون) أي يشتغلون بما ينفعهم
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر يسكون الواد (أفأمنوا مكر الله) أي عذاب الله (فلا يأمن مكر الله) إلا
القوم الخاسرون (وهم الذين لا يعرفون دينهم لغفلتهم فلا يخافونه) وسعى العذاب مكر النزول بهم من
حيث لا يشعرون (أولم يعلموا أن الله أنزل السحابا فأنزلناهم به مطرا ثم أنزلناهم به مطرا ثم أنزلناهم
بالحديد) أي أولم يتبين للذين يرتوون أرض مكة من التقدمين ويسكنونهم من بعدهم هلاك
أهلها تعذيبنا يا هم بسبب ذنوبهم لو شئت لأهلكهم كما عذبنا من قبلهم وقاعلهم صدر مزل من ان وما في
حيزها ان زل يهدم منزلة اللازم والافعه وله محذوف والتقدير أولم يوطع الوارثين أرض مكة من بعدهم هلاك
أهلها عاقبة أمرهم ان الشأن لو نشاء الاصابة أصبناهم بجزء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين

كما هلكوا المورنين (ونطبع على قلوبهم - م) أي أن لم يهلكهم بالعقاب نطبع على قلوبهم - م (فهم
 لا يسمعون) أي لا يقبلون وعظمة من أخبار الأمم المهلكة والمراد بالاهلاك وأما الطبع على القلب
 لأن الاهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب فإذا أهلك شخص يستحيل أن يطبع على قلبه وإنما يحصل
 الطبع حال استمراره على الكفر فهو يكفر أولاً ثم يصير مطبوعاً عليه في الكفر ولم يكن هذا التقرر مناقياً
 لصفته عطف قوله ونطبع على أصنافهم (تلك القرى) وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم
 شعيب (نقص عيسى) يا أكرم الرسل (من أنبيائها) كيف أهلكت رانها شخص الله أنبياء هذه القرى
 لأنهم أغتروا بطول الأفعال مع كثرة النعم فتوهوا أنهم على الحق فذكرها الله تعالى تنبيهاً للقوم محمد صلى
 الله عليه وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال (ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات) أي وباللغة لجد جاء كل أمة من
 تلك الأمم المهلكة أنبياءهم الذين أرسلوا إليهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجبة للإيمان
 (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا من قبل) أي فبعد رؤية المعجزات ما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بالشرائع
 التي كذبوا قبل رؤيتها تلك المعجزات والمعنى كانت كل أمة من أولئك الأمم في زمن الجاهلية يتساهلون
 بكلمة التوحيد من بغاياهم قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيئ نبيهم الذي أرسل إليهم كما أنهم قبل ذلك
 كان لم يبعث إليهم أحد (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) أي مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب
 كفار الأمم الخالية يطبع على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (وما وجد إلا كثرهم
 من عهد) أي وما وجدنا أكثر الناس على إيمان كما قاله ابن مسعود أو على عهد أول وهو الذي ما هداهم الله
 وهم في صلب آدم حيث قال ألتبر بكم قالوا بلى فلما أقر وأبرو بية الله تعالى في علم الذر ثم خالفوا ذلك في
 هذا العالم صار كانه ما كان لهم عهد (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وإن الشأن والحديث وجدنا أكثر
 الأمم في عالم الشهادة خارجين عن الطاعة صارفين عن الدين (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد انقضاء
 الرسل المذكورين أو من بعد هلاك الأمم المحكيمة (موسى) أي (آياتنا) التسع الدالة على صدقه (إلى فرعون)
 واسمه قابوس وقيل اسمه الوليد بن مصعب بن ريان وكان ملكه أربع مائة سنة وهاش ستمائة وعشرين
 سنة ولم ير في تلك المدة معكروها قط من وجع أو حمى أو جوع ولو حصل له ذلك لما ادعى الربوبية
 (وملئه) أي عظما قوميه (فظلموا بها) أي بتلك الآيات أي وضعوا الإنكار في موضع الإقرار
 ووضعوا الكفر في موضع الإيمان وذلك ظلم منهم على تلك الآيات الظاهرة (فانتظر) أيها المخاطب
 بعين عقلك (كيف كل طائفة المفسدين) وكيف فعلنا بهم (وقال موسى يا فرعون اني رسول) اليك والى
 قومك (من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) وقرأنا فاع على بتشديد الياء تحقيق
 مبتدأ وخبره ما دخلت عليه أن أي واجب على ترك القول على الله إلا بالحق والباقيون بعد التأمل والمعنى
 أنا نأبأت بأن أقول على الله إلا الصدق وقرأ أبي بأن لا أقول بالباء وقرأ عبد الله والاعمران لا أقول بدون
 حرف جر (قد جئتكم ببينة) أي مجهزة شاهدة على رسالتى (من ربكم فأرسل معي بنى إسرائيل) أي
 خلفهم حتى يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم مع أموالهم فكان فرعون عاملهم معاملة
 العبيد في الاستخدام (قال) أي فرعون (ان كنت جئت بآية فات بها) أي ان كنت جئت بآية
 من عندهم أرسلتك فأحضرها عندي ليثبت صدقك (ان كنت من الصادقين) في دعواك أنك رسول
 (فألق) موسى (عصاه فإذا هي ثعبان) أي حية ضخمة صفراء ذكر (مبين) أي ظاهر لا يشك في كونه
 ثعباناً روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغراه بين الحية ثمانون ذراعاً وضع الحية الأسفل على

الارض والاعلى على سور القمر ثم توجه فرعون ليلتبعه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث
 وانهمز الناس من ردهين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذ
 وأنا اومن بك واوسل معك بنى اسرائيل فآخذهم فعاد عصي (وترع يد) أى أخرجهما من طوق قبضه (فاذا
 هى بيضاء) بياض نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس (للتاخرين قال الملأ من قوم فرعون) أى اارؤساء
 منهم وهم أصحاب مشورته (ان هذا) أى موسى (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فاتهم قالوا ذلك مع فرعون
 على سبيل التشاور (يريد أن يخبر حكمكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فلذا انا امرين) قالوا الفرعون
 خذهم ولا كابر فان الاتباع يفوضون الامر والنهى الى المخدوم والمنبوع أو لا تخمد كرون ما حضر في
 خواطرهم من المصلحة بقولهم ارجعه وأخاه قال تعالى (قالوا أرجه) فيه ست قراآت ثلاثة بآيات الحمزة التى
 بعد الجيم وهى كسر الهاء من غير اشباع لابن ذكوان عن ابن عامر وضعها كذلك لابي هريرة وياشباع
 حتى يتولد من الغنة واو على الاصل لابن كثير وهشام عن ابن عامر وثلاثة بجذف الحمزة وهى سكون الهاء
 وصلا ووقفا لعاصم وحزرة وكسر الهاء من غير اشباع لاقولون وبه حتى يتولد منها ياء لانقاع وال كسافى
 ورزى أى آخرام موسى ولا تجعل فى أمره بحكم والمراد انهم حاولوا معارضة مجهزته بسحرهم ليكون ذلك
 أقوى فى ابطال قول موسى (وأخاه) هررون (وأرسل فى المدائن طائرين) أى وأرسل فى مدائن صعيد مصر
 شرطا يحشرون اليك ما فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة ومهرتهم فى أقصى مدائن الصعيد اقولك
 (بكل ساحر عليم) أى ما هر فى السحرة وقرأ حمزة والكسافى محاركة آتفة واعليه فى سورة الشعراء (وجاء
 السحرة فرعون) بعد ما أرسل الشرط فى طلبهم (قالوا ان لنا اجرا) على الغلبة قرأ نافع وابن كثير
 وحفص عن عاصم ان همزة واحدة والباقيون بهمزتين وأدخل أبو عمر الألف بينهما (ان كائن السحرة الغالين)
 لموسى (قال نعم) وقرأ الكسافى بكسر العين (وانكم لمن المقربين) أى نعم لكم الاجر ولكم المنزلة
 الرفيعة عندى زيادة على الاجر أى فاني لا أقصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة انى
 أجعلكم من المقربين الى الله منزلة (قالوا يا موسى امان تلقى) عصاك أولا (واما ان نكون نحن
 المقين) ما معنا من الجبال والعصى أولا فلما ارا عوا حزن الادب حيث قدموا ذكروا موسى عليه السلام
 رزقهم الايمان ببركة رعايته هذا الادب (قال) موسى مریدا لابطال ما أتوا به من السحر وازراء مشأهم
 (ألقوا) ما تلقون (ألقوا ألقوا) عصا يا وحبالا (محروا أعين الناس) أى صرفوها عن ادراك
 حقيقة ما تخيلوا أحوال العجيبة مع ان الامر فى الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قيل انهم أتوا بالجبال
 والعصى ولطخوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا الزئبق فى دواخل تلك العصا فلما أثر تسخير الشمس
 فيها تحركت والتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جدا فالتفتوا فالتفتوا فالتفتوا فالتفتوا فالتفتوا فالتفتوا
 وقدرتها (واستربوهم) أى بالغوا فى تخويف عظيم لا عوام من حركات تلك الجبال والعصى وخاف
 موسى ان يتفرقوا قبل ظهور مجهزته فكان خوفه لأجل قزع الناس وانظر ابراهيم غار أو من أمر تلك
 الحيات وليس خوفه لأجل محرمهم لانه كان على ثقة من الله تعالى انهم لم يدخلوه وهو قال لهم (وجاؤا
 بسحر عظيم) فى باب السحر وعند السحرة وان كان حقرا فى نفسه قيل كانت الجبال والعصى حمل
 ثلاث مائة بعير وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشا باطولا فاذا هى حيات كأمثال الجبال قدم لأت
 الوادى يركب بعضها بعضا وكانت سعة الارض ميلا فى ميل فصارت كلها حيات (وأوحينا الى موسى
 ان ألق عصاك) ولما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق ثم فتحت فكيف كان

ما بين فكيفها غماز ذراعا وابتلعت ما ألقوا من جبالهم وعصبيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت
من غير تفاوت في الجبل أصلا كما قال تعالى (فأذا هي تلقف) أي تلقف (ما يافكون) أي الذي
يقلبونه عن الحق إلى الباطل (فوقع الحق) أي فظهر الحق مع موسى (وطل ما كانوا يعملون) أي
وأضع ما عملوه من السحر وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى معكم بالقياس
جبالنا وعصبتنا فلما فقدت ثبت أن ذلك حصل بخلق الله تعالى لأجل السحر (فقلبوا) أي فرعون
وقومه (هناك) أي في المكان الذي وقع فيه سحرهم (وانقلبوا صاغرين) أي صاروا ذليلا
مبهوتين (والقي السحرة ساجدين) أي خروا سجدوا لله تعالى أي من سرعة محوهم كأنهم ألقوا قال ابن
زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية وبلغ ذنب الحية وراء البحر ثم فتمت فاهما ثمانين ذراعا فكانت تبتلع
جبالهم وعصبيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففرعوا ووقع
الزحام فأت منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك
عرقوا أنه ليس بسحر فعند ذلك خروا ساجدين (قالوا آمنوا بآيات العالمين) قال فرعون يا أي تعنون
قالوا لا بل (رب موسى وهارون) ولما نظروا بالمعرفة سجدوا لله تعالى في الحال وجعلوا ذلك السجود
شكرا لله تعالى على الفوز بالإيمان والمعرفة وعلامة على انقلابهم من الكفر إلى الإيمان واطهارا للنفوس
والتذلل لله تعالى فكانهم جعلوا ذلك السجود الواحد علامة على هذه الأمور الثلاثة على سبيل الجمع
وأوامل القوم كانوا عاين حقيقة السحر فلما وجدوا هزيمة موسى خارجة عن حد السحر علموا أنها أمر الهوى
فأسندوا بها على أن موسى نبي صادق من عند الله تعالى فلاجل كمالهم في علم السحر انتقلوا من الكفر إلى
الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الإنسان في علم التوحيد (قال فرعون آمنتم به)
أي رب موسى وهرون واختلف القراء في هذا الحرف هنا وفي طه وفي الشعراء فإن القراء في ذلك على
أربع مراتب الأولى قراءة الاخوين وأبي بكر عن عاصم وهي تحقيق الهمزة في السور الثلاث من
غير ادخال ألف بينهما وهو استفهام النكر وأما الألف الثالثة فكل يقرؤها كذلك وهي فاء الكلمة يجب
قلها الفالكونها بعد همزة مفتوحة وأما الأولى فمحقة ليس إلا لثانية قراءة حفص وهي آمنتم به همزة
واحدة بعدها ألف والثالثة قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر والبرقي عن ابن كثير وهي تحقيق الأولى
وتسهيل الثانية بين دين والرابعة قراءة قبل عن ابن كثير فقرأ في هذه السورة حال الإبداء آمنتم به همزة
أولاهم محقة والثانية مسهلة بين دين وألف بعدها قراءة البرقي وحاصل الوصل يقرأ قال فرعون وأمنتم
بآيات الأولى وأور تسهيل الثانية بين بين وألف بعدها وقرأ في سورة طه قراءة حفص وفي سورة
الشعراء قراءة البرقي (قبل أن أذن لكم) أي بغير أن أذن لكم (إن هذا لكم كرمعوه في المدينة
لتخرجوا منها أهلها) أي إن إيمان هؤلاء حيلة احتلوهها مع موطاء موسى في مصر قبل أن يخرجوا إلى
الميعاد وإن غرضهم بذلك إخراج القوم من مصر وإبطال ملكهم وهاتان شبهتان ألفاهما فرعون إلى إصراع
عوام القطيع منهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه السلام (فسوف تعلمون) ما أفعل بكم (لا قطع
أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي من كل شق طرفاً (ثم لا صليحكم) أي ألقاكم بمدودة أيديكم لتصير
على هيئة الصليب أو حتى يتقاطر صليبيكم وهو الدهن الذي فيكم (أجمعين قالوا) أي السحرة (إنا نرى ربنا
منقلبون) أي راجعون بالموث بل لا شئ سواه كان بعتلكم أولاً فيحكم بيننا وبينك وإنا إلى رحمة ربنا راغبون
(ومانتهم من أن آمنوا بآيات ربنا المساجاة تنأ) أي ما تعيب علينا إلا إيماننا بآيات ربنا أو ما لنا عندك

ذنب تعدبنا عليه الا لايحزننا يا^٢ يا ربنا ان فرغ علينا صبرا) أي صب علينا صبرا
كاملانا عند القطع والصلب لكي لا ترجع كفارا (وتوفينا مسلمين) أي مخلصين على دين موسى
قيل فعل فرعون ما وعدهم به وقيل لم يقع من فرعون ذلك بل استجاب الله تعالى لهم اندحارهم في قوتهم وتوفينا
مسلمين لانهم سألوه تعالى أن يكون توفيقهم من جهته تعالى لا يقتل فرعون (وقال الأمن قوم فرعون) له
لما خلى سبيل موسى (أنذر موسى وقومه) من بني اسرائيل (ايفسدوا في الارض) أي ايفسدوا
على الناس في أرض مصر بتغيير دينهم واعلم أن فرعون بعد وقوع هذا واقعة كان كلما رأى موسى
خافه أشد الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا أن قومه لم يعرفوا ذلك فعملوه على أخذه وجسه (ويذكر
وآلهتك) أي معبوداتك بكسر اللام جمع الله وقرأ ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وعلي بن
أبي طالب والاهلك بفتح الهمزة ومده أي وعبادتكم وقرأ العامة بنصب يذكرك عطف على يفسدوا أو جواب
الاستفهام بالوار وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة بالرفع عطف على أنذر أو استئنافا أو حالا وقرئ بالسكون
(قال) فرعون لما لم يقدر على موسى أن يفعل معه مكرها والخوف منه (سنقتل أبناءهم) أي أبناء بني
اسرائيل ومن آمن بموسى صغارا كما قتلناهم أول مرة وقرأ نافع وابن كثير سنقتل بفتح النون وسكون
الغاف والباقون بضم النون وفتح الهمزة وتشديد التاء (ونستحي نساءهم) أي ونتركهن أحياء للخدمة
(وانافوقهم قاهرون) كما كنا واهمهم مهضون تحت أيدينا وانما نترك موسى وقومه من غير حيس اعدم
التفاتنا اليهم لالهز ولا خوف واختلاف المفسرون فهم من قال كان فرعون يفعل ذلك ومنهم من قال
لا يفعل ذلك لعدم قدرته لقوله تعالى أقمنا ومن اتبعكم الغالبون (قال موسى لقومه) بني اسرائيل حين
تضجروا من قول فرعون على سبيل التسلية لهم (استعينوا بالله) على فرعون وقومه (واصبروا) على
ما هممتم من أقاربه الباطلة (ان الارض) أي أرض مصر (تة يورثها من يشاء من عباده) وقرأ
الحسن يورثها بفتح الواو وتشديد الراء المكسورة لا تكسر وقرئ يورثها بفتح الراء مبنيا للمفعول (والعاقبة)
أي الجنة أو فتح البلاد والنصر على الأعداء (للتقين) أي الذين آمنتم منهم فمن اتقى الله تعالى فآلهت يعينه
في الدنيا والآخرة وقرأ ابن مسعود بنصب العاقبة عطف على الارض فالاسم معطوف على الاسم والخبر على
الخبر فهم من عطف المفردات (قالوا) أي بنو اسرائيل لما سمعوا تهديده فرعون بالقتل للأبناء
مرة ثانية (أو ذينا) من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) بالرسالة (ومن بعد ما جئتنا) رسولا
قالوا ذلك استكشافا لكيفية وعد موسى اياهم بزياد تلك المضار هل هو في الحال أولا لا كراهة لحي
موسى بالرسالة (قال) أي موسى مسلما لهم حين رأى شدة جزعهم عما شاهدوه من فعل فرعون (عسى
ربكم أن يهلك عدوكم) الذي توعدكم بإعادة فعله (ويستخلفكم في الارض) أي يجعلكم خلفاء في
أرض مصر بعد هلاك أهلها (فينظر كيف تعملون) أي فيرى سبحانه وتعالى كيف تعملون في طاعته
وهذا حث لهم على التمسك بطاعة الله تعالى فآلهت تعالى يرى وقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازي
عباده على ما هممهم في الأرض وانما يجازيهم على ما يقع منهم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أي
باحتباس المطر والجوع (ونقص من الثمرات) أي ذهب الثمرات باصابة العاهات (لعلهم يذكرون)
أي لكي يفواعني أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجر واعمالهم عليه من العتو والعتاد (فإذا جاءتهم الحسنة)
أي الحصب والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون من كثرة نعمنا على العادات
التي جرت (وان تصبهم سيئة) أي جذوبة وشدة وبلاء (يطيروا) أي يتشاموا (بموسى ومن

معه من المؤمنين أي يقولوا انما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه (أنا غاططهم) أي حطهم
 (عند الله) أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبقدره وقيل المعنى انما جاءهم الشر
 بقضاء الله تعالى وحكمه وكون النبي صلى الله عليه وسلم نبيا نورا ولا يتطير وصل الغال السكامة الحسنة
 كانت العرب مذهبهم في الغال والطيرة واحدة فثبت النبي صلى الله عليه وسلم الغال وأبطل الطيرة (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى (وقالوا) أي آل فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام
 (مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فاستجيبنا للآية) أي أي شيء يظهر له ينال من علامة من عند ربك
 لتصرفنا عما نحن عليه من الدين بذلك الشيء فاستجيبنا للآية فصدقوا بالرسالة وكان موسى رجلا حديدا فعند
 ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فقل تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) أي الماء من السماء فدخل
 بيوت القبط وقاموا في الماء إلى ترانهم ودام ذلك عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت فلم يدخل ذلك الماء
 بيوت بني إسرائيل مع أنها كانت في خلال بيوت القبط فاستغاثوا بفرعون فأرسل إلى موسى فقال اكشف
 عنا العذاب فقد صارت مصر يحرأ واحدا فان كشفت هذا العذاب آمنتا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل
 الريح فحفت الأرض وخرج من الغمام ما لم ير وأمسله قط فقالوا هذا الذي جزمنا منه خبرنا السكالك نشعر
 فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فتمكثوا العهد (و) أقاموا شهرا في عاقية فأرسل الله
 تعالى عليهم (الجراد) فأكل زرعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففرزوا إلى موسى فدعا
 موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فأتته في البحر بعدما أقام عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت
 فنظر أهل مصر إلى ما بقي من زرعهم فقالوا هذا الذي بقي يكفيني ولا نؤمن بك (و) أقاموا شهرا في عاقية
 فأرسل الله عليهم (القمح) أي الجراد الصغير بلا أجنحة من سبت إلى سبت فلم يبق في أرضهم عود أخضر
 إلا الأكله فصاحوا ودعوا موسى فأرسل الله عليهم ريحا حارة فأحرقته وألقت في البحر وقرأ الحسن والقمل
 بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف وعن سعيد بن جبير كان إلى جنبهم كتيب أعفر فضر به موسى بعصاه
 فصارت قملًا فأخذت في إفسادهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجرهم فصارت حواجرهم إلى موسى فدعا فرجع
 الله عنهم القمل وقالوا قد تبعنا اليوم أنك ساحر حيث جعلت الرمل دواب وعزة فرعون لا نؤمن بك أبدا
 (و) أقاموا شهرا في عاقية فأرسل الله تعالى عليهم (الضفادع) فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع في
 الثياب والأطعمة فكان الرجل من يمسح على رأسه ذراع من الضفادع فصارت حواجرهم إلى موسى وحلفوا
 لن نرفع عنا هذا العذاب لنؤمن بك فدعا الله تعالى فأما الضفادع وأرسل عليها المطر فاحتملها إلى البحر
 بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من سبت إلى سبت ثم أظهروا الكفر (و) أقاموا شهرا في عاقية فأرسل
 الله عليهم (الدم) فصارت مياه قلوبهم وأنهارهم دما فلم يقدروا على الماء العذب حتى بلغ منهم الجهد وبنو
 إسرائيل يجدون الماء العذب الطيب وكان فرعون وأشرف قومه يركبون إلى أنهار بني إسرائيل فجعل
 يدخل الرجل منهم النهر إذا اشترق الماء صار في يده دما ومكثوا سبعة أيام في ذلك لا يشربون إلا الدم فقال
 فرعون لموسى عليه السلام لن نرفع عنا العذاب لنصدقك أنك وانزلت مع أممناهم
 (آيات مفصلات) أي مبيّنات لا يخفى على كل عاقل أن هذه الخمسة من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره
 ومفرقات بعضها من بعض بزمان لا يمكن أحوالهم أن يقبلوا الحجّة أو يستقروا على التقليد وكان كل عذاب
 يبق عليهم أسبوعا من سبت إلى سبت وبين كل عذابين شهر (فاستكبروا) عن الإيمان بها وعن
 عبادة الله (وكانوا قومًا مجرمين) أي مصرين على الذنب (ولما وقع عليهم الرجز) أي كلبا زل عليهم

العذاب من الأنواع الخمسة (قالتوا) في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بعاثه عندك) أي بما أعلمك به وهو كشف العذاب عنا إن آمننا أو المعنى أقسمنا بعهده الله عندك وهو النبوة (أئن كشفت عنا الرجز) أي لنرفع عنا العذاب الذي نزل علينا (لنؤمنن بك ونرسلكن معك بني إسرائيل) أي مع أموالهم (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل) أي حدمعين (هم بالغوه) لا بد وهو وقت اهلاكمهم بالعسوق في اليم (إذا هم ينكبون) أي فلما رجعنا عنهم العذاب فاجثوا نكث العهد من غير تأمل وتوقف ثم عند حلول ذلك الاجل لا تزال عنهم العذاب بل نهلكهم به (فأنقذنا منهم) أي فلما بلغوا الاجل الموقت أهلكناهم (فأغرقناهم في اليم) أي البحر الملح والغناء نفسيرية (بأنهم كذبوا بآياتنا) التسع الدالة على صدق رسولنا (وكانوا عنها) أي تلك الآيات (غافلين) أي معرضين غير ملتفتين اليها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يقتل أبائهم وأخذوا الجزية منهم واستعصموا بهم في الأعمال الشاقة وهم نوا إسرائيل (مشارق الأرض) أي أرض الشام ومصر (ومغارها) (التي ياركنا فيها) بالحصب وسعة الارزاق والنيل (ومت كثر بك الحسنى على بني إسرائيل) أي ومضى وعده تعالى عليهم (بعاصميروا) أي بسبب سبهم على الشدايد فن قابل البلاء بالصبر وانتظار النصر ضمن الله الفرج ومن قابله بالجزع وكلاه الله اليه (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) ففرعون اسم كان يصنع خيرا كان مقدم أي ونحو بني الذين كان فرعون يصنعه من المداين والقصور (وما كانوا يعرشون) أي يرفعون من الشجر والكروم أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كمرح هامان وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الزاء والباقون بكسرها (وجاؤنا بني إسرائيل البحر) مع السلامة بان فلق الله البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا روى ابن موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وصاحبه شكر الله تعالى (قالتوا) أي لقروا (على قوم يعكفون على أصنامهم) أي يواظبون على عبادة أصنامهم وكانت تماثيل على صور البقر وهم من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم (قالوا) عندما شاهدوا أحوالهم (يا موسى اجعل لنا آية) أي عين لنا تماثيل نتقرب بعبادتها إلى الله تعالى (كأهلهم آلهة) يعبدونها (قال) موسى (إنكم قوم تجهلون) فلا جهل أعظم مما ظهر منهم فانهم قالوا ذلك بعدما شاهدوا المهزلة العظمى (إن هؤلاء) أي القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبرهاهم فيه) أي مهلك ما هم فيه من الدين أي أن الله يعدم دينهم عن قريب ويحطم أصنامهم (وباطل ما كانوا يعبدون) من عبادتها أي فلا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا دفع ضرر (قال) موسى (أغري الله بغيركم الها وهو فضلكم على العالمين) أي أطلب لكم غير الله معبودا والحال أنه تعالى وحده فضلكم على عالمي زمانكم بالاسلام أو فضلكم على العالمين بتخصيصكم بنعم لم يعطها غيركم كالتخصيص بتلك الآيات القاهرة فانه لم يحصل مثلها لاحد من العالمين وإن كان غيره فضاهم بسائر الخصال مثله رجل تعلم علما واحدا وآخر تعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد فضل على صاحب العلوم الكثيرة بذلك الواحد وفي الحقيقة إن صاحب العلوم الكثيرة فضل على صاحب العلم الواحد والمعنى أأمركم أن تعبدوا ربنا بتخصيصه يطلب بل لأنه هو الذي يكون قادر على الابتداء واعطاء الحياة وجميع النعم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أي واذكر وارتقت أنجائنا ياكم من فرعون وقومه بأهلاكم بالكلية وقرأ ابن عامر أنجاءكم بحذف الياء والنون (يسومونكم سوء العذاب) أي يعطونكم أشد العذاب

يقولون أبناءكم) صفارا (ويستحيون نساءكم) أى يستخدمون نساءكم كما بارا (وفى ذلكم) أى
 الانجاء (لأن من ربكم عظيم) أى نعمة عظيمة من ربكم ويقال وفى ذلكم العذاب بليسة عظيمة من
 ربكم (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأقمنا بها عشرتهم فيقات ربه أربعين ليلة) روى أن موسى وهو عصر
 وعدي بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكاتب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون
 وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذى وعده بنى إسرائيل
 فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فسه فتنسول بعد
 خربوب فقالت الملائكة كنا نשמ من قبل راحة المسك ففسدته بالسؤال فأمره الله أن يصوم عشر
 ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بنى إسرائيل فى
 تلك العشر التى زادها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه إلى
 الجبل للناداة (اخلفنى) أى كن خليفتى (فى قومي) وراقبهم فيما يأتون وما يذرون (وأصلح)
 أمور بنى إسرائيل وأمرهم بعبادة الله تعالى وهى صلاحهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) أى ومن
 دعاك منهم إلى طريق المفسدين بالمعاصي فلا توافقهم (ولما جاء موسى إيماننا) أى لمعادنا فى مدين فى
 يوم الخميس يوم عرفة فكامه الله تعالى فيه من غير واسطة وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر
 (وكلمه ربه) أى أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من كل جهة (قال رب أرنى أنظر إليك)
 أى أرنى ذاك بأن تمكنتى من رؤيتك فأراك (قال) تعالى له (إن ترانى) أى لن تقدر أن ترانى فى
 الدنيا يا موسى (ولكن انظر إلى الجبل) فى مدين (فإن استقر مكانه فسوف ترانى) أى فإن استقر
 الجبل مكانه لرؤيتى فلهذا ترانى والرؤية متأخرة عن النظر لانه تغليب الهدوة السليمة جهة المرفى التماسا
 لرؤيته والرؤية الادراك بالماصرة بعد النظر (فلم اتجلى ربه للجبل جعله دكا) أى فلما ظهرت عظمته تعالى
 لجبل زبير جعله مكسورا قيل إن جبل زبير أعظم جبل فى مدين فإنه صار ستة أجيال فوق ثلاثة منها
 بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة فكانت ربهى ثور وثور وثور وثور أى أرى الله تعالى ملائكة
 السماء السابعة يحمل عرشه فلما أبدأ نور العرش انصدع الجبل من عظمة الله تعالى وقرأ حمزة والكسافى
 دكا بالمد أى مستويا بالارض وقرأ ابن وثاب دكا بضم الدال وبالقصير جمع دكا أى قطعاً (وخر موسى
 صعقا) أى مغشياً عليه من هول ما رآه من النور (فلما أفاق) من غشيقته (قال سبحانه) أى
 تنزهها لك عن أن ترى فى الدنيا (ثبت إليك) من الجرائم على السؤال بغير إذن منك (وأنا أول المؤمنين)
 أى المقرين بذلك لا ترى فى الدنيا السكلى الانبياء وقد ثبتت الرؤية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الامراء
 على الصحيح أو يقال وأنا أول المؤمنين بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بإذنك (قال) تعالى له (يا موسى
 انى أصطفيتك) أى فضلتك (على الناس) أى بنى إسرائيل (برسالتي) أى بكتب التوراة
 وقرأ نافع وابن كثير برسالتي بالافراد أى تبليغ رسالتي (وبكلامي) أى بربك كلمى معك بغير
 واسطة (لقد ما آتيتك) أى فاعمل ما أعطيتك من الرسالة أى الوحى (وكن من الشاكرين) أى
 واشتغل بشكر الفوز بهذه النعمة وهو القيام بالواجب العلم والعمل لا ولا يضيق قلبك بسبب منعك الرؤية
 (وكتبنا له فى الألواح) أى وكتبنا موسى فى ألواح التوراة (من كل شئ) يحتاج اليه موسى وقومه فى
 دينهم من الحلال والحرام والحاسن والقبايح (موعظة ونصائح لئلا كل شئ) بدل من قوله تعالى من كل
 شئ باعتبار محله وهو النصب أى كتبنا له كل شئ من المواعظ التى توجب الرغبة فى الطاعة والنفرة عن

المعصية ومن شرح أقسام الاحكام (لتحذرها) أي فقلنا عمل هذه الاشياء (بقوة) أي بجذونية
صادقة (وأمر قومك ياخذوا بأحسنها) أي التوراة أي يعملوا بمحكمها ويؤمنوا بنسائها أو قال بعضهم
الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح وأحسن هذه الثلاثة الواجبات والمندوبات (سأريكم دار
الفاستق) أي سأدخلكم الشام بطريق الايراث وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متواطفين
فيها من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها فلا تفسقوا مثل فسقهم وقرئ سأريكمكم بالثاء المثلثة
(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) أي سأزيل الذين يتكبرون في الارض
بالذين الباطل عن ابطال آياتي باهلاصكم على يد موسى وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في
ابطال ما رآه من الآيات فلا يقدر على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من اذعان بها أي
واختيار بني اسرائيل دار الفاسقين بعدها كهم (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي وان يشاهدوا كل
مهمزة كفر وابطال واحدة منها (وان يروا سبيل الرشدا) أي الذين الحق والخير (لا يتخذوه سبيلا)
أي لا يسلكوا سبيله وقرأ حمزة والكسائي الرشدا بفتح الراء والشين والباءون بضم الراء وسكون الشين
وروى عن ابن عامر بضمين وقال أبو عمرو بن العلاء لرشدا بضم و سكون الصلاح في النظر وبفتح تحتين
الاسم إقامة في الدين (وان يروا سبيل النفي) أي الضلال (يتخذوه سبيلا) أي يختارونه
ملكاً لانفسهم (ذلك) أي تكبرهم وعدم ايمانهم بشي من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشدا
واقامهم التمام الى سبيل النفي (بانهم كذبوا بآياتنا) أي حاصل بسبب انهم كذبوا بكنا الدال على
بطلان اتصافهم بالقبايح (وكانوا عنافا قاتلين) أي وكانوا جاحدين بها (والذين كذبوا بآياتنا) أي
بكنا (راقاه الآخرة) أي ربلقائهم الآخرة التي هي موعد الجزاء (حبطت أعمالهم) أي حسنتهم
التي لا تتوقف على نية كصلة الارحام واغاثة الملهوفين وان نفعهم في تخفيف العذاب لكن التخفيف
لا يقال له ثواب (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أي ما يجزون في الآخرة الاعلى ما كانوا يعملون في
الدنيا من الكفر والمعاصي (واخذ قوم موسى من بعدهم حليم عجيلا) أي صاغ موسى السامري
المنافق وهو من بني اسرائيل من بعد ان طلاق سيدنا موسى عليه السلام الى الجبل عجيلا من ذهب
(جسدا) آتى بهذا البدل لدفع قوهم صورة عجل منقوشة على حائط مثلا (له خوار) أي صوت
وقرأ على رضى الله عنه جوار بالجم والهمزة أي صباح قيل ان بني اسرائيل كان لهم عبيد يتزينون فيه
ويستعبدون من القبط الخلي فلما أغرق الله القبط بقيت تلك الخلي في أيدي بني اسرائيل وصارت ملكا
لهم فجمع السامري تلك الخلي وكان رجلا طاعافهم صائغا فصاغ السامري عجلا وأخذ كفامن تراب حافر
فرس جبريل عليه السلام فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب الحمار وما ظهر منه الحمار مرة واحدة فقال
السامري هذا الحكم واله موسى (الم يروا) أي لم يروا قوم موسى (أنه) أي العجل (لا يكلمهم)
بشيء (ولا يهديهم سبيلا) بوجه من الوجوه (اتخذوه) أي عبيدوه (وكانوا ظالمين) لانفسهم
حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى واشتغلوا بعبادة العجل (ولما سقط في أيديهم) أي لما اشتد منهم
على عبادة العجل وسقط مبنى للعجول وأصل الكلام سقطت أفواصهم على أيديهم فني عني على وذلك
من شدة التندم فان العادة ان الانسان اذا ندب بقلبه على شيء عصى بضمه على أصابعه فسقطت أفواصه على
الأيدي لازم للتندم فاطلاق اسم اللازم وأريد المزموم على سبيل السكتية (ورأوا أنهم قد ضلوا) أي تبينوا
ضلالهم تبينا كأنهم أبصروا بعيونهم بحيث تبينوا ضلالهم بعبادة العجل (قالوا) أي قال بعضهم لبعض

(لئن لم يرتدوا يفرلنا) فيعذبنا (لنكونن من الخاسرين) بالعقوبة وقرأ حمزة والكسائي ببناء
 الخطاب في الفعلين حكاية لظاهم وينصب ربنا على النداء (ولما جمع موسى القومه) من مناجاته
 (غضبان) على قومه لاجل عبادتهم الجبل (أسفا) أي حزنا لأن الله تعالى قدّمهم (قال) بشما خلفتوني من
 بعدى (أي) بشما أقمت مقامى وكنتم خلفاى من بعد انطلاقى إلى الجبل وهذا الخطاب أما العبد الأهل من
 السامري من أشباعه أي بشما خلفتوني حيث عبدتم الجبل مكان عبادة الله تعالى وأما الهرون والمؤمنين
 معه أي بشما خلفتوني حيث لم تنعواهم من عبادة غير الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره
 بشئ خلافة خلفتموهم منها من بعدى خلافتكم هذه (أعجلتم أمر ربكم) أي أعجلتم وعد ربكم من
 الأربعين ثم تصبروا أنه قد رواه أن موسى لما أتت على رأس الثلاثين ليلة فقدمت قائمهم
 عدوا عشرين يوما لياليها أربعين (وألقى الألواح) أي وضع الألواح التوراة في موضع ابتفرغ لما قصد
 مكانة قومه فلما فرغ عاد إليها فأخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأس هرون (يجري إليه)
 أي إلى نفسه لأعلى سبيل الأهانة بل استكشف منه كيفة تلك الواقعة (قال) هرون (ابن أم)
 قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بكسر الهمزة هونا في طه والباءون بفتحها في السورتين
 (ان القوم استضعفوني) أي وجدوني ضعيفا (وكادوا يقتلونى) لأنى نهيتهم عن عبادة الجبل (فلا تسمت
 بي الأعداء) أي فلا يسم الأعداء أصحاب الجبل بما فعل بي من المكره (ولا تجعلني مع القوم الظالمين)
 أي لا تظن أنى واحد من الذين عبدوا الجبل مع برأى منهم (واغما قال هرون تلك المقالة لأنه يخاف أن
 يتوهم جهال بني إسرائيل أن موسى عليه السلام غضبان عليه كما أنه غضبان على عبدة الجبل (قال)
 موسى (رب اغفر لي) فيما أقدمت على أشي هرون من هذا الغضب (ولا تخ) في تركه التشديد على
 عبدة الجبل (وأدخلنا في رحمتك) أي جنتك بزيادة الانعام بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم
 الراحمين) فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا الجبل) أي عبدوه واستمروا على عبادة
 كالسامري وأشباعه (سينالهم غضب) عظيم كأنهم (من ربهم) في الآخرة (وذلة في الحياة الدنيا)
 وهى الاغتراب والسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامري هو الانفراد عن
 الناس والابتلاء بلامساس ويروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد اغسبهم حما
 جميعا في الوقت (وكذلك نجزي المفترين) أي الكاذبين على الله والمعنى أن كل مفترى دين الله لجراؤه
 غضب الله والذلة فى الدنيا قال مالك بن أنس ما من مبتدع إلا وجد فوق رأسه ذلة لا المبتدع مفترى دين
 الله (والذين عملوا السيئات) أي أتى من جملتها عبادة الجبل (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من
 بعدها) أي من بعد عملها (وآمنوا) إيمانا صحيحا بالله تعالى بأن صدقوا بأنه تعالى لا اله غيره ولم يصروا
 على ما فعلوا كالأطاعة الأولى (ان ربك) أي يا أفضل الخلق (من بعدها) أي من بعد تلك التوبة
 المقررة بالإيمان (لغفور) للذنوب وان عظمت وكثرت (رحيم) أي مبالغ في إفاضة فنون الرحمة
 النبوية والآخرية أي من أتى بجميع السيئات ثم تاب فإن الله يغفره الله وهذا من أعظم ما يقبده
 البشارة للذنبين (ولما سكنت) أي زال (عن موسى الغضب) باعتذار أخيه وقوية القوم وقرى سكن
 بالنون وأسكنت بالتام مع الهمة على أن الفاعل هو الله تعالى وأخوه (أخذ الألواح وفي نسختها) أي
 وفي المكتوب فيها من الألواح المحفوظ (هدى) أي بيان للحق (ورحمته) للخلق بإرشادهم إلى ما فيه
 الخير والصالح (للذين هم لهم ربهم) (اللام الأولى متعلق بمحذوف هو صفة رحمة والثانية لتعوية

عمل الفعل المؤخر (واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاته) روى أن موسى اختار من اثني عشر
سبطاً ستة فصاروا اثني عشر سبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال إن لم تفعل فدمتمكم مثل
أحر من خرج ففقد كالب ويوشع وذهب مع الباقيين وأمرهم أن يصوموا ويظهروا ويظهروا وأن يأمروهم
لخرج بهم إلى طور سيناء فلما أدنوا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخر وامسجداً فسبحوا
تعالى يكلم موسى بأمروهم فيها ثم انكشف الغمام فأقبلوا إلى موسى وقالوا إن نؤمن لك حتى ترى الله
جوهرة أي إن نصدقك في أن الأمر بما سمعنا من الأمر بقل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه فأخذتهم رجفة
الجبل فأتوا بمواويله تنبيهه واختار بتعدي إلى اثنين ثانيهما الحجر ورعين ثم تخلف حرفا الحجر ويوصل
الفعل إلى الحجر وروى سبعين مفعول أول (فلما أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة (قال) موسى
(رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي من قبل خروجهم إلى الميقات (وإياي) معهم قاله تسليماً
لقضاء الله تعالى أي أنا كما مستحقين للإهلاك ولم يكن من موافقه إلا عدم مشيئة أياه (أتهلككم أياي)
فعل السفهاء منا) أي ظن موسى أنما أهلكتهم الله بعبادته قومه أهل الجبل وقال هذا على طريق السؤال
وقال المبرد هو استغفاهم استعطاف أي لا تهلككم بسبب فعل عباد الجبل (إن هي إلا فتنتك) أي
ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء إلا محنتك بأن أوجدت في أهل خوارق اغوايه وأمعنتهم كلاماً فافتنوا
بذلك حتى طمعوهم ما فوق ذلك (تضل بها) أي بتلك الفتنة (من تشاء) اضلاله فلا يهتدي إلى
التثبت (وتهدي من تشاء) هدايته إلى الحق فلا يترزل في أمثاله فيبقى بها إيمانه (أنت ولينا) أي
أنت القائم بأمرنا الدنيوية والآخرية (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصي (وارحمنا) بأفادتنا آثار
الرحمة الدنيوية والآخرية علينا (وأنت خير الغافرين) لأنك تغفر ذنوب عبادك لا تغرض بل
لحض الفضل والكرم أما غيرك فأغايته تجاوز عن الذنب أما طلب الثواب الجزيل أو اللئيم الجليل أو دفعاً
للبقرة الحسنة عن القلب (واكتب لنا) أي أثبت لنا (في هذه الدنيا حسنة) أي نعمة وطاعة
(وفي الآخرة) أي واكتب لنا في الآخرة حسنة وهي الجنة (أنا هدنا إليك) أي رجعتنا عما صنعنا من
المعصية التي جئناك للاعتذار عنها (قال) تعالى (عذابي أصيب به من أشاء) وليس لأحد على اعتراض
لأن الكل ملكي وقرأ الحسن من أساء فعل ماضٍ من الأساء واختار الشافعي هذه القراءة (ورحمي
وسعت كل شيء) أي إن رحمته في الدنيا همت الكل وأما في الآخرة فرحمته مختصة بالمؤمنين كما أشار
تعالى إليه بقوله تعالى (فسأكتبها) أي فسأثبتها في الآخرة (للذين يتقون) أي السكفر والمعاصي
(ويؤتون الزكاة) أي يعطون زكاة أموالهم (والذين هم بآياتنا) أي دلائل وحدانيةتنا وقدرتنا
(يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة ومع ذلك قد جمع علوم
الاولين والآخرين (الذي يجدونه) أي الملقون اسمهم ونعته (مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)
الذين تعبد بهما بنو إسرائيل (بأمرهم بالمعروف) أي بالتوحيد وبكلام الأخلاق وبر الوالدين وصلة
الأرحام (وبنهاهم عن المنكر) أي عبادة الاوثان والقول في صفات الله بغير علم والكفر بما أنزل الله
على النبيين وقطع الرحم وعقوق الوالدين (ويحل لهم الطيبات) أي الأشياء المستطابة بحسب الطبع
فكل ما تستطيه النفس ويستلذه الطبع فهو حلال الدليل منفصل (ويحرم عليهم الخبائث) أي
كل ما يستخبئه الطبع وتستقدره النفس فكل ما يستخبئه الطبع حرام الدليل منفصل وعلى هذا فرع
الشافعي تحريم بيع الكلب لأنه روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكلب خبيث

وخبيث ثغفه واذا ثبت أن ثغفه خبيث ثبت أن يكون حراما والخمر محرمة لأنها رجز والرجس خبيث باطبا
 أهل اللغة عليه والخبيث حرام (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي يخفف عنهم
 ثقلهم والشدائد التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول من الجلد والذوب واحراق الغنائم وتحريم السب
 وقتل النفس في التوبة وتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وعن عطا كانت
 بنو إسرائيل اذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم فوضع الله تعالى فعله هذا
 القول الاغلال غير مستعارة أي وكانت هذه الاغلال في شريعة موسى عليه السلام فلا جأء محمد صلى الله
 عليه وسلم نسخ ذلك كله يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعدت بالخنيفة السهلة السبعة وقرأ ابن عامر
 وحده أصارهم على الجمع (فالذين آمنوا به) أي بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبدة الله بن
 سلام وأصحابه (وعزروه) أي أضافوه بجمع أعدائه منه (ونصروه) على أعدائه في الدين بالسيف
 (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي واتبعوا القرآن الذي أنزل مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان نبوته
 ظهرت مع ظهور القرآن وعبر عنه بالنور الدال على كونه مظهر للحقائق (أولئك هم المفلحون) أي
 الفائزون بالاطلوب في الدنيا والآخرة انما جوت من السخط والعذاب لا غيرهم من الامم (قل يا أيها
 الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) الذي (لا اله الا هو يحيي ويميت) واعلم
 أن هذه الدعوى وهي دعوى رسول الله لا تظهر قائمتها الا بتدبير أصول ثلاثة أولها اثبات أن للعالم الها
 حيا قادرا والذي يدل عليه ما في قوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لانه بتدبير عدم حصول
 مؤثره العلم في وجوده أو بتدبير كون المؤثر موجبا بالذات لافاعلا بالاختيار لم يصح القول ببعضه الانبياء
 عليهم السلام وثانها اثبات أن الله العالم واحد منزوع عن الشر والصد والند واليه الاشارة بقوله تعالى
 لا اله الا هو لانه اذا لم يثبت كون الله تعالى واحدا لم يكن ارسال الرسل وانزال الكتب جائزا لانه بتدبير
 كون الالهين للعالم يجوز أن يكون الانسان الذي يدعوه رسول أحدهما مخلوقا للاله الثاني فاجاب الطاعة
 على الاله الذي لم يخلفه ظلم وباطل وثالثها اثبات انه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة واليه
 الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت لانه تعالى لما أحيى أولاد نبت كونه تعالى قادر على احياء ثانيا وكون
 قادرا على ابطال الجزا لانه بتدبير عدم ثبوت الاعادة كل الاشتغال بالطاعة والاحترار عن المعصية
 عما ولغوا وما ثبت القول بصحة هذه الاصول الثلاثة ثبت أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة
 الخلق بالتكاليف لان الخلق كلهم عبيده تعالى ولذلك قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
 الذي يؤمن بالله وكلماته) واعلم أن هذا اشارة الى المجهزات الدالة على كون محمد نبيا حقا ومجهزات
 رسول الله كانت على نوعين الاول المجهزات التي ظهرت في ذاته المباركة واجلها أنه صلى الله عليه وسلم كان
 رجلا أميا لم يتعلم من أستاذ ولم يطالع كتابا لم يتفق له مجالسة أحد من العوام ومع ذلك فتح الله عليه باب
 العلم وأظهر عليه القرآن المشتمل على علوم الأولين والآخرين فظهر هذه العلوم العظيمة على من كان
 صفته أميا من أعظم المجهزات والثاني المجهزات التي ظهرت من مخارج ذاته مثل انشقاق القمر ونزوح
 الماء من بين أصابعه وهي تسمى بكلمات الله تعالى لانها لما كانت أمورا غريبة تخارقه للعادة تسمى بكلمات
 الله كما أن عيسى عليه السلام لما كان حديثا من غريبها انما اعتاد معناه الله تعالى كلمة وقال ابن عباس
 ومعنى كلماته بالجمع كتابه وهو القرآن وان قرئ وكلمته بالافراد كان معناه عيسى وهذا تنبيه على أن من
 لم يؤمن به لم يعتقد بآياته وتعرض باليهود ولما ثبت بالدلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذكر الله الطريق

الذي يمكن معرفة شرعه بالتفصيل وهو الرجوع الى أقواله وأفعاله فقال (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذمر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) أي وجاهدوا لاهتدائكم الى المطلوب (ومن قوم موسى أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) أي يدعون الناس الى الهداية بالحق (وبه) أي بالحق (يعبدون) في الأحكام الجارية فيما بينهم فقبل هم اليهود الذين كانوا في زمان الرسول وأسلموا مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وقبل منهم قوم مشوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف في زمن تغرق بني إسرائيل واحداهم البدع وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما كفروا وقتلوا الانبياء بقي سبط من حلة الاثني عشر فاصنعوا وسألوا الله تعالى أن ينقذهم منهم ففزع الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين عندهم طلوع الشمس على نهر رملي يسمى أردن وهم اليوم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبايتنا (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا عدا بني فرقة) أي بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثني عشر رجلا من أولاد يعقوب وميزنا بعضهم من بعض أسباطا قائم مقام قبيلة وهو تمييز أو بدل من اثنتي عشرة وأعمال بدل من أسباطا أي وصيرناهم أعمالا لأن كل سبط كان أمة عظيمة (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) حين استولى عليه العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم بالاستسقاء موسى لهم (أن اضرب بعصاك الحجر) الذي معه (فانجست) أي فضربت فافجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الأسباط (قد علم كل إناس) أي كل سبط (مشرهم) أي عينهم الخاصة بهم (وظللنا عليهم الغمام) في التيه من حر الشمس تسرا الغمام يسيرهم وتسكن بأقامتهم وتضي لهم في الليل مثل النراج (وأزلنا عليهم المن) وهو شئ حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر الى طلوع الشمس وبأخذ كل إنسان صاعا (والسلوى) أي الطير السمان يخفف اليم والقصر وتسوقه الريح الجنوب عليهم فيذبح كل واحد منهم ما يكفيه وهو يوت إذا سمع صوت الرعد فيلهم الله تعالى أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد إلى انقضائه أو انه ما يخرج من الجزائر وينتشر في الارض وخاصيته ان كل لحم يلين القلوب القاسية (كأوامن طيبات ما رزقناكم) أي وقتلناهم كأوامن مستلذاته من المن والسلوى والمعنى قصر أنفسهم على ذلك المطعوم وعلى ترك غيره فامتنعوا من ذلك وسموا وسألوا غير ذلك (وما ظاونا) بمقابلته تلك النعم بالكفران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمخالفتهم ما أمر به (واذ قيل لهم) أي اذكربا كرم الرسل ابني اسرائيل وقت قوله تعالى لاسلافهم (اسكنوا هذه القرية) أي قرية الجبارين قوم من بنية عاد ريسهم عوج بن عنق أي قال الله تعالى على لسان موسى لهم اذا خرجتم من اتيه اسكنوا بيت المقدس أو قال لهم على لسان يوشع بعد خروجه من التيه اسكنوا أريحا (وكلاهما) أي القرية (حيث شئتم) ومتى شئتم (وقولوا حطة) أي أمرك حطة لذنوبنا (وادخلوا الباب) أي باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها (مسجدا) شكرنا على اخراجهم من التيه (فإنكم خطيئون) وقرآننا من ابن عامر تغفر بالتاء المضمومة وقرآننا من خطيئكم بجمع السلامة وابن عامر خطيئكم على التوحيد والباقيون تغفرونون مفتوحة وأبو عمرو خطاياكم بجمع التكسير والباقيون خطيئنا بجمع السلامة وفي قراءة يغفر بالياء فعلى هذا لا يقرأ خطايا بالافراد وعلى التاء لا يقرأ خطايا (سنزيد المحسنين) بالطاعة في احسانهم (فبذل الذين ظلموا منهم) وهم أصحاب الخطيئة (قولوا غير الذي قيل لهم) أي غير الذي أمرهم بالذي أمروا من التوبة وقالوا مكان حطة حنة وروى أنهم دخلوا راحقين على ادبارهم استخفافا بأمر الله

تعالى واستهزأهم جميعاً (فأرسلنا عليهم) عقب ما فعلوا من غير تأخير (رجزاً من السماء) أى عذاباً
كائناتها وهو الطاعون (بما كانوا يظلمون) أنفسهم لأنهم خرجوا عن طاعة الله تعالى روى أنه مات
منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أى واسأل
يا أشرف الخلق اليهود المعاصرين لك سؤال تفرغ عن خبر أهل المدينة التي كانت قريبة من بحر القلزم
وهي أيلة قريبة بين مدين والطور وقيل هي قرية يقال لها مقنايين مدين وعينه وناو سبب نزول هذه الآية أن
اليهود قالوا لم يصدر من نبي أمرائيل كفروا لا مخالفة للرب فأمر الله تعالى أن يسألهم عن حال أهل هذه
القرية في زمن داود عليه السلام تقر بعافاتهم يعتقدون أنه لا يعلمه أحد غيرهم فذكر الله لهم قصة أهل تلك
المدينة فبهتوا وظهر كذبهم (الذين يعدون في السبت) أى يجاوزون حد الله تعالى بأخذ الحيتان يوم السبت
وقد نهوا عنه (اذنائبهم حيث أنهم يوم سبتهم) أى يوم تعظيمهم لأمرا السبب بالتجرد للعبادة (ثم راعا)
أى ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل (ويوم لا يسمتون) وقرى شاذة بضم الباء وقرأ على رضى
الله عنه بضم الياء من الرباعي وعن الحسن بالنساء للفعول أى لا يدخلون في السبت (لاذنائبهم) قال ابن
عباس ومجاهد أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرهم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم
الله به وحرم عليهم الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في
البحر فإذا انقضى السبت ذهبت وما تعود إلا في السبت المقبل (كذلك) أى مثل ذلك البلاء (نبأهم)
أى أعلمهم بمعاملته من يحتقرهم (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم (واذا قالت أمة منهم)
أى جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب في موعظة أولئك الصيادين حتى أيسوا
من قبولهم لاقوام آخرين لا يقطعون عن وعظهم رجاء للنفع وطمعاً في فائدة الانتظار (لم تعظون قوماً الله
مهلكهم) أى يحجزهم في الدنيا (أو معذبهم عذاباً شديداً) في الآخرة لعدم إقناعهم بما كانوا عليه من
الفسق (قالوا) أى الواعظون (معذرة) قرأه حفص عن عاصم بالنصب أى وعظناهم لاجل
المعذرة والماقون بالرفع أى موعظتنا معذرة (إلى ربكم) لتسليان إلى النوع تقرط في النهى عن
المنكر (واعلمهم بقون) أى ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا
ما وعظوا به بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ أصلاً (المجينا الذين ينهون عن سوء) أى عن
أخذ الحيتان يوم السبت وهم القرية كان المذكوران (وأخذنا الذين ظلموا) بأخذ الحيتان ذلك اليوم
(بعذاب بئس) أى شديد وقرأ أبو بكر بئس على وزن ضيعم وابن طامر بئس بوزن حذر (بما كانوا يفسقون)
أى أخذناهم بالعذاب بسبب الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم فالباء آن متعلقة بأخذنا
(فلما عتوا عما نهوا عنه) أى فلما فاعوا عن ترك ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة فاسقين) أذلاء بعداء عن
الناس (واذا أذن ربك ليعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم) أى يذيقهم (سوء العذاب) أى
واذكر يا أكرم الرسل إذا علم الله أسلاف اليهود على السنة أنبيائهم أن لم يؤمنوا بأنبيائهم أن يسلط
عليهم من يقابلهم إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمه (إن ربك لسريع
العقاب) إذا جاء وقته لمن عصاه فيعاقبهم في الدنيا ما قبل محي وقت العذاب فهو شديد الخلم (وانه لغفور
رحيم) لمن تاب من الكفر واليهودية ودخل في دين الإسلام (وقطعناهم في الأرض أهما) أى فرقنا
اليهود الذين كانوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الأرض فرقا كثيرة حتى لا تكون لهم شوكة فلا
يوجد بلد الا وفيه طائفة منهم (منهم الصالحون) وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم أو الذين ورا

نهر الرمل (ومنهم دون ذلك) أى ومنهم من ثبت على اليهودية وخرج من الإصلاح (وبلوناهم بالحسنات)
 أى بالنعم والخصب والعافية (والسيئات) أى بالجدوبة والشدائد (لعلهم يرجعون) أى اسكنى يرجعون
 معصيتهم إلى طاعة ربهم فإن كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة بالترغيب والترهيب
 (الخلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعده هؤلاء الذين وصفناهم بل سوء (ورثوا الكتاب) أى أخذوا
 التوراة من أسلافهم (ياخذون عرض هذا الأدنى) أى متاع الدنيا على تحريف الكلام في صفة محمد صلى
 الله عليه وسلم وفي الأحكام وهم يستحقون ذلك الذنب (ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله
 يأخذوه) أى ويقولون لا يؤاخذنا الله تعالى وإن يأتهم متاع مثل ما أتاهم أمس يأخذوه لحرصهم على
 الدنيا ولا يستمعون منه أو المعنى أنهم يفتنون المغفرة من الله تعالى والحال أنهم مصررون على الذنب غير
 تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) أى ألم يؤخذ عليهم ميثاق كائن
 في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وقدمه نواقضها عن تحريف الكتاب وتغيير الشرائع لأجل أخذ
 الرشوة والتمنى ففيه افتراء على الله تعالى ففيها من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة وإن لا
 يقولوا عطف بيان للميثاق (ودرسوا ما فيه) أى ذكروا ما في الكتاب لأنهم قرؤوه وأذكروا ما أخذ
 عليهم لذلك وهذا عطف على ورثوا وعلى ألم يؤخذ فإن المقصود من الاستفهام التقرير إثبات ما بعد
 النقي والمعنى قد أخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في ذلك الميثاق (والدار الآخرة) أى الجنة (خير للذين
 يتقون) عقاب الله من تلك الرشوة الخبيثة (أفلا تعقلون) إن الدنيا فانية والآخرة باقية وقرأنا نافع
 وابن عامر وحفص بالتأني على الخطاب التفاتاً لهم ويكون المراد أعمالاً بما تنهاى القصد وتشديد التوبيخ
 أو يكون خطاباً لهذه الأمة أى أفلا تعقلون حالهم والباقون بالياء على الغيبة مرعاة لها في الضمائر
 السابقة (والذين يذكرون) قرأه أبو بكر عن طاسم بسكون الميم والباقون بفتحها وتشديد السين
 (بالكتاب) أى والذين يعملون بما في الكتاب (وأقاموا الصلاة) وأما أقروا بالذكراً لأنها أعظم
 العبادات بعد الإيمان (أنا أنصيح أحرار المصلين) وهذه الجملة خبر للوصول وإزالة حاصل بلفظ
 المصلين لأنه قائم مقام الضمير لاسيما في ألف واللام فإنها تكفي في الربط عند الكوفيين وقيل الخبر
 محذوف والتقدير مثابون بقوله تعالى أنا أنصيح اعتراض وهذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه
 (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) أى وإذا ذكر يا مشرف الخلق إذا قلنا الجبل الذي سمع موعى عليه كلام
 ربه وأعطى الألواح وجعلناه فوق رؤوسهم كأنه سقيفة (وظنوا أنه واقع بهم) إن لم يقبلوا أحكام
 التوراة (خفوا ما آتيناكم بقوة) أى وقولنا لهم لهم لوأبى أعطيناكم نجدعنى احتمال تكاليفهم (وذكروا
 ما فيه) من الثواب والعقاب ويقال أحفظوا ما فيه من الأمر والنهي ويقال أعملوا بما فيه من الحلال
 والحرام (لعلكم تتقون) أى راجعين أن تتنظموا في سلك المتقين (وإذا أخذ ربك من بني آدم من
 ظهورهم ذريتهم) وقرأنا نافع وأبو عمرو وابن عامر على الجمع والباقون على التوحيد أى وإذا ذكر يا مشرف
 الخلق لليهود حين أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألم
 نرى أنكم قالوا بلى شهدنا) وذكر هذه الآية يجزى تقرير المحجة على جميع المكلفين والمقصود من
 ذكرها هنا الاحتجاج على اليهود بشذ كبير الميثاق العام المنتظم للناس كافة ومنعهم عن التقليد
 وحلهم على الاستدلال وفي تفسير هذه الآية طريقان طريق السلف وطريق الخلف فطريق السلف
 إن الله تعالى لما خلق آدم أخرج أولاد ذرية آدم كاللوز من ظهره أى من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة

تعبه دقيقة يقال لها سم مثل سم الحياط في النعوذ فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصبيان من
العرق السائل ثم أخرج من هذه الذرة الذي أخرجه من آدم ذريته ذرائع أخرج من الذرة الآخر ذريته ذرا
ثم أخرج من الذرة الآخر ذريته ذرا وهكذا إلى آخر النوع الانساني والمحمر الجميع قدام آدم ونظر لهم بعينه
وخلق الله تعالى فيهم العقل والفهم والندى وجعل الذرة المسلم أبيض والكافر أسود وخاطب الجميع
بقوله تعالى ألسنت بر بكم فقال الجميع بلى أي أنت ربنا ثم أعاد الجميع إلى ظهر آدم ويجب اعتقاد إخراج
الذرية من ظهر آدم كما شاء الله ومعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم الخ أي استنطقهم
بربوبيته تعازي فقر وأبلاك وقال الحكيم الترمذي إن الله تعالى تجلى للكفار بالحبيبة فقالوا بلى مخافة منه
تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم وتحلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم وطريق
الخلع إن الله تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آياتهم وذلك لإخراج انهم كانوا نطفة
فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات وجعلها علقة ثم مضى فجمعهم بنسبهم وأراد خلقا كاملا ثم
أشهدهم على أنفسهم بركب فيهم من دلائل واحدانيته وبحجاب خلقه وغرائب صنعه فبالاشهاد
صاروا كأنهم قالوا بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان فمحصل هذه الطريقة أنه لا إخراج ولا قول ولا
شهادة بالفعل وإنما هذا كله على سبيل المجاز التثليل فنبه حال النوع الانساني بعد وجوده بالفعل
بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة الدالة على ربوبية الله المتعزية لأن ينطق ويقر بعبادتها
أخذ الميثاق عليه بالفعل بالاقرار عاذا كر وحينئذ فعني قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم
أي ونصب الله لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل
لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فنزل عليهم من العلم ما دعوهم من منزلة الشهادة والاعتراف على طريقة
التثليل والله أعلم بحقيقة الحال (أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين أرتقوا انما أشركنا
من قبل) وقرأ أبو عمرو وبالياء على الغيبة والباقيون بالتاء وفي قوله تعالى شهدنا قولان فقيل أنه من كلام
الملائكة وذلك لأنهم لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة أشهدوا فقالوا شهدنا عليهم ثلاثا بقولوا ما أقررنا
أولملائنا قولوا أيها الكفرة أوشهدنا عليهم كراهة أن يقولوا وقيل أنه من بقية كلام الذرية أي وأشهدهم
على أنفسهم بكذا وكذا ليقولوا يوم القيامة عند ظهور الامراننا كنا عن واحدانية الربوبية لانعرفه أو
كراهية أن يقولوا ذلك وعلى هذا التقدير فلا يجوز الوقف عند قوله شهدنا ولا يحسن على بلى وقوله أو
تقولوا معطوف على أن يقولوا والمعنى أن المقصود من هذا الاشهاد لئلا يقول الكفار انما أشركنا لأن
آبائنا أشركوا من قبل زمانا فقد ناهم في ذلك الشرك وقال الخلف معنى هذه الآية أنا نصبنا هذه الدلائل
وأظهرناها للعقول كراهية أن يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فثابته اعليه منبه أو كراهية أن
يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لا سلاقتنا لأن نصب الأدلة على التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في
الاعراض عنه والاقبال على الاقتداء بآباء كما قالوا (وكنا ذرية من بعدهم) لا نقدر على الاستدلال
بالدليل (أفهل لنا عاقل المبطلون) من آبائنا المضلين فافواخذة اغشاهي عليهم والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج
بذلك لانه قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل ايهاهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معاندا
ناقضا للهدى ولزمهم الحجج لا تسقط الحجة بنسبهم بعد اخبار الرسل (وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم
يرجعون) أي مثل ما بينا خبر الميثاق في هذه الآية بين سائر الآيات ليدبروها فيرجعوا إلى الحق
ويرضوا عن الباطل (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فأسلم منها فأتبعه الشيطان فكان من

(الغافين) أي وائل يا أكرم الخلق على اليهود خير الذي آتينا علوم الكتب القديمة والتصرف بالامم
 الاعظم وهو أحد علماء بني اسرائيل فكان يدعو به حيث شاء فيجيبون ما طاب في الحال وكان بحيث
 اذا نظر رأى العرش وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة لثمة علمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان
 أول من صنف كتابا بانيس للعالم صانع وهذا معنى فالسليح منها أي انسلخ من تلك الآيات انسلخ الحجة
 من جلد هابان كفر بها فادركه الشيطان فصار من زمرة الضالين قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد
 رحمهم الله تعالى نزلت هذه الآية في بلتم بن باعورا وذلك لان موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه
 وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى عليه السلام وقومه وكان محجاب الدعوة وعنده
 اسم الله الاعظم فامتنع منه فازالوا طابونه منه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبني اسرائيل
 في التيبه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب رقتنا في التيبه فقال بدعائه بلعم فقال كما سمعت دعاءه على
 فاسمع دعائي عليه ثم دعاه موسى عليه ان يترع منه اسم الله الاعظم والايان فسلخه الله عما كان عليه وترع
 منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء (ولو شئنا لرفعناه بها) أي ولو شئنا لرفعناه (رفعناه للعمل بتلك
 الآيات فكان يرفع منزلته بواسطة تلك الاعمال الصالحة) (ولكنه أخذنا الى الارض) أي مال الى الدنيا فأنثر
 الدنيا الدنية على المنازل السنية (وانبع هواه) في ايشار الدنيا معرضا عن تلك الآيات الجلية فغلبه كسل الكلب
 ان يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث أي صفة بلعم كصفتي الكلب في حائتي التعب والراحة فهذا الكلب ان
 شدة عليه لهث وان تركه أيضا لهث لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة أصابية له فكذلك هذا الحرص الضال
 ان وعظته فهو ضال وان لم تعظفه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال طبيعة مذاتية له واللهث ادلاج اللسان
 بالتنفس الشديد أي فالكلب دائم اللهث سواء أزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حانه بخلاف سائر
 الحيوانات فانما لا تحتاج الى التنفس الشديد الا عند التعب (ذلك) أي المثل السيئ (مثل القوم الذين
 كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوفوا في التوراة ما أوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وبشروا
 الناس باقتراب مبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسخطوا من حكم التوراة (فاقص القصص) أي
 فاقص يا أكرم الرسل على قول قصص الذين كذبوا أنبياءهم (لعلهم يتفكرون) أي يتفكرون
 (سأه مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي سأه مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجج عليها
 وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة أي الذين جمعوا بين
 التكذيب في آيات الله وظلم أنفسهم خاصة وقرأ الجندري سأه مثل القوم (من يهدي الله فهو المهتدي)
 أي من يخلق الله فيه الاهتداء فهو المهتدي لدينه بآيات الياء وصلوا ووقعوا عند جميع القراء لمبوتها في
 الرسم بخلاف ما في الكهف والاسراء (ومن يضل) أي بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة
 اصرف اختياره جهتها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة (هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران
 في الدنيا والآخرة قال الهادي والضلالة من جهة الله تعالى وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية
 في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواهي الى صرف العبد اختياره جهة تحصيله
 كسائر افعال العباد (واعدو أنا) أي خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها)
 بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل الفهم فلههم وصف أحوال من كثيرا قلوب فاعل به (ولهم أعين
 لا يبصرون بها) شيئا من البصرات ابصار اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي شيئا من السموعات
 معاع تأمل فلا يفقهون بقلوبهم ولا يبصرون بأعينهم ولا يسمعون بأذانهم ما يرجع الى مصالح الدين

(أولئك) أي الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) في انتفاء الشعور (بل هم أضل) من الأنعام لأنها تعرف صاحبها أو طبيعته وهو لا الكفار لا يعرفون ربهم ولا طبيعته وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أولئك هم الغافلون) عما أعد الله لأوليائه من الثواب ولا أعدائه من العقاب (ولله الأسماء الحسنى) أي الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها دلالة لثباتها على أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أي فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يهدون في أممائه) أي واجتنبوا الذين يملكون في شأن أسمائه الله تعالى عن الحق إلى الباطل أما بأن يهوده تعالى عمالاً أذن فيه من كتاب وسنة أو بما يوهم معنى فاسد فلا يجوز أن يقال لله تعالى يا محنى ولا يا عاقل ولا يا طيب ولا يا فقيه ولا يجوز أن يقال لله تعالى يا منجي يا أبا المكارم يا أبيض الوجه لأن أسماء الله تعالى توقيفية أي تعليمية من الشرع لا اصطلاحية وقوله تعالى والله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الإنسان لا يدعوه به إلا بتلك الأسماء الحسنى وهذه الدعوة لا تنافي إلا إذا عرف معاني تلك الأسماء وعرف بالدليل أنه الهاور رباً لتمام موصوفات تلك الصفات الشريفة فإذا عرف بالدليل ذلك لم يجد في نفسه ولا في غيره من صفات تلك الصفات الشريفة فرائط كثيرة منها أن يستحضر الأمرين عزرة الربوبية وذلة العبودية فهناك يحسن ذلك الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر وقراءة حمزة يهدون بفتح الياء والخاء وواقعه عاصم والكسائي في النحل (سيجزون) في الآخرة (ما كانوا يعملون) وهذا تهديد لمن الخد في أسمائه الله تعالى (وعن خلقنا أمة) أي طائفة كثيرة (يهدون بالحق) أي يهدون الناس ملتبسين بالحق ويدلونهم على الاستقامة (وبه يهدون) أي وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجوزون فيها (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق وهو القرآن سنقرهم إلى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما راد بهم وذلك لأنهم كذبوا بآياتنا بجرم فحق الله عليهم بابا من أبواب النعمة والخير في الدنيا فزادوا بطرا وانما كافي الفساد ويتدرجون في المعاصي بسبب ترادف تلك النعم ثم يأخذهم الله تعالى دفعة واحدة على غرتهم أغفل ما يكون (وأملي لهم) أي أمهلهم وأطيل مدة أعمالهم (أن كيدى متين) أي أن استدراجي قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة ومسمى العذاب كيداً لأن ظاهرها إحسان ولطف وباطنها خذلان وقهر (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) أي أ كذبوا بآياتنا ولم يتفكروا أنيس بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حالة قليلة من الجنون والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للإعلام بأن طول مصاحبته صلى الله عليه وسلم يحاطط عليهم على تراثته صلى الله عليه وسلم عن شائبة جنون فبأنافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا (أن هو الأنزير مبين) أي ما هو إلا رسول مخوف مظهر لهم في التخويف بلفظه لمونها (أولم ينظروا في ما كوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) أي أ كذبوا بها ولم ينظروا في ما خلق الله من شيء ما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وفي ما خلق الله فيهما من جليل ودقيق ليدلهم ذلك على العلم بوحداية الله تعالى وبسائر شؤنه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها فإن كل فرد من أفراد الأكوان دليل لا يخفى على الصانع المجيد وسبيل واضع إلى التوحيد (وأن عسى أن يكون قدام أجلهم) أي وفي أن الشأن عسى أن يكون أجلهم قدام أقرب أي لعالمهم عيونهم عن قريب فاللهم لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية فهل كوا على الكفر وبصرى إلى النار (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به أي لأنهم إذا لم

يؤمنوا بهذا القرآن مع ما فيه من هذه التنبيهات الظاهرة فكيف يرضى منهم الايمان بغيره (من يضل
الله فلا هادي له) فان اعراضهم عن الايمان لاضلال الله اياهم (ويذرهم في طغيانهم) أي ضلالهم
(يعمهمون) أي يتعمرون وقرآنهم وابن كثير وابن عامر وذرهم بالنون والرفع على طريقه الالتفات
وأبو عمرو وبالياء والرفع وحزرة والكسائي بالياء والجرم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ
(يسألونك) يا أشرف المخلوق سؤال استهزاء (عن الساعة) أي عن وقت القيامة منهم على بن أبي قحشير
وشعوب بن زيد والساعة من الأسماء الغالبة كالنجيم للثريا وصحبت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة على حين
غفلة من المخلوق أولان حساب المخلوق يقضى فيها في ساعة واحدة أو لانها مع طولها في نفسها كساعة واحدة
عند المخلوق (أيا من مر ساها) أي متى حصولها (قل انما اعلمها عند ربى) أي انه تعالى قد انقضى به بحيث لم يخبر
به أحد من ملك مقرب أو نبي مرسل (لا يجليها لوقتها) أي لا يظهر أمرها الذي تسألونني عنه في
وقتها المعين (الاهو) أي لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام الا هو (نقلت في السموات والارض)
أي ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السموات والارض فلم يعلم أحد من الملائكة المقربين والانبياء
المرسلين متى وقوعها (لاتأتىكم الا بغتة) أي فجأة على غفلة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تغتصب
الناس فالرجل يصلح ووضعه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفص ميزانه
ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) أي يسألونك عن كنه ثقل الساعة منسبها حالك عندهم بحال
من هو بالغ في العلم بها وحقيقة الكلام كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم
بها (قل انما اعلمها عند الله ولكن أكن أكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعلمون السبب الذي لاجله أخفيت
معرفة وقتها المعين عن المخلوق (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) أي أنا لا ادعي علم
الغيب ان أنا الانذير وبشير ونظيره قوله تعالى في سورة يونس وية ولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله اشكل أمة أجل وقيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا أخبرك
ربك بالرخص والغلات حتى تشتري فنرجو بالارض التي تجذب الغر تل الى الارض الخصبة فانزل الله
تعالى هذه الآية وقيل لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق
فغرت الدواب منها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعون رفاعه بالمدينة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال
صلى الله عليه وسلم انظر واين ناقتي فقال عبد الله بن أبي مع قومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن
موت الرجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقتة فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا اكبت وكبت
وكبت وناقتي في هذا الشعب قد تعاق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل لا أملك
لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله أي ان يفعل بي من النعم والضر (ولو كنتم أعلم الغيب) أي جلب منافع
الدنيا ودفع مضراتها (لاستكثرتم من الخير) أي لحصلت كثير من الخير بترتيب الاسباب (وما
مستى السوء) لا حترأزى عنه باحتساب الاسباب (ان أنا الانذير) من النار (وبشير) بالجنة (لقوم
يزمنون) بالجنة والنار (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (وجعل منها
زوجها) حواء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى (ليسكن اليها) أي ليستأنس بها (فلما تغشاها)
أي جامعها (حملت حملا خفيا) في مبادئ الامر (فرت به) أي فاستمرت بالحمل على سبيل الخفة
وكنتم تقوم وتعدو وتغشى من غير ثقل (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها (دعوا
الله ربهما) أي آدم وحواء (انن آتيتنا صالحا) أي ولد اسويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين)

لنعمائكم (فلما آتاها صالحا) أي ولما آدميا مستويا الأعضاء خالسا عن العوج والعرج (جعلنا
 له) تعالى (شركاء فيما آتاها) أي في تسمية ما آتاها من الولد قبل لما آتاها ذلك الولد السوي
 الصالح عزما على أن يجعل الله وحقا على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الإطلاق ثم بدأ لهم في ذلك فتارة
 كانوا يتفقون به في مصالح الدنيا ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته وهذا العمل وإن
 كان منافية وطاعة إلا أن حسنات الأبرار سيئات القومين وقيل لما نقل الولد في بطنها آتاها باليس
 في صورة رجل وقال ما هذا يا حواء في أخاف أن يكون كلبا أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج أم ولدك
 فيقتلك أو ينشق بطنك لخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم ير إلا فيهم من ذلك ثم آتاها وقال
 إن سألت الله أن يجعله صالحا سويا مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبدا للحرث وكان اسم أبيه
 في الملائكة الحرث فآدم وحواء سميا بذلك الولد بعد الحرث تنيها على أنه أغا سلم من الآفات ببركة دعاء
 هذا الشخص المسي بالحرث فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد لاجرم سار آدم عليه السلام معاتبيا في
 هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد وهذا لا يقدح في كون الولد عبد الله من جهة
 كونه مخلوقا ومخلوقه إلا أن اقدح كرانا حسنات الأبرار سيئات القومين (فتعالى الله عما يشركون)
 قيل إن المشركين كانوا يقولون إن آدم عليه السلام كان عبدا للأصنام ويرجع في طلب الخير وودع
 الشر إليها فذكر تعالى قصة آدم وحواء وذكر أنه تعالى لو آتاها ولد أسويا صالحا لاستغنى عن شركائكم
 النعمة ثم قال تعالى فلما آتاها صالحا جعله شركاء ففعله تعالى جعله شركاء ورد معنى الاستغناء على
 سبيل الانسكار والتبعية والتقدير فلما آتاها صالحا جعله شركاء فيما آتاها ثم قال تعالى فتعالى الله
 عما يشركون أي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم
 (أي يشركون) بأنه تعالى في العبادة (مالا يخلق شيئا) ومن حق المعبود أن يكون خالق العباد هو العبد
 غير خالق لأفعاله لأن من كان خالقا كان له ما فلو كان العبد خالقا لأفعال نفسه كان لها ولما كان ذلك
 باطلا لعلمنا أن العبد غير خالق لأفعاله نفسه (وهم) أي الأصنام (يخلفون) فهي منخوطة أو المعنى
 والكافرون مخلوقون فلو تفكروا في ذلك لا آمنوا ولا يشركون بالخالق شيئا (ولا يستطيعون) أي
 الأصنام (لهم) أي تعبدتهم (نصرأولا أنفسهم ينصرون) أي إن الأصنام لا تنصر من أطاعها ولا
 تدفع عن أنفسهم كروها فإني من أراد كسرهم أو دفعه عنهم أو المعبود يجب أن يكون قادرا على
 إيصال النفع ودفع الضرر وهذه الأصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل عبادتها (وان تدعوهم
 إلى الهدى لا يتبعوكم) أي وان تدعوا يامعشر الكفار الأصنام إلى أن يدعوكم إلى الحق لا يجيبوكم كما
 يجيبكم الله (سواء عليهم أذعوتهم أم أنهم صامتون) أي مستوعبة عليكم في عدم الإجابة فدعواكم لهم
 وسكوتكم فلا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجارية (إن الذين تدعون من دون الله
 عباد أمثالكم) أي إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلته مماثلة لكم من حيث
 أنهم ما ملوك الله تعالى مسخرة لأمور عاجزة عن النفع والضرر (فادعواهم) في جلب نفع أو كشف ضرر
 (فلا يستجيبوا لكم) إن كنتم صادقين في ادعائهم آلته ومستحققة للعبادة (ألهم أرجل يشون بها أم لهم
 أيدي يطشون بها) أي بل ألهم أيدي أخذون بها وأرجل أخذهم (أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان
 يسمعون بها) وقد قرئ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم على أعمال إن الناقية عمل ما الحجازية
 أي ما الذي تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم أرجل الخ تقرير

تلقى الملائكة بالنبات النقصان (قل ادعوا ثمرا كما كنتم) قال الحسن ان مشركي أهل مكة كانوا يخوفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتكم فقال الله تعالى له قل يا أكرم الرسل لهم ادعوا آل هتكم واستعينوا بهم
في عدواني (ثم كيدوني) أي اعملوا أنتم وآلهتكم في هلاكى وبالفوضى تهمة ما تقدر ون عليه من مكر
(فلا تنظرون) أي اعجلوا أنتم وآلهتكم في كيدى ولا تؤجلون فاني لأبالي بكم وبآلهتكم لا اعتمادى
على حفظ الله تعالى (ان وليي الله الذي نزل الكتاب) أي ان ناصرى هو الله الذي أنزل الكتاب المشتمل
على هذه العلوم العظيمة النافعة (وهو يتولى الصالحين) أي ينصرهم فلا تضرهم عداوة من عاداهم
وروى ان عمر بن عبد العزيز لما كان يدخل بلاد ولد له شبيهة أقبل له في ذلك فقال ولدى امان يكون من
الصالحين أو من المجرمين فان كان من الصالحين فوايه الله ومن كان لله وليا فلا حاجة له الى مالى وان
كان من المجرمين فقد قال تعالى قلن أكون ظهيرا للمجيرين ومن رده الله لم اشتغل بصالح مهابته (والذين
تدعون من دونه) أي والذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام (لا يستطيعون نصركم) في أمر
من الأمور (ولا أنفسهم ينصرون) أي يمنعون عما يرايدهم فكيف أبالي بهم (وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعون) أي وان تدعوا أيها المشركون تلك الاولاد الى أن يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم لا يسمعون
دعاهكم فضلا عن المساعدة لانهم أموات غير احياء (وتراهم ينظرون اليك) أي وترى يا شرف الخلق
الاصنام يشبهون الناظرين اليك لانهم مصورون بالعين والانف والاذن (وهم لا يبصرون) أي والحال
انهم غير قادرين على الابصار لانهم أموات غير احياء (خذ العفو) أي اقبل المبرور من أخلاق الناس
من غير تجسس لئلا تتولد العداوة والمعنى خذ ما تبسر من المال فما أتوك به فخذ ولا تسأل عما وراء ذلك
(وأمر بالعرف) أي باظهار الدين الحق (وأعرض عن الجاهلین) من غير عاراة ولا مكلفاة قال عكرمة لما
نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال يا محمد ان ربك يقول هو ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لا تلك لو وصلت من
قطعك فقد عفوت عنه واذا أتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن
الجاهلین (واما ينزعنك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله) أي ان يصيبنك وسوسة من الشيطان فالتهجى
الآية تعالى في دفعه عنك (انه معصع عليم) أي انه تعالى معصع باستعاذتك بلسانك (عليم) بما في ضميرك
من استحضار معاني الاستعاذة قاله واللساني بدون المعارف العلمية عديم الفائدة والآخر وروى أنه لما
نزلت تلك الآية السكرية قال صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب ثم تحقق فنزل قوله تعالى واما
ينزعنك من الشيطان ترغ (ان الذين اتقوا) أي اتصغوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (اذا مضى طائف
من الشيطان) أي اذا مضى بهم وسوسة من الشيطان وغضب (تذكروا) ما أمرهم الله به من ترك
امضاء الغضب ومن أن الانسان اذا مضى الغضب كان شريكا للسماع المؤذية والحيات القاتلة وان تركه
واختار العفو كان شريكا لا كبر الانبياء والاولياء ومن أهدى بما انقلب ذلك الضعيف قويا قادرا على
الغضب حينئذ ينقم منه على اسوأ الوجوه أما اذا عفا كان ذلك احسانا منه الى ذلك الضعيف (فاذا هم
مبصرون) أي اذا حضرت هذه التذكريات في عقولهم ففي الحال يحصل الخلاص من وسوسة الشيطان
ويحصل الانكشاف فينتهون عن المعصية (واخوانهم مدبرون في الغي) أي واخوان الشياطين من
الكفار يقولون الشياطين في الضلال وذلك لان شياطين الانس اخوان لشياطين الجن فشياطين الانس
يضلون الناس فيكون ذلك تقوية منهم لشياطين الجن على الضلال (ثم لا يعصرون) أي لا ينكف

لغاؤون عن الضلال والمغوون عن الاضلال (واذا لم تأتهم) أي أهل مكة (بآية) كما طلبوا
(فأقولوا اجيبنيها) أي هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقولانهم برغمون ان سائر الآيات كذلك أو هلا
اقترحتما على الخلق ان كنت صادقاني ان الله يقبل دعائك ويحبب الناسك وعند هذا أمر الله رسوله
أن يذكر الجواب الثاني بقوله تعالى (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) أي ليس لي أن أقترح على
ربي في أمر من الأمور وانما انتظر الوحي فكل شيء **ك**رمني به قلته والافالواجب السكوت وترك
الاقتراح فعدم الايمان بالمعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه
صلى الله عليه وسلم معجزة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب
الزيادة من باب التعتذ قد كر الله تعالى في وصف القرآن ثلاثة بقوله تعالى (هذا) أي القرآن
(بصائر من ربكم) أي بمنزلة البصائر لالقول فيه تبصر الحق وتترك الصواب (وهدي ورحمة لقوم
يؤمنون) بالقرآن فالقرآن في حق أصحاب عين اليقين وهم من بلغوا الغاية في معارف التوحيد بصائر
وفي حق أصحاب علم اليقين وهم الذين وصلوا الى درجات المستدئين هدى وفي حق عامة المؤمنين رحمة (واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وهذا خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم السلام القرآن في
مسلك الاحتجاج بكونه معجزة على صدق نبوته فانهم قالوا لا تسمعو هذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون
فأمروا بالاستماع حتى يكتمهم الوقوف على ما في القرآن ولذا قال تعالى (لعلكم ترحمون) أي اعللهم
تظلمون على ما في القرآن من دلائل الإعجاز فتؤمنوا بالرسول فتصبر وامرحومين (واذ كر ربك في
نفسك) أي اذ كر ربك عارفا بما في الاذكار التي تقولها بالمسائل مستحضرا الصفات السكال والعز والعلو
والجلال والعظمة وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة (تضرعا
وخيفة) أي متضرعا وخائفا ما في تصدير الأعمال أو في الخساعة أو في أنه كيف يقابل نعمة الله التي
لا تحصرها بالطاعة الناقصة والاذكار القصيرة (ودون الجهر من القول) أي متوسطا بين الجهر
والخفية بأن يذكر الشخص ربه على وجه يسمع نفسه (بالغدير والآصال ولا تكن من الغافلين) والمعنى
أن قوله تعالى بانعذرو والآصال دل على أنه يجب أن يكون الذكر خاصا في كل الاوقات وقوله تعالى
ولا تكن من الغافلين يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائما وأن لا يغفل الانسان لحظة واحدة
عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة لان كل
أثر حصل في جوهر الروح نزل منه الى البدن وكل حالة حصلت في البدن صعدت منه تتأثر الى الروح
الآتري ان الانسان اذا تخيل الشيء الحامض ضرر من سنه واذا تخيل حلة مكر وهمة وغضب سخن بدنه
فهذه آثار تنزل من الروح الى البدن واعلم أن قوله تعالى واذا كر ربك في نفسك وان كان ظاهره خطابا مع
النبي صلى الله عليه وسلم الا أنه عام في حق كل المكلفين ولكل أحد درجة مخصوصة بحسب استعداد
جوهر نفسه الناطقة (ان الذين عند ربك) أي ان الملائكة مع غاية طهارتهم وبرائتهم عن بواعث
الشهوة والغضب وحوادث الحقد والحسد (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها بحسب ما أمروا به
(ويسجدون) أي ينزهونه تعالى عن كل سوء (وله يسجدون) أي لا يسجدون لغير الله تعالى
فالتسبيح يرجع الى المعارف والعلوم والسجود يرجع الى أعمال الجوارح وهذا الترتيب يدل على أن
الاصل في العبودية أعمال القلوب ويتفرع عليها أعمال الجوارح والله أعلم

﴿سورة الانفال مدنية غير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾

فانها نزلت بالبسداء في غزوة بدر قبل القتال وآياتها ست وسبعون وكلما تألف
ومائة وثلاثون وحر وفها خمسة آلاف ومائتان وأربع وتسعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال) أي يسألك يا أشرف الخلق أمهاتك منهم سبعين أبي
وقاص أو قرابتك عن الغنائم يوم بدر وميت الغنائم أنفالا لان المسلمين فصد نوابها على سائر الامم الذين لم
يحل لهم الغنائم ولا نها عطية من الله تعالى ذائدة على الثواب الاخرى للجهاد (قل الانفال لله والرسول)
أي قل يا أشرف الخلق حكم الانفال يوم بدر مختص به تعالى بقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كلف
أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد (فاتقوا الله) في أخذ الغنائم واتركوا المنازعة فيها (واصلحوا
ذات بينكم) أي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك النزاع وتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا
الله ورسوله) في أمر الصلح وارضوا بحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان كنتم مؤمنين)
فالايان لا يتم حصوله الا بالتزام هذه الطاعة فاحذروا الخروج عنها (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم) أي انما الكاملون في الايمان فزعت قلوبهم لجرده ذكر الله من غير أن يذكر هناك
ما يوجب الغرغ من صفاته وأفعاله اسست عظامه تعالى وقال أمهات الحقائق الخوف على قسمين خوف
العقاب وخوف العظمة والجلال أما خوف العقاب فهو للعصاة وأما خوف الجلال والعظمة فهو لارذل
عن قلب أحد من المحققين سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلًا وكل من كان أعرف بجلال الله كان هذا
الخوف في قلبه أكمل (واذ انزلت عليهم آياته) أي الله التي هو القرآن (زادتهم ايمانا) أي يقينا بقول
الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي ويعتمدون بالسكينة على فضل الله وينقطعون بالكلية عما سوى الله
(الذين يقيمون الصلاة) أي يحقون الصلاة الخمس بحقوقها (ومما رزقناهم ينفقون) أي ويؤدون
زكاة أموالهم (أولئك) أي الموصوفون بالصفات الخمس (هم المؤمنون حقا) أي ايمانا حقا لانهم
حقوا ايمانهم بضم الهمال القلبية والقلبية اليه (لهم درجات عند ربهم) فتراتب الدرجات
الحاصلة في الجنة كثيرة ومختلفة (ومغفرة) بأن يغفوا الله عن سيئاتهم وقال العارفون هي ازالة
لنظامات الحاصلة بسبب الاستغفال بغير الله (ورزق كريم) قال هشام ابن عروة هو ما أعد الله لهم في
الجنة من لذائذ الماء كل والمشارب ونبات العيش (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقان
المؤمنين لسكارهون) أي انهم مضوا بهذا الحكم في الانفال وان كانوا كارهين به كما أخرجك ربك من
المدينة بسبب حق يظهر وهو علو كلمة الاسلام والغلبة على أعداء الله والحال أن فريقان المؤمنين
لسكارهون الخروج لقتال لقلعة العدد والمعنى الانفال ثابتة لله ثبوت بالحق كما أخرجك من بيتك بالمدينة
بالحق أي بالوحي وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم
أوسهنيان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين
فأتجهم تلقى العير لكثرة الحير وقلة القوم فلما نزلوا بلغوا وادي دقوان وهو قريب من الصفراء
نزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش
فأستشار النبي أمهات فقال ما تقولون ان انتم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب
اليكم أم النغير وهو اسم عسكر مجتمعة فقالوا بل العير أحب اليان من لقاء العدو وغتير وجه رسول الله
على الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل أي
بجميع أهل مكة ومضى الى بدر فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فقام عند ذلك أبو بكر وعمر فاحسنا في القول ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله
لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقدار ابن عمرو يا رسول الله امض كما أمرك الله
فانا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون
ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما فقالون ما دام عين منا طرف فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال أشير واعلى أيها الناس فقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعصمت بنا هذا البحر لخضعتنا لخصماءنا معك ما تخلف منارجل واحد وما تذكره أن تلقى بنا عدونا وأنا
لصبر عند الحرب بصدق عند اللقاء ولعل الله يرزق لنا ما نقر به عيذك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبسطه فويل سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى بركة الله وأبشروا فإن الله قد
وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم (يجادونك في الحق) تلقى النغير
(بعد ما تبين) أي بعد اعلام انهم ينصرون أي بما توجهوا وجد الهزم هو قولهم ما كان خروجا لنا
البحر وهذا ذكر لنا القتال لتناهبه وكان ذلك لكرهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم
ينظرون) أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف الى القتل والحال انهم ينظرون الى أسباب الموت (واذ
يعدكم الله إحدى الطائفتين أنهن لكم) أي واذا كروا وقت أن يعدكم الله بأن إحدى الطائفتين العير
أو العدا كرمختصة بكم تسلطون عليها تسلط الملائكة وتصرفون فيهم كيف شئتم (وتودون) أي وتحبون
(أن غير ذات الشوكة) أي النعم (تكون لكم) وهو العير اذ لم يكن فيها إلا أربوع فارسا ورئيسهم أبو
سفيان وذات الشوكة وهي العسكر وهم ألف مقاتل ورئيسهم أبو جهل (ويريد الله أن يحق الحق) أي
يثبت النصر على الاعداء (بكلماته) أي بأسباب النصر من أوامره تعالى للملائكة بالامداد (ويقطع
دابر الكافرين) والمعنى أنهم تريدون سفساف الأمور وهو العير للفوز بالمال والله تعالى يريد معاليها
بأن توجهوا الى النغير لما فيه من اعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين (ليحق الحق) أي ليظهر
الشريعة ويقوى الدين (ويبطل الباطل) أي وليظهر بطلان الباطل بتقوية رؤسائه الحق وقهر
رؤسائه الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك الاظهار (اذ تستعينون ربكم) أي تطلبون
منه العون كان يقولوا ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثننا أي فرج عنا قال ابن عباس
حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف
والى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف استقبل القبلة ومد يده وهو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض ولم يرل كذلك حتى سقط رداؤه وروى أبو بكر ثم التزمه ثم قال كفانا يا نبي
الله مناشدة ربك فانه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية واذ تستغيثون بل من اذ يعدكم بمعمول
لعامله ويجوز أن يكون العامل في اذ هو قوله تعالى ويبطل الباطل (فاستجاب لكم أنى معدكم) أي
معينكم (بألف من الملائكة مردفين) وقرأ عيسى بن عمرو وأبى عن رافى بكسر الهمزة
على اضم ما القول أو على افعال استجاب مجرى قال والاعامة على فتح الهمزة بتقدير حرف الجر وقرأ نافع
وأبو بكر عن عاصم وروى عن قنبل أيد صامردفين بفتح الدال أي ان الله أودع المسلمين بهم وأيدهم
بهم يعني ان الملائكة كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم والباقون بكسرها أي متتابعين يأتي بعضهم اثر
بعض وروى أنه نزل جبريل بخمسمائة مقاتل بهماني عين العسكر وفيه أبو بكر وزل من كانيل بخمسمائة
قاتل بها في يسار الجيش وفيه على (وما جعله الله الا بشري) أي وما جعل عمل امدادكم بانزال الملائكة

عيانا للبشرى لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن به) أى بالامداد (قلوبكم) كما كانت السكينة
 لبني اسرائيل كذلك (وما النصر الا من عند الله) لامن عند غيره أى ان الله ينصركم أى المؤمنون
 فنقوا بنصره ولا تسكلوا على قوتكم (ان الله عزيز) أى قاهر لا يقهر (حكيم) فيما ينزل من
 النصره فيضعها في موضعها (اذ يغشاكم النعاس أمانة منه) أى يجعل الله النعاس مغطيا لكم أمانا من
 خوف العدو من الله تعالى واذ بدل ثان من اذ يعصمكم قال الزجاج محلها نصب على الطريقة والمعنى وما
 جعله الله للبشرى في ذلك الوقت قرأ العامة يغشاكم بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وقرأ أنافع بضم
 الياء وسكون الغين والفاعل في الوجهين هو الله تعالى وقرأ أبوهمروا بن كثير فشاكم بفتح الياء والشين
 وسكون الغين والنعاس فاعل أى اذ يلقي عليكم النوم الخفيف أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم
 وحصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على زوال الخوف (وينزل عليكم من السماء ماء) قرأ
 ابن كثير وأبو عمرو وسكون النون (ليظهركم به) من الاحداث وفي الخبر ان المشركين سبقوا الى موضع
 الماء وطعموا هذا السبب أن تكون لهم الغلبة وعطش المؤمنون وخافوا من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة
 وأكثرهم احتملوا وموضعهم كان رملا تفوق فيه الارجل ويرتفع منه الغبار الكثير وكان الخوف
 في قلوبهم شديدا بسبب كثرة العدو وكثرة الهتهم فلما أنزل الله ذلك المطر صار ذلك دليلا على حصول
 النصره وعظمت النعمة به (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته روى أنهم لما تموا واحتلم
 أكثرهم غفل لهم ابليس وقال أنتم تزعمون انكم على الحق وأنتم تصلون على الجنابة وقد عطشتم ولو
 كنتم على الحق لما غلبوكم على الماء فانزل الله تعالى المطر حتى جرى الوادي واتخذ المسلمون حيفا نا
 واغتسلوا وتلبسوا بالزمل حتى ثبتت عليه الاقدام (وليربط على قلوبكم) أى ليحفظ قلوبكم بالصبر
 (ويثبت به) أى الماء (الاقدام) على الزمل فتدروا على المشي عليه كيف أرادوا (اذ يوحى ربك
 الى الملائكة أنى معكم) فانه تعالى أوحى الى الملائكة انى مع المؤمنين (فثبتوا) والذين آمنوا) أى
 فانه رويهم وبشروهم بالنصرة وقدر روى أنه كان الملك يشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول
 انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حصلوا على الملائكة فن ويغشى بين الصفيين فيقول ابشروا فان الله
 تعالى ناصركم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أى الخفاقة من محمده صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى فاضربوا رؤسهم واضربوا أطراف الاصابع
 أى اضربوهم في جميع الاعضاء من أعاليها الى أسافلها كيف شئتم لان الله تعالى ذكر الامر ف
 والاخص فهو اشارة الى كل الاعضاء (ذلك) أى نقاؤهم الخزي من الوجوه الكثيرة (بأنهم شاقوا الله
 ورسوله) أى خالفوهما فى الاوامر والنواهي (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أى
 ومن يخالفهما فان الله يعاقبه فى القيامة وهو شديد العقاب الذى نزل بهم فى ذلك اليوم قليل بالنسبة لما
 أعد الله لهم من العقاب فى القيامة (ذلكم) أى الامر بذاككم فالخطاب للأكفرة (فذوقوه) فى الدنيا (وأن
 للكافرين عذاب النار) والمعنى حكم الله ذلككم من أن ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار
 لكم أجلا (يا أيها الذين آمنوا اذقيهم الذين كفروا زحفا) أى مثل الزاحفين على أذبارهم فى بطاء السير
 لا اجتماعهم (فلا تولوهم الادبار) أى لا تجعلوا ظهوركم معايلهم بل قابلوهم وقابلوهم مع قتلهم (ومن
 يولهم يومئذ) أى يوم المآل (دبره الا منحرفا للقتال) بأن يخيل عدوه أنه من زم نهم ينعطف عليه (أو منحرفا
 الى فئة) أى متخصيا الى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو (فقدباه) أى رجع

(بغضب من الله واهواء جهنم ونفس المصير) والفرار من الرخف من أكبر الكبائر اذا لم يرد العدد على الضعف (فلم تقتلوههم) انتم بقوتكم (ولكن الله قتلهم) استسلمتكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم أي فلم توترقوتكم في قتلهم ولكن التأثر بالله (وما رميت) يا أكرم الرسل (اذ رميت) أي وما رميت في الحقيقة وقت رميت التراب الى وجوه المشركين (ولكن الله رمي) أي أوصل رميك اليهم روي أنه لما طلعت قريش من العنقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها ونفسها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فترل اليه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه اعطني قبضة من التراب من حصبة الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهد الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهمزوا ووردتهم المسلون يقتلونهم ويأسرونهم وقرأ ابن عامر رخصه والكسافي ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بكسر النون مخففة ورفع اسم الحلالة (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) أي ولينعم الله عليهم من رمى التراب نعمة عظيمة بالنصر والغنية والثواب وهذا معطوف على قوله تعالى ولكن الله رمى (ان الله جميع) لاستغاثتهم (عليهم) بأحوال قلوبهم الداعية الى الاجابة (ذلكم) أي الامر ذلكم أي البلاء الحسن (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالاضافة وسكون الواو وقرأ ابن عامر والكوفيون بعدم الاضافة ونافع وابن كثير وأبو عمرو وكذلك كن مع فتح الواو وتشديد الهاء أي والامر ان الله ضعف منيع الكافرين (ان تستغفروا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعدون تغني عنكم فتستكبروا لو كثرن) قال الحسن ومجاهد والسدي وهذا خطاب للكفار على سبيل التهكم بهم وقال السدي ان المشركين لما أرادوا الخروج الى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على الجندين واهدي الغثين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين والمعنى ان تستنصروا أيها الكفار لا على الجندين فقد جاءكم النصر لا على الكفار وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهمكم في الهزيمة فالتهمكم في نفس الفتح وان تنتهوا عن قتال الرسول وعداوته وتكذيبه فهو خير لكم في الدين بالخلاص من العقاب والفوز بالثواب وفي الدنيا بالخلاص من القتل والامر والنهي وان تعودوا الى القتال نعدوا على تسليم المسلمين على قتلهم ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا من الضر ولو كثرت وقيل هذا خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا أيها المؤمنون فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن المنازعة في أمر الانفال وعن طلب الفداء على الأمر فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعة نعدوا ان ترك نصرتمكم ثم لا تنفعكم كثرتكم (وأن الله مع المؤمنين) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأن بفتح الهمزة وهو خبر مبتدأ محذوف أي والامر ان الله مع السكاملين في الايمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا رسوله) في الاجابة الى الجهاد والى ترك المال اذا أمر بتركه (ولا تولوا عنه) أي ولا تعرضوا عن الرسول أي عن قبول قوله وعن معوته في الجهاد (وأنتم تسبعون) دهاهم الى الجهاد (ولا تكونوا كالذين قالوا) بالسنتهم (سمنا وهم لا يسمعون) أي انما قبلنا تكاليف الله تعالى والحال انهم يقولون لا يقبلونها (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر كل حيوان في حكم الله تعالى من لا يسمع الحق ولا ينطق به ولا يفقد أمر الله تعالى قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم بدر وكانوا أصحاب اللواء ولم يسمع منهم الا رجلا من مصعب بن عمير وسويط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لامنعهم) أي لو حصل

في بني عبد الدار خير لا معهم الله المحجج والمواظع سمع تفهم (ولو أسمعهم) بعد ان علم انه لا خير فيهم
 (لتولوا) عنهم ولم يتبعوا بها (وهـم معروضون) أي والحال انهم هم كاذبون بما قيل ان الكفار سألوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصي لهم قصي بن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بصحة نبوته صلى
 الله عليه وسلم فيمن الله تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو ان تغاغمهم بقوله هؤلاء الاموات لا حياهم الله تعالى
 حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا ية ولون احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد
 تلك بالنبوة فتؤمن بذلك الا على سبيل العناد والتعنت وانه لو أسمعهم الله كلام قصي وغيره لتولوا عن قبول
 الحق على أديارهم ولا عرضوا عما هو به قوله هم (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم
 لما يحْيِيكم) أي اجيبوا الله والرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم الرسول الى ما فيه سبب حياتكم الابدية
 من الايمان أو القرآن أو الجهاد وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي
 ابن كعب وهو في الصلاة فدعا فجهل في سلاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم له ما منعك عن اجابتي قال
 كنت في الصلاة قال لم تخبر فيها أوجي الى استجبوا لله وللرسول فقال لا جرم لا تدعوني الا أجيبك
 (واعاوا) يا معشر المؤمنين (أن الله يحول بين المرء وقبيله) أي يحول بين المرء وبين ما يريد بقلبه فان
 الاجل يحول دون الامل فكأنه تعالى قال يادر والى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم
 من توقع طول البقاء فان ذلك غير موثوق به وقال مجاهد المراد من القلب هنا العقل أي فان الله يحول بين
 المرء وعقله والمعنى فيادر والى الاعمال وأنتم تعلمون فانكم لا تأمنون زوال العقل والله يحول بين المرء
 والكافر وطاعته ويحول بين المرء المطيع ومعصيته والقلب بيد الله يقلبها كيف يشاء وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا معشر القلوب ثبت قلبي على دينك ولا يستطيع المرء ان يؤمن ولا ان
 يكفر الا باذن تعالى (وأنه) أي واعاوا وأن الشأن (اليه) أي الله تعالى (تخشرون) في الآخرة
 فيجزىكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا الى طاعة الله ورسوله (واتقوا فتنة لا تصيب من الذين ظلموا
 منكم خاصة) أي واحذروا فتنة انزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى
 الصالح والطالح وحذر تلك الفتنة بالنهي عن المشرك فالواجب على كل من رآها ان يزيله اذا كان قادرا على
 ذلك فاذا سكنت عليهم عصاة هذه ذبوا عنه وهذه ابرضا وقد جعل الله تعالى الرضا بمنزلة العامل
 فانظم في العقوبة وعلامة الرضا بالنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي فلا يتحقق
 كون الانسان كالماله الا اذا تألم لفقدانه أو ولده فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمسكوفتعمه
 العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار (واعلموا ان الله شديد العقاب) ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر
 سببه والمعنى الزموا الاستقامة خوفا من عذاب الله تعالى (واذكروا) يا معشر المهاجرين (اذا أنتم
 قليل) في العدد في أول الاسلام (مستضعفون في الارض) أي مقهورون في أرض مكة (تخافون
 أن يخطفكم الناس) تخافون اذا خرجتم من البلدان تأخذكم مشركوا العرب بسرعة لشدة عدوتهم
 لكم ولقرىهم منكم (فآواكم) أي نقلكم الى المدينة فصرتم آمنين من كفار مكة (وأيدكم بنصره)
 أي قواكم بنصرته يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) أي من الغنائم وهي كانت محرمة على من كان
 قبل هذه الامة (لعلكم تشكرون) هذه النعم العظيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول)
 في الدين وفي الاشارة الى بني قريظة ان الله نزلوا على حكم سبعة من معاذ (وتخونوا آمانيكم) فيما
 بينكم (وأنتم تعلمون) ان ما وقع منكم خيانة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاصر يهود

بني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار فسالوه صلى الله عليه وسلم الصلح كما صلح بني
 النضير عنى ان يسروا الى اخوانهم في أذرعات وازرحات الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فاقبوا وقالوا ارسا الينا بالبيعة وهور فاعقبن عبد المنذر
 نستشيره في أمرنا وكان مناصها لهم لان ماله وعياله عندهم فأرسله اليهم فقالوا يا أبا البيعة ما ترى لنا ان نزل
 على حكم سعد بن معاذ فينا فأشار أبو البيعة بيده الى حلقه أى حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فكان ذلك منه
 خيانة لله ورسوله (واعلموا انما أموا الحكم وأولادكم فتنة) أى محنة فمن الله تعالى ليلوكم فيهم فلا
 يحملنكم حبلهم على الخيالة كأي نبية لانه يشغل القلب بالديناو يصير حجابا عن خدمة المولى (وأن الله
 عنده أجر عظيم) فان سعادان الآخرة خير من سعادات الدنيا لانها أعظم في الشرف وفي المدة لانها تبقى
 (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا) أى نجاة عما تخافون في الدارين (ويكفر عنكم
 سيئاتكم) أى يسترها في الدنيا (ويغفر لكم) أى يزيلها في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) على
 عباده بالمغفرة والجنة (واذكركم الذين كفروا) أى واذكركم يا أشرف المخلوق وقت احتياهم بك في
 اتصال الضرر والهلاك (ليبتلوك) أى ليمحنوك أوليبتلوك بالوثاق كما جرى ليعيدوك (أو يقتلوك)
 بسيفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويكفرون) أى يريدون هلاك كل يا أكرم الرسل (ويكفرون)
 أى يرد مكرهم عليهم وذلك بأن آخر جهنم الى بدر وقل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا ما لقوا
 (والله خير الماكرين) أى أقواهم فكل مكر يبطل في ما باله فعل الله تعالى قال المفسرون ان مشركي
 قريش عرفوا ما أسلمت الانصار أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كبار قريش في
 دار الندوة أى في الدار التي يقع فيها الاجتماع للحدث ورؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوسفيان
 وطهية بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وأبو الجحرى بن هشام وزمعة بن
 الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيعة ومنبه ابن الحجاج ودخل عليهم ابليس في صورة
 شيخ وقال أنا من أهل نجد وتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن هشام قيدوه
 وسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرا به حتى يملاكم كما هلك من قبله من المشركين فقال ابليس
 لا مصلحة فيه لانه يغضب له قومه وتسفل فيه الدماء فقال أبو الجحرى بن هشام آخر جوه عنكم تستريحوا
 من أذاكم فقال ابليس لا مصلحة فيه لانه يجمع طائفة على نفسه ويقا تلهمهم وقال أبو جهل الرأى ان
 نجح من كل قبيلة جلا فيضربوه بأسيا ففهم ضربة واحدة فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى
 بنو هاشم على محاربة قريش كلها فبرضون بأخذ الدية فقال ابليس هذا هو الرأى الصواب فأوحى الله تعالى
 الى نبيه بذلك وأمره ان لا يبيت في مضجعه وأذن له في الهجرة الى المدينة وأمر عليا ان يبيت في مضجعه
 وقال له تسبح ببردتي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وهم المشركون بالولوع عليه صلى الله عليه وسلم
 فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انهم السبة في العرب ان يحدوثوا عنا ناسورا الحيطان
 على بنات العم وهتكنا حرمتنا واثامنا صدين على الباب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 الباب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فأخذ قبضة من تراب رنم على رؤسهم كلهم ومضى هو وأبو بكر الى
 الغار فلما أصبحوا سارا والى مضجعه صلى الله عليه وسلم فأبصر واعليا فقالوا له وأين صاحبك فقال
 لا أدري فاقصوا أثره فاما بلغوا الغار وأعلى بابه تسبح الغنك موت فقالوا لودخله لم تسبح الغنك موت
 على بابه فكشف فيه ثلاثا من اللبالي ثم قدم المدينة (واذا تنلى عليهم آياتنا) أى القرآن (قالوا قد سمعنا)

ما قال محمد صلى الله عليه وسلم (لوشاء الله مثل هذا ان هذا الأساطير الأولين) أى ما هذا القرآن
 الا ما كتب الاولون من القصص روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة بلدة بقرب الكوفة تاجرا
 واشترى أحاديث كاثلة ودمت وكان يقدم مع المستهزئين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الاولين كالفرس
 والروم وكان يزعم انهم مثل ما ذكره محمد من قصص الاولين واسناد القول الى الكل مع أن القائل هو
 النضر لما أنه كان رئيسهم وقاضيه وهو الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه (واذ قالوا اللهم ان كان
 هذا) أى الذى يقوله محمد صلى الله عليه وسلم (هو الحق) بالنصب خبر كان ودخلت هو للفصل (من
 عندك فأتنا طرعلينا حجارة من السماء) عقوبة على انكارنا (أو اتنا بعذاب أليم) غير الحجارة قاله
 النضر استهزاء وقد أمر المقداد يوم بدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم وأقوله أبو جهل وقد ذبحه ابن مسعود
 يوم بدر (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أى لا يفعل الله بهم ولا الكفار عذاب الاستئصال مادام
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاضر معهم تعظيما وأيضاً ان عادة الله مع جميع الانبياء المتقدمين لم
 يعذب أهل قرية الا بعد أن يخرج رسولهم منها كما كان في حق هود وصالح ووط (وما كان الله معذبهم
 وهم يستغفرون) أى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون لانه صلى الله عليه
 وسلم لما خرج من مكة بقي فيها من لم يستطع الهجرة من مكة من المسلمين (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم
 يصدون عن المسجد الحرام) أى ولا مانع من اهلاك الله لهم بعد ما خرجت من بيدهم وحالهم معذونك
 والمسلمين عن الطواف ببيت الله يوم المدينة (وما كانوا أولياءه) أى والحال انهم ما كانوا أولياء
 المسجد وهذا رد لقولهم نحن ولادة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياءه الا المتقون)
 أى ما أولياءه الا الذين يتحزرون عن المنكرات كما كانوا يفعلونه عند البيت من المكافاة والتصدية
 ومن كانت هذه حاله لم يكن ولياً للمسجد الحرام بل هم أهل لان يقتلوا بالسيف ويحاربوا (ولكن أكثرهم
 لا يعلمون) انه لا ولا يعذبهم عليه (وما كان صلاتهم) أى عبادتهم (عند البيت الأمكان) أى صغرها
 (وتصدية) أى نصفها أى ما كان شئ مما يعبدونه عبادة الا الذين الفقهاء قال ابن عباس كانت قريش
 يطوفون بالبيت عراة مشبكين بين أصابعهم يصغرون فيها ويصفقون بأحدى اليدين بالأخرى (فقدروا
 العذاب) أى عذاب السيف يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم (ان
 الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى من دينه قال مقاتل والسكبي زالت هذه الآية
 في المطعين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من كبار قريش أبى جهل وأصحابه يطعم كل واحد منهم كل يوم
 يوم عشر حزر وقال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت في أبي سفيان وكان استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش
 سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً وأخرج ابن اسحق
 عن مشايخه انها نزلت في أبي سفيان ومن كان له في العمر من قريش تجارة (فصدفونها) أى أموالهم
 (ثم تكون) أى الاموال (عليهم حسرة) أى تدامة لغواتها وفوات قصدهم من نصرتهم على محمد (ثم
 يغلبون) آخر الامر (والذين كفروا) أى أصروا على الكفر أبوجهل وأصحابه (الى جهنم يحشرون)
 أى يساقون يوم القيامة (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى ليميز الله الفريق الخبيث من الكفار من
 الفريق الطيب من المؤمنين واللامعة ملقة يحشرون أو يغلبون أو المعنى ليميز الله نفقة الكافر على عداوة
 محمد من نفقة المؤمن في جهاد الكفار كاتفاق أبي بكر وعثمان في نصر الرسول صلى الله عليه وسلم وقرا حنزة
 والسكاني ليميز بضم الياء الاولى وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة (ويجعل الخبيث بعضه على بعض)

أى ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض (فيركه) أى فيجده معه (جميعا) لغرط ازدحامهم (فيجعله)
 أى يطرحه (في جهنم) وقيل المعنى يضم الله تعالى تلك الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض فيلقمها في جهنم
 ويعذبهم بها (أولئك) أى الذين كفروا (هم الخاسرون) أى الكاسون في العين (قل للذين
 كفروا) أبى سفيان وأصحابه أى قل يا أشرف الخلق لأجلهم (إن يشئوا) عن الكفر وعداوة الرسول
 صلى الله عليه وسلم (بغفر لهم ما قد سلف) من الذنوب قال صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله
 (وإن يعودوا) إلى الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم أى وإن يرتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه
 ويرجعوا إلى الكفر وقتال النبي فنتقم منه بالعذاب (فقد مضت سنة الأولين) أى لأنه قد سبقت سيرة
 الأولين الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتدمير كما جرى على أهل بدر (وقابلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
 الذين كله لله) أى قاتلوا كفار أهل مكة لئلا توجد فتنة حتى يخرج المسلمون إلى الحبشة وتواصرت قريش
 أن يقتلوا المؤمنين بمكة عن دينهم حين بايعت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وليكون
 الذين كله لله في أرض مكة وما حولها لا يعذب غيره (فإن اتهموا) عن الكفر وسائر المعاصي بالتوبة
 والایمان (فإن الله بما يعملون بصير) أى عالم لا يخفى عليه شئ يوصل إليهم ثوابهم (وإن تولوا) عن
 التوبة والایمان (فاعلموا) يا معشر المؤمنين (أن الله مولاكم) أى حافظكم ورفع السلا عنكم
 (نعم المولى) أى الولي بالحفظ (ونعم النصير) لا يغلب من نصره وكل من كان في حماية الله تعالى كان
 آمنا من الآفات مصونا عن المحوفا والمعسنى وإن تولوا عن الايمان فلا تخشوا بأسهم لأن الله مولاكم
 (واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسة) أى واعلموا يا معشر المؤمنين أن الذى أصبتموه كأنما من شئ
 قليلا كان أو كثيرا فواجب أن لله خمسة معنى أنه تعالى أمر بقسمته على هؤلاء الخمسة فذكر الله للتعظيم
 وقوله أن لله خمسة خبر مبتدأ محذوف أى فكون خمسة لله واجب وهذه الجملة خبر لان (وللرسول) أما
 بعد وفاته فيه مرف سبعة إلى مصالح المسلمين عند الشافعي وقال أبو حنيفة سبعة ساقط بسبب موته وقال
 مالك هو مفقوض إلى رأى الامام (ولذى القربي) أى ولقربة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاتم
 وبنى المطلب دون من عداهم من أغنيائهم وفقرائهم يقسم الخمس بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
 (واليتامى) أى الذين مات آباؤهم وهم فقراء غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) أى ذوى
 الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) أى المحتاج في سفره ولا عصىة بسفره (إن كنتم آمنتم بالله وما
 أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والفتح (يوم الفرقان) أى يوم بدر
 به لفرقة بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم (يوم النقي الجمعان) أى الفريقان من المسلمين
 والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمعنى إن كنتم آمنتم بالله وبالنزل على محمد يوم
 بدر فاعلموا أن خمس الغنمة مصروف إلى هذه الوجوه الخمسة فاقطعوا اطماعكم عنه واقنعوا بالاحساس
 الاربعة (والله على كل شئ قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير (إذا أنتم بالعدوة الدنيا) وهو بدل
 ثان من يوم الفرقان أى إذا أنتم كائنون في شط الوادى القربى من المدينة (وهم بالعدوة القصوى)
 أى والمشركون في شفير الوادى البعدي منها (والركب أسفل منكم) أى العير التي خرجوا
 لها التي يقودها أبوسفيان وأصحابه كائنون بمكان أسفل منكم على ساحل البحر على ثلاثة أميال من
 بدر (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على القتال (لاختلفتم في الميعاد) أى لخالف بعضكم بعضا في
 الميعاد هبة منهم لكثرتهم وقتلتكم (ولكن) جمع الله بينكم على هذه الحال بغير ميعاد (ليقض الله

أمرًا كان مفعولا) أي ليعصى أمرا كان مفعولا في علمه وهو النصر والفتنة والنجي وأصحابه والهيبة
والقتل لا يجهل وأصحابه ويكون استيلاء المؤمنين على المشركين هجرة دالة على صدق الرسول صلى الله
عليه وسلم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وهو بدل من ليعصى أي ليموت من مات عن
بينة طابها ويعيش من يعيش عن بينة شاهد لها ثلاثا يكون له حجة ومعدرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان
من آمن عن وضوح بينة (وان الله لسميع) له عاتكم (عليم) يحتاجكم وضعفكم فاصح مهممكم
(أذير بركم الله في منامك) قبل يوم بدر (قليل) مع كثرتهم فأخبر بذلك أصحابه فقالوا روي بالنبي حق
فصار ذلك تشجيعا للمؤمنين (ولو أراكم كثير الغشتم) أي ولو أراكم الله المشركين كثيرا لكثرة
لقوم ولومعوا ذلك لجنبوا (ولتنازعتم في الأمر) أي لا تختلفتم في أمر القتال وانفرت أراؤكم في
في الفرار والتمت (ولكن الله سميع) أي سميعكم من المخالفة فيما بينكم (انه عليم بذات الصدور)
أي بالخطرات التي تقع في القلوب من الصبر والجزع والجراحة والجبن ولذلك دبر ما دبر (وأذير بكموهم
أذ التقيتم في أعينكم قليلا) أي وأذير بكم أيها المؤمنون أيهاهم قليلا حتى قال ابن مسعود إن في جنبه
أترام سبعين فقال أترام ما تعوهم في نفس الأمر ألف تصديقاروي بالرسول صلى الله عليه وسلم ولترداد
جراحة المؤمنين عليهم (ويقللكم في أعينهم) حتى قال أبو جهل انما أصحاب محمد أكلة جزور أي قليل
يشبعهم جزور واحد فلا تفتوهم واربطوهم بالحبال وقل الله عددا المؤمنين في أعين المشركين قبل التحام
الحرب ثلاثا يبلغ الكفار في تحصيل الاستعداد والحذر فيصير ذلك سببا لانتكسارهم فلما التحم القتال
أرى الكفار المسلمين مثلي الكفار وكانوا ألقافا والمسلمين قد رأينهم أو تضعف قلوبهم (ليقتضي
الله أمرا كان مفعولا) أي ليصير ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم (والى الله ترجع الأمور) بالنساء
للمفعول أي ترد للفاعل أي تصيرو بصرف الله الأمور كلها كيف ما يريد ولا تجرى على ما يظنه العبيد
(يا أيها الذين آمنوا اذ القيمت فئة فائتوا) أي ادا حاربتم جماعة من الكفرة فجدوا في المحاربة ولا تهمزوا
(وأذكروا الله كثيرا) بالقلب واللسان في أثناء القتال ومن الذكركم ما يقع حال القتال من التكبير
(عليكم تفلتون) أي تفوزون بكم من النصر والمثوبة (وأطيعوا الله ورسوله) في أمر القتال
غيره (ولا تنازعوا) أي لا تختلفوا في أمر الحرب (فتفشلوا) أي فتجبنوا (وتذهب بحكم) أي
شدتكم (واصبروا) على شدة الحرب (ان الله مع الصابرين) بالنصرة والسكينة (ولا تكونوا)
في الاستكبار والفخر (كالذين خرجوا من ديارهم) مكة لحماية العير (بطرا) أي شديد المرح
(ورثاء الناس) أي ولثماء الناس عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك ان قريشا خرجوا من مكة لحفظ
العير فلما بلغوا بحجة أمهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا الى مكة فقد سلمت عيركم فأبوا الاظهار آثار
الجلادة وأيضا ما وردوا الحجة بعث الحفاف السكاني الى أبي جهل وهو صديق له بهذا يامع ابن له فلما أتاه
قال ان أبي يقول لك ان شئت ان أمدك بالرجال أمدتلك وان شئت ان أرحف الليل عن مبي من قرأتي
فعلت فقال أبو جهل قل لا يملك جزاك الله خيرا ان كنا نقاتل الله كبر عزمه مدقوا الله مالتا بالله من طاقة
وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بناء على الناس لقوة والله ما ترجع عن قتال محمد حتى ترد بدر فاشرب
فيها الخمر وتغزق علينا انقيان ونخرج الجزور في بدر فيثني الناس علينا بالشجاعة والسماحة وقد
بدلهم الله شرب الخمر وشرب كأس الموت وبدل ضرب الجوارى على نحو الدقوف بنوح الناضجات وبدل
بحر الجزور بحرقهم حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون واعلم ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على

العبد فان صرفها الى مرضاته تعالى وعرف انهم امن الله تعالى فذلك هو الشكر وامان توسل به الى
 المغفرة على الاقران والمغالبة بالكثرة على اهل الزمان فذلك هو البطر (ويصدون عن سبيل الله) أى
 ويمنعون الناس من الدخول في دين الله وهذا معطوف على بطر او اغاذا كرا بطر والى ياء بصيغة الاسم
 والصد بصيغة الفعل لان ابا جهل ورعطه كانوا يجبولين على المغفرة والى ياء وامادهم عن سبيل الله فانما
 حصل في الزمان الذى ادعى سيدنا محمد النبوة (والله بما يعملون محيط) أى والله عالم بما فى دواخل
 القلوب وهذا كالتهديد عن التصنع فان الاشارة ربما أظهر من نفسه ان الحامل له الى ذلك الفعل طلب
 مرضاة الله تعالى مع انه لا يكون الامر في الحقيقة كذلك (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) أى واذا كر
 وقت ترزين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وخر وجهم من مكة فان المشركين حين أرادوا المسير
 الى بدر خافوا من بنى بكر بن كنانة لانهم كانوا قتلوا منهم واحدا فلم يأمنوا ان يأتوهم من وراءهم فتصور لهم
 ابليس بسورة سراقته بن مالا بن جعشم وهو من بنى بكر بن كنانة وكان من أشرفهم في جند من
 الشياطين ومعه راية (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أى لا غالب عليكم اليوم من بنى
 كنانة ومن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (والى جارلكم) أى حافظكم من مضرتهم (فلما تراءت
 القنتان) أى التقى الجمعان جحد المؤمنين وجميع الكافرين بحيث رأت كل واحدة الآخرة ورأى
 ابليس ترول الملائكة من السماء (نكص على عقبيه) أى رجع الى خلفه هاربا (وقال انى برى
 منكم) فكان ابليس في صف المشركين وهو أخذ بيد الحوث بن هشام فقال له الحوث الى أين أتت
 نصرتنا في هذه الحالة قال ابليس (انى أرى ما لاترون) وأرى جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه
 وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ولم تروه ودفع ابليس في صدر الحوث (انى أخاف الله) ان يهلكنى
 بتسليط الملائكة على وقيل لما رأى ابليس الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى أنظر
 اليه قد حضر فقال ما قال اسفا قاعلى نفسه (والله شديد العقاب) قاله الشيطان بسطا لعدوه وحيث
 فهو تعطيل أو هو مستأنف من محض كلامه تعالى تهديد ابليس (اذ يقول المنافقون) وهم قوم من الاوس
 والخزرج (والذين في قلوبهم مرض) أى شل دهرهم قوم من قريش أسلموا ولم يعوا سلامهم في قلوبهم ولم
 يهاجروا منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن النوايد وأبو قيس بن الفاكه والحرب بن زمعة وعدي بن أمية والعاص
 ابن منبه والعامل في اذرين أو اذ كرمقدرا (غرهولا) أى محمد وأصحابه (دينهم) فأنهم خرجوا وهم ثلاث
 مائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل وماذا الا انهم اعتمدوا على دينهم وقال هؤلاء لما خرج قريش
 لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة أقنا
 في قومنا فله اخرجوا مع قريش ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكفار رجعوا للكفر وقالوا ذلك القول وقتلوا
 جميعا مع المشركين يوم بدر ولم يحضره منافق في بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد وهو عبد الله بن أبي
 (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) أى ومن يهول على احسان الله ويشق بفضل الله ويسلم أمره الى الله
 فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ يحكم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه (ولو ترى
 اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) أى ولو رأيت يا أشرف الخلق الكفرة حين يتوفاهم الملائكة في بدر
 (يضيرون وجوههم وأدبارهم) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار لانه كان مع
 الملائكة مقامع وكلما ضربوا بها التهمت النار منها في الاجزاء وجواب لو محذوف أى رأيت أمر فظيحا
 لا يكدر وصف (ذلك) العذاب (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما عملت أيديكم من الكفر والمعاصي

(وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي والأمر أنه تعالى ليس بعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي عادة كفار قريش فيما فعلوا من الكفر وما فعل بهم من العذاب كعادة آل فرعون وقوم نوح وعاد وأضرابهم من الكفر والعناد في ذلك (كفروا بآيات الله) أي أنكروا الدلائل الإلهية وهذه الجملة تفسر لدأب كفار قريش (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم (إن الله قوي) بالأخذ (شديد العقاب) أي إذا عاقب (ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغير ولما بأنفسهم) أي تعذيب الكفرة بما قدمت أيديهم بسبب أن الله لم يكن مغيراً نعمته أنعم بها عليهم كالتعقل وإزالة الموانع حتى يغيروا أحوالهم فإذا صرّفوا تلك النعمة إلى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم فاستحقوا تبديل النعم بالنقم والمنع بالحقن (وأن الله جميع عليهم) أي وبسبب أنه تعالى يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي كذب آل فرعون حتى يغير ولما بأنفسهم تغييراً كأننا كتغير الأهم الماضية (كذبوا بآيات ربهم) أي كذب آل فرعون ومن قبلهم بأنه تعالى ربهم وأنهم عليهم قاتلوا دلائل التريّة والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم كما كذب أهل مكة ذلك (فأهلكناهم بذنوبهم) أي أهلكنا بعضهم بالرجعة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمجاعة وبعضهم بالريح وبعضهم بالسبح كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي وكل من الفرق المكذبة كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعصية ولا نبيا ثمهم بالسكذيب ولسائر الناس بالأيذاء والايحاش فأنه تعالى أنعماً أهلكهم بسبب ظلمهم اللهم أهلك الظالمين وظهر وجهه الأرض منهم فلا يقدر أحد على دفعهم إلا أنت فادفع يا قهار يا جبار يا منتهقم (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أن شر الخلق في حكم الله وعلمه الذين أصروا على الكفر فهم لا يربحون منهم إيمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) أي من مرات المعاهدة قال ابن عباس هم قريظة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحدروا ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح في يوم بدر ثم قالوا نسبنا وأخطأنا ثم عاهدهم مرة ثانية فنقضوا العهد أيضاً وساعدوا معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فالفهم على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يمتقون) عن نقض العهد (فأما تنقظهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون) أي أن تظفرن هؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد في أثناء الحرب فافعل بهم فعلاً من القتل والتعذيب يفرق بسببهم من خلفهم من أهل مكة والذين أي إذا فعلت بقريظة العقوبة فرقت شمل قريش إذ يخافون منك أن تفعل بهم مثل ما فعلت بخلفائهم وهم قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرقهم في ذلك الوقت ففرقوا عني فاموجباً بالاضطرار (وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء) أي وإن تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد بآمارات ظاهرة فاطرح إليهم عهدهم على طريق ظاهر مستو بأن تعلمهم قبل حربك إياهم أنك قطعت ما بينك وبينهم من الصلّة حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء ولا تبادرهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) في العهود والحاصل أن ظهرت الخيانة بآمارات ظاهرة من غير أمر مستفيض وجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك كما في قريظة فأنهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أباؤا بالسفیان ومن معه من المشركين إلى مظاهرهم عليه صلى الله عليه وسلم وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً به

فلا حاجة للإمام إلى نبد العهد وعلامهم بالحرب بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة
فأنهم لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وصل إليهم جيش النبي صلى الله
عليه وسلم عبر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا) قرآن عامر
وحفص عن عاصم بالياء التحتية أي ولا يحسبن الذين كفروا من قرين أن أنفسهم قاتلوا من عذابنا هم
يوم يذروا قرأ الباقر بالتاء فوقانية على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أي ولا تحسبن يا أشرف الخلق
الذين كفروا والذين خلصوا منكم في بدر فأتين من عذابنا (أنهم لا يهزون) أي أنهم هم هذا الفرار
لا يهزون الله من الانتقام منهم أما بالقتل في الدنيا وأما بعذاب النار في الآخرة وقرآن عامر أنهم يفتح
الهمزة على التعليل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) قيل أنه لما اتفق لأصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر أنهم قصدوا الكفار بلا آلة أمرهم الله تعالى أن لا يعودوا مثله
فقال وأعدوا الخ أي هبوا الخراب الكفار ما استطعتم من كل ما يتقوى به في الحرب من كل ما هو آلة للجهاد
ومن الخيل المربوط سواء كان من الفحول أو من الإناث وروى أنه كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل
عند الصغوف رأيات الخيل عند الميقات والغارات (ترهبون به) أي بذلك الأعداد وقرئ تهزون
(عدوا لله وعدوكم) وهم كفار مكة (وآخرين من دونهم) أي من غير كفار مكة من الكفرة
(لا تعلمونهم) على ما هم عليه من العداوة أي فإن تكثير آلات الجهاد كإبرهه الأعداء الذين تعلم كونهم
أعداء كذلك رهب الأعداء الذي لا تعلم أنهم أعداء سواء كانوا مسلمين أو كفارا (الله يعلمهم) لا غيره
(وما تنفقوا من شيء) قل أو جل (في سبيل الله) أي في طاعة الله في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات
(يؤف اليكم) أي لا يضيع الله في الآخرة أجره ويحل عوضه في الدنيا (وأنتم لا تعلمون) أي لا تنقصون
من الأجر (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) أي وإن مال الكفار للصالح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة
ما بكم من الاستعداد فأقبله وقرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين وقرئ فأجبح بضم النون (وتوكل
على الله) أي فوض الأمر فيما عقدته معهم إلى الله ليكون عوناً لك على السلامة ولكي ينصرك عليهم
إذا نقضوا العهد (أنه) تعالى (هو السميع) لما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم)
بنياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحورهم (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله)
أي وإن يريدوا الكفار بإظهار الصلح خديعة لكف عنهم فاعلم أن الله كافيل من شرورهم وناصر
عليهم (هو الذي أيدك بنصره) أي قوائك بنصره في سائر أيامك (وبالْمُؤْمِنِينَ) من المهاجرين
والأنصار (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما أنفقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم
أي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى قوم تكبرهم شديد حتى لو لطم رجل من قبيلة لظمة قاتل عنه
قبيلته حتى يذروا آثاره ثم أنهم انقلبوا عن تلك الحالة حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه وانفقوا على
الطاعة وصاروا أنصاراً أيضاً كانت الحصومة بين الأوس والخزرج شديدة والمخاربة دائمة ثم زالت
الضغائن وحصلت الألفة فازالة تلك العداوة الشديدة وتبدلها بالحببة القوية عما لا يقدر عليها إلا الله
تعالى وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (أنه) تعالى (عزيز) أي
قاهر بقلب القلوب من العداوة إلى الصداقة (حكيم) أي يفعل ما يفعله مطابقا للصحة (يا أيها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كفالك الله وكفى أتباعك أنصاراً أو المعنى كفالك الله والمؤمنون
وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال فالمراد بالمؤمنين هنا أهل غزوة بدر وهم المهاجرون

والانصار وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت هذه الآية على هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) أي بالغ في حثهم عليه (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) أي ان يكن منكم عشرون قلوب صبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين (وان يكن منكم مائة تغلبوا ألفا من الذين كفروا) وانما وجب هذا الحكم عند حصول الشروط منها ان يكون المؤمن شديد الاعضاء قوي بالجلد ومنه ان يكون قوي القلب شديد البأس شجاعا غير جبان ومنه ان يكون غير متحرف الالقتال أو متحيز الى فئة فعند حصول هذه الشروط وجب على الواحد ان يشبث للعشرة (بأنهم قوم لا يفقهون) متعلقين بغلبوا في الموضعين أي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون امتثالاً بأمر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لمرضاة وانما يقاتلون للعمية الجاهلية واثارة العدوان وهم يعتمدون على قوتهم والمسلمون يستعينون برهيم بالنصرع ومن كان كذلك كان النصر اليق به (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) في البدن أو في معرفة القتال لافي الدين (فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله) أي بارادته وهذه الآية دللت على ان ذلك الشرط مفقود في حق هذه الجماعة فلم يشبث ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل التسخيب البتة فقد أئس رأبوا مسلم الاصفهاني النسخ (والله مع الصابرين) أي ان العشرين ان قدروا على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدروا على مصابرتهم فالحكم المذكور هنالك زاهل وهذا يدل على صحة مذهب أبي مسلم (ما كان لني أن يكون له أمرى حتى يشخن في الارض) أي ما ينبغي لني ان يكون له أمرى من الكفار حتى يقوى ويغلب بل اللاتق قتلهم (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) أي متاع الدنيا الذي هو الفداء (والله يريد الآخرة) أي انما رضي الله ما يفضي الى السعادات الآخروية المصونة عن الزوال (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال كما أمر بالانحياز ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للشركيين وخبر بين أخذ الفداء وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) أي لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء عذاب شديد (فكأولما غفتم حلالات طيبات) أي قد أبحث لكم الغنائم فكأولما غفتم حال كونه حلالات مستأذروى انهم أمسكوا عن الغنائم في بدر ولم يدعوا أيديهم اليها فنزلت هذه الآية (واتقوا الله) في مخالفة أمره ونهيه في المستقبل (ان الله غفور رحيم) في الحالة الماضية من استباحة الفداء قبل ورود الاذن من الله تعالى فيه (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الامرى) قرأ أبو عمر ومن الاسارى بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف وبالألف أي من الذين اسرتوهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) أي ايماننا وعزمنا على طاعة الله ورسوله في جميع التكاليف وتوبة عن الكفر وجميع المعاصي (يؤتكم خيرا عما أخذ منكم) من الفداء (ويغفر لكم) ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) لمن آمن وناب من كفره ومعاصيه (رحيم) بأهل طاعته وروى أن العباس كان أسير يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجه اليه طم الناس كمال أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لمن خرجوا من مكة الى بدر فلم تبلغه النبوة حتى أسروا وأخذ ذلك العشرون منه فقال العباس كنت مسلما الا أنهم أكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما نذكره حقا فانه يجزى ذلك فأما ظاهر أمرنا فقد كان علينا قال العباس

فكلمت رسول الله أن رد ذلك الذهب على فقال صلى الله عليه وسلم أما شئى خرجت به تستعين به عليه نأقلا
قال العباس وكلفنى الرسول فداء ابن أختى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية وفداً فوفى بن الحارث فقال
العباس يا محمد تر كنى أنكف قرشاً ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الذهب الذى
دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقالت لهما ما أدرى ما يصيبني في رجعتي هذا فان حدثت
حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقتم فقال العباس وما يدريك يا ابن أختى قال صلى الله
عليه وسلم أخبرني به ربي قال العباس أنا أشهد أنك صادق أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله
لم يطع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرئياً في أمرى فأما إذا أخبرتني بذلك
فلأريب وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفى بن الحارث فأسلم قال العباس فأبذلني الله خيراً مما أخذ مني ولي
الآن عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بجمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفاً وأعطاني زمزم وما أحب
أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنظر المغفرة من ربي وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مال البحر من غنائم أنفاً فتوضأ الصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه
ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة (وان يريدوا) أى الأمرى (خيانتك)
أى بنقض العهد فاعلم أنه سيمكث معهم فإنه صلى الله عليه وسلم كلما أطاعهم من الأمر عهد معهم أن
لا يعودوا الى محاربتهم صلى الله عليه وسلم والى معاهدة المشركين بالعون عليه صلى الله عليه وسلم (فقد
خانوا الله من قبل) أى من قبل هذا بما أقدموا عليه من محاربة الرسول يوم بدر (فأمكن منهم) أى
أقدر المؤمنين عليهم قتلاً وأمراني بدر (والله عليم) أى ببواطنهم (حكيم) يفعل كل ما يفعله
حسب ما تقتضيه حكمته البالغة (ان الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وهاجروا) من مكة الى المدينة
حما لله تعالى ورسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها الى السلاح وأنفقوها على المحاربة
(وأنفُسهم) بمباشرة القتال وبالخوض في المهالك (في سبيل الله) أى في طاعة الله (والذين آووا)
أى أزلوا المهاجرين منازلهم (ونصروا) لهم على أعدائهم يوم بدر (أولئك) أى الموصوفون بما ذكر
(بعضهم أولياء بعض) أى يكونون يداً واحدة على الأعداء ويكون حب كل واحد لا يخرج جارا يجرى حبه
لنفسه (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (ولم يهاجروا) من مكة الى المدينة (مالكم من ولايتهم)
أى من تعظيمهم (من شئ حتى يهاجروا) فهو هاجر والحصل الاكرام والاجلال وقرأ حرة من ولايتهم
بكسر الواو والباقون بالفتح (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)
أى ان قطع التعظيم بين تلك الطائفة ليس كما في حق الكفار بل هؤلاء لو استعانواكم في الدين على
المشركين فواجب عليكم أن تعاونوهم عليهم الا على قوم منهم بينكم معاهدة فإنه لا يجوز لكم نقض
عهدهم بنصرهم عليهم اذا الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) فلا تخالفوا أمره حتى لا يحل
بكم عقابه (والذين كفروا وبعضهم أولياء بعض) أى في النصرة فان كفار قريش كانوا في غاية العداوة
لليهود فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم تعاروا على ايذائه ومحاربتهم والمشركون واليهود
والنصارى لما اشتروا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة سبباً لانضمام بعضهم الى
بعض وقرب بعضهم من بعض وتلك العداوة لمحض الحسد لا لأجل الدين لان كل واحد منهم كان في نهاية
الانكار للدين صاحبه (الانفة) تركن قننة في الارض وفساد كبير (أى ان لم تفعلوا ما أمرتكم به من
التواصل بين المسلمين ومن قطع المحبة بينهم وبين الكفار تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة فان

المسلمين أو اختلطوا بالكفار في زمان ضاعف المسلمين وقلة عددهم وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم فربما صارت تلك المخالطة سبباً لا التحاق المسلم بالكفار وان المسلمين أو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم فيصير ذلك سبباً لجرأة الكفار عليهم (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آمنوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) فأنه تعالى ذكرهم أولاً للتبيين حكمهم وهو أكرام بعضهم بعضاً ذكرهم ههنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجتهم وأنبي عليهم من ثلاثة أو جه وهي وصفهم بكونهم محققين محققين في طريق الدين لأن من لم يكن محققاً في دينه لم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل النفس والمال ولم يكن في هذه الأحوال من التسارعين (لهم مغفرة) تامة عن جميع الذنوب والتبعات (ورزق كريم) ثواب حسن في الجنة (والذين آمنوا من بعد) أي بعد الهجرة الأولى وهو لا هم التابعون بأحسان (وهاجروا) من مكة إلى المدينة بعد المهاجرين الأولين (وهاجروا معكم) في بعض مقارنكم (فأولئك منكم) أي من جلتكم أي المهاجرين والنصارى السرا والعلائية (وأولوا الأرحام) أي ذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) آخر منهم في التوارث من الأجانب (في كتاب الله) أي في حكم الله الذي بينه في كتابه بالسهم المذكورة في سورة النساء (إن الله بكل شيء عليم) فالعالم بجميع المعلومات لا يحكم إلا بالانصاف

﴿سورة التوبة مدنية وقد قيل إلايتين آخرها فاتن مائة مكيان وآياتها مائة وثلاثون وعدد كلماتها ألفان وأربع مائة وسبع وتسعون وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانون والصحيح أن النسخة لم تكتب لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري﴾

(براعة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) أي هذه براعة من جهة الله تعالى ورسوله واصله إلى الذين عاهدتم من المشركين فاز الله قد أذن في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدتهم ثم ان المشركين نقضوا العهد فأوجب الله النبذ اليهم فخطب المسلمون بما يحذرهم من ذلك وقيل اعلوا أن الله ورسوله قدبر ثأماً عاهدتم من المشركين (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) أي سبروا أيها المشركون كيف شئتم آمنين من القتل والقتال في هذه المدة من يوم النحر روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يجمع سنة تسع فقبل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عرا فقال لا أحب أن أجمع حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم الناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر برائة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العصابة ليقرا على الناس صدر برائة وأمره أن يؤذن بركة ومضى وعرفه أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل شرك ولا يطوف بالبيت عريان فصار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي ابن أبي طالب يؤذن ببرائة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة برائة وقال على بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون

بعد عامهم هذا في الحج فقال المشركون لعل عند ذلك بألفين عملنا قد نبذنا العهد وراءنا ونظروا أنه ليس
 بيننا وبينه عهد الاطعن بالزمام ضرب بالسيوف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة
 التوداع (واعلموا انكم غير معجزى الله) أى واعلموا يا معشر الكفار ان هذا الامهال ليس ليجزى للطف
 ليتوب من تاب أى اعلموا انى أمهلتكم وأطأقت لكم فافعلوا كل ما أمكنكم فعله من أعداد الآلات
 وتحصيل الأسباب فانكم لا تعجزون الله بل الله يعجزكم (وأن الله يحجزى الكافرين) أى مذلمهم في الدنيا
 بالقتل والامروء بالآخرة بالعذاب (وأذن من الله ورسوله الى الناس) أى وهذا اعلام صادر من الله
 ورسوله واصل الى الناس (يوم الحج الاكبر) وهو يوم العيد لان فيه تمام معظم أفعال الحج ولان الاعلام
 كان فيه (أن الله يرى من المشركين) المناقضين للعهد (ورسوله) بالرفع بانفاق السبعه فهو معطوف
 على الضمير المستتر في يرى (فان تبتم) من الشرك (فهو خير لكم) أى فالتوب خير لكم في الدارين
 لاشر (وان توليتهم) أى أعرضتكم عن المناب من الشرك (فاعلموا) يا معشر المشركين (أنكم غير
 معجزى الله) أى غير فائتين من عذاب الله فان الله قادر على ازال أشد العذاب بهم (وبشر الذين كفروا
 بعذاب أليم) أى اخبرهم بالقتل بعد أربعة أشهر بالبشارة على سبيل الاستهزاء كما يقال اكرامهم الشتم
 وتحييتهم الضرب (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم نبذوه فكم شنيعا) من شروط الميثاق ولم يضرركم
 قط وقرى بالضاد المحجمة أى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقص (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم
 أحدا) من أعدائكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى وقت أجلهم تسعة أشهر والمعنى لا تعلموا
 الناكثين للعهد فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم ولا تجروهم مجرى الناكثين
 في المسارعة الى قتالهم بل أتوا اليهم عهدهم ولا تجمعوا الوافين كالغادرين وهم بنو ضمرة حتى من كثرة
 أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتعام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر فانهم ما غدروا
 من هذين الوجهين (ان الله يحب المتقين) عن نقض العهد فان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى
 وان التسوية بين الوافين والغادرين منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أى
 فاذا اخرج الاشهر التي حرم الله القتل والقتال فيهما وهي من يوم النحر الى العاشر من ربيع الآخر (فاقتلوا
 المشركين) الناكثين خاصة (حيث وجدتموهم) أى في حل أو حرم أو في شهر حرام أو غيره (وخذوهم)
 أى اوسروهم (واحصروهم) أى امنعوهم من اتيان المسجد الحرام ومن التقلب في البلاد (واقعدوا
 لهم) أى لاجلهم خاصة (كل مرصد) أى في كل عمر يسلكونه لئلا ينسبطوا في البلاد (فان تابوا)
 من الشرك وآمنوا بالله (وأقاموا الصلاة) أى أقرؤا بالصلوات الخمس (وآتوا الزكاة) أى أقرؤا
 بأداء الزكاة (اخلوا سبيلهم) أى فآزر كوههم ولا تعرضوا لهم بشئ من ما ذكر (ان الله غفور رحيم)
 لمن تاب من الكفر والغدر (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) أى وان سألك
 أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم ان تأمنه بعد انقضاء مدة السياحة فأمنه حتى يسمع قراءتك لكلام
 الله ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه فونقل عن ابن عباس انه قال ان رجلا من المشركين قال لعل بن أبى
 طالب ان أردنا ان نأتى الرسول بعد انقضاء هذا الاجل لسمعنا كلام الله أو الحاجة أخرى فهل نقتل فقال
 على لأفان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله (ثم بلغه ما منه)
 أى ثم أوصله الى ديار قومه التي يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم (ذلك)
 أى اعطاء الامان (بأنهم قوم لا يعلمون) أى بسبب انهم قوم لا يفقهون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوه

إليه فلا بد من إعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معهم معذرة أصلا (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) أي لا ينبغي أن يبقى للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم ينقضون العهد (إلا الذين طاهدتم عند المسجد الحرام) أي لكن الذين طاهدتم من المشركين عند قرب أرض الحرم يوم الحديبية وهم المستثنون من قبل هذا الاستثناء فقد استثنوا في قوله تعالى سابقا إلا الذين طاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوا شيئا لهم بنوكانة وبنو ضرة فتربصوا أمرهم ولا تقتلوههم (فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي فأى زمان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله أو المعنى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (إن الله يحب المتقين) عن نقض العهد وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوه بأعانتهم بنى بكرهم كنانة حلفاءهم على خزاعة حلفائه على الله عليه وسلم روى أنه عدت بنى بكر على بنى خزاعة في حال غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاونتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمر بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له

لاهم أني ناشد محمدا * حلف أينما أو بيلك ألا تلدا

إن قريشا خلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا

هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا رءوسكم عار مجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لانهرت أن لم أنصركم (كيف وان يظهر وأعليكم) أي وحالهم انهم ان يقدروا عليكم (لا يرقبوا فيكم) أي لا يحفظوا فيكم (إلا) أي قرابة (ولا ذمة) أي عهدا والمعنى كيف لا تقتلوههم وهم ان يغلبوكم لا يحفظوا في شأنكم قرابة ولا ذمة نابل يؤذوكم ما استطاعوا (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) أي تسكروا قلوبهم ما يفيد كلامهم أي فأنهم يقولون بالاستطاعة كلما حلووا طيبا والذي في قلوبهم بخلاف ذلك فأنهم لا يظهرون إلا السر والأيذاء ان قدر وأعليه (وأكثروهم فاسقون) أي ناقضون للعهد مذمومون عند جميع الناس وفي جميع الأديان (اشترى بآيات الله ثمنا قليلا) أي تركوا آيات الله الآمرة بالاستقامة في كل أمر وأخذوا بدلهما شيا سيرا من الدنيا لاجل تحصيل الشهوات وذلك ان أباسقيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وحلفتهم تلك الأكلة على نقض العهد فنقضوا العهد الذي كان بينهم بسبب تلك الأكلة (فصدوا عن سبيله) أي عن دينه أو عن سبيل البيت الحرام حيث كانوا يصدون الحاج والعمار عنه (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي ساء ما هم الذي كانوا يعملونه ما مضى من صدهم عن سبيل الله وما معه (لا يرقبون) أي لا يحفظون (في مؤمن إلا) أي قرابة (ولا ذمة) كرو ذلك مع ابدال الضمير بمؤمن لان الأول وقع جوابا بالقوله تعالى وان يظهر وأعليكم خبرا عن تعجب حالهم أو هذا خاص بالذين اشترى والذي بهم أبوسقيان وأطعمهم وأشبههم من اليهود وغيرهم (وأولئك هم المعتدون) أي المجاوزون في الظلم والشرارة (فان تابوا) من مساوى أعمالهم (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي أقر واجتكمها وعزموا على إقامتها (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) أي لهم مالكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أي نبين الآيات لقوم يعلمون ما فيها من الأحكام (وان تكونوا أيمانهم) أي عهودهم التي بينكم وبينهم (من بعد عهدهم) أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) أي عابوا دينكم بالكذب وتقميع الأحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أي قاتلوا الكفار بأسرهم فأنهم صاروا بذلك ذوي تقدم في الكفر اختار بالقتل والقتال (انهم لا أيمان لهم) أي

انهم لا عهد لهم على الحقيقة لانهم لا يعدون نقضها محذورا وهم لما لم يقوا باصارت ايمانهم كأنها ليست
 بايمان وان أجزوا على ألسنتهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة أى لا تحطوهم أما بعد ذلك أبدا
 فيكون الايمان مصدرا بمعنى اعطاء الامان فهو ضد الاخافة (اعلمهم - م ينتهون) أى لئلا يكون غرضكم في
 مقاتلتهم سببا في انتهاهم عما هم عليه من الكفر والطعن في دينكم والمعاونة عليكم (ألا) أى هلا
 (تقاتلون قوما ما كنوا ايمانهم) بعد عهد الحديبية باعانة بنى بكر على خراعة (وهموا باخراج الرسول)
 أى باخراجه من مكة لكن لم يخرجوه بل خرج باختياره بأذن الله في الهجرة أو من المدينة ليعصده قتله
 (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمد أو من معه أو
 بدؤا بقتال خراعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم بالسلاح قتال معهم فالاعانة على
 القتال تسمى قتالا (أتخشونهم) أى أتخافون أيها المؤمنون ان ينالككم منهم كرده حتى تتركوا قتالهم (فأنه
 أحق أن تخشوه) في ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) ودلت هذه الآية على ان المؤمن ينبغي ان يخشى ربه
 وأن لا يخشى أحدا سواه (فأنزلوهم يعذبهم الله بأيديكم) بالقتل تارة والامساك أخرى واغتنام الاموال بالنار
 (ويجزهم) حيث شاهدوا أنفسهم مقهورين في أيدي المؤمنين ذليلين (وينصرفكم عليهم) أى
 يجعلكم جميعا غالبيين عليهم - م أجمعين فانكم تتفعون بهذا النصر (ويشف صدور قوم مؤمنين) عن لم
 يشهد القتال وهم خراعة بطون من الجن وسببا قد نوا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فبعثوا الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكنون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب وكان شفاء صدورهم من زحمة
 الانتظار فانه الموت الأحمر (ويذهب غمظ قلوبهم) من بنى بكر فان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنته
 الله منه على أحسن الوجوه كان مروره أعظم (ويتوب الله على من يشاء) من بعض أهل مكة كابي
 سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ففهم أسألو يوم فتح مكة وحسن اسلامهم (وأنه
 عليهم) بكل ما يفعل في ملكه (حكيم) أى مصيب في أفعاله وأحكامه (أم حسبتم أن تتركوا وما يعلم
 الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بل أ حسبتم ان
 يترككم الله بدون تكليفكم بالقتال الذي سببتموه والخال انه لم يصدر الجهاد عنكم خاليا عن النفاق
 والرياء والتودد الى الكفار وابطال ما يخالف طريقة الدين واثمة عود من هذه الآية بيان ان المكاف في
 هذه الواقعة لا يتخلص عن العذاب الا عند حصول أمرين الأول ان يصدر الجمع ادعائهم والثاني ان يأتي
 بالجهاد مع الاخلاص فان المجاهد قد يجاهد بباطنه خلاف ظاهره وهو الذي يتخذ الوليجة من دون الله
 ورسوله والمؤمنين المخلصين أى وهو الذي يطلع الكافر على الامر بالخفية والمقصود بيان انه ليس
 الفرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الفرض ان يؤتى به لا تقيا دأرا لله تعالى وحكمه ليظهر
 به بذل النفس والمال في طلب رضوان تعالى حينئذ يحصل به الانتفاع (وأنه خير مما تعملون) من
 موالاة المشركين وغيرها فيجوز بكم عليه فيجب على الانسان ان يبالغ في أمر النية ورعاية القلب (ما كان
 للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى ما صح للمشركين ان يعمروا المسجد
 الحرام بدخوله والوقوف فيه وخدمته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو مسجد الله على الواحد والباقيون مساجد
 على الجمع وانما جمع المساجد الحرام لانه قبله المساجد كلها واما ما هم شاهدتهم على أنفسهم بالكفر - م
 أقروا بعبادة الاوثان وتكذيب القرآن وأنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان أبو ان يقولوا نحن كفار
 (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاھيها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت

أعمالهم) التي يفتخرون بها بما قازنها من الكفر فصارت هباء منثورا (وفي النار هم خالدون) لكفرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أمر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فغيروه بكفره بالله وقطيعه الرحم وأغلظ على عليه القول فقال العباس تذكرون مساورينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم أنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أي نخدمها ونسقي الحجيج ونقل العاني أي الأسير فنزلت هذه الآية (إنما يعمر مساجد الله) أي إنما يصح أن يعمر المساجد عمارة يعتمد بها (من آمن بالله) لأن المساجد موضع يعبدون الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله لا يبنى موضعا يعبد الله فيه (واليوم الآخر) لأن الاشتغال بعبادة الله لا تفيد إلا في القيامة فمن أنكر القيامة لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يبن بناء لعبادة الله تعالى (وأقام الصلاة) فإن المقصود الأعظم من بناء المساجد إقامة الصلوات (وآتى الزكاة) وإنما اعتبر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المسجد لأن الإنسان إذا كان مقيما للصلاة فإنه يحضر في المسجد فيحصل عمارة المسجد بذلك المسجد وإذا كان مؤثما للزكاة فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فيحصل عمارة المسجد بذلك الحضور (ولم يخش الله) في باب الدين بأن لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره (فعبسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) إلى مطالبهم من الجنة وما فيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ألف المسجد ألفه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان (أجعلتم سقاية الحاج وعمارته المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) أي في طاعة الله يوم بدر أي أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارته المسجد الحرام في الفضيلة وعلاو الدرجة كن آمن بالله الخ ويقوى هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير سقاء الحاج وعمارته المسجد الحرام قال ابن عباس إن عليا لما أغلظ الكلام على العباس قال العباس إن كنتم سيقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فاعد كما نعمل المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت هذه الآية (لا يستوون) أي القريقات (عند الله) في الفضل (والله لا يهدي القوم الظالمين) لأنفسهم فأنهم خلقوا للإيمان وهم رضوا بالكفر (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أي الذين جمعوا بين هذه الصفات الثلاثة أعلى رتبة وأكثر كرامة عند الله عن لم يجمع بينها (وأولئك) المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة (هم الغاثرون) بسعادة الدنيا والآخرة (ببشرهم) أي هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين (ربهم برحمة منه ورضوان) أي بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم من قبل الله تعالى وذلك هو حد الثواب (وجنات لهم فيها نعيم) أي منافع خالصة عن المكدرات (مقيم) أي دائمة غير منقطعة (خالدين فيها) أي الجنات (أبدا) أي لا يخرجون منها (إن الله عنده أجر عظيم) لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات الإيمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث وبدء بالرحمة التي هي النجاة من النيران في مقابلة الإيمان وثني بالرضوان الذي هو نهاية الاحسان في مقابلة ترك الاوطان ثم ثلث بالجنات التي هي المنافع العظيمة في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل النفس والاموال وإنما خصوا بالاجر العظيم لأن إيمانهم أعظم الإيمان بإياها الذين آمنوا لا يتخذوا آباءكم وأخوانكم أو إياهم أي بطانة تقشون اليهم أمرا ركما (إن استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الإيمان ومن يتولهم منهم) في الدين (فأولئك) المتولون (هم الظالمون) أي فهو مشرك مثلهم لأنه رضي بشر كهم والرضا بالكفر كفر كما كان الرضا بالفسق فسق قيل

ان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتبري عن المشركين قالوا كيف يمكن المقاطعة التامة بين الرجل وابنه
 وأمه وأخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والأولاد والأخوان واجب بسبب الكفر (قل ان كان
 آباؤكم وأبناءؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أي أهلكم الذين الذين تغاثروا بهم وقرأ أبو
 بكر عن عاصم وعشيرة انكم بالجمع (وأموالاً اقترفوها) أي اكتسبتموها (وتجارة) أي أمتعة
 اشترىتموها للتجارة والربح (تخشون كسادهما) أي عدم رواجها (ومساكن رضونها) أي منازل
 تعجبكم الإقامة فيها (أحب اليكم من الله ورسوله) بأحب الاختيارى (وجهاد في سبيله) أي
 طاعته (فتربصوا) نزلت هذه الآية لما قال جماعة من المؤمنين يا رسول الله كيف يمكن البراءة منهم
 بالكلية وان هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آباؤنا وأخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا
 وخراب ديارنا فبين الله تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليلبى في الدين سليماً وذكراً انه ان
 كانت رطابة هذه المصالح الدنيوية أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهد في سبيل الله فتربصوا بما
 تحبون (حتى يأتي الله بأمره) وهي عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي
 الخارجين عن طاعته الى معصيته (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) وهي مشاهد الحروب وكوفعات
 بدر وقرنظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) أي ياذكروا يوم قتالكم هو اذن في
 حنين فهو اذن قبيلة حليمة السعدية وحسين وأدينته وبين مكة ثمانية عشر ميلاً وذلك لما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج في شوال في تلك السنة وهو سنة ثمان
 متوجها الى حنين اقتال هو اذن وقيف (اذ أنجبتكم كثرتمكم) وهم اثنا عشر ألفاً عشرة من المهاجرين
 والانصار الذين فتحوا مكة وألفان من الطلقاء وهم الامراء الذين أخذوا يوم فتح مكة وأطلقوا وهم أسلموا
 بعد فتحها في هذه المدة السيرة فبين هو اذن وقيف أربعة آلاف زعمهم أماد سائر العرب فلما اتته وقال
 رجل من المسلمين امه سلمة بن سلامة الانصاري ان تغلب اليوم من قلة أي من أجلها افتخاروا بكثرة أي
 نحن كثيرون فلان تغلب فأمرت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلم تغن عنكم شيئاً) أي فلم
 تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيء من الدفع أي فلما أعجبوا بكثرة تمصصا وانهزمين
 (وضاقت عليكم الأرض عار حمت) أي انكم لشد الخوف ضاقت عليكم الأرض فلم تجدوا فيها موضعاً
 يصلح لقراركم عن عدوكم (ثم وليتم مدبرين) أي من هزمين من الله وقال البراء بن عازب كانت هو اذن
 رماة فلما حملنا عليهم انكسروا وأكسبنا على الغنائم فأسست بقولنا بالهم وانكشف المسلمون عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا هم العباس وهو أخذ بالجمام بغلته وابن عمه أبو
 سفيان بن الحرث وهو أخذ بكاه وهو صلى الله عليه وسلم يركض بغلته الشهية ففجوا الكفار لا يبالى وهو
 يقول أنا الذي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم قال العباس نادى المهاجرين والانصار وكان العباس رجلاً
 صلياً فجعل ينادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فاجاب المسلمون حين هموا وصوته عنقا
 واحداً وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفاً من الحمى فرماهم بها وقال شأهت الوجوه فما زال
 أمرهم مدبراً وحدهم كليباً حتى هزمهم الله تعالى ولم يبق منهم يومئذ أحد الا وقدام ثلاث عينا من ذلك
 التراب فذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته) أي رحمته التي يحصل بها كونه وقيامه وأمن (على
 رسوله وعلى المؤمنين) واعلم انه لما شق الأعراس عن مخالطة الآباء والأبناء والأخوان والأزواج وعن
 الأموال والمساكن على القلوب مشقة عظيمة ذكر الله تعالى ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فإنه

يوصله الى مطلوبه من الدنيا ايضا وضرب الله تعالى لهذا مثلاً وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في واقعة حنين كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما أعجبوا بكثرة تهم صاروا منهزمين ثم في حال الانهزام لما
 تضرعوا الى الله قواهم به حتى هزموا وعسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على الدنيا فانه
 الدين والدنيا ومتى أطاع الله ورجح الدين على الدنيا أتاه الدين والدنيا على أحسن الوجوه فكان ذكر هذا
 تسلية لأولئك الذين أمرهم الله بقطعة الآباء والأبناء والأموال والمساكن لأجل مصلحة الدين ووعدا
 لهم على سبيل الزمير بأنهم ان فعلوا ذلك فانه تعالى يوصلهم الى أقاربهم وأموالهم على أحسن الوجوه
 (وأنزل) من السماء (جنود الم تروها) أي بأبصاركم وهم الملائكة عليهم البياض على خيول بلق
 لتقوية قلوب المؤمنين بالقضاء الخواطر الحسنة في قلوبهم والقضاء الرعب في قلوب المشركين (وعذب الذين
 كفروا) بالقتل والاسر وهم قوم مالك بن عوف الله هاني وقوم كنانة بن عبد ياليس النقي (وذلك)
 التعذيب (جزاء الكافرين) في الدنيا لكفرهم (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي ما جرى عليهم من الخذلان (على
 من يشاء) ان يتوب عليه منهم أي بواقعة لا اسلام (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن آمن وعمل صالحا روى
 ان ناسا منهم جازا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس
 وابر الناس وقد سبي أهوانا وأولادنا وأخذت أموالنا فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير
 القول أصدقه اختاروا ما ذراريكم ونساءكم وأموالكم قالوا ما كنا نعدل الا لحساب شيئا وهي مفاتيح
 آباءهم من الذراري والنساء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء مجاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين
 الذراري والأموال فلم يعملوا الا لحساب شيئا فن كان بيده أسير وطابت نفسه ان يرد فشاؤه أي فيلزم شأنه
 ومن لا فليعطينا وليكن فرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيهم مكانة قالوا قد رضينا وسلمنا فقال صلى الله عليه
 وسلم اننا لنرى لعل فيكم من لا يرضى ثم راعى رفاكم فلم يرفعوا ذلك اليها فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا
 ولم تقع غنيسة أعظم من غنيتهم فقد كان فيها من الأبل انما عثر ألقا ومن الغنم مالا يحصي عددا
 ومن الامرى ستة آلاف من نساءهم وصبيانهم وكان فيها غير ذلك (يا أيها الذين آمنوا اغالوا الم تركون
 نجس) أي ذور نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي جميع
 الحرم (بعد عامهم هذا) وهي السنة التي حصل فيها الهداء بالبراءة من المشركين وهي السنة
 التاسعة من الهجرة ولما امتنع المشركون من دخول الحرم وكانوا يتجرون ويدأون مكة بالطعام
 وكانت معاش أهل مكة من التجارات تخافوا الفقر وضيق العيش وذكروا ذلك لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى قوله (وان خفتهم عميلة) أي فقر بسبب منع الكفار (فسوف يغنيكم الله
 من فضله) أي عطاؤه من وجه آخر (ان شاء) فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا أغرر بها خيرهم وأكثر
 ميرهم وأسلم أهل جدة وحنين وصنعاء وتبالة وجرس لحملوا الطعام الى مكة وكفاهم الله الحاجة عما كانوا
 يخافون الى مبايعة الكفار فأغناهم بالغي والجزية (ان الله عليم) بأحوالكم وبصالحكم (حكيم) فلا
 يعطى ولا ينزع الا عن حكمة وصواب لما فرغ من الكلام على مشركي العرب بقوله تعالى براءة من الله
 الى هنا أخذ يتكلم على أهل الكتابين فقال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فالهوى
 يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول وهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد
 ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يشكون وهم يكذبون أكثر الانبياء
 (ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله) أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وأتوا بأحكام كثيرة

من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) أي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الدين الحق (من الذين أوتوا الكتاب) التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى قال مجاهد نزات هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك (حتى يعطوا الجزية) أي حتى يقبلوا ان يعطوا ما يطى المعاهد على عهد (عن يد) أي عن غنى فلا تجب الجزية على الفقير العاجز وعن انعام عليهم لان ترك ارواحهم عليهم بقبول الجزية منهم نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أي أدلاء متقادون بالحكم الاسلام (وقالت اليهود) سلام من مشكم وثمان بن أوفى وشاس بن قيص ومالك بن الصيف أوفى خاص بن عازوراء (عزير بن الله) وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعدهم موسى عليه السلام فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت الذي فيه التوراة وأنتاهم التوراة ومخاها من قلوبهم فتضرع عزير الى الله تعالى ودعاه أن يرد اليه التوراة فيبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت التوراة اليه فأعلم قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة ووردها على فتملأوا منه عن ظهر لسانه ثم أن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعملهم عزير عنى مافى التابوت فوجدوا مثله فقالوا ما جمع الله التوراة في صدر عزير وهو غلام الا لانه ابنه (وقالت النصارى المسيح ابن الله) روى ان أتباع عيسى كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبله ويصومون رمضان حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بواص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرناو النار مصيرنا فخن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال وأضلمهم حتى يدخلوا النار معنا ثم أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك نوبة حتى تنتصر وقد ثبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة في بيت فيها ولم يخرج منه حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل تربتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عهد الى أربعة رجال اسم واحد نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان والآخر من أهل الروم فعلم نسطور ان عيسى ومريم والله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان والله ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يرل ولا يرال عيسى وعلم رجلا آخر من الروم وعلمه اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسا ولا جهم ولا كنه الله ثم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خليفة في فادع الناس لما علمت وأمره ان يذهب الى ناحية من البلاد ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني واني غدا أذبح نفسي لرضا عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فتفرقوا ودعوا الناس الى مذاهبهم واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله (ذلك) أي ما صدر عنهم (قولهم بأفواههم) أي مجردا عن برهان وهو فارغ من معنى معتبر (بضاهنون) أي يشبهون في الشناعة (قول الذين كفروا من قبل) أي من قبلهم أي يشابه قول اليهود والنصارى قول المشركين الملائكة بنات الله وقول أهل مكة اللات والعزى ومنات بنات الله كما قالت اليهود عزير بن الله وكذلك قال بعض النصارى المسيح ابن الله وقال بعضهم شريك وقال بعضهم هو الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة (قاتلهم الله) دعاه عليهم بالهلاك أو تعجب من شناعة قولهم (أني رؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله ولدا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) أي اتخذ اليهود

علماءهم من ولد هارون واتخذ النصارى علماءهم من أصحاب الصوامع أرباباً من دون الله بأن أطاعوهم في
 تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرّمه أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) أي اتخذ هذه النصارى رباً
 معبوداً بعدما قالوا إنه ابن الله (وما أمروا) أي والحال أن هؤلاء الكفار ما أسروا في التوراة أو الانجيل
 (الأي بعدوا الها واحداً) عظيم الشأن هو الله تعالى (لأنه ألهو) صفة ثانية لآلهها (سبحانه عما
 يشركون) أي تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك في التكليف وفي كونه معبوداً أو مسجوداً وفي
 رجوب نهاية التعظيم والاحلال (يريدون) أي رؤساء اليهود والنصارى (أن يطفئوا نور الله) أي
 دلائل الله المنيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أي يريدون أن يردوا القرآن فيما
 نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والأولاد من الشرائع من أمثال الخل والحرمة (بأفواههم) أي
 بأقوالهم الباطلة (ويأبى الله) أي لا يريد (الأن يتم نوره) بأعلاء كلمة التوحيد وأعرّاز دين الإسلام
 (ولو كره الكافرون) وجواب لو محذوف أي ولو كره الكافرون تمام نوره لأنهم لم يبال بكراهتهم (هو
 الذي أرسل رسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (بالحدى) أي ملتبساً بالقرآن (ودين الحق) أي
 دين الإسلام (ليظهره على الدين كله) أي ليعلى الله دين الإسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله
 إلا هو فإن المسلمين قد قهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها
 إلى ناحية الروم والغرب وغلبوا الجوس على ملكهم وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم مما يلي
 الترك والهند فثبت أن الذي أخبر الله عنه في هذه الآية قد حصل وكان ذلك أخباراً عن الغيب فكان معجزاً
 وروى عن أبي هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام غالباً على جميع الأديان وتتمام
 هذا الغلب يحصل عند خروج عيسى فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام (ولو كره المشركون) ذلك
 الاظهار والوصف بالشرك بعد الوصف بالكفر للدلالة على أنهم ضلوا الكفر بالرسول إلى الكفر بالله
 (بأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار) أي علماء اليهود (والرهبان) أي علماء النصارى
 (ليأكلون أموال الناس بالباطل) أي يأخذون الأموال من سفلتهم بطريق الرشوة في تخفيف الاحكام
 والمساخطة في الشرائع (ويصدون عن سبيل الله) أي لانهم يمنعون عن متابعة الاخير من الخلق
 والعلماء في ذلك الزمان في المسلك المقرر في التوراة والانجيل وفي زمان محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
 يبالغون في المنع عن متابعتهم صلى الله عليه وسلم في منجبه الصريح بجميع وجوه المكر والخداع (والذين
 يكتزون الذهب والفضة) أي يجمعونهما (ولا ينفقونها في سبيل الله) أي ولا يخرجون من جملة كل
 واحد منهم من سواء كانت آنية أو دنائير ودراهم ما وجب اخراجه عن تلك الجملة من الزكاة والكفارات
 ونفقة الحج والجمعة وما يجب اخراجه في الدين والحقوق ونفقة الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش
 الجنايات (فسرهم بعدذاب أليم) أي فأخبرهم بأشرف الخلق بعذاب أليم هو مذكور في قوله تعالى
 (يوم يحصى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد على تلك الأموال التي هي الذهب والفضة نارا ذات حر شديد في
 نار جهنم (فتكوى بها) أي فتحرق بتلك الأموال (جباههم) أي جهة امامهم كلها (وجنوبهم)
 من اليمين واليسار (وظهورهم) يقال لهم (هذا) أي الكنى (ما كنتم) أي جزاء ما جمعتم من
 الأموال (لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) أي فذوقوا جزاء ما كنتم تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم
 (ان عدة الشهور) القسمة التي تؤدى فيها الزكاة وعليها يدور فلك الاحكام الشرعية (عند الله)
 أي في حكمه (اثنا عشر شهرا) وأيام هذه الشهور ثلاثمائة وخمسة وخمسون يوماً والسنة الشمسية ثلاثمائة

وخمسة وستون يوما وربع يوم فتتقصر السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام وربع يوم فسبب
 هذا النقصان تتغير السهور القديمة من فصل الى فصل آخر فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة
 في الصيف (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض) وهذه الظروف
 الثلاثة أبطل البعض من البعض والتقدير عدة السهور اثنا عشر شهرا عند الله في كتاب الله يوم خلق
 السموات أي منذ خلق الله الاجرام والازمنة أي ان ذلك العدديات في علم الله وفي كتاب الله من أول ما خلق
 الله تعالى العالم (منها) أي من تلك السهور الاثني عشر (أربعة حرم) هي ذوات عدة وذو الحجة والحرم
 ورجب (ذلك) أي عدة السهور (الدين القيم) أي الحساب الصحيح (فلا تظلموا فيه) أي
 في الأربعة الحرم (أنفسكم) بآيات المعاصي قاله أعظم وزرا كتابنا في الحرم وقال ابن عباس فلا
 تظلموا في السهور الاثني عشر أنفسكم وذلك منع الانسان عن آيات الفساد في جميع العمر (وقاتلوا
 المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم في جميع الأشهر
 كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة وكونوا عباد الله متوقفين في مقاتلة الأعداء (واهلوا أن الله مع
 المتقين) أي مع أوليائه الذين يخشونه في أداء الطاعات واجتناب المحرمات (انما النسيء) أي اغا
 تأخير حرمته شهر إلى شهر آخر (زيادة في الكفر) لان ضم هذا العمل الى الأنواع المتقدمة من الكفر
 زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا) قرأ حفص وحزرة والكسائي يضل بالبناء للفعول والباقيون
 يفتح الياء على البناء للفاعل وقرأ أبو عمر وفي رواية من طريق ابن مقسم ويعقوب من العشرة بضم الياء
 وكسر الصاد والمعنى حينئذ يضل هذا التأخير الذين كفروا تابعيهم والأخذين بأقوالهم (يحلونه عاما)
 أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في الحرم (ويحرمونه عاما) أي ويحرمون
 التأخير عاما آخر وهو العام الذي يتركون الحرم على تحريره وسبب هذا التأخير ان العرب كانت تعظم
 الأشهر الأربعة وكان ذلك شريعة ثابتة من زمان ابراهيم واسماعيل عليهم السلام وكانت عامة معاشهم
 من الصيد والفارة والحروب فشق عليهم ان يكثروا ثلاثة أشهر متواليه وقالوا ان ثوانث ثلاثة أشهر حرم
 لانصيب فيها شيء أهلك كاركوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون الحرم (ليواطوا)
 أي ليوافقوا (عندما حرم الله) من الأشهر الأربعة (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه قال ابن عباس
 رضي الله عنهما أنهم ما أحلوا شهر من الحرام الا حرموا مكانه شهر من الحلال ولم يحرموا شهر من الحلال
 الا أحلوا مكانه شهر من الحرام لاجل ان يكون عدد الأشهر الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى قال
 الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن نعلبة وكان يقوم ويخطب في الموسم ويقول ان
 صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا
 الازجة وأغاروا وقيل هو جنداب بن عوف السكاني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقول على جبل في الموسم
 بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت
 عليكم الحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلس قال قائلهم ومننا من رأى الشهر فليس وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف (زين لهم سوء أفعالهم) قال
 ابن عباس أي زين الشيطان لهم هذا العمل حتى حسبوا هذا القبيح حسنا (والله لا يهدي القوم
 الكافرين) أي لا يرشدهم الى دينه لما سبق لهم في الأزل انهم من أهل النار (يا أيها الذين آمنوا
 ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض) أي أي شيء ثبت لكم من الأعداء حال

كونكم متناقضين ومشتبهين الإقامة في أرضكم في وقت قول الرسول لكم أخرجوا إلى الغزو في طاعة الله
 روى أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة ويقال
 لها غزوة العسرة وغزوة الفاحشة وكانت في رجب في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه
 وسلم من الطائف إلى المدينة وسببها ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن هرقل جمع أهل الروم
 وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى اللقاء فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجهاد وبعث إلى مكة
 وقبائل العرب وحض أهل الغنى على النفقة والجل في سبيل الله وهي آخر غزواته فجهز عثمان عشرة
 آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس وغير الزاد وما
 يتعلق بذلك وأول من جاء بالنفقة أبو بكر فجمع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء
 ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة والأغنياء وبعثت النساء بكل ما يقدرن
 عليه من حلين فقام تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفاً وكانت الخيل عشرة
 آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين
 بعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع وكان من تخلف عشر قبائل وأغاثباً طائفة الناس في خروجهم للقتال لشدة
 الزمان في قحط وضيق عيش ولبعد المسافة والحاجة إلى الاستعداد الزائد على ما جرت به العادة في سائر
 الغزوات ولشدة الحر في ذلك الوقت ولها بة عسكرة الروم ولا دراك الفخار في المدينة في ذلك الوقت فاقضى
 اجتماع هذه الأسباب تناقل الناس عن ذلك الغزو (أرضيت بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة)
 أي يدل نعيم الآخرة (فما تاع الحياة الدنيا في الآخرة الأقل) أي فما التمتع ببلد الدنيا في مقابلة
 نعيم الآخرة الأقل لأن سعادة الدنيا بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة في البحر وترك الخير الكثير
 لأجل السرور القليل سفه (الانغروا بعبادكم) الله (عذاباً أليماً) أي أن لم تخرجوا إلى ما طلب الخروج
 منكم إليه يهلككم الله بسبب فطيمع هائل كقحط ونحوه (ويستبدل قومًا غيركم) أي يأتي بعد
 أهلاً ككم بدلكم يقوم بطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضره
 شيئاً) أي لا يضر الله جلوسكم شيئاً لأنه غني عن العالمين أو لا يضر الرسول شيئاً قلتم في نصرته دينه أصلاً
 لأن الله عصمه من الناس (والله على كل شيء قدير) فيقدر على نصرته ودينه ولو من غير واسطة (الا
 تنصروا فقد نصره الله إذا أخرجه الذي كفر) والثاني اثنين اذهبا في الغار اذ يقول صاحبه لا تخزن أن الله
 معنا) أي أن لم تنصروا محمد أقسم الله الذي قد نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد أذ جعله كفار مكة
 مثل المضطر إلى الخروج حيث أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج حين هو باقتله حال كونه أحد
 اثنين والآخر أبو بكر الصديق اذهبا في غار جبل ثور اذ يقول محمد صلى الله عليه وسلم لا يي بكر الصديق
 لا تخزن أن الله معينا وكان الصديق قد حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فقال له
 يا رسول الله اذامت أنا فانا رجل واحد واذا مت أنت هلكت الأمة والدين روى أن قريشاً من عكة من
 المشركين تعاقبوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى أن يخرج أول الأيسل إلى الغار
 وخرج هو وأبو بكر أول الليل إلى الغار وأمر صلى الله عليه وسلم علياً أن يضطجع على فراشه لينعم السواد
 من طلبه حتى يبلغ إلى ما أمر الله به فلم أوصل إلى الغار دخل أبو بكر فيه أولاً الخمس مائة فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم مالك فقال بأبي أنت وأمي الغار ماوى السباع والحوام فان كان فيه شيء كان بي لا بك

وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه ثلاثا جرح ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الا تروا بكي أبو
 بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تخزنا الله معنا بنصره فجعل يصيح
 الصموع عن خده وروى لما دخل الغار بعث الله تعالى حماة من قباضة تافئ أسفله والعنكبوت نسجت
 عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون أحدا (فأنزل الله
 سكينته) أي أمنت التي تسكن عنده القلوب (عليه) أي على صاحبه صلى الله عليه وسلم أي بكر
 الصديق (وأيد) أي أعانه صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) وهم الملائكة النازلون يوم بدر
 والاحزاب وحزب وهذه الجملة معطوفة على جملة نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا والسفلى) أي
 جعل الله يوم بدر كلمة الشرك ساقطة حقيرة (وكلمة الله) أي قوله لا اله الا الله (هي العليا) أي الغالبة
 الظاهرة (والله عزيز) أي قاهر غالب (حكيم) أي لا يفعل الا الصواب (انفروا خفا فافوا نقالا)
 أي اخرجوا مع نبيكم الى غزوة تبوك خفا في الخروج انشأ طمكم له وثقلا عنسه لكفته عليه
 (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) أي جاهدوا في طاعة الله بما أمكن لكم اما بكمالهما
 أو بأحدهما (ذلكم) أي الجهاد (خير لكم) أي خير عظيم في نفسه لكم (ان كنتم تعلمون)
 أن الجهاد خير فبادروا اليه (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) أي لو كان مادعا اليه متاعا
 قريب المنال سهل المأخذ وسفرا متوسطا بين القريب والبعيد لا تبعوك في الخروج الى تبوك طمعا في
 تلك المنافع (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع بشقة فتختلفوا عن الجهاد بسبب انهم
 كانوا يستعظمون غزو الروم فكانوا كالأيسين من الفوز بالغنية (وسيجلفون) أي المتخلفون عن
 الغزو عند رجوعك من تبوك وهم عبد الله بن أبي وجدين قيس ومعتب بن قيس وراعيهم قائلين
 (بالله لو استطعنا) بالزاد والراحلة (لخرجنا معكم) الى غزوة تبوك (بهلكون أنفسهم) بسبب
 الخلف الكاذب فان الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اليمن الغموس تدع
 الديار بالقع (والله يعلم أنهم لكاذبون) في ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك)
 يا أشرف الخلق ما وقع منك من ترك الأولى والا كل (لم أذنت لهم) أي لا سبب أذنت لهم في التخلف
 (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في اعتذارهم بعدم الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن (وتعلم
 الكاذبين) في ذلك قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى
 نزلت سورة براءة (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي
 ليس من عادة المؤمنين الخلف أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه
 وكان الأكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فان ربنا ندبنا
 اليه من بعد أخرى فأى فائدة في الاستئذان ولنجاهد معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا بحيث لو أمرهم الرسول
 بالعود لشق عليهم ذلك (والله عليم بالمتقين) الذين يسارعون الى طاعته (انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي انما يستأذنك يا أشرف الخلق في التخلف عن الجهاد من غير عذر
 المتأفقون فانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا (وارتاب قلوبهم) أي شككت قلوبهم في الدين (فهم
 في ريبهم يترددون) أي فهم حال كونهم في شكهم المستقر في قلوبهم بتمحيرون لامع الكفار ولا مع
 المؤمنين (ولو أرادوا الخروج) الى الغزو معك (لأعدوا له) أي للخروج (عدة) أي أهبة من
 الزاد والراحلة والسلاح (ولكن كره الله ان يبعثهم) أي ولكن لم يرز الله نهوضهم للخروج معك

فنبطهم) أى حبسهم بالكسل (دقيل اقعدهوامع القاعدين) أى تخلفوامع المتخلفين والقائل
الشیطان بوسوسته أو بعضهم لبعض أو هو أمر النبي بذلك أمر نوح ببحر أو القاء الله تعالى كراهة الخروج
في قلوبهم فلا قول بالفعل لا من الله ولا من النبي (لو خرجوا فيكم) أى معكم (ملاذوكم الاخبالا) أى
فسادا (ولا رضعوا خلالكم) أى ولا ساروا على الابل وسطكم ولا سرعوا بينكم بالنامم (يبغونكم
الفتنة) أى يطلبون لكم ما تقتنون به بالقاء العرب في قلوبكم وباقساد نياتكم (وفيكم سمعون لهم)
أى فيكم قوم ضعفة سمعون للمنافقين (والله عليم بالظالمين) لانفسهم بسبب نفاقهم ولغيرهم بسبب
أنهم سمعوا في القاء غيرهم في وجوه الآفات (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل واقعة تبوك كما فعل
عبد الله بن أبي يوم أحد حيث انصرف مع أصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقلبوا لك الامور) أى
اجتهدوا في الخيلة عليك وفي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) أى استمر هؤلاء المناقون على إثارة
الفتنة وتفتير الناس عن قبول الدين حتى جاء النصر الهللى وكثر المؤمنون (وظهر أمر الله) أى غلب
دينه بظهوره لأسباب التي تقوى شرع محمد صلى الله عليه وسلم (وهم كارهون) أى والحال انهم
كارهون للحجى هذا الحق وظهور أمر الله (ومنهم من يقول انذنى ولا تقتنى) أى ومن المنافقين وهو
الجدبن قيس من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم انذنى في القعود في المدينة ولا توقعنى في الاثم بأن لا تأذن
لى فأنت ان منعتنى من القعود وقعت بغير اذنك وقعت فى الاثم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
تجهز الى غزوة تبوك قال للجدبن قيس يا أبا وهب هل لك فى جلاذبنى الا صرأى فى جهاد ملوك الروم فقال
الجدى رسول الله قد علمت الانصار ائى مغرم بالنساء فلا تقتنى بينات الا صفر وانى أخشى ان رأيتن لا أصبر
عنهن ولكنى أعينك بعمل فأتركنى (ألا) أى تنهوا (فى الفتنة سقطوا) أى انهم فى عين الفتنة
وقعوا فان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد عن قبول التكليف وهم خائفون من نزول
آيات فى بيان نفاقهم (وان جهم لمحيطه بالكافرين) أى جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وقيل ان
أسباب تلك الحاطة حاصلة فى الحال فكأنهم فى وسطها لانهم كانوا محجرومين عن كل السعادات وانهم
اشتهروا بين الناس بالنفاق والطعن فى الدين وقصد الرسول بكل سوء وكانوا يشاهدون ان دولة الاسلام
أبدى الترقى وكانوا فى أشد الخوف على انفسهم وأولادهم وأموالهم (ان تصبلك حسنة نسوهم) أى
ان تصبلك فى بعض الغزوات حسنة من ظفر أو غنيفة أو انقياد بعض ملوك الأطراف يحزنهم ذلك (وان
تصبلك فى بعض الغزوات مصيبة) أى شدة وان صغرت (يقولوا) متبجين برأيهم (قد أخذنا
أمرنا) أى حذرنا بالاعتزال عن المسلمين والتخاف عنهم والمداراة مع الكفرة (من قبل) أى من قبل
هذه المصيبة (وتقولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) بما أصابك من المصيبة
وبسلامتهم منها (قل) يا أشرف الخلق للمنافقين بيانا بالظلال اعتقادهم (ان يصيبنا الا ما كتب الله
لنا) أى لن يصيبنا خير ولا شر ولا رخاء ولا شدة ولا خوف ولا أمن الا وهو مقرر علينا مكتوب عند الله
فاذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للاجر العظيم وان صرنا غالبين صرنا مستحقين للثواب فى الآخرة وفزنا
بالمال الكثير والثناء الجميل فى الدنيا (هو) أى الله (مولانا) يحسن منه التصرف فى العالم كيف
شاء فان أوصل الى بعض عبده أنواعا من المصائب فانه يجب الرضا بها (وعلى الله فليستوكل المؤمنون)
أى فالواجب على المؤمن ان يفوض أمره الى الله وأن يرضى بفعله تعالى وأن يطمع من فضله تعالى ورحمته
(قل) يا أشرف الخلق للمنافقين (هل تربصون بنا الاحدى الحسنيين) أى ما تنتظرون بنا الا احدى

الحالتين الشريقتين النصر والشهادة وذلك لان المسلم اذا ذهب الى الغزو فان صار مغلوبا مقتولا فاز
 بالاسم الحسن في الدنيا وهي الرجولية والشوكة وبالثواب العظيم الذي أعد الله للشهداء في الآخرة وان
 صار فائزا فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل وفي الآخرة بالثواب العظيم (وتحسب قربص بكم)
 احدى الحالتين الحسيتين اما (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) كأن ينزل عليكم صاعقة من السماء
 كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر أى ان المنافق اذا تعدى
 برأيه كان مذموما منسوبا الى الجبن وضعف القلب والرضا بأمر يشركه فيه النساء والصبيان والعاجزون
 ثم يكون أبدا خائفا على نفسه وولده وماله وان أذن الله في قتله وقع في القتل والاسر والنهب مع الذل وان
 مات انتقل الى العذاب الدائم في الآخرة (فتربصوا) بنا احدى الحالتين الشريقتين (انامعكم متربصون)
 وقومعكم في احدى الحالتين الحسيتين (قل) يا أشرف الخلق لهذا المنافق وأمثاله وهذه الآية نزلت
 في الجدين قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا ما الى أعينك به (أنفقوا)
 أموالكم (طوعا) أى من غير الزام من الله ورسوله (أو كرها) أى الزاما منهم وماسمى الزام اكراها
 لان الزام المنافقين بالانفاق كان شافعا عليهم كالاكرام وقرا حزمة وانكسائي هنا وفي النساء والاحقاف
 كرها بضم الكاف وقرا عاصم وابن عامر في الاحقاف بالضم من المشقة وفي النساء والتوبة بالفتح من
 الاكرام والابقون بفتح الكاف في جميع ذلك (ان يتقبل منكم) والامر هنا بمعنى الخبر أى نفعتمكم
 غير مقبولة سواء كانت طوعا أو كرها (انكم كنتم قوما فاسقين) أى منافقين فانهم كفرون في الباطن
 (وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) أى
 لا يأتونها في حال من الاحوال الاحال كونهم متناقضين فان هذا النفاق ان كان في جماعة صلى وان كان
 وحده لم يصل لانه لا يصلى طاعة لأمير الله وانما يصلى خوفا من مذمة الناس (ولا ينفقون الا وهم
 كارهون) أى لا رغبة لهم فانهم لا ينفقون لغرض الطاعة بل رغبة للمصلحة الظاهرة حتى انهم كانوا يعدون
 الانفاق مغرايبينهم (فلا تحبب أموالهم ولا أولادهم) والمراد بهذا الخطاب جميع المؤمنين والمعنى ولا
 تحببوا أموال المنافقين وأولادهم (انما يريد الله ليغذيهم بها) أى بالاموال والاولاد (في الحياة
 الدنيا) وسبب كون المال والولد عذبا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا
 حصلوا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما وازداد الفهم والخوف بسبب المصائب الواقعة فيهما وهم
 اعتقدوا أنه لا سعادة الا في هذه الحرات العاجلة فالمال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن
 لانه علم أنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا (وترهق أنفسهم وهم كفرون) أى يريد الله أن يخرج
 أرواحهم والحال أنهم كفرون فيكون عذابهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى
 يحلف المنافقون للمؤمنين اذا جالسوهم أنهم على دينكم (وما هم منكم) أى يسوا على دينكم
 (ولكنهم قوم يفرقون) أى يخافون القتل فأظهروا الايمان وأمسوا بالنفاق (لويحسون لها) أى
 حرايطهم اليه تحصنوا منكم من رأس جبل أو قاعة أو جزيرة (أو مغارات) أى كهوف وفى الجبل
 يخفون فيها أنفسهم (أو مدخلا) أى ممر باحت الارض كالأباريندسون فيه (لولا) أى لصفروا
 وجوههم (اليه) أى الى أحد هذه الوجوه الثلاثة التى هي شرا لا مكنة (وهم يحمدون) أى يسرعون
 امرعا لا يرد وجوههم شيئا شدة تأذيتهم من الرسول ومن المسلمين (ومنهم) أى المنافقين أبى الاحوص
 وأصحابه (من يترك) أى من يعيبك مرا (في الصدقات) قالوا لم يقسم بيننا بالسوية والله ما يعطيها

محمد الامن أحب ولا يؤثرها الا هو ففزلت هذه الآية (فان أعطوا منها) أي الصدقات قدر ما يريدون
 في الكثرة (رضوا) بالقسمة (وان لم يعطوا منها) قدر ما يريدون (اذا هم يسخطون) أي يقاوتون
 السخط فان رضاهم ومخططهم لطلب النصيب لا لاجل الدين (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله)
 من الصدقات وطابت نفوسهم وان قل (وقالوا حسبنا الله) أي كفانا ذلك (سيؤتي الله من فضله
 ورسوله) أي سيغني الله من فضله برزقه فيعطينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطانا اليوم
 (انا الى الله) أي الى طاعته واحسانه (راغبون) لكان ذلك أعود عليهم - ونقل أن عيسى عليه
 السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم
 ثم مر على قوم آخرين يذكرون الله تعالى فقال ما الذي يحملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال
 أصبتم ومر على قوم ثالث مستغلين بالذكر فساءلهم فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب
 بل لانه لا تظهر ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بعرفته وتشريف اللسان بالفاظ الدالة على
 صفات قدسه وعزته فقال أنتم المحبون المحققون (انما الصدقات للفقراء والمساكين) أي باغاث الزكوات
 مصروفة للفقراء وهم المحتاجون الذين لا يجدون شيئا ولا يسألون الناس وهم أهل صفة مسجود رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكانوا يخشون بعنائه رجل لا منزل لهم والمساكين هم الطوائف الذين يسألون الناس كما
 قاله ابن عباس ومن سأل وجد في مكان المسكين أقل حاجة (والعاملين عليها) وهم السعاة الجباية الصدقة
 وهو لا يعطون من الصدقات بقدر أجور أعمالهم وهو قول الشافعي وعبد الله بن عمر وابن زيد وقال مجاهد
 والجمهور يعطون الثمن من الصدقات (والمؤلفة قلوبهم) وهم أصناف صنفت دخولوا في الاسلام
 ونيتهم ضعيفة فيثابون لئلا يتأوا آخرون لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم اسلام نظرهم وأثبت الشافعي
 والأصحاب منهم هذين الصنفين وصنف يراى بتألفهم ان يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من ماضي الزكاة
 ويقبضوا زكاتهم وهذان في معنى الغزاة والعاملين وعلى هذا فيسقط عنهم المؤلفة بالكلية لكن يجوز
 صرفه اليهما كما أفتى به الماوردي (وفي الرقاب) أي وفي قل الرقاب فسمهم موضع في المكاتبين
 ليعتقوا به كما هو مذهب الشافعي والليث بن سعد أو موضع لعنق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون كما هو
 مذهب مالك وأحمد وأصحق وقال الزهري منهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين من المسلمين ونصف
 يشتري به رقاب عن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة (والغارمين) أي المديونين في
 طاعة الله (وفي سبيل الله) ويجوز للغازي ان يأخذ من مال الزكاة وان كان غنيا كما هو مذهب
 الشافعي ومالك وأصحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة وصاحبه لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا ونقل
 القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء
 الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل (وابن السبيل) وهو الذي يريد
 السفر في غير معصية فيجوز عن بلوغ سفره الا بعونة ويصرف مال الزكاة الى الاصناف الاربعة
 الاول حتى يتصرفوا فيه كما شاءوا في الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات
 الحاجات المعسرة في الصفات التي لاجلها احتقوا بهم الزكاة ومذهب أبي حنيفة انه يجوز صرف
 الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف فقط كما هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وقال
 الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية كما هو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز
 (قرينة من الله) أي فرض الله الصدقات هؤلاء فرضه والمقصود من هذا التأكيد تحريم اخراج

الزكاة عن هذه الأصناف (والله أعلم) فيعلم بقادير المصالح (حكيم) لا يشرع إلا ما هو والاصوب
 الاصالح (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) روى أن جماعة من المنافقين خذوا من خاله
 وإياس بن قيس ومهالك بن يزيد وعبيد بن مالك والجلال بن سويد ووريع بن ثابت ذكر والنبي صلى
 الله عليه وسلم على ما لا ينبغي من القول ثم قالوا إن كان ما يقول صحيحا فحقن شرم من الخير وكان عندهم
 غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا
 أن عامرا كذاب وحلف عامر أنهم كذبة فصدقههم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول
 اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأرسل الله هذه الآية ومعهود المنافقين يقولهم هو أذن أنه صلى الله
 عليه وسلم ليس له ذكاء بل هو سليم القلب مريبع الاغترار بكل ما يبع (قل) يا أيها الذين آمنوا لا
 المنافقين (أذن خير لكم) قرأوا صم في رواية الأعمش وعبد الرحمن عن أبي بكر عنه أذن خير من نعوين أي
 إن كان صلى الله عليه وسلم كما تقولون أنه أذن فاذن يقبل منكم خير لكم من أن يكذبكم والباقيون بالضافة
 أي هو أذن خير لا أذن شر أي صدقكم بالخبر لا بالكذب ثم بين الله كونه صلى الله عليه وسلم أذن خير بقوله
 (يؤمن بالله) لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للأومنين) أي ويرضى لهم ويصدقهم لما علم فيهم من الخلوص
 (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي وهو رفق بالذين أظهروا الإيمان منكم حيث لا يكتشف أمرهم وقرأ
 حمزة ورحة بالجر عطفًا على خبره وقرأ ابن عامر ورحة بالنصب علة لمحذوف أي وبأذن لكم رحمة (والذين
 يؤذون رسول الله) يقولهم هو أذن ونحوه (لهم عذاب أليم) في الدنيا والآخرة (يحقون بالله لكم ليرضوكم)
 أي أنهم حلفوا على أنهم ما قالوا ما حكى عنهم ليرضوا المؤمنين بينهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه)
 أي والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالارضاء منكم وكان من الواجب أن يرضوهما بالاخلاص والتوبة
 والمناجاة وإيقاع حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الاجلال مشهدا وفيما لا ياتيانهم بالإيمان الفاجرة
 (إن كانوا مؤمنين) فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانما أحق بالارضاء (ألم يعلموا) أي أولئك
 المنافقون جلاس وأعصابه (أنه) أي الشأن (من يجادل الله) أي من يخالف الله (ورسوله) فإن
 له نار جهنم أي خلق أن له نار جهنم أي فكون نار جهنم له أمر ثابت (خالدا فيها ذلك) أي العذاب
 الخالد (الجزى العظيم) أي الندم الشديد وهي ثمرة نفاقهم (يحذرون المنافقون أن تنزل عليهم
 سورة تنبيههم بما في قلوبهم) أي يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تدينهم ما كانوا يخفونه من
 أمرهم إذا عظماء فتنشروا فيما بين الناس فيسمعونهم أفواء الرجال فكانت السورة تنبيههم بها
 وهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكركم كل شيء ويقول الله بطريق الوحي يكذبونه
 ويستهزؤنه (قل استهزؤا) أي افعلوا الاستهزاء بمحمد والقرآن (إن الله مخرج ما تخذرون)
 أي فإن الله مظهر ما تخذرونه من آيات السورة (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) قال
 الحسن وقتادة لما سار الرسول إلى تبوك قال المنافقون بينهم آراء يظهر على الشام وبأخذ حصونها
 وقصورها هيئات هيئات فتعجز جوعه صلى الله عليه وسلم دعاهم وقال أنهم القائلون يكذبا وكذا فقالوا
 ما كان ذلك بالحق فلوبنا وأثنا كنا نتحدث ونفعلك فيما بيننا (قل أبا الله) أي بتكاليف الله
 (وآياته) أي وبآيات القرآن وبأمر ما يدل على الذين (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (كنتم تستهزون
 لاتعتدوا) أي لا تذكروا هذا العتق دفع هذا الجرم (قد كفرتم بعد إيمانكم) أي قد ظهر كفركم
 للمؤمنين بالظن في الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كنتم عندهم مسلمين (إن تعف عن طائفة منكم فعذب

طائفة) قرأهم تعف وتعذب بالنون مبنيا للفاعل وطائفة بالنصب والباقون يعف بالياء وتعذب
 بالياء البناء للمفعول وطائفة بالرفع روى أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة وهو جهر بن حمير
 والاثنان طائفة وهما وديع بن جذام وجد بن قيس فالذي عفي عنه جهر بن حمير لانه كان فعلت معهم ولم
 يستهزئ معهم فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال أجمع آية تقهر منها الجلود وتحقق
 منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غلبت أنا كفت أنا دقت فأصيب يوم القيامة
 فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (وأنهم كانوا مجرمين) أي مستمرين على النفاق والاستهزاء فأوجب
 التعذيب (النافقون) وكانوا ثلاثا (والمنافات) وكن مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أي
 متشابهون في صفة النفاق والافعال الخبيثة (يأمررون) أي يأمر بعضهم بعضا (بالتكبر) أي بالكفر
 والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الايمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن كل خير
 من زكاة وصلة وفاق في سبيل الله (نسوا الله) أي تركوا أمر الله (ففسدهم) أي حاراهم بتركهم
 من رحمة (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق الذي هو الانسلاخ من كل خير (وعد
 الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين بالكفر (نار جهنم خالدين فيها) فالنار الخالدة من
 أعظم العقوبات (هي جهنم) أي تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها
 (وأنهم الله) أي أنهم الله بالذم ملحق بتلك العقوبة (ولهم عذاب مقيم) غير النار كالزهرير وكما ساء
 تعب النفاق في الدنيا اذ هم دائمون في حذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم (كالذين من قبلكم) أي
 فعلكم أيها المنافقون كفعل الكفار الذين كانوا قبلكم في الأمر بالتكبر والنهي عن المعروف وقبض
 الأيدي عن الخيرات (كانوا أشد منكم قوة) في الأيدان (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقتهم)
 أي فتمتعوا بمدة بنصيبهم من لذات الدنيا (فاستمتعتم بخلاقتكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقتهم) أي
 فأنتم أيها المنافقون استمتعتم بنصيبكم استمتاعا كما استمتع الكفار الذين من قبلكم بحظوظهم
 الخبيثة من الشهوات الفانية (وخضتم كالذي خاضوا) أي وتلبستم بتكذيب الانبياء في السر
 وبالمكر والغدر بهم كالتي ليس الذي تلبسوا به من تكذيب أنبياء الله والغدر بهم (أو لئلا) الموصوفون
 بالافعال الذميمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت حسنتهم بسبب الغفر والانتقال من
 العزالي الذل ومن القوة الى الضعف وبسبب الموت وفي الآخرة بسبب أنهم يعاقبون أشد العقاب (أو لئلا
 هم الخاسرون) حيث أنعموا أنفسهم في الرد على الانبياء فواجبوا منه الاقوات الخيرات في الدنيا
 والآخرة والاحصول العقاب في الدنيا والآخرة (ألم يأتهم) أي المنافقين (نبا الذين من قبلهم قوم
 نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) أي المنقلبات التي جعل الله على القري ساقطها
 (أنهم رسلهم بالبينات) أي المجهزات فكذبوهم فجهل الله هلاكهم والله أهلك قوم نوح بالغرق وعاد
 قوم هود بارسال الریح العقيم وثمود قوم صالح بارسال الصيحة والصاعقة وقوم ابراهيم بالهدم وسلب النعمة
 عنهم وبتسليط البعوضة على دماغ غرود قوم شعيب بالظلة أو بالرجفة وقوم لوط بالحسف وبجعل على
 أرضهم ساقطها وبإمطار الحجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم
 قريبة من بلاد العرب وهي الشام والعراق واليمن فكانوا يعرفون أخبار أهلها (فما كان
 الله ليظلمهم) بإرسال العذاب اليهم لانهم استحقوه بسبب أفعالهم القبيحة (ولكن كانوا أنفسهم
 يظلمون) بالكفر وتكذيب الانبياء (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بسبب المشاركة

في الاستدلال والتوفيق والهداية (يأمررون بالمعروف) أي بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمر
 (وينهون عن المنكر) أي الشرك والمعاصي (ويقيمون الصلاة) أي المفروضة بتمام الأركان
 والشروط (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم (ويطيعون الله ورسوله) في كل أمر ونهي في السر
 والعلانية (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (سبحهم الله) أي يفيض عليهم آثار رحمته والدين
 للتوكيد والمبالغة (إن الله عزيز) أي لا يمتنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة (حكيم) أي مدبر
 أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)
 أي تجري من تحت شجرها ومساكنها أنهار الخمر والماء والعسل واللبان (خالدين فيها ومساكن طيبة) وهي
 قصور من اللؤلؤ والمرجدر والياقوت الأحمر (في جنات عدن) وهي أبيس أما كن الجنات وأسنانها
 وقال عبد الله بن عمر إن الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل
 باب خمسة آلاف حور لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد (ورضوان من الله أكبر) محاسنهم فيه أذ عليه
 يدور فوز كل خير وسعادة وروى أنه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
 أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال
 أحل عليكم رضواني فلا أخط عليكم أبدا وقرأ شعبة ورضوان بضم الزاء والياقوت بالكسر (ذلك) أي
 المذكور من الأمور الثلاثة (هو الفوز العظيم) لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التمتع بطيبات الدنيا
 (يأباهم النبي جاهد الكفار) أي المجاهدين بالسيف (والمنافقين) أي الساترين كفرهم بظهور الإسلام
 بظاهر الحج لا بالسيف لنطقهم بكلمتي الشهادة (واغلظ عليهم) أي أشد على كلا الفريقين بالفعل
 والقول (ومأواهم جهنم وبئس المصير) هي وهذه الجملة مستأنفة لبيان عاقبة أمرهم (يخلفون بالله
 ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بتوافقهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وطعنهم على نبوته (وكفروا
 بعد إسلامهم) أي أظهروا الكفر وجأهروا بالحرب بعد أن أظهروا الإسلام (وهو عالم يذللوا) روى
 أن المنافقين هموا بقتله صلى الله عليه وسلم عند رجوعهم تبوك وهم خمسة عشر رجلا قد اتفقوا على أن
 يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحته ليقع في الوادي فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل إلى العقبة
 التي بين تبوك والمدينة نادى مناديه بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره
 واسلكوا يا معشر الجيوش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك النبي
 العقبة وكان ذلك في ليلة مظلمة فجاها المنافقون وتلقوا وادسلكوا العقبة وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر
 أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها فبينما النبي يسير في العقبة ازدحم
 المنافقون فنقرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فلو أمدبرين وعلموا أنه أطلع على مكبرهم فأنخطوا
 من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس فصار حذيفة يضرب الناقة فقال له النبي هل عرفت
 أحدا منهم قال لا فإنهم كانوا متلثمين واليلة مظلمة قال هل علمت مرادهم قال لا قال النبي انهم مكروا
 وأرادوا أن يسروا معي في العقبة فبرحوني عنها وإن الله أخبرني بهم وبكبرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم
 بما مكروا به فخلفوا بالله ما قالوا بتكذيب النبي ونسبه إلى التصنع في ادعاء الرسالة ولا أرادوا فتكهم فأنزل
 الله تعالى هذه الآية (ومائة مواالآن أغناهم الله ورسوله من فضله) أي وما أنكروا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم شيئا من الأشياء إلا أغناهم الله تعالى إياهم من فضله فإن هؤلاء المنافقين كانوا قبل قدوم
 النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضلالتهم من العيش لا يركبون الحيل ولا يجرزون الغنم وبعد قدومه

أخذوا الغنائم وفازوا بالاموال ووجدوا الدولة وقتل الجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بديته اثني عشر ألفا استغنى وذلك يوجب عليهم ان يكون محبين له صلى الله عليه وسلم محبتهم في بذل
 النفس والمال لاجله ففعلوا بصد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم ان كرهوه وعابوه
 (فان يتوبوا) من النفاق فوقع للجلاس بن سويد فانه تاب رحسنت توبته (يلك) أي التوب (خيرا
 لهم) في الدارين (وان يتولوا) أي يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بقتلهم
 وسبي أولادهم وأزواجهم واعتنام أموالهم لانه لما ظهر كفرهم بين الناس صاروا مثل أهل الحرب ففعل
 قتالهم (والآخرة) بالنار وغيرهما من اذنين العقاب (ومالهم في الارض) مع سعتها (من ولي) أي
 حافظ (ولا نصير) ينقذهم من العذاب (ومنهم) أي المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله
 لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوها وتولوا) باجرامهم على العهد (وهم معرضون)
 بقلوبهم عن أوامر الله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) أي فأورثهم البخل نفاقا فمكنا في قلوبهم أي
 فارتدوا عن الاسلام وصاروا منافقين (اليوم يلقونه) أي اليوم موتهم الذي يلقون فيه جزاء عملهم وهو
 يوم القيامة (بما آخفوا الله ما وعدوه) أي بسبب اخلافهم الله الوعد من التصديق والصلاح (وبما
 كانوا يكذبون) أي وبسبب كونهم مستترين على الكذب في وعدهم روى ان ثعلبة بن حاطب كان صحابيا
 الاسلام في ابتداء أمره وصار منافقا في آخر أمره وكان ملازما لمجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 لقب بحمالة المسجد ثم رآه النبي صلى الله عليه وسلم يسرع الخروج من المسجد عقب الصلاة فقال له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مالك تفعل فعل المنافقين فقال اني افتقرت ولي ولا امرأتى ثوب أجي به للصلاة ثم
 اذهب فترعه لابس مودعته صلى الله عليه وسلم ثعلبة فليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان
 يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة فليس توذي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك
 فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة فليس توذي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم آتاه بعد ذلك
 أردت ان تسير الجبال معي ذهبوا فضة لسارت ثم آتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا
 والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فتمت كما ينمو الذود
 حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديان أو ديتها فجعل يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ويصلي في غنمه
 باقي الصلوات ثم غت وكثرت فتباعه من المدينة حتى ترك الصلوات الا الجمعة ثم غت وكثرت حتى تباعد
 وترك الجمعة فاذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس بأهلهم عن الاخبار ثم سأل رسول الله عنه فأخبر بخبره
 فقال يا ويح ثعلبة لئلا نازل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة فتبع صلى الله عليه وسلم اليه رجلين من بني
 سليم ومن بني جهينة وكتب لهما السنان الصدقة وقال لهما امر اعلى ثعلبة بن حاطب خذ اصدقائه فأتياه
 وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذه الا الجزية أو أخت الجزية فلم يدفع الصدقة
 فأنزل الله تعالى هذه الآية فقبل له قد أنزل فيك كذا وكذا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله ان يقبل
 صدقته فقال ان الله منعني من قبول ذلك فجعل يحثوا التراب على راسه قال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك
 فما أعطتني فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء
 بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء بها الى عمر أيام خلافة فلم يقبلها فلما ولي عثمان آتاه بها فلم يقبلها
 وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وانما امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ تلك الصدقة لان المصدود
 من الاخذ غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (ألم يعلموا)

أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) وهو ما ينطوى عليه صدورهم (ونحوهم) وهو ما يفاض به بعضهم بعضا فيمينا بينهم (وأن الله علام الغيوب) أى ما غاب عن الخلق (الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجردون إلا جهدهم) أى يبطعون على الذين لا يجردون إلا طاقتهم (فيستغفرون منهم) أى ويهزؤون بالفريق الأخير بقلة الصدقة (مخبر الله عنهم) وهذه الجملة خبر للوصول وقال الأصم أى قيل الله من هؤلاء المنافقين ما أظهرهم من أعمال البرع أنه لا يشبههم عليها فكان ذلك كالسخرية وقال ابن عباس فتح الله لهم في الآخرة بابا إلى الجنة (ولهم عذاب أليم) قال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحدث على أن يجمعوا الصدقات فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وجاء عمر بن الخطاب بعشرة آلاف وجاء عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقاسم عمرو بن عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجاء أبو عقيل عبد الرحمن بن نبحان بصاع من تمر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فقال المنافقون عن وجهه الطعن ما جاء بالصدقاتهم إلا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فإنه فاعجابهم بصاع ليذكرهم سائر الأكل والله غنى عن صاعه فأثرل أنه تعالى هذه الآية (استغفروا أولادكم) روى أنه لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وظهر نفاقهم للمؤمنين جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا يا رسول الله استغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأستغفر لكم واستغفر بالاستغفار لهم فنزلت هذه الآية فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار وهذا الأمر تخمير له صلى الله عليه وسلم في الاستغفار وتركه ومعناه إخبار باستواء الأمرين أى إن شئت استغفروا وإن شئت فلا تستغفروا فاستغفروا لهم وعدمه سواء (أ) تستغفروا سبعين مرة فمن يغفر الله لهم) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبع مائة في التكثير الأشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكما أنها العدد بأمره فإن عدة مراتبه سبعة أحاد عشرات مئتين أحاد ألوف عشرات ألوف مئتين ألوف أحاد ألوف الألوف والسبعون عند العرب غاية مستقصاة لانه عبارة عن جمع السبعة عشر مرات والسبعة عدد شريف لأن عدد السموات والأرض والبحار والأقاليم والنجوم والأيام والأعضاء هو هذا العدد (ذلك) أى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار (بأنهم كفروا بالله ورسوله) أى بسبب كفرهم بالعدم الاعتداد بالاستغفار (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أى فإن تجاوزهم عن الحدود مانع من الهداية (فرح المخلفون) أى الذين تركهم النبي صلى الله عليه وسلم بمقعدهم) أى في المدينة (خلاف رسول الله) أى بخالفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار إلى تبوك للجهاد وأقام في المدينة (وكرهوا أن يجاهدوا بأولاهم وأنفسهم في سبيل الله) فإن في المجاهدة ألاف النفس والمال (وقالوا) لاخوانهم أول المؤمنين تشبه طاهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف (لا تنفروا في الحرب) أى لا تخرجوا إلى الجهاد في المرشد (قل) تجهيلا لهم (نار جهنم) التي سدد خلونهم بما فعلتم (أشد حرا) مما تحذرون من الحراعتاد وتحذرون الناس منه (لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار أخرى وأن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى (فليفهموا قليلا وليكفوا كثيرا) وهذا الخبر بأنه ستحصل لهم هذا الحالة ورد بصيغة الأمر أى أنهم وإن فرحوا وفتكروا أطول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم وحزنهم في الآخرة لأن الدنيا بأمرها قليلة وعقابهم في الآخرة دائم لا ينقطع (جزاء بما كانوا يكسبون) في الدنيا من النفاق (فإن رجعت الله) من غزوة تبوك (إلى طائفة منهم) أى المنافقين في المدينة (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك

(فقل) لهم يا أشرف الخلق (إن تخرجوا معي أبدا) في سفر من الأسفار (ولن تقاتلوا معي عدوا) من
الاعداء (أنكم رضيتم بالعودة) عن الغزو (أول مرة) وهي غزوة تبوك (فاعدوا) عن الجهاد
(مع الخالفين) أي النساء والصبيان والرجال الأعاجزين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على
قبره) أي لا تعف عليه لا تدفن أولدعاه فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دفن الميت وقف على قبره ودعاه
(أنهم كفروا بالله ورسوله) أي لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله في السرمدة حياتهم (رماوا
وهم فاسقون) أي همردون في الكفر بالكذب والخداع والمكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه إذا
مات ويقوم على قبره ثم أنه أرسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قيصه ليكفن فيه فأرسل إليه
القيص الغرقاني فردده وطلب منه الذي يلي جلده ليكفن فيه فأرسله إليه فقال عمر رضي الله عنه لم تعطى
قيصا للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم إن قيصي لا يغني عنه من الله شيئا فلعن الله أن يدخل به
ألفاق الإسلام وكان المنافقون لا يقرقون عبد الله فإنه رأسهم فلما رأوه يطلب هذا القيص ويرجوا أن
ينفعه أسلم منهم يومئذ ألف فلما مات عبد الله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أمه عبد الله فإنه كان
من فضلا المهاجرة وأصدقهم أسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا يعرفه صلى الله عليه وسلم فقال
لعبد الله صل عليه وادفنه فقال يا رسول الله إن لم تصل عليه لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فقام عمر فقال بين رسول الله وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت هذه الآية فامتنع صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عليه وانحادفع القيص إليه تطييبا للقلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي ركرامه لأنه كان
من الصالحين ولأن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا يدبر لم يجد والده قيصا وكان
رجلا طويلا فكساه عبد الله بن أبي قيصه بأمر صلى الله عليه وسلم (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما
يريد الله) بتمتعهم بالأموال والأولاد (أن يعذبهم بها في الدنيا) بمكابدتهم الشدائد في شأنها (وترحق
أنفسهم وهم كافرون) أي فيموتوا كافرين بأشمتغالهم بالتمتع بها (وإذا أنزلت سورة) من القرآن
مشغلة على الأمر (أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك) في التخلف عن الغزو (أولو الطول
منهم) أي ذوو السعة في المال والقدرة على الجهاد بالبدن من رؤساء المنافقين عبد الله بن أبي وجدة بن
قيس ومعتب بن قيس (وقالوا ذرنا) يا محمد (نكن مع القاعدتين) أي من الضعفاء من الناس
والساكنين في البلد بغير عذر (رضوا بأن يكون من الخوالف) أي مع النساء اللائي يلزمهن البيوت
(وطبع على قلوبهم) أي منعت من حصول الإيمان (فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) أي لا يفهمون
أمر الله في الأمر بالجهاد (لكن الرسول والذين آمنوا معه يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي إن
تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم وأخلص نية وأعتقدا (وأولئك لهم
الحيرات) أي منافع الدارين النصر والغنية في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة (وأولئك هم
المفلحون) أي المتخلصون من السخط والعذاب (أعد الله لهم) أي هيأ لهم في الآخرة (جنان تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي مقمين في الجنة (ذلك) أي نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم)
الذي لا فوز وراءه (وجاء) اليك يا أشرف الخلق (المعذرون) أي الذين أتوا باعذار كاذبة وتكلفوا
عذرا يبطل (من الأعراب) أي من بني غفار (ليؤذن لهم) بالتخلف عن غزوة تبوك فلم يعذرهم
الله (وقعد) عن الجهاد بغير إذن (الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعائهم الإيمان وهم منافقوا

الاعراب الذين لم يحيثوا الى الرسول ولم يعتذروا (سيصيب الذين كفروا منهم) أى المعذرين لانهم أسلم
 منهم (عذاب أليم) فى الدنيا بالآلة تسل وفى الآخرة بالنار (ليس الضعفاء) كالسيوخ (ولا على
 المرضى) من الشباب (ولا على الذين لا يجدون ما ينفعون) فى الجهاد من الزاد والراحلة لغيرهم
 كزينة وجهينة وبنى عذرة (خرج) أى اثم فى التخلف عن الجهاد (اذانهم والله ورسوله) أى
 آمنوا بهما وأطاعواهما فى السر والعلن (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم طريق الى ذمهم
 (والله غفور رحيم) ولا على الذين اذا ما اتوا لتحميلهم قلت لا أجداً أحلكم عليهم تولوا وأعينهم تفيض من
 الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون) أى وليس على من اتوا يسألونك ان تحملهم الى غزوة تبوء ثم
 خرجوا من عندك ليكون لعدم وجدان ما ينفقون فى الجهاد سبيل فى لوهمهم ولذلك سموا البكائين وهم
 سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن هبيرة ونعيلة بن عفة
 وعبد الله بن معقل وعبد الله بن زيد فاتهم أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فترنا الخروج فاحلنا
 على الخفافى المرقوعة والنعال المخصوصة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجداً أحلكم عليه
 فتولوا وهم يكونون حمل العباس منهم اثنان وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزوه وهو ألف
 وحمل يامين بن عمر والنضرى اثنان (انما السبيل) بالعامية (على الذين يستأذنونك) فى التخلف
 (وهم أغنياء) أى قادرون على أهبة الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى رضوا بالدناءة
 والانتظام فى جملة النساء (وطبيع الله على قلوبهم فهم) لاجل ذلك الطبع (لا يعلمون) ما فى الجهاد
 من منافع الدين والدنيا (يعتذرون) أى هؤلاء المتأفقون وهم بضع وعثمانون رجلاً (اليكم) فى
 التخلف (اذا رجعت) من غزوة تبوء (اليهم) بالاعذار الباطلة (قل) يا أشرف الخلق لهم
 (لا تعتذروا) بما عندكم من المعاذير (لن تؤمن لكم) أى لن تصدقكم فيما تقولون من العلى أبداً
 (قد نبأنا الله من أخباركم) أى قد أعلمنا الله بعض أحوالكم عما فى ضمائركم من الخبث والنفاق
 والمكر (وسيرى الله عملكم ورسوله) أى وسيستق علمكم معلوماً لله ورسوله هل تبعدون على نفاقكم
 أم تتوبون منه (ثم تردون) يوم القيامة (الى عالم الغيب والشهادة) للجزاء بما ظهروا منكم من الاعمال
 (فمنبتكم) عند وفوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) فى الدنيا أى فيجازيكم عليه (سيخفون بالله
 لكم ذنوبكم اليهم) أى اذا رجعت اليهم من تبوء انهم معذرون فى التخلف (انهم رضوا
 عنهم) أى تعرضوا عن ذمهم اعراض الصفع (فأعرضوا عنهم) اعراض المقت وترك الكلام
 قال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم (انهم رجس)
 أى ان خبث باطنهم رجس وروافى فكما يجب على الانسان الاحتراز عن الارجاس الجسدية يجب
 الاحتراز عن الارجاس الروحية حذراً من ان يميل طبع الانسان الى الاعمال القبيحة (وماؤهم
 جهنم) أى وكفتهم النار حتى يخافوا لا تتكافوا أنتم فى ذلك (جزاء بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من قنوت
 السيئات (يخلفون لكم لترضوا عنهم) بالخلاف وتستدعوا عليهم ما كنتم تغفلون بهم (فان ترضوا عنهم
 فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضيت أيها المؤمنون عنهم بما لحقواكم فلا ينفعهم
 رضاكم لان الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم لكونكم ارادتمكم مخالفة لارادة الله تعالى وذلك لا يجوز
 (الاعراب) أى جنس أهل البدو (أشد كفراً وتفاقاً) من أهل الحضرة وحشهم واستيلاء الهواء
 الحار اليابس عليهم وبعدهم عن أهل العلم (وأجدر أن لا يعلموا أحد وما أنزل الله على رسوله) أى

أحق بأن لا يعلموا مقادير الشكايف والاحكام (والله عليم) بما في قلوب خلقه (حكيم) فيما فرض
من فرائضه (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفع من زما) أي من الأعراب أسد وغطفان من يعتقدان الذي
ينفعه في سبيل الله خسران لأنه لا ينفع إلا رباؤه وخوف من المسلمين لا لوجه الله (ويتر بص بكم الدوائر)
أي ينتظر أن تغلب الأمور عليكم بعون الرسول وإن يعلو عليكم المشركون فيمخلص محابته إلى به من
الانفاق (عليهم دائرة السوء) أي عليهم يدور السوء والحزن فلا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم
ودينه إلا ما يحزنهم (والله سميع) أقوالهم عند الانفاق من كلام لا خير فيه (عليم) بنياتهم الفاسدة
(ومن الأعراب) من ربة وجهينة وأسلم (من يؤمن بالله واليوم الآخر) في السر والعلانية (ويتخذ
ما ينفع قربات عند الله وصلوات الرسول) أي ويؤخذ لنفسه ما ينفعه في سبيل الله سبيبا لحصول القربات
إلى الله في الدرجات وسبيبا لحصول دعوات الرسول فإنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو المتصدقين بالخير
والبركة ويستغفرهم (ألا) أي تنبهوا (إنها) أي أن نفقتهم (قربة لهم) إلى الله في الدرجات
(سيد خلهم الله في رحمته) أي جنته وهذا تفسير للقربة وعدلهم بأحاطة رحمته الواسعة كما أن قوته تعالى
والله سميع عليم تهديد للآخرين عقب الدعاء عليهم والسبب للدلالة على تحقق الوقوع (إن الله غفور)
لسيئاتهم (رحيم) بهم حيث وقفهم لهذه الطاعات وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أسلم وغفار وشي من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من عجم وأسدين خزينة وهو وزن وغطفان
(والسابقون الأولون) أي في الهجرة والنصرة (من المهاجرين) هم الذين صلوأ إلى القبلة وشهدوا بغيرها كما
قاله ابن عباس (والانصار) وهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى وكانوا سبعة
نفر والعقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا والعقبة الثالثة وكانوا سبعة من رجلا والذين آمنوا حين قدم
عليهم أبو زرارة مصعب بن عمر (والذين انبعوهم) أي الغريقيين (بأحسان) وهم الذين يذكرون
المهاجرين والانصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم (رضي الله عنهم) لأعمالهم وكثرة
طاعاتهم (ورضوا عنه) لما أقاض عليهم من نعمه الجليلة في الدنيا والآخرة السابقون بعبادة وخير جملة
رضي الله عنهم (وأعد لهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرأ ابن كثير من تحتها بكلمة من كما
في سائر المواضع وعنى هذا زمصلة الميم في المواضع الثلاثة والباقيون بغير كلمة من وفتح التاء (خالدين فيها أبدا)
أي من غير انتهاء (ذلك) أي الرضوان والجنات (الغور العظيم) أي النجاة أو الأثرة (وعن حواسك) أي
حول بلدتك (من الأعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة وأسلم وأجمع وغفار وكانوا نازلين حول
المدينة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) أي من أهل المدينة كعبد الله بن أبي وأصحابه من ثبتوا
على النفاق ولم يتوبوا عنه (لا تعلمهم) أي لا تعلم نفاقهم مع قوة خا طرك وصفاء نفسك للسدة بطن الكفر
وأظهرا لالا خلاص (فمن علمهم) أي فمن علم سرائرهم التي في ضمائرهم (سنذيرهم مرتين) بعذاب
الدنيا بجميع أقسامه وعذاب القبر (ثم يردون) في الآخرة (إلى عذاب عظيم) هو النار المؤبدة
(وآخرون) أي ومن أهل المدينة قوم آخرون أبو ليابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديع
ابن حزام (اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بذنوبهم وأظهروا الندامة على التخلف (خلطوا أعمالا حسنة)
وهو خروجه مع الرسول إلى سائر الغزوات (وأخسبوا) وهو تخلفهم عن غزوة تبوك أي خلطوا كل
واحد من العمل الصالح العمل السيئ بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أي ثبت أن يفعل الله توبتهم
(إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات الثابت ويتفضل عليه (خذا من أموالهم صدقة) أي لما أظهروا

التوبة عن تخلفهم عن غزوة تبوك وهم أقروا بان السبب المؤدى لذلك التخلف حبهم للاموال امر الله
رسوله ان يأخذ منهم الزكوات الواجبة عليهم فكانه قيل لهم اغنايظهر صحة قولكم في ادعاء هذه التوبة
لو اخرجتم الزكاة الواجبة بانسراح قلب لان الدعوى اغناي شهد عليها الامتحان فعند الامتحان يكرم
الرجل أو يهان فان أدوات تلك الزكوات عن طبيعة النفس ظهر كونهم صادقين في تلك التوبة والا فهم
كاذبون (تظهرهم) أى تظهرهم أنت أيها الأخذ بأخذها منهم عن نجاسة الذنوب (وتركيهم بها)
أى ترفعهم بتلك الصدقة حسنتهم الى مراتب المخلصين وثقتى عليهم عند اخراجها الى الفقراء وتجعل
النقصان الحاصل بسبب اخراج قدر الزكاة سبباً لزيادة البركة (وصل عليهم) أى ادع لهم قال السافى
رضي الله عنه والسنة الامام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للصدق ويقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك
لك فيما أبقيت وجعله لك طهوراً (ان صلاتك سكن لهم) أى ان دعائك يوجب طمأنينة قلوبهم
(والله سميع) لقولهم (عليهم) بنيتهم قرأ حزقيا والكسافى وحفص عن عاصم صلاتك على التوحيد والباقون
صلواتك على الجمع (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) أى ألم يعلم أولئك
التائبون قبل توبتهم وصدقهم ان الله يقبل التوبة العجيبة عن عباده المخلصين ويقبل الصدقات
الصادرة عن خلوص النية (وأن الله هو التواب الرحيم) أى وألم يعلموا انه تعالى المنفرد ببلوغ الغاية
القصوى من قبول التوبة وايصال الرحمة (وقل اعلموا فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى
وقل يا أشرف الخلق اعلموا ما تشاؤون من الاعمال فسرى الله عملكم خيراً كان أو شراً وراء رسوله
باطلاع الله اياه على أعمالكم وبراء المؤمنين بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض
المفسدين فان لعملكم في الدنيا حكماً وفي الآخرة حكماً أما حكمه في الدنيا فانه يراه الله والرسول والمسلمون فان
كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وان كان معصية حصل منه اللوم
العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وهذا ترغيب عظيم للطيعين وترهيب عظيم للذنبين وفي
الخبر لو أن رجلاً عمل في محضرة لا باب لها ولا كوة لمخرج عمله الى الناس كأنها ما كان (وسـ تردون) بعد
الموت (الى عالم الغيب والشهادة) والمراد من الرد تعريف عقاب الخزي والفضيحة (فينبئكم بما
كنتم تعملون) في الدنيا أى فيعرفكم أحوال أعمالكم من خير وشر فيجازيكم عليها لان الحجاز من
الله تعالى في الآخرة لا تحصل الا بعد التعريف ليعرف كل أحد ان الذى وصل اليه عدل لا ظلم (وآخرون
مرجون) قرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عباس وأبو بكر عن عاصم مرجون من رجثون من مضمومة بعدها
واو ساكنة والباقون مرجون بدون تلك الهمزة أى ومن أهل المدينة قوم من المتخلفين غير المعترفين
مؤخرون عن قبول التوبة (لا امر الله) أى لحكمه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهـ لال بن أمية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار فنزل قوله تعالى
وآخرون مرجون لامر الله فوق الرسول أمرهم بعد نزول هذه الآية خمسين ليلة بقدر مدة التخلف اذا
كانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة ونهى الناس عن مجالستهم وأمرهم باعتزال
نسائهم وارسالهن الى أهاليهن لانه لما غتوا بالراحة في المدينة مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بمجرهم
تلك المدة فلما مضى خمسون يوماً نزلت توبتهم بقوله تعالى لقد تاب الله على النبي وبقوله تعالى وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت (اما يعذبهم) واما يتوب عليهم) وهذه الجملة في
محل نصب على الحال أى ومنهم هؤلاء اما معذرين واما متوب باعليهم هؤلاء القوم كانوا ناديين على تأخيرهم

عن الغزو ولم يحكم الله بكونهم نالين بل قال اما يعذبهم واما يتوب عليهم فاعلمهم خافوا من أمر الرسول
 ياذاثم أو خافوا من الحيلة والفضيحة وعلى هذا التقدير فتوبتهم غير صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى
 أن سهل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم عندهم فعند ذلك قدموا على المعصية لنفس كونها
 معصية وعند ذلك صحت توبتهم وكلمة المثلث بالنسبة لاعتقاد العباد والمراد منه لئلا يترك أمرهم على الخوف
 والرجاء فجعل أناس يقولون هل كانوا إذا لم ينزل الله لهم عذرا أو أناس يقولون عسى الله أن يغفر لهم قال الناس
 يختلفون في شأنهم فصاروا عندهم مرجحين لأمر الله تعالى (والله عليم) عباد في قلوب هؤلاء المؤمنين
 (حكيم) فيما يحكمهم فيهم وفيما يفعل بهم (والذين اتخذوا مسجدا ضارا) أي ومنهم الذين بنوا مسجدا
 وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين لاضرار أهل مسجد قبا (وكفرا) أي ولتقوية الكفر بالطعن على
 النبي صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام (وتفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قبا أي
 لكي يصل طائفة من المؤمنين في ذلك المسجد فيؤدي ذلك إلى اختلاف الكلمة (وارصادا لمن حارب الله
 ورسوله) أي انتظارا لابي عامر الراهب الفاسق (من قبل) متعلق باتخذوا أي اتخذوا ذلك المسجد
 من قبل أن ينافق بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك وكان أبو عامر قد تنصر في الجاهلية وترهب
 أي لبس المسوح وطالب العلم فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة عاد لأنه زالت رياسته وقال للنبي صلى
 الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلون إلا قاتلت معهم ولم يرزل يقاتله صلى الله عليه وسلم الى يوم
 حنين فلما انهمزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة
 وسلاح وابنوا إلى مسجد قبا في ذهاب إلى قيصروا من عندهم بجند فأخرج محمد وأصحابه من المدينة
 فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قبا وانتظروا يحيى أبي عامر صلى الله عليه وسلم في ذلك المسجد (وليجلفن
 أن أردنا إلا الحسنى) أي قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الاحسان إلى
 المؤمنين وهو الرفق بهم في التوسعة على أهل الضعف والعلو والعجز عن الذهاب إلى مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم (والله يشهد انهم أكاذبون) في خلفهم (لا تقم فيه أبدا) أي لا تعمل في ذلك المسجد
 أبدا روى ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك زل بذي أوان وهو موضع قريب من
 المدينة فأتاه المنافقون وسألوا أئمة مسجدهم فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم هذه الآية فدار رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم وعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيما فقال لهم انطلقوا إلى هذا
 المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ذلك الموضع
 مكان كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر الفاسق بالشام بنسرين غربيا وحيدا (المسجد
 أسس على التقوى) أي بنى أصله على طاعة الله تعالى وذكره (من أول يوم) من أيام تأسيسه فقد أسس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قبا وصلى فيه أياما مقام بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء
 والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة (أحق أن تقوم فيه) أي أن تصلي فيه ذلك المسجد (فيه)
 أي في هذا المسجد (رجال يحبون أن يتطهروا) من الأحداث والجنابات والتنجاسات وسائر النجاسات
 وهم بنو عامر بن عوف الذين بنوه (والله يحب المطهرين) أي يرضى عنهم روى ابن خزيمة عن عوف بن
 ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قبا فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الشاة في
 التطهور في قصة مسجدكم فما هذا الظهور الذي تطهرون به أي الذي تحصلون الطهارة بسببه قالوا والله
 يا رسول الله مانع شئ إلا أنه كل لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما

غسلا وفي حديث ر. واه الزار فقالوا في جواب سؤالهم تتبع الحجارة بالاساء فقال هو ذاك فعليك به
 (أمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) أي أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة
 قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفاعر في هار) أي أم من
 أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله وضرار بعباد الله (فنهاريه في نار جهنم) أي
 فسقط المسيل مع أصحابه أي للؤسس في قعر نار جهنم أي مثل الضلال مثل شفاعر في هار من أودية
 جهنم فكان قريب السقوط ولكنه على طرف جهنم كان إذا أنهار فاعا بها في قعر جهنم وقرأنا في
 وابن عامر أسس مبنيا للمفعول وبنيانه بالرفع نائب الفاعل (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يغير
 للنافقين ولا ينجيهم (لا يزال بنياهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) أي لا يزال مسجدهم سبب شك في
 الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرب فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل
 ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتياحهم في نيوتهم وعظم خوفهم منه في جميع الاوقات وصاروا
 مرتابين في أن رسول الله هل يحل سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم (الأن تقطع قلوبهم) وقرأ
 ابن عامر وحفص عن عاصم وحزرة بفتح التاء والطاء المشددة والباقيون بضم التاء مبنى للمجهول وعن
 ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أي الآن تجعل قلوبهم قطعاً
 بالسيف وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب إلى أن تقطع وأنبؤ حياة كذلك لأنه قرأ بضم التاء وفتح
 القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول وقلوبهم بالنصب وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم
 بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم أبداً
 ويعتقون على هذا النفاق والاعمى إلى بدليل القراءة الشاذة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) في
 الأحكام التي يحكم بها عليهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 يقاتلون في سبيل الله) وهذا استثناف لبيان المبيع الذي يستلزمه الشراء كأنه قيل كيف يبيعون
 أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله أي يبذلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والمؤمن
 متى قاتل في سبيل الله حتى يقتله كافر أو نفق ماله في سبيل الله فإنه يأخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما
 فعل وهو تسليم المبيع من النفس والأموال (فيقاتلون ويقاتلون) قراءة حمزة والكسائي بتقديم المبنى
 للمفعول على المبنى للفاعل والباقيون بعكسه فعني تقديم الفاعل على المفعول أنهم يقاتلون الكفار ولا
 يرجعون عنهم إلى أن يصير وأما متواين وأما تقديم المفعول على الفاعل فأنه في أن طائفة كبيرة من المسلمين
 وإن ضاروا متواين لم يصرد ذلك راداً للباقيين عن المقاتلة بل يقولون بذلك مقاتلين مع الأعداء قاتلين أهم
 بقدر الامكان (وعدا عليه حقاً) أي وعدهم الله وعداً ثابتاً على الله (في التوراة والانجيل والقرآن
 ومن أوفى بعهده من الله) أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى (فاستبشروا) أي فافرحوا غاية الفرح
 (ببيعكم الذي بايعتم به) أي بجهادكم الذي فرضتم به بالجنة (وذلك) أي الجنة التي هي ثمن بذل النفس
 والأموال (هو الفوز العظيم) أي فلا فوز أعظم منه (التائبون) وهو رفع على المدح أي هم
 التائبون من كل معصية كما يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود وأبي والاحمض التائبين بالياء إلى قوله تعالى
 والحافظين أماناً صباعاً على المدح أو جراحة للمؤمنين ويجوز أن يكون التائبون رفعا على الب ل من الوارد في
 يقاتلون واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل باجتماع أربعة أمور أولها احتراق القلب عند صدور
 المعصية ثانياً الندم على ما مضى ثالثاً العزم على الترت في المستقبل رابعاً أن يكون الحامل له على

هذه الامور الثلاثة طاب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها دفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم اول فرض آخر من الاغراض الدنيوية فليس بتائب ولا بد من رد المظالم الى أهلها ان كانت (العايدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم (الحامدون) أي الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودياراً يجعلون اظهار ذلك عادة لهم (الصائمون) أي الصائمون امروا صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام وقال عكرمة أي طلاب العلم فانهم يستقلون من بلد الى بلد (الراكعون الساجدون) أي المصلون الصلوات الخمس (الأمرون بالمعروف) أي بالايمن والطاعة (والناهون عن المنكر) أي عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحُدود الله) أي لتكاليف الله المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وبشرا المؤمنين) الموصوفين بهذه الصفات بالجنة (ما كان للنبي) أي ماجاز ل محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) أي ذري قرابات لهم (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أي أهل النار بان ما توا على الكفر وسبب نزول هذه الآية استغفار ناس لا باثم الذين ما توا على الكفر روى عن علي رضي الله عنه أنه قال سمعت رجلاً يستغفر لا يؤبه وهو مشرك كان فقلت أتستغفر لا يؤبك وهو مشرك كان قال أليس قد استغفر إبراهيم لا يؤبه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المساون يستغفرون لا باثم المشركين حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لا مواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا ولا حياء حتى عوتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه) أي الا لاجل موعدة وعدها إبراهيم أباه بقوله لا تستغفرون لك أي لا طين مغفرة لك بالتوفيق للايمان فانه يحرم ما قبله (فلم يأتين له أنه عدو لله) أي انه مستمر على الكفر ومات عليه (تبرأ منه) أي ترك الاستغفار له أي ان إبراهيم استغفر لأبيه ما كان حياً فلما مات أمسك عن الاستغفار له وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال لما عرض أبو طالب أثناء النبي صلى الله عليه وسلم فقال المسلون هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا لقربا باثمهم من المشركين فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ثم أنزل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه قال ابن عباس رضي الله عنهما قال استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه انفس استغفرون لا باثماً كما استغفر النبي لعمه فانزل الله ما كان للنبي الآية الى قوله تعالى تبرأ منه فظهر بهذه الاخبار ان الآية نزلت في استغفار المسلمين لا قاربهم المشركين لافي حق أبي طالب لان هذه السورة كلها مكية نزلت بعد تبوك وبينه وبين موت أبي طالب نحو اثني عشر سنة وايضا ان عم إبراهيم أزركان يتخذ أصناماً آلهة ولم ينقل عن أبي طالب انه اتخذ أصناماً آلهة أو عبد حجراً أو نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عبادة ربه وانما هو ترك النطق بالشهادتين لخوف مسببة لا للعناد لا لسلام أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بحجاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الاثمة من أهل الكلام أن يكون هو ذا زرع إبراهيم في رقبته واحدة فان أباطل ربا صلى الله عليه وسلم صغير أو آواه كبير أو نصره وعزره ووفقه ووزب عنه ومدحه ووصى باتباعه وأما ما روى ان علياً ضحك على المنسبر ثم قال ذكرت قول أبي طالب ظهر علينا وأنا أصلي ببطن نخلة فقال ماذا تصنعان فدعاه النبي الى الاسلام فقال ما بالذي تقول من بأس واسكن والله لا يعسوفني أسنى أبد

فهذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الصلاة وقد أقر بأنه لا بأس بالتوحيد وابتداءه عن صلاة النفل لا يدل على
 إبانته عن التوحيد وليس في حديث عمرو بن دينار السابق دلالة قطعية على شركه وأما قوله صلى الله عليه
 وسلم استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا يزال أسستغفر لأبي طالب فهذا يمكن أن يكون معناه أن إبراهيم
 استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا استغفر أنا لأبي طالب مع خطيئته دون الشرك فلا يزال أسستغفر له حتى
 ينهائي عنه ربي ولم ينه صلى الله عليه وسلم بل نهي عن الاستغفار للمشركين لا لخصوصهم كما صرح به إذا
 روى عن قتادة أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الاستغفار لأبائهم فقال والله
 إنني لاستغفرن لأبي أي لعبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأمر الله ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن لا أستغفر لمن كان كافراً فقله صلى الله عليه وسلم إنني لاستغفرن لأبي ولم يقل
 أمرت أن لا أستغفر له بل قال لمن مات مشركاً جواب لسؤال أصحابه مع إشارة خفية إلى أن عمله لم يكن مشركاً
 والله أعلم (ان إبراهيم لأبوه) أي كثير الدعاء والتضرع (حليم) أي صبور على المحنة (وما كان الله ليضل قوماً
 بعد أذهبهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما يجب أن يحترزوا عنه أي أنزل المنع من الاستغفار للمشركين
 خاف المؤمنون من المؤاخضة بما صدر عنهم منه قبل المنع وقدم قوم منهم قبل النهي من الاستغفار فوقع
 الخوف في قلوب المسلمين على من مات منهم أنه كيف يكون حالهم فأزال الله تعالى ذلك الخوف عنهم بهذه الآية
 وبين أنه تعالى لا يؤاخذهم بعمل الأبعدان بين لهم أنه يجب عليهم أن يحترزوا عنه أي وما كان الله ليقتضي
 عليكم بالاضلال بسبب استغفاركم لو تاركتم المشركين بعد أن درزكم الهداية وفقكم للإيمان به ورسوله
 حتى يبين لكم بالوحى ما يجب الاحتراز عنه من محظورات الدين فلا تنزجروا عما نهىم عنه (إن الله بكل
 شئ عليم) فيعلم حاجتهم إلى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك (إن الله له ملك السموات
 والأرض) من غير شريك له فيه (يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولي) أي متولى الأمور
 (ولانصير) أي لما أمر الله بإبراهيم من الكفار بين أن الله ملك السموات والأرض فإذا كان هو ناصر
 لكم فهم لا يقدر أن على اضراركم أي أنكم إن صرتم محرومين عن معاونتهم فالله الذي هو المالك
 للسموات والأرض والمحيى والمميت ناصركم فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم والواجب عليكم أن تنقادوا
 لحكم الله وتكليفه لكونه الهكم ولكونكم عبيد له (القد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
 الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في الزمان الذي صعب الأمر عليهم جدافى السفر إلى تبوك وكانت لهم
 عسرة من الزاد وعسرة من الظهر وعسرة من الحر وعسرة من المسافر بما أصابهم من العسرة الواحدة جماعة
 يتماوبونهم حتى لا يبقى من العسرة إلا النواقل وكان معهم شئ من شعير مسوس فمكأن أحدهم إذا وضع اللقمة
 في فيه أخذ أنفه من ثمن اللقمة وكان العسرة من المسلمين يخرجون على غير يعتقونه بينهم وكانوا قد خرجوا
 في قبض شديد وأصابهم فيه عطش شديد حتى إن الرجل ليخثر بغيره فيعصر فرثه ويشربه أي لقد عفى الله
 عن النبي في ذلك للناطقين في التخلف عنه في غزوة تبوك وهو شئ صدر عنه من باب ترك الأفضل لأنه
 ذنب يوجب عقاباً وعفى الله على المهاجرين والانصار من الوسواس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة
 العسرة كما قال تعالى (من بعد ما كاد يزعق قلوب فريق منهم) أي من بعد ما قرب أن مات يسيل قلوب
 بعضهم إلى أن يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الغزو ولما لم ترد الميل عن الدين ورعا وقع في
 قلوب بعضهم أن لا يقدروا على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منها (ثم تاب عليهم) أي عفى الله عنهم
 ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوسواس النفسانية لما صبروا واندما على ذلك اللهم (انهم هم رؤوف

(رحيم) فلا يحملهم ما لا يطيقون من العبادة ويوصل اليهم المنافع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أي
 وتاب الله على الثلاثة الذين أخرجوا في قبول التوبة عن الطائفة الأولى ابن لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة
 كعب بن مالك الشاعر وهلال بن أمية الذي زلت فيه آية اللعان وهما رقيب الربيع (حتى إذا ضاقت
 عليهم الأرض بما رحبت) أي آخر أمرهم - م إلى أن ضاقت الأرض عليهم مع سعة تباب سبب مجازاة
 الأحياء ونظر الناس لهم بعين الإهانة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معرض عنهم ومنع المؤمنين من
 مكائهم وأمرهم باعتزال أزواجهم ويقو على هذه الحالة خمسين يوماً (وضاقت عليهم أنفسهم) أي
 ضاقت قلوبهم إذا رجعوا إلى أنفسهم لا يطمئنون بشيء بسبب تأخير أمرهم من قبول التوبة (وظنوا
 أن لا ملجأ من الله إلا إليه) أي علموا أنه لا ملجأ لأحد من مخطئة تعالى إلا إليه بالضرع (ثم تاب عليهم)
 أي غم وفهمهم للتوبة الصحيحة المقبولة (ليتوبوا) أي ليحصلوا التوبة (إن الله هو التواب الرحيم)
 وما زلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هجرته وهو عند رأم سلمة فقال الله أكبر قد أنزل
 الله عذراً لأصحابنا فلم يصلي الفجر ذلك لأصحابه وبشرهم بأن الله تاب عليهم فأنطلقوا إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وتلا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبتني إلى الله تعالى إن أخرج مالي صدقة فقال لا قلت
 فنصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في مخالفة أمر الرسول (وكونوا مع
 الصادقين) أي مع الرسول وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا جالسين مع المذاقة بين في البيوت وقرئ
 شافذة من الصادقين فعلى هذا منع بمعنى من أي كونوا ملازمين للصدق روى أن واحداً جاء إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم وقال إني رجل أريد أن أومن بك إلا أني أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس
 يقولون أنك تحرم هذه الأشياء ولا طاعة لي على تركها بأمرها فإن نعمت مني بترك واحد منها آمنت بك
 فقال صلى الله عليه وسلم أترك الكذب فقبل ذلك ثم أسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا
 عليه الخمر فقال إن شربت وسأني الرسول عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد إن صدقت أقام الحد علي
 فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجاءه ذلك الخاطرة فتركه وكذا في السرقة فتاب عن الكل فعاد إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعني عن الكذب انسدت أبواب المعاصي علي (ما كان
 لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) أي ما جاز لأهل دار الهجرة ومن حولهم من سكن البوادي
 (أن يتخلفوا عن رسول الله) إذا دعاهم وأمرهم لأنه تمنع من الإجابة والطاعة لرسول الله وكذلك
 غيره من الولاة والأئمة ذائبوا وعينوا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أي ليس لهم أن يكرهوا
 لأنفسهم ما يرضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه (ذلك) أي وجوب المشايعة لرسول الله
 (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أي شدة عطش (ولا نصب) أي تعب (ولا محصاة) أي مجاعة شديدة
 يظهر بها ضمور البطن (في سبيل الله) أي في طريق دينه (ولا يظنون) أي لا يدرون
 بأرجلهم وحوافر خيولهم وخفاف بعيرهم (موطأ) أي دوساً (يغيظ الكفار) أي يفضيهم بذلك
 (ولا ينالون من عدوئنا) أي شيأ من الأعداء أو قتلاً أو هزيمة (الاكتب لهم به) أي بكل واحد من
 الأمور الخمسة (عمل صالح) مستوجب للتواب ومن قصد طاعة الله كان جميع حركاته وسكناته
 حسنات مكتوبة عند الله (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي لا يترك ثوابهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة
 ولو ترة أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان في جيش العسرة (ولا يقطعون وادياً) أي ولا
 يجاوزون مسلكاً في سيرهم (الاكتب لهم) أي الاكتب الله لهم ذلك الانفاق والسير في الذهاب

والرجوع (ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أي ليجزئهم الله على أحد من أعمالهم وهو الواجب
والمتدوب دون المباح أو ليجزئهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وهو الثواب فالأحسن صفة عملهم على
المعنى الأول وصفه الجزاء على الثاني (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) أي ما استقام لهم أن ينفروا
جميعاً نحو غزو وطاب علم فإنه يحل بأمر الماعاش هذه الآية أما كلام لا تعلق له بالجهاد وأما من بقية أحكام
الجهاد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولا يذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)
فعلى الأول يقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب
وغير جائز وليس حال النفقة كحال الجهاد معه صلى الله عليه وسلم الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له
فهو لا نفر من كل فرقة من فرق الساكنين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين ويعودوا إلى
أوطانهم فينذروا قومهم لكي يحذرون عقاب الله تعالى بامتنال أمره واجتناب نهيه وعلى هذا التقدير
فكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتعلم لأنه يحدث كل وقت تكليف جديد أما في زماننا
فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً وعلى الاحتمال الثاني
يقال إن النبي لما بالغ في الكشف عن عيون المنافقين في تحلفهم عن غزوة تبوك قال المسلمون والله
لا نتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية بعثها فلما قدم الرسول المدينة من تبوك وأرسل
السرايا إلى الكفار نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو وتر **ص** والذي وحده في المدينة أنزلت هذه الآية فالنهي
لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا النبي بل يجب أن ينقسموا قسمين طائفة تنفر إلى الجهاد وقوم
الكفار وطائفة تكون مع رسول الله أن يعلم العلم والفقه في الدين لأن أحكام الشريعة كانت تتجدد شيئاً بعد
شيء ولما كثون يحفظون ما تجدد فإذا قدم الغزاة علموا ما تجدد في غيبتهم وهذا الطريق يتم أمر الدين
والمعنى فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين مع رسوا الله طائفة إلى جهاد العدو ليتفقه المقيمين في الدين
بسبب ملازمتهم خدمة الرسول وليخبروا قومهم بالخارجين إلى الجهاد إذا رجع الخارجون من جهادهم
إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم لكي يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم (يا أيها الذين
آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أي لما أمرهم الله بقتال المشركين كافة أرشدهم إلى الطريق
الاصوب الأصح وهو أن يبدأ بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وهذا الطريق
يحصل الغرض من قتال المشركين كافة فإن أمر الدعوة وقع على هذا الترتيب فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتل أول أومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير
وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزوات روم والشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم انقلبوا إلى العراق
(وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة عظيمة وشجاعة (واعلموا أن الله مع المتقين) أي معيهم بالنصرة على
أعدائهم والمراد أن يكون الأقدام على الجهاد بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه (وإذا ما أنزلت
سورة من سور القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين مجلس نزولها وليس في السورة فضيحة
لهم (فهم من يقول) أي من المنافقين فريق يقول لا صحابة استهزاء بالقرآن والمؤمنين (أيكم زادته
هذه) السورة (إيماناً) قال تعالى تعيننا لحالهم (فأما الذين آمنوا) بالله تعالى وبعما جاء من عنده (فزادتهم)
أي هذه السورة (إيماناً) بانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق لأنهم يقرءونها عند نزولها بانها حق
من عند الله (وهم يستبشرون) بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم
مرض) أي نفاق وسوء عقيدة (فزادتهم) أي هذه السورة (رجساً إلى رجسهم) عقيدة باطلة

مضمومة الى عقيدتهم الباطلة فانهم كانوا كاذبين بالسورة النازلة قبل ذلك والآن صاروا مكذبين بهذه
السورة الجديدة فقد انضم كفر الى كفر وانهم كانوا في العداوة والاستتباط وجوه المكر والآن ازدادت
تلك الاخلاق اللامعية بسبب نزول هذه السورة الجديدة (وما نزلواهم كافرين) وهذه الحالة اقبح من الحالة
الاولى فان الاولى ازدياد الرجاسة وهذه مداومة الكفر وموتهم عليه (اولا يرون) أي المنافقون
فلا استفهام للتوبيخ وقراءة حمزة بالتاء على الخطاب للمؤمنين فلا استفهام للتعجب أي ألا ينظرون ولا يرون
(أنهم يغترون في كل عام مرة أو مرتين) أي أنهم يبتلون بأفانين البليات مرارا كثيرة من المرض
والجوع ومن اظهار القضية على نفاقهم وعلى تخلفهم من الغزو (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولا هم
يذكرون) بتلك الفتنة الواجبة للتوبة وقوله تعالى ثم لا يتوبون وما بعده عطف على لا يرون داخل تحت
الانكار والتوبيخ على قراءة الجمهور وعطف على يغترون على قراءة حمزة (واذا ما أنزلت سورة) فيها بيان
حالهم وكانوا حاضرين مجلس نزولها (نظر بعضهم الى بعض) أي تغاضروا بالعيون يدبرون الهرب
ليخلصوا عن تأذي معاصيهم ولولون بطريق الإشارة (هل يراكم من أحد) من المسلمين ان قتم من
المجلس (ثم انصرفوا) جميعا عن مجلس نزول الوحي خوفا من الاقتضاح أو غير ذلك (صرف الله قلوبهم)
عن الايمان وعن استماع القرآن (بانهم قوم لا يفقهون) نسوة الفهم وعدم التدبر (لقد جاءكم)
أيها العرب (رسول) عظيم الشأن (من أنفسكم) أي من جنسكم بشر عربي قرشي مثلكم وقرى
بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم قبل هذه قراءة فاطمة وعائشة رضي الله عنهما (عزيز عليه ما عنتم)
أي شاق شديد على هذا الرسول ما أنتم فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) في
ايمانكم وصلاح حالكم فهو شديد الرغبة على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والآخرة (بالمؤمنين) أي
جميعهم (رؤوف رحيم) فهو تعالى شديد الرحمة بالطائعين منهم مرير الانعام على الذنبيين (فان قولوا)
أي فان أعرض هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان والتوبة واناصبوا للحرب (فقل حسبي الله)
أي يكفيني الله فهو تقى (لا اله الا هو) أي لا حافظ ولا ناصر الا هو (عليه توكلت) أي وثقت
(وهو رب العرش) أي السرير (العظيم) فان جعل صفة للرب فعنى العظمة هي وجوب الوجود
والتقدس عن الحمية والاجزاء وكمال العلم والقدرة والتمتع عن ان يغفل في الاوهام واتصل اليه الافهام وان
جعل صفة للعرش فعنى العظمة كبر الجرم واتساع الجوانب ووجود العرش أمر مشهور وال كفاً معوه
من اسلافهم أو من اليهود والنصارى

﴿سورة يونس مكية الاقوة تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
بالمفسدين فانهم امدنية لانها نزلت في اليهود مائة وتسع آيات وكلماتها ألف وثمانمائة
واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الى تلك آيات الكتاب الحكيم) أي تلك الآيات الحاصلة في سورة الز هي آيات
ذلك الكتاب المحكم الذي لا يمحوه الماء ولا يغيره كور الدهر (أكل الناس) أي لاهل مكة (عجبا
أن أرحمنا) أي أرحمنا (الرجل منهم) أي من أهل مكة (أن أئذ الناس) أي انه أي الشأن
قولنا أئذ الناس أي خوف جميع الناس كافة بالقرآن فان أهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد
رسولا الى خلقه الا يتيم أبي طالب (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) أي بان لهم منزلة

ربيعة عند ربهم (قال الكافرون) أي المتجهمون (ان هذا الساحرين) قرابين كثير وطامع
 وحزة والكسافي بصيغة اسم الفاعل أي ان الكافرين لما جاءهم رسول منهم فأنذرهم وبشرهم قالوا
 متجهمين ان هذا الذي يدعي انه رسول وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ظاهر والباقون لسحر
 بكسر السين وسكون الحاء أي ان هذا القرآن لكذب ظاهر ووصف الكفار القرآن بكونه سحرا يدل على
 عظم القرآن عندهم من حيث تعذر عليهم فيه المعارضة فأرادوا بهذا الكلام ان القرآن كلام من خرق
 حسن الظاهر ولكنه باطل في الحقيقة وهذا ذم له أو أرادوا به انه لكذب فصاحته وتعذر مثله جار مجرى
 السحر وهذا مدح له وانما لم يؤمنوا به عنادا (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام)
 أي مقدار ستة أيام معلومة (ثم استوى على العرش) وهو الجسم المحيط بسائر الاجسام والمعنى
 ثم تصرف الله في ملكه وليس معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارض لان تكوين
 العرش سابق على تخلق السموات والارضين يدل قوله تعالى وكان عرشه على الماء بل المراد انه تعالى
 لما خلق السموات والارض واستدارت الافلاك والكواكب وجعل بسبب دوراتها الفصول الاربعة
 في هذا الوقت قد حصل وجود هذه المخلوقات وهذا ملك الله تعالى وهذا انما حصل بعد تخلق السموات
 والارض فصح ادخال حرف يفيد التراخي على الاستواء على العرش والله اعلم بعباده (يدبر الامر) أي
 يقدر على الوجه الاكمل امر ملكوت السموات والارض (ما من شفيع الا من بعد اذنه) أي ان الله
 تعالى يتصرف في التدبير فان تدبيره تعالى للاشياء لا يكون بشفاعته شفيع ولا يستجري أحد ان يشفع اليه
 في شيء الا بعد اذنه تعالى ولا يدخل أحد في الوجود الا بعد ان قال تعالى له كن حتى كان (ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه) فان العبادة لا تصلح الا له وهو المستحق لجميع العبادات لاجل انه هو المنعم بجميع النعم
 (أفلا تذكرون) فالتفكر في مخلوقات الله تعالى واجب والاستدلال بها على عزته تعالى وعظمته وجلالته
 أعلى المراتب (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا) بالبعث فلا حكم الا حكمه ولا ناذرا لأمره (وعاد الله حقا)
 أي وعدهم الله بالرجوع اليه وعده اوحى ذلك الوعد حقا (انه يبدأ الخلق) ليأمرهم بالعبادة ثم
 يميتهم (ثم يعيده) من العدم بالبعث (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بعد لهم والمراد
 به هذا الايمان وهذا تنبيه على ان المصود بالذات من الابدال والاعادة هو الابدية وايصال ارحمة وأما
 عقاب الكفرة فكأنه داساقة اليهم بسوء اعتقادهم وسوء أفعالهم (والذين كفروا لهم شراب من حميم)
 أي ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) أي بالغ في الابلام (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم
 (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) أي الذي خلق الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور فبالذات
 ضوءه وبما بالعرض نور ففوق القمري مستفاد من الشمس (وقدره منازل) أي جعل للقمر وهيئته منازل
 وهي ثمانية وعشرون منزلا واسماؤها الشيطان والبطين والثريا والذبران والهقعة والهنعة والذراع
 والنثرة والطرف والجهة والذبرة والصرفة والعوام والسهاك والغفر والزبان والاكيل والقلب والنولة
 والنعام والمدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر
 وبطن الحوت فينزل القمر كل ليلة في واحد منها على تقدير مستور من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين
 فاذا كان في آخر منازل له دق واستقر ثم لا يرى ايامتين أو ليلة اذ انقصر الشهر ويكون مقام الشمس في
 كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما (لتعلموا) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل (عدد السنين والحساب)
 أي حساب الاوقات فيمكنكم ترتيب مهمات المعاش من الزراعة والحراثة ومهمات الشتاء والصيف

(ما خلق الله ذلك) أي المذكور من الشمس والقمر على ثلاث الاحوال (الابالحق) أي الاعلى وفق
الحكمة ومطابقة المصلحة في أمور المعاملات والعبادات (يفصل الآيات) أي يذكر هذه الدلائل
الباهرة واحدا عقب آخر مع البيان (لقوم يعلمون) الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون
مبدعها من الوحدة اية دكمال القدرة والعلم وفي قوله تعالى يفصل قراءتان قراءتين كثير وأبو عمرو وحفص
عن عاصم بالياء والباقون بالنون (ان في اختلاف الليل والنهار) أي في تعاقبهما أو في تفاوتهما بزيادة
وانتقاص أو في تفاوتهما بحسب الامكنة في الطول والقصر (وما خلق الله في السموات والارض) من
أنواع الموجودات (لآيات) دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (اقوم يتقون)
وخص الله تعالى العلامات بالمتقين لان الداعي الى التدبير والنظر انما هو تقوى الله تعالى والخشوع من
العاقبة (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يطمعون في ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (ورضوا
بالحياة الدنيا) أي استغفروا في طلب الذات الجسمانية (واطمأننوا بها) أي سكنوا في الاشتغال
بطلب لذات الدنيا (والذين هم عن آياتنا) أي دلائل وحدانيتنا الظاهرة في الاكوان (خافلون) أي
لا يتفكرون فيها أصلا (أولئك) أي الموصوفون بتلك الصفات (ما أراهم التراب كما كانوا يكسبون)
أي من الاهمال القلبية ومن أنواع المعاصي والسيئات (ان الذين آمنوا) أي شغلوا قلوبهم وأرواحهم
بتحصيل المعرفة (وعملوا الصالحات) أي شغلوا جوارحهم بالخدمة فعينهم مشغولة بالاعتبار وأذنه
مشغولة بسماع كلام الله تعالى ولسانهم مشغول بذكر الله وجوارحهم مشغولة بنور طاعة الله (يهدى
ربهم بإيمانهم) أي يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على إيمانهم وأعمالهم الصالحة (تجزي من تحتهم
الانهار في جنات النعيم) أي انهم يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من
بين أيديهم (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي اشتغال أهل الجنة بتقديس الله تعالى وتعبده والثناء
عليه لاجل ان سعادتهم في هذا الذكر (وتحيتهم فيها سلام) أي تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام
وتحية الملائكة لهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أي ان أهل الجنة لما عاينوا ما هم
فيه من السلامة عن الآفات والخفافات علموا أن كل هذه الاحوال السنية انما كانت باحسان الله تعالى
عليهم فاشتغلوا بالثناء على الله فقالوا الحمد لله رب العالمين وانما وقع الختم على الجدل ان الاشتغال بشكر
النعمه متأخر عن رؤية تلك النعمه والمعنى أنهم اذا دخلوا الجنة رآها بنوع اعظم الله وجوده وفيها انعم
العظيمة وعرفوا أنه تعالى كل صادق في وعده اياهم بتلك النعم بمجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال فقالوا
سبحانك اللهم أي نسجد عن الخلق في الوعد دوال كذب في القول وبما لا يليق بحضرتك العلية ولما
حياهم الله والملائكة بالسلامة عن الآفات وبالعز بأنواع الكرامات أنوعا عليه تعالى بصفاته الاكرام
(ولو يجعل الله للناس الشرا يستجدهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) أي ولو يجعل الله لهم العذاب عند
استجدهم به تهيلا مثل تهييلهم كشف الشدايد عند استجدهم به لامتوا وأهلكوا بالمره وما أمهلوا
طرفة عين وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف والضاد وأجلهم بالنصب وقرأ عبد الله لقضينا اليهم أجلهم
(فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) أي فنذر الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء مع محمد
في ضلالتهم يضيرون في شأنهم (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه
ضره من كان لم يدعنا الى ضره) وهذه الآية بيان ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل
الشكر عند وجدان النعمه فاذا مسه الضر أقبل على التضرع والدعاء مضطجعا أو قاعدا أو قائما مجتهدا

في ذلك الدعاء طالباً من الله تعالى إزالة تلك المحنة وتبديلها بالجنة فإذا كشف الله تعالى عنه بالعافية
أعرض عن الشكر ولم يتذكر ذلك الضرر ولم يعرف قدر الأنعام وصار بمنزلة من لم يدع الله تعالى للكشف
ضره فالواجب على العاقل أن يكون صابراً عند قول البلاء شاكراً عند الفوز بالنعمة وأن يكون كثير
الدعاء والنصر في أوقات الراحة والرفاهية حتى يكون مجاب الدعوة في وقت المحنة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال من مره أنه يستجاب له عند الكرب والسداد فليكثر الدعاء عند الرخاء (كذلك
زين للسرفين ما كانوا يعملون) أي هكذا زين لمن بذل العقل والنهم والحواس لاجل لذات الدنيا وهي
خسيسة جداً في مقابلة سعادات الدار الآخرة ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكروا الدعاء والانتباه
في الشهوات والكاف مقحمة للدلالة على زيادة الخفامة المشار إليه (ولقد أهلكا القرون) أي الأمم (من
قبلكم) أي من قبل زمانكم يا أهل مكة مثل قوم نوح وطاد وأشباههم (الماتظلموا) أي حين فعلوا
الظلم بالكذب (وجاءتهم رسالتهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على صدقهم (وما كانوا يؤمنوا)
أي وقد علم الله منهم أنهم يصرون على الكفر (كذلك) أي مثل ذلك الأهلاك الشديد الذي هو
الاستئصال بالمرءة (نجزي القوم المجرمين) أي نجزي كل طائفة مجرمين لا شراكم لا وثلك المهلكين في
الجرائم التي هي تكذيب الرسول (ثم جعلناكم) يا أهل مكة (خلائف في الأرض من بعدهم) أي
من بعدهم أهلك أولئك القرون (لننظر كيف تعملون) أي لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما
يكون منكم من خير أو شر فنجازيكم على حسب عملكم (وإذا تنقل عليهم) أي أهل مكة الوليد بن
المخزومي والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب والأسود بن عبيد يغوث والحارث بن الحنظلة
(آياتنا) الدالة على بطلان الشرك (بينات) أي ظاهرة في دلائلها على وحدانيته ونبوة محمد صلى
الله عليه وسلم (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يرجون في لقاءنا أخيراً على طاعة لأنهم لا يؤمنون
بالبعث بعد الموت (أنت بقرآن غير هذا) أي بكتاب آخر على غير ترتيب هذا الكتاب (أوبده) بأن
تجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالاً ومكان الدم مدحاً وأما قالوا ذلك على سبيل السخرية
كقولهم لو جئتنا بقرآن آخر أو بدلت هذا القرآن لآمنناك أو على سبيل التجربة حتى أنه صلى الله عليه
وسلم لو فعل ذلك علموا أنه كذاب في قوله أن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله (قل) لهم (ما يكون لي
أن أبده من تلقاء نفسي) أي ما يستقيم لي أن أغيره من قبل نفسي (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي
ما أتبع في شيء مما أفعل وأترك إلا ما يوحى إلي في القرآن من غير تغيير له في شيء أصلاً (إني أخاف إن
عصيت ربّي) بالأعراض عن اتباع الوحي (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به) أي قل يا أشرف الخلق للذين طلبوا منك تغيير القرآن لو شاء الله عدم تلاوتي
لقرآن عليكم بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته ما تلوته عليكم بما أعلمكم به بواسطة وقرأ الحسن ولا
أدرككم به أي ولا أجعلكم بتلاوته عليكم خصماً قدروني بالجدال وتكذبوني وقرأ ابن عباس ولا
أفترسكم به وعن ابن كثير ولا أدراكم بلام التأكيدي التي تقع في جواب لو أي ولا أعلمكم به على لسان
غيري فانه حق لا محيص عنه ولو لم يرسلني الله به لارسل غيري به (فقد لبثت فيكم عمراً) أي فقد مكثت
فيما بينكم مقدار أربعين سنة تحفظون أحوالي طراً (من قبله) أي قبل أن يوحى إلي هذا القرآن لم
أتكم بشيء (أفلا تعقلون) أي ألا تدبرون فلا تعقلون أن القرآن ليس من تلقاء نفسي ووجه هذا
الاحتجاج أن أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره إلى ذلك الوقت

وعلموا أحواله وأنه كان أميالم بطالع كتابا ولم يتلذذوا به بعد أربعين سنة جاءهم به ذا الكتاب
المستعمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب والفصاحة ما تعجز العلماء
والفصحاء عن معارضته وكل من له عقل سليم يعلم أن هذا القرآن لا يحصل إلا بالوحى من الله تعالى (فن
أظلم من أفتري على الله كذبا أو كذب بآياته) أى إنى لم أفتري على الله كذبا لم أكذب عليه فى قولى أن
هذا القرآن من عند الله ولولم يكن من عند الله بحيث أفتريته على الله لما كان فى الدنيا أحد أظلم على نفسه
منى فإذا أنكرتم ذلك فقد كذبتم بآيات الله فثبت كونكم أظلم الناس على أنفسكم (أنه لا يطلع المجرمون)
أى لا يخرجون من عذاب الله المشركون (ويعبدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله ما لا ينصرهم)
فى الدنيا والآخرة (ولا ينفعهم) فيهما هو الأصنام كان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل مكة
يعبدون عزي ومناة وهبل وأسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) الأوثان (شفعوا عند الله) أى قائمهم
يرحمون أنهم يشفع لهم فى الدنيا فى إصلاح معيشتهم لأنهم كانوا لا يعتقدون بعنا بعد الموت أو تشفع لهم فى
الآخرة أن يبعثوا لأنهم كانوا أشاكين فى البعث (قل) تبكيتم لهم (أنتم الذين لا تعلمون فى السموات
ولا فى الأرض) أى أنتم الذين لا تعلمون الله بالذى لم يعلمه الله وهو شفاعة الأصنام وأدالم يعلم الله شئ الاستحالة وجود
ذلك الشئ لأنه تعالى لا يعزب عن علمه شئ (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى عن شرككم -م الذين
يعتقدونهم شفعا لهم عند الله وقرأ حمزة والكسافى تشركون بالتاء على الخطاب (وما كان الناس إلا
أمة واحدة) أى كانوا على دين الإسلام من لدن آدم إلى أن قتل قابيل هابيل (فاختلفوا) بأن كفر
بعضهم وثبت آخرون على دين الإسلام (ولولا كلمتي سبقت من ربك) أى لو لا أنه تعالى أخبر بأنه يبقى
التكليف على عباده وإن كانوا كافرين (أعصى بينهم) بتحميل الحساب والعقاب لكفرهم لما كان ذلك
سيماز والتمكليف ولكن ابتاعوه أصح أخر الله العقاب إلى الآخرة (فما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى
اختلفوا بسببه (ويقولون) أى كفار مكة (لولا أنزل عليه) أى هلا أنزل على محمد عليه السلام (آية) أخرى
سوى القرآن (من ربه) دالة على صدق ما يقول كما كان أصالح من الناقصة وأومئى من العصا (فقل) لهم
فى الجواب (أعما الغيب لله) أى إن ما أفتريتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلمتم إيمانكم بنزوله هو من
الغيب المختصة بالله تعالى لا علم لى عليه (فانتظروا) نزوله (أنى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم
لاجترائكم على جهود الآيات القرآنية واقتراح غير عا (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم
إذا لهم مكر فى آياتنا) أى إن مشركى أهل مكة عادتهم اللجاج والعناد لأنه تعالى سلط عليهم القحط سبع
سنين حتى كادوا يهلكون فأنزل الله الأمطار النافعة على أرضهم حتى أخصبت البلاد وعامر الناس
بعد ذلك ثم أضافوا ذلك المنافع الجليلة إلى الأنواء والكواكب والأصنام وإذا كان كذلك فبتقدير أن
يعطوا ما سألوا من أنزال ما أفتريتموه فأنهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم (قل الله أسرع مكررا) أى
أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالكفر فأنه تعالى قابل مكرهم بمكرهم فأنهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم
بدر وحصول الفضيحة والحزى فى الدنيا وعذاب شديد يوم القيامة ومعنى الوصف بالامرعية أنه تعالى
قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر من الله تعالى أما الاستدراج أو الجزاء على المكر أى إخفاء
الكيد (أن رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم (يكتمون ما تكفرون) أى مكرهم ويعرض عليكم ما فى
بواطنكم الخبيث يوم القيامة (هو الذى يسيركم فى البر) مشاة وركبانا (والبحر) وقرابن عامر
يشركم بنون ساكنة فشين محجمة مضومة أى ييسطكم (حتى إذا كنتم فى الفلك) أى السفن

(وحرين) أى السفن (بهم) أى بالذين فيها (بريح طيبة) موافقة للقصد (وفرحوها) أى
بتلك الريح فرحاً لما (جاءتها) أى تلت تلك الريح الطيبة (ريح عاصف) أى شديد أزعجت
سفينتهم (وجاءهم الموج) العظيم الذى أرحف قلوبهم (من كل مكان) أى ناحية (وظنوا أنهم
أحيط بهم) أى ظنوا القرب من الهلاك (دعوا الله مخاضين له الذين) أى من غير أن يشركوا معه
تعالى شيئاً من آلهتهم أى وهم مقرون بواحدية الله وربوبية له لاجل عالمهم بأنه لا ينجيهم من ذلك إلا الله
تعالى فيكون إيمانهم جاريًا بحرى الإيمان الاضطرابى قائلين والله (لئن أنجيتمنا من هذه) الشدائد
(لنكونن من الشاكرين) لنعمه (فلما أنجاهم) من هذه البلية العظيمة (إذا هم يبعثون فى
الأرض بغير الحق) أى يترقون فى الفساد والجراعة على الله تعالى بالكفر والمعاصي (يا أيها الناس
انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) قرأ الاكثرون متاع بالرفع فبغيتكم مبتدأ ومتاع خبره أو على
أنفسكم خبره ومتاع خبر مبتدأ محذوف أى ان ظلم بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا وهى مدة
حياتكم لا بقاء لها وأن الظلم لبعضكم كائن عليكم فى الحقيقة لا على الذين تظلمون عليهم وهو منفعة
مردعة الزوال وقرأه من عن عاصم بنصب متاع على أنه مصدر مؤن كدفعه مقدراً أى تمتعون بمتاع
أو مصدر وقع موقع الحال أى تمتعون بالحياة الدنيا (ثم اليانمرجعكم) بعد الموت (فنبشركم بما كنتم
تعملون) فى الدنيا من البغى أى قصد الاستعلاء بالظلم فتجازيكم على أعمالكم (انما مثل الحياة الدنيا
كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أى لأنه إذا نزل المطر ينبت بسببه أنواع كثيرة من
النبات وتكون تلك الأنواع مختلطة (عما يأتى كل الناس والانعام) من البقول والزرع والحشيش
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أى حتى إذا جعلت الأرض آخذة للباسها من كل نبات (وازينت)
بجميع الألوان الممكنة فى الزينة من حمرة وخضرة وصفرة وذهبية وبياض (وظن أهلها) أى أهل
النبات الموجود فى الأرض (أنهم قادرون عليها) أى على تحصيل ثماره وعلى حصاده (أناها) أى
نبات الأرض (أمرنا) بهلاكها بأمر أو برد أو ريح (ليلاؤها والجعلناها) أى نبات الأرض
(حصيداً) أى شبيهاً بالمقاروع فلا تبقى على الأرض (كان لم تغن بالأمس) أى كان تلك النباتات
لم تكن قائمة على ظهر الأرض فى الزمن الماضى والمعنى ان هذه الحياة الدنيا التى ينتفع بها المرء مثل
النبات الذى لما عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع اليأس منه بالهلاك واتممت بالدنيا إذا نزل منها بغيتها أما
الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل (نفضل الآيات)
أى نبين آيات القرآنية فى فناء الدنيا (لعمري تفكرون) ويقفون على معانيها (والله يدعوا إلى دار
السلام) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مثلى ومثلكم شبه سيد بنى داراً ووضع مائدة وأرسل
داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل
ولم يرض عنه السيد قاله السيد والداردين الاسلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم تطلع فيه الشمس الا ويحببهم املكان يناديان بحبب سمع
كل الحلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم والله يدعوا إلى دار السلام (ويهدى من يشاء إلى
صراط مستقيم) أى إلى اجابة تلك الدعوة (الذين أحسنوا) أى أتوا بالمأثور به واجتنبوا المنهيات
(الحسنى وزيادة) أى نظرة الوجوه ورؤية الله تعالى وعن ابن عباس أبا الحسنى هى الحسننة
والزيادة عشر أمثالها وعن على الزيادة غرقه من أوأوة واحدة (ولا يرهق) أى لا يعبو (وجوههم)

(قتر) أى سواد (ولادة) أى أثرهوان (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أى دائمون بلا
 انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الكفر والمعاصي (جزاء سيئة يعطونها) من غير زيادة يعدل
 الله تعالى (وترهقهم ذلة) أى ويعزلون أنفسهم ذلة عظيمة (مالهم من الله من عاصم) أى مالهم عاصم
 من عذاب الله (كأنما أغشيت وجوههم قطعان الليل مظلمة) أى كأن الوجوه ألبست سوادا من
 الليل لفرط سوادها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشهم جميعا) أى نحشر الكل حال
 اجتماعهم لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة (ثم تقول للذين أشركوا) أى ثم تقول للمشركين من
 بينهم (مكانكم أنتم وشركاؤكم) أى الزموا أنتم ومن عبدتموه من دون الله مكانكم حتى تستلوا وتنظروا
 ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أى فباعدا بين المشركين ومعبوداتهم بعد الجمع في الموقف وتبرء شركاؤهم
 منهم ومن عبادتهم (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم إيانا تعبدون) بأمرنا وأرادتسا انما
 كنتم تعبدون أهواءكم وشياطينكم الذين أغوواكم فأنها الآمرة لكم بالأشراك (فكفى بالله شهيدا
 بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين) أى أنا كنا عن عبادتكم لجاهلين لا نعلمها ولا نرضى بها
 (هنالك) أى في ذلك المقام أوفى ذلك الوقت (تباوكل نفس ما أسلفت) بالنار فالساة صلى القراءة
 المشهورة أى تدور كل نفس سعيدة أو شقية ما قدمت من عمل فتعلم نفعه وضروعه وقرآن حمزة والكسائي
 تتلو بتأئين أى تقرأ كل نفس في صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر أو تبسح ما أسلفت لأن عملها هو
 الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار وقرأ عاصم نبسح ما أسلفت لأن عملها هو
 المختبر كل نفس بسبب اختبار ما أسلفت من العمل أى بفعل ما فعل المختبر أو المعنى نصيب بالبلاء الذي هو
 العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر (وردوا الله مولاهم الحق) أى أعرض الذين
 أشركوا عن المولى الباطل ورجعوا إلى المولى الحق وأقروا بالوهميته بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غيره
 ورددوا إلى حكمه (وضل عنهم) أى ضاع عنهم في الموقف (ما كانوا يفترون) أى يدعون أن معبوداتهم
 آلهة وانها تنفع لهم (قل) لأولئك المشركين (من يرزقكم من السماء والأرض) أى رزقا مبتدأ
 منهما (أمن يملك السمع والأبصار) أى بل من يستطيع خلق السمع والأبصار ومن يحفظ ظهما من
 الآفات وعن على رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشعهم وأسمع بعظمهم وأنطق بلهم (ومن
 يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) أى ومن يقدر أن يخرج الإنسان من النطفة والطارئ
 من البيضة وأن يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الطائر (ومن يدبر الأمر) أى من يدبر أحوال
 العالم جميعا (فسيقولون الله) أى إن الرسول إذا سأله عن مدبر هذه الأحوال كانوا يعرفون الله وهم
 الذين قالوا في عبادتهم الأصنام أنها تقر بنا إلى الله وأنها تنفع عند الله وكانوا يعملون أنها لا تنفع ولا تضر
 فعند ذلك قال الله تعالى لرسوله (قل) عند ذلك تبكي تباليهم (أفلا تتقون) أى تعملون ذلك فلا تتقون أن
 تصعوا هذه الأوثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من
 رحمة الله وبأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر البتة (فذلكم الله) أى فن هذه قدرته ورحمته هو الله (ربكم
 الحق) أى الثابت بربوبيته نبات لا ريب فيه (فخاد بعد الحق الضلال) أى ليس غير الحق الضلال
 أى فإذا ثبت أن عبادة الله حق ثبت أن عبادة غيره من الأصنام ضلال محض أضلالا واسطة بينهما (فأنى
 تعرفون) أى فكيف تعلمون من التوحيد إلى الأشراك وعبادة الأصنام (كذلك) أى مثل صرفهم عن
 الحق بعد الإقرار به (حقك كلمة ربك) أى حكمه (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن حد الصلاح (أنهم

لا يؤمنون) بدل من كلمة بدل كل من كل (قل هل من شركائكم) أي هل من الأصنام التي أنتم
 شركتها في استحقاق العبادة (من يبدؤ الخلق) أي ينشئ المخلوقات من العدم (ثم يعيده) في القيامة
 الجزاء ولما لا يقدر واعى الجواب أمر الله رسوله أن ينوب عنهم في الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم
 يعيده فأني توفىكون) أي فكيف تغفلون من الحق إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي إلى
 الحق) أي إلى ما فيه صلاح أمركم فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعباده إلى ذلك (قل الله
 يهدي للفق) دون غيره وذلك بنصب الأدلة وارسال الرسل وإزالة الكتب والتوفيق للنظر (أفمن
 يهدي إلى الحق) وهو الله تعالى (أحق أن يتبع) أي حقيق أن يطاع ويعبد (أمن لا يهدي إلا أن يهدي)
 أي أم من لا ينتقل إلى مكان إلا أن ينتقل إليه لأن الأصنام خالية عن الحياة والقدرة والمعنى أمن لا
 يهدي في حال من الأحوال إلا في حال هداية تعالى له وهذا حال أشرف شركائهم من الملائكة والمسلمين
 وعزير عليهم السلام وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع أم من لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد
 الدال وقرأ عاصم وحفص بفتح الياء وكسر الهمزة وتشديد الدال بقرأ حماد وبيحيى بن آدم عن أبي بكر عن
 عاصم بكسر الياء والهمزة وقرأ حمزة والكسائي يهدي ساكنة الهمزة (فإلحكم) أي أي شيء ثبت لكم في
 اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى فإنهم عاجزون عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم (كيف
 تحكمون) أي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله شركاء (وما يتبع أكثرهم إلا ضل) أي ما يتبع
 أكثرهم في معتقداتهم الا ضلالا واهيا أما بعضهم فقد يتبعون العلم فيقفون على بطلان الشرك لكن
 لا يقبلون العلم عند أدنى دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير
 جائز (إن الظن لا يغني من الحق) أي عن العلم (شيئا) من الاغناء في العقائد (إن الله عليم بما يفعلون)
 من الاتباع للظنون الفاسدة والاعراض عن البراهين القاطعة (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون
 الله) أي وما صح أن يكون هذا القرآن المشحون بغفون الجميع الناطقة ببطلان الشرك وحفية التوحيد
 مفترى من الخلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان القرآن تصديق الذي قبله من
 الكتب الإلهية المتصلة على الأنبياء قبله (وتفصيل الكتاب) أي وتفصيل جميع العلوم العقلية والنقلية
 الذي يتمتع حصوله في سائر الكتب (لأرب فيه) أي منتفيا عنه الريب (من رب العالمين) أي كانوا
 من رب العالمين (أم يقولون افتراء) أي أيقرون بالقرآن بل يقول كفار مكة اخلق محمد صلى الله عليه
 وسلم القرآن من تلقاء نفسه (قل) لهم اظهروا البطلان مقابلتهم الفاسدة (فأتوا بسورة مثله) أي إن
 كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثل القرآن في الفصاحة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء
 فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمنا مني في النظم والعبارة (وادعوا) للعاونة (من استطعتم)
 دعاء (من دون الله) أي من سائر خلق الله (إن كنتم صادقين) في أني افترسته (بل كذبوا بما لم
 يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله) أي بل كذبوا بما لم يدرك علمهم به مسرعين في ذلك من غير أن يتدبروا فيه
 ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائعة المنبئة عن علو شأنه (كذلك) أي مثل ذلك التكذيب من غير تدبر
 (كذب الذين من قبلهم) ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم (فانتظر) يا أشرف
 الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) فإنهم طلبوا الدنيا وتركوا الآخرة فلما ماتوا فاتهم الدنيا والآخرة
 فبقوا في الحسار العظيم (ومنهم) أي ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) أي القرآن عند الاحاطة
 بعلمه أي أما يعتقد حقيقة القرآن فقط بأن يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند ما سمي مؤمن به

ويتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) أي بأن لا يصدق به في نفسه لفرط غباوته أو إسخافته عقله
 ويجزئه عن تخليص علومه عن مخالطة الظنون أو بان عوت على كفره وهم المستمرون على اتباع الظن من
 غير انقياد للحق (وربك أعلم بالمفسدين) أي بالمصرين على الكفر من المعاندين والشاكين (وان
 كذبوك) أي أصر وأعلى تكذيبك بعد الزام الحجة بالتحدى (فقل) لهم (إلى عيسى) من الأيمان
 وجزاءه (ولكم عذابكم) من الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأبائني عما تعملون) أي
 لا تأخذون بعقلي ولا تأخذ بعلمكم (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون إليك) عند
 قراءة القرآن وتعليق الشرائع (أفأنت تسمع الصم) أي أنت تقدر على سماع الصم (ولو كانوا
 لا يفعلون) أي ولو انضم إلى صمهم عدم عقولهم (ومنهم من ينظر إليك) أي من يعين دلائل صدقك
 (أفأنت تهدي العمى) أي أعقب ذلك أنت تهديهم (ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يستطيعون
 بقلوبهم ولا يعتبرون (إن الله لا يظلم الناس شيئا) أي بسلب حواسهم وعقولهم (وإنك للناس
 أنفهم يظلمون) يفسد الحواس والعقول وتفوت منافعها عليهم فإن العمل منسوب إليهم بسبب
 الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم وتقدير الشقاوة عليهم لا يكون ظامنا منتهى لانه يتصرف
 في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظامنا (ويوم يحشرهم
 كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) أي وأنذر المشركين المتكبرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين
 من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في عيها إلا مقدار ساعة من النهار فإن عاقبة الكافر خالصة دائماً مقررة
 بالأهانة ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك اللذات
 مغلوطة بالمؤلمات والآفات وكانت لم تحصل إلا في بعض الاوقات أما الآخرة فهي مرسدة لا تنقطع
 البتة ونسبة عمر جميع الدنيا إلى الآخرة الأبدية أقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة إلى ألف ألف عالم مثل
 العالم الموجود في قلوب الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة والآفات الحاصلة للكافر وجدت أقل
 من اللذة بالنسبة إلى جميع العالم (يتعارفون بينهم) أي يوضح بعضهم بعضاً فيقول كل فريق للآخر
 أنت أضللتني يوم كذا وزينت لي الفعل الغلاب من القبائح (قد خسر الذين كذبوا بآيات الله وما كانوا
 مهتدين) أي قد هلكوا بابتكذبهم بالبعث بعد الموت وضلوا وما كانوا عارفين لطريق النجاة وهذه شهادة
 من الله تعالى على خسرتهم (وأما زينك بعض الذي نعدهم أو تنويفك فالينا مرجعهم) أي وإن
 أريناك بعض العذاب الذي نعدهم به إن نهض لهم في حياتك في الدنيا فتراهم وإن توفيناك قبل نزول
 العذاب بهم فأنك ستراهم في الآخرة لأن العذاب لا يفوتهم بل تنزههم في الآخرة (ثم الله شهيد على
 ما يفعلون) أي ثم الله معاقب على ما تفعلون وقرئ ثمة أي هناك (واسأل أمة) من الأمم الماضية
 (رسول) يبعث إليهم بشريعة خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم إلى الحق (فإذا جاء رسوله) فبلغهم
 ما أرسل إليهم فكذب به بعضهم وصدقه بعضهم (قضى بينهم بالقسط) أي بالعدل أي فصل بينهم وحكم
 بهلاك المكذبين ونجاة الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) في ذلك القضاء بتعذيبهم لانه يجرمهم
 (ويقولون) أي قال كل أهل دين لرسولهم على وجه التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم
 من نزول العذاب للأعداء (متى هذا الوعد) الذي تعدنا بنزول العذاب (إن كنتم صادقين) في أنه
 يأتينا (قل) يا أشرف الخلق لقوم الذين استجبوا نزول العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار
 (لا أملك نفسي ضرا ولا نفعا) أي لا أقدر على دفع ضر ولا جلب نفع لنفسي (الامشاه الله) أي

ولكن ما شاء الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) أي وقت معين خاص بهم (إذا جاء أجلهم) أي وقت هلاكهم (فلا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي شيئاً قليلاً من الزمان (ولا يستقدمون) عليه (قل أرايتم أن أنا كم عذابه بيانا أو نهاراً ماذا يستجبل منه المجرمون) أي قل للذين يستجبلون العذاب أخبروني عن عذاب الله أن أنا كم وقت اشتغالكم بالنوم أو عند اشتغالكم بمشاغلكم أي شيء تستجبلون من عذاب الله وليس شيء من العذاب يستجبله ما قل إذا العذاب كله من المذاق موجب لنفاز الطبع منه (أنتم إذا ما وقع آمنتم به) أي أن بعد ما وقع العذاب بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان (الآن) تؤمنون بالعذاب (وقد كنتم به) أي بالعذاب (تستجبلون) أي تكذبون فإن استجبلهم كان على جهة التكذيب والانكار (ثم قيل) يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب (الذين ظلموا) أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الإيمان والتصديق (ذوقوا عذاب الخلد) أي عذاب المولم على الدوام (هل تجزون) في الآخرة (الأيما كنتم تكذبون) في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي وهذا استثناء مفرغ والجار والمجرور مفعول ثانٍ لتجزون والاول قائم مقام الفاعل (تنبيه) أي ما ذكر الله تعالى العذاب ذكر هذه العلة كأن سائلاً يقول يا رب العزة أنت الغني عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا التشديد فهو تعالى يقول ما أنا ما عاملته بهذه المعاملة ابتداء بل هذا وصل اليه جزاء على عمله الباطل (ويستنبئونك) أي يستخبرونك يا أشرف الخلق والقائل حينئذ يحطب لما قدم مكة بطريق الاستهزاء والانكار (أحق هو) أي ما تعدنا من نزول العذاب علينا في الدنيا وما تعدنا من البعث والقيامة (قل) لهم في الجواب هذه الأمور الثلاثة غير ملتفت إلى استهزائهم (أي وربي) فأى من حروف الجواب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة (أنه) أي العذاب الموعود (الحق) أي الثابت (وما أنتم بهجزي) من وعدكم بالعذاب أن ينزل عليكم (ولو أن لكل نفس ظلمت) وهو لاحق بكم بالشرك أو غيره من أنواع الظلم ولو مرة (ما في الأرض) أي ما في الدنيا من الأموال (لا قدت به) أي لغادت بما في الدنيا نفسها من عذاب الله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي أخفوا الندامة على ترك الإيمان حين عابوا العذاب فلم يقدروا على أن ينطقوا بشئ لشدة الأهوال وقطاعة الحال (وقضى بينهم) أي بين الظالمين بالشرك وغيره (بالقسط) أي بالعدل (وهم) أي الظالمون (يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب (ألا أنتم ما في السموات والأرض) أي ما وجد فيهما (ألا أن وعد الله حق) أي أن جميع ما وعد الله به ثابت لا بد أن يقع ووعدته تعالى مطابق للواقع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي غافلون عن هذه الدلائل (هو يحيى ويميت) في الدنيا (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أي قد جاءكم كتاب فيه بيان ما ينفع المكلف وما يضره ودواء للقلوب وهدى إلى الحق ورحمة للمؤمنين بانجائهم من الضلال إلى نور الإيمان وتخلصهم من دركات النيران إلى درجات الجنان والحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير الظاهر مما لا ينبغي وهو الشريرة والشفاء إشارة إلى تطهير الباطن عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقيين وهو الحقيقة والرحمة إشارة إلى بلوغ الكمال (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أي فليفرحوا بتلك النعم لا من حيث هي بل من حيث أنها بفضل الله وبرحمته قال الصديقون من فرح بنعمة الله من حيث أنها تلك النعمة فهو مشركاً ما من فرح بنعمة الله من حيث أنها من الله كان فرحه بالله وذلك غاية الكمال ونهاية السعادة

وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله (هو) أي المذكور من فضل
الله ورحمته (خير مما يجمعون) من الدنيا لان الآخرة أبقى وقرأ ابن طاهر بالتاء على الخطاب واما
فليفرحوا فبالياء التخيية عند السبعة ولا يقرؤه بالتاء الفوقية الا يعقوب من العشرة كما هو مروي عن
زيد بن ثابت والمعنى فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار (قل أرايتم) أي أخبروني
(ما أنزل الله لكم من رزق) أي الذي خلقه الله لكم من حرث وانعام (لجعلتم منه حراما وحلالا) أي
لحكمتم بأن بعض الرزق حرام وبعضه حلال مع كون كله حلالا (قل الله أذن لكم) فقل تأسيده
الامر بالاستخيار أي أخبروني الله أمركم بذلك الحكم فأنتم عمة مثلون بأمره تعالى (أم على الله
تفترون) أي أم لم يأن لكم في ذلك بل على الله تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على
على الله الكذب يوم القيامة) أي أي شيء تظنهم يوم عرض الأفعال والأقوال أحسبون انهم لا يستأثرون
عن افتراءهم أولا يجازون عليه ولا جل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم في أشد العذاب لان معصيتهم أشد
الماهي (ان الله لذو فضل على الناس) باعطاء العقل والرسالة وازال الكذب واهمالهم على
سوء أفعالهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعم فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل
الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبياء الله تعالى ولا ينتفعون باستماع ~~كتب~~ الله (وما تكونون)
يا أشرف الخلق (في شأن) أي أمر من أمور الدنيا (وما تتسلون منه) أي الشأن (منه) رآن
ولا تعملون من عمل) أي أي عمل كن (الا كنا عليكم شهودا ذنبيسون) أي تشرعون (فيه)
أي في ذلك المذكور (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) أي ولا يغيب عن
علم ربك ما يساوي في الثقل غملة صغيرة أو هباء في دائرة الوجود وقرأ الكسائي بكسر الزاي (ولا أصغر
من ذلك) أي الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبين) أي في لوح محفوظ وقرأ حمزة برفع على الابتداء
والخبر والباقيون بالنصب على ان لا نافية للجنس وما بعدها اسمها وخبرها (الا ان أولياء الله لا خوف
عليهم) في الدارين من الحق مكرره (ولا لهم يحزنون) من قنات مطلوب (الذين آمنوا) بكل ما جاء من عند
الله تعالى (وكانوا يتقون) والتقوى هنا التجنب عن كل اثم والتزهد عن كل ما يشغل السر عن الله تعالى
والتبطل اليه تعالى بالكفاية وهذا تفسير للاولياء (اهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فالبشري في
الدنيا محبة الناس لهم وذكورهم اياهم بالثناء الحسن والارزاق والصالحات وبشري الملائكة لهم عند الموت وفي
الآخرة تلقى الملائكة اياهم بمبشرين بالفوز والكرامة وبياض الوجوه واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤون
منها وغير ذلك من البشارات (لا تبدل كلام الله) أي لا حلف في أقواله (ذلك) أي حصول البشري
لهم في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (ولا يحزنك قولهم) أي لا تحزن بما يتفوهون به في
شأنك مما لا خيرة فيه ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطان أمرك وقرأ نافع بضم الياء
وكسر الزاي (ان العزة لله جميعا) أي ان القوة جميعا لله فهو يهملك منهم وينصرك عليهم حتى تكون
أقوى منهم (هو السميع العليم) أي يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافؤهم بذلك (الا
ان الله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والنفوس واذا كان هؤلاء في ملكه تعالى فالجمادات
أحق أن لا تكون شركاء له تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أي وما يتبع الذين
يعبدون من دون الله آلهة شركاء فآلهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع (ان يتبعون الا الظن) أي
ان المشركين ما اتبعوا شركاء الله تعالى انما اتبعوا شياطينا فهو شركاء الله تعالى (وانهم لا يخبرون) أي

ما هم الا يكذبون فيما ينسبونه اليه تعالى ويقدر ان معبوداتهم شركاء تقدير باطلا (هو الذي جعل
 لكم الليل تسكنوا فيه والنهار مبصر) أي هو الذي صبر لكم الليل مظلمة لتستر بحوائفهم من تعب النهار
 والنهار مضى لتهدوا به في حوائجكم بالابصار ولتتحرروا فيه لعاشكم (ان في ذلك) أي الجعل
 (الآيات) أي لعبرات (لقوم يسمعون) مواعظ القرآن فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها
 هو الله المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) أي كفار مكة (اتخذ الله ولدا) أي الملائكة بنات الله
 (سبحانه) قال تعالى ذلك تنزيها لنفسه عما نسبوه اليه وتجييها من كلمتهم الحق (هو الغني) عن كل
 شيء في كل شيء (له ما في السموات وما في الارض) من ناطق وصامت ملكا وخلقا (ان عندكم من
 سلطان بهذا) أي ما عندكم حجة بهذا القول الباطل (أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي أنسبون
 اليه تعالى ما لا يجوز نسبته اليه تعالى جهلا منكم (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أي
 لا يصلون الى مقاصدهم وكل من قال في ذات الله تعالى صفاته قولا بغير علم وبغير حجة بيينة كان داخل في
 هذا الوعيد (متاع في الدنيا ثم اليها مرجعهم فثيبهم بها من غير تمييز) أي حياتهم
 متاع قليل في الدنيا ثم الموت وعند الموت لا بد من الرجوع الى الله وعند هذا الرجوع لا بد وان
 يذيقهم الله العذاب الشديد بسبب كونهم كافرين فأين هم من الفلاح (واتل عليهم) أي المشركين
 (نبأ نوح) أي خبره مع قومه الذين هم أشبه قومك في العناد ليصير داعيا الى مفارقة الانكار لتوحيد
 والنبوة (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييس (يا قوم ان كان كبر) أي نقل (عليكم مقامي) أي مكاني
 فيكم مدة طويلة (وتدعوني) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته (فعلى الله توكلت) أي
 فوضت أمري الى الله (فأجمعوا أمركم) أي فاعزموا على أمركم الذين تريدون بي من السعي في اهلاكي
 (وشركاءكم) أي وادعوا من يشاركونكم في الدين والقول أو ادعوا أو نائكم التي سميتهم بها بالآلهة
 وتقدير ادعوا هو كما في مصحف أبي ويصح أن يكون وشركاءكم مفعولا معه من الضمير في فاجعوا
 وقرأ الحسن وجماعة من القراء بالرفع عطفا عليه (ثم لا يكن أمركم عليكم غممة) أي خفيا ولا يكن
 ظاهرا (ثم اقضوا الي) أي أدوا الى ذلك الأمر الذي تريدون بي ونفذوا الى (ولا تنتظرون) أي لا تعملون
 بعد اعلامكم اياي ما تنقتم عليه (فان توليتم فاسألتكم من أجر) أي ان أعرضتم عن نصحتي فلا ضير
 على لاني ماسألتكم عقابا وعظي من أجر تؤدونه الى حتى يؤدي ذلك الى أعراضكم (ان أجزى الاعلى
 الله) أي ما ثواب على التذكير الاعلى عليه تعالى يثيبني به أمنتكم أو توليتكم (وأمرت أن أكون من المسلمين)
 أي وانى مأورا بالاسلام لكل ما يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) أي استمروا على
 تكذيب نوح بعد ما بين لهم الحجة (فنجينا من معه في الفلك) أي السفينة من المسلمين من الغرق
 وكانوا أربعة من رجال وأربعين امرأة (وجعلناهم) أي أصحاب نوح (خلائف) من الهالكين
 بالغرق فيسكنون في الارض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر) يا أيها الخلق
 (كيف كان عاقبة المنذرين) أي كيف صار أمر الذين أذرتهم الرسل فلم يؤمنوا (ثم بعثنا من بعدهم
 رسلا الى قومهم) كان منهم هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب (فجاءهم بالبينات) أي جاء كل رسول
 قومه بالخصائص به بالمعجزات الدالة على صدق ما قالوا (فما كانوا يؤمنوا بها) كذبوا به من قبل أي
 فما كانوا يصدقوا بما كذبوا به من أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل فاطبعت ودعوا عنهم اليها من
 قبل حتى يرسلهم أي كانت حالهم بعد مجي الرسل كحالهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك)

أى مثل ذلك الطبع (نطس على قلوب المعتدين) أى المتجاوزين عن الحدود فى كل زمن (ثم بعثنا من بعدهم) أى من بعد أوائل الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أى وأشرف قومه (بآياتنا) أى التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وطمس الاموال (فاستكبروا) أى فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما أى ادعوا الكبر من غير استحقاق (وكانوا قوماً مجرمين) أى ذوى آثام عظام فلذلك اجترأ على الاستهانة برسالة الله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا) وهو العصا واليد البيضاء (قالوا) من فرط عنادهم (ان هذا) أى الذى جاء به موسى (لسحر منين) أى ظاهر يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) ما تقولون من أنه سحر (أسحر هذا) أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأبه مشاهد معروف (ولا يفلح الساحرون) أى والحال أنه لا يفلح فاعلوا السحر وهذه جملة حالية من الواو فى أتقولون* (قالوا) لموسى وهارون عاجزين عن الحاجة (أجئتنا لنلقننا) أى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الاصنام (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر (وما نحن لكم بمؤمنين) أى بصدقين (وقال فرعون) لله (انتونى بكل ساحر عليم) بفنون السحر حاذق فيه وقرأ أحزرة والكسافى بحار (فلما جاء السحرة) أى قالوا بالسحرة قالوا لموسى اما أن تلقى واما أن تكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) أى ما معكم من الجبال والعصى (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم واسترهبوا الناس (قال) لهم (موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر أى التوبة الذى يظهر بطلانه لاما معاه فرعون وقومه ههنا فهو من آيات الله تعالى وقرأ أبو عمر وآل السحر همزة الاستفهام بابدال الهمزة الثانية ألفا ومدها مد الا زماً أو بتسهيلها من غير قلب وعلى كليهما تنجب الامالة فى موسى والمعنى الذى جئتم به أهوال السحر أم لا وهو استفهام على وجه التحقير والتوبيخ (ان الله سبيلته) أى سبيله بالكلية ويظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتأكيد (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يكمله (ويحق الله الحق) أى يظهره ويقويه (بكلماته) أى بوعده لموسى وقضائه (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن موسى الاذرية من قومه) أى فآمن من قوم موسى الا قليل منهم وهم بنو اسرائيل الذين كانوا عصم من أولاد يعقوب وذلك أن موسى دعا الآباء الى دينه فلم يجيبوا خوفاً من فرعون وأجابه طائفة من شبانهم مع الخوف (على خوف من فرعون وما شئهم) أى مع خوف من فرعون لانه كان شديد البطش وخوف على رؤساء الذرية فان أشرف بنى اسرائيل كانوا يعنون أولادهم من اجابة موسى خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يقتلهم) أى يصرفهم عن الايمان بتسليط أنواع العذاب عليهم (وان فرعون لعال فى الارض) أى لغالب فى أرض مصر (وانه لمن المفسرين) أى المتجاوزين الحدود بكثرة القتل والتعذيب لمن يخالفه فى أمر من الامور والكبر حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء (وقال موسى) لمن آمن به (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) ولا تخافوا أحد غيره (ان كنتم مسلمين) أى منقادين لأمره تعالى قال الفقهاء الشرط المتأخر يجب أن يكون متقدماً مثله قول الرجل لا رجل لامر أنه ان دخلت الدار فأنت طالق ان قلت زيد فجمع قولك ان دخلت الدار فأنت طالق بشرط ما يقول ان قلت زيد والمشرط متأخر عن الشرط فكأنه يقول لامر أنه حال ما قلت زيد ان دخلت الدار فأنت طالق فلو حصل هذا التعليق قبل ان قلت المرأة زيد لم يقع الطلاق فقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يقتضى أن يكون كونهم مسلمين شرطاً لان

يصبروا مخاطبين بقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول لاسلم حال اسلامه ان
كنتم من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام هو الاتقياء لتكاليف الله وترك النمرود
والايمان هو معرفه القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد وما سواه محدث تحت تصرفه واذا حصلت
هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله
تعالى (فقالوا) مجيبين له عليه السلام (على الله توكلنا) ولانلةفت الى أحد سواء ثم دعوا ربهم قائلين
(ربنا اجعلنا فتنه القوم الظالمين) أى لا تجعلنا مقننين لهم أى لا تمكنهم من أن يحكموا بالقهر على أن
ننصرف عن هذا الدين الحق الذى قبلناه (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى خلصنا برحمتك من
أيدي فرعون وقومه ومن سوء جوارهم وشؤم مصاحبهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ القوم كما
بصر بيموتا) أى اجعلنا بصريوت القومكم ومرجعات رجعون اليه للعبادة (واجعلوا ييوتكم قبلة) أى
مصلى (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم أى ان موسى ومن معه كلوا فى أول أمرهم مأمورين بان يصلوا
فى بيوتهم لئلا يظهروا على الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون فى أول الاسلام بمكة
على هذه الحالة (وبشر المؤمنين) بالنصر فى الدنيا والجنة فى العقبى وخص الله تعالى موسى بالبشارة
لانه الاصل فى الرسالة وهرون تبسعه (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاؤه) أى أشراف قومه
(زينة) أى ما يزين به من اللباس والمراكب ونحوها (وأموالا) كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما
(فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الأمر والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن
سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها قال ابن عباس بالغنائم الدراهم والدنانير صارت حجارة
منقوشة كهيةتها جعلوا أنصافا وثلاثا وجعل سكرهم حجارة (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها قاسية
ومربوطة حتى لا تلين ولا تشرح للايمان (فسلايؤمنوا) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف
على ليضلوا (حتى يروا العذاب الاليم) وانعاد دعاء موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله
وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله لموسى وهرون (قد
أجيبت دعوتكما) فموسى كان يدعو وهرون كان يؤمن والتأمين دعاء حصول المدعو به بعد أربعين
سنة لان فرعون لبث بعده هذا الدعاء أربعين سنة (فاستقيما) أى فأتينا على ما أقمنا عليه من الدعوة
والإمام الحق ولا تستجلا (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) بعادات الله تعالى فى تعليق الأمور بالمصالح
والحكم أى ولا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء مجابا كان المفعود حاصل فى الحال
والاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله يصدران من الجهال (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر) أى جعلناهم
مجاوزين بحر السويس بأن جعلناه يابسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط قال أهل التفسير اجتمع يعقوب
وبنوه على يوسف وهم اثنان وتسعون وخرج بنو مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله
دعاء موسى وهرون أمرهما بالخر وج بنى اسرائيل من مصر فخرجوا وقد كان فرعون غافلا عن ذلك فلما
سمع بخروجهم خرج بجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والبحر أمامنا والعهد وراءنا
فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فأفلق فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلفهم فرعون وكان
على حصان أدهم وكان معه ثمانية آلاف حصان على لون حصان سوى سائر الألوان وكان يقدمهم
جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فذنا جبريل بفرسه فلما رجا الحصان رجع
الأنثى لم يقم للفرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهـم

بالخروج انطبق البصر عليهم (فاتبعهم فرعون وجنوده بغير وعدوا) أي مفرطين في محبة قتلهم
ومجاورين الحسد (حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) أي بأن الشأ (لا اله الا الذي آمنت به بنو
اسرائيل وأنتم المسلمين) أي الذين أحلوا أنفسهم لله فقال له جبريل (آلآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين) أي آلآن تومن وتنبو وقد ضيعت التوبة في وقتها وأترت دنياك الفانية على الآخرة
الباقية وقد كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان ولم يقبل ذلك من فرعون لانه اغما آمن
عند نزول العذاب وانما أقرب عزة الربوبية ووحداية الله تعالى ولم يقر بنو موسى ولأن ذلك الاقرار كان
مبنيًا على محض التقليد وهو كان دهرًا ماضيًا مكر الوجود الصانع وانما ذكر هذه الكلمة ليمتوسل بها الى دفع
تلك البلية الحاضرة (فاليوم فنحيك بيمدلك) أي لنلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع
بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرى فنحيك بالحاء أي لنلقيك بناحية الساحل (لتكون
لمن خلفك آية) أي لمن وراءك آية وهم بنو اسرائيل اذ قالوا ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته
عندهم ولما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله فأمر الله البحر فالتقاء على الساحل أحرق قصيرا كما نور
فرآه بنو اسرائيل فعرفوه وقرى لمن خلفك فعلا ماضيًا أي لتكون لمن يأتي بعدك من الأمم نكالا من
الطغيان وقرى لمن خلفك بالقاف أي لتكون لحالقل آية كسائر آياته فان أفراده تعالى آياته بالالقاف
الى الساحل لا بطل دعوى الوهيت لان الاله لا يموت (وان كثير من الناس عن آياتنا لغافلون) أي
لا يتفكرون فيها (ولقد بوأنا بني اسرائيل ميثاقا صديق) أي أسكنهم بعدما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم
منزلا صالحا مريضيا وهو الشام ومصر فالشام بلاد البركة والخصب وأورشليم الله جميع ما كان تحت أيدي
فرعون وقومه (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائذ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم
العلم) أي حتى قرأوا التوراة التي نزلت فيها المسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم (ان ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل والصادق من الزنديق (فان كنت في
شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لعلهم يدعوك الى الحق) أي القرآن (من ربك)
فيه خبر الاواين (فلاتكون من المتزين) أي الشاكين (ولاتكون من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين) أنفسهم وأعمالهم وهذا كله خطاب للنبي ظاهر أو المراد به غيره عن عنده شك ومثل
هذا معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له أمر وكان تحذرا في ذلك الأمر جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية
بأمر مخصوص فإنه يوجه الخطاب على ذلك الأمر ليكون ذلك أقوى تأثيرا في قلوبهم وقيل هذا الخطاب
ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن الناس في زمانه كانوا فرقًا ثلاثة المصدقون به والمكذبون
له والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أيها الانسان في شك
مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهم عبدالله بن
سلام وعبدالله بن مسعود ويا ويهم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم (ان الذين حققت
عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم حكمه بأنهم يوتون على الكفر ويخلدون في النار (لا يؤمنون) أبدا
اذلا كذب في كلامه (ولو جاءهم كل آية) أي ولو جاءتهم الدلائل الذي لا حصر لها لان الدليل لا يهدى
الاباعانة الله تعالى (حتى يروا العذاب الاليم) كدأب آل فرعون واشباههم (فلولا كانت قرية آمنت
ونفعتها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) قال أبو مالك صاحب
ابن عباس كل ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فنعاهم للاحقين فلولا كانت قرية آمنت فنعاهم

فما كانت قسرية فلولاً كان من القرون من قبلكم فنعناه فما كان من القرون وتقدر الآيات فما
كان أهل قرية آمنوا فنعفهم أيانهم الاقوم ونس لما آمنوا أول ما رأوا أمانة العذاب صرفنا عنهم
العذاب في الحياة الدنيا (ومنعناهم) بمتاع الدنيا بعد صرف العذاب عنهم (الى حين) أي الى وقت انقضاء
آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبنا
فلما قفدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجلكم
أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم
أسود هائل فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا
الى البحر افرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها نحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات
زكثرت التضمرات وأظهر والايان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك
اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن الفضل بن عباس انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت
اعظم وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وخرج يونس ينتظر العذاب فلم ير شيئاً
فقبل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجيبون كذاباً وكان كل من كذب ولا بد له قتل
فأدبر عنهم مغاضباً فالتقمة الحوت (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) أي فجمع بين على
الايان لا يجتاهون فيه لكنه لا يشاؤه (أفأنت تكره الناس) على ما ليسوا الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين)
أي لا قدرة لك على التصرف في أحد (وما كان لنفس أن تؤمن الا بإذن الله) أي وما يتأني لنفس واحدة
أن يقع فيها ايمان في وقت ما الا بإرادة الله وبأقداره عليه (ويجعل الرجس) أي الكفر (على الذين
لا يعقلون) أي الذين لا يستعملون عقولهم بالنظر في الدلائل والمضارع بمعنى الماضي وهو معطوف على
مقدرو والتقدير فآذن الله لبعضهم في الايمان وجعل الكفر لبعض آخر (قل انظر وماذا في السموات
والارض) أي قل يا أشرف الخلق مخاطباً بالأهل مكة تفكروا أي شيء يبيع في السموات والارض من
عجايب صنع الله الدالة على وحدته وكمال قدرته (وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وما تنفع الدلائل
السمائية والارضية والرسائل المنذرون عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه (فهل ينتظرون الا مثل
أيام الذين خلوا من قبلهم) أي فما ينتظر المشركون الا عذاباً مثل عذاب الأمم الماضية من الكفار (قل
فانتظروا) نزول العذاب (اني معكم من المنتظرين) لذلك (ثم انجي رسلاً) أي أهلاً كئنا الامم ثم نجينا رسلاً
المرسلة اليهم (والذين آمنوا) لان العذاب لا ينزل الا على الكفار (كذلك) أي مثل ذلك الانجاء الذين
نجينا الرسل ومن آمن بهم (حقاً علينا انجي المؤمنين) بل يا أشرف الخلق من كل شدة وعذاب وجب
ذلك علينا وجوباً بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لان العبد لا يستحق على خالقه شيئاً (قل)
لجمهور المشركين (يا أيها الناس) أي أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) الذي أدعوك اليه أي
ان كنتم لا تعرفون ديني فأنابا إليه لكم على سبيل التفصيل (فلا تعبدون من دون الله) في
وقت من الاوقات (ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم) بقبض أرواحكم ثم بفعلكم ما يفعل من قنون
العذاب (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بمبادل عليه العقل ونطق به الوحي (وأن أقم وجهك
لدين) أي وأمرت بتوجيه العقل بالسكينة الى طلب الدين وبالاستقامة في الدين بأداء الفرائض والانتفاء
عن القبائح وباستقبال القبلة في الصلاة (حنيفاً) أي مائلاً الى الدين ميلاً كلياً معرضاً عما سواه اعراضاً
كلياً فقولوا وأمرت ان أكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم وجهك للدين

حينئذ إشارة الى الاستغراق في نور الايمان (ولا تكون من المشركين) أي وأمرت بأن لا ألتفت الى غير ذلك الذين فن عرف مولاه والتفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك الالتفات شركا وهذا هو الذي تسميه أجمع القلوب بالشرك الخفي (ولا تدع من دون الله) أي لا تعبد من غير الله (مالا ينفعك ولا يضرك) فلا نافع الا الله ولا ضار الا الله ولا حكم الا الله ولا رجوع في الدارين الا الى الله وهذه الجملة عطف على جملة الامر وهي أقم فتكون داخله في صلة أن المصدرية (فان فعلت فأذل اذا من الظالمين) أي لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الواضعين للشيء في غيره وطلب السبع من الاكل والرى من الشرب لا يقدح في الاخلاص لان وجود الخبز وصفاته كلها بايجاد الله وطلب الانتفاع بشيء خلقه الله لذلك لا يكون منافيا للرجوع بالكلية الى الله الا أن شرط هذا الاخلاص أن لا يقع بصبر عقله على شيء من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله أنها معدومة بذواتها وموجوده بايجاد الله فينبذ يرى ما سوى الله عدما محض بحسب أنفسه او يرى نور وجوده تعالى وفيض احسانه عالي على الكل (وان يسئلك الله بضر) أي ان يصيبك بضر كمرض ونقر (فلا كاشف له) أي فلا رافع لذلك الضر (الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) أي وان يردك ان يصيبك بخير فلا دافع لعطيته الذي أرادك به ولم يستثن الله تعالى مع الارادة لان ارادة الله تعالى قديمة لا تتغير بخلاف مس الضر فانه صفة فعل قال الرازي وتقديم الانسان في اللفظ وهو المشار اليه بالخطاب دليل على أن المقصود هو الانسان اما سائر الخيرات فهي مخلوقة لاجله (يصيب به) أي يخص بالفضل الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير (من يشاء من عباده) من كان أهلا لذلك (وهو الغفور) أي البالغ السر للذنوب (الرحيم) أي البالغ في الاكرام (قل) مخاطبا لا أولئك الكفرة لاجل أن تنقطع معذرتهم (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام (فن اهتدي) بالايمان به (فأعمالهم تدي لنفسه) أي لنفعه اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالاعراض عنه (فأغايضل عليها) أي فوال الضلال مقصور على نفسه (وما أنا عليكم بوكيل) أي بحفيظ مؤكون الى أمرهم وأغايضل أنابشير ونقر فلا يجب على السعي في ايصالكم الى الثواب وفي تخليصكم من العذاب (واتبع ما يحى اليك) أي يؤمر لان في القرآن من تبليغ الرسالة (وأصبر) على ما يطرأ عليك من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) حكمكم بالجهاد والجزية على أهل الكتاب وأنشد بعضهم في الصبر شعر افعال

سأصبر حتى يهجز الصبر عن صبري • وأصبر حتى يحكم الله في أمري
سأصبر حتى يعلم الصبر انني * صبرت على شيء أمر من الصبر

﴿سورة هود مكية مائة وثلاث وعشرون آية وألف وسبع مائة وخمسة
وعشرون كلمة وستة آلاف وسبع مائة وخمسة أحرف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب أحكمت آياته) أي نظمت نظما رصيفا متقنا (ثم فصلت) أي جعلت فصلا من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب أو صلة للفعليين كأنه تعالى يقول أحكمت آياته من عند حكيم أي واضع الشيء بالحكمة وفصلت آياته من عند خبير أي عالم بكيفيات الامور (أن لا تعبدوا الا الله) فان تفسيره لفصلت فانها في معنى القول (انني لكم منه) أي من جهة الحكيم الخبير (نذير) بعذابه ان عبدتم غير الله تعالى (وبشير)

شوابه ان تعضتم في عبادته (وأن استغفروا ربكم) معطوف على أن لاتعبدوا (ثم توبوا اليه) أي
أطلبوا من ربكم ستر ما سلف منكم من الشر ثم أقبلوا اليه بالطاعة والاخلاص (يعتقكم منا عسنا
الى أجل مسمى) أي يعسكم عيشا مريضيا الى وقت مقدر عند الله تعالى وهو آخر أعماركم فمن أخلص
لله في القول والعمل عاش في أمن من العذاب وراحة ما يشاء ومن اشتغل بحببة الله كان انقطاعه عن
الخلق أكمل وصروره أتم لانه آمن من زوال محبوه ومن كان مشغلا بحب غير الله كالأبداني ألم الخوف
من فوات المحبوب (ويؤت) أي يعطى في الدنيا وفي الآخرة (كل ذي فضل) في الاسلام والطاعة
(فضله) أي ثوابه (وان تولوا) أي تعرضوا عما ألقى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة (فاني
أخاف عليكم) بموجب الشفقة (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) بالموت ثم البعث
للجزاء (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبكم بإفان العذاب (ألا انهم ينثون صدورهم
ليستخفوا منه) ألا حين يستغشون ثيابهم أي تنبه ان الكفار يضفرون خلف ما يظهرون ليستخفوا
من الله تعالى حين يغطون رؤسهم بثيابهم للاستخفاء روى عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في
الأنس بن شريق وأصحابه من منافقي مكة وكان رجلا حلو المنطق حسن المنظر يظهر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه العداوة (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم
(انه علم بذات الصدور) أي انه تعالى مبالغ في الاطاعة عضمرت جميع الناس وأمر الله بهم الحفية
المستكنة في صدورهم فلا فائدة لهم في استخفائهم (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) أي
غذاؤها اللائق بما روى أن موسى عليه السلام تعاق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى ان يضرب
بعضاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة
ثم ضرب بعضاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعضاه فانشقت وخرجت منادودة كالذرة
وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله الحجاب عن سمع ومشي عليه السلام فسمع المدودة تقول
سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (ويعلم مستقرها) أي مكانها في
الارض قبل الموت وبعد (ومستودعها) أي موضعها قبل الاستقرار من صاب أو رحم أو بيضة (كل
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها وأحوالها) (في كتاب مبين) أي نابت في علم الله ومذكور في
اللوح المحفوظ (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي خلق السموات في يومين والارض
في يومين وما عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغیر ذلك في يومين (وكان عرشه) قبل خلقهما
(على الماء) قال صلى الله عليه وسلم مكان الله وما كان معه شيء ثم كان عرشه على الماء أي
والعرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمهكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة
فوقه وذلك يدل على كمال قدرته تعالى (ليلاوكم) أي خلق السموات والارض وما فيهما ورتب فيهما
جميع ما تحتاجون اليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع فيهما ما تستدلون به على
مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يخبركم (أيكم أحسن عملا) أي أحسن عقلا وأورع عن
محارم الله وأمرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به (ولئن قلت) يا أشرف
الخلق لاهل مكة (انكم مبعوثون) أي محييون (من بعد الموت ليقولن الذين كفروا) منهم (ان هذا
الامبرميين) أي ما هذا القول الا خديعة منكم وضعتوها نزع الناس عن لذات الدنيا وأحرارهم الى
الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وقرأ حمزة والكسائي الأساخر أي كاذب وجيشد فاعلم الإشارة

حاشد على النبي أو القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الذي هددهم الرسول صلى الله عليه وسلم به (إلى
 أمة معدودة) أي إلى انقراض جماعة من الناس بعد هذا التهديد بالقول (ليقولن) بطريق الاستهجان
 استهزاء (ما يحبسهم) أي أي شيء يمنع العذاب من المحي اليها (ألا) أي تنبهوا (يوم يأتيهم) أي
 العذاب (ليس مصروف عنهم) أي فلا يرفع رافع أبدا عذاب الآخرة ولا يدفع عنهم دافع عذاب الدنيا
 (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) أي أحاط بهم ذلك العذاب (ولئن أذقنا الإنسان منارحة) أي
 أعطيناه نعمة كغنى وصحة (ثم زعمنا هانئنا أنه ليؤس) أي قاطع رجاء من عود أمثالها لظلة صبره
 وعدم ثقته بالله (صكفور) أي عظيم الكفران لمأساف من النعم (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء
 مسته) كصحة بعد سقم وفرج بعد شدة (ليقولن ذهب السيأت عني) أي المصائب التي تحزنني (أنه
 لفرج) أي بطر بالنعم مغتر بها (خفور) على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن الشكر (ألا
 الذين صبروا) عند البلاء استبلا ما لقضاء الله (وعملوا الصالحات) عند الراحة والخير شكر على ذلك
 (أولئك لهم مغفرة) عظيمة للذنوب (هم وان جنت) وأجر (أي ثواب) كبير (لأعمالهم الحسنة
 فلعنك تارك) بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك (فعل للزجر وللتبعية) أي لا تترك تبليغ بعض
 ما يوحى إليك من البينات الدالة على حقيقة نبوتك ولا يضيق صدرك بتلاونه عليهم في أثناء الدعوة والحاجة
 كراهة (أن يقولوا لا أنزل عليه) أي على محمد (كنز) أي مال كثير مخزون يدل على صدقه
 (أو جاء معه ملك) يصدق والمعنى لا تترك التبليغ ولا يضيق صدرك به بسبب قول القوم لك إن كنت
 صادقاً فإنك رسول الله الذي تصفه بالقدر على كل شيء وبأنك عزيز عندك معك أنك فقير فها أنزل عليك
 ما تستغنى به وتغنى أحبابك من الكد والعناء وإن كنت صادقاً فها أنزل عليك ما كان شاهدك بالرسالة
 فتزول الشبهة في أمرك فلما لم يفعل الهلك ذلك فانت غير صادق فنزل قوله تعالى (أغاث أنت نذير) فلا
 تبال بمصادر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) أي حفيظ فهو كل عليه في جميع
 أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم (أم يقولون اقترأه) أي بل يقولون اقترأ محمد القرآن من تلقاء
 نفسه وليس من عند الله (قل) لهم أرخوا للعنان إن كان الأمر كما تقولون (فأتوا بعشر سور مثله) أي
 القرآن في البلاغة وحسن النظم (مفتريات) من عند أنفسكم فأنكم أقدر ذلك مني لأنكم عرب
 فهماء عارسون للاشعار ومن أولون أنواع النظم والنثر (وادعوا) للمعاونة في المعارضة (من
 استطعتم من دون الله) أي من الأصنام والسكينة (إن كنتم صادقين) في ادعاء كون القرآن مفترى
 على الله (فإن لم يستجيبوا) أي من تدعوهم من دون الله (لكنكم) أيها الكفار في الاعانة على المعارضة
 (فاعلموا) يامعشر الكفار (أنما أنزل بعلم الله) أي أن الذي أنزل ملتبس بعلم الله أي هو من عند الله
 إذ لو كان مفترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدر وأعليه ثبت أنه من عند الله (وأن
 لا اله الا هو) أي واعلموا أنه لا شريك له في الألوهية ولا يقدر على ما يقدر هو عليه أحد أي لما ثبت بحجج
 الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقاً وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقاً في دعوى الرسالة
 وفي خبره أنه لا اله الا الله (فهل أنتم مسلمون) أي فهل أنتم داخلون في الاسلام والمعنى فإن لم يستجب
 لكم آلهتكم وسائر من آلهتكم تجارون في لما تنكم إلى المعاونة فاعلموا أن القرآن خارج عن دائرة قدرة
 البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر واعلموا أيضاً أن آلهتكم بعزل عن رتبة الشركة في الألوهية ففهل
 أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام هذه الحججة القاطعة (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعمل الخير

من العبادات وإيصال المنفعة إلى الحيوانات (نوف اليهم أعمالهم فيها) أي توصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة (وهم فيها) أي في الحياة الدنيا (لا ينجسون) أي لا ينجسون نقصا كلياً ولا يحرمون من ذلك حرماناً كلياً هو ما يرزقون فيها من الصحة والرأسعة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك (أولئك) أي المريدون لزينة الدنيا الموفون فيها ثمرات أعمالهم (الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) بسبب هذه الأعمال الفاسدة المقررة بالآخرة يأمروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من جح الخزن قيل وما جب الخزن قال واد في جهنم يلقى فيه القراء المراءون وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيراً ولا خير فيه (وحبط ما صنعوا فيها) وهذا أن تعلق بحبط ما صنعوا على الآخرة أي وظهر في الآخرة حبط ما صنعوه من الأعمال وأن تعلق بصنعوا فالصنيع يعود على الحياة الدنيا أي وحبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) فباطل إما خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر أو عطف على الخبر وما بعده فاعل له ويرجع هذا قرأه يزيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون على صيغة الماضي معطوف على حبط أي ظهر بطلان عملهم في نفسه في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية وقرئ وباطل إما ما كانوا يعملون على أن ما بها مية أو في معنى المصدر (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) أي أفمن كان على برهان من ربه عرف به صحة الدين الحق ويتبع ذلك البرهان شاهد من ربه وهو القرآن ويتبع ذلك البرهان من قبل بحج الشاهد الذي هو القرآن شاهد آخر وهو كتاب موسى حال كونه مقتدى به في الدين وسبب الحصول الرحمة لانه يهدي إلى الحق في الدنيا والدين كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها في أنهم ليس لهم في الآخرة إلا النار لا بل بين الفريقين تباين بين فالجاءل أنه اجتمع في تثبيت صحة هذا الدين أمور ثلاثة أولها دلالة الدلائل العقلية اليقينية على صحته وثانيها شهادة القرآن بصحته وثالثها شهادة التوراة بصحته فعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والجلالة إلى حيث لا يمكن الزيادة عليه فلا يبقى في صحته شك (أولئك) أي الموصوفون بالصفات الحميدة (يؤمنون به) أي بالقرآن كعبد الله بن سلام وغيره ممن اتصف بتلك الصفات وهذا الفريق ليس له في الآخرة إلا الجنة (ومن يكفر به) أي بالقرآن (من الأحزاب) أي أصناف الكفار (فالنار موعده) أي مكان وعده وهو الذي فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب روى سعيد ابن جبير عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع ابن مودى ولا نصراني فلا يؤمن في الآخرة كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسي أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا إلا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (فلأنك في مريضة منه أنه الحق من ربك) أي فلأنك في شك من القرآن أنه الحق من ربك نزل به جبريل أو المعنى فسلأتك في شك من أن مصير من كفر بالقرآن النار أن هذا الوعد هو الثابت عن ربك في دينك ودنياك والخطاب للنبي والمراد غيره (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك إما لاختلال أحوالهم وإما لعنادهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم في الأصنام أنهم أشفعاءهم عند الله (أولئك) الموصوفون بالافتراء على الله تعالى (يعرضون على ربهم) عرضا تظهر به فضيحتهم أي يساقون إلى الأماكن المعدة للحساب والسؤال (ويقول الأشهاد) من الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم في الدنيا والأنبياء عند العرض (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليهم ثم لما أخبر الله تعالى عن حالهم في القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالقرآن

الكفر والضلال أى أنهم في الحال الملعونون من عند الله (الذين يصعدون عن سبيل الله) أى الذين
يضعون من الدين الحق كل من يقدر على منعه بالقاء الشبهات (ويبغونها عوجاً) أى يطلبون
سبيل الله زيفاً بتعويج الدلائل المستقيمة (وهم) أى والحال أنهم (بالآخرة هم كافرون) أى بالبعث
بعد الموت جاحدون (أولئك لم يكونوا همجزيين في الأرض) أى لا يمكنهم أن يفلقوا بأنفسهم من عذاب
الله بالهرب من الأرض مع سعتها أن أراد الله تعذيبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أى
أنصار يدفعون عذاب الله عنهم أى أن عدم نزول العذاب ليس لأجل أنهم قدسوا على منع الله من إزالة
العذاب بالفرار ونحوه ولا لأجل أن لهم ناصر يمنع العذاب عنهم كالأصنام شفعاء وهم عند الله بل
لأنه تعالى أمهلهم كي يتوبوا عن كفرهم فإذا أنبأوا بالثبات عليه فلا بد من مضاعفة العذاب في الآخرة كما
قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أى فيعذبون في الآخرة على ضلالهم في أنفسهم وعلى اضلالهم
غيرهم وهذا غير خارج عن قوله تعالى ومن جاء بالبينة لا يجزئها لأصنامهم شفعاء وهم عند الله بل
ويعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وهذا تعليل لمضاعفة العذاب
أى لأنهم كانوا عاجزين عن الوقوف على دلائل الله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) أى فانهم
اشترى وعبادة الأصنام بعبادة الله تعالى وهذا أعظم وجوه الخسران (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من
شفاعة الأصنام لهم فلم يبق معهم غير الندامة (الآجرم) أى لا بد (أنهم في الآخرة هم الخاسرون)
بذهاب الجنة وما فيها أى أنهم أخسر من كل خاسر لأنهم أظلم من كل ظالم (ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أى ان الذين آمنوا بكل ما يجب الإيمان به وآتوا بالأعمال الصالحات
واطمأنت قلوبهم عند أداء الأعمال إلى ذكر الله فارغة عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى واطمأنت
إلى صدق وعد الله بالثواب على تلك الأعمال وخافت قلوبهم من أن يكونوا أتوا بتلك الأعمال مع وجود
الاخلال ومن أن لا تكون مقبولة (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها
خالدون) أى دائمون (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أى صفة الكافر كصفة
شخص متصف بالعمى والصمم فلا يهتدى المقصوده وصفة المؤمن كصفة شخص متصف بالبصر والسمع
فاهتدى لمطوبه (هل يستويان مثلاً) أى صفة رجلاً (أفلا تتذكرون) أى أنتم تكونون في عدم
الاستواء ولا تتعظون بأمثال القرآن فتؤمنوا (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن لا تكبر) للعصاة من
العقاب (مبين) أى بين النذارة فأبين لكم طريق الخلاص من العذاب وقرأ أن كثير وأبو عمرو
والكسائي أني بفتح الهمزة أى متلبساً بالانذار والباقون بالكسرة على معنى فقال اني أنكم (أن
لا تعبدوا إلا الله) يدل من اني لكم الخ على قسامة الفتح وبحرور بالياء المقدرة التي لا تعدية
المتعلقة بأرسلنا (انني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) في الدنيا أوفى الآخرة (فقال الملائكة الذين
كفروا من قومه) أى الاشراف منهم (مأزلة الأبرار مثلنا) أى ما نعامل إلا آدمياً مثلنا ليس فيك
مزية تخصك بوجوب الطاعة علينا (ومأزلة الأبرار الذين هم أرادنا) أى أخسأونا كالحجاء من
والنساجين والأساكفة (بأدى الرأي) قرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائي بأدى بالهمزة والباقون بالياء
ونصبه على الظرفية أى في ابتداء حدوث الرأي ولو احتاطوا في الكفر ما تبعوا أوفى ظاهر رأى العين
(ومأزى لكم علينا من فضل) أى لا ترى للثواب تبعوا بعد الاتباع فضلاً علينا في العقل ولا في
رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) أى بل نظنك يأنوح في دعوى النبوة

ونظن أصحابك كاذبين في تصديق نبوتك (قال) أي نوح (يا قوم أرايتم) أي اخبروني (إن كنت على بينة من ربي) أي على برهان عقلي في معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز وعليه (وآتاني رحمة من عنده) أي نبوة ومهجة دالة على النبوة (فعميت عليكم) أي وصار ذلك البرهان منكوكا في عقولكم وقرأ حجة والكسافي وحقق عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقيون بفتح العين وتخفيف الميم (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) أي فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفة ذلك البرهان وأنتم منكرون وله المعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا ينافي الأمن له فضيلة على سائر الناس اخبروني أن امتزت عنكم بزيادة فضيلة من ربي وهي دليل العقل وآتاني بحسبها نبوة من عنده خفي عليكم دليل العقل ولم تنالوه ولم تعلموا حيازتي لها إلى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متجعة في نفسها أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام لطلب الإقرار وحاصل الكلام أنهم لما قالوا وما نرى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام أن ذلك بسبب أن الحجة عميت عليكم واشتهت فأما لو تركتم العناد والجحاح ونظرتم في الدلائل لظهر المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما وأنا أقدر على إعطائكم الإلهام والمعرفة في ذلك الحجة وأنا أقدر على أن أدعوكم إلى الله (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى الأعلى الله) أي قال نوح عليه السلام أنا لا أطلب منكم على تبليغي دعوة الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيرا أو غنيا وما أجرى على هذه الطاعة الأعلى رب العالمين وإن ظننتم أني إنما اشتغلت بهذا التبليغ لأجل أخذ أموالكم فهذا الظن منكم خطأ وإنما أسعى في طلب الدين لآ في طلب الدنيا وهذا يوجب فضلي عليكم فلا تخسروا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) بقولكم لي امنع واطرد هؤلاء الأسافلة عندك ونحن تتبعك فإنا نستهجي أن نجلس معهم في مجلسك (أنهم ملاقوا ربهم) أي أنهم فائزون في الآخرة بملقاء الله تعالى فإن طردتهم استخضعوا في الآخرة عنده فأعاقب على طردهم (ولكني أراكم قوما تتجادلون) إن منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وإن طردهم يوجب غضب الله تعالى (ويا قوم من ينصرني من الله) أي يدفع نزول مخظه عني (إن طردتهم) فإن الطرد ظلم موجب للسخط قطعا (أفلا تدكرون) أي أتأمروني بطردهم فلا تعتظون بما أقول لكم (ولا أقول لكم) حين أدعي النبوة (عندي خزائن الله) أي رزقه وأمواله وهذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل كالمال (ولا أعلم الغيب) أي ولا أقول ما أعلم الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد وهذا رد لقولهم وما نزلنا بك إلا الذين هم أراد لنا بادي الرأي أي في ظاهر حالهم وأول فكرهم وفي الباطن لم يتبعوا فقال نوح لهم أني إنما أقول على الظاهر لأنني لا أعلم الغيب فأحكم به (ولا أقول إن ملك) رد لقولهم ما نزلناك إلا بشرا مثلنا فكأن نوحا قال أنا لم أدع الملكية حتى تقولوا ذلك أي أنكم اتخذتم هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذبي والحال أني لا أدعي شيئا من ذلك ولا الذي أدعيه يتعلّق بشيئا منها وإنما يتعلّق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول للذين تردى أعينكم) أي ولا أقول كما تقولون في حق الذين تحتقرهم أعينكم (إن يؤتيهم الله خيرا) أي هداية وأجرا (الله أعلم بما في أنفسهم) أي بما في قلوبهم من الإيمان (إن إذا) أي إذا قلت ذلك (لن الظالمين) لنفي ولهم في وصفهم بأنهم لا يخبر لهم مع أن الله أعطاهم خبري الدارين (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أي فأثبت بأنواع الجدال (فأتأبعا تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) فيما تقول (قال)

أى نوح (انما يأتىكم به الله) أى ان الايمان بالعذاب الذى تستجهلون أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعل الله تعالى (ان شاء وما أنتم به حزين) أى بما نعين من العذاب بالحرب أو بالمداقة كما تدفعوننى في الكلام (ولا ينفعكم نصيحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى ان كان الله يريد أن يضلكم عن الهدى فان أردت أن أحذركم من عذاب الله وأدعوكم الى التوحيد لا ينفعكم دعائى الى التوحيد وتحذيرى اياكم من عذاب الله (هو ربكم) أى مالك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت (والله) تعالى (ترجعون) بعد الموت فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون اقترأ) أى بل أقول قوم نوح ان نوحا افترى بما آتانا به من عند نفسه مسند الى الله تعالى (قل) يا نوح (ان افتريته) أى ان اختلقت الوحى الذى بلغته اليكم من تلقاء نفسى (فعلى اجرامى) أى فعلى عقاب اكتسابى للذنوب وان كنت صادقاً وكذبونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب (وأنا برئ مما تجرمون) أى من عقاب كسبكم الذنب باسناد الاقترأ الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من آمن فلا تبهس بما كانوا يفعلون) أى فلا تحزن بما كانوا يعاطونه من التكذيب والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهت أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك بأعيننا) أى اصنع السفينة مملئة بأبصارنا لك وتعهدنا به عليك كيفية صنعها (ووحينا) أى وبأمرنا لك (ولا تخاطبني في الذين ظاهروا) أى لا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم أو المعنى لا تراجعني في نجات الذين كفروا بابل كنعان وامرأتك راعلة (انهم مفرقون) أى يحكمهم عليهم بالاغراق بالطوفان (ويصنع الفلك) أى أقبل نوح يصنعها وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد برمي القار وكل ما يحتاج اليه في عملها وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون لجعل في البطن الاسفل ائوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والالعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل ما يحتاج اليه من الزاد وغيره (وكلم امرأته ملاء من قومه) أى طبة ممن كبرائهم (سخر وامنه) أى كانوا يتصاحكون لعمله السفينة ويقولون يا نوح كنت ندهي رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجاراً وكان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جداً وكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يكمل نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اليوم منا أى ان حكمت علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى فسوف تعلمون أين يأتيه عذاب في الدنيا يهينه وهو عذاب الغرق من هو أحق بالسخرية ومن هو أحمد عاقبة (ريحل عليه عذاب مقيم) أى وأينما ينزل عليه عذاب النار الدائم في الآخرة (حتى اذا جاء أمرنا) أى عذابنا الموعود به (وفار التنور) أى نبع الماء من تنور الخبز وارتفع بشدة كما تنور القدر بغليانها روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معه في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان التنور لآدم وكانت حواء تغم فيه الخبز فصار الى نوح وكان من حجارة وهو في الكوفة على عين الدار داخل مما يلي باب كندة في المسجد (قلنا احمل فيها) أى السفينة (من كل زوجين اثنين) وقرأ حفص من كل بالثنوين أى من ثني وزوجين اثنين كل منهما زوج لئلا يخر والجمهور على الاضافة أى من كل فردين متزوجين اثنين بان تحمل من الطير ذكراً وأنثى ومن الغنم ذكراً وأنثى وهكذا وترك الباقى والمراد من الحيوانات التي تنفع والتي تلد أو تبيض فيخرج المضرات والتي

تتشأمن الغفوة والقراب كاللورد والقمل والبقر (وأهلك) عطف على زوجين على قراءة
حفص وعلى اثنين على قراءة غيره (الامن سبق عليه القول) بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه واعلة قائمها كنانا كافرين لحمل نوح في
السفينة زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة مع نساءهم سام وحام وياقت فسام أبو العرب وحام أبو السودان
وياقت أبو الترك (ومن آمن) عطف على زوجين أو على اثنين أي واحمل من آمن من غير أهلك (وما
آمن معه الا قليل) وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون انسانا ذصفهم رجال وذصفهم نساء
وقال مقاتل في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية النعمانين سميت بذلك لأن هؤلاء لما خرجوا من السفينة
بنوها فسميت بهذا الاسم (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين (اركبوا فيها
بسم الله) أي اركبوا في السفينة ذاكرين اسم الله (بجربها ومرضها) أي وقت جربها ومرضها
فيل كان نوح عليه السلام إذا أراد ان يجربها يقول بسم الله فتجربى وإذا أراد ان يرسيها يقول بسم
الله فترسو (ان ربي اغفور رحيم) أي لولا مغفرته تعالى ورحمته اياكم لما نجاكم لانكم لاتنفكون عن
أنواع الزلات (وهي تجرى بهم في موج كالجبال) في عظمه وارتفاعه وذلك يدل على وجود الرياح
الشديدة في ذلك الوقت قال علماء السر أرسل الله تعالى المطر أربعين يوما ويلة وخرج الماء من الارض
وارتفع الماء على أعلا جبل وأطولها أربعون ذراعا حتى أغرق كل شيء (ونادى نوح ابنه) كنعان قبل سير
السفينة (وكان في معزل) أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وأخوته وقومه بحيث لم يتناولوا الخطاب
بأركبوا (يا بني اركب معنا) في السفينة (ولا تكن مع الكافرين) أي في المكان وهو وجه الارض
خارج السفينة في الدين لان نوحا عليه السلام يحذر ابنه عن الهلكة لا ينهى عن الكفر في ذلك الوقت
(قال ساوي) أي التجبى (الى جبل يعصمي من الماء) لارتفاعه (قال) أي نوح (لأعاصم اليوم من أمر
الله) أي عذابه (الامن رحم) أي الا الله الراحم والتقدير لا فرار من الله الا الى الله وهذا تأويل في غاية
الحسن وقيل لا مكان يعصم من عذاب الله الا مكان من رحمته الله وهو السفينة وقيل لا ذامعة الا من رحمته
الله (وحال بينهم الموج) أي حال الموج بين نوح وابنه كنعان (فكان من المغرقين) أي فصار كنعان من
المهلكين بالطوفان (وقيل) أي قال الله (يا أرض ابلي ما لك) أي انشفي ما على وجهك من ماء الطوفان
(و يا معاء أقلعي) أي امسكي عن ارسال المطر (وغيض الماء) أي رقص ما بين السماء والارض من الماء
(وقضى الامر) أي أتم الامر من هلاك قوم نوح (واستوت) أي استقرت الفلك (على الجودي) أي على
جبل بالجزيرة قريب من الموصل يقال له الجودي وكان ذلك الجبل منخفا ضاروا به عليه السلام ركب في
الفلك في عاشر رجب ومرت بالبيوت الحرام فطافت به سبعاً وازل عن الفلك في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم
وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنوا قرية بقرب ذلك الجبل فسموها قرية النعمانين فهي أول قرية
عمرت على الارض بعد الطوفان (وقيل بعد المقوم الظالمين) أي قال نوح وأصحابه بعد وابعاد من رحمته الله
للقوم المشركين بحيث لا يرجع عودهم وهذا الكلام جار مجرى الدعاء عليهم لان الغالب عن يسلم من الامر
المسائل بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا هلكوا نجح منهم قال مثل هذا الكلام (ونادى نوح ربه
فقال رب ان ابني) كنعان (من أهلي) وقد وعدتني انجاءهم في ضمن قولك واحمل أهلك (ران وعدك
الحق) أي ان كل وعد تعده لا يتطرق اليه خائب (وأنت أحكم الحاكمين) أي لانيك أعدل الحاكمين
وهذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام في غاية التلطف وهي مثل دعاء سيدنا أيوب عليه السلام اني مسني

الفروا أنت أرحم الراحمين (قال) أي الله تعالى (يا نوح انه) أي هذا الابن الذي سألتني نجاته
 (ليس من أهلك) الذي وعدت أن أنجيهم معك (انه عمل غير صالح) أي لأن هذا الابن ذو عمل غير
 مرضي وقرأ الكسائي ويعقوب عمل على صيغة الفعل وغير بالنصب أي لانه عمل عملا غير مرضي وهو
 الشرك (فلا تسألن ماليس لك به علم) أي اذا وقفت على جليلة الحساب فلا تطلب مني مطلباً لا تعلم يقينا
 أن حصوله صواب وموافق للحكمة (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) أي اني أنهيك عن أن تكون
 من الجاهلين بالسؤال معي سؤاله عليه السلام جهلاً لأن حب الولد شغله عن تدكير استئناء من سبق عليه
 القول منه - م بالاهلال (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم) أي أعوذ بك من أن أطلب
 منك من بعد هذا ما لم أعلم أن حصوله مقتضى الحكمة (والا تغفري) جهلي واقدامي على سؤال ما ليس
 لي به علم (وترحمي) بقول توبتي (أكن من الخاسرين) أحملاً ولايس في الآيات ما يقتضي صدور
 ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى اقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية
 وانما الجأ إلى الله تعالى وسأله المغفرة والرحمة لأن حسنات الاراسيات المقربين (قيل) أي قال الله
 (يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة (بسلام) أي ملتبساً بأمان من جميع المكروه المتعلقة بالدين (منا
 وبركات عليك) أي خيرات نامية عليك وهذا بشارة من الله تعالى بالسلامة من التهديد وبنييل الحاجات
 من المأكول والمشروب (وعلى أمم من معك) أي وعلى أمم مؤمنة ناشئة من الذين معك الى يوم القيامة
 (وأمم) كافرة متناصلة من معك (سفتعهم) مدة في الدنيا (ثم) في الآخرة (يسهم من عذاب أليم)
 فقوله وأمم مبتدأ وحملته قوله سفتعهم خبر (تلك من أنباء الغيب) أي تلك التفاصيل التي بينها من
 الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق (نوحيا) أي تلك الاخبار (اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)
 بطريق التفصيل (من قبل هذا) أي من قبل ان يحادثنا اليك بنزول القرآن (فاصبر) على أذى
 هؤلاء الكفار كما صبر نوح على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة) أي آخر الامر بالطرف في الدنيا وبالغور
 في الآخرة (للتقين) كما عرفته في نوح وقومه ولك فيه أسوة حسنة (والى عاد أياهم) أي ولقد أرسلنا
 الى عاد واحدا منهم في النسب نبيهم (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من اله غيره) بالرفع
 صفة للمحل وبالجر على قراءة الكسائي صفة لاغظ (ان أنتم الامغثرون) أي كاذبون في قولكم ان الاصنام
 تسحق العبادة (يا قوم لا أسألكم عليه) أي على ارشادكم الى التوحيد (أجران أجرى الاعلى
 الذي فطرني) أي خلقتني (أفلاتعون) اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام (ويا قوم استغفروا
 ربكم) أي سلوه أن يغفر لكم مائة - دم من شرككم (ثم توبوا اليه) من بعد التوحيد بالندم على
 ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا للمثله (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير السيلان
 (ويرزكم قوة الى قوتكم) بالماء والولد والشدة في الاعضاء قبل حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين
 وعقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (ولا تتولوا مجرمين) أي ولا تعرضوا عما أدعواكم اليه مصرين على
 آثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بهجة (وما نحن بباركي آلهتنا) أي بتاركي عبادتها (عن
 قولك) أي لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) أي بصدقةين بالرسالة (ان نقول الاعتراف بعض
 آلهتنا بسوء) أي ما نقول في شأن الاقولنا اصابك بعض آلهتنا يجنون لانك شتمتها ومنعت عن عبادتها
 (قال ان أشهد الله) على (واشهدوا) أنهم على (أنى برى) مما تشركون من دونه (أي من اشراككم
 آلهة من دون الله (فكيدون جميعا) أي فاعملوا في هلاكى أنتم وآلهتكم جميعا (ثم لا تنظرون) أي

لا تؤجلوني (إني توكلت على الله ربّي وربكم) أي إني فوضت أمري إلى الله مالكي ومالككم (مأمن دابة الأهل أخذ بناصيتها) أي مأمن حيوان الأهل ونحت قهره وقدرته وهو منفاد لقضائه وقدره (إن ربّي على صراط مستقيم) أي أنه تعالى وإن كان قادراً على عباده لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) أي فإن تعرضوا عن الإيمان والتوبة لم أعاتب على تقصيري إلا بلاغ لاني قد أبلغتكم وصرتم محجوجين من الله تعالى لأنكم أصررتم على التكذيب (ويستخلف ربّي قوماً غيركم) أي يخلق ربّي بعدكم من هو خير منكم وأطوع وهذا إشارة إلى نزول عذاب الاستمصال (ولا تضرروني شيئاً) أي لا ينقص هلاككم من ملك الله شيئاً (إن ربّي على كل شيء حفيظ) فيحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا الذي نبيى وهو السهم التي تدخل من أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقرعهم في الجوف وتصرعهم على الأرض على وجوههم فتقطع أعضائهم (فنجينا هوداً والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كآثمة (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) وهو العذاب الآخرى (وتلك) القبيلة (عاد) يجحدوا بآيات ربهم) أي دلالة المعجزات على صدق هود (وعصوا رسله) وجمع الرسول مع أنه لم يرسل إليهم غير هود لبيان أن عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقة واللاحقة لا تنافي في كلامهم على التوحيد (واتبعوا أمراً كل جبار) أي مرتفع مقرد (عنيد) أي منازع معارض أي واتبع السفلة أمر رؤسائهم الذعالة الضلال وإلى تكذيب الرسل (واتبعوا في هذه الدنيا الغنى ويوم القيامة) أي جعل الأبعد من رحمة الله تعالى ومن كل خير مصاحباً لهم وملازم في الدنيا والآخرة (ألان عاداً كفر واربعهم) أي كفروا بربهم (ألان بعد العاد) وهذا دأبهم بالهلاك وتحقيرهم (قوم هود) عطف بيان له أدوه هذه عاد قديمة واحترز به عن عاد ثمانية أرم ذات العماد (وإلى عمود أنجاهم صالحاً) وعمود اسم أبي القبيلة وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتي سنة ومائتين سنة (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالككم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض) فإن الإنسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم وهو متولد من الأغذية وهي إما حيوانية وإما نباتية فأنشأها الحيوانية إلى النبات وهو متولد من الأرض فنبت أن الله تعالى أنشأ الإنسان من الأرض (واستعمركم فيها) أي جعلكم سكان الأرض وصيركم عامرين لها أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة أعماركم ثم تتركونها للغيركم (فاستغفروه) أي آمنوا بالله وحده (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره (إن ربّي قريب) بالعلم والسمع والرحمة (محجب) دعاء المحتاجين بفضله ورحمته (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي قبل نهيك إيانا عن عبادة الأوثان لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد فإنك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفائنا وتعود مرضانا فتقوى رجاءنا فيك أنك من الاحباب ومن أنصاريك كيف أظهرت العداوة ثم قالوا متحجبين تعجباً شديداً (ثم إننا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أي ما عبدوه من الأوثان (وانتالفي شك) عما تدعون إليه) من التوحيد وترك عبادة الأوثان (مريب) أي موقع في اضطراب القلوب وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم) أي أخبروني (إن كنت) في الحقيقة (على بينة) أي بصيرة وبرهان (من ربّي وأتاني منه رحمة) أي نبوة (فإن ينصروني من الله) أي من ينجيني من عذابه (أن عصيته) أي بالساهلة في تبليغ الرسالة وفي المجازاة معكم (فإن يردوني غير تخسير) أي فإن يردوني بما تقولون غير بصيرة في خسارتكم أي وما زادني

قولكم الا قول لكم انكم لخاسرون (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) أي معجزة دالة على صدق نبوت
 فان الله خلقها من الصخرة في جوف الجبل حاملا من غرذ كرم على تلك الصورة دفعة واحدة وقد حصل
 منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم (فذروها) أي فاذركوها (نأكل في أرض الله) أي ترع نباتها
 وتشرب ماءها فليس عليكم كلفة في مؤنتها وكانت هي تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا يتفنون بلبنها
 (ولا تمسوها بسوء) أي لا تضر بوبها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من سوء (فياخذكم عذاب قريب)
 أي عاجل لا يترأخ عن مسكن لها بالسوء الا يسرا وهو ثلاثة أيام (فمفروها) أي فقتلها اقدار بن
 سالف ومصدق بن زهر وقيل زينت عقربها الحمم عذرة أم غنم وعدة بنت المختار فضر بها اقدار بأمرهم في
 رجلها فاولو معها فذبحوها وقسموا لحمها على ألف وخمسمائة دار (فقال) لهم صالح بعد قتلهم لها (تقتلوا)
 أي عيشوا (في داركم) أي في بلادكم (ثلاثة أيام) من العدة الاربعاء والخميس والجمعة ثم يأتيكم
 العذاب في اليوم الرابع يوم السبت وانما أقاموا ثلاثة أيام لان الفصيل راقي ثلاثة وانفجرت الصخرة بعد
 رغبته فدخلها ولما عقر والناقة أنذرتهم صالح بنزول العذاب ورغبهم في الايمان فقالوا يا صالح وما علامة
 العذاب فقال تصير وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني حمرة وفي الثالث مسودة وفي الرابع
 يأتيكم العذاب صبيحته (ذلك) أي نزول العذاب عقب ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا)
 أي هذابنا (فجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمتنا ومن غوى ومثذ) أي ونجينا صالحا والذين آمنوا
 معه من العذاب الغلال قوم الكافرين ومن الخزي الذي لهم وبقي العيب منسوب اليهم لان معنى
 الخزي العيب الذي يظهر فضيخته ويستحي من مثله وقرأ السكسائي وناق في رواية ورش وقانون هذا
 وفي المعارج يومئذ يفتح الميم لاضافة يوم الى اذ وهو بني فيه كون مبنيا والباقيون بكسر الميم فيهما لاضافة يوم
 الى الجملة من المبتدأ والخبر فلما قطع المضاف اليه عن اذنون ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الال
 لسكونها وسكون التنوين ولم يلزم من اضافة يوم الى المبنى أن يكون مبنيا لان هذه الاضافة غير لازمة لان
 ربك هو القوى العزيز) فانه أوصل ذلك العذاب الى الكافر وصان أهل الايمان عنه وهذا التمييز
 لا يصح الا لمن القادر الذي يقدر على قهر طبائع الاشياء فجعل الشيء الواحد بالنسبة الى انسان بلا وعذابا
 وبالنسبة الى انسان آخر راحة وريحانا (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) مع الزلزلة أي صيحة جبريل فقد
 صاح عليهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في
 صدورهم فماتوا جميعا (فأصبعوا في ديارهم جائعين) ميتين لا يتحركون ولا يضطربون عند ابتداء نزول
 العذاب ساقطين على وجوههم (كان لم يغنوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا في بلادهم فانهم صاروا رمادا
 (ألا ان غود كفر واربعهم الابد الغود) قوم صالح من رحمة الله (ولقد جاءت رسالتنا ابراهيم) من الملائكة
 جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبرى) أي متلبسين بالبشارة له بالولدين سارة (فأرسلنا) أي
 سلمنا عليهما سلاما (قال سلام) أي قال ابراهيم أمرى سلام أي لست مریدا غير السلامة وقرأ حمزة
 والسكسائي هنا وفي الذاريات بكسر السين وسكون اللام (فالمبث) أي ابراهيم (أن جاء بهل) أي في
 الحية بولد بقره (حنيد) أي مشوى على حجارة بحماة في حفرة في الارض فوضعه بين أيديهم (فلما رأى
 أيديهم لا فصل اليه) أي الجهل (نكرهم) أي أنكرهم (وأوجس) أي أدرك (منهم خيفة)
 وظن أنهم لصوص حيث لم يأكلوا من طعامه فلما علموا خوفه (قالوا لا تخف) مننا ابراهيم (انا أرسلنا)
 بالعذاب (الى قوم لوط) وهو ابن هاراب أخى ابراهيم (وامرأته قائمة) تخدم الاضياف وتسمع مقالاتهم

وإبراهيم عليه السلام جالس معهم (فصحكت) أي ففرحت سارة بزوال الخوف عنها وعن إبراهيم
 وبحصول البشارة بحصول الولد. هلاك أهل الفساد وقال بجاهد وعكرمة أي حاضت سارة عند فرحتها
 بالسلامة من الخوف فلما ظهر حيضها بشارت بحصول الولد (فبشرناها بمحقق) على السنة فزسلنا وانما
 نسبت البشارة لسارة دون سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنها كانت أشوق إلى الولد منه لأنها كانت لم يأتها ولد
 قط بخلافه فقد أتاه اسمعيل قبل أمحق بثلاث عشرة سنة (ومن وراء أمحق يعقوب) قرأ ابن عاصم
 وحزرة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب أي ووهبنا يعقوب من بعد أمحق والباقون بالرفع على
 الابتداء أي ومن بعد أمحق يعقوب مولود (قالت يا ويلتنا) هي كلمة تعال للتعجب عند أمر عظيم أي
 يا ذل أحضرت هذا وإن حضورك (أألدنا عجوز) بنت ثمان وتسعين سنة (وهذا بعل) أي زوجي
 (شيخنا) ابن مائة وعشرين سنة (إن هذا) أي حصول الولد من هريمن مثلنا (لشيء عجيب) بالنسبة
 إلى سنة الله تعالى المسلوكة في عبادته ومقصودها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب
 العادي لاستبعاد قدرته تعالى على ذلك (قالوا) أي الملائكة لسارة (أفجيبين من أمر الله) أي من
 قدرة الله (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي يا أهل بيت إبراهيم أي رحمة الله الواسعة لكل شيء
 وخيراته الغائضة منه بواسطة تلك الرحمة لازمة لكم لا تفارقكم فإذا رأيتم أن الله خرق العادات في
 تخصيصكم بهذه الكرامات العالمة فكيف يليق به التعجب (إنه حميد) أي فاعل ما يستوجب الحمد
 وموصل العبد المطيع إلى مراده (مجيد) أي كريم لا ينع الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن
 إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) أي فلما زال عن إبراهيم الخوف وحصل له
 السرور بسبب مجي البشري بحصول الولد جادل رسلنا في شأن قوم لوط حيث قال للملائكة حين
 قالوا انامهلكوا أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهملكونها قالوا لا قال
 فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم أن كان فيها رجل مسلم
 أتهملكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما نتخييه وأهلها إلا امرأته
~~سكانت من الغابرين~~ (إن إبراهيم لحليم) أي غير عجول على كل من أساء إليه فلذلك طلب
 تأخير العذاب عنهم رجاء أقدامهم على الإيمان والتوبة عن المعاصي (أواه) أي كثير التضرع إلى
 الله عند وصول الشدائد إلى الغير (منيب) أي رجاع إلى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم قالت الملائكة
 لإبراهيم (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أي اترك هذا الجدل (إنه قد جاء أمر ربك) بإيصال هذا
 العذاب إليهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) أي غير مصروف عنهم ولا مدفوع بمجدال ولا دعاء
 ولا غيرهما (ولما جاء رسلنا) أي هؤلاء الملائكة (لوطا مني هم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم
 ذرعا) أي صدر لانهم انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط عليهم السلام ودخلوا عليه في صور شبان مرد
 حسن الوجوه يخافون ان يقصدهم قومه وإن يجزع عن امدافعتهم وبين القرية بين أربع فراسخ (وقال هذا
 يوم عصب) أي شديد على فلما دخلت الملائكة دار لوط عليه السلام ولم يعلم بذلك أحد خرجت امرأته
 الكافرة فأخبرت قومها وقالت دخل دارنا قوم ما رأيت أحسن وجوها ولا أنظف ثيابا ولا أطيب رائحة
 منهم (وجاءه) أي لوطا وهو في بيته مع أضيافه (قومه يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (إليه)
 لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أي والحال من قبل مجي هؤلاء الملائكة إلى لوط (كانوا
 يعملون السيئات) وهي أتيان الرجال في أدبارهم أي فهم معتادون لذلك فلا حياء عندهم منه (قال) أي لوط

(يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) أي فتر وجوههن والمراد بالجمع ما فوق الواحد لما صحت الرواية أن لسيدها
لوط عليه السلام بنتين فقط وهم ازنتا وزعورا وقال السدي اسم الكبرى ربا والصغرى رغبونا وكان في
ملته يجوز تزوج الكافر بالسلمة أو قال ذلك على سبيل الدفع لا على سبيل التحقيق وكانوا يطلبونهم من
قبيل ولا يجيبهم فغضبهم وعدم كفائهم لالعدم جواز تزويج المسلمات من الكفار (فاتقوا الله) بترك
الفواحش (ولا تخزون في ضيفي) أي لا تخجلوني في أضيافي لأن مضيف الضيف يلزمه الحجابة من
كل فعل فبج بوصول إلى الضيف (أليس منكم رجل رشيد) يهتدي إلى الحق ويرعوي عن الباطل
ويردهؤلاء الأوباش عن أضيافي (قاوا لقد علمت) يالوط (مالنا في بناتك من حق) أي شهوة أي
أنك قد علمت أن لا سبيل إلى المناكحة بيننا وبينك (وانك أنت تعلم ما تريد) من اتيان الذكران (قال)
لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) أي لو قويت على دفعكم بنفسى أو رجعت إلى عنبرة قوية
لما لغت في دفعكم وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه من ينسب بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق
مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله تعالى إلى أهل شذوم وهي قرية عند حصص أو المعنى لو قويت على
الدفع لدفعتمكم بل أعتصم بعناية الله تعالى (قاوا) أي هؤلاء الملائكة (يالوط انما أرسل ربك لن يصلوا
إليك) بضرر فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم
فطمس أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان
في بيت لوط قوما مسخرة (فأسر بأهلك بقطع من الليل) أي فأخرج مع أهلك في نصف الليل لتستقوا
العذاب الذي موعده الصبح (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبالرفع أي
لا يتأخر منكم أحد إلا امرأتك وأعلة المناقعة والباقون بالنصب والمعنى لا ينظر أحد إلى ورائه من قبل أو من
أهلك إلا امرأتك وإنما نزعوا عن الالتفات ليسرعوا في السير فان من يلتفت إلى ما ورائه لا يتخون أدنى
وقفة وهذه القراءة تقتضي كون لوط غير مأثور بالأسراع أو قراءة الرفع تقتضي كونه مأثورا بذلك (أنه
مصيبها) أي امرأتك (ما أصابهم) من العذاب (ان موعدهم الصبح) أي ان وقت عذابهم
وهلاكهم الصبح لأنه وقت الراحة لخلول العذاب حينئذ أفظم وهذا تعليل للنهي عن الالتفات المشعر
بالحث على الأسراع (أليس الصبح بقريب) وهذا تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع إلى الأسراع
في الأمر للتسارع عن مواضع العذاب (فلما جاء أمرنا) أي وقت عذابنا وهو الصبح (جملنا عاليها)
أي على قرى قوم لوط وهي خمس مدائن فيها أربع مائة ألف ألف (ساقطها) روى ابن جبريل عليه
السلام أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها إلى السماء حتى مع أهل السماء
نهبق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنسكفي لهم حرمة ولم ينسكب لهم إنا ثم قلبها دفعة واحدة
وضربها على الأرض (وأما طرنا عاليها) أي على أهل تلك القرى الخارجين عنها في الأسفار وغيرها
(بحجارة من سجيل) أي من طين متحجر (منصود) أي مكان بعض الحجارة فوق بعض في النزول
(مسومة) أي مخططة بالسواد والخمرة والبياض أي كان عليها علامة تتميز بها عن حجارة الأرض
(عند ربك) أي في خزائنه التي لا يتصرف فيها أحد إلا هو (وما هي من الظالمين ببعيد) أي ما هذه
الحجارة من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها أي فإن الظالمين حقيق بأن تطر عليهم
(وإلى مدین) أي وأرسلنا إلى أولاد مدین بن إبراهيم عليه السلام (أناسهم) في النسب (شعيبا)
قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا (مالكم من الله غيره ولا تنقصوا المكيا والميزان)

أى لا تنقصوا حقوق الناس بالكيل والوزن (ان اراكم بخير) أى ملتبسين بسعة تغنيكم عن النقص
 (وانى أخاف عليكم) ان لم تعرفوا بالكيل والوزن (عذاب يوم يحيط) أى يحيط بكم ولا ينفلت منكم
 أحد (ويأقوم أوفوا المكيال والميزان) أى أتموها (بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
 (ولا تجسوا الناس) بسبب عدم اعتدالهما (أشياءهم) أى أموالهم التى يشترونها بها (ولا تغشوا فى
 الأرض مفسدين) أى ولا تعملوا فى أفساد مصالح الغير فان ذلك فى الحقيقة أفساد مصالح أنفسكم
 (يقبى الله خير لكم) أى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق التطفيف
 (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى ما التى لكم وقرئ تغية الله بالفوقية أى تقواه تعالى عن المعاصي
 (وما أنعم الله عليكم بحفيظ) أى أحفظكم من القبائح ولست بحافظ عليكم نعم الله اذ لو لم تتركوا هذا العمل
 القبيح زالت النعم عنكم (قالوا يا شعيب أصلك تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل فى
 أموالنا ما نشاء) وقوله وأن نفعل معطوف على ما يعبدوا ومعنى الواو والمعنى هل صلاتك تأمرك
 بتكليفك ايانا ترك عباد ما يعبد آباؤنا من الاوثان وترك فعلنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة
 والنقص روى ان شعيبا كان كثير الصلاة فى الليل والنهار وكان قومه اذ ارأوه يصلى تغامروا
 وتضاحكوا فقصهوا بقولهم أصلك تأمرنا بالسخرية (انك لانت الحليم الرشيد) أى كنت عندنا
 مشهورا بأنك حليم رشيد فكيف تنها عن دين الفينا من آباؤنا (قال يا قوم ارايتم ان كنتم على بينة
 من ربى) أى علم وهداية ودين ونبوة (ورزقنى منه) أى من عنده باعائه بلا كد منى (رزقا حسنا) أى
 مالا حلالا فهل يجوز لى مع هذا الانعام العظيم ان أخون فى وحيه وأن أخالقه فى أمره ونهيه وهذا الجواب
 مطابق لقولهم لسيدهنا شعيب انك لانت الحليم الرشيد فكيف يليق بك مع حاكم ورشدك أن تنها عن
 دين آباؤنا فكان شعيبا قال ان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرنى بهذا التبليغ والرسالة فكيف
 يليق بى مع كثرة نعم الله تعالى على ان أنال أمره ومعنى الآية على هذا الوجه يا قوم اخبرونى ان كنتم
 نبيا من عند الله تعالى وورزقنى مالا حلالا أستغنى به عن العالين أيصح ان أخالف أمره وأوافقكم فيما
 تأتون وما تذرون (وما أريد أن أخالقكم الى ما أنهاكم عنه) أى ليس مرادى ان أمنعكم عن التطفيف
 وان أفعله (ان أريد الاصلاح ما استعطت) أى ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتى مدة استعاطعتى للاصلاح
 لا أقصر فيه والمعنى انكم تعرفون من حالى انى لأسعى الا فى الاصلاح وازالة الخصومة حتى انكم أقررت
 بأنى حليم رشيد فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايداء الناس فأعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضى منه ايقاع
 الخصومة فانكم تعرفون انى أبغض ذلك الطريق وادور الاعلى ما يوجب الاصلاح به درطائفى وذلك
 هو الابلاغ والانذار (وما توفيقى) أى ما قدرنى على تنفيذ كل الاعمال الصالحة (الا بالله) أى الابعونه
 وهدايته (عليه توكلت) أى عليه تعالى اعتمدت فى جميع أمورى (واليه اتيب) أى عليه أقبل
 (ويا قوم لا يجرمكم شقاقى) أى لا تكسبنكم معاداتكم لى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح)
 من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة (وما قوم لوط منكم
 بعيد) أى وما خبر اهلاك قوم لوط بالحسف منكم بعيد فان لم تعتبروا بمن قبلكم من الأمم
 المعدودة فاعتبروا بهم فان بلادهم قريبة من مدین واهلاكهم أقرب الاهلاكات التى عرفها الناس فى
 زمان شعيب (واستغفروا ربكم) عن عبادة الاوثان (ثم توبوا اليه) عن النجس (ان ربى رحيم)
 أى عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أى محب لهم (قالوا يا شعيب ماننقه كثيرا بما نقول) أى مانفهم

مرادك وانما قالوا ذلك لانهم لم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى المنع عن طريق الحق كما هو دين المقوم
المحجوج (وانما انكأ فينا) أي فيما بيننا (ضعيفا) أي لا تقدر على منع القوم عن نفسك ان أرادوا
بك سوءا (ولولا رهطك) أي لولا حرمة قومك عندنا بسبب كونهم على ملتنا (لرحمتك) أي
لعتلتك بالحجارة أو لشتتلك وطررداك (وما أنت علينا بعزير) أي معظم فيسهل علينا قتلك واذا أولئك
وانما غنم من ذلك لرعاية حرمة غير تلك الموافقة لهم لثاني الذين لا القوة شوكتهم (قال) لهم (يا قوم
أرهطى أعز عليكم من الله) والمعنى حفظكم أي رعاية لا من الله تعالى أولى من حفظكم أي رعاية
لحق رهطى فأن الله تعالى أولى ان يتبع أمره (وانخذعوه راءكم ظهر يا) أي جعلتموا الله شيئا منكم وذا
خلف ظهره منسيلا يعمله (ان ربي بما تعملون) من الاعمال السيئة (محيط) أي عالم فلا يخفى
عليه شيء منها فيجازيكم عليها (و يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على غاية استطاعتكم من ايصال
الشرور الى (ان عامل) بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ومن هو كاذب) أي سوف تعرفون الشقي الذي يأتيه عذاب يهلكه والذي هو كاذب في ادعاء القوة
والقدرة على رحمة شعيب عليه السلام وفي نسبته الى الضعف (وارتقبوا) أي انتظروا عاقبة ما أقول
(اني معكم رقيب) أي منتظر (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا (نجينا شعيبا والذي آمنوا معه) من ذلك
العذاب (برحمة منا) أي بسبب رحمة كانته منا لهم (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل
والزلزلة أيضا فأهلكوا بها (فأصبحوا في ديارهم جاهدين) أي مبشرين ملازمين لما كنتم (كان لم يغنوا
فيها) أي كانوا لم يقيموا في ديارهم احياء مترددين (ألا بعد المدين) أي هلا كالقوم شعيب (كما بعدت
نمود) أي كاهلكت قوم صالح أي فأنهم أهلكوا كل شئ من العذاب وهو الصيحة إلا أن هؤلاء صبح بهم من
فوقهم وأولئك من تحتهم وهذا في أهل قرية شعيب وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب النفلة وهو نار
زلزلت من السماء أحرقتهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) أي ولقد أرسلنا موسى
بالتوراة مع ما فيها من الاحكام وأيدناه بمعجزات قاهرة تداله على صدق نبوته ورسالته (الى فرعون
وملئه) أي جماعته (فاتبعوا أمر فرعون) أي أمرا ياهم بالكفر بجوسي ومعجزاته (وما أمر
فرعون برشيد) أي برشد الى خير فإنه كان دهر ياتيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله وانما يجب
على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبودية رعايته لمصلحة العالم (يقدم قومه) أي يقود
قومه جميعا (يوم القيامة فأوردهم النار) أي ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال وفي دخول البحر
والغرق في الدنيا فكذلك يتقدمهم يوم القيامة في دخول النار والخرق (وبئس الورد المورود) أي
بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يرا داتسكن العطس وتبريد الا كباد النار على ضد ذلك
(وأطيعوا) أي الملائكة الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أي في الدنيا (لعنة) من الانهم بعدهم الى يوم
القيامة (ويوم القيامة) أيضا من أهل الموقف قاطبة (بئس الرفد المرفود) أي بئس العود المعان
عونهم أي بئس اللعنة الاولى المعان باللعنة الثانية عونهم وهي اللعنة في الدارين ومحييت اللعنة عون الانها
اذ اتبعتمهم في الدنيا أبعدتهم عن رحمة الله واحاطتهم على ما هم فيه من الضلال ومحييت رفد أي عون هذا
المعنى على التهلكة ومحييت معان لانها أرفدت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديين الى طريق الجحيم
(ذلك) أي الذي ذكرناه في هذه السورة من القصص السبعة (من أنباء القرى نقصه عليك) أي
ذلك بعض أخبار القرى المهلكة بجنابية أهلها مقصوص عليك لتخبر به قومك لعلمهم به تبرؤا لا فينزل

بهم مثل ما نزل بالقرى المهلكة (منها) أى القرى (قائم) أى أثر باقى (و) منها (حصيد) أى
 ذاهب الأثر فشيء ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما حى منها بالزرع المحصود
 (وما ظلمناهم) بالعذاب والهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية (فما أغنت عنهم
 آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) أى فما نفعتهم أصنامهم الذين يعبدونها فى
 شئ البتة ولا دفعت شيئا من عذاب الله عنهم حين جاءهم (وما زادهم غير تنبيه) أى وما زادت
 الأصنام عاجلهم غير اهلاك فإن الكفار كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع
 المضار ثم زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد مناقم الدنيا والآخرة وجلب اليهم مضار الدنيا والآخرة فكان
 ذلك من أعظم وجبات الحسرة وقرئ آلهتهم اللات بالجمع ويدعون بالبناء للعبهون (وكذلك
 أخذ ربك إذا أخذ القرى) وقرأ عاصم والجحدري إذا أخذ بألف واحدة (وهى ظالمات) أى ومثل
 ذلك الأخذ المذكور أخذ ربك أهل القرى إذا أخذهم وهم ظالمون أنفسهم بالكفر أى ان كل من
 شارك أولئك المتقدمين فى فعل ما لا ينبغي فلا بد وان يشاركهم فى ذلك الأخذ (ان أخذهم ألم شديد)
 أى وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص (ان فى ذلك) أى القصص السبعة (آية) أى
 لموعظة (لن خاف عذاب الآخرة) فينتفع بسماع هذه القصص ويعلم ان القادر على ازال عذاب الدنيا
 قادر على ازال عذاب الآخرة فإن فى هذه القصص عذاب الدارين وقد حصل عذاب الدنيا (ذلك) أى
 يوم الآخرة (يوم يحجوه له الناس) أى يحجمه فى ذلك اليوم الأولون والآخرون للعباسية والجزاء (وذلك
 يوم مشهود) أى يحضر فيه أهل السماء وأهل الأرض (وما يؤخره) أى ذلك اليوم (الا لاجل معدود)
 أى الا لاجل انقضاء وقت محدود وهو مدة الدنيا (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر (لأنك لم
 نفس الا بآذنه) أى الله تعالى فى التكلم فالأذن فى الكلام هو الجوابات الصحيحة والمنوع عنه هو
 ذكر الاعذار الباطلة (فهم) أى من أهل الموقف (شقي) أى من مات على الكفر وان تقدم منه
 ايمان (وسعيد) أى من مات على الايمان وان تقدم منه كفر (فأما الذين شقوا فى النار) أى
 فستقرون فيها (لهم فيها زفير) أى صوت شديد (رشهيق) أى صوت ضعيف (خالدین فيها ما دامت
 السموات والأرض الا ما شمار بك) والافى المعنى بمعنى واول العطف والاستثناء منقطع بقدر بل لكن
 أو بسوى فالعنى دائم فى النار مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت الى أن تفتنى وزيادة على هذه المدة
 وهى ما شاء الله مما لا نهاية له (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا فى الجنة
 خالدین فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شمار بك) أى مثل دوام السموات والأرض منذ خلقت
 سوى ما شمار بك زائد على ذلك وهو لا منتهى له (عطاء غير مجدود) أى غير مقطوع وعطاء نصب على
 المصدرية أى يعطيهم عطاء وهذا ظاهر فى انه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة منقطعة وما
 ذكر من ان عذاب الكفار فى جهنم دائم أبدا هو ما دل عليه الآيات والاخبار وأطبق عليه جمهور الأمة
 سلفا وخلفا ولا ظلم على الله فى ذلك لأن الكافر كان عازما على الكفر مادام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب
 بال دائم الأعلى دائم فلم يكن عذابه الاجزاء وقفا وقرا حرة والكسائى وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين
 والباقون بفتحها (فلاتك فى سرية عما يعبد هؤلاء) أى فلانك يا أشرف الخلق فى شك من حال ما يعبد
 كفار قريش من الأوثان فى انها لا تنفع لهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) أى ليس لهم فى
 عبادة الأصنام مستند الا تقليد آباؤهم فانهم أشبهوا آباؤهم فى لزوم الجهل والتقاليد (وانما هو قوم نصيبهم

غير منقوص) أي أئامه عطاها هؤلاء الكفرة ما ينقصهم من العذاب برصيصهم من الرزق والخبرات الدنيوية
تأما كما عطينا آباءهم أنصباهم من ذلك (ولقد أتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختار فيه) أي
في شأنه فأمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف قولك في القرآن فلا تخزن فإن ما وقع لك وقع لمن قبلك
(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) أي لا الحكم إلا بآمر ربك بتأخير العذاب عن امتك إلى يوم القيامة
لا وقع القضاء بين المختلفين من قولك بأنزال العذاب الذي يستحقه الملبطون ليعمروا به عن المحققين (وانهم)
أي وإن كفار قومك (لنفي شك) عظيم (منه) أي القرآن (مرتب) أي ظاهر الشك أو موقع
في الشك (إن كلا لما يوفينهم ربك أعمالهم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم أن ولما خففتم
وأبو عمرو والكسائي شددان وخففوا ما وحزة وابن عامر رخص شددوهما أي وإن كل المختلفين فيه
المؤمنين منهم والكافرين والله لغريق يوفيه ربك أجره أفعالهم أو المعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم
الآية قالوا وأحسن ما قيل إن أصل لما بالتموين بمعنى جميعا (أنه بما يعملون خبير) أي إن ربك
بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير والشر عالم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وأن دقت (فاستقم
كما أمرت) أي مثل الاستقامة التي أمرت بها في العقائد والأعمال والأخلاق فإن الاستقامة في
العقائد اجتناب التشبيه والتعطيل وفي الأعمال الاحتراز عن الزيادة والنقصان وفي الأخلاق التمسك
عن طرفي الإفراط والتفريط وهذا في غاية العسر وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيئا تنهى هودا وأخواتها فقال نعم فقلت وبأي آية فقال بقوله تعالى فاستقم
كما أمرت (ومن أب معك) من الكفر وشاركك في الإيعان فمن منصوب على أنه مفعول معه أو مرفوع عطف
على الضمير في أمرت (ولا تطغوا) أي لا تتخرفوا عما أحذركم بأفراط أو تفريط فإن كلا طرفي قصده
الأمور مذموم (أنه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك (ولا تتركوا إلى الذين ظلموا) أي ولا تعملوا
أدنى ميل إلى الذين وجد منهم الظلم (فتمسك النار) أي فتصيبكم بسبب ذلك (وما ليكم من دون الله
من أولياء) أي من أنصار ينفذونكم من النار (ثم لا تنصرون) من جهة الله تعالى قال المحققون إن كون
المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم ومشاركتكم في شيء من تلك الأبواب فأمام ما دخلتم لدفع
ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة تغردا في الزكوة (وأقم الصلاة طرفي النهار) أي غرورة وعشية فالصبح
في الغدوة والظهر والعصر في العشية (وزلغ من الليل) أي ساعات منه قريبة من النهار وهي المغرب
والعشاء (إن الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيئات) أي يكفرنهما وفي الحديث إن الصلاة
إلى الصلاة كفارة لما بينهما مما اجتنب الكفار روي أن أبا اليسر بن عمرو الأنصاري قال أتتني امرأة
تستري تمرأفت لها أن في البيت تمرأطيب من هذا فدخلت معي البيت فقبلتها فأثيت أبا بكر فذكرت
ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأثيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا
تخبر أحدا فلم أصبر حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لي أخت رجلنا غاريبا في
سبيل الله في أهلها مثل هذا وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى زلت هذه الآية فقرأها على
فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت (ذلك) أي القرآن (ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتعتلين
أو ذلك الحسنات كفارات للذنوب الثابتين (وأصبر) بأشرف الخلق على مشاق ما أمرت به (فإن الله
لا يضيع أجر المحسنين) أي إن الله يوفي الصابرين أجور أعمالهم من غير بخش أصلا (فلولا كان
من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض لأقلية لا آمن أن نجينا منهم) والمراد بالمعصيين

النبي أي فما كان من القرون الماضية المهلكة بالعذاب جماعة أصحاب جودة في العقل وفصل يهون
 عن الفساد الا قليلا وهم من أنجيناهم من العذاب فهو عن الفساد (واتبع الذين ظلموا ما أترقوا فيه)
 أي واتبع الذين تركوا النهي عن المنكرات ما أنعموا من الشهوات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وأعرضوا
 عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أي كافرين فإن سبب استئصال الأمم المهلكة فسو الظلم وشروع ترك النهي
 عن المنكرات مع الكفر (وما كان ربك ليملك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أي لا يملك ربك أهل
 القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات بينهم أي أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل
 كون القوم معتقدين لاشرك بل إنما ينزل ذلك إذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الأذى للناس وظلم الخلق
 لقرط مساحتته تعالى في حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوقه تعالى عند تراحم الحقوق (ولو شاء
 ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي أهل ملّة واحدة وهي الاسلام بحيث لا يختلف فيه أحد ولو كان لم يشأ
 ذلك (ولا يرالون مختلفين إلا من رحم ربك) أي ولا يرالون مختلفين لدين الحق الا قوم اهداهم الله تعالى
 بفضله اليه فلم يخالفوه (ولذلك خلقهم) أي ولما كور من الاختلاف والرحمة خلق الناس كافة فان الله تعالى
 خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ومصرهم النار وخلق أهل الحق وجعلهم متقين ومصرهم الجنة
 (ونعت كلمة ربك) أي ثبت قول ربك (لأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفارهما
 أجمعين (وكلا) أي كل نبيا (نقص عليك من أنباء الرسل) أي من أخبارهم وما جرى لهم مع قومهم
 (ما ثبت به قوادك) أي ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتمسك بالرسول الذين خلوا من قبلك
 (وجاءك في هذه) الانباء المقصودة عليك (الحق) أي البراهين الدالة على التوحيد والنبوة
 (وموعظة) أي تنفير عن الدنيا (وذكرى للؤمنين) أي ارشادهم الى الاعمال الصالحة (وقل للذين
 لا يؤمنون) بهذا الحق (اعملوا على مكانتكم) أي ثابتين على حالتكم وهي الكفر (انما طامنون)
 على حالتنا وهي الايمان أو المعنى افعلوا كل ما تقدرون عليه في حق من الشرك فتم عاملون على قدرتنا
 والمراد بهذا الامر التهديد (وانظروا) ما بعدكم الشيطان به من الخذلان (انما ينتظرون) ما وعدنا
 الرحمن من أنواع الغفران والاحسان (ولله غيب السموات والارض) فان علمه تعالى نافذ في جميع
 الكلمات والجزيئات والحاضرات والغائبات عن العباد (واليه يرجع الامر كله) أي أمر الخلق كله
 في الدنيا والآخرة (فاعبدوه) أي فاشتغل بالعبادات الجسدانية والروحانية أما العبادات الجسدانية
 فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السككات الصيام وأنفع البر الصدقة وأما العبادات الروحانية فهي الفكر
 والتأمل في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت السموات والارض (وتوكل عليه) أي ثق به تعالى في
 جميع أمورك فإنه كافيك (ومار ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالناء على الخطاب
 أي فإنه تعالى لا يضيع طاعات المطيعين ولا يملأ أحوال المتمردين الجاحدين وذلك بأن يحضر راي
 موقف القيامة ويحاسبوا على النقيير والطمير ويعاقبوا في الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر
 فريق في الجنة وفريق في السعير

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية وألف وتسعمائة﴾

وست وتسعون كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا ﴿﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا واحد ثمان

أمر يعقوب وولد يوسف ففرقت هذه السورة (التي تلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات
 التي نزلت اليك في هذه السورة المسماة الر هي آيات الكتاب المبين وهو القرآن الذي بين الهمدي وقصص
 الاولين (انا أنزلناه) أي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرأنا عربيا عليكم
 تعقلون) أي لكي تفهموا معانيه في أمر الذين قتلوا أن قصه كذلك عن لم يتعلم القصص مجزلا يتصور
 الا بالاجزاء (لنقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بسبب ايجازنا اليك
 يا أكرم الرسل هذه السورة لما فيه من العبر من انه لا مانع من قدر الله تعالى وأن الحسد سبب للغد لان وأن
 الصبر مفتاح الفرج (وان كنت من قبله) أي وانه أي الشأن كنت من قبل ايجازنا اليك هذه السورة
 (لن الغافلين) عن هذه القصة لم تخضر ببالك ولم تفرع معك قط (اذ قال يوسف) منصوب بقال يا بني
 أي قال يعقوب يا بني وقت قول يوسف له كبت وكبت أو بدل من أحسن القصص بدل اشتمال (لايه)
 يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام (يا أبت اني رأيت) في منام النهار (أحد عشر
 كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن
 إحدى عشرة عصا طولا كانت موكوزة في الارض كهيئة الذرة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى
 ابتلعتها فذلك لآية فقال ياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة الشمس والقمر
 والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيمضوا لك الغوائل روى عن جابر رضي الله
 عنه ان يهوديا جاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رأى يوسف عليه
 السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم
 لليهودي اذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال جبريل والطارق والذبال وقابس وعمودان والغليق
 والمصيح والضروع والغرغور وناب وذوالكتفين وآهوا يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من
 السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله انهما لما هما (قال) أي يعقوب ليوسف في امر (يا بني
 لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) أي فيفعلوا لاجل هلاكك كيدا خفيا عن فهمك
 لا تتصدى لدافعتهم (ان الشيطان للانسان) أي لبني آدم (عدو مبين) أي ظاهرا للعداوة فلا يتصر
 في اضلال اخوتك وحملهم على الحسد وما لا خير فيه كما فعل بآدم وحواء واخوة يوسف الذين يخشى
 غوائلهم الاحد عشر هم يهود اور وبيبل وشعمون ولاوي ورياحون ويشجر ودينه فهو لا بنو يعقوب
 من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد وأشر فهو لا بنوهم من مريمة بن زلفة وبنو دينا بنامين فهو شقيق
 يوسف وأمه مراحيل التي تزوجها يعقوب بعد وفاة أختها ليا (وكذلك) أي كما اجتنبك لهذه الرؤية
 الدالة على كبر شأنك (يحيييك ربك) للنبوة (ويعلمك من تأويل الاحاديث) أي تعبيرا الرؤيا اذهي
 أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة (ويتم نعمته عليك)
 بسعادات الدنيا والآخرة أما سعادات الدنيا فالأولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال
 والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والخلق الفاضلة
 والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي أولاده (كأنعمها) أي نعمته (على
 أيوب من قبل) أي من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأيوب (ان يدرك علم
 حكيم) فانه أعلم حيث يجعل رسالته ومقدس عن العبث فلا يضع النبوة الا في نفس قدسية وهذا
 يقتضي حصول النبوة لأولاد يعقوب وأيضا لرؤية يوسف اخوته كواكب دليل على مصير أمرهم

الى النبوة فان الكواكب هندی بانوارها وكانت تأويها بأحد عشر نفسا لهم فضل يستضيء بعلمهم
ودينهم أهل الارض لانه لا شيء أضوء من الكواكب وأماما وقع منهم في حق يوسف فهو قبل النبوة
فالعصبة من المعاصي انما تعتبر وقت النبوة لا قبلها على خلاف في ذلك (لقد كان في يوسف واخوته)
أى في قصتهم (آيات) أى عبرات (للسائلين) أى لكل من سأل عن قصتهم وعرفها أو للطلابين
للآيات المعبرين بها فانهم المنتفعون بهادون من عداهم (اذ قالوا) أى بعض العشرة لبعضهم (ليوسف
وأخوه) الشقيق بنيامين بكسر الباء وفتحها (أحب الى أينا منا ونحن عصبة) أى والحمد لله الجماعة
فانهم يدفعون المفاسد والآفات مشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات وقائمون بمصالح الاب ففهم أحق
بزيادة المحبة منهما لفضله بذلك وكوننا أكبر سنا ونقل عن علي رضي الله عنه انه قرأ ونحن عصبة
بالنصب (ان أبانا في ضلال) عن رهاية المصالح في الدنيا (مبين) أى ظاهر الحال وانما خصص
على يوسف أبوه بالبر لانه كان يرى فيه من آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر الاولاد ولانه وان
كان صغيرا كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى مما كان يصدر عن سائر الاولاد قال شعرون
ودان والباقون كانوا ارضين الامن قال لا تقتلوا الخ (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يحصل
اليأس من اجتماعه مع أبيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى يقبل عليكم أبوكم بكلية ولا يلتفت الى
غيركم (وتكونوا من بعده) أى من بعد يوسف من قتله وتغريبه في أرض بعيدة (قوموا صالحين)
أى تأمّن الى الله تعالى من السجائر ومتفرغين لاصلاح أمور دنياكم وصالحين مع أبيكم باصلاح
ما بينكم وبينه (قال قائل منهم) أى من اخوة يوسف هو يوسف واخوته أقدمهم في الرأي والفضل وأقرهم
الى يوسف سنا (لا تقتلوا يوسف) وقال قتادة القاتل لاختوته روبيل حتى قال القتل كبيرة عظيمة
(وألقوه في غيابة الجب) أى في قعره وقرأنا في غيابة الجب هناء هو بئر بيت
القدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال ابن زيد هو بحيرة طبرية (بلتظه بعض السبيارة) أى
رفعه بعض طائفة تسير في الارض (ان كنتم فاعلين) عشورتي ولم يقطع القول عليهم بل انما عرض
عليهم ذلك تأليفا لعلهم وحذرا من نسبتهم له الى الاقييات أو ان كنتم فاعلين ما عزمت عليه من ازالته من
عند أبيه ولا بد فافعلوا هذا القدر أى القاء في البئر والاولى أن لا تفعلوا شيئا من القتل والتغريب (قالوا)
لا يبيهم اعمالا للحيلة في الوصول الى مقاصدهم مستهيمين على وجه التحجب لانه علم منهم السوء وهذا مبني
على مقدمات محذوفة وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى العهراء الى مواشينا فنتبع ونصيد
وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأه فتوقف يعقوب فقالوا له (يا أبانا مالك لاتأمننا على يوسف) أى
أى شيء ثبت لك لا نجعلنا أمنا عليه مع أنه اخونا وانك أبونا ونحن بنوك (و) الحال (ان الله لنا محزون)
أى لعاطفون عليه قائمون بعصمته وبحفظه أى هم انظر واعند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف وفي
غاية الشفقة عليه (أرسله معنا غدا) الى العهراء (يرتع) أى يتسع في أكل القواكه ونحوها
(ويلعب) بالاستباق والانتقال تمر بنا القتال الاعداء وبالأقدام على المساحات لاجل انشراح الصدر
للهو وقرأنا نافع وعاصم وحزرة والكسائي بخشنا تحتية على اسناد الفعل ليوسف لانهم سألو الرسل يوسف
معهم ليفرح هو باللاعب لا ليفرحوا به (وان الله لحافظون) من أن يناله مكروه (قال اني ليمزني أن
تذهبوا به) أى ليؤلم قلبي ذهابكم به لاني لا أصبر عنه ساعة (وأخاف أن يأكله الذئب) لكثرة الذئب
في تلك الارض (وانتم عنه غافلون) لا شئتم لكم بالاتساع في الملاذ وبخو القناضل (قالوا) لا يبيهم

(أثنى أكله الذئب ونحن عصبية) أي جماعة كثيرة عشرة تكفي المطلوب بأرائنا (أنا إذا) أي إذا لم
تقدر على حفظ أخينا (الخامسون) أي تقوم عاجزون وهذا جواب عن عذر يعقوب الثاني وأما عذره
الاول فلم يجيبوا عنه لكون غرضهم ابتغاه في الحزن ولكون حقدهم بسبب ذلك العذر وهو شدة حبه له
فتغافلوا عنه (الماذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) أي فأرسله معهم فلما ذهبوا به وعزموا
على جعله في ظلمة البئر جعلوه فيها قال السدي يوسف عليه السلام لما برز مع أخوته أظهر والله العداوة
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ولا يرى فيهم رحمة فضر به حتى كادوا يقتلوه
وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابلك لا بكالك فقال يهوذا أليس قد أعطيتهموني موتاً أن لا تقتلوه
فانطلقوا به الى الجب يدلونه فيه وهو متعلق بشعر البئر فترعوا فيصه وكان غرضهم أن يلطخوه بالدم
ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قيمي لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
لتؤنسك ثم دله في البئر حتى اذا بلغ نصفها لقوه ليحوت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى حفرة فقام
بها وهو يبكي فنادوه فظن ان رحمة أدرتهم فأجابهم فأرادوا أن يرفخوه به حفرة فقام يهوذا فخنسهم من ذلك
وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقى فيها ثلاث ليال وروى أنه عليه السلام لما ألقى في الجب قال يا شاهدا
غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غاليا غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجا ومخرجاً وروى أن ابراهيم
عليه السلام لما ألقى في النار جرد عن ثيابه فجاءه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه
فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في قميصه وعلقها في عنق يوسف فجاءه
جبريل فأخرجهم من القميص وألبسه اياه وروى أن جبريل قال له إذا رهبت شيئا فقل يا صريح
المستصرخين ويا غوث المستغثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكافئ وتعلم حالي ولا يخفى عليك
شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب (وأوحينا اليه) في الجب ازالة
لوحشته عن قلبه وتبشير الله سبحانه له باليه أمره وكان ابن سبع عشرة سنة (لتنبتهم بأمرهم هذا) أي
لتخبرن يا يوسف أخوتك بصنيعهم هذا بل بعد هذا اليوم (وهم لا يشعرون) في ذلك الوقت أنك يوسف
حتى يخبرهم لعلو شأنك وبعد ذلك عن أو هامل والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص عن هذه
الحنة ويصيرون تحت قهره وقدرته (وجاؤا بأهمل عشاء يبيكون) أي لما طرحوا يوسف في الجب
رجعوا الى أبيهم وقت العشاء في ظلمة الليل متباكين وقرئ عشاءا بالتصغير لغشي أي آخر النهار وقرئ
عشاء بالغم والقصر جمع أعشى فعند ذلك فرغ يعقوب وقال هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال وأنى
يوسف (قالوا يا أبانا أأذهبنا نسب) أي يسابق بعضنا بعضا في الرحمة الذي أن في قراءة عبد الله
أأذهبنا نسبنا (وتركا يوسف عند متاعنا) من ثياب وأزواد وغيرهما ليحفظه (فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا) أي بصدق لنا في هذه المقالة (ولو كاصادقين) أي ولو كاعندك موصوفين
بالصدق والنفقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سبي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصة)
أي فوق قيصة يوسف (بهم كذب) أي بهم ملابس لكذب وقرئ كذبا على أنه حال من الضمير أي جاؤا
كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بهم كذب بالدال المهملة أي كذرا وطري (قال بل
سولت لكم أنفسكم أمرا) أي قال يعقوب ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم أنفسكم أمرا غير
ما تصفون قيل لما جاؤا على قيصة بهم جدى وقد ذهلوا عن خرق القميص فلما رأى يعقوب القميص
مصحفا قال كذبتهم لوأكله الذئب لخرق قيصة وقال بعضهم بل قتله الاصوص فقال كيف قتله وتركا

فيصه وهم الى قيصره اخرج منه الى قتلته وقيل انهم اتوه مذنب وقالوا هذا كلف فقال يعقوب أيها الذئب
 أنت أكلت ولدي وغرته فزادى فأطلقه الله عز وجل وقال والله ما أكلت ولذلك ولا رأيت قط ولا يحل لنا
 أن نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت في أرض كنعان قال جئت لصلة الرحم قرابة لي
 فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب (فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل أو فصبر جميل أولى من
 الجزع وهو أن لا يشكوك في البلاء لا أحد غير الله تعالى (والله المستعان) أي المطلوب منه العون (على
 ما تصفون) أي على تحمل ما تصفون من هلاك يوسف وكان الله تعالى قد قضى على يعقوب أن يوصل
 اليه تلك الغموم الشديدة والهجوم العظيمة لكي يترجوه الى الله تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا
 فيصل الى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بعمل المحن الشديدة والله أعلم (وجاءت
 سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين يري دون مصر فأخطأ الطريق فانطلقوا يمشون في الأرض حتى
 وقعوا في الأرض التي فيها الحب وهي أرض دون مدين ومصر فنزلوا عليه (فأرسلوا لردهم) أي
 ساقهم ليطلب لهم الماء وهو من بني الارضية والدلاء فيتقدم الرفقة الى الماء يقال له مالك بن دعر الخزامي
 ابن أخي سيدنا شعيب عليه السلام وهو رجل من العرب من أهل مدين (فأدلى دلوه) أي فأرغى دلوه
 في جب يوسف فتعلق هو فلم يقدرا الساقى على نزعه من البئر فنظر فيه فرأى غلاما قد تعلق بالدلو فنادى
 أصحابه (قال يا بشري) أي يا أصحابي وقال الاعشى انه دعا امرأة امه باشرى وقال السدي انه نادى
 صاحبه واهمه بشري كما قرأه حمزة وعاصم والكسائي بغير ياء المتكلم بعد الالف المقصورة وقال أبو علي
 الفارسي والوجه أن يجعل البشري اسم البشارة فنادى ذلك بشارة لنفسه كأنه يقول يا أيها البشري هذا
 الوقت وقتك ولو كنت عن مخاطب لموطيت الآن ولا مررت بالحضور ويدل على هذا قراءة الباقيين يا بشري
 بفتح ياء المتكلم بعد الياء على الاضافة قالوا ما ذلك يا مالك قال (هذا غلام) أحسن ما يكون من الغلمان
 فكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أيض اللون غليظ الساعد
 والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذا تكلم ظهر
 من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه اه فاجتمعوا عليه فأخرجوه من الحب بعده كنه فيها ثلاثة أيام
 (وأمره بضاعة) أي أخفوه حال كونه متاعا للتجارة أي كتم الوارد مالك وأصحابه من بقة القوم بذلك
 لأنهم قالوا ان قلنا للسيارة المقطناه شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب ان نقول
 ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر (والله عليم بما يعملون) أي بما ينشأ من
 عمل اخوة يوسف ليوسف من ايقاعه في البلاء الشديد وهو سبب لوصوله الى مصر وانتقله في أحوال الى
 ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فرحم الله به العباد والبلاد (وشروه) أي باع يوسف
 من استخرجوه من البئر (بئس بخس) أي حرام (دراهم معدودة) فأنهم في ذلك الزمان كانوا
 لا يرون ما كان أقل من أربعين دينارا (وكانوا) أي البائعون (فيه) أي في يوسف (من الزاهدين)
 أي من الذين لا يرغبون لأنهم خافوا ان يظهر المستحق فينزع من يدهم فكذلك باعوه من أول مساوم
 بأوكس الاثمان (وقال الذي اشتراه من مصر) أي في مصر من مالك بن دعر وكان اشتراؤه بعشرين
 درهما وحلة ونعلين فالذي اشتراه في مصر هو قبطي خازن الملك الى يان بن الوليد وهو صاحب جنوده وقد
 أمن الملك بيوسف ومات في حياة يوسف عليه السلام فلما بعد قابوس بن مصعب فدعا يوسف الى
 الاسلام فأبى واشترى ذلك الوزير وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره

ريان بن الوائيد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة
 وعشرين سنة (الأسرأة) زليخا وقال ابن ابي عمير اسمها راعيل بنت رعيائيل (أكرمى مشوا) أى
 اجعل منزله عندك كريما حسنا مرضيا والمعنى أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) أى يقوم بأصلاح
 مهماتنا (أو نتخذوه ولدا) أى نتبناه وكان قطيع لا يأتى النساء (وكذلك مكنا يوسف فى الأرض) أى
 وكما نجينا يوسف من العتل والحب وجعلنا فى قلب الوزير حنوا عليه نعطيه مكانة أى رتبة عالية فى أرض
 مصر (ولنهلمه من تأويل الأحاديث) أى تعبیر بعض النامات التى أعظمها رؤيا الملك وصاحبى السجن
 وهذا عطف على مقدم متعلق بكنا أى جعلنا يوسف وجيهين أهل مصر ومحبيين فى قلوبهم لينشأ
 منه ما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنهلمه بعض تأويل الرؤيا (والله غالب على أمره) أى أمر
 نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه فى أرضه وسماؤه (ولكن أكثر الناس)
 وهم الكفار (لا يعلمون) ان الامر كله لله وان قضاء الله غالب فن تأمل فى أحوال الدنيا عرف ذلك
 (ولما بلغ أشده) وهو ما بين الثلاثين والأربعين (آتينا حكم وعلمنا) أى حكمه عملية وحكمه نظرية
 وانما قدم الحكمة العملية هنا على العلمية لأن أصحاب الرياض يستغلون بالحكمة العملية ثم يترقون
 منها الى الحكمة النظرية وأما أصحاب الأفكار العقلية والنظارات وحانية فانهم يصلون الى الحكمة
 النظرية أولا ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقه يوسف عليه السلام هو الاول لأنه صبر على البلاء
 والمحنة فتفتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات (وحص كذلك) أى مثل ذلك الجزء العجيب (نجزي
 المحسنين) أى كل من يحسن فى عمله وعن الحسن من أحسن عبادة ربه فى شيبته آتاه الله الحكمة فى
 اكتفائه (ورأودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طابت زليخا من يوسف ان يجامعها (وغلقت
 الأبواب) أى أبواب البيت السبعة ثم دعت الى نفسها (وقالت هيت لك) قرأنا فى ابن عامر فى دراية
 ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بضم التاء وفتحها مع فتح الهاء وقرأ هشام بن
 عمار عن أبي طاهر هيت بكسر الهاء وبالحمزة الساكنة وضم التاء والباءون بفتح الهاء واسكان الباء
 وفتح التاء وان قرأ هيت بفتح الهاء والتاء أو ضم التاء فنعنا متعال وبادرنا لك وان قرأت بكسر الهاء ثم
 بالحمزة الساكنة وضم التاء فنعنا تهيأت لك (قال) يوسف (معاذ الله) أى أعوذ بالله معاذنا
 تدعيتنى اليه (انه) أى الشأن العظيم (ربى) أى سيدى العزيز (أحسن مشوا) أى تعهدى
 حيث أمرت بأكرامى فلا يلىق بالعقل ان أجازه على ذلك الاحسان بالخيانة فى حرمه (انه) أى الشأن
 (لا يطلع الظالمون) أى المجازون للاحسن بالاساءة (ولقد همت به وهم بها) أى قصدت زليخا
 مخالطة يوسف مع التهميم وقصدت مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب لا بقصد اختيارى
 وذلك لما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكلف نفسه عن
 الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد
 ورضا مثل هم امرأة العزيز فإلعبده أخوذه بهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار
 ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذه مالم يتكلم أو يعمل (لولا ان رأى برهان ربه)
 أى لولا ان أيقن بحجة ربه الدالة على كمال قبح الزنا وجواب لولا محذوف أى لولا مشاهدته برهان ربه فى
 شأن الزنا الجرى على موجب مسئلة الجبلى لكنه حيث كان البرهان الذى هو الحكم والعلم حاضر لديه
 حضور من يراه بالعين فلم يهم أصلا والحاصل ان هذا البرهان عند المحققين الثبتين لعصمة الانبياء هو

بحجة الله تعالى في تحريم الزنا والعنم بما على الزاني من العقاب أو المراد برؤية البرهان حصول الاخلاق
 الحميدة وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الاقدام على المنكرات وقيل ان البرهان هو النعمة المانعة
 من اتيان الفواحش وقيل انه عليه السلام رأى مكتوباً في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
 وسامسيلاً وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف فقالوا انه رأى يعقوب غاضاً على ابهامه أو هتف به هاتف
 وقال له لا تعمل عمل السفهاء واحمل في ديوان الانبياء أو مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت منه
 من أنامله أو رأى كفاً من غير ذراع مكتوباً فيه وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهود الآية (كذلك)
 أي مثل ذلك التثبيت ثباتاً (لنصرف عنه السوء) أي مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة
 (والفحشاء) أي الزنا (انه من عبادة المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام في
 جميع القرآن أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى والباقيون يقع اللام أي الذين اختارهم الله لطاعته بأن
 عصمهم عما هو قاذح فيها وأخلصهم من كل سوء (واستيقا الباب) أي تسابقا الى الباب البراني الذي هو
 المخلص فان سبق يوسف ففتح الباب للخروج وان سبقت زليخا أمسكت الباب لمنع الخروج (وقد قيسه
 من دبر) أي شقت قيس يوسف من خلف بنصفين من وسطه الى قدميه فغلبها يوسف وخروج وخرجت
 خلفه (والقياسيدها) أي صادفازوجها قطفير (لدى الباب) أي البراني روى كعب رضي الله عنه أنه
 لما هرب يوسف عليه السلام صار فراس القفل يتناثر حتى خرج من الابواب (قالت) زوجهاتها ثقت من
 التهمة (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) قيل ان يوسف أراد ان يضربها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك
 بالنسبة اليها جازياً مجرى السوء فذكرت كلاماً بهما ثم خافت ان يقتله العزير وهي شديدة الحيلة
 فقالت (الآن يسجن أو عذاب أليم) أي ليس جزاءه الا السجن أو الضرب أو جميعهما وغايات ذكر
 الضرب لان الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وغايات أردت أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف أما
 الحبس الطويل فلا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين (قال هي راودتني عن
 نفسي) ولم يقل هذه ولا تلك لغرط استحيائه وهو أدب حسن حيث أتى بلفظ الغيبة ولم يكن يوسف يريد أن
 يهتك سترها ولكن لما طغى عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فصرح بالامر فقال هي طالبتني
 للمواتة (وشهد شاهد من أهلها) وهو ابن داية زليخا وابن خال لها وكان عمره شهرين أنطقه الله تعالى
 لبراءة يوسف وروى أن العزير اشترى يوسف بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه لؤلؤاً ووزنه مرجاناً ووزنه
 مسكاً ووزنه عنبراً فلما ذهب به الى البيت شغقت به زليخا فقالت لما ضمتها الى الحيلة فقالت لها ياسيدي
 لو نظرا إليك لكان أسرع حباً منك اليه ولو رأى حسنك وجمالك وصفاء لونك ما قرنه قرار دونك فقالت
 وكيف ذلك فقالت مكذبني من الاموال فقالت خرائني بين يديك اخذني ما شئت لاحساب عليك وأمريت
 باحضار أهل البناء والهندسة وقالت أريد بيتاً يرى الوجه في سقفه وفي حيطانه كما يرى في المرأة المصقولة
 فقالوا نعم فبنوا لها بيتاً ممتعاً قيطون فلما تم دعت المصور وأمرته بصنع سرير من ذهب مرصع بالجواهر
 والياقوت وفرشته بالديباج والسندس وصورت صوراً يوسف وزليخا فتعانق ثم زينت زليخا وخرجت
 الى يوسف مستجملة وقالت يا يوسف أحب سيدتك فانها تدعوك في بيتها القيطون وكان بهيعة طيعا
 وكان يده وقصيب من ذهب يلعب به فرمى وأسرع لباي البيت فلما وضع قدمه الواحدة أحس قلبه بالشعر
 وأراد الرجوع فأسرعت زليخا اليه وجرته للسري فغمض عينيه وأطرق رأسه وبكا حياها من الله تعالى
 وراودته عن نفسه فأبى فقالت له لم تضالف أمري فقال خوف من الله واكراماً للسيد الذي أحلني محل

أولاده فقالت أما اهلك فإنا أعطيك جميع الاموال تصدق بها لربك ليفرلك هذا الذنب وأما سيدك فإنا
أطعمه السم حتى ينهرى لحمه أو كون أنا وأموالي مسلكت فقام وبأدراك الباب من غير أن يكون بينه وبينها
سبب من الأسباب الخفية فمرقت قيصه من خلفه وهو فارز وافق ذلك الوقت أن العزيز رعى بالباب فظفر
العزيز بالخنجر فآهأه من ريشة حاضرة عن وجهها ونظر الى يوسف فراء منه كس الرأس باكى العين فوقف
متحيرا في أمرهما بنظر اليه مرة واليهامرة فقالت له ان غلامك هذا يريد أن يخونك في أهلك أى شئ
جزأوه أن يسجن أو عذاب أليم فقال له العزيز يا يوسف ما كان هذا جزأى منك أحلته من محل أولادى
وتخوننى في أهلى فقال يوسف عليه السلام ان لى شاهدا يشهد لى بالبراءة فقال له أين الشاهد وليس معكم
فى البيت ثالث فقال هذا الطفل يشهد لى بالبراءة فأوحى الله لجبريل أن اهبط على الطفل وشق لسانه حتى
يشهد لعبدى يوسف بالبراءة فعند ذلك تمخخ الطفل وقال أيها الملك ان عندى فى أمرك هذا مالك فيه فرجا
ومخرجا أنظر الى قصص الغلام العبرانى (ان كان قيصه قدم من قبل) أى شق من قدام (فصدقت) أى
فقد صدقت المرأة (وهو من الكاذبين) فى قوله هى راودتنى (وان كان قيصه قدم من دبر) أى من
خلف (فكذبت) أى فقد كذبت المرأة فى دعواها (وهو من الصادقين) فى قوله هى راودتنى (فلى
رأى) أى زوجها (فيصه قدم من دبر قال) لها زوجها قطفير وقد قطع بصدقه وكذبها (انه) أى هذا
الغافل فى ضمن قولك ما جزأه من أراد بأهلك سوءا (من كيد كن) أى من جنس مكر كن أيتها النساء
(ان كيد كن عظيم) لان لمن فى هذا الباب من الخيل مالا يكون للرجال ولان كيدهن فى هذا الباب
يورث من العار مالا يورثه كيد الرجال (يوسف أعرض عن هذا) أى يا يوسف أعرض عن ذكر هذه
الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها واكتف قد ظهر صدقك وزاهاك (واستغفرى)
يا زليخا (الذنب) الذى صدر عنك أى توب الى الله تعالى تارميت يوسف به وهو برى منه (انك كنت)
بسبب ذلك (من الخاطئين) فى هذا القول الذى لا يليق بمقام الانبياء وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى
بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل الغيرة بل قال فى الجحان تربة مصر تقتضى هذا وهذا لا ينشأ فيها
الاسد ولو دخل فيها يبقى ثم أخبرت زليخا به بعض النساء بما حصل لها وأمرتهن بالسكتم فلم يكن من بل
أشعن الامر (وقال نسوة فى المدينة) أى أشعن الامر فى مصر (امرأة العزيز) أى الملك قطفير
(تراودفتها عن نفسه) أى وقال جماعة من النساء وكن خساوهن امرأة صاحب دواب الملك وامرأة
صاحب مجنه وامرأة خباز وامرأة صاحب مطبخه وامرأة ساقية فتحدثن فيما بينهن وقلن امرأة العزيز
تراود عبدك الكنعانى عن نفسه وهو يمتنع منها (قد شغفها حبا) أى قد شق فتاها شغاف قلبها من
جهة الحب وقرأ جماعة من الصصابة والتابعين شعفا بالعين المهملة أى قد أرق حبا فتاها حجاب قلبها
والمعنى ان اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ماسوى هذه الحمية فلا يحظر ببالحال الا هو (انال تراها فى
ضلال مبين) أى انال تراها فى ضلال واضح عن طريق الرشيد بسبب حبها لاه (فلم اسمعت بكمهن) أى
قولهن المستدهى لنظرهن الى وجه يوسف (أوسلت اليهن) أى أرادت انظهار عذرها فافتحت مادية
ودعت أربعين امرأة من أمثرائ مدينتها فيهن الخمس المذكورات (وأعتدت) أى أحضرت (لهن
مناك) أى وسائى تمكن عليها هذا ان قرأت مشددة فان قرأت مخففة فعنها الترجمة فانهم كانوا
يتكئون على المسابيد عند الطعام والشراب والحديث على عادة المتكبرين ولذلك جاء التمسى عنه فى
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل منكما (وأنت) أى أعطت (كل واحدة منهن سكيناً)

لأجل أكل الفاكهة واللحم لأنهم كانوا لا يأكلون من اللحم إلا ما يطعمون بسكاكينهم (وقالت) أي زليخا
 ليوسف وهن مشغولات بأعمال الخناجر في الطعام (أخرج عليهن) أي أبرزلهن ومرض عليهن فإن يوسف
 عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفاً منها (فلما رأينه أكبرنه) أي أعظمته وهبته ودهش عند رؤيته
 من شدة جماله وقيل معنى أكبرن أي حضن والهاء ما التسكت أو ضمير راجع إلى يوسف على حذف اللام
 أي حضن له من شدة الشبق وأيضا أن المرأة إذا فزع غفر بما أسقطت ولدها لحاضته ويقال أكبرت المرأة
 أي دخلت في الكبر وذلك إذا حاضت لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر (وقطعن أيديهن)
 أي جرحن أيديهن حتى سال الدم ولم يجدن الألم لغرط دهشتهم وشغل قلوبهن يوسف (وقلن حاش لله)
 أي تنزيها لله تعالى من العجز حيث قدر على خلق جميل مثل هذا (ما هذا بشر) أي ليس يوسف آدميا
 وقرأ ابن مسعود ما هذا بشر بالرفع وقرأ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مخلوق للبشر حاصل بشره (إن هذا
 الأملك كريم) على الله فإنه قد ثبت في العقول أنه لا شيء أحسن من الملك كما ثبت فيها أن لا شيء أقبح من
 الشيطان وقيل إن النسوة لما رأين يوسف لم يلتفت اليهن البتة ورأين عليه هيئة النبوة والرسالة وسميما
 الطهارة قلن أنا ما رأينا فيه أثر من آثار الشهوة ولا صفة من الانسانية فهذا قد ظهر عن جسيم الصفات
 المعروضة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية (قالت) أي زليخا لهن (فذلكن
 الذي لمتني فيه) أي فهذا الذي تريه هو ذلك العبد الكنعاني الذي عيبتني في الافتتان به قبل أن
 تتصوره حق تصوره ولو حصلت صورته في خيالكن لترككن هذه الملامة (ولقد راودته عن نفسه)
 حسبما سمعتن وقلتن (فاستعصم) أي فامتنع عني بالعفة (ولكن لم يفعل ما أمره) أي أن لم يفعل
 يوسف مقتضى أمرى إياه من قضاء شهوة (ليسبحن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكن من الصاغرين)
 أي من الذليلين في السجن فقلن ليوسف أطعم مولانا (قال) أي يوسف مناجيا لربه عز وجل (رب
 السجن أحب إلي) أي يارب دخول السجن أحب عندي (مما يدعونني إليه) من موافقاتها التي تؤدي
 إلى الشقاء والعذاب الأليم (والأصرف عني كيدهن) بالثبوت على العصمة فإن كل واحدة منهن
 كانت ترغب يوسف على موافقة زليخا وتخوفاً على مخالفتها (أصب اليهن) أي أمل إلى إجابتهن على قضية
 الطبيعة البشرية وحكم القوة الشهوية (وأكن من الجاهلين) أي وأصر من الذين لا يعملون بعلمهم
 (فاستجاب لربه) دعاء الذي في ظن قوله والأصرف عني الخ فإن فيه التجاهل إلى الله تعالى جريا على
 سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الحسيرات وطلب النجاة من الشر ورعي جناب الله تعالى كقول
 المستغيث أدركني والاهلك (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه ونبذته على العصمة والعفة حتى
 وطن نفسه على مشقة السجن (إنه هو السميع) لدعاء المتضرعين إليه (العليم) للنيات فيجب
 ما طاب منه العزم (ثم بداههم من بعد ما رآوا الآيات) أي ثم ظهر لهم آيات وأمعنهم المشاركين له في الرأي
 من بعد ما رآوا الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص من دبر وقطع
 النساء أيديهن بحجته عليه السلام قائلين والله (ليسبحنه حتى حين) أي إلى انقطاع مائة الناس في
 المدينة فإن زليخا لما أيسست من يوسف بجميعه حيلها كي تجعله على موافقة مرادها قالت لزوجهات
 هذا العبد العبراني فضحني في العارية وقل لهم إن زارده عن نفسه فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إليهم
 وإما أن تسبحنه فمعجبه (ودخل معه السجن فتيان) أي عبدان الملك مصر الكبير وهو الزيان بن أرياد
 النعمليق معي أحدهما وهو صاحب شرابه سرهم ومعنى الآخر وهو صاحب مطبخهم برهم وقيل اسم الأول

مرطس والثاني رأسان وسبب سجنهما ان جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهم رشوة على ان يعمى الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى قدم ورجع عن ذلك وقبيل الحجاز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الخبز بين يدي الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب به فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة ففعلت فأمر بحبسهم ما فاتفق انهما دخلا مع يوسف فلما دخل السجن جعل يشرع له ويقول انى أعبر الاحلام (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خبزا) أى انى رأيت نفسى أعصر عنبا واسقى الملك (وقال الآخر) وهو الخباز (انى أرانى) أى رأيتنى (أحمل فوق رأى خبزاً) أى الطير منه نبشاً بتأويله (أى اخبرنا بتفسير رؤيانا) (انا نراك من المحسنين) أى من العالمين بتفسير الرؤيا ومن المحسنين الى أهل السجن فيسلمهم ويقول اصبروا وابشروا توخر وافقوا ببارك الله فبك يافى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لك انى جوارك فى أنت يافى فقال أناس يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافى والله لو استطعت خلعت سبيلك ولكنى أحسن جوارك واخترت ايموت السجن شئت أى ان الساقى قال لسيدنا يوسف أيها العالم انى رأيت فى المنام كأنى فى بستان وفيه شجرة عنب فيها ثلاثة أغصان وعليها ثلاثة عناقيد من العنب فجذبتا وكان كأس الملك فى يدي فعصرتا وسقيت الملك فشربه وقال الخباز انى رأيت فى المنام كأنى أخرج من مطبخ الملك وعلى رأى ثلاث سلال من الخبز فوق طير على أعلاها وكل منها لسان فصاعداً عليه الرؤيا كره ان يعبرها له ما حين سأله لما علم ما فيها من المكروه لاحد ما فاعرض عن سؤالهما وأخذ فى غير من اظهار الهجزة والنيوة والدعاء الى التوحيد لانه علم ان أحدهما هالك وأراد ان يدخله فى الاسلام فبدأ باظهار الهجزة لهذا السبب (قال لا يأتىكم طعام ترزقانه الا بآتيكم تأويله) أى لا يأتىكم طعام ترزقانه فى منزل كما على حسب عادتكما المطردة الا أخبرتكم بعاقبته فهو يفيد الصحة أو السقم وبأوليه وجنسه (قبل أن يأتىكم) وكيف لا أعلم تعبير رؤيا كما هو هذا راجع الى ان يوسف ادعى الاخبار عن الغيب وهو يحكى قول عيسى وانبشكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم (ذلكا) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (عما علمنى ربى) بالوحى والالهام لا على جهة الكهانة والنجوم (انى تركت مسلمة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) أى انى امتنعت عن دين قوم لا يؤمنون بالله وبالبعث بعد الموت (واتبعت مسلمة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب) وانما قال يوسف ذلك ترغيباً له احميه فى الايمان والتوحيد وتنفيهاً عما كانا عليه من الشرك والضلال (ما كان) أى لا يصح (لنا) معاشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أى أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلاً عن ان نشرك به صفلاً لا يسمع ولا يبر (ذلك) أى التوحيد الذى هو ترك الاشرار (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) بارسالنا اليهم (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يوحّدون الله تعالى (يا صاحبي السجن) أى يا صاحبي فى السجن أو يا ساكني السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) أى مختلفون فى الكبر والصغر والارث من ذهب وفضة وحديد وصغر وخشب وحجارة وغير ذلك (خير) لكا (أم الله الواحد القهار) أى هذه الاصنام معمولة ومقهوره فان الانسان اذا أراد كسرهما قد راعى مقهوره ولا ينتظر حصول منفعة من جهتها والله العالم فعال قهار قادر على ابطال الخسرات ورفع الآفات والمراد عبادة آلهة شتى مقهورة خيرة أم عبادة

الله المتوحد بالالهية الغالب على خلقه ولا يغالب خيره (ما تعبدون من دونه) أى من غير الله شيئا (الا
أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى الأذوات أوجدتم وآباؤكم لها أسماء آلهة بمحض ضلالكم
(ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المتبعة للعبادة (من سلطان) أى من حجة تدل على صحتها وتحقيق
مسمياتها في تلك الذوات فكأنكم لا تعبدون الا الأسماء المجردة عن الذوات والمعنى انكم مسميتهم ما لم يدل
على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم الا لله)
أى ليس الحكم فى أمر العبادة الا لله فليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام (أمر)
على السنة الانبياء عليهم السلام (أن لا تعبدوا الاياه) لان العبادة نهاية التعظيم فلا تليق الا ب
حصول منه نهاية الانعام وهو الله تعالى لان منه الخلق والاحياء والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات
احسانه الى الخلق غير متناهية (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الذين القيم) أى الذى تعاضدت
عليه البراهين عقل واثبات (واكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو الدين المستقيم لجهلهم بذلك
البراهين ولما فرغ سيدنا يوسف من الدعاء الى عبادة الله تعالى رجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي
السجن أما أحدكما) وهو الشرايى (فيسقى ربه) أى سيده (خيرا وأما الآخر) وهو الحباز (فيصلب
فتأكل الطير من رأسه) روى ان الساقى لما قص رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الكرم
فهو العمل الذى كنت فيه وأما العنب فهو عزك فى ذلك العمل وأما الاغصان الثلاثة فتلاثة أيام بوجه
الملك الملك عند انقضائها (وأما العنب الذى عصرت وناولت الملك فهو ان يردك الى عملك فتصير كما كنت
بل أحسن ولما قص الحباز رؤياه على يوسف قال له بئس ما رأيت أما خروجه من المطبخ فهو ان يخرج
من عملك وأما ثلاث سلال فهي ثلاثة أيام تكون فى السجن وأما أكل الطير من رأسك فهو ان يخرجك
الملك بعد ثلاثة أيام ويصلبك وتأكل الطير من رأسك ففرع التعبير رؤيا الحباز وقال جميعا ما رأينا شيئا
اغما كذا نلعب فقال لهما يوسف (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) أى تم الامر الذى تسألان عنه
رأيتما ولم تريا فكذلك لما وقات لكما كذلك يكون (وقال) أى يوسف عليه السلام (لذى ظن أنه
ناج) أى للرجل الذى ظنه ناجيا من القتل (منهما) أى من صاحبيه وهو الساقى (اذ كرى عند
ربك) أى عند سيدك الملك الكبير فقل له ان فى السجن غلاما يحبس ظمأ خمس سنين (فإنساء
الشیطان ذكر ربه) أى أنسى الشيطان يوسف وسبسته الشرايى ذكره ليوسف عند الملك ويقال فأنسى
الشیطان يوسف ان يذكر ربه حتى طلب الفرج من مخلوق مثله وذلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام
فان الاستعانة بالناس فى دفع الظلم حائرة فى الشريرة الا ان حسنات الابرايسيات المقربين فالاولى
بالصدقين ان لا يستغفروا الا بسبب الأسباب ولذلك جوزى يوسف بسنتين فى الحبس كما قال تعالى (فلبث)
أى يوسف (فى السجن) بسبب ذلك القول (بضع سنين) أى سبع سنين خمس منها قبل ذلك القول
وتنتان بعده هذا هو الصحيح (وقال الملك) الى ان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت فى منامى (سبع
بقرات حسان) قد خرجن من النهر ثم خرج منه بعدهن سبع بقرات مهزلة (ياكلهن سبع عجاف)
أى ابتلعت العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يتيبن على العجاف شيئا منهن (و) انى أرى (سبع
سنبلات خضر) أى قد انعقد حبها (وأخر) أى وسبعها آخر (يابسات) أى قد بلغت أو ان الحصد والتوت
اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرهن شيئا فقلق الملك لما رأى النقص الضعيف
قد استولى على القوى الكامل حتى غلبه فجمع مهرته وكنهته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه

وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله تعالى عن تأويل هذه الرؤيا ليكون ذلك سببا لحلاص يوسف من السجن فهذا هو قوله (يا أيها الملأ) أي السحرة والكهنة والمعبرون الرؤيا (أفتوني في رؤياي) أي بينوا لي تعبيري رؤياي هذه (إن كنتم للرؤيا تعبرون) أي إن كنتم تعلمون بانتقال الرؤيا من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثاتها (قالوا) أي أشراق العلماء والحكماء (أضغان أحلام) أي هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة لا حقيقة لها (وما نحن بتأويل الأحلام) أي المسلمات الباطلة التي لا أصل لها (بعالمين) أي لأنه لا تأويل لها وإنما التأويل للرؤيا الصادقة (وقال الذي نجح منهما) أي الذي خلاص من السجن من صاحبي يوسف بعد أن جلس بين يدي الملك أي قال الشرايبي للملك إن في الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والحجاز عليه مناه من قد كثر تأويلهما فصدق في الشكل وما أخطأ في حرف فإن أذنت مضيت إليه وجئت بك بالجواب (وذكر بعد أمة) أي تذكر الشرايبي يوسف بعد مدة طويلة وقرأ الأشهب العقيلي بعد مدة بكسر الهجزة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم ثم بالهاء أي بعد نسيان (أنا أنيؤكم بتأويله) أي أنا أخبرك أيها الملك بتعسير رؤياك (فأرسلون) إلى السجن فأرسله إليه فأتى يوسف فقال له (يوسف أيها الصديق) أي البالغ في الصديق (أفتنا) أي بين لنا (في سبع بقرات سبعان يأكلهن سبع) من البقر (عجاف) في (سبع سنبلات خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في رؤيا ذلك رآها الملك (لعلني أرجع إلى الناس) أي أعود إلى الملك وجماعته بفتوائه (لعلهم يعلمون) فضناك وعلمك أن الساقى علم عجسائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف أن يهزى يوسف عنه أيضا (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أي متتابعة على عادتك في الزراعة (فأحصدتم) من الزرع في كل سنة (فذروها في سنبله) أي كوافروها ولا تدوسوه لئلا يقع فيه السوس فإن ذلك أبقى له على طول الزمان (الأقليل ما تأكلون) أي الاكل ما أردتم أكله فدوسوه في تلك السنين وهذا تأويل السبع السمان والسبع الحضر (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السبع سنين الخمسة (سبع شداد) أي سبع سنين فعملة صعب على الناس وهذا تأويل السبع الهجاف والسبع اليابسات (يا كلن ما قدمتم لهن) أي تأكلون الحب المزروع وقت السنين الخمسة المتروكة في سنبله في السنين الجديدة (الأقليل مما تحصدون) أي تذخرون للبذر فأكل ما جمع أيام السنين الخمسة في السنين الجديدة وتأويل ابتلاء الهجاف السمان (ثم يأتي من بعد ذلك) أي من بعد السنين الجديدة (فأم فيه يغاث الناس) أي ينقذ الناس من كرب الجذب (وفيه يعصرون) مامن عادته أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمن ونحوها من الفواكه أكثر مما قبل معنى يعصرون يحلبون الضررع وقيل معناه يعطرون وقيل معناه ينجون من الشدة وعلى هذين يقرأ بالبناء للمفعول وهذا من مدلولات المنام لأنه لما كانت الهجاف سبعة دل ذلك على أن السنين الجديدة لا تزيد على هذا العدد فالأصل بعده هو الخصب على العادة الإلهية حيث يوسع الله على عباده بعد تضييقه عليهم فلما رجع الشرايبي إلى الملك وأخبره بما ذكره يوسف استحسنه الملك (وقال الملك أفتوني به) أي بيوسف لما علم من فضله وعلمه فرجع الساقى إلى يوسف (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) وقال له أجب الملك (قال) أي يوسف له (أرجع إلى ربك) أي إلى سيدك الملك الكبير (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي فأسأل الملك بأن يفتش عن شأن تلك النسوة ليعلم برأى عن تلك التهمة وأغا لم يخرج يوسف من

السجن في الحال لانه لو خرج قبل ظهور برائة من تلك التهمة عند الملك فلم يعا بقدر الحاسد على أن يتوسل الى الطعن فيه بعد خروجه (ان ربي) أي سيدي ومربي وهو ذلك الملك (بكيد هن) أي بكمه من (علم) فلما أتى يوسف أن يخرج من السجن قبل تبين الأمر رجع الرسول الى الملك فأخبره بما قال يوسف عليه السلام فأمر الملك بأحضارهن وكانت زليخا معهن (قال) أي الملك مخاطباً لهن لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لأجل امرأة العزيز بقولها ليوسف أطع مولاناك (ما خطبكن) أي ما شائكن (اذراودتن يوسف عن نفسه) أي خادعتهن هل وجدت في نفسه ميلاً الى قوله كن (قلن حاش لله) أي تنزيهاً (ما علمنا عليه) أي يوسف (من سوء) أي من خيانة في شيء من الأشياء (قالت امرأة العزيز الآن حصر الحق) أي الآن تبين الحق ليوسف (أنارادته عن نفسه) أي أنادعته الى نفسه (وانه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتربت عليه هي راودتني عن نفسي وانما أقرت زليخا بذنبها وأشهدت لبراءة يوسف عن الذنب مكافأة على فعل يوسف حيث ترك ذكرها وقال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن مع أن الفتن كلها انما كانت من جهتها وقد عرفت أن ذلك لرعاية حقها ولتعزيزها ولا تخاف الأمر عليها فجاء الرسول الى يوسف فأخبره بحجاب النسوة بقول زليخا فقال يوسف وهو في السجن (ذلك) أي الذي فعلت من ردى الرسول لطلب البراءة انما كان (ليعلم) أي الملك الصغير الذي هو قبطير زوج زليخا (أن لم أخنه) في حرمة كرامته (بالغيب) أي وأنا غائب عنه أوهو غائب عني (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا يضل هؤلاء ولو كنت خائناً لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة (وما أرى نفسي) أي والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي من الزلل وبراءة تهمة (ان النفس البشرية) (لامارة بالسوء) أي ميالة الى القبايح راغبة في المعصية ولما كان قوله ذلك ليعلم اني لم أخنه جارياً مجرى مدح النفس استدركه بقوله وما أرى نفسي أي لا أمدحها (الما رحم ربي) أي الانفس اعصمهم ربي من الوقوع في المهالك (ان ربي غفور) لله م الذي هممت به (رحيم) لمن تاب وهذا ما عليه أكثر المفسرين وقال بعضهم من امم الاشارة الى هنامن كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليوسف لم يمدح يوسف اني لم أخنه بالغيب أي اني لم أقول في يوسف وهو في السجن خلاف الحق فاني وان أحلت الذنب عليه عند حضوره ما أحلت الذنب عليه عند غيبته وأن الله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يرضاهم فانما أقدمت على المكر لاشك اقتضت وأن يوسف لما كان بريئاً من الذنب لاشك طهره الله عنه وما أرى نفسي مع ذلك من الخيانة حيث راودته وقلت في حقه ما قلت وأودعته في السجن ومقصود زليخا بهذا الكلام الاعتذار عما كان وتنزيه يوسف من الذنب ان كل نفس لامارة بالسوء الانفسارحها الله بالعصية كنفوس يوسف عليه السلام ان ربي غفور لمن استغفر من ذنبه رحيم له فعلى هذا يكون تأنيده عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه ملافاً الملك حتى يتبين أنه انما سجن بظلم عظيم مع ماله من نباهة الشأن ليلتقاء الملك بما يليق به من الاجلال وقد حصل ذلك (وقال الملك) أي الكبير وهو الريان (اثبتوني به) أي بيوسف (استخلصه من نفسي) أي اجد له خاصاً دون العزيز روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متزيناً من درن السجن بالثياب النظيفة والمهينة المسندة فكتب على باب السجن هذه منازل الدواوي وقبور الاحياء وشعاعة الاعداء وتجربة الاصدقاء فلما أراد الدخول على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خير وأعوذ بعزتك وقدرتك من شر ثم دخل على الملك فسلم عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا المسان قال لسان عبي اسماعيل ثم دعا له

بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان قال هذا اللسان آتاني وكان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين
اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف به و زاد عليه بالعربية والعبرانية وروى أنه لما رآه
الملك شابا وهو في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة قال للشرابي أهدأ هو الذي علم تأويل رؤياي قال نعم فأقبل
على يوسف وقال اني أحب أن أجمع تأويل الرؤيا منك شفاها فأجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه
بصحته فذلك قوله تعالى (فلما كلمه) أي كلم الملك يوسف (قال) أي الملك (أنك اليوم تديننا مكرين)
أي ذو منزلة رفيعة (آمين) أي ذو أمانة على كل شيء فسأرى أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع
في هذه السنين الخمسة تزرعا كثيرا وتبني الخزان وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنة الجوع المجدة بعنا
الغلات فيحصل هذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على خزان
الأرض) أي ولي أمر خزان أرض مصر (اني حفيظ) لما وليتني ولجميع مصالح الناس (عليهم)
بوجوه التصرف في الأموال وبجميع السن الغرباء الذين يأوتوني وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية
إذا كان الطالب عن يقدر على إقامة العدل وإن كان الطلب من يد الكافر (وكذلك) أي مثل ذلك
الانعام الذي أنعمه عليه من تفرق بيننا أيام من قلب الملك وانجائنا أيام من غم الحبس (مكاييوسف في
الأرض) أي أقدرنا على ما يريد رفع الموانع في أرض مصر (يتبعها من حيث يشاء) أي نأزلا في أي
موضع يريد يوسف من بلادها روى أنها كانت أربعة عشر فرسخا في أربعين فرسخا وقرأ ابن كثير نشأه
بالنون مستندا إلى الله تعالى وروى أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الأمانة دعاه الملك فوجه وأخرج
خاتم الملك وجعله في أصبعه وقلده بسيفه وجعل له ممر من ذهب مكالا بالدر والياقوت طوله ثلاثون
ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا وضرب له عليه حلة من استبرق فقال يوسف عليه السلام
أما السرير فاشد به ملكا وأما الخاتم فأدبر به أمرا وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آتاني فقال
الملك قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالنخل ووجهه كالقمر يرى
الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك وفوض الملك
الأكرام إليه ملكه وأمر مصر بعزل قطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ومات قطير بعد ذلك
فزوج به عليه السلام الملك أمرا أنه زليخا فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خير مما كنت تريد
قالت له أيها الصديق لا ظنني فاني كنت امرأة حسنا فأنعمت كما ترى وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت
كما جعلك الله في حسنك وهيثبتك فغلبتني نفسي وعصفت الله فأصابها يوسف فوجد لها عذرا فولدت له
ذكرين أفرام وميشاقا فتولى يوسف ملك مصر وأقام فيه بالعدل وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه
الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالذئاب والدرهم وفي
الثانية بالحمى والجواهر وفي الثالثة بالدواب وفي الرابعة بالجوارى والعبيد وفي الخامسة بالضياع
والعقار وفي السادسة بارادهم وفي السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد الله عليه
السلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع
الله فيما خولني فسأرتي في هؤلاء قال الملك الرأى رأيت ونحن لك تسع قال فاني أشهد الله وأشهدك اني
قد أعنت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يبيع من أحد من الممتارين
أكثر من حمل بعير تقسم بين الناس ومات الملك في حياة يوسف (نصيب برحمتنا) أي بعطاء ثنائي
الدين من الملك والفني وغيرهما من النعم (من نشأه) من عبادنا (ولانضيح أجزا المحسنين) لان

اضاعة الاحراما تكون للجهل أو للبخل والكل ممنوع في حق الله تعالى فكانت الاضاعة ممنوعة
(ولا اجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) أي ولا اجر المحسنين وهم الذين آمنوا بالله والكتب
والرسل واتقوا الفواحش في الآخرة خير لهم والمراد أن يوسف وإن كان قد وصل إلى الدرجات الرفيعة في
الدنيا فثوابه الذي أعد الله له في الآخرة أفضل وأكمل وقد ثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه
السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين (وجاء اخوة يوسف) إلى مصر وهم عشرة ليعتاروا
أي لما وصل القبط إلى البلدة التي يسكنها يعقوب عليه السلام وهي تغور الشام من أرض فلسطين قال
لبنيه ان بعصر ملكا صايبا بيع الطعام فجهازوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام
فخرجوا غير بنيامين حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه) أي على يوسف وهو في مجلس ولايته
(فعرّفهم) بأول نظرة نظر اليهم لقوة فهمه (وهم له منكرون) أي والحال انهم لم يعرفوه لطول المدة
فبين أن القوة في الحب ودخولهم عليه أربعون سنة ولأنهم رأوا جالساً على سرير الملك وعليه ثياب حرير
وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فكلموه بالعبرانية فقال لهم من أنتم وأي شيء أقدمكم
بلادى فقالوا قد منّا لاختلاف الميرة ونحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فقال لعلكم عيون تطلعون على
عورنا وتخبرون بها أعداءنا فقالوا ما عاذ الله قال من أين أنتم قالوا من بلاد كنعان نحن اخوة بنيوآب
واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كذا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك لأنه أخوه
الشقيق قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيوناً وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاذغربة لا يعرفنا فيها أحد
فيشهد لنا قال فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا أكتفي بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن
لفراقه قال فازكوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتوني به فافترعوا فيما بينهم فأصاب القرعة شععون وكان
أحسنهم رأياً في يوسف في أمر الحب فتركوه عنده فأمر بآزاهم وأكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم)
أي فلما أوفى يوسف بطلبهم بالميرة وأصلحهم بالزاد وما يحتاج اليه المسافر (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم)
إذا رجعت لثقتار وامرأة أخرى لأعلم صدقكم فيما قلتم ان لنا أخاً من أبينا عنده أبينا (الآخرون أنى أوف
الكيل) أي أنهم رأوا يدكم حل بعير آخر لا جمل أخيكم وحملوا آخر لا بيكم لأنهم قالوا ان لنا أبناً شيخاً
كبيراً وأخاً آخر بقرى معه لأن يوسف لا يزال أحدهم حل بعير (وأما أخير الميزان) أي خير المضيقين
فانه عليه السلام كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده (فإن لم تأتوني به) أي بأخيكم من أبيكم إذا
عدتم مرة أخرى (فلا كيل لكم عندي) أي فلا طعام لكم بكال عندي (ولا تقرؤوا) أي
لا تدخلوا بلادى فضلاً عن وصولكم إلى (فأمر اسرار دعه أباه) أي سنطلبه من أبيه ونختال على ان
ننزع من يده (وأنا لفاعلون) ما أمرنا به من أن نجعل بأخينا فانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام
ولا يمكن الامن عنده (وقال لفتياناه) أي لخدمته الكيمايين وقرأ حزقيا والمكسافي وحفص عن
عاصم لفتياناه بالالف والنون والباءون لفتيته بالتاء من غير ألف (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي
دسوا دراهمهم التي اشتروا بها الطعام في أوعيتهم التي يحملون فيها الطعام (اعلمهم يعرفونها) أي لكي
يعرفوا بضاعتهم (إذا انقلبوا إلى أهلهم) أي إذا رجعوا إلى أبيهم وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون)
أي لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع اليه لانهم إذا دعوا وان ذلك من مخافة يوسف بعثهم على العود
عليه بالرجعة في معاملته وأيضاً ان سيدنا يوسف يخاف من ان لا يكون عند أبيه من الدراهم ما يرجعون به

مرة أخرى (الما رجعوا) أي اخوة يوسف غير شمعون (إلى أبيهم) بكنعان (قالوا) قبل أن
 يشتغلوا بفتح المتاع (بأبائنا منع من الكيل) أي حكم العزيز بمنع الطعام بعد هذه المرة أن لم يذهب معنا
 بنيامين إليه (فأرسل معنا أخانا) بنيامين إلى مصر وقال يعقوب أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر
 وأخبروه بالقصة (نسكتل) أي نرفع المناع من الكيل بسببه ونسكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ
 حمزوا الكسافي يكتل بالياء أي يكتل أخوانه معه أكتبنا (وإنه لحافظون) من أن يصيبه
 مكروه وضامنون برده إليك (قال هل آمنكم عليه) أي كما آمنتمكم على أخيه من قبل (أي قال لهم
 يعقوب كيف آمنكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وأنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه
 في يوسف رغمتم في حفظه فافعلتم فلما لم يحصل لأمن والحفظ هناك فكيف يحصل ههنا وإنما أقرض
 الأمر إلى الله (فإنه خير حافظا) منكم قرأ حفص وحزق والكسافي بفتح الحاء وبألز بعد هاء على
 التمييز أي حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الباقر حفظا بكثر الحاء وسكون الفاء وقرأ الأعمش
 فإنه خير حافظ وقرأ أبو هريرة خيرا الحافظين (وهو أرحم الراحمين) وهو أرحم به من والديه ومن أخوته
 وقيل إن يعقوب لما ذكر يوسف قال فإنه خير حافظا الخ أي حفظ اليوسف لأنه كان يعلم أن يوسف حي
 (ولما فتحوا متاعهم) أي أوعيتهم التي وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم (رجدوا بضاعتهم) وهي ثمن الميرة
 الذي دفعوه ليوسف (ردت إليهم قالوا يا أبائنا ما نبغى) أي ما نكذب بما قلنا من أن نقد مناعا على خير رجل
 أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة أو المعنى أي شيء نريد من أكرام الملك (هذه بضاعة نردت إليك) هل من
 من يريد على ذلك فقد أحسن الملاءمة وإننا وباع منار رد علينا ما تعاونا فلان طلب وراء ذلك أحسانا وقيل المعنى
 نحن لا نطلب منك يا أبائنا عند رد جوعنا إلى الملك بضاعة أخرى فإن هذه التي ردت إلينا كافية لنا في ثمن
 الطعام (وغير أهلنا) أي أتى بالطعام إلى أهلنا رجوعنا إلى ذلك الملك بذلك البضاعة وهذا ما عطف
 على محذوف والتقدير فنتعين بهذه البضاعة وغير أهلنا (ونحفظ أخانا) بنيامين من المكروه في الذهاب
 والأياب (وتزداد) بسببه (كيل بعير) أي وقر بعيره (ذلك كيل يسير) أي ذلك الحمل الذي
 زوداه كيل قليل على الملك لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا بأكثر من ذلك ويقال ذلك الذي نطلب منك أمر
 يسير (قال) لهم أبوه (إن أرسله) أي بنيامين (معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أي حتى
 تعطوني عهدا من الله أي حتى يحلفوا بالله (لأنني به إلا أن يحاط بكم) أي في حال أن تموتوا أو في حال
 أن تصبروا مغلوبين فلا تقدروا الايمان به إلى (فلما آتوه موثقا من الله) أي أعطوا أباهم عهدا من الله على
 رده إلى أبيهم فمالوا في حلفهم بالله رب محمد لتأنيته (قال) أي يعقوب (أنه على ما نقول وكييل)
 أي شهيد فإن وفيتهم بالعهد جازاكم الله بأحسن الجزاء وإن غدرتم به كافأكم بأعظم العقوبات (وقال)
 ناصحهم لما أزمع على إرسالهم جميعا (يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) من أبوابها الأربعة
 (وادخلوا من أبواب متفرقة) اغشأهم بذلك لأنه خاف عليهم العدين فأنهم كانوا ذوى جمال وشارة
 حسنة وكانوا أولاد رجل واحد وقد نجموا في هذه الكثرة أكثر مما في المرة الأولى (وما أغنى عنكم من
 الله من شيء) أي لا أرفع عنكم بتدبيرى شيئا مما قضى الله عليكم فإن الحذر لا يمنع القدر والانسان
 ماوربأن يحذر عن الأشياء المهلكة والأغذية الضارة وأن يسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر
 الامكان (إن الحكيم) أي ما الحكيم بالانزاع والمنع (الله) وحده (عليه توكلت) أي إليه
 وحده فوضت أمري وأمركم (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) أي فليثق الواقفون

(ولمادخلوا) أى المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أى من الابواب المتفرقة (ماكان) أى دخولهم متفرقين (يعنى) أى يخرج (عنهم) أى الداخلين (من الله) أى من قضائه (من شئ) الحاجة فى نفس يعقوب قضاها) أى لكن الدخول على صفة التفرق أظهر حاجة فى قلب يعقوب وهى خوفه عليهم من اصابة العين وهذا تصديق الله لقول يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شئ (وانه) أى يعقوب (لذوعلم ما علمناه) أى لقوا الله ما علمناه أى انه عام لا بما علمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان يعقوب بهذه الصفة والعلم (ولمادخلوا على يوسف) أى فى محل حكمه (آوى اليه أخاه) أى أنزل معه فى منزله أى لما أتى اخوة يوسف بأخيه بنيامين قاوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيد فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لا جلسنى معه فقال يوسف فى أخوكم فريدافا جلسه معه على مائدة وجعل يواكله ثم أنزل كل اثنين منهم يستأفون بنيامين وحده وقال هذا لأنى له فاتركوه معى ففهم يوسف اليه وشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك وقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وهولما ولد هلك أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين قال فهل لك من أخ لا أمك قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أنتحب ان أحسنكون أخاك يدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يحسن أخا مثلك أيها الملك ولكنه لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتمس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) أى لا تلتفت الى ما صنعوه فيما تقدم من أعمالهم المنكرة وفيها يعملون بل من الجفاء ويقولون لك من التعبير والاذى قال بنيامين فانا لا أفارقك وقال يوسف قد علمت اغتمام والذى بي فاذا حبستك عندي ازداد غمى ولا يمكنى هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أؤس صاعى فى رحلك ثم نادى عليه بالسرقه لاحتال فى ردك بعد اطلاقك معهم قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى فلما هيا يوسف لهم ما يحتاجون للسفر وحمل لهم أحماهم من الطعام على ابلهم (جعل السقاية فى رحل أخيه) أى دس مشربته التى كان يشرب فيها فى وها طعام أخيه الشقيق بنيامين ثم أمرهم بالسير ثم أرسل خافهم عبده (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد مع رفع صوت مرارا كثيرا (أيتها العير) أى يا أصحاب الابل التى عليها الاحمال (انكم لسارقون) وهذا الكلام اما على سبيل الاستفهام واما على قصد المعاريض والمعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه ليكون المنادى من دواعى الكذب (قالوا) أى اخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أى والحال انهم التفتوا الى جماعة الملك المؤذن وأصحابه (ماذا تفقدون) أى أى شئ ضاع منكم (قالوا) أى أصحاب الملك (نفقد صواع الملك) أى نطلب اننا الملك الذى كان يشرب فيه ويكيل ولما أخذ هذا الاناء ميكالا لعز ما يكل به فى ذلك الوقت قال المؤذن (ولما جاءه) أى الاناء من عند نفسه مظهره قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام أخرقه (وأنا به) أى بالحمل (زعيم) أى كفيل أو ديه اليه لان الاناء كان من الذهب وقد اتهم معنى المثل (قالوا الله لقد علمتم) يا أهل مصر (ما جئنا لنفسد فى الارض) أى أرض مصر بمصره الناس (وما كنا سارقين) لانه قد ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف فى أموال الناس بالكلية لا بالاكل ولا بارسال الدواب فى مزارع الناس ولا أنهم لما وجدوا بضاعتهم فى رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها (قالوا) أى أصحاب يوسف

(فاجزأوه) أى فاجزأه سرقة الصواع فى ثرىعتكم (ان كنتم كاذبين) فى نفي كون الصواع فيكم
(قالوا) أى اخوة يوسف (جزأه من وجد فى رحله) أى جزأه سرقة الصواع هو أخذ الانسان الذى وجد
الصواع فى متاعه (فهو جزأوه) أى فاسترقا فى ذلك الشخص سنة هو جزأه سرقة لا غير فافتوا
بشرعهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزأه (نجزى الظالمين) بالسرقه فى ارضنا هذا من بعيه كلام
اخوة يوسف وقيل من كلام أصحاب يوسف جوابا لول اخوته ذلك (فبدأ) أى يوسف بعدما رجعوا
اليه (بارعيتهم) أى بتفتيش وعية الاخوة العشرة (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين لنفي
التهمة روى أنه لما بلغت النبوة الى وهائه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقال اخوة يوسف والله لا نتركك
حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأتسنا (ثم استخرجها) أى الصواع (من وعاء أخيه) فقال
له فرجل الله كاذب حتى (كذلك كذبا ليوسف) أى كاذبا لهما اخوة يوسف ان جزأه السارق أن
يسرق كذلك لهما يوسف حتى دس الصواع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (ما كان
له أخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله) أى لم يكن يوسف يأخذ أخاه فى حكم الملك بسبب من الاسباب
لا بسبب منهية الله وهو حكم أبيه أى وكل حكم ملته مصرى السارق أن يضرب ويغرم مثل قيمة السرور
فما كان يوسف قادر على حبس أخيه عنده نفسه الا أن الله تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزأه
السارق هو الاسترقاق (ترفع درجات من نشاء) وقرأ عاصم وحزرة والتكسافى بالتنوين والباقيون
بالإضافة أى ترفع رتبا كثيرة طالية من العلم من نشاء رفعه (وفوق كل ذى علم عليم) أى ان اخوة يوسف
كانوا علماء فضلا ويوسف كان زائدا عليهم فى العلم ففوق كل عالم عالم الى أن ينتهى العلم الى الله تعالى
فليس فوقه أحد (قالوا) أى اخوة يوسف تبرئة لانفسهم (ان يسرق) أى بنيامين سقاية الملك فقد
سرق أخ له من قبل) أى قالوا للملك ان هذا الامرايس بغريب من بنيامين فإن أخاه الذى هلك كان
سارقا أيضا قال سعيد بن جبير كان جد يوسف أبوه كافر بعبد الاوثان فأمرته أمه بأن يسرق تلك
الاوثان ويكسرها فلعلة يترك عبادة الاوثان ففعل ذلك فها هو السرقة (فأمرها) أى اجابتهم
(يوسف فى نفسه) أى فى قلبه (ولم يبدها) أى لم يظهر الاجابة (لهم قال) أى يوسف فى نفسه
(أنتم شرمكانا) أى منزلة فى السرقة من يوسف حيث مرقم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون)
أى بحقيقة ما تدعون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة اليه أم لا (قالوا) مستعطفين (بأبيها
العزيز) أى ملك مصر (ان له) أى بنيامين (أبا شيخا كبيرا) فى السن لا يكاد يستطيع فراقه
وهو يفرح به ان رددناه (لقد أخذنا مكانه) أى بدلا منه فى الاسترقاق (اننا نراك من المحسنين) اليانا
فى حسن الضيافة وردنا بضاعة اليانا فأنعم احسانك اليانا بهذه النعمة (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله
معاذ من (أن نأخذ الا لمن وجدنا متاعنا عنده) لان أخذنا له انما هو بقضية فتقواكم (انا اذا) أى
ان أخذنا بريثا بذنوب (الظالمون) فى مذهبيكم وما لنا ذلك ولهذا الكلام معنى بالإن وهو ان الله تعالى
انما أمرنى بالوحي أن أخذ بنيامين لمصالح يعلمها الله تعالى فلما أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فصرت
ظالما لنفسى (فما استيا أسوامه) أى من يوسف (خلصوا نجيا) أى تفردوا عن سائر الناس
يتناجون (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أوفى العقل وهو يهوذا ورئيسهم وهو شمعون (ألم
تعلموا) بالخوانه (أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) فى رد بنيامين اليه (ومن قبل ما فرطتم فى
يوسف) فبما زيدة والجار والمجرور متعلق بفرطتم أى ومن قبل أخذكم العهد فى شأن بنيامين قصرتم

في شأن يوسف ولم تغفوا بعدكم على النصح والحفظ له أو مصدر به عطف على مفعول فعلوا أي ألم تعلموا
 أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفرطكم السابق في شأن يوسف أو وتركم ميثاقه في حق يوسف
 أو موصولة عطف على مفعول فعلوا أيضا أي ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقا الذي قد تموه في حق يوسف من
 الحياة العظيمة من قبل نقصيركم في بنيامين (فلن أرح الأرض) أي فلن أفارق أرض مصر (حتى
 يأذن لي أبي) في الرجوع إليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق أو
 بخلاص أخي من يد العزيز بسبب من الأسباب (وهو خير لما كنتم) لأنه لا يحكم إلا بالعدل والحق
 روى أنهم كلوا العزيز في إطلاق بنيامين فقال روبيل أيها الملك لقد نالنا هنا وأولا يصحح صحة لا تبقى
 بمصر حامل الألف ولدها ووقفت كل شعرة في جسده لخروج من قبابه فقال يوسف لأبيه قم إلى جنب
 روبيل فسه فذهب ذلك الابن فسه فسكن غضبه فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وهم أن يصيح
 فركض يوسف عليه السلام على الأرض وأخذ علابه وجذبه فسقط على الأرض وقال له أنتم بامعشر
 العبرانيين ترمون أن لا أحد تشد منكم فلما رأوا منزل بهم ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ثم قال
 لهم كبيرهم (ارجعوا) يا اخوتي (إلى أبيكم) دوني (فقولوا) له متلطفين يخطأكم (يا أبا نانا
 ابنك مرق) صواع الملك من ذهب (وما شهد بالجماع لنا) أي رأينا أن الصواع استخرجت من وهائه
 (وما كنا للغيب) أي باطن الحال (حافظين) أي إن حقيقة الأمر غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه
 إلا الله ففعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك (وأسأل القرية التي كنا فيها) أي وأسأل أهل
 قرية من قرى مصر التي كنا فيها (والعبر التي أقبلنا فيها) أي وأسأل أصحاب الأبل التي عليها الاحمال
 الذين جئناهم وهم قوم من كنعان من حيران يعقوب عليه السلام (وأنالصادقون) في أقوالنا فرجع
 التسعة إلى أبيهم فمألو له ما قال كبيرهم (قال) أي يعقوب (بل سؤلت لكم أنفسكم أمرا) أي بل
 زينت لكم أنفسكم أخرج بنيامين عنى إلى مصر طلبا للنفقة فعاد من ذلك ضرر (فصبر جميل) أي فعلى
 صبر بلا جزع والمراجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال يا بني لا تخرجون من
 عندي مرة إلا ونة نص بعضكم ذهبتم من قنص يوسف ومرة ثانية نقص شعرون ومرة ثالثة نقص
 روبيل وبنيامين ثم بكى وقال (عسى الله أن يأتي بيهم) أي ييوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي
 توقف في مصر (جميعا) فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل حسن الظن بالله
 تعالى لأنه إذا اشتد البلاء كان أسرع إلى الفرج ولأنه علم عاصري عليه وعلى بنيه من وؤيا يوسف (أنه
 هو العليم) بحال وحالهم (الحكيم) أي الذي لم يبتلي بالحكمة بالغه (وتولى عنهم) أي وأعرض
 يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين وخرج من بينهم كراهة لاسمع منهم (وقال يا أسفا) أي يا شدة
 حزني (على يوسف) أي أشكو إلى الله أسفى ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل أنا لله وأنا لله راجعون لأن
 الاسترجاع خاص بهذه الأمة (وابيضت عيناه من الحزن) أي ضعف بصره من كثرة البكاء فان الدمع
 يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها (فهو كظيم) أي عسل على
 حزنه فلا يظهره أو غملى من الحزن أو غملى من الغبط على أولاده (قالوا) أي الجماعة الذين كانوا في
 الدار من أولاد أولاده وخدومه (تالله تقمؤتد كبر يوسف) أي والله لا تزال تذكر يوسف (حتى
 تكون حرضا) أي فإني جسدك وعقلك (أو تكون من الهالكين) أي من الاموات فكأنهم
 قالوا أنت الآن في بلا شديد فثقاق عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن

كثرة البكا (قال) أي يعقوب لهم (انما أشكو بني وحزني الى الله) أي لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الا مع الله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو ذاته تعالى يأتي بالفرج من حيث لا أحسب أي أنه يعلم أن رؤيا يوسف صادقة وليعلم أن يوسف حي لان ذلك الموت قال ان أطلبه ههنا وأشار الى جهة مصر ويعلم ان بنيامين لا يسيرة وقد سمع أن الملك ما آذاه وما غربه فغلب على نفسه أن ذلك الملك هو يوسف فن ذلك قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي استعملوا بعض أخبار يوسف وأخيه بنيامين فإن حالهما لنجوه وشوقهما بخلاف حال روبيل (ولا تيأسوا من روح الله) أي لا تفقدوا من فرج الله وفضله وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بضم الراء أي من رحمته (انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان اليأس من رحمة الله تعازي لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان ان الله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر فثبت ان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا أي فقهوا من أبيهم تلك الوصية فعادوا الى مصر مرة ثالثة (فلما دخلوا عليه) أي يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أي الملك القادر القوي (مسنأوا هل لنا النضر) أي أصابنا من تركناهم وراينا الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة من جارة) أي بدرهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام وتقبل قيمها بين الناس (فأوف لنا السكيل) أي أئتمه لنا كما أئتم لنا بالدرهم الجياد (وتصدق علينا) بالمساخمة عن مابين الثنتين (ان الله يجزي المتصدقين) في الدنيا والآخرة وروى انه لم يلقوا ذلك وتضرعوا اليه أغرو وقت عيناه فعند ذلك (قال) مجيبا عما عرضوا به من طلب رد أخيه بنيامين (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي ما أعظم ما أتيتهم من أمر يوسف وأخيه من تغريق يوسف من أبيه وإتراده عن أخيه لا يبه وأمه (اذ أنتم جاهلون) أي حال كونكم جاهلين عقيب فعلكم ليوسف من خلاصه من الحب وولايته السلطنة (قالوا) أي اخوته (أئنك لانت يوسف) قرأ ابن كثير انك على لفظ الخبر وقرأ نافع أنك بفتح الالف غير معدودة بالياء وقرأ أبو عمر وأبو بكر بن عبد الله وهو رواية قالون عن نافع والباقر أنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام لانهم فهموا من لغوي كلامه عليه السلام أو من ابصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك وقال من قرأ على الخبر ان الاخوة لم يعرفوا يوسف حتى رفع التاج عن رأسه فقرأوا في فرقه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان يعقوب راحق مثل ذلك فلما عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك (قال) جوابا لؤلهم (أنا يوسف وهذا) أي بنيامين (أخي) أي شقبي (قد من الله علينا) بالجمع مع بنيامين بعد التفرقة وبكل عز ولم يقل عليه السلام في الجواب هو أنا بل صرح بالأمم تعظيما لما نزل به عليه السلام من نظم اخوته وما عوده الله من النصر والملك فسكاته قال أنا يوسف الذي ظلمته جوفى على أعظم الوجوه وأنا العاجز الذي تصدتم قتله والله تعالى أوصاني الى أعظم المناصب كما ترون فسكان في اظهار الاسم هذه المعاني ولهذا قال وهذا أخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده عليه السلام أن يقول وهذا أيضا مظلوم ثم صار هو منعم عليه من الله تعالى كما ترون (انه) أي الشأن والمحدث (من يتق) معاصي الله (ويصبر) على أذى الناس والحزن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) ويقوم الظاهر مقام الضمير لا شتمانه على النعتين اللذين هما التقوى والصبر (قالوا والله لقد أثرت الله) أي فضلك الله (علينا) بالعلم والحلم والحسن والعقل والملك (وان كنا) أي وان الشأن كنا (لخاطئين) أي لمتعدين في الاثم فهم اعذر وامنه وتابوا (قال لا تنرب عليكم اليوم) خبر بان أي اني حكمت في هذا اليوم بان لا توبيح مطالعوا تقدير الكلام اليوم حكمت بهذا الحكم العام المتناول لكل الاوقات لان

لا شرب نبي للسامية فيقتضى انتفاء جميع أفراد السامية فذلك مفيد للنفي المشتمل لكل الاوقات (يقفر الله لكم) ما كان منكم (وهو ارحم الراحمين) يقفر الصغار والكبار أى لما بين يوسف لهم انه ازال عنهم ملامة الدنيا بعد اليوم طلب من الله أن يرزقهم عاقب الآخرة وروى أن اخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا اليه انك تحضرنا في مائدة بكره وعشيا ونحن نستحي منك لمصدره ما من الاساءة اليك فقال يوسف عليه السلام ان أهل مصر وانما كنت فيهم كانوا ينظرون لي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ايسع بعشرين درهما ولقد شرفت الآن يا بنيانكم وعظمت في العيون لما علم الناس انكم اخوتى واتى من حفدة ابراهيم عليه السلام فقال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت) الى (بصير واخوتي بأهلكم أجمعين) من النساء والذراري ولو الى وكانوا نحو سبعين انسانا وحمل القميص يهوذا وقال أنا حزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرجه كما حزنته لحمله وهو خاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهم مائة وعشرون فرسخا (ولما فصلت العبر) أى خرجت الابل التي عليها الاسمال لاختوة يوسف من العريش وهي قرية بين مصر وكنعان (قال أبوهم) يعقوب لما حضر عنده من أولاد بنيه وقرابته (الى لأجدد يحى يوسف) أى انى لاشم ريح الجنة من قميص يوسف (ولأن تفقدون) أى لو ان تفقدون الى الحرق وفساد الرأى من هرم (لصدقتموني والتحقيق أن يقال انه تعالى أوصل قنات الراحة الى سيدنا يعقوب على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الراحة اليه من المسافة البعيدة ثمانية أيام مثلا آخر من انقض العادة فيكون معجزته (قالوا) أى الماضون عنده (تالله انى ضللك القديم) أى لنى حبل الاول لىوسف لا تنسا ولا تذهل عنه وكان يوسف عندهم قدمات (فاما ان جاء البشير) وهو يوسف وذا بالقميص (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير القميص على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) أى فصار يعقوب بصيرا العظم فرحه (قال ألم أقل لكم ان أظلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان رؤيا صدق وان الله يجمع بيننا (قالوا) اعتذارا عما حصل منهم (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) أى اطلب لنا من الله غفرنا ذنوبنا (انا كنا ظالمين) أى متعمدين للاشتم فى أمر يوسف (قال سوف أستغفر لكم ربى) أى أدعوا لكم ربى ليلة الجمعة وقت السحر (انه هو الغفور الرحيم) فقام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عليه واغفر لاولادى ما فعلوه فى حق يوسف وأوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين روى أن يوسف عليه السلام وجهه الى أبيه جهازا ومائتى راحلة مع اخوته لىأنا جميع أهل الى مصر وهم يومئذ اثنا وسبعون مائة رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا من مصر مع مائة عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم كثيرا حتى بالغوا هذا العدد فى مدة مومى مع أن بينه وبين يوسف أربع مائة سنة فخرج يوسف فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خروص تصب قزوينت الصحراء بهم واصطفوا صافوا والمصعد يعقوب ومعه أولاد وحفدة ونظر الى الصحراء ملوثة بالفرسان مزينة بالانوان فتنظر اليهم منجها فقال جبريل أنظر الى هؤلاء الملائكة قد حضرت مع ورايحهم لىأنا وكانوا باصكين محزونين مدة لاجل رهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار اليوم كله يوم القيامة وكان دخولهم فى مصر يوم عاشوراء (فلما دخلوا على يوسف) فى محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقى أبيه (أوى اليه أبويه) أى ضم يوسف اليه أباه وخالاته واعتنقتهما فان أمه ماتت فى النفاس

بأخيه بنيامين فعني بنيامين بالعبرانية ابن الوجيه ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فان الزانية تدهى أما
 (وقال) أي يوسف لجميع أهله (ادخلوا مصر) للإقامة بها (ان شاء الله آمين) على أنفسكم
 وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحدا وكانوا في مصر ماسلف يخافون ملوك مصر (ورفع أبويه على العرش)
 أي لما نزلوا في مصر جلس يوسف أباه وخالته معه في السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه (وخر واله
 سجدا) أي وخر والله سجدا شكرا لاجل يوسف واجتماعهم به وكان يوسف كالقنصل لهم كما وجدت
 الملائكة لآدم فان الله أمر يعقوب بالسجود لحكمة خفية وذلك لان اخوة يوسف ربما حملهم التكبر عن
 السجود على سبيل التواضع لا على سبيل العبادة ويوسف لم يكن راضيا بذلك السجود في قلبه لكن لما علم
 ان الله أمر يعقوب بذلك سكنت ولان يعقوب علم أنهم لم يرفعوا ذلك لظهور الغر والاحقاد القديمة بعد
 كونهم افا السجود لوال الاستعلاء والنفرة عن قلوبهم وذلك جاز في ذلك الزمان فلما جاءت هذه الثمرة
 نضجت هذه الفعلة ويقال كان سجودهم تخيمتهم فيما بينهم كهيئة الركوع نحو فعل الاعاجم (وقال)
 أي يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي هذا السجود تصديق رؤيا الكائنة من قبل
 المصائب التي وقعت فكان يوسف يقول يا أبت لا يبق بذلك على جلالتي في العلم والدين والنبوة ان
 تسجد لولدي الا ان هذا أمر أمرت فان رؤيا الانبياء حق وذلك قوله تعالى حكاية عن قول يوسف (قد
 جعلها ربي حقا) وكأنه قيل ليعقوب انك كنت دائم الرغبة في وصال يوسف ودائم الحزن بسبب فراقه
 فاذا وجدته فامجد له فكان الامر بذلك السجود من تمام التشديد من الله تعالى على يعقوب عليه السلام
 قال سلمان كان بين رؤيا وتاويلها أربعون عاما (وقد أحسن بي) أي وقد اطفأ بي محسنا لي (اذ
 أخرجني من السجن) انما ذكر اخرجته من السجن ولم يذكر اخرجته من الحب لئلا يجعل اخوته ولان
 خروجه من السجن كان سببا لصرورته لملاكا ووصوله الى أبيه واخوته ولوال النعمة عنه وكان ذلك
 من أعظم نعمه تعالى عليه (وجاءكم من البدو) أي من البادية وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية
 فسكنوا البادية وقال علي بن طلحة أي من فلسطين (من بعد أن نزح الشيطان بيني وبين اخوتي) أي
 من بعد أن أفسد الشيطان بيننا بالحسد (ان ربي لطيف لما يشاء) أي مدبر لما يشاء من خفايا الأمور
 فاذا أراد الله حصول شيء سهّل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول (انه هو
 العليم) بالوجه الذي يسهل تحصيل ذلك الصعب (الحكيم) أي الحكيم في فعله مبرا عن العبث والباطل
 وروى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعين سنة فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن
 يحمل جسده الى الشام ويدفنه عند قبر أبيه امحق فلما مات بعصر حمله يوسف وجعله في تابوت من ساج
 فوافق ذلك موت عيص أخي يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفن في قبر واحد وكان عمرهما مائة
 وسبعة وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه رجع الى مصر وحاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما مات أمره
 وعلم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله حسن العاقبة فقال (رب قد آتيتني من المالك) أي بعضاضته وهو
 ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بعضاضته تعبيرا رؤيا (فاطرا السهوات والارض) أي
 يا خالقهما (أنت ولي) أي أنت الذي تتولى اصلاح جميع مهماتي (في الدنيا والآخرة توفني مسلما)
 دعا يوسف بذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت الا مسلما اظهرا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب
 سعادة الخاتمة وتعليم الغير والمطلوب ههنا كمال حال المسلم وهو أن يستسلم لحكم الله تعالى على وجه يستقر
 قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وقدره ويكون مطمئن النفس منشرح الصدر منفسح القلب

في ذلك وهذه الحالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر (والحقني بالصالحين) أي بآبائي المرسلين
 ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب في ثوابهم ودرجاتهم في الجنة ولد ليوسف أفرام وميشاو ولد لافرايم
 نون وولد لنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد فوارثت الفراعنة من العمالة مصر بعد يوسف ولم ينزل
 بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام (ذلك)
 أي خبر يوسف واخوته (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد (فوحى له ليلى وما كنت لديهم)
 أي عند اخوة يوسف (إذا جعوا أمرهم) أي حين عزموا على القاء يوسف في غيابة الحب (وهم
 يكررون) أي والحال أنهم يحتالون بيوسف ويريدون بذلك قتل يوسف أي ذلك الحيلة لا يسيل إلى
 معرفتك أياها إلا بالوحى وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه ومثل هذا التحقيق بلا وحى
 لا يتصور إلا بالحضور فيكون ههنا الان محمد الميطالع الكتب ولم يأخذ عن أحد من البشر وما كانت بلده
 بلدا ههنا فأتينا به هذه القصة على وجه لم يقع فيها غلط كيف لا يكون ههنا (وما أكثر الناس) وهم
 قريش واليهود (ولو حرصت) أي بالغت في طلب إيمانهم بآثار الآيات الدالة على صدقك (بمؤمنين)
 لأصرارهم على العناد روى أن اليهود وقريش الماسألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسألوا فلما أخبرهم
 بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (وما تسألهم عليه) أي
 على تبليغ الانبياء التي أوحينا إليك (من أجر) كما يفعل حملة الاخبار (إن هو) أي القرآن الذي
 أوحينا إليك (الاذكر للعالمين) عامة أي عظمة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة والعناد
 والتكاليف والقصاص فإن الوعظ العام ينافي أخذ الاجرم من البعض وهذا القرآن مشتمل على هذه
 المناهج العظيمة ولا تطلب منهم ما افلوا كانوا عقلاء قبلوا منك (وكاين من آية) أي وكما من عدد شئت
 من العلامات الدالة على وجود الصانع وحدته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها
 كائنة (في السموات والارض) من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجمال والبحار وسائر ما في
 الارض من العجائب (يعرون عليها) أي يشاهدونها ولا يتأملون فيها وقرى برفع والارض على الابتداء
 ويعرون عليها خبره وقرأ السدى بنصبها على معنى ويطؤون الارض (وهم عنها) أي الآية (معرضون)
 أي غير متفكرين فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق (وما يؤمن
 أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي لا يؤمن أكثرهم بوجود الله الا في حال شركهم فالكافرون
 مقرون بوجود الله لكنهم يثبتون له شركا في المعبودية وعن ابن عباس إن أهل مكة قالوا الله ربنا وحده
 لا شريك له والملائكة بناته وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاءنا عنده وقالت اليهود
 ربنا الله وحده وعزير بن الله وقال النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة
 الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحى وابل أشركوا وقال المهاجرون
 والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه (أفأمنوا) أي أهل مكة (أن تأتيهم غاشية من عذاب الله)
 أي أفلم يخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة من غير سبق علامة
 (وهم لا يشعرون) باتيائهم غير مستعدين لها (قل) يا أشرف الخلق يا أهل مكة (هذه) أي الدعوة
 إلى التوحيد والايان بالاخلاص (سبيلى) أي ديني (أدعوا إلى الله) بهذا الدين (على بصيرة)
 أي حجة واضحة (أنا ومن اتبعني) فادعوا ما مستأنف أحوال من الياء وعلى بصيرة ما محال من فاعل
 أدعوا ومن الياء وأنا ما نفوكيد للمستكن في أدعوا وفي على بصيرة ومن اتبعني عطف على فاعل أدعوا وقال

صلى الله عليه وسلم العلماء آمنوا الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه (وسبحان الله) أى وأسمع سبحان الله (وما أنا من المشركين) الذين اتخذوا مع الله ضدا وولدا (وما أرسلنا من قبلك الا نوحا اليهم من أهل القرى) وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا لا بعث الله مديك والمعنى كيف يتعجبون من ارسالنا اليك مع ان سائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك ولم يبعث الله رسلهم ولا من أهل البادية قال صلى الله عليه وسلم من بدأ جفارا من اتبع الصيغ غفل وقرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون مبنية للفاعل والباقون بالياء مبنية للفعول (أفلم يسروا) أى أهل مكة (فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات من قبلهم فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة) أى الجنة (خبر الذين اتقوا) معاصى الله (أفلا تعقلون) وقرأنا نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون على الغيبة (حتى اذا استيأس الرسل) أى لا يفرحهم تهاديهم فيما هم فيه من الراحة والراحة فان من قبلهم أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ عاصم وحزرة والكسافى بتخفيف الذال المكسورة والمعنى رطن القوم أى الرسل أخلفوا وعدهم بالنصر أى أخلف الله وعده لرسولهم بالنصر وقرأ الباقون بالتشديد والمعنى وظن الرسل أنهم قد كذبهم الامم الذين آمنوا بهم بما جاؤا به من الله وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أحسن الوجوه وقالت ان الله لم يرل من الانبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كفوا فآمنوا بهم (جامعهم نصرنا) لهم بهلاك أعدائهم (فنجى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرأ ابن عامر وعاصم بنون واحدة فعل ماض مبنى للفعول والباقون بنونين الثانية ساكنة وبكون الياء فعل مضارع (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن القوم المحرمين) أى المشركين اذا نزل بهم (لقد كان فى قصصهم) بفتح القاف أى قصص يوسف واخوته رأيه عليهم السلام وقرئ بكسر القاف أى قصص الانبياء وأمثهم (عبرة) أى عظة عظيمة (الاولى ذال الباب) أى لذوى العقول الذين انتفعوا بجمعها (ما كان) أى هذا القرآن فقد تقدم ذكره فى قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا (حديثا يقرئ) فلا يسمع من محمدان يختلق فيه ولا يصح الكذب من القرآن فليس يكذب فى نفسه (ولكن تصديق الذى بين يديه) أى ولكنه كان القرآن مصدق الكتب التى قبله (وتفصيل كل شئ) أى ومبين بين الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين (وهدى) فى الدين من الضلالة (ورحمة) أى سبب الحصول الرحمة من العذاب يوم القيامة (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه فانه المنتفعون به

(سورة الرعد مكية الايتين فهما مديةتان وهما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا وتصيبهم
بما صنعوا قارعة الآية وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الى ومن عنده علم الكتاب وقيل
مدنية سوى قوله تعالى ولو أن قرأنا سيرت به الجبال الايتين وآياتها خمس وأربعون
وكلماتها ثمانمائة وخمسون وخمسة وثلاثون ألفا وخمسمائة وستة وأحرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) اسم للسورة أى هذه السورة معناه بهذا الاسم وقال ابن عباس فى رواية
عطاء معناه أنا الله الملك الرحمن وقال فى رواية غيره أنا الله أعلم وأرى ما نعلمون وتقولون (تلك) أى آيات
السورة المسماة بالم (آيات الكتاب) أى الكتاب العظيم الكامل (والذى أنزل اليك من ربك)

وهو القرآن (الحق) أي هو الما طبق للواقع في كل مناطق به (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون) بالقرآن لاخلالهم بالنظر (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي بغير دعام (ترونها) كلام مستأنف وحال من السموات أي وأنتم ترون السموات مرفوعة بالعماد أو صفة لعدم والمعنى أن الله رفع السموات بغير عمد مرئية لكم من العيوب بل لها عمد غير مرئية وهي قدرة الله تعالى أي انما بقيت السموات واقفة في الجوال العالي بقدرة الله تعالى (ثم استوى على العرش) أي استولى الله على العرش بالمخفة والتدبير وظهر تصرفه في هذه الاشياء بعد خلق السموات وبقاى السلطان للملك اذا استقام أمره انه استوى على عرشه أي مربره الذي يجلس عليه فلا استواء على العرش كما عمن جريان التدبير والحكم (ومن خسر الشمس والقمر) أي وذلك لما نفع الخلق (كل) منهما (يجري) في فلكه حسب ما أريد منهما (الأجل مسمى) لمدة معينة فيهما تتم دورته قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انما تعود مرة أخرى الى واحد منها في ستة أشهر أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً فله تعالى قدر لكل واحد منهما سير خاص الى جهة خاصة بقدر خاص من السرعة والبطء فلم ان يكون لهما بحسب كل لحظة حانة أخرى لم تكن حاصلة قبل ذلك (يدبر الأمر) أي يدبر الخلق بالاجاد والاعداد والاحياء والاماتة والاغناء والافقار وبارز الوجود وبعث الرسل وتكليف العباد (يفصل الآيات) أي يحدث الله بعض الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته عقب بعض على سبيل التمييز والتفصيل (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أي لكي تصدقوا بالبعث بعد الموت فهذه الدلائل المذكورة كالتدل على وجود الصانع تدل على صحة القول بالمشر والنشر لأن من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على كثرتها فلان قدر على النشر والمشر وأولى ويرى ان رجلاً قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسجدونهم ويحييهم دعاءهم الآن دفعة واحدة (وهو الذي مد الارض) أي بسطها طولاً وعرضاً على الماء (وجعل فيها) أي الارض (روابي) أي جبالاً ثوابت أو تادها (وأناهاراً) أي مجاري للماء واسعة لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها رزقاً) أي جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا صنفين إما في اللون كالابيض والاسود أو في الطعم كاللحم والفاكهة أو في المقدار كالصغير والكبير والصغير وفي الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك (يعشى الليل والنهار) أي يسترا النهار بالليل (ان في ذلك) المذكور من مد الارض وابتدائها بالروابي وأجزاء النهار وخلق الثمرات واغشاء الليل والنهار (آيات) دالة على وحدانية الله تعالى (لقوم يتفكرون) فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على السبب (وفي الارض قطع) أي بقاع مختلفة في الاوصاف (متجاورات) أي متقاربات فمنها أرض سبخة رديئة وبجانبها أرض عذبة جيدة ومنها جبلية وبقرها خوة الى غير ذلك والاختلاف من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أي بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) أي تنبت من أصل واحد ثلاث فخلات فأكثر أي مجتمع أصول الاربعة مثلاً في أصل واحد (وغير صنوان) أي هو مفرق أصولها واحدة واحدة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان كلها بالرفع عطفاً على قوله وجنات والباءون بالجر عطفاً على أعناب وقرأ حفص عن عاصم في رواية القواس صنوان بضم الصاد والباءون بكسرهما (يسقي بها واحد) في الطبع سواء كان السقي بماء الامطار أو بماء الانهار أو قرا عاصم وابن عامر يسقي بالياء أي كل المذكور

من القطع وما بعده والباقون بالهاء أى جنات (وتفضل بعضها) أى الجنات (على بعض فى الاكل)
بضم الهزة أى فى المهيأ للاكل طعاما وشكلا ورائحة وحلاوة وحوضه ولونا وقدر او نفعا وضرا وقرأ حزة
والكسائي بفضل بالياء عطف على يدبر والباقون بالنون (ان فى ذلك) أى الفصل من أحوال القطع
والجنات (آيات) أى دلالات كثيرة ظاهرة (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى التدبر
(وان تعجب فحجب قولهم أنذا كنا ترابا أننا فى خلق جديد) أى وان تعجب يا أكرم الخلق من تكذيبهم
أياك بعدما كانوا قد حكموا عليك أنك من الصادقين لتحقيق بالحجب قولهم أنعاد خلقا جديدا بعد الموت
وبعد أن صرنا ترابا وبقينا الروح كما كنا قبل الموت فانهم صرفوا ان الله على كل شئ قدير فن كانت قدرته
واقية بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون واقية بإعادة الانسان بعد موته لان القادر على الاقوى قادر
على الاضعف بالاولى (أو لئلا) أى المتكبرون لقدرته تعالى على البعث بعدما عاينوا الآيات الباهرة
(الذين كفروا برهم) لانهم أنكروا قدرته وعلمه وصدقته فى خبره (وأولئك) أى أهل الكفر
(الاغلال فى أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك) أى أهل الاغلال (أصحاب النار) أى سكان النار
(هم فيها) أى النار (خالدون) لا ينفكون عنها (ويستجلبونك) استهزاء منهم (بالسيفة) أى
بنزول العذاب عليهم (قبل الحسنة) أى قبل طلب الاحسان اليهم بالامهال وذلك ان الذى صلى الله
عليه وسلم كان يهددهم نارة بعدذاب القيامة ونارة بعدذاب الدنيا فكلمهم بهددهم بعدذاب القيامة أنكروا
البعث والخزاء وكلمهم بهددهم بعدذاب الدنيا قالوا له استهزاء بالآثار فثنا بهذا العذاب (وقد خلت من
قبلهم المثالات) أى والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين فمالهم لا يعتبرون
بها (وان ربك لذو مغفرة للناس) أى لذوامهال لهم وتأخير العذاب منهم (على ظلمهم) أى حال
كونهم ظالمين أنفسهم بالعاصي (وان ربك لشديد العقاب) فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير
ما يستجلبونه ليس للاهمال (ويقول الذين كفروا) وهم المستجلبون بالعذاب أيضا (لولا أنزل عليه آية
من ربه) أى قالوا عذابا لا أنزل على محمد من ربه علامة لنبوته كما أنزل على موسى وعيسى عليه
السلام قال تعالى له صلى الله عليه وسلم ازالة لرغبته فى حصول مقترحاتهم (انما أنت منذر) أى انما
أنت يا أشرف الخلق رسول مخوف من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون ولا حاجة الى الزامهم باتيان ما
اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبي مخصوص له هداية مخصوصة فلما كان الغالب فى زمان
موسى هو المبحر جعل مهيئته من جنس ذلك وهو العصا واليد ولما كان الغالب فى أيام عيسى الطيب جعل
مهيئته ما كان من جنس ذلك وهو احيا الموتى وبراء لا كه والابرس ولما كان الغالب فى أيام الرسول
صلى الله عليه وسلم الفصاحة جعل مهيئته ما كان لا تقابل ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب
لم يؤمنوا بهذه المهيئ مع كونها أليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المهيئات أولى (الله يعلم ما
تعمل كل أنثى) من حين العلوق الى زمن الولادة من أى شئ تحمل وعلى أى حال (وما تغيض الارحام
وما ترزاد) أى فى عدد الولد واحد واثنين وثلاثة وأربعة وفى جنسه فقد يكون الولد مخدجا أو تاما فى مدة ولادته
فقد يكون مدة الحمل تسعة أشهر وأزيد عليها الى ستين عند أبى حنيفة وإلى أربعة سنين عند الشافعى وإلى
خسة عند مالك (وكل شئ) من الاشياء (عنده) أى فى علمه تعالى (بمقدار) أى بحد لا يجاوز
ولا ينقص عنه (هالم الغيب) أى ما غاب عن العباد (والشهادة) أى ما علمه العباد (الكبير) أى
العظيم الذى يصغر غيره بالنسبة الى كبريائه (المتعال) أى المنزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته (سواء

منكم من أمر القول) في نفسه فلم يظهره على أحد (ومن جهريه) أي أظهره لغيره وقال ابن عباس أي سواء ما أضرته القلوب وأظهرته الألسنة (ومن هو مستخف) أي مستتر (بأن يسيل وسارب) أي بارز راء كل أحد (بأنهار) وقال مجاهد أي وسواء من أقدم على القبايح سرافي ظلمات الليل ومن أتى بها ظاهرا بالنهار أي فإن علمه تعالى محيط بالكل (له) أي لكل عن أمر أوجهر والمستخفي والسارب أول عالم الغيب والشهادة (معقبات) أي ملائكة حفظة يعقب بعضهم بعضا في الحجى إلى من ذكر ويعقبون أقواله وأفعاله بالكتب (من بين يديه ومن خلفه) أي يحيطون به من ذكر فيعدون عليه أعماله وأقواله ولا يتدبر من حفظهم أي هائلي أصلا (يحفظونه) أي من ذكر (من أمر الله) أي من رأس الله حين أذن بالآسماء أو برأى قبول أحواله من أجل أمر الله وقد قرئ به أو بسبب أمر الله كما نزل له قراءة على وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة بأمر الله (إن الله لا يغير ما بقوم) من أمن ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بترك الشكر (وإذا أراد الله بقوم سوءا) أي هلاك (فلا مرد له) أي لم تغن المعصيات شيئا فلا راد لعذاب الله ولا ناقض لحكمه (وما لهم من دونه) أي من غير الله (من وال) أي مانع من عذاب الله الذي أرادهم بتغيير ما بهم (هو الذي ير يك البرق) وهو لعان يظهر من خلال السحاب (خوفا) أي خائفين من وقوع الصواعق (وطمعا) أي وطامعين في نزول الغيث أو ذا خوف لمن له فيه المطر ضرر كالسافر ولكن يخفف الضرر الزيب والقمع وذات طمع لمن له فيه نفع كالحرث (ويشتئ السحاب) أي يرفع الغمام المنصب في الجو (الثقال) بالماء (وسبح الرعد بحمده) قيل الرعد اسم ملك موكل بالسحاب والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسبيح وفيه دل هو صوت الآلة الذي يتولد عند ضرب السحاب بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق أي آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما الصوت الذي نسمع قال زجر السحاب ويقال الرعد صوت السحاب وتسميته هو دلالة على وحدانية الله تعالى وفضله المستلزم لجمده (والملائكة من خيفته) أي وتسبح جميع الملائكة من هيبة الله تعالى وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤولر وأنه يحوز الماء في نفرة إلهامه وأنه يسبح الله تعالى فإذا سمع لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعند هاتين المطر (ورسل الصواعق) وهي نيران تنشا من السحاب (فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) أي في شأن الله (وهو شديد المحال) أي العقاب نزلت هذه الآية في عامرين الطفيل وأرب بن زبيعة أني لبيد بن ربيعة فأنهم أنبيا النبي صلى الله عليه وسلم يخاصه ويريد أن يقتله صلى الله عليه وسلم فقال أرب بن زبيعة فأنهم أنبيا ربنا أم نحماس هو أم من حد يد فلما أرجع أرسل الله عليه صاعقة في يوم محوصاتف فأحرقته ورحى عامر ابغدة كغدة البعير فمات على ظهر فرسه وعن الحسن أنه قال كان رجل من طوائف العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نغرا يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني من رب محمد هذا الذي تدعونني إليه فهل هو من ذهب أم من فضة أم من حد يد أم من نحاس فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا كقربا ولا أعنى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فقال أجيب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته إلا إلى بل أخبرتنا أنها فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده ينادي دعونه ارتفعت محابته فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق

الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا للخير والذى صلى الله عليه وسلم بالخير فاستقبلهم الاصحاب فقالوا
 احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويرسل الصواعق
 الخ (له دعوة الحق) أى الله الدعوة المطابقة للواقع حيث جعلها افتتاح الاسلام بحيث لا يقبل بدونها
 وهى شهادة أن لا اله الا الله وهى كلمة الاخلاص (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا
 كياسة كفيه الى الماء) أى والاصنام الذين يعبدونهم الكفار من غير الله لا يستجيبون لهم بشئ من
 طلباتهم الا استجابة كاستجابة الماء ان يسط كفيه اليه من بعيد (ليبلغ قاء وما هو ببالغه) أى ليبلغ
 الماء بنفسه من غير أن يغترف الى فيه وما الماء ببالغ فيه أبدا لكونه جحادا لا يشعر بعطشه ولا يسط يده
 اليه فكيف لا يبلغ الماء في هذا الرجل العطشان كذلك لا تنفع الاصنام من عبدها (رمادها الكافرين
 الا في ضلال) أى وما عبادة الكافرين الا في ضياع لا منفعة قيم الا أنهم ان عبدوا الاصنام لم يقدر واعلى
 نفعهم وان عبدوا الله لم يقبل منهم لأشرا كههم (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) أى
 ولله يسجد من في السموات ومن في الارض من الملائكة وبعض المؤمنين من الثقلين حال كونهم طائعين
 بسهولة ونشاط وحال كونهم كارهين للعبادة بعسقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين (وظلالهم بالغدر
 والآصال) أى والله يسجد ظلال من يسجد غدرة عن ايمانهم وعشية عن شمالكهم (قل) يا أشرف
 الخلق لقومك (من رب السموات والارض قل الله) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين
 للجوابية وبأنهم لا ينكرونه البتة ثم ألزمهم الحجية فقال (قل أفألتخذتم من دونه أولياء) أى أبعد اقراركم
 هذا عبدتم من غير الله أربابا (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه عن أنفسهم
 فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة بالغير ودفع الضرر عن الغير فاذن تجزوا عن ذلك كانت
 عبادتهم محض العبث والسفه (قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) أى
 قل لهم هل يستوى الجاهل بمسحق العبادة والعالم بذلك وهل يستوى الجهل بالحجة والعلم بها (أم جعلوا
 لله شبه كأم خلقه انك خلقه فتشابه الخلق علمهم) أمر الله رسوله بهذا الجواب اشعارا بأنه متعين
 بسبب ذلك وقالوا هو لا مخلقوا تخلقهم تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها أى هذه الاشياء التي زعموا انها
 شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا انها تشارك الله في كونها خالقة فتوجب أن تشاركه في
 الألوهية واستحقاق العبادة بل هؤلاء المشركون يعلمون بالضرورة ان هذه الاصنام لم يصدر عنها فعل البتة
 واذا كان الامر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الألوهية محض الجهل (قل الله خالق كل شئ)
 فلا شريك له في الخلق فلا يشاركه في استحقاق العبادة أحد (وهو الواحد) أى المتفرد بالألوهية
 (القهار) لكل ما سواه (أنزل من السماء) أى من جهتها (ماء فسال) بذلك الماء (أودية) أى
 أنهار (بقدرها) من الماء فان صغرا الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء (فاحتل السيل)
 أى الجارى (زبدا) أى غثاء (رايا) أى متفخا فوق الماء (ومما يوقدون عليه في النار) أى من
 الجواهر كالنحاس والذهب والفضة (ابتغاء حلية أو متاع) أى لطلب اتخاذ زينة أو اتخاذ متاع
 كالأواني (زبد) أى خبث (مثله) أى مثل رمج الماء في أن كالا منها شئ من الأكار (كذلك)
 أى مثل هذا التبيين الامور الاربعة الماء والجوهر والزيد (يضرب الله الحق والباطل) أى يبين
 الله مثل الايمان والكفر (فأما الزبد) من الماء والجوهر (فيذهب جفأ) أى يرميه الماء الى الساحل
 ويرميه الكبير (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافي والفلز الخالص (فيمكث في الارض) فالأما

يثبت بعضه في منافعهم ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والآبار والفقر يصاغ من بعضه أنواع
الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة والحاصل أن القرآن شبه بالماء
فإنه أنزل من ماء الكبرياء والاحسان وشبهت القلوب المنورة بالآودية لأن القلوب تستقر فيها أنوار
علوم القرآن فكان الآودية يستقر فيها الماء فيحصل في كل قلب من أنوار علوم القرآن ما يليق به من قوة
فهمة وقصوره كما يحصل في كل واحد من مياه الأمطار ما يليق به من سعته وضيقه وإن الماء يغلو وضرب
والفقر يخاطب خبث ثم إن ذلك يذهب ويبقى الحاصل منه كذلك بيانات القرآن تحتاط بها شبهات ثم تزول
ويبقى العلم والدين في الآخر وشبهت القلوب المظلمة بالسيل أي فاحتلت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها
بالنور واحتلت القلوب المظلمة باطلا كثيرا بها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب العجيب (يضرب
الله الأمثال) أي بين الله أمثال الحق والباطل فيجعلها في غاية الوضوح (للذين استجابوا لربهم
الحسن) أي للذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والتمسك بالشرايع الواردة على لسان رسوله
المنفعة الدائمة الخاصة عن شوائب المضرة المفعولة بالاجلال وهي الجنة (والذين لم يستجيبوا له لو أن ما لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لا فائدة له) أي والاشقياء الذين عاندوا الحق الجلي لو أن لهم ما في الارض
من أصناف الأموال جميعا لجعلوا ما في الارض ومثله فداء أنفسهم من العذاب لأن محبوب كل إنسان ذاته
إذا كانت في ضرر وكان ما السكاكل شيء فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها لأنه يحب ما سواها
ليكون وسيلة إلى مصالحها (أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسبوا بكل ذنب فلا يغفر منه شيء
(ومأواهم جهنم وبئس المهاد) أي المستقر هي (أفمن ينعم أنما أنزل اليه من ربك الحق كمن هو أعمى) أي
أفمن يعلم أن القرآن الذي مثل بالماء النازل من السماء وبآيات بر الخالص في المنفعة هو الحق كمن لا يعلم
(أنما ينزل القرآن) أي اغيا يتعظ بالقرآن ويتنفع بهذه الأمثلة وذو العقول الذين يطلبون من
كل صورة معناها (الذين يوفون بعهده الله) أي بما كلف الله العبدية فيدخل فيه الاتيان بجميع
الأمرات والوفاء بالعهود والأعمال لا سيما الامارات (ولا ينقضون الميثاق) مع الله العبدية من
أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)
وهو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم والقرابة الثابتة بسبب اخوة الايمان
وعيادة المريض وشهود الجنائز وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم
ويدخل في العباد كل حيوان حتى النجاسة والحرة (ويخشون ربهم) والخشية نوطان خوف من أن يقع
خلل في طاعاته وخوف هيبته وإن كان العبد في عين طاعته (يتخافون سوء الحساب) فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على فعل العبادات وعلى ثقل الامراض والمضار والغموم
وعلى ترك المشتهيات (ابتغاء وجه ربهم) أي طلب الرضاء خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق
رباءة ولا إلى جانب النفس زينة وتعجبا فكأن العاشق يرضى بضرب معشوقه لالتذاده بالنظر إلى
وجهه فكذلك العبد يرضى بالحنّة لاستغراقه في معرفة نور الله تعالى (وأقاموا الصلاة) وأفردوا بالذكر
تنبيهها على كونها أشرف من سائر العبادات ولا يعتنق أدغال التوافل فيها (وأنفقوا) نفقة واجبة
ومندوبة (عمارزقناهم مراما) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند إعطائه من نعمه
المروءة من أخذ مظاهر أو في التطوع (وعلانية) لغبر ذلك (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفون
المعصية بالتوبة ولا يجازون الشر بالشر بل يجازون الشر بالخير (أولئك لهم عقي الدار) أي عاقبة

الدنيا و مرجع أهلها (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى يدخل
جنات عدن المنعوتون بتلك النعوت الجليلة ومن آمن كما آمنوا من أصولهم وان علواذكورا كانوا أو
أنابوا من أزواجهم اللاتي متن في عصمتهم وذرياتهم وان لم يعمل مثل أعمالهم لان الله تعالى جعل من
قوابل الطيع مبروره بحضور أهله معه في الجنة وانما يلحق بهم من آمن من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
كرامة لهم وتعظيم الشان وهو دليل على أن الدرجة تعلوا بالشغاعة وقوله جنات عدن بيان لعقبي أو خير
مبتدا مضمهر (واللائكة يدخلون عليهم من كل باب) لكل واحد منهم خيمة من درة مجوفة لها أربعة
آلاف باب لكل باب مصراع من ذهب يدخل عليهم من كل باب ملائكة يقولون لهم (سلام عليكم) أى
سلمكم الله دعاء لهم وبشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليتكم أو بمعذرتكم أى هذه الكرامة
العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن (فمن عقي الدار) أى نعم عاقبة الدار التي
كنتم تعملون فيها هذه الكرامات التي ترونها (والذين ينفضون عهد الله) أى لا يعملون مقتضى الأدلة (من
بعد ميثاقه) أى من بعد ان وثق الله تلك الأدلة أو المعنى يتم كون فرائض الله من بعد تو كيد (ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل) أى ما أوجب الله وصله فيدخل فيه وصل الرسول بعبادة دينه ووصل سائر من له
حق (ويفسدون في الأرض) بالطاعة التي يغير دين الله بالنظم في النفوس والأموال (أولئك) أى الموصوفون
بالعياش (لهم اللعنة) أى الابعاد من خيرى الدنيا والآخرة الى نعمة (ولهم سوء الدار) أى سوء عاقبة
الدنيا (الله ييسر الرزق) أى ييسره (لمن يشاء) من عباده (ويقدر) أى يعطى من يشاء منهم بقدر كفايته
لا يفضل عنه شئ أى ان فتح باب الرزق في الدنيا لا يتعلق له بالكفر والايان بل هو متعلق بمجرد مشيئته
تعالى فقد يوسع على الكافر استدرجا ويضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه فالذي دار
امتحان (وزحوا) أى فرح من بسط الله له رزقه من كفارة مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) لا فرح مرور
بفضل الله تعالى (وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) أى انهم رضوا وبخط الدنيا معرضين عن نعيم
الآخرة والحسار ان ما بطروا به في مقابلة ما عرضوا عنه شئ قليل النفع مريع النفاذ كتناج اليست وزاد
الراعى (ويقول الذين كفروا) أى أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى هلا أنزل على محمد من ربه
علامة نبوته كما كانت للرسل الاولين (قل) هؤلاء المعاندين (ان الله يضل من يشاء) عن دينه
(ويهدى اليه) أى يرشد الى دينه (من أناب) أى من أقبل اليه أى ما أعظم عنادكم في الآيات
التي ظهرت على يد الرسول ان الله يضل من كان على صفتكم من شدة الشكينة على الكفر فلا سبيل الى
اهدائهم وان أنزلت عليهم كل آية طلبوها ويهدى اليه بأدنى آية جاء بها الرسول من كان على خلاف
صفتكم (الذين آمنوا) بما جاء به الرسول (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أى بكلام الله أى ان علم
المؤمنين بكون القرآن مجزأ بوجوب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من
عند الله وان شكهم في انهم أتوا بالطاعات كاملة يوجب الوجع في قلوبهم (ألا بد ذكر الله تطمئن القلوب)
أى ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم النحاسي انقلب ذهبيا باقيا على كسر الايمان فاكسر جلال
الله تعالى اذا وقع في القلب أولى ان يقبله جوهر صافيا نورانيا لا يقبل التغير (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لشجرة في الجنة غرسها الله
بيده تثبت الحلى والحلل وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة ويقال طوبى لشجرة في الجنة ساقها من
من ذهب وغرسها من كل لون وثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها تثبت الحلى والحلل وأصلها في دار النبی

صلى الله عليه وسلم وأغصانها امتدليات في كل دار وغرفة في الجنة وقد تمها كشبان المسك والعنبر والزعفران
 وينبت من أصلها عينان الكافون والسلسيل (وحسن ما تب) أي مقر (كذلك) أي مثل إرسالنا
 الأنبياء إلى أمم وأوطاننا إياهم كتبنا تلي عليهم (أرسلناك في أمم) أي إلى جماعة كثيرة (قد خلت
 من قبلها أمم) أي قد تقدمتها أمم كثيرة (لتتلو عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا إليك) فلماذا
 اقترحوا غيره (وهم) أي والحال أن أمتك (يكفرون بالرحمن) الذي رحمته وسعت كل شيء وما بهم
 من نعمة فنه وكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وفي إزال هذا القرآن المجيز عليهم روى الضحاك عن
 ابن عباس أن هذه الآية نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اصجدوا للرحمن أي
 اخضعوا بالصلاة وغيره للرحمن أي الذي لانهمة لكم الأمانة فالواو ما الرحمن متجاهلين في معرفته فضلا
 عن معرفة نعمته معبرين بأدق ما لا يعقل قال الله تعالى (قل) لهم أشرف الخلق (هو) أي الرحمن
 الذي أنكرتم معرفته (رب) أي خالق ومباني إلى مراتب السكك (لأله الا هو) أي لا مستحق
 للعبادة سواء (عليه توكلت) في جميع أمور لا على أحد سواء (واليه متاب) أي مرجعي في الآخرة
 (ولو أن قرأنا سيرته) أي زعمت بتلاوته (الجبال) من أمانتها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه
 السلام (أو قطعت به الأرض) أي شققت وجعلت أنهارا وعيوننا كما فعل بالمعجدين ضربه موسى
 بعصاه أو جعلت قطعا بعيدة (أو كالم به الموتى) بعد أن أحييت بقراءته عليها كما أحييت لعيسى عليه
 السلام فكان هو هذا القرآن لكونه ينطوي على عجائب آثار قدرة الله تعالى روى أن أهل مكة منهم أبو
 جهل بن هشام وعبد الله بن أمية قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام
 عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي إن سرنا أن ننبهك فسر جبال مكة بالقرآن فأدفعوها عنا حتى
 ينفسح المكان علينا لأنها ضيقة لمزارعنا وجعل لنا فيها أنهارا وعيوننا لنغرس الأشجار ونزرع فقلت كما
 زعمت بأهون على ربك من داود حيث مخزله الجبال تسرعه أو مضطربنا إلى الرحيم إلى الشام لمبرتنا
 وحوادثنا ترجع في يومنا كما مضت لسليمان فقلت بأهون على ربك من سليمان كما زعمت أو أحي لنا
 جدك قصص النساءه أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيي الموتى وأست بأهون على الله منه فأزل
 الله تعالى هذه الآية ولو أن قرأنا الخ (بل الله الأمر جميعا) أي بل الله الأمر الذي ورعه فذلك الاكوان
 وجودا وعدما إن شاء ففعل وإن شاء لم يفعل فأنه قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن
 ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا ظن له شكيمتهم (أفم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
 جميعا) أي أغفل المؤمنون عن كون الأمر جميعا لله تعالى فلم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هداية جميع
 الناس إلى دينه لهداهم لكنه تعالى لم يشأها فلم يظهر ما اقترحوا من الآيات قيل لما سأل الكفار تلك الآيات
 طمع المؤمنون في إيمانهم فطلبوا نزولها ليوثوا وعلموا أنهم لا يؤمنون برؤيتها ولا يزال الذين كفروا
 من أهل مكة (تصيبهم عاصفنا) من سوء أفعالهم (قارعة) أي داهية تفرعهم عما ينزل الله عليهم في كل
 وقت من أنواع البلاء والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أي أو تنزل
 تلك القارعة مكانا قريبا منهم فيفزعون منها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة (إن الله لا يخلف
 الميعاد) أي الوعد والمقصود من هذه الآية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه (ولقد استهزئ
 برسل من قبلك) أي أن أقوام ساءوا بالانبياء استهزؤا بهم كما كان قومك استهزؤا بك (فألميت للذين كفروا)
 أي فتركتهم بعد الاستهزاء مدة طويلة في راحة وأمن (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب)

أى على أى حالة كان عقاب إياهم هل كان ظالم لهم أو كان عدلاً (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى
 أفمن هو حافظ كل نفس مع ما عملت من خير وشر وهو الله القادر على كل الممكنات العالم بجميع الجزئيات
 والكميات كالاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا) أى الكفار (لله شركاء قل سموهم) أى سموهم
 بالآلهة وهذا أمر على سبيل التهديد والمعنى سواء سميتوهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فإنهم لا تستحق
 أن يلتفت العاقل إليها لمخافتها (أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض أم ينظرون أم ينظرون) أى أتقدرون
 على أن تخبروا الله بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى أم تنبؤونه بظهور من القول) أى أتقدرون
 معنى أى أتقولون بأفواهكم من غير فكر وأنتم ألباء فتفكرون وفى ذلك لتعلموا بطلانه وانما خص بنفى
 الشريك عن الأرض وإن لم يكن له تعالى شريك البتة لأن الكفار ادعوا أن له تعالى شركاء فى الأرض
 لا فى غيرها (بل زين للذين كفروا مكرهم) أى تخويهمهم بالباطل فانهم أظهروا أن شركاءهم
 آلهة حقاً وهم يعلمون بطلان ذلك وليس فيهم فى الباطن الاتقياد والآباء (وصدوا عن السبيل) قرأ
 هاهم وحزرة والكسافى هنا فى حم المؤمن بضم الصاد أى منعوا عن سبيل الحق والباقون يفتح الصاد
 أى أعرضوا عنه أو صرفوا غيرهم عنه وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال المكسورة إليها (ومن
 يضل الله) عن دينه بسوء اختياره (فأله من هاد) أى موثق للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا)
 بالقتل والسبي واغتنام الأموال واللعن (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد من عذاب الدنيا بالقوة
 وكثرة الأنواع وعدم الانقطاع وعدم اختلاط شئ من الراحة (وما لهم من الله) أى عذابه (من ولى)
 أى حافظ بعضهم من ذلك (مثل الجنة) أى صفة الجنة (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي
 (تجري من تحتها الأنهار) أى أنهار الخمر والماء والعسل واللبن (أكلها دأبهم) أى غمرها لا ينقطع
 (وظلها) كذلك أيضاً فليس هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة (تلك) أى الجنة (عقبى الذين
 اتقوا) أى منتهى أمرهم (وعقبى الكافرين) أى آخر أمرهم (النار) لا غير (والذين آتيناهم
 الكتاب) أى أعطيناهم علم التوراة والإنجيل وهم من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكتب
 وأصححها ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
 بالحبيشة (يفرحون بما أنزل إليك) أى بالقرآن لكونهم آمنوا به (ومن الأحزاب) أى بقية أهل
 المكاب وسائر المشركين (من ينكر بعض القرآن وهو الشرائع الحادثة) قل انما أمرت أن
 أعبد الله) وحده فعبادة الله واجبة على المرء فهذا يبطل القول بالجبر المحض وقول نفاة التكليف ولا
 تمكن عبادة الله إلا بعد معرفة الله ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل فهذا دليل على أن المرء مكاف بالنظر
 والاستدلال في معرفته الصانع وصفاته وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه (ولا أشرك به) وهذا
 يدل على نفي الشركاء فيمبطل من أثبت عبوداً سوى الله تعالى سواء قال أن المعبود هو الشمس أو القمر
 أو الكواكب أو الاصنام أو الأرواح العلوية أو جردان وأهراً من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة
 على ما يقوله الثنوية (إليه) أى إلى الله خاصة (أدعو) خلقه فكما يجب عليه صلى الله عليه وسلم
 الاتيان بالعبادة كذلك يجب عليه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهذا إشارة إلى نبوته
 صلى الله عليه وسلم (وإليه) أى إلى الله تعالى وحده (ما أب) أى مرجع الجزاء وهذا إشارة إلى
 النشر والحشر والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان في هذه الألفاظ القليلة عرف أنها محتوية على جميع
 المطالب في الدين (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلنا) أى ما أنزل إليك

(حكى) أى حاكم يحكم في القضايا والواقعات (عربيا) أى مترجما باللسان العرب (ولئن اتبعت
أهواءهم) أى التكفار (بعد ما جاءك من العلم) الفاضل من ذلك الحكم العربى (مالك من الله من
ولى) أى قريب يفعل (ولا واق) أى مانع يمنعك من مصارع السوء روى أن المشركين دعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة آباءه فهدده الله تعالى على اتباع أهوائهم في ذلك (ولقد أرسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم أزواجا) أى نساء فقد كان سليمان ثلاثا امرأة حرة وسبع مائة مربية وكلن لآبائه
دأود مائة امرأة (وذرية) أى أولاد مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب (وما كان رسول أن يأتي بأية)
مما اقترح عليه (الاباذن الله) أى بإرادته (لكل أجل) أى لكل وقت من الأوقات (كتاب)
أى حكم معين مكتوب في صحف الملائكة التي تنسخها من اللوح المحفوظ فقد ثبت فيها أن أمر كذا
يكون في وقت كذا على ما تقتضيه الحكمة (بمحو الله ما يشاء) من الأحكام لما تقتضيه الحكمة
بحسب الوقت (ويثبت) أى يثبت على حاله (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ إذ
ما من شئ من الذاهب والناثبات إلا وهو مكتوب فيه كما هو فالحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه تعالى
عالم بجميع المعلومات على سبيل التفصيل فعند الله كتابان يكتب الملائكة على الخلق وهو محل
الحق والاثبات وكتاب كتبه القلم بنفسه في اللوح المحفوظ وهو الباقي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال كان الله ولا شئ ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق في قيام الساعة علم أن القوم كانوا
يذكرون أنواعا من الشبهات في إبطال نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالشبهة الأولى أنهم عابوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وبأكل الطعام والمشى في الأسواق وبكونه من جنس البشر وقالوا
لو كان محمد رسولا من عند الله لما اشتغل بالنسوة بل كان مشغولا بالنسك والزهد وقالوا الرسول الذي
يرسله الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة وقالوا لو كان محمد رسولا من الله لما أكل
ولما مشى في الأسواق فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية أى أن الأنبياء الذين كانوا قبل محمد كانوا من جنس البشر فانتصوا وبصفاته من الزواج والأكل ونحو
ذلك ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكيف يحجبون ذلك قاذحا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والشبهة الثانية
قولهم لو كان محمد رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه من المجهزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى
عنه بقوله وما كان رسول أن يأتي بأية إلا بآذن الله أى أن المجهزات الواحدة كافية في إظهار الحق فإزالة
عليه ما فوضه إلى مشيئة الله تعالى أن شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها والشبهة الثالثة أنه صلى الله عليه
وسلم كان يخوفهم بتزول العذاب فيهم وظهور النصر له ولا محاباة فلما تأخر ذلك طعنوا في نبوته صلى الله
عليه وسلم وقالوا لو كان محمد نبيا لما ظهر كذبه فأجاب الله تعالى عنه بقوله لكل أجل كتاب أى أن نزول
العذاب على الكفار وظهور النصر للمؤمنين لا يقضى الله بمحصولها في أوقات مخصوصة ولكل حادث وقت
معين ولكل أجل كتاب فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر تلك المواعيد لا يدل على
كونه صلى الله عليه وسلم كاذبا والشبهة الرابعة قولهم لو كان محمد صادقا في دعوى الرسالة لم ينسخ
الأحكام التي نص الله تعالى على نبوتها في الشرائع المتقدمة لكنه حرقها كما في القبلية ونسخ أكثر أحكام
التوراة والإنجيل فوجب أن لا يكون نبيا فأجاب الله عنه بقوله بمحو الله ما يشاء ويثبت (واما زينك) أى
أن ترك (بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك (أو توفيك) أى نقبضك قبل أن ترينك
(فإنما عليل البلاغ) أى سواء أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الذي نؤي في حياتك أو توفيناك

قل ظهوره فالواجب عليك تبليغ أحكام الله تعالى وأداء رسالته وأمانته فلا تم تم عاورا ذلك فمن
 نكف بكم ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يفجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية (وعليها
 الحساب) أي وعليها لأعليك محاسبة أعمالهم السنية ومجازاتها (أولم يروا أنأت الأرض تنقصها
 من أطرافها) أي أنسكر أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أنأت أخذ أرضهم نقتعها من نواحيها للمسلمين
 شافسيما ونهقها بدار الاسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والامرو والاجسلا ليس هذان ذلك (والله
 يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار (لما عقب لحكمه)
 أي لارادله (وهو سريع الحساب) أي فيعذر من قليل يحاسبهم في الآخرة غلب ما عذبهم في الدنيا
 بالقتل والامر والايخرج من ديارهم (وقدمكر الذين من قبلهم) أي وقد مكر الكفار الذين مضوا من
 قبل كفار مكة بأنبيائهم فمرد مكر ابراهيم وفرعون ومكر عيسى واليهود مكر وابعيسى كما مكر هؤلاء بل
 (فقه المكر جميعا) أي ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه تعالى وارادته فوجب أن لا يكون الخوف
 الا من الله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فكل ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع فلا قدرة للعبد
 على الفعل والترك (وسيعلم الكفار) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر الكافر على لفظ المفرد وقرأ جناح
 ابن جيمس وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام أي سيخبر (لمن عقبى الدار) أي ان العاقبة الحسنة
 (ويقول الذين كفروا) أي اليهود وغيرهم (لست برسلا) من الله يا محمد (قل) لهم يا أكرم
 الرسل (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه تعالى قد أظهر المجهزات الدالة على كوني صادقاً في
 دعوى الرسالة (ومن عنده علم الكتاب) أي السماوي ككتب الاحبار وسلمان الفارسي وعبدالله
 ابن سلام وعيم الداري وآصف بن برخيا فكل من كان عالماً بالتوراة والانجيل علم أن محمداً رسل من عند
 الله يقرى ومن عنده علم الكتاب عن الجارة التي لا تبدأ الغاية أي ومن عند الله حصل علم القرآن لان
 أحدا لا يعلمه الا من تعليمه ثم على هذه القراءة فقرأ أيضاً علم الكتاب على البناء للمفعول أي ايا أمر الله
 نبيه أن يحتج عليهم بشهادة الله على رسالته ولا يكون ذلك الا بظهور القرآن ولا يعلم العبد كون القرآن
 معجزا الا بعد العلم بما فيه من أسرار الله تعالى ان هذا العلم لا يحصل الا من عند الله

سورة ابراهيم مكية ثمانون وخمسون وكل اسماء ثمانية واحدى وثلاثون
 وسور فيها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون

(بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب) أي السورة المسماة بالكتاب (أزلنا البلى) يا أمرف الخلق (لتخرج
 الناس) كافة بدعائهم (من الظلمات) أي ظلمات الكفر والضلالة والجهل (الى النور) أي الايمان
 وهذه الآية دالة على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق واحد (بذن ربهم) أي بتسهيله
 فان الرسول لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات الى النور الا بمشيئة الله وتخليقه (الى صراط العزيز الحميد)
 أي الى دين الكامل القدر المستحق للحمد في كل أفعاله (الله) قرأ نافع وابن عامر بالرفع (الذي له ما في
 السموات وما في الارض) ملكا ومسلكا (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي لما ترك الكفار عبادة الله
 الذي هو مالك السموات والارض ولكل ما فيهما ما وعدوا ما لا يملأون ولا تغفوا لويل ثم الويل لمن كان
 كذلك أي يولون أي يصيحون من عذاب غليظ ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون الحياة الدنيا على
 الآخرة) أي يختارون الدنيا على الآخرة فهم ضالون (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن

قبول دين الله فهم مضلون (وبعضونها عوجا) أى يطلبون ليسيئلا الله زيفوا ويقولون لمن يريدون اضلاله
 انها ثلاثة غير مستقيمة فهذه اية الضلال والاضلال (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (في
 ضلال) عن طريق الحق (عبد) أى فى غاية البعد عنه فلا يوجد ضلال أكل من هذا الضلال
 (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أى الامتكم بالبلغته من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة
 لغرس سيدنا محمد خصوص عشيرة رسوله وبالنسبة اليه كل من أرسل اليه من أصناف الخلق لاندسالته
 عامة لجميع الخلق وهو صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية
 لانه لم يصادف انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه امكلمه بها (ليبين لهم) ما كلفوا به بلغاتهم فيكون
 فهمهم لاسرار الشريعة أسهل ووقوفهم على المقصود أكل (فيضل الله) عن دينه (من يشاء) أى
 يمنع الطاعة تعالى به (ويهدى) لدينه بمنح الاطاف (من يشاء) قوة وية البيان لا توجب حصول
 الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية وربما ضعف البيان وحصلت الهداية لان الهداية والاضلال
 لا يحصلان الا من الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) فلا يغالب في مشيئته ولا يفعل شيئا الا لحكمة
 (واقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته التى أظهرها لبني اسرائيل (أن أخرج قومك من
 الظلمات) أى ظلمات الكفر (الى النور) أى نور الايمان فان معجزة لارسلنا (وذكرهم
 بأيام الله) أى بنعم الله عليهم كأنفلاق البحر وظليل الغمام وعلى من قبلهم عن آمن بأرسل في ما سلف
 من الايام وببأس الله عليهم وهى أيامهم تحت قهر فرعون وبعباب الله عن كذب الرسل فيما سلف من
 الايام كما زل بعادوث ودوغيرهم ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا وليحذروا من الوعيد فيتركو الكذب
 (ان فى ذلك) أى فى التذكير بالوقائع (آيات) أى دلائل (لكل صبار شكور) وهذا تنبيه على
 ان المؤمن يجب ان لا يتخلى زمانه عن أحد الامرين الصبر والشكر لان الحال اما ان يكون حال بلية أو حال
 عطية فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه كان شكورا وان جرى بما يلائم طبعه كان صابرا قال الانفاغ
 بهذا التذكير لا يكون الا ان كان صابرا أو شاكرا (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم)
 أى مستقرة عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أى وقت انجائهم اياكم منهم (يسومونكم سوء
 العذاب) أى يطلبون منكم الاعمال الشاقة (ويذبون) تذيبها كذيبا (أبناءكم) صغارا
 (ويستحيون نساءكم) أى يستخفونهن كبارا بالاستحياء وية قوتهن منفردات عن الرجال (وفى
 ذلكم) أى المذكور من الافعال الفظيعة (بلاء من ربكم عظيم) لا يطاق وفى الخلاص من ذلك نعمة
 عظيمة (واذ تأذن ربكم) أى واذا كروا حين أعلم ربكم فى السكاب وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه
 واذا قال ربكم (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمة الانجاء واهلال العدو وغير ذلك بالايمان الحاصل
 والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة وحقبة الشكر هو الاعتراف بنعمة المانم مع تعظيمه
 ومزيد النعم الجسمانية ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر ومزيد
 النعم الروحية ان النفس اذا اشتغلت بطاعة أنواع فضل الله واحسانه أوجب ذلك الاشتغال تأكد
 محبة العبد لله تعالى ثم قد ترقى العبد من تلك الحالة الى ان يصير محبة للنعم شاغلا عن الالتفات الى النعم
 فالتشكر مقام شريف يوجب السعادة فى الدين والدنيا (ولئن كفرتم) أى أنكرتم نعمتى فعسى يصيبكم
 عذابى (ان عذابى لشديد) وكفران النعمة لا يكون الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله تعالى
 والجاهل بما جاها لله والجهل بالله من أعظم أنواع العذاب (وقال موسى ان تكفروا) نعمة تعالى ولم

تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض جميعا) لم يرجع ضرر الكفر إلا عليكم (فإن الله لغني) عن شكر الشاكرين (حميد) أي مستحق الحمد في ذاته وإن لم يحمد أحد بدل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بجمده (ألم يا تحكم) يا بني إسرائيل (نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي من بعده هؤلاء المذكورين (لا يعلمهم إلا الله) أي لا يعلم عددهم إلا الله لكثرتهم وهذه الجملة حال من الذين آمنوا بالغير المستكن في من بعدهم (جاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحة على صدقهم وهذه الجملة تفسر لنبأ الذين من قبلكم (فردوا أيديهم في أفواههم) أي وعض الكفار أيديهم من الغيظ من شدة نفرتهم عن اصغاء كلام الرسل أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين إلى الرسل أي كفوا عن هذا الكلام واسكتوا (وقالوا أنا كفرناحبا أرسلتم به) على ادعائكم ذاتهم ما أقروا بأن أمرا الرسل ومنهياتهم من الله تعالى (وانا في شك) عظيم (عمادعوننا إليه) من الإيمان بالله والتوحيد وقرئ تدعوننا بادغام النون (مرتب) أي ذى قلق النفس (قالت رسالهم أفي الله شك) أي في وجود الله ووحدة شئ وهو أظهر من كل ظاهر (فاطرا السموات والأرض) أي مدعاهما وما فيهما (يدعوكم) إلى التوحيد بأرساله إيانا (ايغفر لكم) بسببه (من ذنوبكم) في الجاهلية (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يؤخر موتكم إلى وقت معين عند الله أن آمنتم ولا عاجلكم الله بالاستئصال (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) من غير فضل (تريدون) بالدعوة (أن تصدونا) أي تصرفونا (عما كان يعبد آباؤنا) أي عن عبادة ما استقر آباؤنا على عبادته (فأتونا بسلطان مبين) أي وإن كنتم رسلا من الله فأتونا بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدعون من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده قالوا ذلك عناداً من الرسل قد أتوهم بالآيات الظاهرة (قالت لهم رسالهم) بحجارة معهم في أول مقالهم (إن نحن إلا بشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله يبين على من يشاء من عباده) بالنبوة فأنه ساعطيه من الله من غير سبب (وما كان لنا) أي ما استقام لنا (أن نأتيكم بسلطان) أي بحجة (إلا بإذن الله) أي بإرادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومقصود الرسل بهذا القول حمل أنفسهم على التوكل فإن الكفار أخذوا في التخويف حتى قالوا للرسل توكلوا أنتم على الله حتى ترأوا ما يفعل بكم فقالت الرسل (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) أي أي عذر لنا في ترك التوكل على الله والحال أنه قد هدانا طرقه التي نعرفه بل نعلم أن الأمور كلها بيده (ولنصبر على ما آتيناكم) بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك فإن الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أمر الرسل في هذا اتباعهم بالتوكل بعد أمر أنفسهم به وذلك يدل على أن الأمر بالخبر لا يؤثر إلا بعد الايمان به فالإنسان إما أن يكون ناقصاً أو كاملاً فالناقص إما أن يكون ناقصاً غير ساع في تنقيص حال غيره فهو ضال وإما أن يكون ساعياً في ذلك فهو مضل وإما أن يبايع الوصفين فهو مهتد والكامل إما أن يكون غير قادر على تكميل الغير فهو ولي وإما قادراً على ذلك فهو نبي فالولي هو الإنسان المكامل والنبي هو الإنسان الكامل المكمل (وقال الذين كفروا) أي الغالون في الكفر (ارسلهم لخروجكم من أرضنا) أي من مدينتنا (أو لنعودن في مدينتنا) أي لتصيرن داخلين في مدينتنا (فأوحى إليهم) أي الرسل (ربهم) لهم لكن الظالمين ولنسكننكم الأرض) أي أرض الظالمين وديارهم (من بعدهم) أي من بعد هلاكهم (ذلك) أي أسكان الأرض ثابت (إن خافى مقامى) أي لمن خافنى وخاف حفظي لأعماله (وخاف وعيد) أي عذاب الموعود لا كفار (واستفتحوا) أي طلب كل من الرسل والقوم النصرة على عدوه

فنهض الله ارسلا (وخاب كل جبار) أى خسر عند الدعاء من النصرة كل متكبر عن عبادة الله (عنيد) أى منحرف عن الحق (من ورائه جحيم) أى من بعده هذه الخيبة جهنم يلقى فيها (ويسقى من ماء صديد) أى يحاسب من جلود أهل النار من القيح والدم (يتجرعه) أى يتناول جرعة جرعة على الاستقرار الغلبة العطش والحرارة عليه (ولا يكاد يسهفه) أى لا يكاد أن يجريه في الخلق بل يستمكه فيه لمراته وثقله فوصله إلى الجوف ليس بأجازة (ويأنيه الموت من كل مكان وما هو عيت) أى يجد ذلك الكافر ألم الموت من كل مكان من أعضائه حتى من أصول شعره وأههام رجله والحال أنه لا يموت من ذلك العذاب (ومن ورائه عذاب غليظ) أى ومن بعد ذلك العذاب عذاب أشدهما هو عليه لا ينقطع ولا يخف بسبب الاعتقاد كفى عذاب الدنيا (مثل الذين كفروا برؤسهم أعمالهم) أى صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصله ورحم واعتناق رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والدواغاة ملهوف (كرما أشتدت) أى ذرت (به الريح في يوم عاصف) أى شديد الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شيء) أى لا يجدون يوم القيامة أثر أعمالهم لو أن الدنيا من ثواب أو تخفيف عذاب كما لا يوجد من الرماد شيء إذا ذرته الريح وذلك لفقد شرط الأعمال وهو الإيمان (ذلك) أى عملهم (هو الضلال البعيد) أى الضياع البعيد عن نيل الثواب (ألم تر) أى قد أخبرت أيها المخاطب (أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أى ملتبسا بالحكمة وليس عينا فورا حزوا والكسافي خالق السموات على اسم الفاعل والاضافة (أن يشأ يذهبكم) أى يهلككم بالمرءة (ويأت خلقا جديدا) سواكم أطوع لله منكم (وما ذلك) أى أذهبكم ولا تيمان ببدلكم (على الله بغير) أى يعتمدون القادر لا يصعب عليه شيء (وبرزوا لله جميعا) أى ويخرجون من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة (لذين استكبروا) عن عبادة الله وهم أكبرهم (أنا كآلهم تبعنا) في الدنيا في تكذيب الرسل والأعراض عن نصيحتهم (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أى فهل أنتم في هذا اليوم أفعون عنا بعض شيء هو عذاب الله (قالوا) أى القادة (لوهذا أنا الله لهديناكم) أى لوخلصنا الله من العقاب وهذا إلى طريق الجنة لهديناكم طريق النجاة ودفعنا عنكم بعض العذاب ولكن سدا الله عنا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا) مما القينا (أم صبرنا) على ذلك أى الصياح بالتضرع والصبر مستويان علينا في عدم الانجاء (مالنا من محيص) أى محل هرب من العقاب (وقال الشيطان) أى يقول إبليس رئيس الشياطين خطيبا في محفل الأشقياء من الثقلين (لما قضى الأمر) أى فرغ منه بأن استقرأ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقد قالوا له أشفع لنا فأنك أضللتنا (أن الله وعدكم وعد الحق) وهو الوعد بالبعث والجزاء على الأعمال فصدق في وعده ما يابكم (ووعدتكم) أن لا تبعث ولا حساب ولا جنه ولا نار ولئن كان فالأصنام شفعاءكم (فأخلفتكم) أى كذبت لكم وتبين خلف وعدي (وما كان لي عليكم من سلطان) أى حجة تدل على صدقي أو قهرا فاقهركم على الكفر والمعاصي (الآن دعونكم) أى الادعائي أياكم إلى الضلالة بوسوستي (فاستجبتم لي) أى أجبتوني (فلا تؤمنوني) بوعدي أياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر (ولموا أنفسكم) حيث أجبتوني باختياركم حين دعوتكم بلا دليل فما كان مني الادعاء والتماء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل وكان من الواجب عليكم أن لا تغروا بقولي فلم ارجعتم قولي على الدلائل الظاهرة كان التأويل عليكم لا على في هذا الباب (ما أنا بصرحكم) أى بغيثكم من عذابكم (وما أنتم بعصرخي) أى بغيثي من عذابي (إني كفرت

بما أشركتمون من قبل) أي أي الآن تبرأت من أشرككم أي أي مع الله في الطاعة من قبل هذا اليوم
 أي في الدنيا أي لأن الكفار كانوا يطيعون إبليس في أعمال الشر كإطاع الله في أعمال الخير ومعنى
 أشركهم إبليس بالله تعالى طاعتهم لا إبليس في تزيينه لهم في عبادة الأوثان (إن الظالمين لهم عذاب
 أليم) هذا تمام كلام إبليس قطعاً لا طماع أولئك الكفار عن الأغاثة فالوقوف على من قبل حسن أو
 ابتداء كلام من حضرة الله تعالى إيقاظاً للسامعين حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم فالوقوف على
 من قبل تام كما هو عند أبي عمر (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها بأذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم (تحية لهم فيها سلام) فإن
 بعضهم يحيى بعضهم هذه الكلمة والملائكة يحيونهم بأمر الرب الرحيم يحييهم أيضاً هذه الكلمة وقرأ الحسن
 وأدخل على صيغة التكلم وعلى هذه القراءة فقولهم بأذن ربهم متعلق بتحيتهم أي تحييمهم الملائكة بالسلام
 بأذن ربهم (المر) أي ألم تخبر يا شرف الخلق (كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) أي كيف
 جعل الله كلمة طيبة وهي لا اله الا الله مثلاً وهي (كشجرة طيبة) وهي النخلة (أصلها ثابت) أي
 ضارب بعروقه في الأرض (وفرعها في السماء) أي أعلاها في الهواء (تؤتي أكلاً) أي تعطى
 هذه الشجرة ثمرها (كل حين) أي كل وقت وكل ساعة ليلاً ونهاراً شتاءً وأصيفاً فيؤكل منها الجمار
 والطلع والبلح والحلال والبسر والمندف والربط وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين
 الطرى الربط فأكلها دائماً في كل وقت (بأذن ربها) أي بإرادة طالعها كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب
 المؤمن بالبرهان وهل المؤمن المخلص يرفع إلى السماء وفي كل حين يعمل خيراً بأمر ربه وحكمة تعزيل
 كلمة التوحيد بالشجرة أن الشجرة تكون بثلاثة أشياء عرق وأصل قائم وقرع عال كذلك التوحيد
 يكون بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأيدان (ويضرب الله الأمثال) أي يبين
 الله صفات التوحيد (للناس لعلهم يتذكرون) أي يتعظون لأن في ضرب الأمثال تصوير المعاني
 فيحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب (ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك بالله (كشجرة
 خبيثة) كالخنظل والكشوش وهي نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض
 (اجتمت) أي استوصلت (من فوق الأرض) لتكون عروقه في وجه الأرض أي ليس لها أصل
 ولا عرق يغوص في الأرض فتسميتها شجرة للشأ كلمة فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة (مالها
 من قرار) أي ثبات على وجه الأرض فلا يقبل مع الشرك عمل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)
 أي الذي يثبت بالحق عندهم وتمكن في قلوبهم وهو شهادة أن لا اله الا الله (في الحياة الدنيا) فلا
 يزالون عن تلك الشهادة إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وإبراهيم وإسماعيل والذين قتلهم أصحاب
 الأخدود (وفي الآخرة) أي في القبر حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربني الله ودينني
 الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم وحكي أن سهلاً بن عمار العمل يقول رأيت يزيد بن هرون في منامه
 بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتيت في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت
 بطيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلني يقال هذا وقد علمت الناس جوابك لثمانين سنة فذهبا وكلماً كانت
 مواظبة العبد على ذكر لا اله الا الله وعلى التأمل في دقائقها أتم وأكمل كان دسوخ هذه المعرفة في قلبه
 بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبت الله عليه في قبره
 ويلقنه إياها وأما تفسير الآخرة فهنا بالقبور لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام

الآخرة (ويضل الله الظالمين) أي يصرف الله المشركين عن قول لا اله الا الله في الدنيا وفي القبر وعند
 خروجهم من القبور فانهم اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري (ويفعل الله ما يشاء) من الاضلال
 والتضييت ومن صرف متكرونيكبر (ألم تر) أي ألم تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) كأهل
 مكة حيث أسكنهم الله حرمه الآمن ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا
 بذلك فقتلوا سبع سنين فقتلوا وأمروا يوم بدر (وأحلوا قومهم) أي أنزل بعض قريش المطعمون يوم
 بدر وهم بنو أمية وبنو المغيرة أتباعهم وهم بنية قريش بسبب اضلالهم إياهم (دار البوار) أي دار
 الهلاك (جهنم يصلونها) أي يدخلونها يوم القيامة مقامين لحرها (وبئس القرار) أي بئس المنزل
 جهنم (وجعلوا لله أندادا) أي أشباها وشركاء في التسمية والحظ والعبادة (ليضلوا عن سبيله) الذي
 هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فاللام للعاقبة والباءقون بضمها فالتلام اما للعاقبة لان عبادة
 الاوثان سبب يؤدي الى الضلال أو للتعليل فالذين اتخذوا الاوثان يريدون اضلال غيرهم وتحقيق لآلام
 العاقبة ان المقصود من الشيء لا يحصل الا في آخر المراتب كقيل أول الكفر آخر العمل وكل ما حصل في
 العاقبة كان شيئا بالامر المقصود في هذا المعنى (قل تمتعوا) بعبادتكم الاوثان وعيشوا بكمفركم
 وهذا الامر تهديد لهم (فان مصيركم) أي مرجعكم يوم القيامة (الى النار) ليس الا (قل لعبادي
 الذين آمنوا يقيموا الصلاة) وهذا ما يجزومان في جواب أمر بخذوف أي قل لهم أقيموا الصلاة فان
 قل لهم ذلك يقوموا الصلاة أو يجزومان بلام أمر مقدر أي ليقموا الصلاة أي الواجبة (وينفقوا مما
 رزقناهم) أي أعطيناهم (مرا وعلانية) أي أنفقوا اتفاق سر وعلانية والمراد حث المؤمنين على
 الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا كمنه صنيع الكفرة (من
 قبل ان يأتي يوم لا بيع) أي معارضة (فيه ولا خلال) أي مصادقة تنفع وهو يوم القيامة وانما
 الانتفاع فيه للمؤمن بالعمل الصالح والاتفاق لوجه الله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض) رهما
 أصلات في دلالة وجود الصانع (وأنزل من السماء) أي السحاب (ماء) فلولوا السماء لم يبع أنزال
 الماء منها لولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الفرات رزقا لكم)
 تعيشون به فاذا علم المكافون ان في تحصيل هذه المنافع الظليلة تحمل المتاع فالتناع العظيمة الدائمة
 في الآخرة أولى بحمل المشاق في طلبها (ومخرلكم الفلك) أي السفن (لتجري) أي الفلك تجري
 تابعالا راد لكم (بأمره) أي بعيشته التي يطي بها كل شيء فان الانتفاع بما ينبت من الارض لا يكمل الا
 بوجود الفلك لنقله الى البلد الآخر المحتاج أهلها اليه (ومخرلكم الانهار) أي لتنتفع عوامها في نحو
 الشرب وسقي الزراعات (ومخرلكم الشمس والقمر ودائنين) أي جارين فيما يعود الى مصالح العباد
 لا يفتقران في سيرهما الى انقضاء عمر الدنيا ولولا هما لاختلت مصالح العالم بالكلية (ومخرلكم الليل
 والنهار) لنامكم ومعاشكم (وأتاكم من كل ماسألكم) أي كل ما لم تصلح أحوالكم الا به فمكأنكم
 سائلكم أو من كل ما طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا نعمة الله التي أنعم الله بها عليكم لا تحصىوها)
 أي لا تطيقوا على عدائهم افضلا عن عدا أفرادها فانها غير متناهية (ان الانسان لظلم لظوم كفار) أي
 فان الانسان مجبول على النسيان والملافة فاذا وجد نعمة نسيها في الحال وترك شكرها فذلك ظلم وان لم
 ينسها فانه يغلها فيقع في كفران النعمة وأيضا ان نعم الله كثيرة فتحي حاول الانسان التأمل في بعضها غفل
 عن الباقي (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) أي مكة (آمنا) من الحراب ومن الخوف لمن التجأ

اليه (واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام) أي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام ومن البعد
عن عبادة الأصنام أو المراد عصمتنا من الشرك الحفي وهو عند الصوفية تعليق القلب بالوسائط والأسباب
الظاهرة (رب انهم أضلن كثير من الناس) أي ان الأصنام ضل بهن كثير من الناس أي لما حصل
الاضلال عند عبادتها نسب اليها (فن تبعني) في ديني واعتقادي (فانه مني) أي فانه جار مجرى
بعضي لقربه مني (ومن عصائي) أي خالف ديني (فأفل غفور رحيم) أي فأفل قادر على ان تغفر له
وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام (ربنا ان أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي اسمعيل
ومن سبيولده (بواد غير ذي زرع) أي في واد ليس فيه زرع (عند بيتك المحرم) أي المعظم الذي
يهابه كل جبار والذي يمنع من الطوفان وهو مكة شرفها الله تعالى فلعله قال ذلك باعتبار ما سيؤول اليه
أو باعتبار ما كان (ربنا ليقيموا الصلاة) أي ياربنا اغنا أسكنت قومنا من ذريتي وهما اسمعيل
وأولاده في هذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة نحو الكعبة (فاجعل أفئدة من الناس تهوي
اليهم) أي فاجعل قلوب بعض الناس تسرع الى ذريتي شوقا اليهم ينقل المعاشات اليهم بسبب التجارات
بالنسك والطاعة لله تعالى وقرأ العامة تهوي بكسر الواو وقرأ أمير المؤمنين علي وزيد بن علي ومحمد بن علي
وجعفر بن محمد ومجاهد بن فتح الواو أي تهوي وقرئ على البناء للفعل أي اجعل فتوب بعض الناس عمالة
اليهم (وارزقهم) أي ذريتي (من الثمرات لعلهم يشكرون) تلك النعمة فان ابراهيم عليه السلام
اغما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل ان يتفرغوا لقامة الصلاة وأداء الواجبات (ربنا انك تعلم
ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها فلا حاجة بنا الى الدعاء اغما ندعوك اظهار التبعودية لك واقتدارا
الى ما عندك (وما يخفي على الله من شيء الا في الارض ولا في السماء) وهذه الجملة من كلام الله تعالى
تصدقا لابراهيم عليه السلام وهي اعتراض بين كلامي ابراهيم فالوقف على نعلن حسن كالوقف
على في السماء (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي حال كوني بعد الكبر (اسمعيل وامحق)
دري انه لما ولد اسمعيل كان من ابراهيم تسع وتسعين سنة ولما ولد امحق كان تسعة واثنتي عشرة
سنة (ان زبني له سبع الهجاء) أي لم يبق الهجاء وهو عالم بالتصود (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي
مشارعا لها (ومن ذريتي) أي واجعل بعض ذريتي كذلك (ربنا وتقبل دعاء) وقال ابن عباس أي
عبادتي (ربنا اغفر لي ما فرط مني من تركك الاول في باب الدين وغير ذلك) (ولولا شيء) وهذا الاستغفار
قبل تبين امرهما وقرأ ابن حبان والوالدي بكون اليا وقرأ الحسين بن علي ومحمد بن زيد ان الله تعالى بن الحسن
والموسى بن يحيى بن محمد بن ابراهيم وقرأ ابن عمر ورواه في بعض النوازل وكون التزم وكسر النال
جميع ويؤلفوا آت الشاذة ثلاثة (والمؤمنين) كقصة أي من ذرية ابراهيم وغيرهم في قصة الهجاء وثلاثة
عظيمة لجميع المؤمنين بالتقوى والله تعالى لا يرد دعاء مخطئ ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي
يوم تبين محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل (ولا تحسبن الله) يا مشرك تفتق (غافلا عما
يعمل الظالمون) أي تترك عقوبة المشركين بما عملوا والمراد تشبهه على الله عليه ومنه على ما كن عليه
من انه صلى الله عليه وسلم لا يحسب الله ولا يرد دعاء مخطئ ابراهيم عليه السلام (يوم يقوم الحساب) أي
عليه تعالى أحد آله ورائد ثلاثة اما ان يكون في ذلك النظام أو في جزاء عن الانتقام أو راضيا بذلك
النظام ومن ذلك حال عليه تعالى فأمته من ان يستقم للنظام من الظالمين (الظالمون) بل عذاب
الاستقصاء (اليوم) أي لاجل يوم (تخلص فيه الايضار) أي تبقى مقسومة في تحريك أفعالهم

للهشة (مطعمين) أي مسرعين نحو البلايا ناظرين إلى الداعي وهو جبريل حيث يدعو إلى الحشر من مخرة
بيت المقدس (مقنعي رؤسهم) أي رافعي رؤسهم إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد (لا يرتد إليهم
طرفهم) أي يدوم شخص أبصارهم لدوام الحيرة في قلوبهم (وافئدتهم هواه) أي خالية عن جميع
الأفكار أعظم ما ينالهم من الحيرة لا تحققوه من العقاب وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة
(وأند الناس يوم يأتهم العذاب) أي وخوف الكفار يا كرم الرسل أهوال يوم القيامة (فيقول الذين
ظلموا) أي كل من ظلم بالشرك (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) أي أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا وأمهلتنا
إلى حدم من الزمان قريب (نحجب دعوتك) لنا على السنة الرسل إلى التوحيد (وتتبع الرسل) فيها
جاؤنا به أي نتدارك في الدنيا ما فاتنا من اجابة الدعوة واتباع الرسل فيقول الله لهم توبينا (أو لم تكونوا
أقسمتم) أي أطلبتم هذا المطلب وهل لم تكونوا حلفتم (من قبل) هذا اليوم أي في الدنيا (مالكم من
زوال) أي كانوا يقولون بالخلف لا زوال لنا من هذه الحياة إلى حياة أخرى ومن هذه الدار إلى دار المجازاة
أما زوالهم من غنى إلى فقر ومن شباب إلى هرم ومن حياة إلى موت فلا ينكرونه (وسكنتم) معطوف على
أقسمتم (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعصية وهم قوم نوح وعاد وثمود لأن من شاهد
هذه الأحوال وجب عليه أن يعتبر فإذا لم يعتبر كان مستحقا للتقريع (وتبين لكم) أي وظاهر لكم حالهم
بشاهدة الآثار وتواتر الأخبار (كيف فعلنا بهم) من الإهلاك بما فعلوا من الفساد وقرى بين على
المجهول وقرى أيضا وتبين بنون المتكلم أي أولم تبين لكم (وضربناكم الأمثال) أي بينا لكم الأمثال
في القرآن بما يعلم به أنه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل
الهلاك المجل (وقدمكم روا) أي المهلك كون (مكرهم) حال من الضمير في فعلنا بهم أي فعلنا بهم ما فعلنا
والحال أنهم قد مكرروا في إبطال الحق مكرهم الذي جاوزوا فيه كل حدمه ووجبت لا يقدر عليه غيرهم
(وعند الله مكرهم) أي أخذهم بالعذاب الذي يستحقونه بأنهم به من حيث لا يشعرون وهذه الجملة حال
من الضمير في مكرروا (وان كان مكرهم لنزول منه الجبال) أي وان كان مكرهم في غاية العظم والشدة
بحيث نزول منه الجبال فان وصلية وقيل ان نافية واللام لتأكيد ما بعده وقراءتان مسعود رضي الله عنه
وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكرروا أي ومكرهم والمحال أن مكرهم لم يكن
لنزول منه الشرائع والعجرات وقيل هي مخففة من أن أي وانه كان مكرهم لنزول منه ما هو كالجبال في
الثبات من الشرائع والعجرات وقرأ الكسائي وحده لنزول بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل فالجملة حينئذ
حال من تولى تعالى وعند الله مكرهم أي وعند الله المكرهم والحال أن مكرهم في غاية القوة بحيث نزول
منه الجبال (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) تفريع على ولا تحسبن الله مخلفا أنه قيل واذا قد
وعذناك بعذاب النظارين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الزد إلى الدنيا وبما
أجبنناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبهم من الأمم الذين أهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا
رسلهم بأهلاكم قدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلاقنا رسلنا وعدنا فمخلف أمانة عدلائنا
مضاف لفعله الثاني وأما تعدلوا أحد مضاف لفعله ورسوله مفعول لوعده (ان الله عزيز) أي غالب
لا يماكر (ذوان مقام) لا وليا له من أعدائه (يوم تبدل الأرض غير الأرض) أي تغير في صفاتها فتسير
عن الأرض جبالها وتغير بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت (والسموات) أي تبدل السموات
غير السموات فتنتثر صكوا كبها وتكسف شمسه او يخسف قمرها وتكون السماء أبو بلوذ كر شبيب بن

ابراهيم بن حيدرة أن الارض والسماوات تبدلان كرتين احدهما قبل نفخة الصعق فتتشرأولا الكواكب
وتكسف الشمس والقمر وتصير السماء كالمهل ثم تكسح عن رؤسهم ثم تسير الجبال ثم تخرج الارض ثم
تصير البحار ثم انما تنشق الارض من قطر الى قطر فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء وبذلت
السماء سما أخرى من ذهب ودحيت الارض أى مدت مدايم وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر
على ظهورها وفي بطنها وتبدل تبدلا لا نانيا اذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم ساهرة يحاسبون عليها وهي أرض
بيضاء من فضة وحيث تقوم الناس على الصراط وعلى من جهنم وهي أرض من نار فاذا أجازوا الصراط
حصل أهل الجنان من وراء الصراط في الجنان وأهل النيران في النار بذلت الارض خبزاً نقيفاً كلوا من
تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت الارض قرصاً واحداً كل منه جميع من دخل الجنة وأدامهم
زيادة كبدنور الجنة وزيادة كبدالنون وحاصل كلام القرطبي أن تبدل هذه الارض بأرض أخرى من
فضة تكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك مرفوعة في أيدي ملائكة السماء الدنيا وأن تبدل
الارض بأرض من خبز يكون بعد الصراط وتكون الخلائق اذ ذاك على الصراط وهذه الارض خاصة
بالمؤمنين عند دخولهم الجنة وقال الرازي لا يبعد أن يقال المراد من تبدل الارض والسماوات هو انه تعالى
يجعل الارض جهنم ويجعل السماوات الجنة (وبرزائه الواحد القهار) أى واذكروا يوم يبرز الخلائق
جميعاً من قبورهم للحساب والجزاء (وترى المجرمين) أى وتبصروا أكرم الخلق الكافرين (يومئذ) أى يوم
اذ يبرزوا له تعالى (مقرنين) أى قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم في العقاب والاعمال (في الاصفاة) أى
القيود (مرايهم) أى قصاصهم (من قطران) وهو ما يتحلب من شجر الابل فيطبخ ويطل به
الابل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وقد تصل الى الجوف والمراد انه تطل به جلود أهل النار ليجمع عليهم
الانواع الاربع من العذاب ذراع القطران ووحشة لونه وتتن ربحه وامراع النار في جلودهم (وتغشى
وجوههم النار) أى تلوها النار وخص الله هذا العضو بظهور آتار العقاب كخص القلب بذلك في قوله
تعالى نار الله الموقدة التي تظلم على الاقدمة لان الرأس محل الفكر والوهم والخيال والقلب موضع العلم
والجهل ولا يظهر أثر هذه الاحوال الا في الوجه ولانه مجمع الحواس والحواس لونه عن القطران ويفعل الله بهم
تلك الامور الثلاثة (ليجزى الله كل نفس) مجزئة (ما كسبت) من أنواع الكفر والمعاصي جزاء
موافقاً لعملها (ان الله سريع الحساب) فلا يشغله حساب عن حساب ولا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم
الذي يستحقونه (هذا) أى الموعظة التي في هذه السورة (بلاغ) أى كفاية في الموعظة (للناس
ولينذروا به) عطف على مقدمته لعلق به بلاغ أى كفاية لهم ليتنبهوا ولينذروا به أى هذا البلاغ
(وليعلوا) عايفه من الأدلة (أنما هو) أى الله (الواحد) لا شريك له (ولينذروا) أى كفاية (الالباب)
أى وليتعضوا بذلك وهذه الآيات مشعرة بان النذير كبير هذه الموعظة يوجب الوقوف على التوحيد
والاقبال على العمل الصالح

﴿سورة الحج مكية وهي تسع وتسعون آية ستمائة وأربع
وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وسبعون حرفاً﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) قال ابن عباس أى أنا الله أرى (تلك آيات السكاب وقرآن مبين) أى تلك
آيات ذلك السكاب الكامل في كونه كما باو في كونه قرآن مفيد للبيان لسبيل الرشيد والنجى

والفرق بين الحق والباطل وهو الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتذكير القرآن
للتفخيم كتعريف الكتاب فالمقصود الوصفان وقيل الواو للقسام أى أقسم بالقرآن المبين بالحلال والحرام
وبالامر والنهي (ربما يورد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) أى ان الكفار بالقرآن كلما رأى حالاً من
أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم غنى كونه في الدنيا مقاد الحكم ومذعن بالامر وذلك عند
الموت وعند اسوداد وجوه الكفار وعند دخولهم النار وعند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار قرب
للكثير باعتبار مرات الغنى والتقليل باعتبار ازمان الافاقه فازمان افاقهم قليلة بالنسبة لازمان الدهشة
وكونه للتقليل أبلغ في التهديد ومعناه انه يكفى قليل التدمر في كونه زاحراً لك عن هذا العمل فكيف
كثيرة وأيضاً انه يشغلهم العذاب عن غنى ذلك الا في القليل وقرأنا فوع وعاصم ربنا تخفيف الباء
والباقون بالتشديد (ذرهم) أى اترك كفار مكة يا أشرف الرسل عن النبي عاصم عليه بالصيغة
اذ لا سبيل الى ارعواهم عن ذلك بل مرهم يتداول ما يتناولونه (يا كلوا وابتغوا) أى يأخذوا وحظوظهم
من دنياهم فتلك اخلاقهم ولا خلاق لهم في الآخرة (ويلهم الامل) أى يشغلهم الامل عند الاخذ
يحفظهم عن الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) عند الموت وفي القبر ويوم القيامة ماذا يفعل بهم وعن
على رضى الله عنه انه قال انما أخشى عليكم انتم من طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى
الآخرة واتباع الهوى يصدر عن الحق (وما أهل كلهم من قرية) من القرى بالحسب بها وبأهلها كما فعل
ببعضها وبأخلاقها عن أهلها غلب أهلها كهم بعذاب الاستئصال كما فعل ببعض آخر (الاولها) في ذلك
الشأن (كتاب معلوم) أى أجل مؤقت لهما كما مكتوب في اللوح المحفوظ لا يغفل عنه (ما سبق
من أمة) من الأمم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها فلا يجي هلاكها ولا موتها قبل
مجيئ كتابها (وما يستأخرون) عن أجلها (وقالوا) أى كفار مكة عبد الله بن أمية المخزومي وأصحابه
استهزأوا للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أى القرآن في زعمهم (انك لمجنون)
أى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك القرآن (لوما تاتينا بالملائكة) أى هلا
أتينا بالملائكة يثهدون بعجبة نبوتك ويعضدونك في الانذار (ان كنت من الصادقين) في مقالته انك
نبي وان هذا القرآن من عند الله فأجاب الله تعالى عن قولهم بقوله تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق)
أى فالحق في حق الكفار تنزل الملائكة بعذاب الاستئصال كما فعل بأمثالهم من الأمم السالفة
لا التنزيل بما اقترحوا من أخبارها لهم بصدق الرسول فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفصح
على غير الانبياء من افراد كل المؤمنين فكيف على أولئك الكفرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن
عاصم ما تنزل بنون المتكلم وبكسر الزاى المشددة والملائكة بالنصب وقرأ شعبة عن عاصم ما تنزل بنون
الفعل للمفعول والملائكة بالرفع والباقون تنزل الملائكة (وما كانوا اذا) أى اذ نزلت عليهم الملائكة
بالعذاب (منظرين) أى مؤخرين ساعة أى ونزلنا الملائكة ما أخر عذابهم ونحن لانريد عذاب
الاستئصال هذه الأمة فلهذا السبب ما أنزلنا الملائكة (انما نحن نزلنا الذكر) الذى انكروا نزوله عليك
ونسبوا ذلك الى الجنون (واناله) أى اذكر (لحافظون) من الشياطين حتى لا يرتدوا فيه ولا
ينقصوا منه ولا يغيروا حكمه ويقال وانما الحمد لحافظون من الكفار والشياطين (ولقد أرسلنا رسلاً
من قبلك) يا أكرم الرسل (في شيع الاولين) أى في أمم الارلين (وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزئون) أى عادة هؤلاء الجهال مع الرسل ذلك الاستهزاء كما يفعله هؤلاء الكفرة بك وهذا نسبية

رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك نسله في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك السلك الذي سلكه
 في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم وعباداً إليه من الكتاب نسله الذي كثر في قلوب كفار مكة (لا يؤمنون
 به) أي بالذكر وهذا حال من ضمير نسله أولاً محتمل له من الأعراب تفسير الجملة السابقة والمراد من
 هذا السلك هو أنه تعالى يسعهم هذا القرآن ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم
 بعانيه ومع هذه الأحوال لا يؤمنون به عناداً منهم (وقد خلت سنة الأولين) أي وقدمت سيرة
 الأولين بتكذيب الرسل ومضت سيرة آتية فيهم بأهلاً كما ياهم بعد التأكيد وهذه الجملة استئناف
 جسيمة كقوله للتسليّة وتمديد الكفار مكة (ولو فتحنا عليهم) أي كفار مكة الذين اقترحوا نزول
 الملائكة (باباً من السماء فظلوافيه) أي في ذلك الباب (يعرجون) أي يصعدون ريربون
 ما فيها من العجايب عياناً (لقلوا) لفرط عنادهم (انما سكرت أبصارنا) أي غشيت بالسموم وقراً
 ابن كثر بتخفيف الكاف والباقيون بتشديد هاء فهو يوجب تكثيراً أو حيرت من السكر كما يعضده
 قراءة من قرأ سكرت أي حارت (بل نحن قوم مسحورون) أي قد همهم محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور
 سائر المعجزات من انشقاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله (ولقد جعلنا
 في السماء بروجاً) أي بحال تسير فيها الكواكب السائرة وهي المريح بكسر الميم وهو كوكب في السماء
 الخامسة وله الخيل والعقرب والزهرة بضم ففتح وهي في السماء الثالثة قولها الثور والميزان وعطارد بفتح
 العين وهي في الثانية ولها الجوزاء والسنبلة والقمر وهو في الأولى وله السرطان والشمس وهي في الرابعة
 ولها الأسد والمشتري وهو في السادسة وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة وله الجدي والحوت
 وجملة البروج اثنا عشر ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو أن طبايع هذه البروج مختلفة
 فالغلك مركب من هذه الأجزاء المختلفة وكل مركب لا بد له من مركب تلك الأجزاء بحسب الاختيار
 والحكمة فثبت أن كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المايطوب
 (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم (للتناظرين) بأبصارهم وببصائرهم فيستدلون بها
 على قدر صانعها ووحدته (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي من مري بالشهاب فلا يقدر أن يصعد
 إليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها (الامن استرق السمع) أي الامن اختلس المسموع مرا
 من غير دخول (فأتبعه شهاب) أي لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل من الكوكب (مبين) أي ظاهر
 امره للبصيرين (والارض مددناها) أي بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها) أي على الأرض
 (روابي) أي جبالاً ثوابت لكي لا تميل بأهلها ولتكون دلالة للناس على طرق الأرض لأنها كالأعلام
 فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال (وأنبثنا فيها) أي الأرض (من كل شيء
 موزون) أي مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالعادن كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد
 والرصاص وغير ذلك والنسبات يرجع عاقبتها إلى الوزن لأن الحبوب وزن وكذلك الفواكه في الأكثر
 (وجعلنا لكم فيها) أي الأرض (معاش) أي ما تعيشون به من الطعام والملابس وغيرهما مما
 يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا (ومن لستم به برازقين) أي وجعلنا لكم من لستم برازقين من
 النعيل والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها للناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقونهم
 وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق برزق الكل (وان من شيء إلا عندنا خزائنه) أي إن جميع المسكنات
 مقدورة له تعالى يفرجها من العدم إلى الوجود كيف شاء شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر في كونها

مستورة عن علوم العالمين وكونها مهيأة لايجاد بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت من غير تأخر
بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية (وما تنزله) أى بان وجود شيئا (الابقدر معلوم) أى
الملتبس بعد ارمين تقتضيه الحكمة فقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته
غير متناهية وقوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم اوم اشارة الى ان كل ما يدخل في اوجودها فهو متناه ومضى
كان الخارج الى الوجود منها متناهيا كان مختصا بوقت مقدور بخير معين وبصفات معينة بدلا عن
أضدادها فتنخصيص كل شيء بما اختص به لا بد له من حكمة تقتضى ذلك روى جعفر بن محمد عن أبيه عن
جده قال ان في العرش تعالى جميع ما خلق الله في السموات والارض وهو تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا
خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقف) أى حوامل لانها تحمل الماء فتجبه في السحاب (فأنزلنا من السماء)
أى السحاب (ماء فأسقيناكموه) أى جعلناه لكم سقيا وفي هذا دلالة على جعل الماء مع العلم به فتفعول به
متى شأوا (وما أنتم له بخازنين) أى نحن القادرون على ايجاده وخزونه في السحاب وانزاله في الارض وما
أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين به بعد ما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن بخزينة فيها
لنحلمها سقيا لكم أى معد السقى أنفسكم ومواسيكم وأراضكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الغور (وانا
لنحن فحجي ونغيث) أى لا قدرة على الاحياء ولا على الامانة الا لنا (ونحن الوارثون) أى الباقون بعد قضاء
الخلق المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي (ولقد علمنا المستفدين منكم) أى من تقدم منكم
ولادة وموتنا (ولقد علمنا المستأخرين) أى من تأخر ولادة وموتنا وقال ابن عباس في رواية عطاء معني
المستفدين من أهل طاعة الله تعالى ومعني المستأخرين المتخلفون عن طاعة الله تعالى (وان ربك هو يحشرهم)
للجزاء (انه حكيم) أى متقن في أفعاله فيأتى بالافعال على ما ينبغي وعالم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
(عليم) أى واسع علمه كل شيء (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من طين يابس غير مطبوع
يصوت عند نفثه (من حمأ) أى كائن من طين متغير أسود بطول مجاورة الماء (مسنون) أى مصور بصورة
الآدمي قال المفسرون خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة
فصار صلصالا كالخزف ولا يدري أحد ما يراد به ولم ير واسميا من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح
(والجان) وهو أبو الجن والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنا فانه لا يهوى
بالشيطان وكل من كان منهم كافرا يسمى هذا الاسم (خلقناه من قبل) أى من قبل خلق الانسان
(من نار السموم) أى من نار الحر الشديد النافذ في المسام أو من نار الريح الحارة (وان قال ربك للملائكة
ان خالقي بشرا) أى جسما كثيفا بلاق بخلاف الجن والملائكة فانهم لا يلافون للطف أجسامهم (من
صلصال) أى من طين يتهصلصل (من حمأ مسنون) أى من طين متين رطب (فإذا سويته) أى
أتممت خلقه باليد والرجلين والعينين وغير ذلك (ونفخت فيه من روحي) أى جعلت الروح فيه
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما يحيا آدم به من الروح التي هي من أمره تعالى (فقعوا)
اى خروا (له) أى لذلك البشر (ساجدين) بوضع الجبهة على الارض لا بالانحناء تعظيما له فالسجود
كان لآدم في الحقيقة أو المعنى امجد والله تعالى بوضع الجبهة على الارض وآدم عليه السلام بمنزلة القبلة
لذلك السجود حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته (فسجد الملائكة كلهم أجمعون)
أى خلقه فسواه فجعل فيه الحياة فهدى الملائكة فعبث كلهم أى لم يشذ منهم أحد ومعنى أجمعون أى لم يتأخر
في ذلك أحد منهم عن أحد أى فالكل سجدوا دفعة واحدة (الا بليس) رئيسهم (أبى أن يكون مع

الساجدين قال) أي الله تعالى (يا ابليس مالك أن لاتكون مع الساجدين) أي أي سبب لك في أن لاتكون مع الساجدين لآدم (قال) أي ابليس (لما كن لا معبد) أي لا يصح مني أن أعبد (لبشر) أي جسم كثيف لأنه مخلوق من أشرق العناصر وأعلاها وانار وحاني لطيف (خالقته) أي البشر (من صلصال) ناشئ (من حماسنون قال) الله تعالى (فأخرج منها) أي من زمرة الملائكة العزيزين ويقال من رحمتي والفاء في جواب شرط مقدر أي حيث عصيت وتكبرت فأخرج منها (قال) رجم) أي مطرود عن الرحمة (وان عليه اللعنة) أي لابعاد عن الرحمة (اليوم الدين) أي الجزاء أي انك مدعو باللعنة في السموات والأرض الى يوم الحساب من غير أن يعذب فأذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا ينسي اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه (قال) ابليس (رب فأنتظرتي) أي أخرى ولاعتني (اليوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وأراد الملعون بهذا السؤال ان لا يذوق الموت لاستعماله بعد يوم البعث وان يجد نفسه في اغواءهم (قال) الله تعالى (فانك من المنظرين) أي المؤبدلين (اليوم الوقت المعالوم) وهو وقت النفخة الاولى التي عنم أنه يموت كل الخلائق فيه (قال) ابليس (رب بما أغويتني لازينق لهم في الارض) أي أقسم باغوائك اياي لازينق لآدم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور (ولاغوينهم أجمعين الاعباد لك منهم المخلصين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وبكر اللام في كل القرآن أي الذين أخلصوا دينهم عن كل شائب ينقض التوحيد وقرأ الباقر بن غنم اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى بالتوفيق والعصمة وعصمتهم من كيده ابليس قال تعالى (هذا صراط على مستقيم) أي هذا الاخلاص طريق يودي الى كرامتي وثوابي من غير اعوجاج وقرأ يعقوب على بالرفع والتنوين على أنه صفة لصراط أي هذا الاخلاص طريق رفيع لا عوج فيه (ان عبادي) سواء كانوا مختصين أو لم يكونوا مختصين (ليس لك عليهم سلطان) أي قدرة أصلا على الاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) والما أو هم ابليس في كلامه ان له على بعض عباد الله تسلطا بالاغواء بين الله كذبه فيه وذكر أن اغواءه للغاوين ليس بطريق تصرفه بالاغواء بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لوعدهم) أي لصير المتبعين (أجمعين لها) أي لجهنم (سبعة أبواب) أي سبع طبقات يتزلون بها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب) أي دركة (منهم) أي الاتباع (جزء) أي حزب معين (مقسم) أي مفروز من غير وفي الدركة الاولى أهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون والحاصل ان الله تعالى يجزئ أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء منهم دركة من النار والسبب في التجزئة ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فصارت مراتب العذاب مختلفة بذلك (ان المتقين) من الكفر (في جنات وعميون) أي مستقرون فيهما لكل منهم عدة منهما (ادخلوها بسلام) أي ادخلوا الجنة سالمين من كل آفة (آمنين) من كل خوف أي لما ملكوا جنات كثيرة فكلما أرادوا ان ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها بسلام آمنين وقرئ ادخلوها أمر من الله تعالى للملائكة بأدخالهم في الجنة وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا للفعل على صيغة الماضي المزيد فيه (وزعنا ما في صدورهم من غل) أي عداوة كانت بينهم في الدنيا (أخوانا) حال من ضمير صدورهم أو من فاعل ادخلوها (على سرر) من ذهب مكاله بالبرجد

والذر والياقوت تدورهم الامرة حيثما داروا (متقابلين) في الزياره اى انهم اذا اجتمعوا ثم أرادوا
 الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به بحيث يصير راكبه مقابلا لوجهه لمن كان عنده وقفاه الى الجهة
 التي يسير لها السرير وهذا ابلغ في الانس والاكرام (لايسهم فيها نصب) اى تعب لحصول كل
 ما يريدونه من غير مناوله عمل أصلا (وما هم منها بخرجين) لان تمام النعمة بالخلود (نبي عمادى) اى
 اخبريا اشرف الرسل كل من كان معترفا بعبوديتي (انى انا الغفور) للعصاة من المؤمنين (الرحيم)
 بهم (وان عذابي) للعصاة ان عذبت (هو العذاب الاليم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 بنفر من أصحابه وهم يصححون فقال أتضحكون والنار بين أيديكم فترى قوله تعالى نبي عمادى اى أنا
 الغفور الرحيم (ونبتهم) اى خبر ياسيد المرسلين عمادى (عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة على
 صور غلمان حسان منهم جبريل (ادخلوا عليه فقالوا سلاما) اى نسلم سلاما اى قالوه تحية لابراهيم
 (قال انا منكم وجلون) اى خائفون قال ابراهيم ذلك حين امتنعوا من أكل ما قربه اليهم من العجل
 الخنيز لان العادة ان الضيف اذا لم يأكل مما قدم له يكون خائفا (قالوا لا توجل) اى لا تخف يا ابراهيم
 منّا (انا نبشرك بغلام) اى ولدها وحق (عليه) فى صغره حلیم فى كبره (قال أبشرون) بذلك
 (على أن مسنى الكبر) اى بعدما أصابني الكبر (فبم تبشرون) اى فبماى أعجوبة تبشروننى فما
 استفهام بمعنى التعجب أراد ابراهيم بهذا السؤال ان يعرف انه تعالى يعطيه الولد مع ابقائه على صفة
 الشيخوخة أو بعد قلبه شابا فينبوا ان الله تعالى أعطاء الولد مع ابقائه على صفة الشيخوخة قرأنا فم تبشرون
 بكسر النون خفيفة فى كل القرآن وقرآن كثير بكسر النون وتشديد ها والياقوت يقع النون خفيفة
 (قالوا بشركنا بالحق) اى بطريقتة هي حق وهو امر الله تعالى (فلا تكن من القانطين) اى من
 الآيسين من الولدان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فأن ويجوز عاقر (قال)
 ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اى لا يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الاعتراف
 الصحيح فى ربه فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكل علمه وقدرته ومرا د سيدنا ابراهيم بهذا القول نفى
 القنوط عن نفسه على أبلغ وجه اى ليس بي قنوط من رحمة تعالى وانما الذى أقول لبيان منافاة حالى
 لفضان تلك النعمة الجليلة على وقرأ أبو عمرو والكسائى يقنط بكسر النون وقرئ شاذبا ضم النون
 (قال) ابراهيم لجبريل واعوانه (فما خطبكم) اى شأنكم الخطير سوى البشارة (أيها المرسلون)
 قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) لاهلاكهم (الآل لوط) ابنتيه مزاعورا وريثا وامرأته الصالحة
 (انما نجوهم) اى لوطا وآله (أجمعين) اى عاى صيب القوم (الامرأته) واعلة المناقفة (قدرنا)
 اى قضية اعليها (انها ان الغابرين) اى المارقين مع الكفرة لتهاك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا
 بتخفيف الدال ههنا وفى النمل وقرأ حمزة والكسائى لنجوههم بكون النون فخر جوامع عند ابراهيم
 وساقروا من قريته الى قرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (فلما جاء آل لوط المرسلون) هم الملائكة
 الذين ضافوا ابراهيم (قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) اى تشكركم نفسى فأخاف ان تصيبوني
 بشروا لا أعرف غرضكم لاى غرض دخلتم على (قالوا) اى الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه
 يمترون) اى ما جئناك بما تمكرونا لاجله بل جئناك بالعذاب الذى هددت قومك به فيشككون فى مجيئه
 بهم ويكذبون وهو ما يشك من عدوك وما فيه سرورك (وأنتناك بالحق) اى بالآخبار يعنى العذاب
 (وانا الصادقون) فى مقالتنا ان العذاب نازل عليهم (فأسر بأهلك بقطع من الليل) اى فسر ببتيك

وامرأتك الصالحة في جزء من الليل عند السحر (واتبع أديارهم) أي امش خلفهم جهة صعر لاجل
 ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) الى ورائه اذا مع الصحة لئلا تترنعا وامن
 عظيم ما نزل بهم من البلاء (وامضوا حيث تؤمرون) أي سيروا الى المكان الذي امركم الله بالذهاب
 اليه وهو صعر (وقضينا اليك الامر ان دبر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وأخبرنا لوطا عن ذلك الامر
 ان آخر هؤلاء المجرمين مستأصل حال دخولهم في الصبح أي يتم استئصالهم حال ظهور الصبح حتى لا يبقى
 منهم أحد (وجاء أهل المدينة) أي مدنية سدوم الى دار لوط (يستبشرون) أي يظهرون السرور
 باضياف لوط وقالوا نزل بلوط ثلاثة من الرمد ما رأينا قط أصبح وجهها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار
 لوط طلبا منه لاولئك المرد (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفزعوهن) أي فلا تظهروا عاري
 عندهم فان الضيف يجب اكرامه فاذا قصدهن وهم بالسوء كان ذلك اهانة في (واتقوا الله) في فعل الفاحشة
 (ولا تخزوني) أي ولا تخجلوني (قالوا أولم ننزلك عن العالمين) أي ألسنا قد نزلناك عن أن تكلمنا في أحد
 من الناس اذا قصدها بالفاحشة وكان لوط ينهاهم عنها بقدر وسعه (قال هؤلاء بناتي) فتزوجوهن
 (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر (لعمرك) قسمي وهذا قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام (انهم
 لفي سكرتهم) أي في شدة غلظتهم التي أزال عقولهم (يعمّهون) أي يتحجبون فكيف يقبلون قولك
 ويلتفتون الى نصيحتك (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة عظيمة مهلكة (مشرقين) أي ادخلين في وقت
 شروق الشمس (فجعلنا عليهما) أي المدينة (سافلهما) وكانت قراهم أربعة فيها أربعة آلاف مقاتل
 (وأما طرنا عليهم) أي على أهل المدينة قبل غمام الانقلاب أو على من كان منهم خارجا عن المدينة بأن
 كان غائبيا في سفر أو غيره (حجارة من سجيل) أي وحل مطبوخ بالنار عليه كتاب (ان في ذلك) أي فيما
 ذكر من قصة ابراهيم وقصة لوط (آيات) أي لعبرات (للتوسمين) أي للتفكيرين (وانها) أي مدينة قوم
 لوط (لبيدل مقيم) أي في طريق ثابت لم يتحرف والذين يبرون من الحجاز الى الشام يشاهدونها (ان في
 ذلك) أي في كون المدينة مشاهدة للناس في ذهابهم وايابهم (آية) أي لعبرة عظيمة (للمؤمنين) أي لسلك
 من آمن بالله وصدق الانبياء فانهم عرفوا ان ما لحق بهم من العذاب لمخالفتهم لرسول الله تعالى أما الذين
 لا يؤمنون فيحمله لونه على حوادث العالم (ولن كان أصحاب الآية) أي وان الشأن كان أصحاب بقعة
 الانحجار وكانوا يكتونها وكان أكثر شجرهم الدوم (الظالمين) بتشديد بهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا
 منهم) روى أن الله تعالى سلط عليهم الحرسبعة أيام حتى أخذ بانفسهم وقرنوا من الهالكين فبعث الله لهم
 محمدا كالفيلة فالتجأوا اليها واجتمعوا تحتها للتلطل بها فبعث الله عليهم منها نارا فاحرقهم جميعا (وانها)
 أي قريات لوط وقريات شعيب (لبا امام ميين) أي في طريق واضح يرأهل مكة عليهما (ولقد كذب
 أصحاب الحجر المرسلين) أي صالحا وحجة المرسلين فالقوم براهمة منكرون لسلك الرسل والحجر واديين
 المدينة الشريفة والشام وآثاره باقية يمر عليها ركاب الشام في ذهابه الى الحجاز وكان ثمود يسكنونه
 (وآتيناهم آياتنا) أي أعطيناهم الناقة وكان فيها آيات كثيرة تكبر وجههم من العظمة وعظم جنتها
 وقرب ولادتها عند خروجها من الصخرة وكثرة لبنها وشرها (فكانوا عنها) أي تلك الآيات (معرضين)
 فلا يستدلون بها على صدق صالح عليه السلام حتى قتلوا الناقة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين)
 من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوناقتها (فأخذتهم الصيحة صبحين) أي صيحة من
 السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فنفطعت قلوبهم في صدورهم عند الصباح

(فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فلم يدفع عنهم ما كانوا يملكون من تحت تلك الجبال بتقرها بالمعوال
 وجمع الاموال ما نزل بهم من البلاء (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أي الاسباب
 العدل فكيف يليق بحكمته اهان أمرك يا أكرم الرسل (وان الساعة لا تيسر) فان الله لينتقم لان
 فيها من أعدائك ويجازيك على حسناتك ويجازيهم على سيئاتهم (فاصبر الصبر الجميل) أي
 أعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم أعراضا جديلا بحلم والمقصود من هذا الكلام أن يظهر الرسول الخلق
 الحسن والعفو فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق العليم) أي انه تعالى خلق الخلق مع اختلاف
 طبائعهم وتفاوت أحوالهم وعلم كونهم كذلك لحض ارادته (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني) أي سبع
 آيات هي المثاني وهي الفاتحة وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وابن هريرة والحسن وأبي العالية ومجاهد
 وأنس بن مالك وسعيد بن جبيرة وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع
 المثاني وقيل سميت الفاتحة مثاني لأنها قسمان ثناء ودعاء وأيضاً النصف الأول منها حق الربوبية وهو
 الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (والقرآن العظيم) وهذا من عطف الكل على
 البعض فبعض الشيء مغاير لمجموعه فيكون هذا القدر من المغايرة في حسن العطف ونقل عن ابن عباس
 وطاوس أن السبع المثاني هو القرآن كله وعلى هذا فهو عطف أحد الموصوفين على الآخر مع وحدة ذات
 الموصوفين وانما حسن العطف لاختلاف اللفظين فان القرآن بمبعة أسباع كل سبع حقيقة وكله مثان
 أمر ونهي ووعود وعيد وحلال وحرام ونامح ونسوخ وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه ومخبر بما كان
 وما يكون ومدحة تقوم ومدمة تقوم وسبب نزول هذه الآية أن سبع قوافل أقبلت من بصرى وأذرجات
 ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
 لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها ولا نفقناها في سبيل الله فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتمكم سبع
 آيات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ويدل على صحة هذا قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعهناه
 أزواجنا منهم) أي لا تنظرن بالرغبة الى ما أعطينا رجالا من الكفرة من متاع الدنيا لعلهم يظنونها فان ما في الدنيا
 بالنسبة الى ما أعطيت مستحق (ولا تحزن عليهم) أي لا تحزن لاجل عدم إيمانهم (واخفض جناحك
 للمؤمنين) أي تواضع لهم ولين جانبك لهم (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) أي اني منذر
 أت بالبنات فانذرتكم مثل ما نزل بالذين اقتسموا طرق مكة يصعدون الناس عن الايمان ويوقعون
 لمن سلكها لا تغروا بهذا الخراج فينا يدعي النبوة فانه يحنون وربما قالوا اسأروا ربنا قالوا اسأروا ربنا
 قالوا كلهم وهمو المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاما تهم الله شرميتهم (الذين جعلوا القرآن عضين)
 أي الذي جزؤا القرآن أجزاء فقالوا معرو وشعر وكهانهم ومفترى وأساطير الاولين (فأوردك لنسألتهم
 أجمعين) يوم القيامة (هم كانوا يعنون) في الدنيا من قول وفعل وترك (فأصدع عاصوهم) أي اظهر
 ما توهم به وافرق بين الحق والباطل (وأعرض عن المشركين) أي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اية
 على اظهار الدعوة وهذا ليس بنسوخ لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم (انا كفييناك المستهزئين)
 أي الذين يبالغون في الاستهزاء بك وفي ايدائك (الذين يجعلون مع الله الهاء آحرف سوف يعلمون) ماذا يفعل
 بهم فاهلكهم الله في يوم وليلة وكانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث
 ابن قيس والاسود بن المطب والاسود بن عبدية فاما الوليد بن المغيرة فمات بالأسباب النبيل عرقا
 في عقبه فقطعه فمات وأما العاص السهمي فدخلت في أخمصه شوكة فقال لدغت لدغت والتمتحت رجله

حتى صارت كالزحافات وأما الحوت السهمي فانه أكل حوتاً ما لحا فأصابه العطش فشرب عليه الماء حتى انشق بطنه فمات وأما الاسودين المطلب فرماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعته عينه لم يعمل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وأما الاسودين عبد يغوث فانه خرج في يوم شديد الحر فأصابه السموم فاسود حتى عاد حبشياً فرجع الى بيته فلم يقفحوا عليه الباب فنقطع رأسه ببابه حتى مات وكلهم كانوا يقولون قتلنا رب محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد نعلم أن ذلك يضيق صدرك) بحسب الطبيعة البشرية وان كان جميع أموره صلى الله عليه وسلم مفوض اليه (بما يقولون) أي بسبب ما يقولون من كلمات الشرك والظلم في القرآن والاستهزاء به وبك (فسبح محمد ربك) أي فافزع الى الله تعالى فيما نابك من الغم بالنسيب ملتجئاً بحمده تعالى (وكن من الساجدين) أي من المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت فانه متيقن الحقوق بكل شيء مخلوق أي واعبد ربك في زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة عن هذه العبادة

سورة النحل وتسمى سورة النعم مكية الاثلاث آيات في آخرها مائة وعشرون آية
والف وعشمان مائة واحد وأربعون كلمة وستة آلاف وست مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم أي أمر الله) أي العذاب الموعود لك كفره والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى أي قد حصل حكم الله بنزول العذاب من الازل الى الابد وانما لم يحصل المحكوم به لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين (فلا تستعجلوه) أي لا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ولما قالت الكفار اننا لنملك هذه الاصنام فانه أشبهنا عاثرنا عند الله فهي تسفع لنا عنده فنخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الاصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعالى (سجانه و تعالى عما يشركون) ففزع الله تعالى نفسه عن شركه الشركاء وأن يكون لاحد أن يسفع عنده الا باذنه ولما قال الكفار انه تعالى قضى على بعض عباده بالسراة وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك يا محمد ان تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أمراً لله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (ينزل الملائكة) أي جبريل ومن معه من الملائكة (بالروح) أي بكلام الله تعالى (من أمره) أي ان الروح هي أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا فاتقون) بالاثبات بعبادتي وتقريري هذا الكلام انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده وأمر الله ذلك العبد الذي نزلت عليه الملائكة بان يبلغ الى سائر الخلق ان الله العالم واحد كافهم بعرفة التوحيد وبالعبادة له وبين انهم ان فعلوا ذلك فلاوا بخير الدنيا والآخرة وان عرذوا أو قعوا في شر الدنيا والآخرة فهذا الطرد في صائر ذلك العبد مخصوصاً بهذه المعارف من دون سائر الخلق بقوله تعالى لانه لا اله الا أنا فالحكمة في الاحكام الاصولية وقوله تعالى فاتقون إشارة الى الاحكام الفروعية (خلق السموات والارض بالحق) أي أو جدهما على صفات خصصها بحكمته ولما احتج تعالى بخلق السموات والارض على خدوئهم ما قال بعده (تعالى عما يشركون) فالعاثون بتقديم السموات والارض كأنهم أثبتوا الله غير يكافي القدم ففزع تعالى نفسه عن ذلك وبين انه

لا قدیم الا هو فالمقصود من قوله أولا سبحانه وتعالى عما يشركون ابطال قول من يقول ان الاصنام تشفع للكفار في دفع عقاب الله عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول اجسام السموات والارض قدية تنزه الله تعالى نفسه عن ان يشاركه غيره في القدم (خلق الانسان من نطفة) مذتنة (فاذا هو) بعد قوة عقله وعظم فهمه (خصيم) لربه (مبين) أي ظاهر الخصومة منكر الخلقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا إشارة الى الاستدلال بأحوال نفس الانسان على وجود الصانع الحكيم فان الانتقال من الحالة الخسيسة الى الحالة العالية لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم (والانعام) أي الابل والبقر والغنم (خلقها لكم فيها داف) أي ما يتدفأ به من اللباس المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار (ومنافع) هي درها وركوبها والحراثة بها وغير ذلك (ومنها) أي من لحومها (أأكلون ولستم فيها جمال) أي منظر حسن عند الناس (حين تريحون) أي تردونها من مراعيها الى مراحيها بالعشي (وحين تسرحون) أي تخرجونها من حظائرهما الى المرعى بالغداة (وتحمل) أي الابل (انقل لكم) أي أمتعتكم (الى بلدكم تكونوا بالغيه) أي واصلين اليه على غير الابل (الابشق الانفس) أي الالبسة النفس أو الالبسة نصف قوة البدن والشق بكسر الشين وفتحها معناه المشقة والنصف (ان ربكم زوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة (والخيل والبغال والحمير لركبوها وزينة) أي وخلق هذه الاشياء للركوب وللنظر الحسن واحتيج بهذه الآية من يحرم لحوم الخيل وقالوا لان الله تعالى خص هذه بالركوب فعملنا انما مخلوقة للركوب لا للاكل وهو قول ابن عباس وليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسنا ونحن بالمدينة أخرجه البخاري ومسلم وروى الشيخان عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجر الا هليسة وأذن في لحوم الخيل (ويخلق ما لا تعلمون) أي ويخلق في الدنيا غير ما عدا من أصناف النعم وروى عن ابن عباس انه قال ان عن عرش نمران نور مثل السموات السبع والارضين السبع والجحار السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل مهر فية تسبل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم ثم ينفذ فيخلق الله تعالى من كل قطرة ماء من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) أي وعلى الله بيان استقامة الطريق وهو الاسلام (ومنها) أي من السبيل (جائر) أي ماثل عن الحق وهو أنواع الكفر والضلال (ولو شاء لهدانا كم أجمعين) الى استقامة الطريق (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم) ولكل حي (منه) أي الماء (شراب ومنه شجر) أي من الماء ما ينبت على الارض (فيه) أي في الشجر ترعون مواشيكم (ينبت لكم به) أي بالماء (الزروع والزيتون والنخيل والاعناب) والانسان خلق محتاجا الى الغذاء وهو اما أن يكون من الحيوان أو من النبات والغذاء الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات وأما الغذاء النباتي ففسمان محبوب وفواكه فالحبوب هي ما به قوام بدن الانسان وأشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وادام من رجه آخره كثر ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة في الاكل والطلاء واشتغال السرج وأما امتياز النخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر (ومن

كل الثمرات) مما لا يمكن على الناس تفصيل أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها (ان في ذلك) أى
 في انزال المسامات نبات ما ذكرنا (آية) دالة على تفرد تعالى بالالوهية (لقوم يتفكرون) ألا ترى ان
 الحجة الواحدة اذا وضعت في الأرض ومرت عليها مدة من الزمان مع رطوبة الأرض فانها تنبت
 وينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها تنفوس منه عروق في الأرض ثم ينمو الاعلى ويقوى
 وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المستحيلة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم
 والالوان والرائح والاشكال والمنافع ومن تفكر في ذلك علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه
 أحد في شيء من صفات الكبر (ومخبر لكم الليل والنهار والنفس والقمر والنجوم مسخرات)
 قرأ ابن عامر والنفس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء من مسخرات خبرها زقرأ حصص عن عاصم
 والنجوم بالرفع والباقيون بالنصب في الجميع ومسخرات حال منه أى انه تعالى مخبر للناس هذه الاشياء
 وجعلها واقعة لمصالحهم حال كونها مسخرات لله تعالى (بأمره) أى بإرادته كيف شاء (ان في ذلك)
 أى تسخير الليل وما بعده (آيات لقوم يعقلون) أى يعلمون ان تسخيرها من الله تعالى (وما ذرا
 لكم في الأرض) أى ومخبر لكم ما خلق لكم في الأرض من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه ان في ذلك)
 أى في اختلاف ما في الأرض (آية لقوم يذكرون) أى يتفكرون فان اختلاف طبائع ما في الأرض
 وأشكاله مع اتحاد مواده انما هو بصنع حكيم عليم قادر مختار مفرغ عن كونه جسمانيا وذلك هو الله
 تعالى (وهو الذى مخبر البصر) ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من
 الانتفاع بها اما بالزكوب أو بالغوص (لتأكلوا منه لحما) أى سمكا (طريا) والتعبير عن الله
 بالحكم مع كونه حيوانا لا لخصا لا لانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بالمطافته والتمنيبه على
 طلب المسارعة الى أكله لسرعة فساد (وتسخير جوامد حليمة) أى لؤلؤ ومرجانا (تلبسونها)
 أى تلبسها نساءكم فان زينة النساء بالحلى انما هو لاجل الرجال فهي حليمة لكم بهذا الاعتبار
 (وترى الغلات) أى تبصر السفن (فيه مواخير) أى جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعتصة بريح واحدة
 تشقه بحيزومها (ولتبغوا من فضله) أى لتركبوها للوصول الى البلدان الشاسعة فتطلبوا الرزق
 بالتجارة وغيره من فضل الله تعالى (ولعلمكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون
 بآثارها بالطاعة والتوحيد (والقى في الأرض رومي) أى جعل فيهما جبالا ثوابت (أن تميد بكم)
 أى كراهة ان تميل بكم الأرض وتضطرب (وأهلا) أى جعل في الأرض أنهارا جارية لمنافعكم
 (وسبلا) أى جعل فيها طرقا (العلمكم تهتدون) أى لكي تهتدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم (وعلامات)
 أى جعل في الأرض امارات الطرق التي يستدل بها المارة وهي الجبال والرياح والتراب فان جماعة
 يشعرون التراب ويتعرفون بذلك الشم الطرق (وبالنجوم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار وقال
 السدي هو الثريا والفرقدان ونبات نعش والجدى (أفنى يخلق) هذه الاشياء هو الله تعالى (كن لا
 يخلق) شيئا أصلا وهو الاصل (أفلا تذكرون) أى لا تلاحظون فلا تذكرون فان هذا القدر لا يحتاج
 الى تفكير ولا الى شيء سوى التذكير في نفسه ان تتنبهوا على ما في عقولكم من ان العبادة لا تليق الا
 بالذم الاعظم فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة ويترك عبادة من
 يستحقها (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أى انكم لا تعرفونها على سبيل التمام واذ لم تعرفوها
 امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام وما يدل قطعا على ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة أقسام

نعم الله تعالى ان كل جزء من أجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه أدنى خلل لتفقد العيش على الانسان
 ولتفتني أن يتفق كل الدنيا حتى يرزق عنه ذلك الخلل ثم انه تعالى يدبر أحوال بدن الانسان على الوجه
 الأكمل مع أن الانسان لا علم به بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك
 ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها مهيأة لا تتفاعل بها
 حتى تعلم أن عقول الخلق تغنى في معرفة حكمة الرحمن في خلق الانسان فضلا عن سائر وجوه الاحسان ثم
 الطريق الى الشكر أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مصلها ومجملها (ان الله لغفور) للتقصير
 الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه (رحم) بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب تقصيركم (والله
 يعلم ما تسرون) أي تصبرونه من العقائد والاعمال (وما تعلمون) أي تظهرونه منهم ما وهذه الاصنام
 جادات لا معرفة لها بشي أصلا فكيف تحسن عبادتها (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا)
 أي والآلهة الذين يعبدونهم الكفار من دون الله لا يدرون أن يخلقوا شيئا فقرأ أحفص عن عاصم يسرون
 ويعلمون ويدعون بالياء على الغيبة لكن ما نقل عن السمين أن قراءة الياء التحتية شاذة في الفعلين
 الاولين وقرأ أبو بكر عن عاصم يدعون خاصة بالياء على الغيبة وقرئ على صيغة المبني للفعل (وهم
 يخلقون) أي ان الاصنام مخلوقة لله تعالى معجونة من الحجارة وغيرها (أموات) أي جادات لا روح
 فيها (غير أحياء) أي لا تأديها الحياة أصلا (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يشعرون أولئك الآلهة
 متى يبعث عبدتهم من القبور وفي هذا تنبيهكم بالمشركين في أن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف وقت
 جزاء منهم على عبادتهم وقيل المعنى ان هذه الاصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله
 تعالى يبعث الاصنام ولها أرواح ومعها شياطينها فيمر بها الى النار (الهمكم الله واحد) لا يساركة
 شيء في شيء (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) ولا يرغبون في حصول الثواب ولا يرغبون في الوقوع في العقاب
 (قلوبهم منكورة) لوحداية الله تعالى ولكل كلام يخالف قولهم (وهم مستكبرون) عن الرجوع
 من الباطل الى الحق (الاجرم) أي حق (أن الله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعلمون) من
 استكبارهم (انه لا يجب المستكبرين) على خلقه فبالا بالمستكبرين على التوحيد واتباع الرسول
 صلى الله عليه وسلم (راذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) أي واذا قال وفود الحاج لا أولئك المنكرين
 المستكبرين عما أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام (قالوا أساطير الاولين) أي هذا الذي تذكرون
 انه منزل من ربكم هو كاذب الاولين ليس فيه شيء من العلوم والحقائق (ليحملوا أوزارهم) أي آثامهم
 الخاصة بهم وهي آثام ضلالهم (كاملة يوم القيامة) أي لم يخفف من عقابهم شيء يوم القيامة بحسبة
 أصابهم في الدنيا فقله ليحملوا متعلق بقولوا فاللام للعاقبة ووقوه يوم القيامة ظرف ليحملوا (ومن أوزار
 الذين يضلونهم) أي وليحملوا أيضا من جنس آثام من ضل باضلالهم أي فيحصل للرؤساء مثل أوزار
 الاتباع (بغير علم) أي ان هؤلاء الرؤساء يقدمون على الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب
 الشديد في مقابلته (الاسماء بارزون) أي بشس ما يحملونه من الذنوب حملهم هذا (قدمكر الذين من
 قبلهم) فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم) أي قدرتموا منصوبات لعمد كروا بها
 أنبياء الله تعالى فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو ابينا شديدا ودموعهم فأنه ذلك
 البنيان وسقط عليهم سعة بنيانهم فأهلكهم شبهت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكايدي في
 ابطاله تعالى تلك الخيل وجعله تعالى اياها سببا بالهلاكهم بحال قوم بنو ابينا وعوده بالاساطين

ففضعت تلك الاساطين فسقط عليهم السقف فهلكوا فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بآخرفأهلكه
الله بمكره ومنه المثل السائر على ألسنة الناس من حفر لأخيه قلبا وقع فيه قريبا (وأنا هم العدو اب من
حيث لا يشعرون) أي أنهم اعتقدوا على منصوباتهم ثم تولد البلاء منها بأعيانها فهو ولا الما كرون
المقاتلون ان القرآن أساطير الاولين سيأتيهم من العذاب العاجل من جهة لا تخطر ببالهم مثل ما أناتهم
(ثم) الله تعالى (يوم القيامة يجزيهم) أي يذل الكفار بعذاب (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون
فيهم) أي يقول الله لهم تفضيها أين شركائي في زعمكم الذين كنتم تخصصون الانبياء والمؤمنين في شأن
الشركاء حين بينوا لكم بطلانها وقرأنا نافع تشاقون بكسر النون (قال الذين أوتوا العلم) أي يقول
المؤمنون الذين أوتوا علما بآيات التوحيد حين يرون نزع الكفار وهم في الموقف (ان الحزبي) أي
الفضيحة (اليوم والسوء) أي العذاب (على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة) أي عزرائيل
وأعوانه (ظالمى أنفسهم) أي مستغربين على الكفر فأنهم ظلموا أنفسهم حيث عرضوها للعذاب المخلد
وقرأ حزن يتوفاهم بالياء مع الامالة في الموضوعين (فألقوا السلم) أي أسلموا وأقر والله بالعبودية عند
الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك في زعمنا فتنه قول الملائكة (بلى) كنتم تعملون أعظم
الشرك (ان الله عليم بما كنتم تعملون) من الشرك فلا فائدة لكم في انكاركم (فادخلوا أبواب جهنم)
أي ليدخل كل صنف من الكفرة في طبقة هو موعود بها المراد دخولهم فيها في رقة فان ذلك تخويف
عظيم وان تراخي المخوف به لا دخول القبر الذي هو حفرة من حفرة النيران (خالدين فيها) أي دركات
جهنم لا يخرجون منها (قلئش مشوى المتكبرين) عن قبول التوحيد واثرا ما أتت به الانبياء (وقيل
للذين اتقوا) أي خافوا الشرك وأيقنوا انه لا اله الا الله محمد رسول الله (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي
أنزل خيرا قال المفسرون كان في أيام المومنين يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه
ساحر وكاهن وكذاب فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيرا أي أنزل خيرا
والذي قالوه من الجواب ووصف بأنه خير (للذين أحسنوا) أي قالوا لا اله الا الله مع الاعتقاد الحق
(في هذه الدنيا حسنة) أي ثناء ورفعة وتعظيم وهذه الجملة بدل من قوله خيرا أو تفسير له وذلك ان الخير هو
الوحي الذي أنزل الله تعالى فيه قوله من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة وقوة
تعالى في هذه الدنيا متعلق بقوله حسنة (ولدار الآخرة خير) مما حصل لهم في الدنيا (ولنعم دار للمتقين)
والمخصوص بالمدح اما محذوف تقديره دار الآخرة أو هي دار الدنيا لان المتقين يتزودون فيها للآخرة واما
قوله تعالى (جنات عدن) وهذه تدل على القصور والبساتين وعلى الدوام (يدخلونها) يوم القيامة صفة
لجنات أو حال (تجري من تحتها الانهار) أي انهار الخمر والماء والعسل واللبن وهذه تدل على أن هناك
أبنية يرتفعون عليها وتكون الانهار جارية من تحتهم (لهم فيها ما يشاؤون) من أنواع الشهوات والمتعديت
وهذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الاول (يجزي
الله المتقين) أي كل من يتقى من الشر والمعاصي (الذين تتوفاهم الملائكة) أي قبضتهم (طيبين)
أي طاهرين من الكفر مبشرين عن العسلاتق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس فرحين ببشارة
الملائكة أي اياهم بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت (يقولون) أي الملائكة
عند الموت وهذه حال من الملائكة وطيبين حال من المفعول (سلام عليكم) أي لا يلحقكم مكروه وعن
محمد بن كعب القرظي قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله

يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) أي جنات عدن وهي خاصة لكم كأنكم فيها والمراد
دخولهم فيها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي البشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياض
الجنة فان الملائكة لما بشرهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها (بما كنتم تعملون) أي
بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة (هل ينظرون) أي ما ينتظر الكفار الذين طعنوا في القرآن
وأنكروا النبوة (الأن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالتهديد (أو يأتي أمر ربك) أي عذاب
ربك في الدنيا بهلاكهم (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الشرك والتكذيب والاستهزاء (فعل
الذين من قبلهم) من الأمم فأصابهم العذاب المجلي (وما ظلمهم الله) بذلك فإنه أنزل بهم ما استحقوه
بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن كذبوا الرسل فاستحقوا ما نزل بهم (فأصابهم سيأت
ما عملوا) أي عقاب سيأت أعمالهم (وحاق) أي وأحاط (بهم ما كانوا يستهزئون) أي عقاب
استهزأهم من جوانبهم (وقال الذين أشركوا) أي من أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم تكذبه
وطعنوا في الرسالة (لوشاء الله) عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء فنحن ولا آبائنا)
الذي نفتدى بهم في ديننا (ولا حرمننا من دونه من شيء) من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
وأمرنا كتاب الله الأولان وتحررنا بالانعام والحرب بمشيئته تعالى فهو راض بذلك وحينئذ فلا فائدة في محيئ
الينا بالأمر والنهي وفي إرسالك (كذلك) أي مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من
الأمم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطأ وهدهم إلى الحق
(فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليست وظيفة الرسل إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا فهو واجب
عليهم وأما حصول الأيمان فلا يتعلق بالرسول (ولقد بعثنا في كل أمة) من الأمم السالفة (رسولا)
خاصا بهم كما بعثناك إلى قومك (أن اعبدوا الله) وحده (واجتنبوا الطاغوت) أي اجتنبوا عبادة
ما تعبدون من دون الله أو اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم إلى الضلالة (فهم) أي من تلك الأمم
(من هدى الله) إلى الحق الذي هو عبادته (ومنهم من حقت) أي ثبتت (عليه الضلالة) فلم يجب
الرسول إلى الأيمان فضل عن الحق وعي عن الصدق ووقع في الكفر (فسيروا) يا معشر كفار قريش
(في الأرض) أي فان ~~كنتم~~ كنتم في شك من أخبار الرسل فسيروا في الأرض (فانظروا) في أكتافها
واعتبروا (كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من عاد وثمود وأمثالهم لتعرفوا أن العذاب نازل بكم
كما نزل بهم (ان تحرص على هدايتهم) أي ان تطلب يا سيد الرسل توحيد كفار قريش بجهدك فلا تدر
على ذلك (فان الله لا يهدي من يضل) أي لانه تعالى لا يخلق الهداية قسرا فيمن يخلق فيه الضلالة
لسوء اختياره وقرى لا يهدي بالبنا للفعول (وما لهم من ناصرين) أي وليس لهم أحد يعينهم على مطلوبهم
في الدنيا والآخرة من دفع العذاب عنهم (واقنعوا بالله جهد أيمانهم) أي حلف الذين أشركوا غاية إيمانهم
وإذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهده عينه فان الكفار كانوا يحلفون بأيمانهم وألهتهم فإذا كان الأمر
عظيما حلفوا بالله وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين أشركوا اعلاما بأنهم كما أنكروا التوحيد
أنكروا البعث مقامين (لا يبعث الله من يوت) فانهم يجدون في عقولهم أن الشيء إذا صار عدا محض لا يعود
بعينه بل العائد يكون شيئا آخر ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله (بلى وعدا عليه حقا) أي بلى يبعثهم
الله بالبعث وعدا حقا لا يخلف فيه نابتا على الله فيمنجزه لا امتناع الخلف في وعده (ولكن أكثر الناس)
أي أهل مكة (لا يعلمون) أنهم يبعثون لقصور نظرهم بالآلوف فيتوهمون امتناع البعث ولجهلهم بشئون

الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرهما من صفات الكمال (ليبين لهم) أي إلى يبينهم ليمين لمن يموت
(الذي يختلفون فيه) من أمور البعث وغيرهما من أمور الدين فينبغي الحق من المؤمنين ويعذب المبطل
من الكافرين (وليعلم الذين كفروا) بأنه بالأمثلة والشواهد والنبوة يوم القيامة (أنهم كانوا كاذبين)
في ما أقسموا فيه وفي كل ما يقولون (انما قولنا شيء) أي شيء كان (إذا أردناه) أي وقت ارادتنا
لوجوده (أن نقول له كن) أي أحدث وهو خير المبتدأ (فيكون) أي فيحدث عقب ذلك من غير
توقف وهذا يتمثل لنفي الكلام والتعب فليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا أمر بل هو تمثيل
لسهولة حصول المقدرات عند تعلق ارادته تعالى بها وتصوره لسرعة حدوثها ولكن العباد خوطبوا بذلك
على قدر عقولهم ولو أراد الله خلق الدنيا وما فيها في قدر لمع البصر لفر على ذلك فالمعنى انما إيجادنا شيء عند
تعلق ارادتنا به ان نوجده في أمر ع ما يكون (والذين هاجروا) من مكة إلى المدينة (في الله) أي
لاظهار دينه (من بعد ما ظلموا للنسوة في الدنيا حسنة) أي أرضا كريمة آمنة وهي المدينة وهم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة وعلى
هذا يكون نزول الآية في أصحاب الهجرة فيكون نزولها في المدينة بين الهجرةين وقال ابن عباس رضي
الله عنهما نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير أخذهم
المشركون بمكة يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى الكفر فأما بلال يخرجونه إلى بطناء مكة في شدة الحر
ويشدونه ويحعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشترأ منهم أبو بكر وأعطاه وأما صهيب
فقال أنا رجل كبران كنت معكم لم أنفعكم إن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم وهاجروا وأما سائرهم فقد
قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر فتركوها عذابهم ثم هاجروا فبسبب هجرتهم ظهرت قوة الإسلام كما
ان بنصرة الانصار قويت شوكتهم فلذلك غلبوا على أهل مكة وعنى العرب فاطمة وعلى أهل المشرق
والمغرب وعن عمرانه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ يارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله
في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أكبر (ولأجر الآخرة أكبر) أي وللاجر السالك في الآخرة وهو النعيم
السالك في الجنة أعظم من الاجر السالك في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو علم الكفار ان الله تعالى يجمع
لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لواقعهم في الدين (الذين صبروا) على أذى الكفار ومفارقة الأهل
والوطن وعلى المجاهدة وبذل الأموال والانفس في سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي اليه خاصة
يفوضون الامر كله معرضين عما سواه (وما أرسلنا من قبلك) يا أي كرم الرسل إلى الامم من طوائف
البشر (الارجالا نوحى اليهم) بواسطة الملائكة وهذا رد لقريش حين قالوا الله أعلى وأعظم من ان
يكون رسوله واحدا من البشر بل أراد بعثة رسول الينالبعث ملكا (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل
العلم ياخبر الماضين فاذنأسألهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشر فاذا أخبرهم
بذلك زالت الشبهة من قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) ان الرسل من البشر (بالبينات والبر) متعلق
بمخدوق على انه صفة جلال أي رب لا ملتبس بالمعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة وبالتكاليف
التي يبلغونها من الله تعالى إلى العباد أو متعلق بيوحي أي يوحى اليهم بالحجج الواضحة وبالكتاب أو
متعلق بذلك أي فاسألوا أهل العلم بالحجج وبالكتاب القديمة من التوراة والانجيل أو متعلق بلاتعلمون أي
ان كنتم لاتعلمون الله لم يرسل الرسل الا انسيا بالعلامات وبخبر كتب الاولين فاسألوا كل من يذكر بعلم
وتحقيق واسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى (وازلنا اليك الذكر) أي القرآن

محي ذكر الان فيه تنبيه للغافلين (لتبين للناس) كافة (ما نزل اليهم) في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال الامم المهلكة بأفانين العذاب على حسب أعمالهم الموجبة لذلك (ولعلمهم يتفكرون) فيما نزل اليهم فيتنبهوا لما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي سعوامن أهل مكة ومن حول المدينة في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون وأصحابه (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي في حال غفلتهم فيهلكهم بغتة كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم) بالعقوبة (في قلبهم) أي في أسفارهم وحركاتهم اقبالا وادبارا (فما هم بمحزين) أي وهم لا يحزون الله بسبب سفرهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا (أو يأخذهم) على تخوف (أي على ان ينقص شيئا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا أو على تخافة عن العذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتحذروا فأتيتهم العذاب وهم متخوفون (فانذركم لؤف دحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع الله تحقاقكم لها (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتغير وظلاله عن اليمين والشمال مجد الله) أي ألم ينظروا أهل مكة ولم يروا بياضارهم الى جسم قائم له ظل من جبل ومجبر وبناء يرجع ظلاله من المشرق ومن المغرب واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد (وهم داخرون) أي متقادون لقدرة الله تعالى وتدبيره ولما وصفت الظلال بالانقياد لامره تعالى أشبهت العقلاء فعبر عنها بلفظ من يعقل وقرأ حمزة والكسائي زوايا التاء على الخطاب بقرآن أبو عمرو وحده متقبوا بالتاء (ولله يسجد ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الأرض من دابة والملائكة) عطف على ما في السموات ولما بين الله تعالى أولا ان الجمادات بأمرها منقادة لله تعالى بين هذه الآية ان الحيوانات بأمرها منقادة لله تعالى فأخسها الدواب وأشرفها الملائكة وذلك دليل على ان كل المخلوقات منقادة لله تعالى (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته تعالى (يحاقون ربهم من فوقهم) وهذه الجملة بيان لقوله لا يستكبرون أو حال من ضميره أي خائفين لما لك أمرهم خوف هيئة واجلال وهو فوقهم بالههر (ويفعلون ما يؤمرون) به من الطاعات والتدبيرات فبواظنهم وظواهرهم مبرأة من الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة (وقال الله) لجميع المكلفين (لا تتخذوا الهين اثنين) أي لا تعبدوا الله والاصنام وما بين الله تعالى أولا ان كل ماسوى الله سواء كان من عالم الارواح أو من كلام الاجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى أتبعه في هذه الآية بالنهي عن الشرك والمقصود من التكرير تأكيد التنفير عن الاشرار بالله وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (انما هو له واحد) أي لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من الاله وقد ثبت ان وجود الالهين محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد (فاياي فازهبون) أي ان كنتم راهبين شيئا فازهبوني لا غير فاني ذلك الواحد الذي يصمد له ما في السموات والأرض ولما كان الاله واحدا والواجب لذاته واحدا كان كل ماسواه ماصلا بتخليقه وإيجاده فثبت ان تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان أفعال العباد من جملة ما في السموات والأرض ووجوب ان يكون جميع المخلوقات في ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله ما في السموات والأرض) أي خلقا وملكا (وله الدين واصبا) أي لله تعالى الطاعة دائما فليس من أحد يطاع الا انقطعت تلك الطاعة بالموت أو بسبب في حال الحياة الا الله تعالى فان طاعته واجبة أبدا وفي الآية دقيقة أخرى فغني قوله تعالى له ما في السموات والأرض ان كل ماسوى الله محتاج في انقياده من العدم الى

الو جود ومن الو جود الى العدم الى مخصص ومعنى قوله تعالى وله الدين واصب ما ان هذا الاحتياج الى
 المرجح حاصل دائماً بل ان الممكن حال بقائه لا يستغنى عن المرجح لان علة الحاجة هي الامكان وهو من
 لوازم الماهية فوجب ان تكون الحاجة حاصلة حال حدوثها او حال بقائها (انغير الله تتقون) أى انكم بعد
 ما عرفتم ان الله العالم واحد وان كل ما سواه محتاج اليه في وقت حدوثه وفي وقت دولامه فبعد العلم بهذه
 الاصول كيف يعقل ان يكون للانسان رغبة في غير الله أو رهبة عن غير الله تعالى (وما بكم من نعمة
 فن الله) أى أى شئ يصاحبكم من نعمة آية نعمة كانت فهي من الله فيجب على العاقل ان لا يخاف الا
 الله وان لا يشكر الا الله (ثم اذا مسكم الضر) كالاسقام (فاليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم
 بالاستغاثة في كشفه لا الى غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرقتم منهم) أى اذا فرق كفروهم
 أنتم (برهم بشر كون) غيره وهذا ضلال كامل (ليكفروا عما آتاهمهم) أى ان عاقبة تلك
 التضمرات ما كانت الا كفران نعمة ازالة المكروه عنهم وقيل ان هذه الالام الامر او ارد للتهديد كقوله
 تعالى (فمتمتعوا) أى عتوا في الكفر (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب
 (ويجعلون) أى المشركون (لما لا يعاون) أى لا الصنام التي لا يعلم المشركون انها تضر من حيث
 عبادتها ولا تنفع (نصيبيهم ازرقتاهم) من الزرع والنعام وغيرهما تقر باليهما (تالله لتسئلن) يوم
 القيامة سؤال توبيخ (عما كنتم تفكرون) أى تكذبون على الله من انه أمركم بذلك الجعل (ويجعلون
 لله البنات) أى يقول خراعة وكأنه الملائكة بنات الله (سبحانه) تزه الله ذاته عن نسبة الولد اليه وأمر
 الله تعالى الخلق بالتعجب من جراتهم على وصف الملائكة بالانثى ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى (ولهم
 ما يشتهون) ويجعلون لانفسهم ما يختارون من البنين (واذا بشر أحدهم بالانثى) أى والحال انه اذا
 أخبر بولادة الانثى (ظل وجهه مسوداً) أى صار وجهه متغيراً تغير مغفم من الحياء من الناس (وهو
 كظلم) أى غملى غمار حر تاو غيظا من زوجته وكيف ينسب البنات اليه تعالى وحيلة واذا بشر حال من
 الواو في يجعلون (يتوارى من القوم) أى يختفي من قومه (من سوء ما بشره) أى من أجل
 كراهية الانثى التي أخبر بها من حيث كونه لا تكسب وكونها يخاف عليها الزنا وكان الرجل في
 الجاهلية اذا ظهر آتار الطلاق باسم أنه اختفى عن القوم الى ان يعلم ما يولد له فان كان ذكر افرح به وان كان
 أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها ما اذا يصنع بها وذلك قوله تعالى (أيسرك على هون) أى يحفظ
 ما بشر به من الانثى مع رضاه بذل نفسه (أم يدسه في التراب) أى أم يخفيه في التراب بالو أذ فالعرب كانوا
 مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفن فيها الى ان تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل
 ومنهم من يفرقها ومنهم من يدبحها وهم كانوا يفعلون ذلك نارة للغرة والحمية نارة خوفا من الفقر ولوم الذفقة
 (الاسماء ما يحكمون) حكمهم هذا حيث يجعلون له تعالى ما عاينته عندهم حقارة والحال انهم يتباعدون
 عنه (لذبن لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت (مثل السوء) أى الصفة القبيحة وهي احتياجهم
 الى الولد ليقوم مقامهم عندهم وللاستعلاء به وكرامتهم الاناث خوفا من الفقر والعار مع احتياجهم اليهن
 للنكاح (ولله المثل الاعلى) أى الصفة المقدسة وهي الصفة الالهية المنزهة عن صفات المخلوقين وعن
 الولد (وهو العزيز) أى المنفرد بكمال القدرة (الحكيم) أى الذي يفعل ما يفعل بالحكمة البالغة
 (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها) أى الارض (من دابة) أى لو يؤاخذهم الله عما كسبوا
 من كفر ومعصية لا يبق لهم نسل فيلزم ان لا يبق في العالم أحد من الناس حينئذ لا يبق في الارض

أحدهم الدواب أيضا لانها مخلوقة لمنافع البشر (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى معين عند الله تعالى لا يحاربهم ليتوالدوا (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عن ذلك الاجل (ساعة) أى فذة (ولا يستقدمون) وانما ذكر الاستعداد مع انه لا يتصور عند مجيئ الاجل مبالغة في بيان عدم الاستعداد بنظمه في سلك ما يتبع (ويجعونون لله ما يكرهون) أى وينسبون اليه تعالى البنات التي يكرهونها لانفسهم (وتصف ألسنتهم بالكذب ان لهم الحسنى) بدل من الكذب أى يصون انفسهم بأنهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب اثبات البنات له تعالى وبأنهم على الدين الحق (لا جرم) أى ثبت (أن لهم النار) التي ليس وراء عذابها عذاب (وأنهم مفرطون) أى متروكون في النار وقرأنا نافع وقتيبة عن الكسافي بكسر الراء أى مفرطين على انفسهم في الذنوب (تالله لقد أرسلنا رسلا الى أمم من قبلك) فدعوههم الى الحق (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فقرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم اليوم) أى فالشيطان متولى أمورهم في الدنيا باغوائهم وقرينهم في النار (ولهم في الآخرة عذاب أليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (الآيتين لهم الذي اختلفوا فيه) أى الآيتين للناس بواسطة بيانات القرآن الأشياء التي اختلفوا فيها من التوحيد والشرك والجبر والقدر وأحوال المعاد والاحكام كتحريم الميتة وتحليل نحو البحيرة (وهدي رحمة) أى ولله داية من الضلالة وللرحمة من العذاب (لقوم يؤمنون) بالقرآن لانهم لغتنمون آياته (واته أنزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها) أى والله خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لنبات الزرع والشجر ولخروج النور والثمر (ان في ذلك) أى في انزال الماء وحياء الارض اليابسة (آية) دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذه المواظ سمع تفكر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم (وان لكم في الانعام لعبرة) عظيمة اذا تفكرتم فيها (نسقيكم مما في بطونه) أى الانعام قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحزرة والكسافي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح (من بين فرت) أى روث في الكرش (ودم لبننا خالصا) أى لا يخالطه الغرث ولا الدم وقوله لبنا مفعول ثان وقوله من بين حال من ما أتى للتبعيض أو لا ابتداء أو من لبنا وعن ابن عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرنا وأعلى له دما وأوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويسقى الغرث كما هو (سائقا للشاربين) أى جاريا في حلقهم لذيذا فلا يغص أحد باللبن (ومن ثمرات النخيل والاعناب) أى ونسقيكم من عصير ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه سكرا) أى خرا (ورزقا حسنا) كاللبس والحل والتمر والزبيب والله تعالى ذكرا في هذه الأشياء من المنافع وخطب بها المشركين والمجرمين اشربتم ففسى منفعة في حقهم ثم نبه في هذه الآية على تحريمها لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان لا تكون الخمر رزقا حسنا والمجرم يكون حسنا بحسب الشهوة ولا يكون حسنا بحسب الشريعة وهذه الآية جامعة بين العتاب والمنة وهذا اذا كانت الخمر محرمة قبل نزولها وان كانت سابقة للنزول على تحريم الخمر ففسى دالة على صكراهما (ان في ذلك) أى في اخراج اللبن من بين الروث والدم وفي اخراج الخمر والرزق الحسن من الثمرات (آية) دالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالتأمل في الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدرونها الا الله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) أى ألهم ربك النحل (أن اتخذ من الجبال بيوتا) أى أركلا (ومن الشجر) أى مما يوافق مصالحه ويليق برك (وعلى عرشون) أى مما يرفعه الناس وينزلون لك أى ان الله قدر في

أنفس النحل الأعمال العجيبة التي تميز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل تبني بيوتاً على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طلبها علواً ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة فالحام ذلك الحيوان الضعيف هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من اعاجيب والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بالاصطناع المسطر والفرجار (ثم كل من كل الثمرات) أي من كل ثمرة تشتهيها امرها وحلوها (فأسلكي سبل ربك) أي فإذا أكلتها فأسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك (ذلالاً) حال من السبل أي مسخرة لك أو من الضمير في أسلكي أي فأسلكي منقاداً لما أمرت به ولذا يقسم بعض وجهها أعمالها بينها فبعض يعمل الشمع وبعض يعمل العسل وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت وبعض يبني البيوت (يخرج من بطونها شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) من أبيض وأسود وأصفر وأحمر على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار وبحسب اختلاف الفصل أو سن النحل فيستحيل الماء كونه في بطونها عسلاً بقدرته الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللغاب (فيه) أي في ذلك الشراب (شفاء للناس) من الأوجاع لاسيما البلغمية فإنه فيها عظيم النفع وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن (ان في ذلك) أي في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة وفي اهتمامها إلى جمع الاجزاء العسلية من أطراف الأشجار والأوراق (آية) أي لعبرة (تقوم بتفكرون) فان من تفكر في شؤون النحل حزم قطعاً بان له خالفاً قادراً حكيماً يلهيها ذلك (وانه خلقكم) فان خالق الابدان هو الله تعالى (ثم يتوفاكم) أي يقبض ارواحكم عند انقضاء آجالكم فان الحياة والموت اغما حصل بالتخليق الله تعالى وبتهديره (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي أحقره وهو الحسرم قال العلماء عسر الانسان له أربع مراتب أولها سن النشو وهو من أول العسر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وثانيها سن الوقوف وهي من ذلك إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل وثانيها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة وهو من ذلك إلى ستين سنة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة وهو من ذلك إلى خمسة وستين سنة وفيه يتبين النقص والهرم قال علي بن أبي طالب أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقال قتادة تسعون سنة وقال السدي انه الخرف أي زوال العقل وقيل والمسلم لا يرداد بسبب طول العمر الاكرامة على الله تعالى وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (لأنه لا يعلم بعد علم شيئاً) أي ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان العقل وسوء الفهم وفي النسيان (ان الله عليم) بمقادير أعمالكم (قدير) على تحويلكم من حال إلى حال وكان الانسان ميتاحين كان نطفة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الأول جائزاً كان عود الموت جائزاً فكذلك لما كانت الحياة الأولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية وحتى كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والنشور والحشر حق (وانه فضل بعضكم على بعض في الرزق) أي فاوت بينكم في الرزق كما فارت بينكم في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم (فما الذين فضلوا بآدي رزقهم على ما ملكت أيما نهم فهم فيه سواء) أي فليس الذين فضلوا في الرزق على غيرهم بمجا على رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيهم معهم سواء في الملاءمة أم لا هم في البشرية والمخلوقية والمرزوقية قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت هذه الآية في نصاري نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم بن الله فالمعنى أنكم لا تشركون عبيدكم فيما ملكتكم فتسكونون سواء فكيف جعلتم عبيد عيسى ابن مريم يكلون في

الالهية (أفبنة الله بمجدون) فان من أثبت لله شريكا فقد أسند اليه بعض الخيرات فكان حاحدا
 لكونها من عند الله تعالى وأيضا ان أهل الطبائع وأهل النجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبائع والى
 النجوم وذلك يوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى وقرأ أعاصم في رواية أبي بكر تعبدون بالناء
 على الخطاب (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى زوجات لتأنسوا بها
 وتقيموا بها مصالحكم قال الأطباء والتفاوت بين الذكر والانثى ان الذكر أسخن من الانثى أكثر
 رطوبة فالمنى اذا أنصب الى الخصية اليمنى من الارجل ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
 ذكرا أما فى الذكور وان أنصب الى الخصية اليسرى من الارجل ثم أنصب منها الى الجانب الايسر من
 الرحم كان الولد أنثى أما فى الانثى وان أنصب الى الخصية اليمنى ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
 ذكرا فى طبيعة الاناث وان أنصب الى الخصية اليسرى ثم أنصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
 أنثى فى طبيعة الذكور (وجعل لكم من أزواجكم) أى من نسلهم (بنين وحفدة) أى خداما يصرعون
 فى طاعتكم وهم اما اولاد الاولاد واما البنات فانهم يخدمون البيوت أتم خدمة وأما الاختان على البنات
 أى فيحصل لهم الاختان بسبب البنات (ورزقكم من الطيبات) أى بعض اللذائذ من النباتات
 والحيوان فالمرزوق فى الدنيا أنموذج لما فى الآخرة وكل الطيبات فى الجنة (أقبا بالباطل يؤمنون) أى
 يكفرون بالله الذى شأنه ذلك المذكور ويؤمنون بالباطل بأن بحر مواعى أنفسهم طيبات أحلها الله لهم
 مثل الجيرة والسائبة والوصيلة ويبيعوا لانفسهم محرمات حرما الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير
 وما ذبح على النصب أى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة (وبنعمة الله هم يكفرون) أى وبانعام الله
 فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يعبدون (ويعبدون من دون الله مالا يعلى لهم رزقا من السموات
 والارض شيئا) أى أيعبدون الاصنام التى لا تملك لعبادتهم رزقا من المطر والنبات لا قليلا ولا كثيرا
 فسيأجل من رزقا (ولا يستطيعون) أى وليس للاصنام استعانة تحصل الملك وهذا معطوف على
 مالا يعلى وعبر عن الاصنام بلفظ ما اعتبار الحقيقة وبلفظ جمع العقلاء اعتبارا لاعتقادهم فيها أنها آلهة
 (فلا تضرهم الله الامثال) أى لا تشبهوه الله تعالى بخلقه فى شأن من الشؤون فان عبدة الاوثان كانوا
 يقولون ان آله العالم أعظم من أن يعبدوا الواحد من ابل نحن نعبد الكواكب أو هذه الاصنام ثم ان
 الكواكب والاصنام عبيد آله الاكبر الاعظم فان أصاغر الناس يخدمون أكبر خدام الملك وأما الملك
 الاكبر يخدمون الملك فكذلك نحن نعبد هذا قال الله تعالى لهم اتركو عبادت هذه الاصنام والكواكب
 ولا تجعلوا لله الامثال التى ذكرتموها وكونوا مخلصين فى عبادة الاله القدير الحكيم (ان الله يعلم) أى
 خطأ قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل فى التعظيم من الاشياء تغال بعبادة نفس الملك لان هذا
 الدليل قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص (وأنتم لا تعلمون) ذلك فتعبدون فى مهاوى
 الضلال (ضرب الله مثلا) بالعبد والحر (عبدا لو كالا يقدر على شئ) من التصرفات (ومن رزقناه
 منارزقا حسنا) أى مستحسننا عند الناس مرضيا (فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى حال السر والجمهور
 (هل يستوون) أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بتلك الصفات مع أن الفريقتين سيان فى
 البشرية والمخاوية لله تعالى وأن ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل فى ايجاده بل هو مما أعطاه الله تعالى
 اياهم بحيث ليستوا الفريقتان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به مالا دليل أدل منه وهو الاصنام
 والمعنى لو فرضنا عبدا لو كالا يقدر على التصرف وحر اغنيا كريما كثير الاتفاق فى كل وقت فصرح

العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الصورة والبشرية فكيف يجوز العاقل أن يسوى بين الله القادر على الرزق وبين الأصبغ الذي لا تقدر البتة (الحمد لله) أي كل الحمد لله تعالى لأنه معطي جميع النعم لا يستحقه أحد غير فضلنا عن استحقاق العبادة (بل أكثرهم لا يعلمون) أن كل الحمد لله وحده فمستندون نعمة تعالى إلى غير ما يعبدونه لاجلها وبعض الكفار يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون سبب الحمد عندنا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما أبكم أي الذي لا يحسن الكلام ولا يعقل (لا يقدر على شيء) للجزالة واللام قصص الكامل (وهو كل على مولاه) أي هذا الأبكم ثقيل على من يعوله (أي إنما وجهه لا يأت بخير) أي أينما يرسله من يلى أمره في وجهه عين لا يأت بطوبى لأنه عاجز لا يحسن شيئا ولا يفهم (هل يستوى هو) أي هذا الموصوف بهذه الصفات الأربع (ومن يأمر بالعدل) أي من هو منطوق فهم ينفع الناس بحجهم على العدل (وهو على صراط مستقيم) أي وهو عادل مبرأ عن العيب وإذا ثبت في يد هذه العقل أن الأبكم عاجز لا يساوى الناطق القادر الكامل في الفضل والشرق مع استوائهما في البشرية فلان تحكم بأن الجواد لا يكون مساويا لرب العالمين في العبودية أولى (ولله غيب السموات والأرض) أي وقته تعالى خاصة الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة فإن علمه تعالى حضوري وتحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى وهذا بيان كمال العلم (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) أي وما أمر إقامة الساعة وهي أمانة الأحياء وأحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الكواكب جميعا لا كرجع الطرف من أعلى الحديقة إلى أسفلها في سهولته (أو هو أقرب) أي بل أمر إقامة الساعة أقرب من طرف العين في السرعة بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة فأن الله تعالى يحيي المخلق دفعة وهي في جزء غير منقسم وهذا بيان كمال القدرة (إن الله على كل شيء قدير) فإن الله تعالى متى أراد شيئا أوجدناه أو أعدمه حصل في أسرع ما كان (وأنه أخر جكم من بطون أمماتكم لا تعلمون شيئا) أي غير عارفين شيئا أصلا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها المعرفة (لعلكم تشكرون) أي لكي تستعملوها في شكر ما أنعم الله به عليكم طور اغبطور فتنسوا ما عظم الله وتبصروا دلائل الله وتعملوا عظمة الله (ألهم والى الطير) أي ألم ينظر كفار مكة بإبصارهم إليها وقرأ ابن عامر وحزوة والكسائي تروا بالسما على خطاب العامة (مسخرات) أي مذلات للطيران (في جوا السماء) أي في الهواء المتباعده من الأرض قال كعب الأحبار إن الطير ترتفع في الجوى مسافة اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمكن) في الجوى قبض أجنحتهم وبسطها ووقوفهم (إلا الله) بقدرته الواسعة فإن جسد الطير ثقيل يمتنع بقاؤه في الجوى معلقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فبقاؤه في الجوى معلقا فعله وحاصل باختياره فثبت أن خالق فعل العبد هو الله تعالى (إن في ذلك) أي تسخير الطير للطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذنايا كذلك فإذا بسطت أجنحتها أو ذناياها تخرق ما بين يديها من الهواء (آيات) أي لعلامات لوحدانية الله تعالى (لقوم يؤمنون) أي يصدقون أن أمسا كهن من الله تعالى فإنه تعالى أعطى الطير جناحا بسطة مرة ويكسر مرة أخرى وخلق الهواء خلقة رقيقة يسهل بسبب خرقه ولولا ذلك لما أمكن الطيران (وأنه جعل لكم من بيوتكم) التي تبنيونها (سكنا) أي موطئ عاتسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) مغارة لبيوتكم المهدودة هي الحيام (تستخفونها) أي

تجدونها خفيفة عليكم في حملها ونقلها ونقضها في أسفاركم (يوم نطعنكم) أي وقت سيركم في أسفاركم
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين (ويوم أقامتمكم) أي وقت نزولكم في الضرب (ومن
أصوافها) أي الأنعام (وأوبارها وأشعارها أثاثا) أي جعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل
وأشعار المعز أنواع متاع البيت من القرش والأكسية (ومتاعا) أي ما ينفع به في البيت خاصة وبترين
به (إلى حين) أي إلى وقت البلاء (والله جعل لكم عما خلق) من غير صنم من جهنمكم (ظلالا) أي
ما يستظلون به من شدة الحر وهي ظلال الجدران والأشجار والجبال والأنعام (وجعل لكم من الجبال
أكثانا) أي مواضع تستكثرون فيها من شدة البرد والحر من الكهوف والغيران والصروب (وجعل لكم
سراييل) أي ثيابا من القطن والسكان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) في الصيف والبرد في الشتاء
ولم يذكر الله تعالى وقاية البرد تقدمه في قوله تعالى فيها داف (وسراييل) أي جوانشن (تقيكم
بأسكم) أي الشدة الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الطعن والضرب والرمي (كذلك)
أي مثل ما خلق الله هذه الأشياء لكم وأنعم بها عليكم (بتم نعمته) في الدنيا (عليكم لعلكم) يا أهل
مكة (تسلمون) أي تؤمنون به تعالى وتنفقوا والأمره وقرئ تسلمون بفتح التاء واللام أي لكي تسلموا من
المحاربات أو من أشرك (فان تولوا) أي أعرضوا عن الإسلام وآثروا متابعة آباءهم فلا نقص من جهنم
(إنما عليكم البلاغ المبين) أي لأن وظيفتك هي البلاغ الواضح فقد فعلته (يعرفون نعمة الله) أي
يقرون أن هذه النعم كلها من الله (ثم ينكرونها) أي لا يشكرونها بالتوحيد لأنهم قالوا لا حصلت
هذه النعم بشفاعته هذه الأصنام (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بعبادتهم غير مقرين بأن هذه
النعم من الله (ويوم نبعث) أي ونخوفهم يوم تأتي (من كل أمة شهيدا) يشهد لهم بالإيمان وعليهم
بالكفر وهونيبها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار وفي كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين
من رحمة الله تعالى (ولا هم يستعجبون) أي لا يكفون أن يرضوا بهم بالعبادات فلا يقال لهم ارضوا
ربكم بالتوبة لأن الآخرة ليست بدار عمل وانما هي دار الجزاء (وإذا رأى الذين ظلموا) أنفسهم بالكفر
(العذاب) أي عذاب جهنم بعد شهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولا هم ينظرون)
أي يقولون فعذابهم يكون دائما لأن التوبة هناك غير موجودة (وإذا رأى الذين أشركوا) أي إذا
أبصروا يوم القيامة (شركاءهم) أي الأصنام التي يسعون أشركاء الله تعالى (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا)
أي آلهتنا (الذين كانوا) أي نعبدهم (من دونك) أي هؤلاء الذين كنا نقول أنهم شركاء الله في
العبودية (فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون) أي فبادر شركاؤهم بالجواب إلى المشركين بقولهم انكم
لكاذبون في قولكم اننا نتحقق العبادة وأنكم عبدة ونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم والمعنى أن الله تعالى
يخلق الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام حتى تقول هذا القول (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي
أمرع المشركون إلى الله يومئذ لا نقياد لحكم الله فأقر وأبهرهم عن الشركاء وبر بوبية الله بعد أن كانوا
في الدنيا يتكبرين عنه لما عجزوا عن الجواب لكن الانقياد في هذا اليوم لا يفهم لانقطاع التكليف
فيه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب عنهم افتراؤهم على الله من أن الله شركاء بطل أملهم من
أن الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس
عن الدخول في الإسلام وحملوهم على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) أي بجحيات وعقارب وجوع
وعطش وحر وغير ذلك فيخرجون من النار إلى الزمهرير فيباعدون من شدة البرد إلى النار (بما كانوا

يفسدون) بذلك الصد (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) وهو أعضاؤهم فإنه تعالى ينطق
عشرة من أعضائه الانسان حتى أنها تشهد عليه وهي العينان والاذنان والرجلان واليدين والجلد
واللسان (وجنابك) ياسيد الرسل (شهيدا على هؤلاء) أي الامم كلها (وتزلنا عليك الكتاب) أي القرآن
(تبيانا لكل شيء) من أمور الدين بنص فيه على بعضهار بأحواله لبعضها على السنة أو على الاجماع
أو على القياس فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب (وهدي ورحمة) للعالمين
فان حرمان الكفرة من مغنايم آتاء الكتاب من تغريظهم لا من جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة
لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر بالعدل) أي بالتوسط في الامور وهو رأس الفضائل كلها فيندرج
تحتة فضيلة القوة العقلية فالحكمة متوسطة بين الحرمان والاداء فضيلة القوة الشهوية البهيمية فالعفة
متوسطة بين الخلاعة والحمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية فالشجاعة متوسطة بين التهور والجبن
ويندرج فيه أيضا الحكم الاعتقادية فالتوحيد متوسط بين التعطيل والتشريك ففي الاله تعطيل
محض واثبات أكثر من اله واحد تشريك والعدل هو اثبات الاله اواحده وهو قول لاله الاله والقول
بالكسب متوسط بين الجبر والقدر فان القول بأن العبد ليس له قدرة واختيار جبر محض والقول بأن
العبد مستقل بأفعاله قدر محض والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن بواسطة قدرة وداعية يختلفهما
الله تعالى فيه والقول بأن الله تعالى لا يؤاخذ عبده على شيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه تعالى
يخلد في النار عبده الآتي بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل هو القول بأنه تعالى يخرج من النار كل من
اعتقده لاله الاله ويندرج تحتة أيضا الحكم العملية فالتعبد بأداء الواجبات متوسط بين البطالة
والترهب والختان مأمورية في شريعة متنافان ابقاء الجلدة مبالغة في تقوية اللذة والاختصاص وقطع الآلات
كما عليه المناقبة افراط فكانت الشريعة انما أمرت بالختان سعيا في تعميل تلك اللذة حتى يصير ميل
الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال ولثلاث صير الرغبة فيه غالبية على الطبع ويندرج تحتة
أيضا الحكم الخلقية فالجود متوسط بين الجحلى والتبذير وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسط
بين التشديد والتساهل قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي متباعدين عن طرفي الافراط
والتفريط في كل الامور وما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادان قال تعالى طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولما أخذ قوم في المساهلة قال تعالى ألحسبتم أنما خلقتنا كم عبثا والمطلوب رعاية العدل بين
طرفي الافراط والتفريط (والاحسان) أي المبالغة في أداء الطاعات اما بحسب الكمية كالالتطوع
بالنوافل واما بحسب الكيفية كالاستغراق في شهود مقامات الربوبية والحاصل ان العدل عبارة عن
القدر الواجب والاحسان عبارة عن الزيادة في ذلك (وايتاء ذى القربى) أي اعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه قال صلى الله عليه وسلم ان أحجل الطاعة ثواب صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) أي المعاصي
كلها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في شريعة (والبغى) أي الاستعلاء على الناس والترفع والحاصل
ان الفحشاء هي الافراط في متابعة القوة الشهوية فهي اغتراب في تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة
عن اذن الشريعة وان المنكر هو الافراط في اظهار نار القوة الغضبية السبعية فهي اغتراب في الايذاء
الى سائر الناس وايصال البلاء اليهم فالتناس ينكرون تلك الحالة وان البغى من آتاء القوة الوهمية
الشيطانية فهي اغتراب في التطاول على الناس والترفع عليهم واطهار الرياسة والتقدم (يعظكم)
أي يأمركم بتلك الثلاثة وينهاكم عن هذه الثلاثة (لعلكم تذكرون) أي لا رادة أن تتذكروا

طاعته تعالى وهذا يدل على ان الله تعالى يطلب الايمان من الكل (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وهو
العهد الذي ياترته الانسان باختياره فيدخل فيه المداينة على الايمان بالله وبرسوله وعهده الجهاد وعهده
الوفاء بالندورات والاشياء المؤكدة باليمين (ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدها) بالعصاة ففرق بين
اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أي شاهدان من حلف بالله
قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف وهذه أحوال أي لا تنقضوا الايمان وقد قلتم الله شاهد
علينا بالوفاء (ان الله يعلم ما تفعلون) من النقض والوفاء فيجازيكم على ذلك ان خير الخير وان شر الشر
وفي هذا ترغيب وترهيب (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة تغفل بقتلها
وابرامها) (أنكثا) أي أنقضوا وهو مفعول ثان لنقضت بمعنى جعلت أحوال من غزلها مؤكدة لعاملها
أي منكم أو قيل المشبه به معين وهي امرأة في مكة اعمهارة ائمة بنت سعد بنت تيم وقيل تلعب بجهرانة
وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وقلعة عظيمة على قدرها فكانت تغزل
الصوف والوبر هي وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقض ما غزلن (تخذون أيمانكم
دخلا) أي مكررا (بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) وهو استيفهام بمعنى الانكار والمعنى
أنتصرون أيمانكم غشا بينكم بسبب ان أمة أزيد في القوة والكرامة من أمة أخرى قال مجاهد كان قريش
يحالفون الخلفاء ثم اذا وجدوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم مع الخلفاء وعاهدوا أعداء حلفائهم
(أنما يلوكم الله به) أي يعاملكم بالأكثر معاملته من يحتسبكم لينظر أتمسكون بالوفاء بعهد الله
أم تغتربون بكثرة قوم (وليس بينكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا أي حين يجازيكم على
أعمالكم بالنواب والعقاب (ولو شاء الله) مشيئة قسر (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام
(ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم لقضية حكمة يعلمها الله ولذلك (يفضل من يشاء ويهدي من
يشاء) وروى الواحدى ان عزير قال يا رب خلقت الخلق فتفضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير
أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والامحوت اعمل من
النبوة (واتسلن) جميعا يوم القيامة (عما كنتم تعملون) في الدنيا وهذا إشارة الى التكسب الذي
عليه يدور أمر الهداية والصلال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا) أي خديعة (بينكم) أي لا تنقضوا
عهدكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائه (فترل قدم بعد ثبوتها) على الطريق
الحق بالايمان أي تزلزلوا عن طاعة الله فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع
في الضلالة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) أي بامتناعكم عن
دين الله وبصرفكم الناس عنه بأيمانكم التي أردتم بها حقها الحق (واحكم) مع ذلك في الآخرة
(عذاب عظيم) أي غير منقلا اذ أتمتم على ذلك (ولا تشتروا بعهد الله) أي لا تأخذوا بعقوبة البيعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) أي عرض الدنيا وكانت قريش يعدون ضعفه المسلمين على
الارتداد بحطام الدنيا أي انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا لا تلتفتوا
اليه وان كان كثير الان الذي أعد الله تعالى على الاستمرار على الاسلام أفضل مما تجدونه في الدنيا على
نقض عهد الاسلام (ان ما عند الله) من ثواب الدارين الغنيمة والثواب الآخروي (هو خير لكم) مما
يعدونه (ان كنتم تعلمون) تفاوت ما بين العوضين (ما عندكم ينفذ) وان جمعه عدده (وما عند الله)
من خزان رحمة الدينونة والآخرة (بأق) لانفاذ له (ولنجزي الذين صبروا) على مشاق التزام شرائع

الاسلام (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بحسب أحسن أفراد أعمالهم والمعنى لنعطيهم بمقابلته
 الفرد الأدنى من أعمالهم مائة ضربة بمقابلته الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل وفي هذا من العدة الجميلة
 باعتقار ما قد يطرأ عليهم في أثناء الصبر من بعض جزع وبنظمه في ذلك الصبر الجميل وقرأ ابن كثير
 وعاصم والجزينهم بنون العظمة على طريقة الالتفات والباقون بالياء من غير التفات ولللام قسم
 أي والله يجزي الله (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا فيعيش
 عيشا طيبا فالموثر ظاهر والمعبر بطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فإن قلب
 المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى والقلب إذا كان علواً من هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة
 بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فإنه خال عن معرفة الله تعالى فيصير علواً من الاحزان الواقعة بسبب
 مصائب الدنيا (ولنجزيهم) في الآخرة (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي بجزاء أحسن من
 أعمالهم (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل
 الله أن يعصمك من وساوس الشيطان المظهر ومن رحمة الله لئلا يوسوس في القراءة أي فقل أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم وهذا الأمر للندب عند الجمه وروللو جوب عند عطاء وحيث أمر النبي صلى الله
 عليه وسلم بالاستعانة عند قراءة القرآن فاستعذكم من عداه صلى الله عليه وسلم فيمن عدا القراءة من
 الأعمال (أنه) أي الشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)
 أي والذين هم يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويدرون فإن رسوله لا تؤثر فيهم ودعونه
 غير مستجابة عندهم (إنما سلطانه) أي ولايته بدعونه (على الذين يتولونه) أي يطيعونه (والذين
 هم به) أي بربهم (مشركون) أي والذين هم بسبب حمل الشيطان إياهم على الشرك بالله صاروا
 مشركين (وإذا بدلنا آية مكان آية) أي وإذا استخنا حكم آية فابدلناها مكانها حكماً آخر (والله أعلم بما
 ينزل) من التعليل والتحقيق في مصالح العباد وما الشرائع المصالح للعباد في المعاش والمعاد فالمصالح
 تدور وهذه الجملة اعتراضية بين الشرط وجوابه لتوبيخ الكفرة على كونهم ينسبون رسول الله إلى
 الافتراء في التبديل والتثنية على فساد رأيهم (قالوا) أي الكفار من أهل مكة تأتي صلى الله عليه وسلم
 (إنما أنت مفتر) أي مختلق من تلقاء نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا نزلت آية فيها شدة ثم
 نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش والله ما محمد إلا يسخر بأحكامه اليوم بأمر بأمر وغدا ينهي عنه رآه
 لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية (بل أكثرهم لا يعلمون) أن الله لا يأمر
 عباده إلا بما يصلح لهم وأن في النصح حكماً بالغته واستناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك
 وأنما يشكروه عناداً (قل نزل) أي القرآن (روح القدس) أي الروح المطهر من الأدناس البشرية
 وهو جبريل (من ربك) يا أكرم الخلق (بالحق) أي بالموافق للحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على
 الإيمان بأن القرآن كلام الله فإنهم إذا سمعوا الناصح وتذبر وأما فيه من رعاية المصالح اللاتئدة بالحال
 ومخات مخائدهم وأطمأنت قلوبهم (وهدي بشرى للمسلمين) وهذا من معطوفات على ليثبت فهم
 منصوبان باعتبار محله ومجروان باعتبار المصدر المؤول (ولقد نعلم أنهم) أي كفار مكة (يقولون
 إنما يعلم بشر) أي إنما يعلم محمد القرآن بشر لا جبريل كما يدعي قال عبد الله بن مسلم الحضرمي عن
 عبد بن لنا أحدهما يقال له يسار والآخر جبر وكانا يصنعان السيف بحكمة وقرآن التوراة والإنجيل
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبر عليهم أو يسمع ما يقرأه فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى (لسان

الذي يحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي كلام الذي ينسبون اليه عبراني لم يتكلم بالعربية ولم يأت بفصح الكلام وهذا القرآن كلام عربي ذريبيان وفصاحة فكيف يعلم محمد أو هو جاءكم بهذا القرآن الفصح الذي عجزتم عنه وأنتم أهل الفصاحة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثل هذا القرآن وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي تشيرون اليه فثبت بهذا الدليل أن القرآن وحى أو جاء الله الى محمد وليس هو من تعليم الذي تشيرون اليه ولا هو أت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي لا يصدقون أنهم من عند الله بل يسمونها افتراء أو معلمة من البشر (لا يهديهم الله) الى طريق الجنة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) أي بل يسوقون الى النار (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي أن المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول أنها افتراء ومعلمة من البشر وهذا رد لقولهم انما أنت مفتروا وقلب للامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون (وأولئك هم الكاذبون) أي الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب آيات الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه) أي من تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى فعليه غضب من الله فمن موصولة مبتدأ وخبره محذوف للدلالة الخبر الآتي عليه (الامن أكره) على التلغظ بالكفر فتلفظه بأمر لا طاعة له به كالخوف بالقتل كالضرب الشديد وكلاهما الامات القوية مما يخاف على نفسه أو على عضد من أعضائه (وقلبه مطمئن بالإيمان) أي والحال أن قلبه لم يتغير عقيدته وهذا دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي ولكن من اعتقد الكفر وانشرح به قلبا (فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم) روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأباه يامر وأمه حميمة على الارتداد فربطوا حميمة بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة في فرجها فماتت وقتل يامر وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقبل يارسول الله أن عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه الى قدمه واختلط الإيمان بدمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع عينه وقال مالك ان عادوا لك فقل لهم ما قلت فنزلت هذه الآية (ذلك) أي الكفر بعد الإيمان (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) أي بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) أي وبأنه تعالى ما هداهم الى الإيمان وما عصمهم عن الكفر (أولئك) الموصوفون بتلك القبائح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبنت عن التأمل في الحق وادراكه (وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم في الآخرة من العذاب فلا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر عواقب الامور (لأجرم) أي حق (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) حيث صرفوا أعمارهم فيما أفضى بهم الى العذاب المخند (ثم انذركم الذين هاجروا) الى المدينة أي ناصرهم (من بعد ما فتنوا) أي عذبوا نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة أو من أمه وفي أبي جندل بن سهل والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم أنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقرأ ابن عامر فتنوا بالنساء للفاعل أي عذبوا المؤمنيين كما أمر بن الحضرمي أكرهه مولا جبر الرومي حتى ارتد ثم أسلموا وحسن إسلامهم وهاجروا (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على الطاعة والمرآزي (ان ذكركم من بعدها) أي من بعد هذه الاعمال الثلاثة (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) فيمنع عنهم مجازاة على ما صنعوا من بعد هذه الآية ان كانت نازلة فيمن أظهر الكفر فالمراد أن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال

من لا يكره فلا تم له في ذلك وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يحصلان له الغفران والرحمة ويزيلان العتاب (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) فالنظر في منسوب برحيم أو بمعذرف أي ذكركم يوم يأتي كل انسان يعتذر عن ذاته ويسعى في خلاصه من العذاب كقولهم هؤلاء أضلونا السبيلا وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وذلك من الاعتذارات وروي عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزل الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فضع عليه العذاب فيقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب ليس لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فإله هذا الروح كشعاع الثور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه مشيت جلالي فيضرب الله له ما شاء من الأعمى ومقعدا دخلا يستأنف فيه ثم يرفأ الأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناوله لحمل الأعمى المقعد فأصاب بالثمر فعلى من يكون العذاب قال الله تعالى عليه كجميع العذاب (وتوفي كل نفس ما عملت) أي وتعطي كل نفس جزاء ما عملت كاملا (وهم لا يظلمون) بالعقاب بغير ذنب وبالزيادة في العقاب على النوب (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل الله مثلا أهل قرية مكة (كانت آمنة) أي كان أهلها ذوي أمن فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو (مطمئنة) أي كان أهلها مطمئنا لان هوام ذلك البلد لما كان ملاعبا لا مخرجتهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه فلا يحتاجون الى الانتقال منه بسبب الامراض (بأتيها زقهار غدا من كل مكان) أي يأتي أهل تلك القرية أقوات واسعة من فواحيها من بر وبحر فلا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب ضيق الرزق قالت العقلاء من بحر الرجز

ثلاثة ليس لها نهاية * الامن والصحوة والكفاية

(فكفرت بأنهم الله) أي كفر أهلها بنعمه تعالى وهي نعمة الامن والصحوة والرزق الواسع (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي أذاق الله أهلها ضررا بالجوع والخوف من حرب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع والخوف نوعان أحدهما انه لما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والخوف فأشبهها بالطعام وثانيه ما ان أثر الجوع والخوف لما اشتد صار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبهه باللباس وقد ظهر أثرهما عليهم من الهزال وصفرة اللون ونهكة البدن وسوء الحال وكسوف البال ويشبهه أيضا أثر الخوف باللباس في الاحاطة والازم وأثر الجوع بانطعام المرباع في الكراهة (بما كانوا يصنعون) من تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإخراجه من مكة ثم قتلهم فأنه تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو وبر يخلط بالدم والقود وهو جلد الماعز الصغير حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الذئبان من الجوع وأما خوفهم فهو لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم سرايا فيغرون على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم ثم ان رؤساء مكة أرسلوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب في جماعة فقدموا المدينة عليه وقال له أبو سفيان يا محمد انك جئت تأمر بصلوة الرحم والغزو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون وهذه الآية نزلت في المدينة لان الله تعالى وصف القرية بصفتان ست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بها الله مثلا لأهل المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم

مثل ما أصابهم من الجوع والخوف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال
 لما هاجر الى المدينة فكان يبعث السرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة (ولقد جاءهم) أي جاء
 أهل تلك القرية وهي مكة (رسول منهم) أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر
 على النعمة وأتذرههم سوء عاقبة ما يأتون وما يندرون (فكذبوه) في رسالته (فأخذهم العذاب) بالجوع
 الذي كان بمكة (وهم ظالمون) أي والحال انهم كافرون بتكذيب رسول الله (فكأوا) يامعشر المسلمين
 (عما رزقكم الله) أي من الغنائم (حلالا طيبا) أي انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكأوا الحلال
 الطيب وهو الغنيمة واتركوا الحباث وهو الميتة والدم (واشكروا نعمة الله) أي واعرفوا احتضاها
 ولا تقابلوها بالكفران (ان كنتم اياه تعبدون) أي تطيعون (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
 وما أهل لغير الله به) فهذه الآية دالة على حصر المحرمات في هذه الأربع فالخنزيرة والموقوذة والمتردية
 والنطيحة وما أكل السبع داخل في الميتة وما ذبح على النصب داخل تحت قوله تعالى وما أهل لغير الله به
 (فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) أي فمن دعتهم ضرورة المحمصة الى تناول شيء من ذلك
 غير ظالم على مضطر آخر ولا متجاوز قدرا للضرورة وسدالمق فأنه لا يؤاخذ بذلك (ولا تقولوا لما تصف
 ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل ذكر ألسنتكم
 الكذب ولنعوذ بالله (لنفروا على الله الكذب) وهذا بدل من التعليل الاول أي انهم كانوا ينسبون
 ذلك التحليل والتحريم الى الله تعالى ويقولون ان الله أمر بذلك (ان الذين يفترون على الله الكذب)
 في أمر من الأمور (لا يفلحون) أي لا يفوزون بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة (متاع قليل) أي
 منفعتهم في أفعال الجاهلية منقعة قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم وعلى الذين هادوا) خاصة
 (حرمنا ما قصصنا عليك) يا أشرف المرسلين (من قبل) أي من قبل نخرجنا على أهل ملتك ما عدد
 لك من المحرمات وهو الذي سبق ذكره في سورة الانعام (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كأوا
 أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما يؤدي ذلك التحريم (ثم اندبوا للذين عملوا السوء) أي الكفر والمعاصي
 (بجهالة) أي بسبب جهالة لان أحد الايمان الكفر ما لم يعتقد كونه حقا ولا يفعل المعصية ما لم تصر الشهوة
 غالبية للعقل فكل من عمل السوء يكون بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعده ذلك) أي عمل السوء (وأصلحوا)
 بأن آمنوا وأطاعوا الله (ان ربك من بعدها) أي التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يشبث على طاعتهم
 تركا وفعلا أي ما بالغ الله في تهديد المشركين على أنواع قبائحهم من انكار البعث والنبوة وكون القرآن
 من عند الله وتحريم ما حل الله وتحليل ما حرمه بين الله أن مثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة
 وحصول المغفرة والرحمة اذ اندموا على ما فعلوا وآمنوا فأنه يخلصهم من العذاب (ان ابراهيم كان أمة) على
 انفسراد الكثرة في صفات الخير وجمعه فضائل وهو رئيس أهل التوحيد ولانه كان ومنا وحده والناس
 كلهم كانوا كفارا ولذلك وصفه بتسعة صفات (فانت الله) أي مطيعا له تعالى قائما بأمره (حنيفا) أي مائلا
 عن كل دين باطل الى الدين الحق لا يزول عنه (ولم يك من المشركين) في أمر من أمور دينهم فانه كان من
 الموحدين في الصغر والكبر (شاكر الانعم) روى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يتغذى الا مع ضيف
 فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخرغذاه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فاطهروا ان
 بهم علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكتكم فلو لا عزتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء
 (اجتماع) أي اصطفاها للنبوة (وهذا الى صراط مستقيم) أي هداية في الدعوة الى طريق موصل الى

الله تعالى وهو ملّة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي ولدنا لها وسيرة حسنة عند كل أهل الأديان
 لجميع الملل يقرضون عن إبراهيم ولا يكفرون به أحد (وأنه في الآخرة لمن الصالحين) أي لمن أصحاب
 الدرجات العالية في الجنة (ثم أوحينا اليك) يا سيد المرسلين مع علو طبقتك (أن أتبع ملّة إبراهيم)
 أي في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة وآتيان الدلائل مرة بعد
 أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (حنيفاً) أي ما نال عن الباطل حال من إبراهيم
 (وما كان من المشركين) وهذا تذكير لما سبق لزيادة تأكيد في الرد على المتشركين حيث زعموا أنهم كانوا
 على ملّة إبراهيم (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي انما فرض تعظيم يوم السبت على الذين
 خالفوا نبينهم موسى عليه السلام لأجل يوم السبت فإن أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى خلق العالم في ستة
 أيام وبدا تعالى بالتسكين من يوم الأحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فأمر سيدنا موسى
 عليه السلام اليهود أن يعظموا يوم الجمعة كما هو ملّة إبراهيم عليه السلام بالتفرغ للعبادة فيه وترك الأشغال
 فيكون عيداً خالفوا كلهم وقالوا نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال فاخترنا السبت فاذن الله تعالى لهم
 فيه وشدد عليهم بهرم الأصطفا فيه وقالت النصارى مبدأ التسكين هو يوم الأحد فنجعل هذا اليوم
 عيداً لنا وقد جاءهم عيسى عليه السلام بالجمعة أيضاً فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود به عيدنا واتخذوا
 الأحد عيداً لهم وقلنا معشر الأمة المحمدية يوم الجمعة هو يوم الكمال فحصل التمام بوجوب الفرح الكمال
 فهو أحق بالتعظيم ويجعله عيداً أيضاً إن الله تعالى خلق في يوم الجمعة أبا البشر آدم عليه السلام وهو
 أشرف خلقه وإن عليه فيه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولأن الله تعالى اختار يوم الجمعة
 لهذه الأمة ولم يختاروه ولا أنفسهم (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) في الدين
 فإنه تعالى سيحكم للجمعة بالشواب وللمسلمين بالعقاب (ادع) يا أشرف الرسل من بعث إليهم من الأمة
 قاطبة (إلى سبيل ربك) أي إلى دينه (بالحكمة) أي بالحكمة القاطبة المفيدة للعائد اليقينيه وهذه أشرف
 الدرجات وهي التي قال الله تعالى في صفتها من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (والموعظة الحسنة) أي
 الامارات الظنية والدلائل الاقناعية (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بدليل مركب من مقدمات مقبولة
 قالنا على ثلاثة أقسام * الأول أصحاب العقول الصحيحة الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها
 * والثاني أصحاب النظر السليم الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى خصيصة النقصان * والثالث الذين
 تغلب على طباعهم الخاصة لا طلب العلوم اليقينية فقله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الخ معناه ادع
 الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها وهم خواص
 الصحابة وغيرهم وادع عوام الخلق بالدلائل الاقناعية الظنية وهم أرباب السلامة وفيهم الأكثر وتكلم
 مع المشاغبيين بالجدل على الطريق الاحسن الاكمل وهي التي تفيد أحكامهم وآراءهم والجدل ليس من
 باب الدعوة بل المقصود منه قطع الجدل عن باب الدعوة لأنها لا تحصل أي ولما أمر الله محمد صلى الله عليه
 وسلم باتباع إبراهيم بين الشيء الذي أمر به باتباعه فيه وهو أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي
 الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن (إن ربك هو أعلم عن سبيله) الذي
 أمرك بدعوة الخلق إليه وأعرض عن قبوله (وهو أعلم بالمهتدين) إليه أي أنك مكلف بالدعوة إلى الله
 تعالى بهذه الطرق الثلاثة وحصول الهداية لا يتعلق بك فإنه تعالى هو العالم بضلالات النفوس المظلمة
 الكدرة وباهتدائها النفوس المشرقة الصافية (وإن عاقبتهم) أي إن أردتهم المعاقبة (فعاقبوا بحسب

ما عوقبتهم به) أن جعل ما فعل بهم ولا تزيده وأعلمه وقد مر أنه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وتلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباؤهم وبالحكم عليه بالضلالة وذلك عما يشوش قلوبهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب ثانياً وبالنشتم ثالثاً إن ذلك الداعي إذا عرف ذلك يجعله طبعه على تأديب أولئك السفهاء بالقتل أو بالضرب فعند هذا أمر الله الداعي في هذا المقام برعاية العدل وترك الزيادة وهي ظلم وهو غنوع في عدل الله ورحمته والله تعالى أمر في هذه الآية برعاية الانصاف فيدخل فيها ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة قد مثل به المشركون في أحد قطفوا أنفه وذنيه وذكروه وأنشبهه وخجروا بطنه قال لعن أظفري الله بهم لا مثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت هذه الآية فكفر عن عينه وكف عما أراد (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل (لهو) أي الصبر (خير للصابرين) لأن الرحمة أفضل من القسوة والنفع أفضل من الأيلام والمقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى وطلب ترك الزيادة من الظالم وهذا ليس بمنسوخ (وأصبر) على ما أصابك من جهتهم من فتن الأذية (وما صبرك) بشيء من الأشياء (الابانة) أي بذكروه بالاستغراق في مراقبة شؤنه تعالى وبالتبطل إليه تعالى بجماع الهمة (ولا تحزن عليهم) أي الكافرين بسبب أعراضهم عندك واستحقاقهم للعذاب الدائم (ولا تله في ضيق) أي غم وقرأ ابن كثير بكسر الصاد (عما يكرون) أي من مكرهم بك في المستقبل فالضيف إذا قوى صار كالنسي المحيطة بالإنسان من كل الجوانب (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين التعظيم لأمر الله تعالى والشغقة على خلق الله والمراد بالمعية هي بالرحمة والفضل والرتبة

﴿سورة بني أمية﴾ وتسمى سورة الأمراء وسجنان مكية غير قوله وإن كادوا ليستفزونك من قوله سلطانا نصير أفهولاء الآيات الثمانية مديبات وعدداً ياتهما مائة وعشر وكلتاها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون وعددها وفها ستة آلاف وأربعمائة وستون ﴿﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سجدان الذي أمرى بعبد) أي تبرأ عن الشر بك من سجد عبده محمد صلى الله عليه وسلم (أيلاً) أي في جزء قليل من الليل (من المسجد الحرام) أي من حرم مكة من بيت أم هانئ بنت أبي طالب (إلى المسجد الأقصى) أي الأبعد من الأرض وأقرب إلى السماء وهو مسجد بيت المقدس وهي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويطلب بها الأجر من المسجد الحرام وروى أن عبد الله ابن سلام قال في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم لم عند قرأته هذه الآية لأنه وسط الدنيا لا يري شيئاً ولا ينقص فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ثم قال ويقال له البيت المقدس والزيتون ولا يقال له الحرم والحكمة في أمره صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ليحصل له الخروج إلى السماء مستويًا من غير تعويج لما روى عن كعب بن باب السهماء الذي يقال له مصعب الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الأرض إلى السماء ثمانية عشر ميلاً وقيل الحكمة في ذلك أن السام خيرة الله تعالى من أرضه كما في حديث صحيح فهي أفضل الأرض بعد الحرمين وأول أولم يظهر فيه ملكه صلى الله عليه وسلم وروى أن حفرة بيت المقدس من جنة الفردوس وقيل الحكمة في ذلك لآظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به

من مكة الى السهراء لم يجد لمعاذ سبيلا الى الايضاح فلما ذكر انه امرى به الى بيت المقدس سألوه عن
 اشياء من بيت المقدس كانوا علما انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رآها قبل ذلك لما أخبرهم بها حصل
 التحقيق بصدقه فيما ذكر من الامراء به الى بيت المقدس في ليلة واذا صبح خبره في ذلك لم تصدقه
 في بقية ذلك من خبر المعراج الى السهوات وقيل الحكمة في ذلك ليجمع الله له صلى الله عليه وسلم بين القبلتين
 (الذي باركنا حوله) أي المسجد الأقصى من أرض الشام بركة دنياه وبالبياء والانهجار وبركة دينية
 لانه مهيأ الوحي ومتعبد الانبياء وأما كنهم أم حياها وأما في قوله تعالى سبحان الذي أسمى الحق معنى
 التنزيه والتعجب أشار الله تعالى بذلك الى أعجب أمر جرى بينه تعالى وبين أفضل خلقه (الزبير) أي
 محمد صلى الله عليه وسلم (من آياتنا) أي بعض عجائب قدرتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة
 من الليل مسيرة شهرو ثبت بالدليل ان خالق العالم قادر على كل الممكنات للحصول بالحركة المبالغ في السرعة
 الى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم يمكن وحينئذ يلزم ان القول بثبوت هذا المعراج أمر يمكن
 الوجود في نفسه لكن يبقى التعجب لانه حائل في جميع المجهزات فانه لا بد ان يعاين ما تبلغ سمعنا في الفا
 من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل
 الاصم وظلال الجبل انه ظم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المجهزات فان كان مجرد التعجب يوجب
 الانكار لزم الجزم بفساد القول باثبات المجهزات وهو فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب
 لا يوجب الابطال فكذا هو هنا ثبت ان المعراج يمكن غير محتج (انه هو السميع البصير) أي انه تعالى هو
 السميع لا قول محمد صلى الله عليه وسلم وأحواله بلاذن البصير بأفعاله بلاعين فيكرمه ويقربه بحسب
 ذلك أي فهو عالم بكونهم بهذه الصلة من شوائب الهوى مقرنة بالصدق والصفاء متأهلا للقرب والرفق
 ويقال انه تعالى هو السميع لقالة قريش البصير بهم روى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان نائما
 في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأمرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون
 فصليت بهم فلما قام ليخرج الى المسجد تسمعت هي بثوبه صلى الله عليه وسلم فقال مالك قالت أخشى ان
 يكذبك الناس وقول ان أخبرتهم قال وان كذبتني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره بمحدث الاسراء
 فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هل أخذتهم من مصفق ووضع يده على رأسه تعجبا وانكرا
 وارتدنا من كان آمن به صلى الله عليه وسلم وذهب رجال الى أبي بكر وقالوا انه ان صاحبك يقول كذا
 وكذا فقال أبو بكر ان كان قد قال ذلك فهو صادق قالوا أتصدق على ذلك قال اني أصدق على أصدق من ذلك
 أي كأنه قال لما سمعت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا ثم جاء أبو بكر الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فسكما ذكر صلى الله عليه وسلم شيئا قال له أبو
 بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد انك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد انك الصديق
 حقا ويقال ان هذا العهد الذي اختصناه بالاسراء هو خاصة السميع لكلامنا البصير فلما اننا فهو السميع
 أدناو قلبا بالاجابة لنا والقبول لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة وتوسيط ضمير الفصل للأشعار باختصاصه
 صلى الله عليه وسلم وحده بهذه الكرامة ولهذا عقب الله تعالى بقوله هذا (وآتيناهم موسى الكتاب) أي
 التوراة أي لما ذكر الله تعالى تشریف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ذكر عقبه تشریف موسى
 عليه السلام بالانزال التوراة عيله مع ما فيه من دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمع
 بين الامرين المتحدین في المعنى أي آتيناهم التوراة بعدما أمريناه الى الطور (وجعلناه هدى لبني

(امراييل) والضمير يعود الى الكتاب أو الى موسى أي جعلنا موسى يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من
 ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق (أن لا تتخذوا) فلانا نهاية وان بمعنى أي التفسيرية أو
 زائدة وتتحذوا على اضماع القول أي فقلنا لا تتخذوا قرأ أبو عمرو ولا يتخذوا بالياء خبرا عن بني اسرائيل
 فان مصدرية ولا نافية ولا مفعول متعليل مقدر والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لا ليتخذوا
 (من دوني وكيدا) أي ربنا فوضون اليه أموركم (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص
 على قراءة النهي وعلى مفعول يتخذوا الاول ومن دوني حال من وكيدا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملنا مع
 نوح من دوني وكيدا فالناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام وياقت فالناس
 كلهم من ذرية أوائلك (انه) أي نوحا (كان عبدا لشكورا) أي كئيبا لشكر في جميع حالاته وفي
 هذا اعلان بأن النجاة من معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وزجرهم عن الشر والمعنى
 ولا تشركوا بي لأن نوحا كان عبدا لشكورا وأنتم من ذرية فاقصدوا به كما أن آباءكم اقتدوا به وانما يكون
 العبد شكورا إذا كان موحدا لا يرى حصول شيء من النعم الا من فضل الله تعالى وروى أن نوحا عليه
 السلام كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعني ولوشاء أجاجني وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولوشاء
 أظم أني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء أعراني وإذا احتدى قال الحمد لله الذي حذاني ولو
 شاء أحرقني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني إذا في عافية ولوشاء حبسه وإذا أراد الاطعام
 عرض طعامه على من آمن به فان وجدته محتاجا آثر به (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) أي
 أخبرناهم في التوراة بحصول الفساد مرتين (لنفسدن في الارض) أي أرض الشام (مرتين)
 الاول مخالفة حكم التوراة وجس أرميا عليه السلام حين أنذرهم بخط الله تعالى وقتل شعبانبي الله في
 الشجرة وذلك انه لما مات صدقيا ملكهم تنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال
 الله تعالى له قوم في قوم فلما فرغ عما أوحى الله اليه عدوا عليه لئلا يقره فهرب فانطلقت له شجرة فدخل فيها
 وأدركه الشيطان فأخذ هربة من ثوبه فأرأهم أياها فوضعوا المتشارف وسطها فنشروها حتى قطعوها
 وقطعوه في وسطها والثاني قتل زكريا ربي وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (ولتعلن) أي
 لتعلن الناس بغير الحق (علوا كبيرا) أي بمجازاة الحدود ويقال لكل متجبر قد علا (فانما وعد
 أولاهما) أولى مرتي الفساد (بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس) أي قتال (شديد) عن حذيفة قال
 قلت يا رسول الله أقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو من أجل البيوت آتاه الله تعالى سليمان بن داود عليه السلام من ذهب وفضة ودر
 وياقوت وزمرر وذلك أن سليمان بن داود لما بناء مخبره الجن بأنونه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه
 بالجواهر والياقوت والزمرر ومخبره الجن حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله
 كيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني اسرائيل لما عصوا
 الله وقتلوا الانبياء أسلم الله عليهم فمقت نصر وهو من الجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى
 فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديد (لنجاسوا خلل الديار) أي فترددوا في
 أوساط الديار ودخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما
 كان في بيت المقدس من هذه الأصناف فأحتملوهما على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض
 بابل فأقاموا يستخدمون بني اسرائيل ويستملكونهم بالخزى والعقاب والتكال مائة عام (وكان) أي

ذلك البعث (وعدا مفعولا) أى منجزا (ثم ردنا لكم السكرة) أى الدولة (عليهم) أى على الذين
فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبين عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد بظهور كورش الهمذانى على
بخت نصر (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سببت أولادكم
(وجعلناكم أكثر نبرا) أى رجالا وعدداً أى ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس
وهو كورش الهمذانى أن تسير إلى المجوس فى أرض بابل وأن تستقذ من فى أيديهم من بنى إسرائيل فسار
إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقى من بنى إسرائيل من أيدي المجوس واستقذ ذلك
الحلى الذى كان من البيت المقدس ورده الله إليه كما كان أول مرة (ان أحسنتم) بفعل الطاعات
(أحسنتم لأنفسكم) فإن بركة تلك الطاعات يفتح الله به عليكم أبواب الخير (وان أسأتم) بفعل
الحرمان (فلها) أى فقد أسأتم إلى أنفسكم فلن بشؤم تلك المعاصى يفتح الله به عليكم أبواب العقوبات
(فإذا جاء وعد الآخرة) أى وعد المرة الآخرة بعنات طوس بن اسبيانوس الرومى مع جنوده (ليسوا
وجوهكم) أى ليجمعوا آثار الحزن ظاهرة فى وجوهكم وقرأ ابن فارس وأبو بكر عن عاصم وحزمه ليسوا
بالتوحيد أى يحزن الله أو الوعد أو البعث وجوهكم وقرأ الكسافى ليسوا بنون العظيمة (وايدخلوا
المسجد) أى بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أى كما دخل الأعداء فيه فى أول مرة (وليتبروا ما
علوا) أى ليهلكوا البلاد التى علوا عليها (تسيرا) أى اهلاكا أى فلما رجعت بنو إسرائيل إلى البيت
المقدس قادوا إلى المعاصى فسلط الله عليهم ملكا الروم قيصرفغزاهم فى البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ
أموالهم ونساءهم وأخذ جميع ما فى بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا مائة ألف عجلة حتى أودعه فى
كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس وهو ألف سفينة وسبع مائة
سفينة يرمى بها على بابل حتى ينقل إلى بيت المقدس (عسى ربكم أن يرحكم) أى لعل ربكم أن يرحكم بعد
المرة الآخرة أن تبين توبة أخرى من المعاصى يا بنى إسرائيل (وان عدتم) إلى الفساد مرة أخرى (عدنا) إلى
صوب البلاء عليكم فى الدنيا مرة أخرى وان عدتم إلى الاحسان عدنا إلى الرحمة وقد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي
وهو التكذيب لحمد صلى الله عليه وسلم وكتفان ما ورد فى التوراة والإنجيل فعاد الله عليهم بالعذاب على
أيدي العرب لجرى القتل والجلاء على قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع وبنو دخير والباقي منهم
مقهورون بضرب الجزية (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى محجبا لا يستطيعون الخروج منها أبدا
(ان هذا القرآن) الذى آتيناكم (يهدى) كل الناس (للى هي أقوم) أى للطريقة التى هي أقوم الطرائق
وهى ملة الإسلام فبعضهم يصل بهدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا كبيرا) أى بأن لهم فى مقابلة تلك الأعمال أجرا
كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعندناهم عذابا أليما) وهو
عذاب جهنم وهذا عطف على قوله ان لهم فالقرآن يبشر المؤمنين ببشارتين بأجر كبير وبتعذيب أعدائهم
واعلم ان أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانيين وان بعضهم قال ان تمسنا النار إلا أياما
معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للآخرة (ويدعوا الانسان بالشردها بالخسر) فى الالحاح
أى ان الانسان قد يبالغ فى الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خسره فيه مع ان ذلك الشيء يكون منبسط ضرره
وهو يبالغ فى طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه مغترا بظواهر الامور
غير متفحص عن حقائقها وامراره روى ان النضر بن الحرث قال اللهم انصر خير الخزيين اللهم ان كان

هذا هو الحق من عندك الى آخره فأجاب الله تعالى دعاءه وضر به رقبته يوم يدر وقيل المراد ان الانسان
 في وقت الضجر يلعن نفسه وأهله وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك (وكان
 الانسان) بحسب جبلته (عجولا) أي ضجرا لا يتأني الى ان يرزول عنه ما يطرأ عليه فان كل أحد من
 الناس لا يخشع عن محبة ولو تركها لكان تركها أصح في الدنيا والدين (وجعلنا الليل والنهار آيتين)
 أي علامتين والتين على تمام علما وكما لا تسدرت فاعلمنا ان الله تعالى ان هذا القرآن يدل على الطريق
 الاقوم ذكر الدلائل الدالة على وحدانية تعالى وهو عجائب العالم العلوي والسفلي فالقرآن نعم الدين ووجود
 الليل والنهار نعم الدنيا فلو لا هذا ما حصل للخلق الراحة والكسب والقرآن مخرج من المحكم والمتشابه
 فكذلك الدهر من كب من الليل والنهار فالحكم كالتشابه كالليل فكأن القصور ومن التكليف
 لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يحصل الانتفاع به الا بالليل والنهار (فمحمونا آية الليل)
 وهي القمر لانه يبدو في أول الامر على صورة الهلال ثم لا يزال يتراد نور حتى يصير بدرا كاملا ثم ينحسر
 في الانتفاص قليلا قليلا الى أن يعود الى الحاق (وجعلنا آية النهار) وهي الشمس (مبصرة) أي
 مضيئة ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة فالأضواء سبب لحصول الابصار (لتبغوا فضلا من ربكم)
 أي لتطلبوا في الليل والنهار فضل ربكم من الرزق الحلال بالكسب ومن الثواب الجزيل بإداء الطاعات
 واحتراز المنيات (وتعلموا) بتعاقبهما (عدد السنين والحساب) أي حساب ما دون السنين من
 الشهور والايام والساعات لأقامة مصالحكم الدينية والدنيوية (وكل شيء) تفتقرون اليه في مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي بيناه في القرآن تبيينا بليغا لا شبهة فيه فظهر كون القرآن
 يهدي للتي هي أقوم ظهورا بينا (وكل انسان أزمانه طائر) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر
 (في عنقه) وذكر العنق كناية عن شدة اللزوم أي أزمانه عمله كل يوم القلادة أو الغداة للصفاة بحيث
 لا يفارقه عمله أبدا فان كان خيرا كان ربه معه كالطوق وان كان شرا كان شينا له كالغل على رقبته وانما
 يمكن العمل بالطير لان العرب اذا أرادوا الاقدام على عمل اعتبروا أحوال الطير فهل يطير متيامنا أو
 متيامرا أو صاعدا الى الجوال غير ذلك فيستدلون بكل واحد منها على الخير والشر والسعادة والخوسة
 فلما كثرت ذلك منهم سمى نفس الخير والشر بالطائر فسمي باسم لازمه وقيل المراد بالطائر حقيقة
 الابل التي كتبها الملائكة الحفظة فاذامات العبد طويت تلك الصيغة رجعت معه في قبره حتى يخرج
 له يوم القيامة وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يا رسول الله ما أول ما يلقي الميت اذا أدخل قبره
 قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحدا الا أنت فأول ما يناديه ملاك اسمه وما يحوس خلال المقابر فيقول
 يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قسطاس ولا قلم فيقول كفتك قسطاسك ومدادك ريقك
 وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفته ثم يشرع العبد يكتب وان كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حيدته
 حسنة وسببته كيوم واحد ثم يطوى الملك القطعة ويلقها في عنقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكل انسان أزمانه طائر في عنقه أي عمله فيه وقيل المراد بالطائر كتاب اجابته في القبر لم يذكره فكبر
 (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكتوبا فيه عمله (يلقى الانسان وقرأ ابن هاشم يلقاه بضم
 الياء وفتح اللام والفتاح المشددة أي يعطاه (منشورا) أي مفتوحا ويقال له (اقرأ كتابك) قال
 الحسن وقتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً وقال بكر بن عبد الله يؤتى بالماز من يوم القيامة
 بصحيفته وهو يقرأ وهو حسنة في ظهرها ينبطه الناس عليها وسببته في جوفه صحيفته وهو يقرأها

حتى اذا ظن انها قد اوبقتة قال الله تعالى اذهب فقد غفرت لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره
 (صكفي بنفسك اليوم عليك حسبي) أي محاسب ما قال المحسن ومن عدل الله في حقك جعلك
 حسب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ له تعالى انك قضيت انك لست بظلام لا عيب
 فاجعلني أخاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبي (من اهتدى فأنجاهم تدي
 نفسه) أي من اهتدى بهداه القرآن وعمل بما في تضاعفه من الاحكام وانتهى عما نهى عنه فانما
 تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تخطئه الى من لم يهتد فان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله (ومن ضل
 فأنجاهم عليها) أي ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فأنجاه بالضلالة عليها الاعلى من لم يباشره
 (ولا ترزوا زورا أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة ثلاث ثم نفس أخرى بطبيعة النفس حتى يمكن
 تخلص النفس الثانية عن انهما ولكن يحمل عليها بالقصاص فلا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى فكل
 أحد مختص بذنب نفسه وهذا قطع لا طماع الكفار حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق
 فالعقاب على اسلافهم الذين قلدوهم الذين الفاسد (وما كرامة من) قوما بالهلاك (حتى نبعث
 اليهم) (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويهدى الشرائع وأهل الفترتين
 بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد عليهم السلام ثلاثة عشر قسما ستة سعادة وأربعة أشقياء وثلاثة
 تحت المشيئة فأما السعادة فقسم وحده الله تعالى بنور وجده في قابه كقسم بن ساعدة فإنه كان اذا سئل
 هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وانرا اقدام يدل على المسير وقسم وحده الله تعالى بما تجل
 لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقى في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم
 فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق من أقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى
 الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله
 اجران وأما الأشقياء فقسم عطل بلا نظر بل بتقليد وقسم عطل بعدما أثبت بالاستقصاء ونظر وقسم أشرك
 عن تقليد محض وقسم علم الحق وعائده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقرب وجود الاله عن نظره
 ناقص لضعف في طبائعه وقسم أشرك عن نظره أخطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت بغير نظر قوي ونقل عن
 العيوطي ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة وأنه تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث
 رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة (واذا أردنا أن نهلك قرية
 أمرنا مترفيها) أي واذا ادنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بعذاب الاستئصال أمرنا على لسان الرسول
 المبعوث الى أهلها رؤسائها بالاحمال الصالحات وهي الاعيان والطاعة وروى رواية غيره شهوة عن نافع
 وابن عباس أمرنا مترفيها بعبادة اله - مرة أي كثيرا أغنياءها وفساقها وعن أبي هريرة أمرنا بتبديد الميم أي
 جعلنا جبارتها أمراء (ففسقوا فيها) أي فخر جوارحهم أمرهم الله وعملوا المعاصي فيها (لحق عليها
 القول) أي فثبت عليها ما توقع عدناهم به على لسان رسولنا من الاهلاك (فدمرنا هاتدميرا) أي
 فأهلكناها اهلاك الاستئصال (وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح) أي وكثيرا أهلكتنا من الامم
 الماضية من بعد قوم نوح فان الطريق الذي ذكرناه هو عادتنا مع الذين يفسقون من القرون الذين كانوا
 بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم وانما قال تعالى من بعد نوح لانه أول من كذب قومه وخوف تعالى بهذه
 الآية كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبير بصيرا) فإنه تعالى عالم بجميع المعلومات راها لجميع
 المراتب وثبت انه قادر على كل الممكنات فكان قادرا على افعال الجزاء الى كل أحد بدراستحقاقه فإنه

منزه عن الظلم وهذه بشارت عظمى لاهل الطاعة وتخفيف عظيم لاهل المعصية (من كان يريد
 بالذي يعمل (العاجلة) أى الدار العاجلة فقط (تجعلناه فيها) أى فى تلك الدار (مانشاء) تجهيلها
 من نعمها (لنزيد) تجهيل مانسأله وهذا بدل من التجهير بأعادة الجار بدل بعض من كل فلا
 يجد حرجا واحدا لجميع ما يهواه فان كثيرا من الكفار يعرضون عن الدين فى طلب الدنيا ثم يعقوب
 محرومين عن الدنيا والدين (ثم جعلناه) فى الآخرة مكانا معجلا لمانشاء (جهنم) وما فيها من أنواع
 العذاب (بصلاحها) أى يدخلها (مذموما) أى مهانا بالذم (مدحورا) أى مطرودا من رحمة الله
 تعالى قيل نزلت هذه الآية فى مرتدين ثمانية (ومن أراد الآخرة) أى أراد بعمله ثواب الآخرة
 (وسعى لها) أى للدار الآخرة (سعيها) بأن يكون العمل من باب القرب والطاعات (وهو مؤمن)
 إيمانا صحيحا (فأولئك كان سعيهم) أى عملهم (مشكورا) أى مقبولا عند الله أحسن القبول
 قيل نزلت هذه الآية فى بلال المؤذن (كلا) أى كل واحد من الفريقين يريد الدنيا ويريد
 الآخرة (غد) أى يزيد بالعطاء (هؤلاء) أى الذين يريدون الدنيا (وهؤلاء) أى الذين يريدون الآخرة
 وهذان بدلان من كلا فان الله يوسع عليهم فى الرزق من الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز
 والزينة فى الدنيا (من عطاء ربك) أى من معطاه الواسع وهذا متعلق بنمذ (وما كان عطاء ربك) أى
 معطاه فى الدنيا (محظورا) أى ممنوعا من أحد مؤمنا كان أو كافرا لان الكل مخلوقون فى دار العمل
 فأزاح تعالى العذر عن الكل وأوصل تعالى متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى يقتضيه الصلاح (أنظر)
 أيها الانسان بنظر الاعتبار (كيف فضلة بعضهم على بعض) فيما أمددناهم به من العطايا فى الدنيا
 فمن وضيع ورفيع وضالع وضايع وما لك وعملوك ومومرو وعملوك (والآخرة أكبر درجات) من درجات
 الدنيا فان درجات الآخرة باقية غير متناهية ونعم الدنيا فانية متناهية (وأكبر تفضيلا) من تفضيل
 درجات الدنيا أى التفاوت فى الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودرجاتها ثم ذكر الله
 تعالى من أنواع التكليف خمسة وعشرين نوبا بعضها أصلى وبعضها فرعى وهى تفصيل لثلاثة شروط
 لاهل الثواب وهى ارادة الآخرة بالعمل وان يسعى سعيها وافقا لطلب الآخرة وأن يكون مؤمنا فقال
 (لا تجعل) أيها الانسان (مع الله لها آخرة فتعبد) أى فتعبد فى الناس أو فتعبد عن سعادة الآخرة
 أو فتصير (مذموما) من الملائكة والمؤمنين (تخدولا) من الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمرا
 جزما وقرأ على ابن عباس وعبد الله ووصى ربك (أن لا تعبدوا الاياه) فان امام مفسرة أو مخففة من
 التثنية واسمها ضمير الشأن ولانهاية (وبالوالدين) أى احسنوا بهما (احسانا) عظيما كاملا فان
 احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ومع ذلك لا تحصل المكافاة
 لان انعامهم عليك كان على سبيل الابتداء وفى الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافأ (اما يبلغن
 عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى ان يبلغا الى حالة الضعف وهما عندك فى آخر
 العمر كما كنت عندهما فى أول العمر فلا تنهجهما بل احسنهما بما استغذرنه ولا تستقل من مؤنه أى ولا
 تقل له كلا ما ردينا ذا وجدت منه راثة تؤذيك كما انهما لا يتقدرا ان منك حين كنت تحزأ أو تقول وقرأ
 حمزة والكسائي يبالغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وقرأ ابن كثير وابن طامر أف وفتح الفاء من غير
 تنوين وناقع وحفص بكسر الفاء مع التنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين (ولا تنهرا) أى
 لا تنظظ لهما فى الكلام والمراد من قوله تعالى فلا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالقليل أو الكثير

ومن قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه (وقل لهما قولا كريما) أي
لينا احسانا بان يخاطبهما بالكلام المقرون بأمارات التعظيم (واخفض لهما جناح الذل) أي لين لهما
جانبك المنقول والمراد فعل التواضع لهما (من الرحمة) أي من أجل فرط عطفك عليهما ورفقتك لهما
بسبب ضعفهما لا لاجل خوفك من العار (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي ادع لهما بالرحمة ولو
خمس مرات في اليوم والليلة بان تقول رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والاخرية رحمة مثل تربيتهما اي
في صغري ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لاجل تربيتي - عالي (ربكم أعلم عا في نفوسكم) من
الاخلاص وعدمه في برهما (ان تكونوا صالحين) أي صادقين في نية البر بالوالدين ان كنتم رجاءين الى
الله تعالى (فانه) تعالى (كان للذابين) أي للرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم (غفورا) فيكفر
عنهم سيئاتهم (وأت ذا القرنى) أي اعط ذا القرابة من جهة الاب والام وان بعد (حقه) من صلة
الرحم بالمال أو غيره (والمسكين) أي اعط المسكين حقه من الاحسان اليه (وابن السبيل) أي اعط
الضيف النازل بلك حقه وهو اكرامه ثلاثة أيام (ولا تبذر تبذرا) وهو انفاق المال في المعصية وفي
الفقر والسهوة (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي أتباعهم في الصرف في المعاصي (وكان
الشيطان لربه كفورا) فانه يستعمل يده في المعاصي والافساد في الارض وكذلك كل من رزقه الله
تعالى مالا أو جاهافقره الى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا لنعمة الله تعالى فكان المبذرون موافقين
لشياطين في تلك الصفة (واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أي ان أعرضت عن ذي
القرنى والمسكين وابن السبيل جبا من التصريح بالرد لكونك كنت فقرا في وقت طلبهم منك (فقل لهم
قولا مبسورا) أي ايناسها لابان تعدهم بالا عطاء عند مجي الرزق أو تقول لهم الله يسهل وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية اذ لم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول رزقنا الله تعالى واياكم
من فضله اه وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله
فسمى الفقرا بابتغاء رحمة الله من اطلاق اسم السبب على اسم السبب (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)
أي لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة المنوعة من الانبساط أي لا تعزل عن الاتفاق بحيث تضيق
على نفسك وأهلك (ولا تبسطها) في الاتفاق (كل البسط) أي في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات
أي ولا تتوسع في الاتفاق توسعا مفرط بحيث لا يبق في يدك شيء (فتنقصد ملوما) أي تقتصر ملوما عند
الله وعند أصحابك فهم ملومونك على تضيق المال بالكلمة وابقاء الاهل والولد في الضر وتبقى ملوما عند
نفسك بسبب سوء تدبيرك وترك الخبز في مهمات معاشك (محسورا) أي نادما أو منقطعا عندك
الاحباب بسبب ذهاب الاسباب (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي ان الله يوسع الرزق على
البعض ويضيقه على البعض الآخر وهو رب المربوب ويدفع حاجاته على مقدار صلاحه فعلى العباد أن
يقتصدوا في الاتفاق وان يستموا بسنته تعالى (انه كان بعباد خيرا بصيرا) فيعلم من مصالحهم ما يجنى
عليهم ويعلم ان مصلحة كل انسان في ان يعطيه الا ذلك القدر في التفات في أرزاق العباد لاجل رعاية
الصلاح لا لاجل البخل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي خشية وقوع فقر بكم فقتل الاولاد ان
كان الخوف الفقر هو سوطن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تحريب العالم فالاول
ضد التعظيم لامر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله قال بعضهم والذي حملهم على قتل الاولاد
الأنجل وطول الامل (نحن نرزقهم وياكم) أي نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فبطر أعليكم

ما تخشونه من الفقر (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) أي ذنبا عظيما او قرأ الجمهور بكمرا الحاء وسكون
الطاء وقرأ ابن عامر بفتح الحاء والطاء مع القصر يعني ضد الصواب وقرأ ابن كثير بفتح الحاء والطاء
مع المد (ولا تقرّبوا الزنا) بآتيان مع دمانه (انه) أي الزنا (كان فأحسنة) أي ظاهرة القبح لاشتغاله
على فساد الانساب وعلى التقاتل فان الانسان لا يعرف ان الولد الذي أتت به الزانية أهومته أو من غيره فلا
يقوم بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وخراب العالم (وسايسبيلنا) لانه لا يبقى فرق
بين الانسان والبهائم في عدم اختصاص الذكور بالاناث فانه تعالى وصف الزنا في آية أخرى بصفتان
ثلاثة قلن لم يذكرهن كونهن معتافات المرأة اذا عترت على الزانية فقدرها كل طبع سليم وكل خاطر سليم
واذا اشتهرت بالزنا نغرنه مقارنتها بطباع أكثر الخلق حينئذ لا تحصل لها الالفة ولا يتم الازدواج (ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بالاسلام والعهد (الا بالحق) أي بسبب الحق وهو عند القصاص
فهو متعلق بالاقتلوا (ومن قتل مظلوما) بغير حق يبيع القتل للقاتل (فقد جعلناه لوالديه) من الوارث
أو السلطان عند عدم الوارث (سلطانا) أي استيلا على القاتل يؤاخذ به بالقصاص أو بالدية (فلا
يسرف في القتل) أي فلا يسرف الولي في أمر القتل بأن يزيد على القتل المثل وقطع الاعضاء أو بأن
يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد أو بأن يقتل القاتل مع أخذ الدية وقيل
المعنى ولا يسرف القاتل النظم والامراف هو اقدمه على القتل بالظلم وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف
بالثناء على الخطأ أي لا تسرف في القتل أيها الولي أي اكتف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة
أولا تسرف أيها الانسان أي لا تفعل القتل الذي هو ظلم محض فانك ان قتلت مظلوما استولى في
القصاص منك ويعصدها قراءة ولا تسرفوا (انه كان منصورا) قال مجاهد ان المقتول المظلوم كان
منصورا في الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفي الآخرة بكثرة الثواب له وبكثرة العقاب لقاتله وقال قتادة ان
ولي المقتول كان منصورا على القاتل حيث أوجب الله له القصاص أو الدية وأمر الحكام بعونه في
استيفاء حقه فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة (ولا تقرّبوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) وهي
حفظه وارباعه (حتى يبلغ أشده) أي حتى يبلغ الى حيث يمكنه بسبب رشده القيام بمصالح ماله حينئذ
ترزول ولاية غيره عنه فان بلغ غير كامل العقل لم ترزول الولاية عنه (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم
وبين ربكم أو جرى بينكم وبين الناس (ان العهد كان مستولا) أي مستولا عنه فبمثل الناكث
ويعاقب عليه يوم القيامة (وأوفوا الكيل) أي أتموه (اذا كنتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس
المستقيم) أي ميزان العدل بحيث لا يميل الى أحد الجانبين (ذلك) أي الوزن بالميزان المعتدل وايضا
الكيل والعهد (خير) في الدنيا فإنه يوجب الذكرا الجليل بين الناس (وأحسن تأويلا) أي عاقبة
في الآخرة فإنه يخلص من العقاب الشديد (ولانتم فماليس الله به علم) أي لا تكن أيها الانسان في
اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله الى مقصده والمراد بالعمل هو الظن
المستفاد من سند (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أي كل واحد من تلك الاعضاء (كان عنه
مستولا) أي كان كل واحد منها مستولا عن نفسه أي عما فعل به صاحبه ولا يبعد ان يخلق الله الحياة
والعقل والنطق في هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال عليها في هذا ايل على أن العبد مأخوذ
بعزمه على المعصية روى عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني
تعويذا أنعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر معي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني

قال لحفظتها (ولا تمس في الارض مرها) أي ذاشدة فرح أي لا تمس مشيا يدل على التكبرياء والعظمة
(انك لن تخرق الارض) أي لن تنقبأ بشدة رطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي ان يبلغ طولك
الجبال والمعنى قواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله فلا يليق بك التكبر (كل ذلك) أي
الذكر من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) بضم الهيمزة والهاء أي السيئ منه وهي المنهيات
الاثني عشرة (عند ربك مكروها) أي محرما مبهوضا فاعله معاقبا عليه وقرأنا فاع و ابن كثير وأبو عمرو
سبئة بالتاء والنصب وهو خبر كان وعند ربك صفة لسيئة ومكروها خبر بان كان والمعنى كل ما تقدم
من المنهيات وهي اثنتا عشرة خصلة كان سيئة أي ذنبها (ذلك مما أوحى إليك ربك) أي ذلك التكليف
الاربعة وعشرون نوعا بعض ما أوحى إليك ربك (من الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير
لأجل العمل به وهذا خبر ثان (ولا تجعل مع الله الهاء خرفل في جهنم ملوما) بلومك نفسك وغيرها
(مدحورا) أي مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي أختاركم ربكم بكم بخصمكم بالذكور
(واخذ) نفسه (من الملائكة اناثا) أي ان كفار مكة اعتقدوا أن أشرف الاولاد البنون وأخسهم
البنات ثم انهم أثبتوا البنين لانفسهم مع علمهم بنهاية نفعهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله هو
الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وذلك يدل على غيبة جهلهم (انكم لتقولون) بسبب ذلك الاعتقاد
(قولا عظيما) في الغيبة على الله حيث تجعلونه تعالى من نوع الاجسام ثم تنسبون اليه ما تكرهون من
أخس الاولاد ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان
(ولقد صرفنا) أي كرونا هذه الدلائل (في هذا القرآن) أي في مواضع منه (ليذكركم) بفتح الذال والكاف
وتشديد دها أي ليعرفوا بطلان ما يقولونه وقرأ حمزة والكسائي ليذكركم وأسا كنة الذال مضبوطة الكاف
أي ليفهموا ما في القرآن أوليذكروهم بالسنتهم فإن الذكر باللسان قديودي إلى تأثر القلب بعناه (وما
يزيدهم) أي والحال ما يزيدهم ذلك التكرير (الانفورا) أي تباعد عن الايمان وهذا دليل على أن
الله ما أراد الايمان من الكفار (قل) في اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى
(آلهة كما يقولون) أي كونا موافقا لما يقولون (إذا لا يتغوا إلى ذي العرش سبيلا) أي لطلبوا إلى من له
الملك سبيلا بالغلبة كما هو دين المولى بعضهم مع بعض وقيل المعنى لو كانت هذه الاصنام تقربكم إلى
الله زلفي كما تقولون لطلبت لانفسها المراتب العالية فلم تعد على ذلك فكيف يدرك في العقل أن تقربكم
إلى الله منزلة (سبحانه وتعالى) كما يقولون علوا كبيرا) أي تنزه الله وارتفع بصفات الكمال عن الشراكة
والنقص ارتقا عظيما (ما تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) أي تنزه الله تعالى السموات
السبع والارض عن كل نقص بلانة أحوالها على توحيد الله تعالى وقدرته ولطيف حكمته فكأنها
تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح وتسبح العقلاء بلسان المقال وقرأ ابن كثير كما يقولون وهم يقولون
ويسبح بالياء في هذه اللفظة وقرأ حمزة والكسائي كلها بالتاء وقرأنا فاع و ابن كثير وأبو عمرو
الاول بالتاء على الخطاب وفي الثاني والثالث بالياء وقرأ حفص عن عاصم الاولين بالياء على الحكاية
والاخير بالتاء وقرأ أبو عمرو والاول والاخير بالتاء والاول بالياء (وان من شيء الا يصبح بحمده) أي
ما من شيء من الاشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا الا ينزهه تعالى متبسا بحمده بلسان الحال كما
لا يليق بذاته تعالى من لوازم الامكان فلا كوان بأمرها شاهد بتلك التزاهة (ولكن لا تفقهون) أيها
المشركون (تسبحهم) فان الكفار وان كانوا مقرين بالسنتهم بإثبات له العالم لم يفكروا في أنواع

الدلائل ولم يعلموا كمال قدرته تعالى فاستبعدوا كونه تعالى قادرا على النشر والحشر فهم ظافلون عن
أكثر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد لانهم أثبتوا لله شركا وزوجا وولدا وقرى لا يفقهون على صيغة
المبني للفعول مع فتح الفاء وتشديد القاف (انه كان حليما) ولذلك لم يعاجلهم بالعقوبة مع غفلتهم وسوء
نظرهم وجهلهم ولذا كان (غفورا) لمن تاب منهم (واذا قرأت القرآن) بمكة (جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي المنكرين للبعث (حجابا مستورا) روى ابن عباس ان أباسفيان
والنضر بن الحرث وأباجهمل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال
النضر يوما ما ادرى ما يدري محمد غير اني أرى شفقه تتحرك بشي وقال أبوسفيان اني لا أرى بعض ما يقوله
حقا وقال أبوجهمل هو مجنون وقال أبولهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فزات هذه
الآية والله تعالى خلق حجابا في عيونهم يمنعهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وعن ادراك ما عليه من
النبوة وعن فهم قدره الجليل وذلك الحجاب شي لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه (وجعلنا على
قلوبهم أكنت) أي موانع من (أن يفقهوه) أي يفهموا القرآن حق الفهم (وفي آذانهم وقرا) أي
صمما مانعا من سماعه اللاتق به أي كان بعضهم يحجب بصره عن رؤية النبي اذا أراد بمكره وهو يقرأ
القرآن وبعضهم يحجب قلبه عن ادراك القرآن ويحجب سمعه عن سماعه (واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده) أي غير مقرر بآلهتهم في الألوهية وهذا منصوب على الحال من ربك أو على الظرف (ولوا
على أذبارهم نفورا) أي متباعدين عن قولك أي كان الكفار عند استماع القرآن على حالتين فإذا
سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله بقوا متحيزين لا يفقهون منه شيئا وإذا سمعوا آية فيها ذكر الله تعالى
وذم الشرك بالله تركوا ذلك المجلس ولا يستطيعون سماع القرآن (نحن أعلم بما يستمعون) الى قراءة
القرآن (به) أي بسببه من الهز والتكذيب (اذ يستمعون اليك) أي الى قراءتك روى أنه صلى
الله عليه وسلم كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره رجلان من ولد قصى أو من بني عبد
الدار فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (واذهبهم فجيء اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا
رجلا مسجورا) أي ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم اذهبهم ذروهم فجيء اذ يقول المشركون بعضهم
لبعض انكم ان اتبعتم محمدا فقد اتبعتم رجلا زالا عقله عن حد الاعتدال روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما يدعو اليه أشرف قريش من المشركين ففعل على ذلك ودخل
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى
نطعمكم العرب وتقاد لكم ألهم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور وما أشبه ذلك من القول فأخبر
الله تعالى بأنهم يقولون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع الا رجلا مخدوما من قبل الشيطان فانه يتخيل
له فيظن أنه ملك ومن جهة الناس فان محمدا يعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك يمدحونه بهذه
الحكايات (انظر) يا أشرف الرسل (كيف ضربوا لك الامثال) فكل أحد شبهك بشي آخر فقالوا انه كاهن
وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) في جميع ذلك القول عن طريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) الى
طعن يمكن أن يقبله أحد فيه أتون على الارتاب في بطلانه أحد (وقالوا انذا كننا) أي صرنا (عظاما) بالية
(ورفاتا) أي ترابا رميما (أثنابه عوفون خلقا جديدا) أي مخلوقين تجدد الروح فينا بعد الموت (قل) لهم
يا أكرم الرسل (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (عما يكبر في صدوركم) والمعنى لو تكونون حجارة مع

ثم لا تقبل الحياة بحال أو حديد مع أنه أصلب من الحجارة أو خلقا غيرهما كائنهما من الأشياء التي تعظم في
 اعتقادكم عن قبول الحياة كالسماوات والأرض فلا بد من إيجاد الحياة فيكم فإن قدرته تعالى لا تعجز عن
 لحياتكم لا شراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاما عزيزة وقد كنتم طرية موصوفة
 بالحياة من قبل والنسب أقبل لما اعتد فيه عالم يعتد (فيقولون) عماديا في الاستهزاء (من بعيدنا)
 أي من الذي يقدر على إعادة الحياة إلينا إذا صرنا كذلك (قل الذي فطركم أول مرة) أي قل إرشادهم
 إلى طريقة الاستدلال الذي ابتدأ خلقكم أول مرة من غير مثال يعيدكم إلى الحياة بالقدر الذي
 ابتدأكم به أفكلم تعجز تلك عن البدء فلا تعجز عن إعادة (فسيغنضون إليك رؤسهم) أي فسيحركونها
 جهنك تعجبا وتكذبا لقولك (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي الذي وعدتكم من إعادة (قل
 عسى أن يكون) ذلك (قريبا) اذكر آت قريب (يوم يدعوكم) على لسان أمرا فيل بالبدء الذي
 يسمعكم من القبور وهو النعمة الأخيرة فإن أمرا فيل يتأدى أينها الأجسام البالية والعظام الخشنة
 والأجزاء المتفرقة عودى كما كنت بقدرته الله تعالى وبأذنه (فتستحيون بحمده) قال سعيد بن جبيرة
 فيخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك قال المنفرون
 حمدوا حين لا يدفعهم الحمد قال الزمخشري بحمده حال منهم أي حامدين وهذا مباغة في انقيادهم للبعث
 (وتظنون) عند ما ترون الأهل الهائلة (ان لبتم) أي ما كنتم في القبور أو في الدنيا (الأقليا)
 كالذي مر على قرية (وقل لعبادي) أي المؤمنين إذا أردتم تبيان الحق على الخائفين فاذكروها غير
 مخلوط بالتم والسيقية بلونهم عثله ولا يخاشنوهم بل (يقولوا) لهم الكلمة (التي هي أحسن)
 بأن يقولوا سيديكم الله وقيل هذه الآية في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى
 بالعبارة (ان الشيطان يترغيب بينهم) أي يجمع الشريين الناس ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم
 المحاصصة (ان الشيطان كان) في قديم الزمان (للإنسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة (ربكم
 أعلم بكم) أي بعاقبة أمركم (ان يشأ ربكم) بأن يوفقكم للإيمان والمعرفة إلى ان تتوفوا فينجيكم من
 العذاب (أو ان يشأ يعذبكم) بأن يعيثكم على الكفر فيعذبكم إلا ان تلك المشيئة فائت عنكم فاجتهدوا
 أنتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل لئلا تنصروا محرومين عن السعادات الأبدية وقال هذه
 تفسير لاتي هي أحسن أي قولوا لهم هذه الكلمة ولا تقولوا أيها المؤمنون للمشركين انكم من أهل النار
 فإنه مما يهيجهم على الشر مع ان طائفة أمرهم مغيبة عنكم فعسى يهديهم الله إلى الإيمان ويقال ان يشأ
 ينجيكم منهم وان يشأ يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم ركيلا) أي موكولا إليهم أسرهم فتقصرهم
 على الإيمان وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومراحماء بالمدارة عليهم فإن الذين عندهم الدعوة يؤثر
 في القلب ويغيد حصول المقصود (وربك أعلم عن في السماوات والأرض) أي بأحوالهم فيختار منهم لنبوته
 رولايته من يشاء من يستحق ذلك وهو رده عليهم اذ قالوا بعيد أن يكون يتم أي طالب نبيلا ولا يجوز اطلاق
 ينهم على النبي صلى الله عليه وسلم لا شعاره بالتحقير حتى أفتى بعض المالكية بقتل قائله كما في الشفاء
 (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية لا بكمثرة الأموال والاتباع وهذا إشارة
 إلى تفضيل رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (وأتينا داود وزورا) فيه ذكر تفضيل سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم النبيين وأمه خير الأمم وكون الأرض برثها عباد الله الصالحون وهم محمد
 وأمه وهذا بيان أن تفضيل داود بآياته الزبور لا بآياته الملك والسلطنة ورد لقول اليهود لا نبي بعد موسى

ولا كتاب بعد التوراة أى فإذا أعطى الله تعالى التوراة فلم يعد أن يعطى داود زبوراً وعيسى الانجيل
ومحمد القرآن ولم يعد أن يفضل محمد على جميع الخلق فكيف تنكر اليهود ذلك وكفار قرش فضل محمد
واعطاءه القرآن (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أى قل يا أشرف الخلق للكفار ادعوا عند الشدة
الذين عبدتم من دون الله كعيسى ومريم وعزير وطائفة من الملائكة وطائفة من الجن (فلا يملكون)
أى لا يستطيعون (كشفت الضر عنكم) أى رفع الشدة عنكم (ولا تخويل) للضرائر
غيركم (أولئك الذين يدعون) أى الذين يتألهونهم (يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أى
يحرص من هو أقرب إلى ربهم القربة بالطاعة إليه فأولئك مبتدأ وخبره يبتغون والذين عطف
بيان والوسيلة مفعول يبتغون والذين هم متعلق بالوسيلة وأى موصولة بدل من فاعل يبتغون
وقيل إن اسم الموصول خبر لاسم الإشارة ويبتغون حال من فاعل يدعون والمعنى أولئك المعبودون
لهم يعبدون ربهم يطلبون بتلك العبادة القربة إلى ربهم والفضيلة عنده وهم أقرب إليه (وبرجون
رحمته) بها (ويخافون عذابه) يتركوها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فكيف يكونون
آلهة (إن عذاب ربك كان محذوراً) أى يجب الحذر عنه (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم
القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) أى وما من قرية طائفة أهلها أو طائفة الأوثان لها آيات وأما بالعذاب
فالصالحية يكون أهلاً بها بالموت والطالحية يكون أهلاً بها بالعذاب بنحو السيف أو المعنى ما من
قرية من قرى الكفار إلا وتخرب إما بالاستئصال بالكافة أو تعذب بعذاب شديد دون ذلك كقتل
كبرائهم وتسلط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال واخذ الجزية وبغنون العقوبات الآخروية
(كان ذلك) أى الإهلاك والتعذيب (في الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطوراً) أى مكتوباً بوقد
بين فيه أسباب ذلك ووقته وروى عن بعضهم أن خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وعن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً بالمدينة (وما من عناء أن ترسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون) أى ما من عناء من إرسال المعجزات التي طلبتها قرش من أحياء الموتى وطلب الصفة فذهبوا
وإزالة الجبال عن مكة لم يرعوا مكانها إلا تكذيب الأولين بالمعجزات حين جاءتهم باقتراحهم فيستحقوا
عذاب الاستئصال أى لو أظهر الله تلك المعجزات المقترحة لقرش ثم لم يؤمنوا بها صاروا مستحقين
لعذاب الاستئصال لكن إزالته على هذه الأمة غير جائز لأن الله تعالى علم أن فيهم من سـ يؤمن أو يؤمن
أولادهم فلهذه المصلحة ما أجابهم الله تعالى إلى مطلوبهم (وآتيناهم) باقتراحهم (الناقصة مبصرة)
بكسر الصاد أى مبينة لنبوة صالح (فظلموا بها) أى ظلموا أنفسهم بتكذيبهم بها وأقبلوا أنفسهم
للهلاك بعقرها (وما ترسل بالآيات) المقترحة (الاتخوفاً) من نزول العذاب المستأصل على
المقترحين فإن لم يخافوا ذلك نزل أو ما ترسل بغير مقترحة كالنبيات وآيات القرآن الاتخوفاً بعذاب
الآخرة فإن أمر المكذبين بما مؤخر إلى يوم القيامة (واذ قلنا لك إن ربك لأحاط بالناس) أى إذا ذكر
يا أشرف الخلق اذ بشرناك بأن الله يغلب أهل مكة ويقهرهم ويظهر دولته عليهم وهذه بشارة بوقعة بدر
وعبر الله بالمضى لأن كل ما أخبر الله بوقوعه فهو واجب الوقوع فكان كالواقع (وما جعلنا الرزق بالتي
أريناك) ليلة المعراج وهي ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم على اليقظة بعيني رأسه من عجائب الأرض
والسماء (الا فتنة للناس) أى الامتحان لاهل مكة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة

الاصرا منهم من كذبه ومنهم من كفر بعد اسلامه ومنهم من نافق ومنهم من توقف في حاله ومنهم من تردد في قلبه ومنهم من صدق كلامه صلى الله عليه وسلم وازداد المخلصون ايمانا (والشجرة الملعونة) أى المذمومة (في القرآن) وهى الرقوم أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس حيث قالوا ان محمدا يزعم ان نار جهنم تحرق الخجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر فكيف تنبت في النار شجرة رطبة وهى تحرق الشجر فينسبوا لله الهز عن خلق شجرة في النار فافلين عن قدرته تعالى على كل شئ فان النعمة تبلى الجمر والحديد المحبى بالنار ولا يحرقها وان السهندى وهى دويبة في بلاد الترك يتخذ من وبره منسدا بل فاذا اتسخت طرحت في النار فيذهب ويحترق ويبقى هى سالمة لا تعمل فيها النار (وتخوفهم) بشجرة الرقوم وبعذاب الدنيا والآخرة (فما يريدهم) ذلك التخويف (الا طغيانا كبيرا) أى الاعتماد على المعصية متجاوزا عن الحد فلوانا أرسلنا نبيا اقرحوه من الآيات لازدادوا اعتمادا على العناد فاهلكوا بعذاب الاستتصال كعادتهم قبلهم وقد حكمنا بئنا خير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى (واذ قلنا لللائكة) الذين كانوا في الارض (امسجدوا لآدم) بوضع الجبهة عليه اما هو المسجود له أو هو قبله للمسجود والمسجود له والله تعالى (فمسجدوا لآدم) وكان داخل تحت الامر بالسجود لانه مندرج تحت زمرتهم (قال) عندما وبخه الله تعالى (أأأمجد لمن خلقت طينا) أى من طين (قال) أى ابليس بعد الاستنظار (أرأيتك هذا الذى كرمت على) أى أخبرني عن هذا الذى فضلته على بأمرك بي بالسجود له لم فضلته على وانما خير منه من حيث أنا مخلوق من العنصر العالى (لئن أخرت) حيا (الى يوم القيامة لاحتمل ذريته) أى لاستأصلهم بالاغواء أو لا قودتهم الى المعاصى كما تفاد الدابة بجبلها (الاقليلا) لأقدر ان أقاوم شدة كيمتهم ثم قرأ ابن كثير أخرت بانبائهم المتكلم في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسائي بالحدف وقرأناه وأبوهم وبانبائهم في الوصل دون الوقف (قال) تعالى له (اذهب) أى امض لسائل الذى اخترته واعلم (فمن تبعك منهم) أى ذرية آدم في دينك (فان جهنم جزاؤكم) أى جزاؤكم ومن تبعك (جزاؤهم فورا) أى مكافأكم كل معصية توجد يحصل لابليس مثل زر ذلك العامل لانه هو الاصل فيها فلذلك يخاطب بالوعيد (واستغفر) أى استغفر (من استظعت منهم) استرلته (بصوتك) أى بدعائك الى معصية الله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى واجمع عليهم وهو باجنوده الركب والمشاة فروى أبو الفصحى عن ابن عباس انه قال كل راكب أو ماشى في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده وقرأ حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم وقرأ غيره بالضم أو بالسكون (وشاركهم في الاموال) أى في كل تصرف فبيع فيها (والاولاد) أى في الافعال القبيحة والحرق الذميمة والاديان الزائفة والاسماء المنكرة (وعدهم) أى بالاماني الباطلة (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أى ما يعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور وهذه الجملة اعتراض واقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان (ان عبدى) المخلصين (ابليس لك عليهم سلطان) أى غلبة وقدرته على اغوائهم (وكفى بربك وكيل) أى حفيظا فان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة فان الله ارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان (ربكم الذى يرسلكم الغلث في البحر) أى الذى يسوق لافعكم السفن على وجه البحر (لتبتغوا من فضله) أى رزقه تعالى بالتجارة وغيرها (انه كان بكم رحيم) حيث سهل عليكم ما يعسر من اسباب ما تحتاجون اليه (واذا مسكم الضر) أى خوف الفرق (في البحر ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطركم ما كنتم

تعبدون من دون الله (الآيات) تعالى فتسألون من الله تعالى النجاة لأنكم تعلمون أنه لا ينجيكم سواه
(فلما نجاكم) من الغرق وأخرجكم من البحر (إلى البر أعرضتم) عن الشكر والتوحيد ودور جفتم
إلى الأشرار (وكل الإنسان كفورا) أي منكر النعم الله (أفأمنتم أن يخسف بكم) أي ألمجوتكم من هول
البحر فأمنتم أن تغور البر بكم (جانب البر) أي أنتم فيه ونصيركم تحت الثرى كما خسف بقلون
(أو يرسل عليكم) من فوقكم (حاصبا) أي ويحارمي حجارة كما أرسل على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم
وكيلا) أي حافظا يحفظكم من ذلك (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (نار أخرى) بأسباب
تجسكم إلى أن تركبوه وإن كرهتم (فيرسل عليكم قاصفا) أي كاسرا (من الريح فيغرقكم) بعد كسر
فلككم في البحر (عما كفرتم) أي بسبب أشراركم وكفرانكم لنعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به
تبيعا) أي نارا يطالبنا بها فعلنابكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهذه الخمسة أن تخسف أو ترسل أن
تعيدكم فترسل فتغرقكم فنون العظمة على سبيل الالتفات والمباقون بيا الغيبة (واقعدكم من بني آدم)
بالصورة والقامة المعتدة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات والعلوم والنطق
وتناول الطعام باليد وغير ذلك (وحملناهم في البر) على الدواب وغيرها (والبحر) على السفن
(ورزقناهم من الطيبات) أي من أنواع المستلذات الحيوانية كاللحم والأسماك واللبن والنباتية كالثمار
والحبوب (وقضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) أي فضلناهم على غير الملائكة تفضيلا عظيما
بالعقل والقوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح حقق عليهم أن يشكروا هذه
النعم ويسمعوا أقوالهم في تخصيص النعمة بالحقة (يوم ندعو كل أناس بأسمائهم) أي بمن
اقتدوا به روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينادي يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة
عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمائهم ثم ينادي يا أتباع
فرعون يا أتباع غرود يا أتباع غود وقال الضحاك وابن زيد أي بكنائهم الذي أنزل عليهم فينادي في
القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل وقال البيهقي وأبو العالية والحسن أي بكتابات
أعمالهم كأن يقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشريعة يا أصحابهم فيقال يا حنفي يا شافعي
يا معتزلي يا قدرى ونحو ذلك وقرئ يدهي كل أناس على البناء للمفعول (فن أرقى كتابه بيمينه) وهم أولوا
البصائر في الدنيا (فأولئك يقرؤون كتابهم) الذي أعطوه تبجحا بما سطر فيه من الحسنات (ولا
ينظرون) أي لا ينة صون من أجور أعمالهم المكتوبة في كتبهم (فتيلا) أي قدر فتييل وهو القشرة
التي في شق النواة (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) أي من كان في الدنيا أعمى مما يرى
من قدرة الله في خلق السموات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب وعن الشكر عن النعم
المذكورة في الآيات المتقدمة فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ويستولى الخوف والدهشة على
قلبه فينقل لسانه عن قراءة كتابه (وأضل سبيلا) من الأعمى لتعطل الآلات بالكلية (وإن كادوا
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) أي إن الشيطان فادوا أن يزولك عن حكم القرآن (لنتفري علينا
غيره) أي لتكذب علينا غير الذي أوحينا إليك (وإذا لا تخذلك خيلا) أي لو اتبعنا أهواءهم
لكنفت ولبناهم ونخرجت من ولايتي قال ابن عباس في رواية عطاء قدم وقد تعيف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسأله شططا وقالوا متعبنا باللات سنة ورحم وادينا كما حرم مكة شجرها وطيرها وحشها
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولم يجيبهم فكرر وأذلك الاتماس وقالوا انما نحب أن نعرف العرب

فضلنا عليهم فان كرهت ماتة قول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ودخلهم الطمع فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما قد كرهه فأقول الله تعالى هذه الآية (ولولا أن
ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا) أي لولا تثبيتنا إياك على الحق بعصمتنا إياك لقاربت أن تميل
اليهم شيئا يسيرا فإيما طلبوك (إذا) لو قاربت الميل من قلبك (لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)
أي لصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة (ثم) إذا أذقناك العذاب
الضعف (لا تجدك علينا نصيرا) أي أحدا يخلصك من عذابنا (وان كأدوا اليك يستفزونك) أي
ليس تتركونك (من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) أي وإذا لو أخرجوك لا
يأبثون بعد آخر أجل الأزمانا قليلا حتى نخلصكهم قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قريته منهم فقلوا يا أبا القاسم ان الانبياء اغابوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت إلى الشام آمنا بك وأتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج
إلا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
المدينة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحربه على دخول الناس في دين
الله ففزلت هذه الآية ففرجهم ثم قتل منهم بني قريظة وأجلى بني النضير بعد زمن قليل وعلى هذا الآية
مدنية والمراد بالارض أرض المدينة وهذا قول الكلبي وقال قتادة ومجاهد هم المشركون ان يخرجوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه فأهلك كوايبر بعد
هجرة صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الآية مكية والمراد بالارض أرض مكة وهذا اختيار الزجاج وقرأ نافع
وابن كثير وأبو عمرو وشعبة خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباء قون خلافة تكسر الخاء وفتح اللام مع
المد (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي سننا سنته فيمن قد أرسلنا قبلك أي ان عادة الله - يهلك
كل قوم آخر جوانبهم من بينهم (ولا تجدنا نحن وبنا) أي تغييرا أي أن ما أحرى الله تعالى به العادة
لا يقدر أحد ان يبدل تلك العادة (أقم الصلاة لدنوك الشمس) أي لاجل زوال الشمس عن كبد السماء
إلى غسق الليل) أي إلى اجتماع ظلمة الليل وهو وقت صلاة العشاء والمعنى أقم الصلاة من زوال
الشمس إلى ظلمة الليل بأن تديم كل صلاة في وقتها فدخل في هذا الظهر والعصر والمغرب (وقرآن
الفجر) أي أقم صلاة الفجر (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تحضره الملائكة الكاتبون والحفظة فانهم
يتعاقبون على ابن آدم في صلاة الصبح وصلاة العصر وتشهدوا هذا القدر من تبدل الظلمة بالضياء وتبدل
النوم بالانتباه فتشهد العقول بأنه لا يقدر على تغليب كرامة هذا العالم إلا الخالق المدبر بالحكمة البالغة
وتشهد الجماعة الكثيرة (ومن الليل فتعجبه) أي وقم بعض الليل فترك النوم في ذلك الوقت للصلاة
وقيل المعنى تعجبه بالقرآن بعض الليل أي صل في ذلك بالقرآن (نافلة لك) أي زيادة لك في كثرة الثواب
وارتفاع الدرجات المختصة بك فان كل طاعة يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة لا يكون
تأثيرها في كفاية الذنوب البتة لان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل يكون تأثيرها في زيادة
الدرجات وكثرة الثواب فلهذا هي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا يحتاجون إلى الكفارة فلهذا
الطاعات لهم لتكفير الذنوب فلهذا السبب قال تعالى نافلة لك أي ان الطاعات هذه زائدة في حقك لا في
غيرك كما نقل عن مجاهد والسدي ومن قال ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا

معنى نافذة تلك ان صلاة الليل فريضة عليل زائدة على الصلوات الخمس خاصة بلك دون أمك (عسى أن
يغسل ربك مقام محمودا) أى ان يقيم لك ربك مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وروى أبو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لامتى (وقل رب
أدخلني مدخل صدق) أى فى المدينة (وأخرجني مخرج صدق) أى من مكة اليها وذلك حين أمر
النبي بالهجرة كما قاله ابن عباس والحسن أرا المعنى وأخرجني من المدينة الى مكة فالبا عليها ففتحها وقيل
الاكل مما سبق أن يقال رب أدخلني فى الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والاخلاص وحضور قلبي
بذكرك ومع القيام بلوازم شكرك والاكل من ذلك أن يقال رب أدخلني فى القيام بهما أدا شريعتك
وأخرجني بعد الفراغ منها خراجا لا يبقى على منها بعبادة والاعلى مما سبق أن يقال رب أدخلني فى بحار دلائل
توحيدك وتزكيتك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل فى آثار حدوث
المحدثات الى الاستغراق فى معرفة الفرد المنزه عن التغيرات وقيل المعنى رب أدخلني القبر ادخلا مرضيا
وأخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالمكرامة (وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى
اجعل لى فى هذا البلد من لدنك قوة ظاهرة فى تثبيت دينك واظهار شرعك وأجعل لى من عندك حجة بينة
تصرف بها على جميع من يخالفنى (وقل جاء الحق) أى ظهر الاسلام (وزهدى الباطل) أى هلك
الشرك ونسويالات الشيطان (ان الباطل) أى أى باطل كان (كان) بجملته (زهوقا) زائلا
على أمر ع الوجوه (ونزل من القرآن ما هو شفاه) من جميع الامراض الظاهرة والباطنة (ورحمة
للمؤمنين) لان القرآن يعلم كيفية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التى يصل بها الانسان الى
قرب رب العالمين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أى لا يزيد القرآن المشركين الا هلاكا كما كتب كذبهم
(واذا أنعمنا على الانسان) بأن وصل الى مطلوبه (أعرض) أى اغتر وصار غافلا عن طاعة الله
(ونأى بجانبه) أى تباعد من أهل الحق ولم يقتد بهم تعظما لنفسه كديدن المستكبرين (واذا مسه
الشر) أى أصابه بلاء (كان يؤسا) أى قنوطا من رحمة الله حزينا ولم يتفرغ لذكر الله تعالى (قل
كل) أى كل أحد (يعمل) عمله (على شاكلته) أى طريقته التى توافق حاله فى الهدى والضلالة
فان كانت نفسه ظاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وان كانت نفسه خبيثة صدرت عنه أفعال رديئة (فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أصوب طريقة (ويسألونك عن الروح) الذى هو سبب حياة البدن بنفذه
فيه (قل الروح من أمر ربي) أى من فعل ربي أو من علم ربي فإنه مما أختص الله تعالى بعلمه روى ان
اليهود قالوا اقريش سلوا محمدا عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها جميعا
أوسكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين صلى الله عليه وسلم لهم القصتين
وأبهم شأن الروح وهو مبهم فى التوراة (وما أوتيت من العلم الا قليلا) فان عقول الخلق عاجزة عن معرفة
حقيقة الروح وقال بعضهم جاء فى الخبر فى بعض الروايات ان الله تعالى خلق ثلاثا ثم استن أنف
عالم ولكنه جعلها محصورة فى عالمين وهما الخلق والامر كما قال تعالى أله الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين فعبر عن عالم الدنيا وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق والملمس
بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة العقل والقلب والسر والروح والخي
بالامر فعالم الامر هو الاوليات التى خلقها الله تعالى للبقاء ببعض الامر التكويني من غير تحصيل من
أصل وهى الروح والعقل والقلم والروح والعرش والكرسى والجنة والنار وهى عالم الامر أمر الله

أوجده بلا واسطة شيء بل بأمر كن من لا شيء ولما كان أمره تعالى قديما فما يكون بالامر القديم
كان باقيا وان كان حادثا دعى عالم الخلق خلقا لانه تعالى أوجده بوسائط شيء مخلوق خلقه الفناء فعنى
الروح من أمر ربى انه من عالم الامر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء اه فلا يمكن تعريف الروح بعبادته
ولا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي ولذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم
الا قليلا أى وما أعطيتم من العلم فيما عند الله الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس (ولئن شئنا
لنذهب بالذي أوحينا اليك) من القرآن أى القرآن علمه العلم به عن القلوب وعن المصاحف (ثم لا تجد لك
به) أى القرآن (علما أو كيلا) أى من تتوكل عليه فى استرداد شيء منه محفوظا مسطورا (الارحة
من ربك) أى لكن أبقيناها الى قرب قيام الساعة رحمة من ربك فعند ذلك يرفع من الصدور والمصاحف
(ان فضله كان عليك كبيرا) بابقاء العلم والقرآن علمه ويجعلك سيد ولد آدم وخاتم النبيين واعطاء ذلك
المقام المحمود (قل) لمن يزعمون أن القرآن من كلام البشر (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أى لئن اتفق الانس والجن والملائكة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى
البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يقدرون على آتيان مثله وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر فى
كونه من عند الله تعالى منهما الامن غيرهما الا لان غيرهما قادر على المعارضة (ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً) أى معينا بضم أقوى ما فيه الى أقوى ما فى صاحبه (واقد صرفنا) أى كردنا بوجوه مختلفة
توجب زيادة بيان (للناس) أى لاهل مكة (فى هذا القرآن) المنعوت بالنعوت الغاضلة (من كل
مثل) أى من كل معنى يذيع يشبه المثل فى الغرابة ليمتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أى فلم يرض
أكثر اهل مكة (الا كفورا) أى بخود الحق (وقالوا) عند ظهور عجزمهم بالقرآن وغيره من
المهزات الباهرة (ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض) أى أرض مكة (ينبوا) أى عينا لا ينضب
ماؤها (أو تكون لك) وحدك (جنة) أى بستان تسر أشجاره ما تحتها من العرصة (من نخيل وعنب)
أى وأشجار عنب وعبر بالثمرة لان الانفعال بغيرها من الكرم قليل (فتجبر) أى أنت (الانهار
خلالها) أى وسطها (تفجيرا) والمراد اجراء الانهار فى وسط البستان عند سقيها أو ادامة اجرائها
وتفجير الاولى تكون بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم عند حاصم وحزق والكسافى وبضم التاء وفتح الفاء
وكسر الجيم المشددة عند الباقيين ولم تختلف السبعة فى تفجير الثانية انها مشددة (أو تسقط السماء كما
زعمت) بمولك ان نساخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفان السماء (عائنا كسفان) أى قطعنا
بالعذاب (أو أتأتى بالله والملائكة قبيلا) أى مقابلين ومميين لنا (أو يكون لك بيت من زخرف) أى
ذهب وفضة كامل الحسن (أو ترقى فى السماء) أى تصعد اليها (ولن نؤمن لرقبك) أى لصعودك
الى السماء أصلا (حتى تنزل علينا كتابا) من الله (تقرؤه) فيه أنك رسول الله الينا أى لما ظهر لهم كون
القرآن مهجرا القسوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المهزات كما حكى عن ابن عباس أن
رؤسها أهل مكة أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فأزاهم فقالوا يا محمد ان
أرض مكة ضيقة فسير جبالها لنتفع فيها وبجرائها فيها عيوننا نزرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتجبر الانهار خلالها فتجبر افعال لا أقدر عليه ففعل أو يكون لك بيت من
زخرف فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه ففعل له أمانته طبع أن تأتى قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع
قالوا فإذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن

أمية المخزومي وهو ابن هاتكة عمته صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بك أبدا حتى تشد سلسما إلى السماء فتصعد فيه ونحن ننظر إليك فأتى بتسعة منسورة معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أنؤمن بك أم لا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله خزينفا أنزل الله تعالى هذه الآية (قل) وقرأ ابن كثر - مروان عامر قال بصيغة الماضي (سبحان ربّي) أي أنزله عن أن يكون له اتیان وذهاب وأتعب من اقتراحاتهم (هل كنت إلا بشر رسولاً) أي مأمورا من قبل ربّي بتبليغ الرسالة كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما ينظرونه الله عليهم من الآيات (وما منع الناس) أي أهل مكة (أن يؤمنوا) بنبوئك (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن (الأن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الينا أي وما منع الناس من الايمان وقت سجي الوحي الاعتقادهم أن الله تعالى لو أرسل رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة وأنكارهم أن يكون من جنس البشر (قل) لهم من جهتنا جوابا لقولهم (لو كان في الأرض ملائكة يشنون) عليها (مطمئنين) أي قارين فيها من غير أن يعرجوا في السماء (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي لو كان أهل الأرض ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر لفتحهم من الاجتماع وأنفهم منه لما أنتم لهم في الجنس (قل) لهم (كفى بالله) وحده (شهيدا بيني وبينكم) باني رسولكم اليكم (انه كان بعداده خبير بصيرا) أي محيطا بياطين وأحوالهم وظواهرها أي فانكم انما أنكرتم هذا المحض الحسد والاستنكاف من الانقياد للحق (ومن يهد الله فهو المهتد) يحذف الياء من الرسم هنا في الكهف وأما في النطق فقرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلوا وحذفها وقفا وحذفها الباقيون في الحاليين (ومن يضل فان تجد لهم أولياء) أي أنصارا (من دونه) تعالى يهدونهم إلى طريق الحق أي فمن سبق لهم حكم الله بالإيمان وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالاضلال استحال أن ينقلبوا عن ذلك الضلال وإن وجد من يصرفهم عنه (ونحضرهم يوم القيامة على وجوههم) فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يحشهم على وجوههم (عجيا) لا يصرون ما يسر أعينهم (وبك) لا ينطقون ما يقبل منهم (وصحا) لا يسمعون ما يلزم سامعهم (ما وأهم جهنم كفا حيث) أي يمكن لها بعد كل جلودهم ولحومهم بأن لم يبق فيهم ما يتعلق به النار (زدناهم سعيرا) أي توقد أباعادة الجلود واللحوم وأعمل ذلك عقوبة لهم على إنكارهم الاعادة بعد الغناء بتكرير هامة بعد أخرى لبروها عيانا حيث لم يعلموا برهانا (ذلك) العذاب (جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) الدالة على صحة الألادة دلالة واضحة (وقالوا) منكرين لقد درنا (أنذا كنا عظاما ورقانا) أي ترابا ريمما (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أي بعنا جديدا (أولم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يصبروا بعبود قلوبهم (أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق) أي يعيد بالاحياء (منهم) وجعل لهم أجلا لا ريب فيه أي وقنام معلوما عند الله لاشك فيه عند المؤمنين وهو يوم القيامة (فأبى الظالمون) أي لم يقبل الشركون بعد هذه الدلائل الظاهرة (الأكفورا) أي جهودا للأجل (قل لو أنتم علمون خزائن رحمة ربّي) أي خزائن رزقه التي أفادها على كافة الموجودات (إذا لامسكم) ماملتكم (خشية الانفاق) أي مخافة الفقر فلا فائدة في اسعافكم بذلك المطلوب الذي التمسوه (وكان الإنسان قتورا) أي بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واضحات الدلالة على نبوته وهي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع

والدم والطوفان والسفون ونقص الثمرات (فالسؤال بني اسرائيل) أي فاسأل يا أشرف الرسل بني اسرائيل الذين كانوا في زمانك عن موسى فيما جرى بينه وبين فرعون وقومه ليظهر صدق ما ذكرته عند المشركين فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد وهذه الجملة اعتراضية بين العامل والمعمول (اذ جاءهم) أي حين جاء موسى بني اسرائيل الذين كانوا في زمانه عليه السلام وهذا الظرف متعلق بما تنافأ ظهر ما تنافأ من الآيات عند فرعون وبلغه ما أرسل به (فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا) أي مغلوب العقل (قال) لفرعون (لقد علمت) قرأ الكسافي بضم التاء والماقون بفكها فالضم قراءة على والقح قراءة ابن عباس (ما أنزل هؤلاء) الآيات على (الارب السموات والارض بصائر) أي أدلة ظاهرة يستدل بها على صدق وانكشاف نكورها للحد وحب الدنيا (واني لاظنك) أي لا علمك (يا فرعون مشبورا) أي ملعونا ملعونا من الخير (فأراد أن يستغفرهم) أي أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه (من الارض) بالقتل (فاغرقناه ومن معه جميعا) في البحر (وقلنا من بعده) أي من بعد اغراقهم (لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) أي أرض الشام ومصر (فاذا جاء وعد الآخرة) أي البعث بعد الموت (جئنا بكم) من قبوركم الى المحشر (لفيفا) أي مختلطين أنتم وهم فيختلط جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر ثم تحسبكم بينهم وغير سعداءكم من أشقيائكم (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أي ما أردنا بانزال القرآن الاثبات الحق وكما أردنا هذا المعنى فكذلك حصل هذا المعنى ووصل اليهم بعد انزاله عليهم ليس فيه تبديل أو يقال وما أنزلنا القرآن الا ملتبسا بالحكمة المقضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بما اشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما أرسلناك) يا أفضل الخلق (الا مبشرا) للطبيع بالشواب (ونذيرا) للعاصي بالعقاب فهو لا الجاهل الذين اقترحوا على تلك المجهزات وتعدوا عن قبول دينك لأنهم على من كفرهم (وقرأنا فرقناه) وقرأ العامة بتخفيف الراء أي بينا حاله وحرامه وفرقنا فيه بين الحق والباطل وقرأ على وجماعة من الصحابة وغيرهم بالتشديد أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبله أنزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف في تقارن النبوة والرسالة وتعاقبهما (لنتقرأ على الناس على مكث) بضم الميم وفكها أي على ثبات تكون الا حاطة على دقائقه وحقائقه أسهل (وزلنا) من عندنا (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وثلاثا وهكذا بحسب ما تقتضيه الحكمة وما يحصل من الوقعات (قل) للذين اقترحوا تلك المجهزات (آمنوا به) أي القرآن (أولا تؤمنوا) فإن إيمانكم به لا يزيدكم كمالا وإيمانكم عن الإيمان به لا يورثه نقصا (ان الذين أتوا العلم من قبله) أي من قبل نزول القرآن منهم يزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي (اذا يتلى) أي القرآن (عليهم يخرجون للاذقان) أي يسقطون على وجوههم بغاية الخوف (مجدا) لله شكر اعلی انجاز وعده في تلك الكتب من بعثتك ونزول القرآن (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) أي تنزيها له عن خلف وعده (ان) أي ان الشان (كان وعد ربنا) بانزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم (لفعلوا) أي منجزا (ويخرجون للاذقان) للسجود لما أثر فيه من موانع القرآن (يبكون) من خشية الله (ويزيدهم) أي القرآن أو البكاء أو السجود أو التلوي (خشوعا) أي تواضعا لله كما يزيدهم يقينا بالله تعالى (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن) أي معبودا بحق بهذا الاسم قال ابن عباس معبود رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات لیسلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن

ألهتنا وهو يدعوهم إلى أنزل الله هذه الآية أي أن شئتم قولوا يا الله وإن شئتم قولوا يا رحمن (أي أيا ما تدعوا
 فله الأسماء الحسنى) أي أي هذين الأسمين مهميتهم فهو حسن لأن للمسمى بذلك الأسماء الحسنى
 ومعنى حسن أسمماء الله كونها مفيدة لمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم وعلى صفات الجلال
 والكمال (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءة صلاتك (ولا تخافت بها) أي بقراءة تنها روى سعيد بن جبير
 عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فإذا هم المشركون سبوه
 وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى إليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا
 تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك) أي اطلب بين الجهر والخفاقة (سبيلا) أي أمرا
 وسطا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الأهباب وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة
 في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ي
 بكر لم يخفي صوتك فقال أنا خير ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان وأوقظ
 الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا (وقل
 الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كمن زعم اليهود والنصارى وينو لم ينج حيث قالوا عزير بن الله والمسيح ابن الله
 والملائكة بنات الله فكل من له ولد هو محدث محتاج فلا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وكل
 من له ولد يفسد جميع النعم لولده فإذا لم يكن له ولد أفاض تلك النعم على عبيده فلو كان له تعالى ولد لكان
 منقضا فلا يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فلا يستحق الحمد على الإطلاق (ولم يكن له شريك في
 الملك) أي في الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة لأنه لو كان معه اله آخر لم تصرف في
 الموجودات فلا يعرف حينئذ ان هذه النعم حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر
 (ولم يكن له ولي من الدال) أي ناصر منه لأنه لو جازعاه ناصر من أجل المذلة لم يجب شكره لجواز أن يكون
 غيره تعالى محله على الانعام أو منعه منه (وكبره تكبيرا) فالتحميد يجب أن يكون مقرونا بالتكبير
 والتكبير يكون في ذاته تعالى بأن يعتقده أنه واجب الوجود لذاته وأنه غني عن كل ما سواه وفي صفاته بأن
 يقتعدان كل صفة له فهو من صفات الجلال والكمال والعز والعظمة وكل واحد من تلك الصفات لانها يه
 وان كل صفة له قديمة سرمدية منزوعة عن التغير وفي أفعاله كأن يقول أنا نعم الله وتكبره عن أن يجري في
 سلطانه شيء لا على وفق حكمه وإرادته فالحكم واقع بقضاء الله وقدرته وإرادته وفي أحكامه بأن يعتقده أنه
 ملك مطاع فلا اعتراض لاحد عليه في شيء من أحكامه يعز من يشاء ويذل من يشاء وفي أمهاته بأن لا يدكر
 الاباء عاتيه الحسنى ولا يصف الابصافاته المترهة ثم ينبغي للعبد بعد أن يبلغ في التكبير والتعظيم والتحميد
 والطاعة مقدار عقله وفهمه أن يعترف أر عقله وفهمه لا يفي بعظمة جلال الله ولسانه لا يفي بشكره
 وأعضائه لا تفي بخدمة فكبر الله عن أن يكون تكبيره واقفا بكنه مجده وعزته وروى أن قول العبد الله
 أكبر خير من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقصع الغلام من
 بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية واسأل الله الرحمة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت أنه تعالى ناشر
 العظام بعد الموت وسمع الصوت حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آمين

سورة الكهف مكية غير آيتين ذكر فيها ما عينية بن حصن القراري وهي مائة واحدة

عشرة آية وكلما ألف وخمسة مائة وسبع وسبعون

وحرر فها ستة آلاف وأربعمائة وستون

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) وهو الاعلام بثبوت الحمد لله وانشاء الشناه بذلك (الذي أنزل على عبده)
محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) أي القرآن (ولم يجعل له عوجا) أي اختلا لا في النظم وتناسيا
في المعنى وهو كامل في ذاته وهذه الجملة معطوفة على أنزل (قيما) أي وجعله قائما بمصالح العباد
وأحكام الدين وقيل هاتان الجملةتان حالان من الكتاب متواليان أي غير مجعول له عوجا قيما لينذر
تعالى بالكتاب الكافرين (بأس شديد من لدنه) أي عذابا شديدا نازلا من عنده تعالى (ويشير
المازنيين) أي المصدقين به وقرأ حزة والسكاسق بفتح الياء وسكون الموحدة وضم الشين (الذين يعملون
النصائح أن لهم أجرا حسنا) في الجنة (ما كتبت فيه أبدا) أي خالدين في الاجر من غير انتهاء (وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله واليهود القائلون عزيز بن
الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله (ما لهم به من علم ولا لاياتهم) أي ليس لهم ولا احد من أسلافهم الذين
قلدوه علم هذا القول أهو صواب أو خطأ بل إنما قالوه رميا عن جهالة من غير فكر (كبرت كلمة تخرج
من أفواههم) فكلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية فعلى النصب يكون فاعل كبرت مضمر
مفسر بما بعده وهو قادم والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت الكلمة كلمة خارجة من أفواههم تلك
المقالة الشنعاء والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب أي ما أكبرها كلمة (ان يقولون الا كذبا) أي
ما يقولون في ذلك الشأن الامقولا كذبا (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) والمراد بالتربى النهى عن
التم أي لا تم لك نفسك بالغم من بعد اعراضهم عن الايمان بك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي بهذا
القرآن (أسفا) أي لفرط الحزن (انا جعلنا ما على الارض) حيوانا كان أو نباتا أو معدنا (زينة
لها) أي الارض ليستمتع بها الناظرون من المكافين ويتفغوا بها نظرا واستدلالا فان العقارب والحيات
من حيث تذكيرها للعذاب الآخرة من نوع المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالة على
وجود الصانع ووحدته (انبلوهم) أي لنعامهم معاملة من يحتبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أيهم
أطوع لله وأشد استمرارا على خدمته (وانا لجاعلون ما عليها) أي الارض من المخلوقات قاطبة عند
تناهى عمر الدنيا (صعيد جزا) أي ترابا لا نبات فيه (أم حسبك) أي أظننت (أن أصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا) أي من بين آياتنا (عجبا) أي آية ذات عجب وفي الآيات أي آثار قدرة الله
تعالى ما هو أعجب من ذلك وهي السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار وعجبا خبر
كان ومن آياتنا حال منه والكهف هو الغار الواسع في الجبل والرقيم كلب أصحاب الكهف وقيل هو لوح
رصاصي أو حجري كتبت فيه أسماءهم وقصتهم وجعل على باب الكهف وهم كانوا قتيمة من أشرف
الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدتهم (إذا رأى القتيمة إلى الكهف) ظرف لعجبا أي
حين التجأ الشبان إلى الكهف (فقالوا) عقب استقرارهم فيه (ربنا آتئنا من لدنك رحمة) خاصة
تستوجب المغفرة والرزق والامن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا رشدا) أي يصر لنا من أمرنا الذي
نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابة على طاعتك أصابة للطريق الموصل إلى المطالب (فصر ربنا على
آذانهم) أي فعمى هذا القول ألقينا على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الاصوات
الموقظة من نومهم (في الكهف سنين عددا) أي مدة طويلة في الكهف حال من المضاف إليه (ثم
بعثناهم) أي أيقظناهم من نومهم الثقيل (لنعلم) أي لنعامهم معاملة من يحتبرهم (أي الخزيين)
أي المختلفين في مدة لبثهم (أحصى لالبشوا أمدا) أي ضبط غاية لبثهم فيظهر لهم عجزهم ويفوضون

ذلك الى العلم الخبير ويتعرفون ما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبادانهم فيردادون يقيناً بكل قدرته تعالى وعلمه ويستبصرون به أمر البعث ويكون ذلك اظفاً للمؤمنين زمانهم وآية بينة لكفارهم فالمراد بالخزيين نفس أصحاب الكهف وأحصى فعل ماض وأمدامفعول به وقرئ اليه علم بالياء مبنيًا للفعل ومبنيًا للفاعل من الاعلام أي ليعلم الله الناس أي الخزيين أحصى الخ (نحن نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم بالحق) أي على وجه الصدق (أنهم فتية) أي جماعة من الشبان (آمنوا ربهم) بالتحقيق لا بالتقليد (وزدناهم هدى) أي بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين (وربطنا على قلوبهم) أي قلوبناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الأهل والأخوان واجترأوا على الرد على دقيانوس الجبار (اذقوا) أي حين انتصبوا لاطهار شعار الدين أو وقت قاموا بين يدي الملك دقيانوس الكافر فإنه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشركاء (فقاووا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الهة) أي لن نعبد أباداً معبوداً آخر (لقد قلنا إذا شططا) أي والله اننا عبدنا غيره لقد قلنا حينئذ قولاً زوراً على الله قال أصحاب الكهف عند خروجهم من عند الملك دقيانوس الكافر (هؤلاء قومنا اتخذوا) أي عبدوا (من دونه آلهة) فقومنا عطف بيان لاسم الإشارة أو خبره وانخذروا حال منه (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة وهذا انكار وتجهيز وتبكيث لهم (فمن أظلم عن أفتى على الله كذباً) أي فليس أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك اليه تعالى فإن الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد قال بعض الفتية لبعض وقت اعترأ لهم (واذا اعترأ لقومهم وما يعبدون) أي وإذا أردتم اعترأ لهم واعترأ الشيء الذي تعبدونه (إلا الله فأووا الى الكهف) أي التجرأوا اليه وهذا جواب إذ (ينشر لكم ربكم من رحمته) أي ييسر طها عليكم في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أي ويسهل لكم من أمركم الذي أنتم عليه من الفرار بالدين ما تنتفعون به عند أقرأ نافع وابن عامر وطاهم في رواية مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والجهور بالعكس (وترى الشمس) خطاب لكل أحد بيان لحالهم بعد ما صاروا الى الكهف وهذا ليس اخباراً بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الاختيار بكون الكهف بحيث لو أبصرته تبصر الشمس (إذا طلعت تزاور) قرأ ابن عامر تزاور ساكنة الزاى مشدداً لرا ونافع وابن كثير وأبو عمرو تزاور بتشديد الزاى وبالالف وعاصم وحزمة والكناسي تزاور بالتخفيف والالف أي تميل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب الكهف الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاع الشمس (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تعدل عن سمت رؤسهم الى جهة الشمال الذي يلي المشرق فإن الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم وذلك خارق للعادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف (وهم في لجوة منه) أي والحال أنهم في فضاء متسع من الكهف معرض لاصابة الشمس (ذلك) أي المذكور من انامتهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم في ذلك الغار تلك المدة الطويلة (من آيات الله) الهيبة على كمال علمه وقدرته وعلى وحدته (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو المهتد) أي الذي أصاب الفلاح مثل أصحاب الكهف (ومن يضل الله) (فلن تجدنه) أبداً (وليس مرشداً) أي ناصرهم يهديه الى الفلاح كدقيانوس الكافر وأصحابه (وتحسبهم أيقاظاً) أي لو رأيتم أيها المخاطب لا تفتاح عيونهم على هيئة الناظر (وهم رقاد) أي نيام

(ونقلهم ذات اليمين وذات الشمال) لينال النسيم جميع أبدانهم ولئلا يتأثر ما إلى الأرض منها بطول المكث فأن الله قادر على حفظهم من غير تغليب ولكن جعل لكل شيء سبيبا في أغلب الأحوال (وكلهم بأسط ذراعين بالوصيد) أي بوضع الباب من الكهف وكان الكلب أغرا أو أصفرا أو أصهب أو أحرا أو أصفرا أو هه قطمير أو ريان أو تنوء أو قطمور أو فور أو حران وكان واحد منهم فلما خرجوا تبعهم فنعوه فأنطقه الله وتكلم وقال أنا أحب أحباب الله فمكتوب من الذهب معهم فلما ناموا نام كنوزهم ولما استيقظوا استيقظ معهم ولما اتوا مات معهم (لوا طلعت عليهم) أي لو شاهدتهم (لولايت منهم فرارا) أي لا دبرت عنهم هربا لما شاهدت منهم (ولمشت منهم رعبا) أي خوفاء إلا الصدر البسم الله تعالى من الهيبة فكل من رآهم فزع فزع فزع ما شديدا وقرأنا في ابن كثير لمشت بتشديد اللام وروى أيضا عن ابن كثير بالتخفيف كالجمه وروى في السومى بإبدال الهمزة وقفا ووصلا وحزما في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائي رعبا بضم العين في جميع القرآن والباقيون بالاسكان (وكذلك) أي كما أغناهم وحفظنا أجسادهم من البلى آية دالة على كمال قدرتنا (بعثناهم) أي أيقظناهم من النوم بعد مضي ثلاثمائة سنة وتسع سنين (ليتساءلوا بينهم) أي لينال بعضهم بعضا في مدة بقائهم (قال قائل منهم) هو رئيسهم وأمه مكسلينا (كم لبثتم) أي كم مقدار مكثكم في منامكم في هذا الغار (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوما) لأنهم دخلوا الكهف غدرة ثم ناموا واطلوع الشمس وكان انتباههم آخر النهار فلما خرجوا فنظروا إلى الشمس وقد بقي منه شيء قالوا (أو بعض يوم قالوا) أي بعض آخر منهم وهو مكسلينا (ربكم أعلم بما لبثتم) فأنتم لا تعلمون مدة لبثكم (فابعثوا أحدكم) هو علي بن أبي طالب (أن يحقق بورقكم هذه إلى المدينة) وهي منبج أو أقسوس بضم الهمزة هذا في الجاهلية وتسمى في الإسلام طرسوس بفتح الراء (فليظروا بها) أي أي أهلها (أزكى طعاما) أي أبعده عن كل حرام لأن ملكهم كان ظالما وجامعة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون إيمانهم (فليأتكم برزق) أي بطعام (منه) أي من ذلك الأزكى (وابتلف) أي وليرقق في الشراء كي لا يغيب وفي دخول المدينة لئلا يعرف (ولا يهزئ بكم أحدا) أي لا يخبر بمكانكم أحدا من أهل المدينة فإن ذلك يستلزم شيوع أخباركم (أنهم أن يظهروا عليكم) أي أن يطلعوا على أنفسكم أو على مكانكم (يرجواكم) أي أي يستلوككم بالرجم (أو يعمدوكم في ملتهم) أي يصبروكم إلى ملتهم كرها (ولن تغفوا) أي لن تسعدوا (إذا) أي أن دخلتم فيها ولو بالكره (أبدا) أي في الدنيا والآخرة (وكذلك) أي وكما أغناهم وبعثناهم (أعزنا عليهم) أي أطلعنا الناس المؤمنين والكافرين على أحوالهم وكان ملكهم يومئذ مسلما يسهى يستفاد وذلك أن دقيانوس مات رقبضت فرزن ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح واختلف أهل مملكته في الحشر وبعث الأجساد من القبور فوضعت في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا لما نحشر الأرواح دون الأجساد فإن الجسد تأكله الأرض وقال بعضهم تبع الأرواح والأجساد جميعا وكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمر البعث لهم حتى دخل بيته وأغلق بابيه ولبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع إلى الله تعالى في طلب حجة وبرهان فأعثر الله على أهل الكهف فأنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم رزق منها استكبروا وخصه واستكبروا ورفقه لانه ظهرت في بشرة وجهه آثار عجيبة تدل على أن مدته قد طالت ضولا خارجا عن العادة ولأن ورقه مكان على ضرب دقيانوس فأنهم سمعوا بأنه وجد كثر فذهبوا به إلى الملك وكان صالحا قد آمن هو ومن معه فلما نظر إليه قال

لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعوا الله أن يرزقهم وسأل الفتى
فأخبره بأنه ومن معه خرجوا فراراً من الملك دقيانوس فسر الملك بذلك وقال لقومه أعمل الله قديحت
لكم آية فلنسرى إلى الكهف معه فركبهم أهل المدينة إليهم فلما دنوا إلى الكهف قال تلاميذنا
أدخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم وأعلمهم بأن الأمة أمة مسلمة فخرجوا إلى الملك وعظموه
وعظمهم ثم رجعوا إلى كهفهم ورجع من شك في بعض الأجساد فهذا معنى أعترنا عليهم (ليعلموا) أي
الذين أعترناهم وهم الملك ورعيته على أحوالهم الهيبة (أن وعدنا الله) بالبعث للروح والجنة معا
(حق) أي صادق بطريق أن القادر على أنامتهم مدة طويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداة قادر على
أحياء الموتى قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت (وأن الساعة) أي
وقت بعث الخلق لائق جميعاً للحساب والجزاء (لأرب فيها) أي لأشك في قيامها (اذ يتنازعون بينهم
أمرهم) في صحة البعث وهذا طرف لقوله تعالى أعترنا لقوله ليعلموا أي أعترناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم أمرهم ليرفع الخلاف ويبين الحق (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أي لما أعترناهم عليهم فرأوا
ما رأوا فاعاد الفتية إلى كهفهم فأمانهم الله تعالى فقال بعضهم ابنوا على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق
إليهم الناس ضايقوهم (ربهم أعلم بهم) كان المتنازعين لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم
من حيث النسب والامم ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للامر إلى علام
الغيوب (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون وأولياء أصحاب الكهف وأروسان
البلد (لنتخذن عليهم مسجداً) نعبده فيه ونستبق آثارهم بسبب ذلك المسجد (سيقولون) أي
يقول بعض المتنازعين لك يا أثر في الخلق وهم اليهود أو السيد وأصحابه وهم اليعقوبية من نصارى
نجران هم (فلا تقر بهم كلهم ويقولون) أي النصارى أو العاقب وأصحابه وهم النسطورية منهم هم
(خمس سادسهم كلهم رجحاً بالغيب) أي ظناً بالغيب من غير دليل ولا برهان (ويقولون) أي المسلمون
أو المكنانية من النصارى هم (سبعة ثمانية كلهم قل) يا أثر في الخلق (ربي أعلم بعتهم ما يعلمهم
الأقليل) من الناس وكان على رضى الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماء هم تلاميذ كسليمية ثلثين
هؤلاء الثلاثة أصحاب عين الملك وكان عن يساره من نوح دبر نوح ساذنوش وكان الملك يشبهه هؤلاء
الستة في أمره والسابع الراعى الذى رافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كسطيطيوش
واسم كلبه قطير وقال ابن عباس هم سبعة كسليمية تلاميذ طونس نينونس ساربونس ذونونس
فليست طيونس وهو الراعى وعن ابن مسعود كانوا تسعة وأسماء هم ابن امحق تلاميذ كسليمية ثلثين
مرطونس كسطونس سورس بكر بوس بطسوس فالوس اه وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما خواص
أسماء أهل الكهف تنفع تسعة أشياء للطلب والهرب واطف الحريق تكذب على خرقه وترعى في وسط
النار تطفأ بأذن الله تعالى وليكاف الطفل والحنى الثلاثة وللصداع تشد على العضد الايمن والام الصبيان
والركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولتتمة العقل ونجاة الاثمين (فلا تعارفهم) أي فلا تجادل معهم
في عدد الفتية (الامراء ظاهراً) بأن لا تكذبهم في تعيين ذلك العدد بل تقول هذا التعيين لا دليل عليه
(ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أي لا تشاور إلى أحد من أهل الكنائس في شأن الفتية (ولا تقولن)
يا أكرم الرسل (لشيء) أي لاجل شيء تعزم عليه (إني فاعل ذلك) الشيء (غدداً) أي فيما
يستقبل من الزمان (الأن يشاء الله) أي الا قائلان شاء الله أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال الا

في حال تلبسك بالتعليق بالمسيئة بأن تقول ان شاء الله نزلت هذه الآية حين قالت اليهود لقرش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه صلى الله عليه وسلم فقال انشوني غدا أخبركم ولم يستثنى فابطأ عليه الوحى حتى شق عليه وكذبتة قرش (واذ كر ربك) بالتسبيح والاستغفار (اذ انسيت) كلمة الاستثناء وهذا ما بالغه في الحث على ذكر هذه الكلمة (وقل عسى أن يهدين ربى لا قرب من هذا رسدا) أى لعل ربى يؤتيني أعظم دلالة على صحة نبوتى من نباء أصحاب الكهف (وليشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا الخبر من الله عن مدة لبسهم رداعلى أهل الكتاب المحتلغين فيها فقال بعضهم ثلاثمائة وبعضهم ثلاثمائة وتسع والسنون عندهم خمسمائة فهذان القولان غير ما أخبر الله به من أن السنين ثلاثمائة وتسع قرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام واحد عشر وعشرين ساعة وخمس ساعة قرأ حزقيا والكسافى ثلاثمائة بغير تنوين فهو مضاف لسنين والباقيون بالتنوين فسنين عطف بيان (قل الله أعلم بما لبثوا) أى بالزمان الذى لبثوا فيه في نومهم قبل بعثهم أى الله أعلم بحقيقة ذلك وكيفيته فأرجعوا الى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب وهذا إشارة الى أن الاخبار من الله لا من عنده صلى الله عليه وسلم (له غيب السموات والارض) أى له تعالى علم ما خفى من أحوال أهلها مالا نه موجودهما ومديرهما (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع به بكل شئ وهذا التعجب يدل على ان شاء الله تعالى بما أبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجب شئ ولا يحول عنه حائل (مالهم) أى لاهل السموات والارض (من دونه) تعالى (من ولى) يتولى أمورهم ويقيم لهم تدبير أنفسهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه تعالى (ولا يشرك) تعالى (في حكمه أحدا) فلما حكم تعالى أن لبسهم هو هذا المقدار فليس لاحد أن يقول قولا بخلافه وقرأ ابن عامر لا تشرك بالثناء على الخطاب ~~بكل~~ أحد وبالجزم على النهى أى ولا نسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف ومن مدة لبسهم في الغار واقتصر على حكمه تعالى ولا تشرك أحدا في طلب معرفة هذه الواقعة (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم أنت بقرآن غير هذا أو بدله (لا تبدل لكلماته) أى لا قادر على تبديلها (ولن تجد من دونه) تعالى (ما تجد) أى لم تجد تعدل اليه ان همت بالتبديل للقرآن (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أى يعبدونه في كل الاوقات قرأ ابن طاهر بالغداة بضم الغين وسكون الدال (يريدون وجهه) أى يريدون بعبادتهم رضا تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تنصرف عينك عنهم الى غيرهم (تريد زيادة الحياة الدنيا) أى ترغب في مجالسة الأغنياء وجميل الصورة (ولا تطع) في تحية الفقراء عن مجالستك (من أغفلنا قلبه) أى وجدنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) أى عن توحيدنا (واتبع هواه) في عبادة الاصنام (وكان أمره) في متابعة الهوى (فرطاً) أى ضاع غارت هذه الآية في عينه بن حصن الغزاري قاله أنى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوص يشعرون بسجدة فقال عينه للنبي أما يؤذيه ريح هؤلاء ونحن سادة مضر وائسرافها ان أسلمنا نسل الناس وما يغنيان من اتباعك الا هؤلاء فتحبهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم هو رضى الله عنه وحسن اسلامه وكان في حزين من الموافقة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بغير وكذلك أعطى الاقرع بن حابس وأعطي العباس بن مرداس أربعةين بغيرا وروى أبو

سعيد رضى الله عنه قال كنت جالساً في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر بعضهم العري وقارئ يقرأ من القرآن فهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت ان أصير نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا عبايكة المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بمقدار خمسين ألف سنة (وقل الحق من ربكم) أي قل لا وائل الغافلين هذا الذين الحق انما أتى من عنده الله فإن قبلتموه عاد الذفع اليكم وان لم تقبلوه عاد الضر اليكم ولا تعاق لذلك بالفقر والغنى والقيح والحسن والجلود والشهرة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) قاله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحاً لاجل ان يدخل في الايمان بجمع من الكفار وهذه الصيغة تهديد وليست بتخيير (انا اعتدنا للظالمين) أي هيأنا لمن أنف عن قبول الحق لاجل ان من قبلوه فقراء (نارا أخطأ بهم سرادقها) أي فسطاتها فلا محلص لهم منها (وان يستغيثوا) من العطش (يفاثوا بغيرها) كاللهل) أي كدردى الزيت أو كالفضة المذابة (يشوى الوجوه) أي اذا قرب الى الغم يشرب سقطة فروة وجهه (يشرب الشراب) ذلك الماء لان المقصود يشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احتراق الاجسام مبلغاً عظيماً (وساعت مرتفعاً) أي وساعات النار متزاوية ومجتمعة للرفقة مع الكفار والشياطين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيغ أجراً من احسن عملاً) أي لا تبطل ثواب من أخلص عملاً (أولئك لهم جنات تجري من تحتهم) أي من تحت مساكنهم (الانهار يجولون فيها من سوار ومن ذهب) ويسور المؤمن في الجنة بسوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فيكون في يده هذه الانواع الثلاثة وفي الحديث الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس) وهو اللين الجاف (واستبرق) وهو اللين الجاف الصفيق فان الخضرة أحسن الالوان وأكثرها طراوة (متكئين فيها على الارائك) أي ويجلسون في الجنة متربعين على السرر في الجمال وهي بيوت تزين بأنواع الزينة اما السرير وحده فلا يسمى أريكة (ثم الثواب) ذلك (وحسنت) أي الارائك (مرتفعاً) أي منزلاً ومجتمعة للرفقة مع الانبياء والصالحين (واضرب لهم مثلارجلين) أي بين طوول الذين يطلبون طرد المؤمنين لضعفهم مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال جدين شريكين في بني اسرائيل أحدهما كافراً وقطروا من الآخر زمن اسمه هوذا أولئك الخصال الثمانية آلاف دينار فاقسمها فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلان قد اشترى أرضاً بألف دينار فاني أشترى مثل أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق به انما ان صاحبه بنى داراً بألف دينار فاني أشترى مثل داراً في الجنة بألف دينار فتصدق به انما تزوج صاحبه امرأة فاني أشترى مثل امرأة في الجنة بألف دينار فقال هذا اللهم اني أشترى مثل خدماً ومثلاً في الجنة بألف دينار فتصدق به انما أصابته حاجة شديدة فقال لوليت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريق حتى مر به في حنقه فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال له فلان قال نعم فقال ما شأنك قال أصابني حاجة بعدك فأتيتك لتعطيني بخير قال فما فعل بك فقال قصص عليه قصته فقال وانك ان المصدقين فطردهم ووجهه على التصديق عاله وآل أمرهم الى ما حكاه الله تعالى فنزل في شأنهم ما قوله تعالى واضرب لهم مثلاً رجلين (جعلنا الاحد هما) وهو الكافر (جنتين من أعقاب) أي يستأنين من كروم

متنوعة (وحفناها بنخل) أى جعلنا النخل محيطا بالجنة (وجعلنا بينهما) أى وسط أرض
الجنة (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه فتأتى هذه الأرض في كل وقت بغنمة
فكانت منافعها متواصلة (كأن الجنة أنتأ كلها) أى أخرجت ثمرها كل عام (ولم تظلم منه)
أى لم تنقص من ثمرها (شيئا) فخرنا خلقتنا (أى أجرينا في داخل تلك الجنة) (ثمر) وفي قراءة
يعقوب وخرنا بالتخفيف (وكانه) أى لصاحب الجنة (ثمر) قرأنا صم نفع الثمار والميم أى ثمر
الستان وقرأ أبو حمزة وبضم الثاء وسكون الميم والباءون بضم الثاء والميم في الموضعين أى أنواع المال من
الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك (فقال) أى صاحب الجنة (لصاحبه) الذى جعل مثالا للفقراء
المؤمنين (وهو) أى صاحب الجنة (بحاوره) أى تراجع صاحبه بالكلام الذى فيه الاختيار
بالمال والناس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أكثرنا بآمان الأولاد وغيرهم ويقال وهو أى
صاحبه المؤمن تراجع الكافر في الكلام بالوعظ والدعاء إلى الإيمان بالله وبالبعث (ودخل الجنة)
أى بستانه مع صاحبه يطوف به فيها ويريه حسناتها (وهو ظالم لنفسه) أى ضال لها بالكفر وعجبه واعتماده
على ماله (قال) استثنافى بيان لسبب الظلم (ما أظن أن تبدي هذا أبدا) أى ما أظن أن تنفى هذه
الجنة أبدا (وما أظن الساعة) أى القيامة التى هى وقت البعث (قائمة) أى حاصلة (واثن رددت
الورى) بالبعث عند قيامه كما تقول (لأجدن) يومئذ (خير منها) أى من هذه الجنة (منقلبا)
أى عاقبة وصيب هذه الميم العاجزة اعتقاده انما أعطاه الله المال في الدنيا لكرامته عنده تعالى وهى معه
بعد الموت وقرأنا نفع وابن كثير منهما أى الجنة (قال له) أى لصاحب الجنة (صاحبه) الذى هو
المؤمن (وهو) أى المؤمن (بحاوره) أى يحاور الكافر بالتوبيخ على شكه في حصول البعث
زأ كفت بالذى خلقك من تراب) أى من آدم وهو من تراب (ثم من نطفة) لا يبل وأملك (ثم سواك
رجلا) أى صيرك انسانا ذكرا وهياك هبة تعقل وتصلح لتكليف فهل يجوز فى العقل مع هذه الحالة
اهماله تعالى أمرك فان من قدر على بدء خلقه من تراب قدر ان يعيده منه وجعل الكافر بالبعث كفرا
بالله لان منشأ الشك في كمال قدرة الله (لكننا) أى لكن أنا أقول (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا)
أى أنت كافر بالله لكنى مؤمن به موحد ثم قال المؤمن للكافر (ولولا ان دخلت جنتك) أى وهلا حين
دخلت بستانك (قلت) عند العجب بالثبوت (ما شاء الله) أى الامر هو الذى شاء الله (لا قوة الا بالله) أى
لا قوة لاحد على أمر من الامور الا بإعانة الله وقادره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى
شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) وخدما فى الدنيا
(فمضى ربى أن يؤتى) أى يعطينى فى الآخرة (خيرا من جنتك) لايمانى (ويرسل عليها) أى
على جنتك (حسبانا) أى نارا (من السماء فتصير سعير ذلقا) أى فتصير جنتك أرضا ملسا
لأنياب فيها بحيث تزلق الرجل لكفره (أو يصير ماؤها غورا) أى فائضا فى الأرض (فلن تستطيع
أنت (له) أى الماء (طلبها) أى حيلة تدرك بها وقوله تعالى أو يصير عطف على قوله تعالى فتصير
وان كان الحبان بمعنى النار لانها الحكم الالهى بتجرب الجنة فيسبب عنه صبر ورتها تاربا أملس أو
صبرورة ما شاءا ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال (وأحيط بثمره) أى أهلك ثمر بستانه
بالكلية وجميع أمواله (فأصبح يقلب كفيه) أى صار يضرب احداها على الاخرى وانما يفعل هذا
ندامة (على ما أنفق فيها) أى فى عمارة جنته لانه أنفق ما يمكن ادخاره من الاموال الكثيرة فى مثل هذا

الشيء السريع الزوال وقوله على ما اتفق متعلق بقلب لانه ضمن معنى ينعدم كأنه قيل فاصبح ينعدم على ما صنع فان من عظمت ندامته يصفق احدى يديه على الأخرى (وهى) أى الجنة (خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوف الجنة وهى سقطت على الجدران وهذه اللفظة كناية عن هلاك البستان بالكسبية (ويقول) أى الكافرون لها على تلف المال (يا) أى تنبهوا يا قومى (ليتنى لم أشرك بربى أحدا) وهذا الكافرون قد كثر كلام المؤمن وعلم انما هلكت جنته بشؤم شركه فتنى أن لا يكون مشركا فلم يصبه ما أصابه (ولم تكن له) أى الكافر (فتنة ينصرونه) بدفع الهلاك عن الجنة أو برد الهلاك منها أو بآيات مثله (من دون الله) فإنه وحده قادر على ذلك وقرأ حمزة والكسافى ولم يكن بالياء التحية والباقيون بالتساق الفوقية (وما كان منتصرا) أى قادر ابن نفسه على واحد من هذه الامور (هنالك الولاية) أى فى مثل ذلك الوقت وفى ذلك المقام النصرة (لله الحق) فلا يقدر عليها أحد وقرأ حمزة والكسافى الولاية بكسر الواو بمعنى الملك فالمعنى أى فى تلك الدار الآخرة السلطان لله والباقيون يفتخروا أى النصرة وقرأ أبو عمرو والكسافى الحق بالرفع صفة للولاية وقرأ الباقيون بالجر صفة لله أى الثابت الذى لا يزول (هو) تعالى (خير نوابا) أى ائابة فى الآخرة لمن آمن به والتجأ اليه (وخير عقبا) أى عاقبة لمن رجاء وعمل لوجهه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسافى وابن عامر بضم القاف وعاصم وحزرة بتسكينها وقرئ عقيبى كرجى والكل بمعنى العاقبة (واضرب لهم) أى واذا كرم الذين افتخروا بأبائهم والحسم على فقراء المسلمين (مثل الحياة الدنيا) أى صفقتها الحقيقة فى فنائها (كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) أى اختلط بعض أنواع النبات ببعضها الآخر بسبب هذا الماء أى صار النبات فى المنظر فى غاية الحسن (فأصبح هشيما) أى فصار النبات بعد بهجتها يابساً مكسورا (تذروه الرياح) أى تفرقه ولم يبق منها شيء وقرأ حمزة والكسافى الرجح بالتوحيد (وكان الله على كل شيء مقبذرا) أى قادر على الكمال يتكويته أولا وتفتته وسطا وابطاله آخراف احوال الدنيا كذلك تظهر أولا فى غاية النصارة ثم تتراد قليلا قليلا ثم تأخذ فى الانحطاط الى أن تنتهى الى الغناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يفرح به (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقراض فيقع بالعاقل أن يفتخر به (والباقيات الصالحات) أى اعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبدا من الصلوات الخمس والهمال الحج وصيام رمضان والطيب من القول (خير عند ربك) أى فى الآخرة (نوابا) فتعود الى صاحبها (وخير أملا) فينالها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يرجوه فى الدنيا لان صاحب تلك الاهمال يأمل فى الدنيا نصيبه من ثواب الله فى الآخرة وللغزالي فى هذا وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل له من الثواب عشر حسنات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله أكبر صارت أربعين وتحقق القول فى ذلك أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق فى معرفة الله وفى محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه تعالى منزها عن كل ما لا يليق به لحصول هذا العرفان سعادة عظيمة ثم وجهه كماله فاذا قال مع ذلك والحمد لله فقد أقر بأن الله تعالى مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبتدى لا فائدة كل ما ينبغي ولا فائدة كل خير وكل ما لا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر بأنه ليس فى الوجود موجود منزوع عن كل ما لا ينبغي مبتدى لا فائدة كل ما ينبغي الا الواه فاذا قال والله أكبر ومعنى أكبر أى أعظم من أن يصل العقل الى كنهه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة فكانت درجات الثواب أربعة فهذه الكلمات الأربع تسمى الباقيات الصالحات (ويوم نسير الجبال)

أى واذكر لهم حين نسير أجزاء الجبال عن وجه الأرض بعد أن فجعلها غبارا مفرقا وقرأ ابن كثير وأبو
 عمرو وابن عامر تسير الجبال بالتاء القوية بالبناء للمفعول برفع الجبال (وترى الأرض) خطاب لكل
 أحد وقرئ على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أى ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبال وأشجار وبناء
 وحيوان وظل وبحار (وحشرناهم) أى جمعنا الخلائق إلى الموقف من كل أوب للحساب (فلم تغادر منهم)
 أى لم تترك من الأولين والآخرين (أحدا) إلا وجمعناهم لذلك اليوم (وعرضوا على ربك) كعرض
 الجند على السلطان ليقضى بينهم (صفا) أى مصطفين وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الأولين
 والآخرين في صعيد واحد صوفى في حديث آخر أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون أه
 مقول لهم (لقد جئتمونا) كائنين (كما خلقناكم أول مرة) حفاة عراة غرلا بلا أموال وأعوان (بل
 زعمتم) في الدنيا (أن لن نجعل لكم موعدا) أى وفاة المبعث (ووضع الكتاب) أى وضع في هذا اليوم
 كتاب كل إنسان في يده اليسرى إن كان مؤمنا وفي يده اليسرى إن كان كافرا فعد تطايرت الكتب إلى
 أيدي الخلق مثل الثلج (فقرئ المجرمين) أى المشركين والمنافقين (مشفقين هاهنا) أى خائفين مما
 في الكتاب من أعمالهم الخبيثة أى يحصل لهم خوف العقاب من الله بذنوبهم وخوف أنفسهم من الخلق
 بظهور الجرائم لأهل الموقف (ويقولون) عند وقوفهم على ما في الكتاب من السيئات (يا ربنا) أى
 يا أهلكتنا (مال هذا الكتاب) أى أى شئ منه (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من أعمالنا (إلا أحصاها
 أى عدّها) (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات (حاضرا) أى مكتوبا في صحفهم (ولا ينظّم
 ربك أحدا) فلا ينقص من حسنات أحد ولا يزيد على سيئات أحد (واذقنا) أى واذكر لهم وقت
 قولنا (للأنكة أمجدوا لآدم فمجدوا) جميعا بالامتثال بالامر (إلا إبليس) فإنه لم يسجد بل تكبر
 على آدم لأنه افتخر بأصله (كان من الجن) أى من نوع الجن الذين هم الشياطين فالذى خلق من نار
 هو أبوه (ففسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعته بترك السجود (فتخذونه وذريته أولياء) أى
 أبعد ما وجد من إبليس ما وجد فتخذونه وذريته أصدقاء يابني آدم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي
 (وهم لكم عدو) أى والخائفون إبليس وذريته لكم أعداء (بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى في
 الطاعة إبليس وذريته رعن مجاهد قال ولد إبليس خمسة بنين والاعور وزنبرور ومشوط وداسم فبتر
 صاحب المصائب والاعور صاحب الزنا وزنبرور الذى يفرق بين الناس ويبصر الرجل عيوب غيره ومشوط
 صاحب الضحك والخبير يأتى بها فيلقها في أفواه الناس ولا يجردون لها أصلا وداسم الذى إذا دخل
 الرجل بيته ولم يلم ولم يذكر اسم الله دخل معه وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه (مأشهدتهم) أى
 ما أحضرت إبليس وذريته (خلق السموات والأرض) فأنى خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفُسهم)
 أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) للناس وهم الشياطين (عضدا) أى
 أعوانا في شأن الخلق حتى يتوهم شركتهم في بعض أحكام الربوبية والمعنى ما أطلعهم على أسرار
 التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يجوبها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فكيف تطيعونهم يابني آدم
 (ويوم يقول) أى واذكر لهم يا أمثرف الخلق أحوال المشركين وآلهتهم يوم القيامة أذيقول الله تعجيزا
 وقرأ حمزة بنون العظمة (نادوا مشركا) أى نادوا آلهمتكم التى قلتم أنهم شركا (الذين زعمتم) أى عبدتم
 لينعوكم من عذابى (فدعوههم) للإفانة (فلم يستجيبوا لهم) إلى ما دعوههم إليه (وجعلنا بينهم) أى المشركين
 وآلهتهم (موبقا) أى حائرا بعيدا أو واديا في جهنم من فيجودم وذلك أن المشركين الذين اتخذوا من دون

الله آلهة الملائكة وعزرا وعيسى ومريم عليهم السلام دعوا هؤلاء فلم يجيبوهم استهانة بهم واشتغالا
بأنفسهم ثم حبل بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عزرا وعيسى ومريم الجنة وسار
الملائكة الى حيث أراد الله من الكرامة وحصل بين الكفار ومعبودهم هذا الخاجر وهو ذلك الوادي
(ورأى الجرمون) أي الكافرون (الذار) من مكان بعيد (فطنوا أنهم مواقعوها) أي عايطوها في تلك
الساعة من غير تأخير لشدة ما يسمعون من تغيطها وزفيرها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا الى غيرها
لان الملائكة تسوقهم اليها (واقصد صرفنا) أي ذكرنا على وجوه كثيرة (في هذا القرآن للناس) أي
لمنفعتهم (من كل مثل) أي من كل نوع من أنواع المعاني البدعية الداعية الى الايمان التي هي في
في القرابة كالمثل لتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الانسان) يجلبته (أكثر شي جديلا) أي وكان
خصوصة الانسان بالباطل أكثر شي فيه (وما منع الناس) أي اهل مكة (أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)
أي القرآن الهادي الى الايمان (ويستغفروا بهم) عما فرط منهم من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة
الاولين) أي الاطلب ايمان سنتا في الاولين وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) وقرأ
حزرة وعاصم والكسافي بضم القاف والباء أي أنواعا من العذاب تتواصل مع كونهم أحياء والباقون
بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا وقرئ بفتحين أي مستقبلا (وما ترسل المرسلين) الى الامم (الا
مبشرين) بالنواب على أفعال الطاعة (ومنذرين) بالعقاب على أفعال العصية (ويجادل الذين
كفروا) المرسلين (بالباطل) أي ياقترح الآيات بعد ظهور المجزات (ليدحضوا به الحق) أي
ليبطلوا بجدالهم الشرائع (واتخذوا آياتي) التي هي معجزات الرسل (وما أنذروا) أي وأنذروهم
بالعذاب (هزوا) أي مخزنة (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) أي ليس أحد أظلم ممن وعظ بالقرآن
(فأعرض عنها) أي فصرف عن تلك الآيات ولم يتدبرها (ونسى ما قدمت يداه) أي تغافل عن كفره
وذنبه ولم يتفكر في عاقبته (انا جعلنا على قلوبهم أكمة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي مانعة
من أن يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) أي صمما ما نفعهم استماعه (وان تدعهم الى الهدى) أي
الى التوحيد (فلن يمتدوا اذن أبدا) أي فلن يوجد منهم اهتداء البتة مدة التكليف (وربك الغفور)
أي البليغ لستر ذنوبهم بالحلم عنها الى وقت آخر (ذوالرحمة) بتأخير العقوبة عنهم (لويؤاخذهم)
أي لويريد الله مؤاخذتهم (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد)
أي وقت هلاكهم (لن يجذوا من دونه) أي العذاب (موثلا) أي مرجعا فمن يكون مرجعه
العذاب فلا يوجد منه الخلاص (وتلك القرى) أي وأهل قرى عاد وثمود وأمثالهما (أهلكناهم) في
الدنيا (لما ظلموا) أي حين كفروا (وجعلنا لهم موعدا) أي وقتا معينا لا يتأخرون عنه وقرأ
شعبة بفتح الميم واللام أي هلاكهم وقرأ أخفص بفتح الميم وكسر اللام أي وقت هلاكهم والباقون بضم
الميم وفتح اللام أي لا هلاكها لهم (واذا قال) أي واذا كرجح قال (مومي لقتاه) يوشع بن نون بن
افرايم بن يوسف عليه السلام وكان يوشع من أشرف بني اسرائيل وانما سمى فقام موسى عليه السلام لانه
كان يخدمه وكان موسى عليه السلام وقع في قلبه ان ليس في الارض أحد أعلم مني فقال الله يا موسى ان
لي في الارض عبدا أعبدني منك وأعلم وهو الخضر فقال موسى يا رب داني عليه فقال الله له خذ سمكا ما لحا
وامضي على شاطئ البحر حتى تلقى خضرة عذوها عين الحياة فانقع على السمكة منها حتى تحيا السمكة قسم
تلقى الخضر فأخذ حوتا فجعله في مكنة فقال لقتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا عيشان (لأبرح)

أى لا تزال سائرا (حتى أبلغ جميع البحرين) أى ملتقى بحر فارس والروم عيايلى المشرق (أو أمضى حقبا)
 أى أو أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات الطلاب أو أسير ثمانين سنة (فلما بلغا جميع بينهما) أى بلغا موضعا
 يجتمع فيه موسى وصاحبه الذى كان يقصده وهو الخضر (نسيا حوتهما) أى نسيا خبر حوتهما واتفقا أمره
 وقد جعل فقداه اماراة لوجدان المطلوب (فالتخذ سبيله فى البحر سربا) أى فادركته الحياة بسبب برد
 الماء الذى أصابه فحضر فى المكمل فخرج منه وسقط فى البحر فالتخذ الحوت فى البحر مسلكا كالسرب
 قبل ان الفتى كان يغسل السمكة لأنها كانت عظيمة فظفرت وسارت (فلما جاؤا) أى موسى وقناه جميع
 البحرين وذهبا كثيرا وألقى على موسى الجوع (قال لقننا آتنا غدا نأخذ لقيننا من سفرنا هذا) الذى
 بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) أى تعبنا قبل ان موسى لم يتعب ولم يجمع قبل ذلك (قال) أى فتاه
 (أرايت اذ أرينا الى الصخرة) أى أبصرت حالنا اذ اقنا عند الصخرة (فانى نسيت الحوت) أى خبر
 الحوت (وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره) بدل استمال من الماء أى وما انساني ذكره من الحوت
 لك الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرأ حفص بضم الهاء من أنسانيه (واتخذ) أى الحوت
 (سبيله فى البحر نجيا) أى اتخذ انجيا وهو كون مسلكه كالسرب فلم يلبثم الماء وجد ماتحت الحوت
 منه حتى رجع موسى اليه فرأى مسلكه ركون الحوت قد مات وأكل شقه الايسر ثم حى بعد ذلك (قال)
 أى موسى (ذلك) أى الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبغ) أى الذى كنا نطلبه لانه اماراة
 الظفر بالمطوب وهو اقامه الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والسكاسى بإثبات الياء وصلالا وقفا وابن كثير أثبتا
 فى الحالىن والباقيون حذفوها فى الحالىن اتباعا للرسم (فارتداعلى آثارهما قصصا) أى فرجعا
 مفتشين آثارهما أو فاقصصاعلى آثارهما اقتصاصا حتى أتيا الصخرة (فوجداهما عبدا من عبادة)
 وهو الخضر واسمه بليان ملكان وكنيته أبو العباس وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك الذين ترهذوا
 وزكوا الدنيا وروى أنهم ما وجد الخضر وهو نائم على وجه الماء وهو مغطى بشوب أبيض وأخضر طرفه
 تحت رجليه والآخر تحت رأسه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يابى بنى
 اسرائيل فقال له موسى ومن أخبرك انى بنى اسرائيل فقال الذى أدركه بنى وذلك على والصحيح ان
 الخضر بنى وذهب الجهر والى انه حى الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة (آتيناهم رحمة من عندنا) أى
 أكرمناه بالنبوة كما قاله ابن عباس (وعلمناه من لدنا علما) وهو علم الغيوب (قال له موسى) على
 سبيل التأديب والتلطف فى ظرف الاستئذان (هل أتبعك) أى تعجبك (على أن تعلمن) أثبت الياء
 نافع وأبو عمرو وصلالا وقفا وابن كثير فى الحالىن والباقيون حذفوها (عما علمت رشدا) أى علمنا يرشدنى
 فى دينى وقرأ أبو عمرو ويعتوب بفتح الراء والشين والباقيون بضم الراء وتسكين الشين قال له الخضر كفى
 بالتوراة علما وبنى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بهذا فحينئذ (قال) له الخضر يا موسى
 (انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى على ما لم تعلم به بجانا حكمة أى انك
 يا موسى لا تصبر على أمور لم تعلم حقائقها يا موسى انى على علم من علم الله تعالى علمه لا تعلمه أى وهو علم
 الكشف وأنت على علم من علم الله علمه لا أعلمه أى وهو علم ظاهرا للشرعة (قال) له موسى
 (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعشى لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا على ما أرى منك
 وغير مخالف لا منك (قال) له الخضر (فان أمتعتنى) أى محبتنى (فلا تسألنى عن شئ) تشاهده
 من أفعالى ولو منكر أحبب علمك الظاهر (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبسدى بأخبارك

بيان ذلك الشيء وقرأ ابن عامر فلا تسألن بالنون المثقلة وبغير ياء وروى عنه تسألني مثقلة مع الياء
 وهي قراءة نافع وقرأ باقي السبعة بسكون اللام وتنفيف النون وقرأ أبو جعفر هنا تسألن بفتح السين واللام
 وتشديد النون من غير همز (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة
 وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل أو كان معهما وأغالم يذكرو في الآية لأنه تابع لموسى فاكتمى
 بذكر المتبوع عن التابع المقصود ذكر موسى والخضر (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) أي ثقبها الخضر
 وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلوا أهلها ن يحملوهم فغرقوا الخضر
 بعلامة يحملوهم بغير نول فلما لجوا أي وصلوا إلى الماء الغزير أخذوا الخضر وأسأوا فخرج بها الوحاش من
 السفينة (قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) أي لتغرق أنت أهل هذه السفينة وقرأ حمزة والكلبي
 ليغرق أهلها بالياء المفتوحة وفتح الراء ورفع أهلها (لقد جئت شيئا مريا) أي لقد فعلت شيئا عظيما
 شديد على القوم روى أن الماء لم يدخل السفينة وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به
 الخرق (قال) له الخضر (ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا) قال موسى (لا تأخذني بما نسيت)
 أي بما تركت من وصيتك أول مرة أو هـ ذامن التورينة وإيهام خلاف المرافقة في موسى به الكذب
 مع التوصل إلى الغرض وهو بسط عذره في الإنكار فالمراد بما نسيت شي آخر غير الوصية لكنه أوهم أنها
 المنسية (ولا تهقني من أمرى عسرا) أي لا تكافني مشقة في أمر صعبتي أي لا تقبل الخضر عذره موسى
 فخرجه من السفينة (فانطلقا حتى إذا القيما غلاما) بين قريتين لم يبلغ الخنث يلعب مع عشرة صبيان
 كان وضي الوجه اسمه خيشور فأخذه الخضر (فقتله) بوجه مضطجع بالسين أو بقتل عنقه (قال)
 له موسى (أقتلت نفسا زكية) أي بريئة من الذنوب (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرومة وقرأ نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وبالف بعد الزاي وبخفيف الياء والساكن بالتشديد ويدون ألف (لقد جئت شيئا
 منكرا) أي لقد فعلت فعلا منكرا (قال) الخضر (ألم أقل لك) يا موسى زاد الخضر لك هنا تعريفا
 لموسى ونحو ما لا في الخطأ (أنك لن تستطيع معي صبرا) قيل إن يوشع كان يقول لموسى يابني الله أذكر
 العهد الذي أنت عليه (قال) موسى (إن سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبني)
 أي لا تجعلني صاحبك وقرئ لا تهمني بضم التاء وسكون الصاد (قد بلغت من لدن عذرا) أي قد
 وجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم في بعض الروايات بتخفيف
 النون وضم الدال وفي بعض الروايات عن عاصم بضم اللام وسكون الدال روى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال رحم الله أخى موسى استجبا فقال ذلك ولوليت مع صاحبه لا بصرا عجبا (فانطلقا)
 حتى إذا أتيا أهل قرية بعد الغروب في ليلة باردة محطرة وهي انطاكية أو أروقة (استطعما أهلها) أي
 طلبوا من أهلها الخبز على سبيل الضيافة فأقدم الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل رعا
 وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد وعن أبي هريرة قال أطعمتها امرأة من أهل بركة بعد أن طلبا من
 الرجال فلم يطعموهما فقد عول النساء ثم ولعنار جالهم فقله تعالى استطعما جواب إذا أو صفة لقرية (فأبوا
 أن يضيغوهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية ثلثا (فوجد فيها) أي القرية (جدارا)
 مائلا (يريد أن ينقض) أي يقرب من السقوط وكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده
 على وجه الأرض خمسة مائة ذراع (فأقامه) أي رفعه الخضر بيده فاستقام أو مسحه بيده فاستوى
 أو هدمه ثم بناه (قال) موسى (لو شئت) يا خضر (لأخذت عليه أجرا) أي طلبت على عملك أجرة تصرفها

الى تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات أى كان ينبغي لك أن تأخذ منهم جعلاً على فعلك لتقصيرهم
 فيما مع حاجتنا وليس لنا فى اصلاح الجدار فائدة فهو من فضول العمل وروى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى نسياناً لوسطى شرطاً والثالثة عداً قيل فى تفسير هذه الآيات التى
 وقعت لموسى مع الخضر أنها حجة على موسى وعتب عليه بذلك أنه لما أنكر خرق السفينة فودى ياء موسى
 أين كان تدبيرك هذا وأنت فى الثابت مطر وحافى اليم لما أنكر أمر الغلام قيل له أين أنكرت هذا من
 وكرك للقبطى وقصصك عليه فلما أنكر إقامة الجدار فودى أين هذا من رفعك حجر البئر لنبات شعيب
 دون أجر (قال) له الخضر (هذا فراق بينى وبينك) أى هذا الانكار على ترك الأجر سبب فراق حصل
 بينى وبينك (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) السبب للتأكد كيداً لا للاستقبال لعدم تراخي التنبؤ
 أى أظهر لك بيان وجه ما لم تصبر عليه أى حكمة هذه الأمور الثلاثة قبل فراقى لك (أما السفينة) التى
 أخرجتها (فكانت لمساكين يعملون فى البحر) فيعبرون بالناس مؤجرين للسفينة لجل الامتعة ونحوها
 كانت لعشرة أخوة من المساكين ورثوها من أبيهم خمسة زنى وخمسة يعملون فى البحر فاما العمال منهم
 فأحدهم كان مجذوماً والثانى كان أعور والثالث كان أعرج والرابع كان أدر والخامس كان مجنوناً
 لا تنقطع عنه الحى الدهركاه وهو أصغرهم والحمسة الذين لا يستطيعون العمل أحمى وأصم وأخرس ومقعده
 وجنون وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فارس والروم (فأردت أن أعيها) أى أن أجعلها ذات
 عيب (وكل ورأهم) أى أمامهم كقراءة ابن عباس وابن جبير (ملك) كقراءة هدد بن بداء وبلندى
 ابن كركر (بأخذ كل سفينة) صحيحة كقراءة ابن عباس وابن جبير (غصبا) من أصحابها
 ولم يكن عندهم علم به فلذلك نعتها فإذا جاوزوا الملك أضلحوها (وأما الغلام) الذى قتله (فكان
 أبواه مؤمنين) من عظماء تلك القرية اسم الأب كازرا واسم الأم سهوا (نخشنا أن يرهقهما) أى
 نخفنا أن يحمل الوالدين المؤمنين (طغيانا وكفرا) لمحبتهم له وقوى تخاف ذلك أى كره ذلك كراهة من
 خاف سوء عاقبة الأمر أن يلحق الوالدين معصية وكفرا أو يقال فعلم بذلك أن يوقعهما فى السكر وقيل
 أن أبويه فرح به حين ولدوا وحرنا عليه حين قتل ولوبقى لكان فيه هلا كهما فليرض العبد بقضاء الله
 تعالى فإن قضاء الله للأومن فيما يذكره خبره من قضائه فيما يحب وقيل كان الغلام رجلاً كافراً الصاقل
 فمن ذلك قتله الخضر وكان اسمه جيسور (فأردنا أن يبدلهمارهم ما خيرا منه ركاة) أى صلاحاً وطهارة
 من الذنوب والاخلاق الرديئة (وأقرب رحما) أى عطفاً بأبويه وأوصل رحماً بأن يكون أبوهما قال
 ابن عباس أجدلاً بتأولت نبيسا وهو الذى كان بعد موسى الذى قالت له بنو اسرائيل ابعث لنا ملكا فقاتل
 فى سبيل الله وكان اسمه شععون وقرا أبو عمرو ونافع بفتح الباء وتشديد الدال هنا وفى التحرير وفى القلم
 وقرا بن هاجر فى إحدى الروايتين عن أبي عمرو ورحما بضم الحاء (وأما الجدار) الذى سويت به (فكان
 لغلامين يتيمين) هما أصرم وصريم ابنا كاشع وأمهما دانيا (فى المدينة) وهى المعبر عنها أولاً
 بالقرية تحقر الها خمسة أهلها وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتما لها على هذين الغلامين
 وأبيهما (وكان تحتهم كنزهما) عن نبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهابا وفضة
 رواه البخارى فى تاريخه والترمذى والحاكم وقيل كان لوطا من ذهب مكذوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
 كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
 يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت أن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله الا الله محمد

رسول الله (وكان أبوهم صالحا) وهذا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء وقد روى
 أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته (وأراد بذلك أن يبلغا أشدهما) أي قوتهما وكلاهما رأيهما
 (ويستخرجا كنزهما) أي دفينهما من تحت الجدار ولولا أني أقتله لانتفض وخرج الكثر من تحته وضاح
 بالكلية (رحمة من ربك) مفعول له وعامله أراد أي نعمة لهما من ربك أو عامله مقدر أي فعلت هذه
 الأفعال وحيما من ربك (وما فعلته) أي ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال (عن أمري) أي عن
 اجتهادي ورأيي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي ذلك الأجوبة الثلاثة تفسير ما لم تصبر عليه من
 الوقائع الثلاثة وحذف التاء بعد السين هنا لتخفيف روي أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق
 الخضر قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به وقيل إن الخضر لما أراد أن يفارق
 موسى قال له موسى أوصني قال كن بساما ولا تكن فخما كادع الحاجة ولا تش في غير حاجة ولا تعب
 على الخطأ من خطاياهم وابل على خطيئتك يا ابن عمران (ويسألونك عن ذي القرنين) أي يسألك
 يا أشرف الخلق أهل مكة عن خبر ذي القرنين اسمه اسکندر بن فيلفوس اليوناني كان عبدا صالحا لم يملكه
 الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وكان وزيره الخضر والعجم أنه لم يكن نبيا وإنما كان
 ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليق وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعيا إلى الله (قل)
 لهم في الجواب (سأتلو عليكم منه ذكرا) أي سأذكر لكم من حال ذي القرنين خبرا مذكورا والسين
 للتأكيد والدلالة على التحقيق (إنما مكانه في الأرض) أي أن جعلناه قدرته على التصرف في الأرض من
 حيث التدبير والراي وعلى الأسباب حيث مخزئه السحاب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء
 وسهل عليه السير في الأرض (وأتيناها من كل شيء) يحتاج إليه في إصلاح ملكه (سببا) أي
 طريقا يوصله إلى ذلك الشيء المقصود كآلات السير وكثرة الجند (فأتبع سببا) أي فأخذ طريقا يوصله
 إلى استقصاء بقاع الأرض ليلاها عدلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة
 المغرب بحيث لا يمكن أحدا من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي
 فيه الجزائر المسماة بالحالات التي هي مبدأ الأطوال (وجدناها) أي الشمس (تغرب) في رأي العين
 (في عين) أي بحر محيط (حنطة) أي ذات طين أسود شديد السخونة كما يدل عليه قراءة شعبة وحزرة
 والكسائي وابن عامر حامية بألف بعد الحاء وبياء بعد الميم وهي قراءة ابن مسعود وطه (ووجد
 عندها) أي عند تلك العين (قوما) كفار الباسم جلود الوحوش وطعامهم ما يلفظه البحر من اللحم
 (قلنا) بالهام (يا ذا القرنين أما أن تعذب) بالقتل (وأما أن تتخذ فيهم حسنا) أي أمرا إذا حسن
 بأن تتركهم أحياء (قال) أي ذو القرنين (أما من ظلم) نفسه باستمراره على الكفر (فسوف نعذبه) بالقتل
 بعد طول الدعاء إلى الإسلام (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذابا نكرا) أي شديدا وهو
 عذاب النار (وأما من آمن) بسبب دعوتي (وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حزرة والكسائي
 وحقق عن عاصم بن ضمر بنصب جزاء أي فله الجنة في الآخرة من جهة الجزاء وقرأ الباقون برفعها وإضافة أي فله
 في الدارين جزاء الفعلة الحسنى التي هي الإيمان والعمل الصالح (وسنقول له) أي لمن آمن (من)
 أمرنا يسرا) أي قولنا سهلا نأمر به من الزكاة والحج وغيرهما ولا نأمره بالصعب الشاق (ثم
 أتبع سببا) أي ثم أخذ ذو القرنين طريقا نحو المشرق من جهة الجنوب (حتى إذا بلغ مطلع الشمس)
 أي موضع طلوعها من معبورة الأرض (وجدناها) أي الشمس (تطلع على قوم) هم الرشح (لم نجعل

لهم من دونها) أى الشمس (سترا) من اللباس فيكونون عراة أبداً فإذا طلعت الشمس دخلوا الأبراب
أو الجحش فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم (كذلك) أى أمر ذى القرنين فيهم كأمره فى أهل المغرب
لحكم فى أهل المظلم كحكم فى أهل المغرب من تعذيب الظالمين والأحسن إلى المؤمنين (وقد أحطنا بما
لديه خبراً) أى وقد علمنا بما كان عند ذى القرنين من الخير (ثم أتبع سبيها) أى ثم سلك ذوا القرنين
طريقاً معترضاً بين المشرق والمغرب أخذوا الخوارج من الجنوب إلى الشمال (حتى إذا بلغ بين السدين)
أى بين الجبلين العالين الأملسين فلا يستطيع الصعود إليهما فى آخر بلاد الترك عما إلى المشرق
ويسمى كل منهما سداً لأنه سد لحاج الأرض (وجد من دونهما) أى من وراءهما بحاراً وأعماقاً (فوما
لا يكادون يفقهون قولاً) أى أمة من الناس لا يقربون يفهمون قول غيرهم أملة فطنتهم وفى قراءة حمزة
والكسائى ضم الياء وكون القاء وكسر القاف أى لا يفهمون الناس كلامهم لغراب لغتهم وهم من أولاد
يافث وذوا القرنين من أولاد سام قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام وياثف أما سام
فهو أبو العرب والعجم والردم وأما حام فهو أبو الحبشة والنوبة وأما يافث فهو أبو الترك والخزر
والصفالية ويأجوج ومأجوج (قالوا) لذى القرنين بواسطة ترجمان عن هو مجاورهم ويفهم
كلامهم أو بغير ترجمان على أن منهم ذى القرنين كلامهم وأفهام كلامه أيأهم من جملة ما أعطاه الله
تعالى من الأسباب (بأذا القرنين أن يأجوج ومأجوج هم سدون فى الأرض) أى فى أرضنا با يكون
كل شئ أخضر ويحلبون كل شئ يابس ويقتلون أولادنا وهمى يأجوج ومأجوج لكثرة هم وروى
حديثه حديثاً مرفوعاً أن يأجوج ومأجوج أمت فكل أمة أربعة آلاف أمة لا يحوت الواحد منهم حتى
ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسرون إلى خراب الدنيا وهم ثلاثة
أصناف صنف منهم أمثال شجر صنوبر طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه
سواء عشرون ومائة ذراع وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يقترش أحداهم إحدى أذنيه
ويلتصق بالآخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم سمأ كلوه مقدمتهم
بالسام وساقمهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية (فهل نجعل لك خراجاً) وفى قراءة حمزة
والكسائى بفتح الزا مع مدده والباقيين بسكون الزا ففيل الخراج ما كان على كل رأس والخراج ما
كان على البلد وقيل الخراج ما كان بالتبرع والخراج ما يلزم أدائه (على أن تجعل بيننا وبينهم
أى يأجوج ومأجوج (سداً) أى حاجزاً بين هذين الجبلين فلا يصلون إلينا (قال) ذوا القرنين
(ما عكنى فيه بى خير) أى ما جعلنى فيسعون قادراً من المال الكثير والملك الواسع وسائر الأسباب
خير مما تعرضون على من الجعل فلا حاجة بى إليه وقرأ ابن كثير مكنتى بقلك الأدغام (فأعينونى
بقوة) أى بآلات الحديد وبصناعات بحسنون البناء والعمل (أجعل بينكم وبينهم ردماً)
أى حاجزاً حصيناً ورزاً متيناً وهو أكبر من السد وأوثق (أتوفى بزر الحديد) بعد الهزيمة أى أعطونى
قطع الحديد الكبيرة وقرأ حمزة التوفى بوصل الهزيمة فى الموضعين وواقعة أبو بكر هتوا خلفه فى الموضع
الثانى والغنى جئنى بزر الحديد فزبر على قراءة همزة الوصل منصوبة على اسقاط الخافض وحفر
ذوا القرنين الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والخماس المذاب والبنيان من بزر الحديد
بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان طوله مائة فرسخ (حتى إذا سوى بين
الصدين) أى بين طريق الجبلين بالبناء أى أنهم جاؤا إذا القرنين بزر الحديد فشرع ببنى شيئاً فشيئاً حتى

اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مسارا يالها في السهل لكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين
 ذراعا ووضع المنافع والنار حول ذلك (قال) للعملة (انفقوا) بالكيران في الحديد المبني ففمضوا (حتى
 اذا جعله نارا) أي اذا جعل الحديد مثل النار (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونحوها
 (أتوني) أي اعطوني نحاسا مذابا (أفرغ عليه قطرا) أي أصب على الحديد المهيئ نحاسا مذابا فافرغه
 عليه فدخل مكان الخطب والغمم فامتزج بالحديد والتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلبا وهذه كرامة
 عظيمة حيث صرف الله تأثير الحرارة العظيمة عن أيدان أولئك النافخين والمفرغين للقطر (فاسطاعوا)
 بهذف ناه بعد السنين أي فلم يقدر بأجوج ومأجوج (أن يظهره) أي أن يبعثوا ظهر الجبل لارتفاعه
 وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي خر قاصم أسفله لصلابته وشيخه لانه كان خمسين ذراعا وكان
 ارتفاعه مائتي ذراع وكان طول السد على وجه الأرض مائة فرسخ ومسيرة الفرمخ ساعة ونصف فتكون
 مسيرة السد مائة وخمسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصفا (قال) أي ذوالقرنين لمن عنده (هذا)
 السد (رحمة) أي نعمة عظيمة (من ربّي) على جميع الخلق (فأذا جاء وعد ربّي) أي وقت وعد ربّي
 بخروج يأجوج ومأجوج (جعله) أي هذا السد (دكا) بالمدى أرضا مستوية وقرى دكا أي مكسورا
 حتى يصير ترابا (وكان وعد ربّي) بخروجهم وقت قرب الساعة (حقا) أي صدقا (وتركنا بعضهم
 يومئذ يوج في بعض) أي صيرنا بعض يأجوج ومأجوج يوم خروجه من السد تحت طي بعضهم الآخر من
 شدة الازدحام عند خروجهم لكثرتهم وذلك عقب موت الدجال فيمجاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور
 فإراهم يروى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه مريا يكون دوابه ثميا يكون الشجر ومن ظفر وابه من
 الناس ولا يقدر أن يأكلوا مكة والمدينة وبيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن منهم يورد أود ~~مكر~~
 ويحبس في الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس النور لأحدهم خيرا من مائة دينار فيسبحون إلى الله
 تعالى بالدعاء فيسلط الله تعالى دودا في أوفهم أو آذانهم فيموتون به ثم يهدى نبي الله عيسى وأصحابه إلى
 الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه رعمهم وينتقم فيسبحون نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى
 فيرسل سبحانه وتعالى عليهم طير اقلقتهم في البحر ثم يرسل طيرا يغسل الأرض حتى تصير كالمرآة ثم يقال
 للأرض انبثي ثمرك ووردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويماركون في الغنم
 والابل حتى أن القمح لتسكن في الجماعة الكثيرة فيسبواهم ~~كذلك~~ اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة
 فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارجا الحمر
 فعليهم تقوم الساعة (ونفخ في الصور) نفخة ثانية للبعث (لجمعناهم) أي يأجوج ومأجوج وغيرهم
 (جمعنا) أي جمعنا جميعا بعدما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء (وعرضنا
 جهنم يومئذ للكافرين عرضا) أي أظهرناهم مع قريتهم من قوم اذ جمعنا الخلائق كافة اظهراها ثلثا
 فذلك يجري مجرى عقابهم لحصول الغم العظيم بسبب ذنوبهم وجمعناهم ليعظوا ويزفروا (الذين كانت أعينهم)
 أي أعين قلوبهم وهم في الدنيا (في غطاء) أي غشاوة كثيفة (عن ذكرى) على وجهه يديق بشأني
 وعن كتابي فلا يهتدون به (وكلوا لا يستطيعون سمعا) إلى قراءة القرآن فلا يؤمنون به (أحسب
 الذين كفروا) أي كفروا بي مع جلالة شأني فظنوا (أن يتخذوا عبادي من دوني) من الملائكة
 وعيسى وعزرا (أولياء) أي معبودين يصرونهم من عبادي والمعنى أظنوا أنهم ينتفعون بعبدوه
 من عبادي مع اعراضهم عن تدبر الآيات السمعية والمشهدة وقرأ أبو بكر الحنبل الذين كفروا وبكون

السين ورفع الباه وذكر أنه قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أي أفكافهم اتخذهم ذلك من دون طاعتي (أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا (قل هل ننبشكم بالأخسرين أعمالا) في الآخرة (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم (في الحياة الدنيا) متعلق بسعيهم لا بضل وذلك كالعتق والوقت واغاثة الملهوف لأن الكفر لا تنفع معه طاعة (وهم يحسبون) أي والحال أنهم يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أي يحسنون في أعمالهم بالاثبات بها على الوجه اللائق ويحسبون أنهم يتفخعون بأنهم أهل القبل المراد بهم أهل الكتابين وقيل الرهبانية الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملون على الرياضات الساقطة وحملتهم يحسبون حال من فاعل ضل وهو أولى من كونها حالاً من المضاف إليه (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) أي بدلائله الداعية إلى توحيد عقلاوة لا (ولقائه) أي وكفروا بالبعث بعد الموت وبرؤيته تعالى في الآخرة (لخبطت أعمالهم) أي بطلت لأنكارهم الدلائل (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي فلانجعل لمن حبطت أعمالهم جوطا كليا يوم القيامة قدر ابل تزدري بهم فليس لهم عندنا قيمة أصلا ولا يوزن من خيراتهم - م قدر ذرة (ذلك جزاؤهم) أي ذلك الذي ذكرناه من أنواع الوعيد هو جزاؤهم (جهنم) عطف ببيان للغير (عما كفروا واتخذوا آياتي) الدالة على وحداني (ورسلي) المؤمنين بالمعجزات (هزوا) أي هزواهم (الذين آمنوا) بآيات ربهم واقامته وعملوا الصالحات (من الأعمال) كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده (جنات الفردوس نزلا) أي منزلا خير كانت ولهم متعلق بمحذوف حال من نزلا (خالدين فيها لا يغيغون عنها حولا) أي لا يظلمون تحولا إلى غير هذا يدل على غاية السكال فلا مزيد عليها في خيرات الجنة حتى يريد أشياء غير ما كان الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت من السعادات فهو طامع الطرف إلى ما هو أعلى منها وعن كعب أنه قال ليس في الجنان أعلى من الجنة الفردوس وفيها الأمور بالمرور بالمرور والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربع فإذ أسألتهم الله تعالى فأسأله الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (قل لو كان البحر ممدادا لكتب ما ربنا من فضل البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) أي قل يا أشرف الخلق لو كان ماء البحر ممدادا لكتب ما ربنا من فضل البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وحكمته لندما البحر مع كثرة في كتابته ولم يبق منه شيء التناهي من غير أن تنفد كلمات ربي لعدم تناسها وقرأ حمزة والكسائي بنفد بالياء التحتية (ولو جئتكم بماء البحر ممدادا) أي زيادة لندما البحر ولم تنفد كلمات ربي وقيل هنا بمعنى غير أو بمعنى دون وروى أن حي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما تؤت من العلم إلا قليلا فنزلت هذه الآية أي أن ذلك الحكمة خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ثم أمر الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى (انما أنا بشر مثلكم) لأدعي الاحاطة بكلماته تعالى التامة (يوشى إلى) من تلك الكلمات (أنما الحكم الله واحد) لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وانما عبرت عنكم بذلك الوشى (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي فمن استمر على رجا كرامته تعالى (فليعمل) لتحصيل تلك الطلبة العزيرة (علا صالحا) لا تعاطلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ولا يترك عبادته أحدا) أمرا كما جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا أمرا كما خفيا كما يفعل أهل الرياء روى أن جندب بن زهير العامري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه مني فقال صلى الله

عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت هذه الآية تصديقه **وروي انه صلى الله عليه وسلم**
قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعملة
الرواية والسبعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به
والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام

الكاملين والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على

سيدنا محمد وآله

وصحبه أجمعين

آمين

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله سورة مريم﴾

obeikandi.com

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن المجيد المسمى بمراح لبید للشیخ محمد نورى

صفحة	سورة الفاتحة	صفحة	سورة يونس
٢	سورة البقرة	٣٤٤	سورة هود
٣	سورة آل عمران	٣٦٠	سورة يوسف
٧٧	سورة النساء	٣٧٧	سورة الرعد
١٢٨	سورة المائدة	٤٠٠	سورة ابراهيم
١٧٧	سورة الانعام	٤١٠	سورة الحجر
٢١٨	سورة الاعراف	٤١٨	سورة النحل
٥٢٧	سورة الانفال	٤٢٦	سورة الاعراف
٣٠٠	سورة التوبة	٤٤٧	سورة الكهف
٣١٤		٤٦٧	

